المحتويات

المقدِّمة

شرح سفر الأعمال

الأصحاح الأول

الأصحاح الثاني

معمودية الاثني عشر مجتمعين أي معمودية الكنيسة

الأصحاح الثالث

تدعيم الكنيسة في أورشليم

الأصحاح الرابع

الأصحاح الخامس

الأصحاحان السادس والسابع

شهادة القديس استفانوس واستشهاده

الأصحاح السادس

الأصحاح السابع

المرحلة الثانية من مراحل نمو الكنيسة

الأصحاح الثامن

بدء الاتجاه نحو الأمم

الأصحاح التاسع

الأصحاح العاشر

الأصحاح الحادي عشر

الأصحاح الثاني عشر

المرحلة الثالثة من مراحل نمو الكنيسة

الأصحاح الثالث عشر

الأصحاح الرابع عشر

الأصحاح الخامس عشر

مجمع كنسي رسولي في أورشليم سنة 49م.

فهارس الكتاب

شرح سفر أعمال الرسل

المقدِّمة

[هذا السفر قلَّ مَنْ يدري به بل وقلَّ مَنْ يدري بصاحبه
ولهذا السبب بالذات قد اخترت هذا الموضوع لحديثي؛
حتى لا أترك هذا الكنز هكذا مختفياً. فالفائدة التي سنجنيها
منه ليست بأقل مما يُجنى من الإنجيل. فهو مشحون
بالحكمة المسيحية والتعليم الصحيح وخاصة فيما هو
للروح القدس. فعلينا أن نعبر فيه بالهوينىحتى نتفحَّصه

بدقة. لأن كل ما سبق وتنبأ به المسيح في الإنجيل نجده في هذا السفر على مستوى الواقع.]
القديس يوحنا ذهبي الفم(1)
رئيس أساقفة القسطنطينية

(1) من عظة أُلقيت في مايو سنة 387م بأنطاكية في عيد القيامة، وكان في هذا الزمان قد تعيَّن أن يُقرأ هذا السفر في فترة الخمسين المقدَّسة.

دراسة تمهيدية للسفر

أعمال الرسل: صورة عامة:

إنها قصة الكنيسة منذ نشأتها وحتى الثلاثين عاماً من عمرها، التي اختتمت باستشهاد قديسيها الكبيرين بطرس وبولس الرسولين، وهما في قيود الإنجيل.

إنها قصة مُلهَمة بالروح القدس.

ونقول ـ ولو أننا نسبق البحث والبرهان ـ إن لوقا كاتب هذا السفر النفيس يُحتسب الآن لدى العلماء كما يقول العالم ج. هـ. ك. ماكجريجور(2) في كتابه «الأعمال» أنه أهم كاتب من بين جميع مَنْ كتبوا للعهد الجديد!! وعن مؤلفه (القديس لوقا) يقول إن عمله أي « إنجيل لوقا وسفر الأعمال» هو أكبر مساهمة قام بها أي كاتب في كل أسفار العهد الجديد. فهذا العمل يبلغ رُبع الأسفار كلها حجماً وأثقلها كلها معاً وزناً. فالإنجيل الثالث للقديس لوقا أغنى الثلاثة الأُخر، فهو يحوي من المادة الإنجيلية ما يفوقها جميعاً. ويتميَّز بأجمل الأمثلة التي ضربها المعلِّم وأحبَّها للنفس، وأكثرهم قاطبة من تكلَّم وأسهب في الكلام عمَّا بعد القيامة، فلو تصوَّرنا أننا كنا فقدناه، لكنَّا قد حُرمنا من أكثر أخبار المعلِّم وتعاليمه.

وكتاب الأعمال على نفس القياس في الأهمية إذ لا يوجد سواه من يحمل لنا قوة وعظمة البداية للمسيحية. صحيح أنه يمكن أن نجمع من خلال سطور رسائل بولس الرسول معرفة ثمينة عن أخبار الإرساليات التي قام بها الرسول بولس وكل رفاقه، ولكن الكثير من هذه المعرفة والأخبار التي تختص بحياته ندين في فهمها ووضوحها ورتابتها للقديس لوقا في سفر الأعمال، ولولاه للفَّها الغموض. لأن ق. لوقا في سفر

---

(2) G. H. C. Macgregor, *Acts,* p. 3.

الأعمال أعطى الإطار الزاهر الباهر ليصب فيه بولس الرسول كل إشاراته وأمثلته لتزداد وضوحاً. وهنا يقول عنه العالم هـ. ج. كادبوري: [إن كتاب الأعمال يُعتبر حجر الزاوية الذي يربط بين قسمي الأسفار للعهد الجديد « الإنجيل وأعمال الرسل» كما كان يسميهما المسيحيون الأولون. فهو القنطرة التي تغطّي الهوة ـ التي ما كان يمكن عبورها لولاه ـ بين المسيح وبولس، المسيح والمسيحية، إنجيل المسيح والإنجيل الذي يتكلَّم عن المسيح.](3)

Cadbury, H. J., *The Making of Luke-Acts,* p. 2. (3)

أمَّا مصادر هذا السفر الرسمية فهم خدَّام الكلمة الذين عاينوا الرب وعاشوا معه في أُلفة التلمذة الفريدة جداً من نوعها وكان الرب «المعلِّم» شامخاً بينهم شموخ جبل حرمون، وكالشمس في الضحى. يلقِّنهم الإنجيل ويقود أرواحهم على مرتفعات النعمة. والقديس لوقا كان طبيباً، والطب يقوم على ركيزتين: الدقة المتناهية في الفحص، واستشفاف الحقيقة من وراء الأعضاء الصامتة. فما بالك بهؤلاء التلاميذ والرسل الناطقين بالروح القدس. هذا هو لوقا الطبيب الحبيب اجتمعت فيه الدقة والرقة واستشفاف الحقيقة وتحقيقها كجرَّاح عَيْنُه لا تُخطىء الملاحظة. استطاع أن يجمع تاريخ الكنيسة منذ نشأتها بحلول الروح القدس على الرسل والتلاميذ ليكوِّنوا أعضاءها الأكثر كرامة، حتى استشهاد قطبيها الأكبرين بطرس "الأول" وبولس "الأخير". ويتابع جيلها الأول، كُلَّ مَنْ كان له فيها جهد يُذكر على مدى ثلاثين سنة. وهكذا احتوى كتابه أفخر قصة لأندر حركات السماء، من وراء العالم. كل صفحاته وهَّاجة بنور ينعكس عليها من فوق لا يراه القارىء ولكن يحسه في كل كلمة، وبين السطور يعطي فرصة لذوي البصائر المفتوحة ليقرأوا ما لم يُكتب. وهذا شأن كل ما يمليه الروح على يد الكاتب الملهم. ومن فوق صفحات الكتاب - أعمال الرسل - تجري خيوط زاهية لتتجمع وتعطي مبادىء إلهية وكأنها النهر الخارج من أمام عرش الله؛ ليسقي أرض العالم الجديد، تغذيها كلمات الذي علقوه على خشبة ليُسكتوا قلبه ولسانه، ولم يدروا أنهم بصلبه أعطوه الفرصة ليكلِّم العالم كله من فوق أعلى السموات، كل يوم وكل الأيام وإلى انقضاء الدهور. ولمَّا اطمأنوا أنهم قتلوه ودفنوه وتخلَّصوا من قوته التي أرعبتهم قام بقوة أعظم، وسكب روحه القدوس ليعمل بقوته التلاميذ وتلاميذ التلاميذ حتى ملأت قوته وجه الأرض.

وهذا الكتاب، كتاب "أعمال الرسل" أو تاريخ الكنيسة التي وُلِدَت يوم حلول الروح القدس، ينقل للقارىء صدى هذه القوة وصدى صوته ليعطي مَنْ يريد أن يتتلمذ ليتتلمذ. وقد تتلمذ على صفحاته كل الكارزين لكل عصر.

عنوان الكتاب: «أعمال الرسل»

عنوان الكتاب أخطأ المرمى وهو ليس من اقتراح كاتبه، ولو أنصف المؤرخون لأسموه أعمال الروح القدس. فهو يبدأ بالفعل منذ أن حلَّ الروح القدس على التلاميذ ولكن ظل الروح القدس يعمل في التلاميذ وغير التلاميذ ليضع للكنيسة تاريخاً حيًّا يتكلَّم بلسان التلاميذ وبكل لسان، ويعمل بالرسل ويعمل بكل مُرسل يرسله لحساب المسيح من أجل تكميل تاريخ الكنيسة إلى أن يجيء الرب ويُكتب حينئذ «قد أُكمل»

فكتاب أعمال الرسل في الحقيقة لا ينتهي ببولس الرسول في مقطرة سجن روما ينتظره سيف نيرون، لأن أعمال الروح القدس وكلمات الرب لا تقيَّد، وهي بحد ذاتها أحدّ من سيف نيرون ومن كل سيف ذي حدّين. فأعمال الرسل لا تزال تكمل صفحاته بيد الروح القدس الذي يتكلَّم في قلب كل مَنْ امتلأ بالروح وبلسان كل مَنْ ينطق بالروح؛ ليبني الكنيسة بحجارتها الحية غير المنظورة والرب يحتل فيها مركز المنارة.

وكتاب "أعمال الرسل"، ليس مقصوراً على الأعمال، فهو كما كتب صاحبه تكميل الكلام الأول أي الإنجيل. فالإنجيل احتسبه القديس لوقا الكلام الأول الذي ابتدأ به الرب، وكتاب أعمال الرسل احتسبه الكلام المكمِّل للكلام الأول فهو بشارة الرسل المكمِّلة لبشارة المسيح في الإنجيل. فكله أخبار مفرحة بل مذهلة حرَّكت مئات وألوف القلوب للإيمان وانسكب عليها الروح القدس بالفعل كما كان على التلاميذ يوم الخمسين لا فرق، ونالوا المواهب وعملوا المعجزات. وإن كان إنجيل القديس لوقا قد ارتفع فيه المسيح إلى المجد الأسنى وقاد التلاميذ إلى الكمال المسيحي من لا شيء، هكذا هذا الكتاب فالرب فيه يعمل بقوة واقتدار ليجعل من الجليليين قوة ترعب السنهدريم وتزلزل قلوب رؤساء الكهنة والفريسيين. ولكن هذا الإنجيل بكل مذخراته الفاخرة ومعجزاته وكل تعاليمه أسماه القديس لوقا وهو كاتبه مخاطباً ثاوفيلس الذي في اللاوجود بقوله: «الكلام الأول أنشأته يا ثاوفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلِّم به» (أع 1:1). فالإنجيل كله يحمل بين دفتيه مجرد ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلِّم به. وهكذا أبقى للكتاب الجديد هذا «أعمال الرسل» ما أكمل به يسوع عمله وأقواله ولكنه لم ينتهِ فيه إلى نهاية، لأن لكل حديث نهاية إلاَّ حديث الله. وهكذا بقي المسيح حيًّا في أعمال الرسل يعمل ويتكلَّم كما هو وسيظل هو حيًّا متكلِّماً في كل قلب وكل فم يقرأ ويؤمن بما عمل وما قال.

فلا الإنجيل ولا "أعمال الرسل" تسجيل لأعمال وأقوال، بل المسيح نفسه عاملاً ومتكلِّماً، ولكن في القلب الذي ينبض بالروح والأذن التي تسمع ما يقوله الروح والجماعة التي تحب الرب.

وبناءً على ذلك نجد أنه بالرغم من تشرذم الكتابة في هذا السفر هنا وهناك وتوقف ثم استعادة ثم استزادة، إلاَّ أن وراء هذا الشكل المفكك بحسب الرؤية الذهنية الكليلة، يجد الإنسان الروحاني هيكلاً منسَّقاً كبناء من الروح مترابط ومتتابع ومتكامل إلى أعلى، إذا مرت به النفس اليقظة فهي حتماً تمر بمدرسة النعمة للتهذيب والنمو والارتقاء. لذلك قلنا إنه جدير بأن يُسمَّى "أعمال النعمة"؛ لأن أعمال النعمة لها هدف تسعى نحوه لا يخرج عن الشهادة لصاحب الإنجيل وتوعية

للنفس وبناء. فمن النجاح إلى الإخفاق، ومن المعونة إلى التخلية، ومن سند للنعمة قويم إلى تخلية وحزن مقيم، ومن مديح وإطراء إلى توبيخ وإذلال وقيود وبلاء. نعم فالشكل متقطع الأوصال ولكن الذي يرسم يُحكم التعليم والتهذيب والانضباط لتخرج النفس رابحة تلهج وتسبِّح للذي أخرجها من الظلمة إلى نوره العجيب. ومن وراء هذا المنظر الروحاني الأخَّاذ تكتب الكنيسة صفحاتها الخالدة ملطخة بالدماء مغسولة بالدموع مضيئة بوهج الروح.

وهكذا بهذا السفر النفيس تساهم الكنيسة في خزانة التاريخ المقدَّس بشهادة أمام العالم تراها وتسمعها كل عين وكل أذن إلاَّ العين التي لا ترى والأذن التي لا تسمع.

ولكن لا صفحاته كملت بعد، ولا وَضَعَ الروح ختمه الأخير عليها. فالكتاب شهادة مفتوحة يساهم فيها كل كارز وكل خادم وكل شاهد وشهيد في إضافة تكتبها له سجلات السماء وتحتفظ بها الكنيسة كدرر ولآلىء كثيرة الثمن. لذلك ليس عفواً يقول كاتبه عن إنجيله وبالتالي عن سفر أعماله «الكلام الأول أنشأته يا ثاوفيلس عن جميع ما ـ ابتدأ ـ يسوع يفعله ويعلِّم به»

وهكذا ترك صفحاته مفتوحة للسيد الجالس على كرسي مجده يخطّ بروحه وبلسان مُتَّقيه وشهدائه كل يوم تكميلاً، ولن يكمل إلاَّ بمجيئه ليضع بنفسه الخاتمة التي ستفصح عن قيمة ما كُتب وقيمة ما قيل وعُمل.

وحينما تجتمع الكنيسة لتقرأ، إن في سجلات الإنجيل أو في سفر الأعمال، فهي لا تقرأ تاريخاً لمسيح أكمل عمله وعبر، بل لمسيح حي لا يزال يعمل ويتكلَّم ويقدِّم جسده كل يوم وكأس دمه على المذابح.

تشهد على ذلك أرواحنا التي تحس وجوده وتحس أنفاسه، وكأنه هو الذي يتحدث إلينا من إنجيله، وهو الذي يحكي لنا عن أعماله، وهو الذي يطعمنا جسده ويسقينا دمه بيده. فمسيحنا حي وإنجيلنا حي بحياته، وروحه يتفجَّر في قلوبنا ويشعلها ناراً من ناره. نأكل من ذبيحته فنتحوَّل إليها ذبائح حيَّة مهيأة للشهادة لتكميل سفر أعماله. تأخذ منه لتعطيه

ويعمل بها وفيها كل آياته وكل ما يشتهيه. كل جيل يُسهِمُ بآلامه، تُسجِّلُ شهادتهُ. ومن صفحة إلى صفحة تبرز صورة المسيح مرسومة بأعمال شهدائه ومتَّقيه، وتبرز صورة الكنيسة كانطباق المثيل على المثيل.

لذلك نراه حينما نوى الصعود، والذهاب إلى الآب، كيف جمعهم إليه، وبسرٍ لا يُنطق به أخذ من روحه ووضعه في أرواحهم وقال لهم أنتم الآن شهودي في أُورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض (أع 8:1)، ولمَّا جمعتهم الصلاة وأدركوا ما ينتظرهم وما ينتظرونه وكملت

وحدة القلوب مع القلوب أرسل لهم المُعزِّي نظيره ليقودهم حتى يكمِّلوا القصد. هو من السماء يدبِّر، وروحه على الأرض يقود. وبدأ الكتاب صفحاته يوم حلَّ عليهم الروح القدس واستلم زمام المبادرة. ومن ذلك اليوم تشكَّلت الكنيسة في بطن العالم، وبدأت تكتب تاريخها بالأنين والدموع عبر أهوال العالم تسعى نحو موطنها السعيد.

تاريخ موضع سفر الأعمال بين أسفار العهد الجديد(4):

الكتاب في التعبيرات البدائية جداً سُمِّي «أعمال الرسل»، وعُرِف بهذا الاسم منذ حوالي منتصف القرن الثاني، باعتباره «الكتاب الثاني» في تاريخ «أصل الديانة المسيحية» حيث الكتاب الأول هو إنجيل (ق. لوقا). وعُرِف أن الذي كتبهما إنسان مسيحي من القرن الأول وكتبهما: الأول ثم الثاني على ذمة رجل اسمه ثاوفيلس.

أمَّا الكتاب الأول فقد اعتبر أنه واحد من السبعة والعشرين وثيقة المسجَّلة في قانون العهد الجديد وهو العمل المسمَّى "الإنجيل بحسب لوقا".

وقد تداولت الكنيسة الأولى هذين الكتابين باعتبارهما عملاً واحداً كاملاً في نهاية القرن الأول أو بداية القرن الثاني، ولكن لم يَدُمْ هذا الوضع. إذ في نهاية القرن الأول، بعد كتابة وظهور إنجيل القديس يوحنا، جُمعت الأربعة الأناجيل في مجموعة واحدة وتداولت على أنها «الأربعة الأناجيل». وكان هذا معناه بالتالي أن كتاب "أعمال الرسل" خرج من توأمه إنجيل لوقا الذي التحق بالأربعة الأناجيل المجموعة معاً، والتي تتساوى في سردها لقصة المسيح حيث تبتدىء بحياته وتنتهي بصعوده. وهكذا تُرك «الكتاب الثاني» أي سفر الأعمال ليأخذ طريقه لنفسه؛ ولكن على مستوى من الأهمية والفعالية شُهد له بهما منذ البدء. ولكن فَصْلُ إنجيل لوقا عن سفر الأعمال كان مُفتعلاً وأثَّر كثيراً على فهمهما معاً كوحدة هادفة، إذ أنهما كانا في قصد الكاتب يشكلان معاً صورة ملتحمة

---

(4) عن العالم بروس في كتابه: *The Book of Acts*.

ومكمِّلة لبعضهما توضح بداية استعلان المسيحية من أصولها. فهما معاً داخلان في مفهوم قصد الكاتب الذي ذكره في مطلع إنجيله (لوقا) «أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي عُلِّمت به »(لو 1:3). حيث الإنجيل كان هو النصف الأول الذي عاد في بداية سفر الأعمال ليصفه مرة أخرى بقوله: «الكلام الأول أنشأته يا ثاوفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلِّم به» (أع 1:1). ثم أكد كلامه واضعاً آخر ما ذكره في الإنجيل هكذا «إلى اليوم الذي ارتفع فيه بعد ما أوصى بالروح القدس الرسل الذين اختارهم» (أع 2:1).

فإذا رجعنا إلى نهاية إنجيل لوقا نجد صدق هذا التسجيل هكذا: «ها أنا أُرسل إليكم موعد أبي فأقيموا في مدينة أُورشليم إلى أن تُلبَسوا قوة من الأعالي، وأخرجهم خارجاً إلى بيت عنيا ورفع يديه وباركهم وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وأُصعد إلى السماء» (لو 24: 49-51). وهكذا انتظروا أربعين يوماً كان أثناءها يظهر لهم ويخبرهم عن الأمور المختصة بملكوت الله، ويكمل القديس لوقا القصة بعد الأربعين يوماً في بدء سفر الأعمال بقوله: «وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لا يبرحوا من أُورشليم بل ينتظروا موعد الآب الذي سمعتموه مني» (أع 1:4). وبعدها صعد إلى السماء أمام عيونهم. وهكذا بدأ سفر الأعمال بمجيء موعد الآب أي بحلول الروح القدس فعلاً.

من هذا نرى مدى الارتباط الشديد بين الإنجيل والأعمال كمؤلَّف واحد له هدف واحد.

ونعود الآن إلى التاريخ، فما عتم حتى تكوَّنت مجموعة أخرى من رسائل بولس الرسول «الثلاث عشرة» (أربع عشرة حسب رأينا) فأصبح هناك مجموعتان «الإنجيل»، و«الرسائل» أو (الرسل) كما أطلقوا عليها. وكوَّنا معاً الجزء الأكبر من أسفار العهد الجديد. ولكن ظهرت بين المجموعتين فجوة حتَّمت بدخول «الكتاب الثاني» أي سفر الأعمال ليوثِّق بين المجموعتين لأنه كان أصلاً يوثق بين إنجيل لوقا وحده كأعمال الرب وأعمال الرسل فمن الطبيعي أنه يوثق بين كل الأناجيل ورسائل الرسل. وظهر بذلك مدى أهمية هذا السفر «سفر الأعمال» في الوصل بين المجموعتين. ففي المجموعة الأولى كان مترافقاً ومكملاً لإنجيل ق. لوقا، وفي المجموعة الثانية كان مرافقاً ومسجِّلاً لأعمال صاحبها بولس الرسول. لهذا كان موقعه هاماً جداً كشارح وموثِّق لواحد من أهم كتب المجموعة الأولى وهو إنجيل ق. لوقا وبنفس الفعالية مع المجموعة الثانية حيث يُبرز شخصية بولس الرسولية ويؤكدها بصورة باهرة.

ويقول العالم الألماني يوهان ليبولد(5) إن سفر الأعمال أول ما تقنَّن تقنَّن كملحق لرسائل الكاثوليكون، أي العامة التي للرسل، غير تلك التي لبولس الرسول، لأن كل الرسل لم يتركوا وراءهم أي سرد لأعمالهم الخاصة كما فعل بولس الرسول بواسطة ق. لوقا. ثم عادوا بسبب علو شأن أعمال بولس الرسول فوضعوه بين رسائل بولس الرسول ورسائل الكاثوليكون إلى أن استقر أخيراً بين الأناجيل ورسائل بولس الرسول وبعدها الكاثوليكون.

---

(5) يوهان ليبولد .Johan L كما جاء في ترجمة كتابه:
Introduction to the Literature of the New Testament, by James Moffat.

تطور اسم أعمال الرسل وأسبابه:

اسمه الأول ومنذ بدء تداوله كان بدون الألف واللام: «أعمال(6) Acts Pr£xeij » ولكن تسلَّطت عليه الأضواء بشدة بعد النزاع العقائدي الخطير الذي ابتدعه مارقيون(7) سنة 144م في روما الملقَّب بالكافر الذي قال بفصل الأناجيل عن العهد القديم، وأن المسيح صاحب ديانة لا علاقة لها بما سبق من أنبياء وخلافه، وأن بولس هو رسول المسيح الوحيد الذي دعَّم هذه الديانة وحفظ لها نقاوتها دون تلوثها باليهودية. وقرر هذا المبتدع لنفسه قانوناً خاصاً بالأسفار يحتوي على إنجيل واحد هو إنجيل لوقا بعد أن هذَّبه ليتوافق مع هرطقته. ومجموعة رسائل لبولس الرسول اختار منها تسعاً فقط وأضاف عليها التي لفليمون.

وهنا انبرت الكنيسة لتعلن قانون أسفارها باختصار على أساس أن قانون العهد الجديد لا يسود فوق قانون العهد القديم، ولكنه يقف بجواره باعتباره المكمِّل للقانون الإلهي الواحد، حيث «الإنجيل» ليس واحداً بل الأربعة معاً وعلى التساوي، وأن «الرسائل» ليس عشر رسائل بل الثلاث عشرة والعبرانيين لبولس الرسول مضافاً عليها رسائل الرسل الآخرين على حد سواء. وضمت الكنيسة «الإنجيل والرسل» معاً، وهكذا ظهرت أهمية سفر «الأعمال» إذ أبرز رسولية بولس الرسول على مستوى مترافق مع باقي الرسل معاً، الذين كان قد جحدهم مارقيون باعتبارهم رسلاً كذبة لوَّثوا رسالة المسيح. وثـبَّتت الكنيسة قانون «الأعمال» كوثيقة للكنيسة على أعلى مستوى من الأهمية بسبب توثيقه لشخصيات الرسل جميعاً بقدر لم يبلغه سابقاً. وهكذا لكي تثبت الكنيسة خطورة وأهمية «الأعمال» وضعوه بين الأناجيل والرسائل، وهذا صار من ذلك اليوم الذي قام فيه هذا النزاع مع مارقيون وحتى اليوم! وإمعاناً في إظهار أهميته

---

(6) والكنيسة القبطية الأرثوذكسية لا تزال تحتفظ بالوضع الأول في تسمية سفر الأعمال بـــ «أعمال» فقط بدون التعريف بـــ «ألْ». ففي بداية قراءة هذا السفر يقول الشماس باللحن: «`pra[ic `nte nenio; `n`apoctoloc»».

(7) مارقيون Marcion مواطن من أثرياء بنتس Pontus وهو ابن لأسقف اضطر لقطعه لسوء أخلاقه فانطلق إلى روما سنة 140م وانضم إلى الكنيسة الأرثوذكسية آنذاك ولكنه ابتدع تعاليمه فقُطع سنة 144م. ومات سنة 160م (قاموس أكسفورد للكنيسة المسيحية صفحة 870).

بالنسبة لتقليد الكنيسة وقانون العهد الجديد أعطوه اسم «أعمال الرسل» بعد أن كان سفر «أعمال» بدون تعريف. وبسبب هذا النزاع تحوَّل اسم سفر الأعمال إلى اسمه الجديد التقليدي «أعمال الرسل». ويشاء الله أن يتسجَّل هذا النزاع وهذا التاريخ بين سنة 150م - 180م ليكون هذا التاريخ أقدم تاريخ يشهد لوجود سفر أعمال الرسل بوضعه القانوني في الكنيسة، شاهداً لكاتبه القديس لوقا طبيب أنطاكية المشهور.

والقارىء اللبيب يلمح من هذه التسمية ـ أعمال الرسل ـ جحداً لهرطقة مارقيون الذي ألغى صفة الرسولية للرسل، وجحداً لفكرته المنحرفة أن بولس هو الرسول الوحيد للمسيح.

بل وتمادت الجماعة الأرثوذكسية في جحدها لمبادىء مارقيون فتغالت في تسميتها لهذا السفر فأسموه سفر «أعمال جميع الرسل» وذلك في نهاية القرن الثاني، وورد هذا الاسم في قانون الأسفار الذي اكتشفه موراتوري المعروف أنه تسجَّل قبل نهاية القرن الثاني بقليل.

كاتب سفر الأعمال:

الذي يجعلنا نبحث عن كاتب هذا السفر هو عدم ذكر اسم كاتبه عليه في بدايته، وكذلك عدم وجود أي تلميح عنه في كل ما جاء في هذا السفر المتشعِّب الحوادث والمليء بالأسماء. لذلك يهمنا أن يستوثق القارىء من كاتبه على أصول ثابتة من خارج السفر ومن داخله.

الإثبات من خارج السفر:

(أ) أول وثيقة توضِّح اسم كاتب سفر الأعمال باقية عندنا ترجع إلى ما قبل نهاية القرن الثاني بأربعين سنة (160م). وهي عبارة عن مقدِّمة لسفر لوقا، بتاريخ يتراوح بين سنة 160 ـ 180م. فبعد تقديم تقرير عن مَنْ هو ق. لوقا كثالث إنجيلي، تضيف أن لوقا هو «كاتب سفر الأعمال» وتفيد هذه الوثيقة أنها كُتبت ضد مارقيون.

(ب) والوثيقة الثانية هي "القانون الموراتوري" للأسفار المقدسة، وهي ترجع إلى عام 170 ـ 200م على وجه الدقة، وهي تذكر "سفر أعمال جميع الرسل" ضمن الأسفار القانونية.

(ج) الشهادة الثالثة تأتي لنا من القديس إيرينيئوس وهي من نفس تاريخ وثيقة الموراتوري وتقول إن لوقا «زميل بولس» هو كاتب الإنجيل والأعمال(8).

---

(8) *Adv. Haer* III, 1; 1, 14. 1 etc.

(د) وشهادة مماثلة من اكليمندس الإسكندري (190م) يقول فيها [لوقا في سفر الأعمال يشهد أن بولس قال لرجال أثينا: «أنا أرى أنكم متدينون في كل شيء»](9)

كما شهد في موضع آخر هكذا: [معروف أن لوقا هو الذي كتب بقلمه أعمال الرسل.](10)

(9) *Stromata* V, 12.

(10) *Adumbr. in Priorem D. Petri Epistolam* PG. IX, 732.

وفي نفس الورقة في الصفحة الأخرى يقول إن لوقا هو الذي ترجم الرسالة إلى العبرانيين التي كتبها بولس. ولكن ثبت أن هذه الرسالة ليست مترجمة.

(هـ) كذلك العلاَّمة ترتليان سنة 200م يتكلَّم عن حلول الروح القدس على الرسل وعلى بطرس في العلية وهم يصلُّون، كحقائق مذكورة في [تسجيل لوقا](11) أي سفر الأعمال:

[نحن نجد في «أعمال الرسل» أن أولئك الذين نالوا معمودية يوحنا لم ينالوا الروح القدس الذي قالوا عنه إنهم لم يسمعوا عنه.]

(و) يوسابيوس القيصري المؤرخ سنة 325م:

[لوقا من جهة جنسه مواطن من أنطاكية، وبالمهنة طبيب، اشترك مع بولس أساساً، ومع بقية الرسل ولكن بصورة أقل. وترك لنا أمثلة لشفاء النفوس التي اكتسبها وذلك في كتابين ملهمين: الإنجيل وأعمال الرسل.](12)

وبالاختصار فإن كل الكتابات التي وصلتنا من بعد سنة 170م تفيد بالقطع أن القديس لوقا هو كاتب سفر الأعمال.(13)

وبالإضافة إلى هذه الشهادات الصريحة عن كاتب سفر الأعمال نجد في التقليد الكنسي المبكِّر جداً ابتداءً من نهاية القرن الأول اقتباسات عديدة من سفر الأعمال تدل قطعاً أن هذا السفر قديم وكان متداولاً ومعروفاً منذ العصر المسيحي الأول، فلا بد أن كاتبه كان معاصراً للرسل:

1 ـ اكليمندس الروماني سنة 95م:

اقتبس من سفر الأعمال القول المشهور للرب يسوع الذي لا يوجد في أي سفر آخر: «مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ.» (أع 35:20)

(11) *De jejunio,* X, PL. II 966.

(12) *H. E.* III, 4.

(13) F. F. Bruce, *The Acts of the Apostles,* p. 1.

فقد ذكره هكذا: «نكون أكثر غبطة في عطائنا مما في أخذنا.» (رسالة اكلمندس الأُولى 2:1)

2 ـ رسالة برنابا سنة 100م:

+ «أشْرِك قريبك بكل خيراتك ولا تقل إنك تملك شيئاً خاصاً.» (19:8)

+ «ولم يكن أحد يقول إن شيئاً من أمواله له بل كان عندهم كل شيء مشتركاً.» (أع 4:32)

3 ـ الديداخي: تعاليم الرسل سنة 100م:

+ «اقتسم كل شيء مع أخيك ولا تقل إن لك مالاً خاصاً بك.» (8:4)

4 ـ هرماس (الراعي) (100 ـ 110م):

اقتبس الآية 12:4 من سفر الأعمال في رؤيا هرماس 4:2:4.

5 ـ القديس إغناطيوس الشهيد في الرسالة إلى ماجنزيا 1:5 (سنة 115م):

اقتبس الآية أع 25:1.

6 ـ القديس بوليكاربوس الشهيد في رسالته (سنة 120م):

اقتبس الآية أع 24:2.

7 ـ استشهاد بوليكاربوس 1:7 سنة 156م:

اقتبس الآية أع 14:21.

8 ـ الرسالة إلى ديوجنيتس 4:3 سنة 150م:

اقتبس الآية أع 24:17.

9 ـ مخطوطة وصايا رؤساء الآباء الاثني عشر:

وتحتوي على مديح لبولس الرسول يستقي معظم معلوماته من سفر أعمال الرسل (وصية بنيامين 11: 2-5). وهذه تعتبر عند بعض العلماء أقدم شهادة عن قانونية سفر الأعمال.

10 ـ القديس يوستين الشهيد في دفاعه الأول سنة 150م:

الدفاع 50:1 به اقتباس من (أع 1:1).
الدفاع 10:1 به اقتباس من (أع 25:17).

11 ـ «أعمال بولس» سنة 160م:

وهو الكتاب الذي ألَّفه كاهن أرثوذكسي بأسِيَّا معتمداً على سفر أعمال الرسل. فإذا قلنا إن تاريخ كتابة أعمال الرسل بيد القديس لوقا كان سنة 62م، يكون قد أخذ مئة عامٍ فقط ليصل إلى كل هذه النواحي حتى أسِيَّا

وهو زمن مناسب للغاية، وهذا يبرهن بثقة أنه كان سفراً قانونياً ذاع في كل هذه الأنحاء وأُلِّفت عليه سيرة وصار معروفاً لدى كل هذه الشعوب.

12 ـ خطاب احتفظ به المؤرخ يوسابيوس القيصري مُرسل من كنائس جنوب الغال (فرنسا) بتاريخ 177م يشير إلى بعض الشهداء الذين استشهدوا هناك. يقول فيه الكاتب: [إنهم صلوا من أجل الذين عَذَّبوهم كما فعل استفانوس الشهيد الكامل: «يا رب لا تقم لهم هذه الخطية» (أع 60:7)].(14)

الإثبات من داخل السفر:

هو الإنجيلي الثالث ... لأن كاتب الإنجيل الثالث هو نفسه كاتب سفر الأعمال، فإذا أثبتنا الأول ثبت الثاني. والواقع أن الأول ثبت ثبوتاً منتهياً.

1 ـ الديباجة الأولى: في الاثنين متطابقة لغة وتركيباً. وهي في الإنجيل (1:1-4).

2 ـ الانعطاف ناحية الأممية واضح في الاثنين.

3 ـ اللغة والتركيب متطابقان في أجزاء كثيرة.

4 ـ الانعطاف ناحية ذكر دور المرأة وتكريمها واضح في الاثنين.

5 ـ لا يُذكر ظهور ربنا في الجليل بعد القيامة في الاثنين، بل كلاهما يَذْكُران فقط ظهوره في أورشليم «وأخرجهم خارجاً إلى بيت عنيا.»(لو 50:24)

6 ـ نهاية إنجيل لوقا مطابقة لبداية الأعمال من جهة تنسيق الكلام كأنهما كتاب واحد، وكان متداولاً كذلك ككتاب واحد في البداية.

7 ـ ظهور ربنا أثناء المحاكمة أمام هيرودس ينفرد به إنجيل لوقا والأعمال فقط (أع 27:4) ـ (لو 23: 6-12).

8 ـ الوحدة الفكرية بين إنجيل لوقا وأعماله التي تكشف عن المؤلف الواحد:

أ ـ كلاهما يعطي الانطباع القوي أن المسيحية هي ديانة للعالم كله وأنَّها لا تقول بالحدود بين الأجناس.

---

(14) *H. E.* V, 1.

والمثل في إنجيل لوقا:

+ «لأن عينيَّ قد أبصرتا خلاصك الذي أعددته قدام وجه جميع الشعوب، نور إعلان للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل.» (لو 2:32)

قس على ذلك: (4: 23-27)، (10: 29-37)، (17: 15-18).

والمقابل في سفر الأعمال:

+ «ففتح بطرس فاه وقال: بالحق أنا أجد أن الله لا يقبل الوجوه بل في كل أُمة الذي يتَّقيه ويصنع البر مقبول عنده ... هذا هو رب الكل.» (أع 10: 34-36)

وقس على ذلك: (13: 46و47)، (17: 26-28)، (28:28).

ب ـ كلاهما يشدِّدان على دور الروح القدس وقوته في العمل سواء في خدمة المسيح نفسه أو الرسل بعد ذلك.

والمثل في إنجيل لوقا:

+ «الروح القدس يحلّ عليكِ، وقوة العلي تظللكِ، فلذلك القدوس المولود منكِ يُدعى ابن الله.» (لو 1:35)

وقس على ذلك: (2: 25-27)، (3:22)، (4: 1و18)، (10:21)، (24:29).

والمقابل في سفر الأعمال:

+ «لأنكم ستنالون قوة متى حلّ الروح القدس عليكم وتكونون لي شهوداً في أُورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض.» (1:8)

وقس على ذلك: (2: 1-4 و38)، (8: 14-17، 29-39)، (10: 44-47)، (13: 2و4و9)، (15:28)، (16:7)، (19: 1-7) ...إلخ.

ج ـ كلاهما يُظهران الانعطاف ناحية الفقراء:

والمثل في إنجيل لوقا:

+ «مَن له ثوبان فليعط مَنْ ليس له ومَنْ له طعام فليفعل هكذا.» (3:11)

وقس على ذلك: (4:18)، (6:20)، (16:22).

والمثل في سفر الأعمال:

+ «وجميع الذين آمنوا كانوا معاً وكان عندهم كل شيء مشتَركاً، والأملاك والمقتنيات كانوا يبيعونها ويَقْسِمُونها بين الجميع كما يكون لكل واحد احتياج.» (أع 2: 44و45)

وقس على ذلك: (4: 34و35)، (9: 36و39).

د ـ وكلاهما يُظهران عدم ارتياح للأغنياء:

والمثل على ذلك في الإنجيل:

+ «أشبع الجياع خيرات وصرف الأغنياء فارغين.» (53:1)
وقس على ذلك: (24:6)، (12: 13-21)، (16: 4و19).
وبالمثل في سفر الأعمال:
(8: 18- 24).
هـ ـ وكلاهما يضغطان ناحية واجب الخدمة على الأغنياء:
والمثل على ذلك في إنجيل لوقا:
+ «بيعوا ما لكم وأعطوا صدقة.» (33:12)، (16: 1- 13)، (19: 12- 27)
وبالمثل في سفر الأعمال:
+ «ويوسف الذي دُعي من الرسل برنابا الذي يُترجم ابن الوعظ ...، إذ كان له حقل باعه وأتى بالدراهم ووضعها عند أرجل الرسل.» (أع 36:4)
وقس على هذا (5: 1-11)، (35:20).
و ـ وكلاهما أظهرا اهتماماً بخدمة المرأة:
والمثل على ذلك في إنجيل لوقا:
+ «وإذا امرأة في المدينة كانت خاطئة إذ علمت أنه متكىء في بيت الفريسي جاءت بقارورة طيب ووقفت عند قدميه من ورائه باكية وابتدأت تبل قدميه بالدموع.» (لو 7: 37و38)
وقس على ذلك: (1: 39- 56)، (2: 36- 38)، (8: 2و3)، (23: 27- 29)، (10:24).
وبالمثل في سفر الأعمال:
+ «وكان في يافا تلميذة اسمها طابيثا ... هذه كانت ممتلئة أعمالاً صالحة وإحسانات كانت تعملها.» (أع 36:9)
وقس على ذلك (1:5)، (12: 12و13)، (16: 13و15و16و18)، (2:18)، (24:24)، (13:25).

ز ـ كلاهما يُظهران اهتماماً بالصلاة:

في إنجيل لوقا:

+ «**فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحري الآب الذي من السماء يعطي الروح القدس للذين يسألونه. (13:11)**»

وقس على ذلك: (18: 1- 5، 9-14)، (22: 39-46)،
المسيح يصلِّي: (3:21)، (6:12)، (9: 28و29)، (11:1).
وبالمثل في سفر الأعمال:
+ «وصلَّوا قائلين أيها الرب العارف قلوب الجميع عيِّن أنت من هذين الاثنين أيًّا اخترته.» (1:24)
وقس على ذلك: (2:42)، (4:31)، (6:6)، (10: 2و9)، (12:12)، (13:3)، (16:25)، (21:5).
ح ـ النعمة c£rij **مذكورة في إنجيل لوقا 9 مرات، والأعمال 17 مرة وغير موجودة إطلاقاً لا في إنجيل متى ولا في إنجيل مرقس!!**
ط ـ وكلاهما يهتمان بمغفرة الخطايا:
والمثل على ذلك في إنجيل لوقا:
+ «لتعطي شعبه معرفة الخلاص بغفران خطاياهم.» (1:77)
وقس على ذلك: (7:47)، (11:4)، (15: 11-32)، (24:47).
وبالمثل في سفر الأعمال:
+ «فقال لهم بطرس توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس.» (2:38)
وقس على ذلك: (5:31)، (10:43)، (13:38)، (26:18).
ي ـ وكلاهما يخلوان تماماً من روح التعصُّب والبغضة سواء تجاه الأمم أو الحكومة الأجنبية:
والمثل على ذلك من إنجيل لوقا:
+ «فراقبوه وأرسلوا جواسيس يتراءون أنهم أبرار لكي يمسكوه بكلمة حتى يسلموه إلى حكم الوالي وسلطانه. فسألوه قائلين يا معلِّم نعلم أنك بالاستقامة تتكلَّم وتعلِّم ولا تقبل الوجوه بل بالحق تعلِّم طريق الله. أيجوز لنا أن نعطي جزية لقيصر أم لا. فشعر بمكرهم وقال لهم لماذا تجربونني. أروني ديناراً. لمَنْ الصورة والكتابة.

فأجابوا وقالوا لقيصر. فقال لهم أعطوا إذاً ما لقيصر لقيصر وما لله لله.» (لو 20: 20-26)
وعلى نفس القياس: (4:12)، (16:13)، (27:20).

وبالمثل في سفر الأعمال:

+ «فأخبر حافظ السجن بولس بهذا الكلام أن الولاة قد أرسلوا أن تُطْلَقا فاخْرُجا الآن واذهبا بسلام. فقال لهم بولس ضربونا جهراً غير مقضيٍ علينا ونحن رجلان رومانيان وألقونا في السجن. أفالآن يطردوننا سرًّا. كلاَّ، بل ليأتوا هم أنفسهم ويخرجونا. فأخبر الجلادون الولاة بهذا الكلام فاختشوا لمَّا سمعوا أنهما رومانيان. فجاءوا وتضرَّعوا إليهما وأخرجوهما...» (أع 16: 36-39)

وقس على ذلك: (13: 7و12)، (16: 35-40)، (18: 12و17)، (19: 31-37)، (23: 26-30)، (24:30)، (25: 25و37)، (26: 30-32)، (27:43)، (28: 30و31).

كاتب السفر كله من أوله إلى آخره هو رفيق ق. بولس في أسفاره:

يبدأ كاتب سفر الأعمال بضمير المتكلِّم الحاضر، ثم يتحوَّل بعد بدء سرد الحوادث إلى الضمير «نحن» في مواضع كثيرة تُظهر في الآخر ملازمته لبولس الرسول حتى في سَفَره الأخير إلى روما.

و«أنا» في الأول و«نحن» في عرض السفر والأسفار هو واحد، وهو الذي يخاطب بهما ثاوفيلس. من هذا تظهر مرافقة لوقا لبولس وهو يسرد الحوادث وأنه هو كاتب السفر من أوله إلى آخره؛ لأنه حتى في المواضع التي لا يظهر فيها الضمير «نحن» وتتحوَّل "نحن" إلى ضمير الجمع الغائب «هم» يحمل أسلوبه نفس سمات الكلمات واللغة والتركيب لشخص لوقا المتكلِّم بـ"نحن".

الكاتب هو لوقا طبيب أنطاكية الشهير:

حينما كان الكاتب يتكلَّم بـ"نحن" ذكر جميع رفقاء بولس الآخرين في السفر. إذاً، يتحتَّم أن يكون أحدهم هو الكاتب. وكان لوقا أيضاً رفيقاً للسفر معهم وذُكر اسمه أنه «الطبيب الحبيب» كو 4:12. إذاً يُفهَم أنه هو الكاتب.

كذلك فإن العلماء المتخصصين برهنوا على أن كُلاً من الإنجيل والأعمال يتجه بوضوح أكثر من جميع الأناجيل الأخرى نحو الاهتمام بالمرضى ومعجزات الشفاء بصورة واضحة.

قام العالم المتخصص رندل هاريس(15) ببحث نسخة من تفسير سفر الأعمال باللغة الأرمنية تضم أيضاً أقوالاً للقديسَيْن مار أفرام السرياني ويوحنا ذهبي الفم، وتحتوي على نص سفر الأعمال المعروف بالنص الغربي، وقد وجد فيها أن الآية (أع 13:20) كانت تُقرأ في النسخة الغربية التي

(15) Rendel Harris, cited by F. F. Bruce, *The Acts of the Apostles,* p. 5.

يرجع تاريخها إلى سنة 120م هكذا: «وأمَّا أنا لوقا والذين معي فسبقنا إلى السفينة» وتُعتبر هذه شهادة متقدمة عن بقية الشهادات بحوالي أربعين سنة على أن لوقا هوكاتب سفر الأعمال.

وإن كان عنوان سفر الأعمال في وضعه الحالي لا يذكر اسم كاتبه فالسبب في ذلك واضح. فقد كان هذا السفر في الأصل يكوِّن مع الإنجيل الثالث كتاباً واحداً، فلما فُصِلَ الإنجيل (ككتاب مستقل) عن سفر الأعمال أخذ معه عنوان الكتاب الذي يجمع بين السفرين ككاتب لهما معاً. وهكذا تُرك سفر الأعمال دون أن يأخذ اسم كاتبه. وهكذا تداولت النسخ خلواً من اسم الكاتب(16).

---

(16) انظر التحقيق بأكمله في كتاب بروس «أعمال الرسل» صفحة 5. ولنا عودة في ذلك.

شخصية لوقا كاتب سفر الأعمال

«لوقا وحده معي.» (2 تي 4:11)

ولو أنه ليس عندنا أي مصدر نستقي منه الكثير عن شخصية هذا الطبيب الإنجيلي المحبوب، كاتب الإنجيل الثالث، كمؤرِّخ مدقِّق ومعاصر للرسل والتلاميذ الأوائل وللسيدة القديسة العذراء مريم، والمرافق الأمين والمعين والطبيب الخاص لبولس الرسول في أسفاره أو في معظم أسفاره على وجه الدقة، وبالأكثر زميل الرحلة الأخيرة والمُشاهد للسفينة وهي تتحطم على شواطئ مالطة، والمعزِّي والمشدِّد للقديس بولس وهو في سجنه ينتظر حكم نيرون، حينما كان وحده معه لتعزيته الأخيرة مندوباً عن الكنيسة غير المنظورة ولسان حال أصدقاء وأحباء بولس في كل ركن من أركان العالم المعروف آنئذ؛

إلاَّ أنه وصلتنا مخطوطة يرقى عمرها لسنة 170م، ضمن المخطوطات التي عُنيت بجحد تعاليم ماركيون الكافر، وهي تحمل نفس إنجيل لوقا، مقدَّماً له بديباجة ثمينة وفريدة في قيمتها التاريخية ننقل عنها الآتي بالنص:

[لوقا كان من مواطني أنطاكية سوريا. في مهنته طبيب. وكان تلميذاً للرسل، وأخيراً رافق بولس حتى استشهاده وقد خدم الرب باستقامة. ولم يكن له زوجة ولا ولد، ولمَّا بلغ عمره الرابعة والثمانين رقد في الرب في مدينة بويوتيا Boeotia. وكان ممتلئاً من الروح القدس. وبينما ظهر الإنجيل بحسب متى الذي كُتب في اليهودية، وكذلك الذي بحسب مرقس الذي كُتب في إيطاليا، تحرَّك لوقا بالروح القدس وكتب كل إنجيله هذا في الأقاليم من مقاطعة أخائية (باليونان) موضحاً في المقدمة هذه الأمور التي ندونها: وإن كان آخرون قد دونوا من قبل (قبل إنجيله)، وجدتُ من الضروري أن أشرح لمؤمني الأمم الأخبار

المؤكَّدة والدقيقة عن هذا الافتقاد الإلهي حتى لا يتشتت فكرهم بأوهام وخزعبلات اليهود، وكذلك حتى لا ينخدعوا بواسطة الهراطقة أو التصورات الباطلة فيخطئون الحقيقة. وهكذا ومن البدء دونًّا ما استلمناه عن ميلاد يوحنا (المعمدان) كضرورة قصوى؛ لأن يوحنا يُعتبر مبدأ الأخبار السارة ـ الإنجيل ـ لأنه السابق أمام الرب والمُرافق في كلٍّ من الإعداد للإنجيل وفي ممارسة

التعميد وشركة الروح. هذه الخدمة ذُكرت بواسطة أحد الأنبياء الاثني عشر. ولوقا هذا نفسه هو الذي كتب سفر أعمال الرسل.](17)
ويوسابيوس القيصري يحقّق مواطنة لوقا لأنطاكية.(18)
وكذلك القديس جيروم(19) يؤكد أن لوقا مواطن وطبيب من أنطاكية.

ويقول العالِم بروس إنه لو تحقَّق أصالة ما جاء في سفر الأعمال النسخة الغربية في 28:11 التي تضيف بعد ذكر نزول أنبياء من أُورشليم إلى أنطاكية: «حيث كنَّا مجتمعين معاً sunestrammšnwn 1mîn » التي ترجِّح أن لوقا كان من أهل أنطاكية، (انظر النسخة البيروتية تجد فراغاً بعد الآية 27:11. مما يدل على أنه كان يوجد هنا خبر لم يمكن التحقّق منه فأُسقط). فإن هذا يعطينا بداية قوية للتحقّق من هذا الموضوع، كما أنه يعطينا تاريخاً جديداً يسبق تاريخ مقدمة النسخة « ضد ماركيون» بحوالي 50 سنة.

ولكن من الواضح أن ق. لوقا يُظهر في تاريخه انعطافاً واضحاً نحو أنطاكية. والدليل على ذلك أنه في سرد قصة اختيار السبعة الشمامسة ذكرهم واحداً واحداً دون أي تعليق، ولمَّا جاء إلى الأخير «نيقولاوس »ذكر في الحال موطنه «دخيلاً أنطاكياً» (أع 5:6) وأظهر بذلك أنه ليس فقط يعرف أنطاكية بل ومؤمنيها، وليس مؤمنيها وحسب بل والدخلاء (بروزيليت) منهم أيضاً ويعرفهم بالاسم. وهذا يوضِّح أنه كان خبيراً بأمور أنطاكية وكنيستها.

كذلك يذكر العلاَّمة و. م. رامزي(20) أن ق. لوقا من أنطاكية ومن عائلة هي أصلاً من مقدونية وقد استوطنت أنطاكية.

---

(17) J. Smith, *The Voyage and Shipwreck of St. Paul,* (London, 1884), p. 4: cited by Bruce, *op. cit.*, p. 7.

(18) *H. E.* III, 4.

(19) Jerome, *De Viris Illustribus,* 7.

(20) W. M. Ramsay, *St. Paul the Traveller and Roman Citizen*, London, 1920, 14. p. XXXVIII.

ويعلّق على ذلك العالم ر. هـ. كونوللي(21) أن ق. لوقا يرجح أنه من أنطاكية لأن كلاً من مؤلَّفَيْه إن كان إنجيل لوقا أو سفر الأعمال ينضحان بالتعبيرات الأرامية المخفية وراء اليونانية التي كتب بها. والأرامية كانت لغة البلاد المحيطة بأنطاكية.

R. H. Connolly, “Syrianisms in St. Luke”, *JTS* XXXVII (1936), p. 383. (21)

كذلك يعتقد العالم رامزي أن تيطس هو أخو القديس لوقا. وهذا هو السبب الواضح لغياب ذكر لوقا من جميع رحلات بولس الرسول مع أنه كان من أهم حاشية بولس الرسول وكان مرافقاً له في رحلاته، وهذا أمر يُستغرب له جداً إلاَّ إذا كان ق. لوقا نفسه قد أسقط اسمه الشخصي، وكانت هذه هي عادة القديسين عموماً. فالقديس يوحنا أسقط اسمه واسم القديسة العذراء مريم واسم أخيه يعقوب من إنجيله.

وأيضاً يتضح لماذا أخفى ق. لوقا اسمه أو طلب أن لا يُذكر في الرسالة الثانية لأهل كورنثوس، مع أن الإشارة واقعة عليه وكان يتحتم أن يذكر اسمه «ولكن شكراً لله الذي جعل هذا الاجتهاد عينه لأجلكم في قلب تيطس لأنه قبلَ الطلبة وإذ كان أكثر اجتهاداً مضى إليكم من تلقاء نفسه وأرسلنا معه الأخ(؟) الذي مَدْحُه في الإنجيل(؟) في جميع الكنائس!!! وليس ذلك فقط بل هو منتخب أيضاً من الكنائس رفيقاً لنا في السفر مع هذه النعمة المخدومة منَّا لمجد ذات الرب الواحد ولنشاطكم.» (2كو 8: 16-20)

كذلك: «طلبت إلى تيطس وأرسلت معه الأخ(؟). هل طمع فيكم تيطس، أما سلكنا بذات الروح الواحد، أما بذات الخطوات الواحدة» (2كو 18:12)، ثم هنا فراغ طويل هل ذكر فيه شيء عن لوقا ثم شُطب؟ أعتقد ذلك.

واضح هنا غاية الوضوح أن كلمة «الأخ» تفيد أخا تيطس، أي لوقا (صاحب الإنجيل باسمه) خصوصاً في الآية 2كو 18:12 المذكورة. ثم قوله «الذي مَدْحُه في الإنجيل في جميع الكنائس» يكشف جداً شخصية ق. لوقا إذ يذكر اسمه دائماً بالمديح في بدء قراءة إنجيله في كل كنيسة(22) وعلى الدوام. ثم قوله أن الكنائس هي التي اختارته أن يكون رفيقاً للقديس بولس في أسفاره، يفيد بالضرورة أنه كان معروفاً بفضائله لدى جميع الكنائس، لأنه ربما كان يزورها بنفسه ويمرَّ عليها للافتقاد

---

(22) في بداية قراءة إنجيل ق. لوقا كان يوجد لحن يذكر اسم ق. لوقا كما في رسائل بولس ويبدو أنه سقط من التقليد.

وهذا يعلل سبب تغيبه أحياناً عن بولس الرسول إذ كان له هو بدوره افتقادات لكنائس كانت تحبه! تبًّا للتاريخ الذي يضنَّ علينا بدرر مثل هذه ويضطرنا أن نعصر الكلمات والوقفات والوصلات والتلميحات حتى نستخلص بصعوبة هذه المعلومات المملوءة نعمة ورجاءً وفرحاً وتعزية؛ فشخصية كاتب إنجيل مثل هذا الإنجيل الثالث كيف يحجزها عنَّا اتضاع هذا القديس الذي كلَّفنا الكثير حتى نتعرَّف عليه في حركاته المباركة؟ أيريد أن يستحوذ على الملكوت وحده؟

وعلى القارىء أن ينتبه أنه في الآية 2كو 18:8 أخفى ق. بولس اسم ق. لوقا ولكن بطريقة غير ملحوظة، ولكن كونه يعود مرة أخرى ويرفع اسمه من النص في الآية 2كو 18:12 فهذا يؤكد أنها بفعله حتماً، وبإصراره على ذلك ندرك لماذا اختفت هذه الشخصية بفضائلها العجيبة عن التراث؟ هذه خسارة ليست بقليلة!!

وعرفاناً بفضل أصحاب هذه البحوث نقول إن القديس جيروم قدَّمها في دراساته ولكن عن العلاَّمة المصري المظلوم أوريجانوس أول مَنْ جرى وراء النصوص وأفنى العمر في البحث وراء اللآلئ، ثم أخذوها منه وأنكروه(23).

غير أن التقليد ولو أنه يذكر أن ق. لوقا كان مصوِّراً إلاَّ أن هذا تقليد متأخر للكنيسة دخل في القرن العاشر.

أمَّا بقية ترجمة حياته وتنقلاته فهي كالآتي:

كل ما جاء في سفر الأعمال بصيغة الجمع المتكلِّم، فإن القديس لوقا يقف وراءها وهي محصورة في المواضع الآتية: (أع 16: 10-17، 5:20 - 18:21، 1:27 - 16:28).

أمَّا ذكر أنه طبيب فقد جاء في (كو 14:4).

كما ذُكر أنه أممي (يُتقن اليونانية القديمة) في (كو 11:4).

رافق القديس بولس في رحلته الثانية من ترواس إلى فيلبي (أع 16: 10-17).

كذلك رافقه في رحلته الثالثة من فيلبي إلى أُورشليم (أع 5:20-18:21).

وقد رافقه في رحلته إلى روما وحضر كارثة تحطُّم السفينة والنجاة العظيمة. ومكث مع القديس بولس كل مدة سجنه (كو 14:4)، (2تي 11:4)، (فل 24).

---

(23) Bruce I p. 8.

وإن صحَّ ما جاء في نسخة مخطوطة بيزا Codex Bezea(24)، وهي المعروفة بالنسخة الغربية (راجع صفحة 35)، فيكون هو بحسب أع 28:11 واحداً من أوائل أعضاء الكنيسة المسيحية في أنطاكية. ويُلاحِظ القارىء أن في هذا الموضع بالذات يوجد في نهاية الآية 27 فراغ في بعض طبعات قديمة من النسخة البيروتية ينطق بأن وراء هذا الفراغ معلومة لم يمكن التحقُّق منها فاختفت

(24) بيزا اسمه الأصلي تيودور بيزا (1519 - 1605): كان كاثوليكياً ولكنه تحوَّل إلى الكلفينية وصار زعيمها بعد موت كلفن في سويسرا. كان عالماً في اليونانية واللاتينية. وهو الذي اكتشف نسخة العهد الجديد المعروفة باسم Codex Bezea في مدينة ليون بفرنسا سنة 1562م وهي مدونة في القرن الخامس في أوروبا الغربية على نهرين يوناني ولاتيني وتمثّل «النص الغربي»، وهي ذات قرابة مع بعض الترجمات القديمة السريانية واللاتينية التي يرجع تاريخها إلى القرن الثاني.

من سفر الأعمال للأسف. ولكن يوسابيوس المؤرخ وآخرين يؤكدون صحة نسبها للوقا باعتباره أنه كان عضواً في الجماعة المسيحية بأنطاكية.

وفي سنة 336-337م قام الإمبراطور قسطنطيوس الثاني بنقل رفاته الطاهرة من مدينة Thebes تيبيس في بويوتيا Boeotia إلى القسطنطينية حيث احتفظوا بها في كنيسة الرسل التي بُنيت بسرعة آنئذ.

ويُقال إنه كان واحداً من السبعين رسولاً الذين عيَّنهم المسيح وأرسلهم (لو 24: 13-35).

ومعروف أن القديس لوقا هو شفيع الأطباء. وهو أيضاً شفيع فناني الرسم والتصوير. ويقول التقليد إنه رسم صورة العذراء القديسة مريم في أيقونة جميلة موضوعة في كنيسة سانتا ماريا ماجيوري Santa Maria Maggiore بروما. وتعيِّد له كنيسة الغرب في 18 أكتوبر من كل عام، أمَّا كنيستنا فتعيِّد لذكرى استشهاده يوم 22 بابه، الموافق 2 نوفمبر من كل عام.

ويقول العالِم هارناك إن القديس لوقا كتب إنجيله قبل نياحة بولس الرسول (سنة 64م). ويدلل على ذلك أن سفر الأعمال وهو مدوَّن بعد إنجيله به إشارات إلى تاريخ ما قبل نياحة بولس الرسول. واعتراض البعض لا يقلل من أهمية رأي هارناك.

ويُقال إنه فيما يخص أخبار ميلاد الرب يسوع اعتمد اعتماداً كلياً على معلومات استقاها من العذراء القديسة مريم نفسها ودوَّنها في الأصحاحين الأول والثاني.

ملامح شخصية القديس لوقا من واقع إنجيله:

1 - بمقتضى بحث ودراسة طويلة متأنية تحقَّق لدى العلماء واللاهوتيين المتخصصين أن ق. لوقا عالِم لاهوتي بحد ذاته (25) يدري تماماً ما كان يكتبه

---

(25) *Oxford Dict. of the Christian Church,* p. 844.

ويجمعه من المصادر العينية التي اعتمد عليها وليس عن آخرين. أي الذين عاينوا الرب وأهمهم وأولهم العذراء القديسة مريم وباقي الرسل مثل القديس يوحنا.

2 ـ ق. لوقا كان يتقن العبرانية والأرامية كذلك.

3 ـ كان يرى أن إنجيله يتحتم أن يرتكز على حقائق حيَّة عن شخص الرب وعن تعاليمه

الشخصية بدقة معتبراً أن ذلك وحده هو الرسالة المنوط به تقديمها للعالم والأمم. معتبراً أن رسالة الخلاص تخص الأمم جميعاً ولكل الناس وليس اليهود فقط. انظر 6:3، 47:24.

4 ـ وضع نصب عينيه أن يُملي تاريخ المسيح على تاريخ العالم ممثَّلاً في الرئاسات الرومانية. لذلك نجده يكرر ثلاث مرات ذكر اسم بيلاطس وهو ينطق بالشهادة أن المسيح بريء من كل الاتهامات؛ ليعلن أن روما كانت على رأس الشهود الذين خالفوا اليهود وبرَّأوا المسيح ليربح التاريخ الروماني في صف المسيحية، وقد كان!! فالتاريخ الروماني بل والعالمي الآن يؤرخ لميلاد المسيح!! (انظر 23: 4و14و22).

5 ـ ألبس تهمة قتل المسيح على رؤساء اليهود بإجماع الكلمة وإجماع الشهود، وأن بيلاطس ـ ممثِّلاً العالم الروماني ـ حكم على المسيح بالصلب بناءً على إصرارهم وتحت تهديدهم بالشكاية الكاذبة والملفَّقة لقيصر!(26) فاستَعْدَوا قيصر على المسيح وهو لم يكن عدواً!!

6 ـ يتميَّز القديس لوقا عن كل كَتَبَة الأناجيل الآخرين أنه أبرز بصورة متعمدة وظاهرة:

- **حنان الرب وسعة قلبه نحو البشرية في مثل الابن الضال (15: 11-32)،**
- **وفي خطابه لنساء أُورشليم الباكيات (23: 27-31).**
- **وفي وعده الجميل الفريد المفرِّح لقلب الخطاة حينما أعلن للِّص عفواً إلهياً كاملاً وعبوراً للفردوس معه في نفس اليوم الذي تعيَّن أن يفتتحه لحساب الإنسان التائب!!**
- **وفي عطفه على المطرودين والمُذَلِّين والمطروحين خارج سياجات قوانين العالم الغاشة وأحكام المجتمع المجحفة، ومعاملة الرؤساء المستبدين وذلك في أهم نطق في مجموعة التطويبات (6:20).**
- **وفي نظرته الحانية الفريدة نحو الفقراء والشحاذين والمرضى**

---

(26) باعتبار أن المسيح يقود ثورة ضد قيصر.

والمبليين ببلاء أمراض المدنية وليس مَنْ يعتني بهم أو يضمد جراحاتهم المتروكين للكلاب ليقوموا بهذا الواجب ـ كلعازر!!! (16: 19-31).

7 ـ تكريمه للمرأة في كل المواقف بلفتات واضحة مثل: أليصابات (1: 5-66)، والمرأة التي كانت خاطئة (7: 37-50)، وامرأة نايين الأرملة الأممية (7: 11-17)، وامرأة الزحمة التي صرخت لتعطي التطويبات لرب التطويبات وأم صاحب التطويبات (11:27).

8 ـ ق. لوقا هو من أكثر الإنجيليين اهتماماً بالصلاة، فكان أكثر مَنْ أبرز أهميتها ومواقفها، مثلاً (21:3).

9 ـ لم يملّ من ذكر الروح القدس بضغط ملحوظ سواء في التجسَّد (35:1)، وفي كل مراحل وحوادث حياة الرب (4: 1و14و18) وبصفته صاحب القيادة والتدبير والإلهام للجماعة المسيحية (13:11، 12:12).

شخصية القديس لوقا الإنجيلي في الدراسات اللاهوتية
ـ النقدية والتقليدية معاً ـ
على مدى القرنين السالفين

أ ـ ق. لوقا مؤرِّخ قدير ومدقِّق:

أول مَنْ نبَّه الكنيسة بخصوص شخصية ق. لوقا أنه مؤرِّخ قدير مدقِّق وأن تاريخه إنما يقوم على أصول علمية ثابتة ونتائج ممحَّصة هما العالِمان أدولف دايسمان(27)، و.م. رامزاي(28).

وقد استخلص من أبحاثهما العالِم فرنُن بارتلد(29)؛ وكتب شرحه لسفر أعمال الرسل سنة 1901 مؤكِّداً فيه بعد دراسة قيمة أن ما قدَّمه القديس لوقا يُعتبر أدق تاريخ عن الثلاثين سنة الأُولى للمسيحية مدعَّماً بأسانيد تنطق بها الآثار القائمة وتشهد لها. وخاصة في رحلاته مع القديس بولس (كو 14:4)، (فل 24)، (2تي 11:4).

وقد صارت قضية مسلَّمة لدى العلماء أن ق. لوقا مؤرِّخ دقيق وحاذق، وأنه كان شاهد عيان في معظم ما كتب عنه، وأكدوا أن ق. لوقا كتب سفر أعماله مباشرة بعد انتهائه من كتابة إنجيله وملحقاً به. وهو بذلك يكون قد برهن بصورة واضحة وعملية كيف أن المسيحية انتشرت بالفعل حسب وعد

---

(27) Adolf Deissmann (1866-1937)

لاهوتي ألماني مسكوني ضليع في فقه اللغة للكتاب المقدَّس. له مؤلفات قيِّمة عن المسيح والقديس بولس ومؤلفات كثيرة تحت عنوان الأسرار المسيحية.

(28) William Michael Ramsay

عالِم في دراسات العهد الجديد – أكسفورد – إنجليزي رحَّالة جاب كل فلسطين وآسيا الصغرى وحقق كل الإنجيل على المواقع الجغرافية فصار حجة في الدراسات الجيولوجية للكتاب المقدَّس.

(29) Fernon Bartled, *The Life & Work of St. Paul.* London 1870

أغرم بدراسة سفر الأعمال على الطبيعة التي استجابت له وكشفت له عن كنوزها فكان سنداً قوياً لكل العلماء المحافظين لأنه أثبت صدق القديس لوقا ودقته المتناهية في كل ما كتب.

الرب تماماً من الجليل وأُورشليم والسامرة، أمَّا أقصى الأرض فحصرها في كل أسِيًّا الصغرى واليونان شمالاً وجنوباً ثم روما عاصمة الدنيا آنئذ.

وصار هذا الفكر في القرن التاسع عشر هو فكر الكنيسة الحديثة الموازي تماماً والممتد من فكر الآباء القديسين الأوائل.

ولكن في حوالي منتصف القرن التاسع عشر قامت المدرسة الألمانية بطوبنجن ـ كالعادة ـ بأبحاث نقدية متطرفة للغاية، ونفت أن يكون لسفر الأعمال أية قيمة تاريخية وشككت في أن القديس لوقا هو كاتبه. بل ونقدت سفر الأعمال نقداً شديداً باعتباره كتاباً ملفَّقاً لإخفاء حقائق النزاع الذي قام بين بولس الرسول وبطرس الرسول، وبهذا يكون سفر الأعمال قد فقد مصداقيته وأصالته بحسب آراء هذه المدرسة التي أنكرت أن يكون ق. لوقا قد عاصر كتابة هذا السفر وبالتالي فهو لم يكن رفيقاً لبولس في أسفاره. بل وجحدت تاريخ كتابته الذي استقر في الكنيسة (60-70م) وقالت إنه مؤرَّخ بعد هذه الحوادث بمائة سنة.

وهكذا أرادت هذه المدرسة الألمانية التي نغَّصت العالم بقولها إن سفر الأعمال خاطيء في كل شيء لأنها على حق في كل شيء، وبذلك أجبرت العلماء المحافظين أن يقوموا بأبحاث أكثر ودراسات أعمق للرد على مهاترات علمائها.

فقام أولَ وأعظم مَنْ قام، العالم الكبير لايتفوت(30).

كذلك انبرى لها سير وليم رامزاي مُفحماً معارضيه بالأبحاث الجيولوجية والأثرية الثابتة المعالم معلناً أن:

[في سفر أعمال الرسل، الذي قام بكتابته ق. لوقا الطبيب المرافق لبولس في رحلاته، أدق المعلومات والمعرفة الممحصة، وأنه كان لهذا القديس الطبيب معرفة بكل شئون وترتيبات الإمبراطورية الرومانية وطبيعة حكومتها وحكَّامها مما يجعل ق. لوقا أعظم مؤرِّخ

---

(30) Lightfoot J. B. (Joseph Barber, 1828-1889)

أسقف درهام بإنجلترا المتخصص في علوم الآباء وأبحاث العهد الجديد خاصةً للرد على المغالين من النقَّاد. وقد ذاع صيته في بريطانيا والعالم كله. وقد قام بشرح رسائل بولس الرسول إلى غلاطية وفيلبي وكولوسي مع فليمون. أمَّا في مراجعة كتب الآباء الرسوليين فقد بلغ فيها تفوُّقاً وألمعية ودقة علمية. كما راجع العهد الجديد كله في أصوله اليونانية. وكان صديقاً خاصاً للعالِم وستكوت.

يُعتمد عليه بالنسبة لحياة وأزمنة الكنيسة الأولى.](31)

هذه الرجعة مرة أخرى إلى القيمة التقليدية الصحيحة لما استلمته الكنيسة منذ عصور الآباء الأولى والتي دعَّمها العلماء في بكور القرن التاسع عشر، تجاوزت مرحلة النقد المؤذية الغبية في

(31) William Neil, *The Acts of the Apostles.* p. 15.

منتصف القرن التاسع عشر، ودخل سفر الأعمال القرن العشرين بذخيرة جيدة من الأبحاث العميقة التي تناصر التقليدية الإيجابية لكل ما ورثته الكنيسة عن قيمة وعظمة سفر الأعمال.

وقدَّم العالمان المشهوران ب. هـ. ستريتر(32) وأدولف هارناك(33) أبحاثهما مساندين السير رامزاي في كل ما قدَّمه وأثبته.

ولم يخلخل هذه الشهادة القوية ما قام به جوانس فايس من ألمانيا(34)، وأ. ك. كلارك من إنجلترا من نقد وجحد حقيقة أن ق. لوقا هو كاتب سفر الأعمال، كما شاركهما في نقدهما السلبي كل من موكس جاكسون وكيرسوب لاك منكرين على سفر الأعمال أن يحسب ذا قيمة تاريخية.

ولكن ساق الله العالِم المحافظ و. ل. نوكس(35) وقدَّم كتابه الصغير والكثير القيمة في سفر أعمال الرسل؛ الذي فيه دافع عن النظرة التقليدية ضد النقَّاد فأسكتهم تقريباً.

وما أن جاء منتصف القرن العشرين سنة 1950 حتى استقر في رأي العلماء بوجه عام وخاصة عند المدرسيين منهم أن سفر الأعمال ثابت البنيان على أساس مؤلفه القديس لوقا الإنجيلي الطبيب، وأنه هو رفيق بولس الرسول بلا نزاع حيث ترك لنا مؤلفه الجدير بالثقة عن تاريخ الثلاثين سنة الأولى من عمر الكنيسة.

---

(32) B. H. Streeter (Burnett Hillman. 1874-1937).

ستريتر لاهوتي إنجليزي وبحَّاثة في أسفار العهد الجديد، روحاني، له كتب روحية عن الصلاة والخلود (عدم الموت) وعن الروح. من زعماء الحركة الطلابية المسيحية وحركة اتحاد رجال الكنيسة.

(33) Adolf von Harnack (1851-1930).

هارناك أعظم من أن يُعرَّف. ألماني مؤرخ ولاهوتي. وابن هارناك الكبير أستاذ اللاهوت الراعوي. وكان هارناك الابن أستاذاً ألمعياً فوق العادة. وهو محبوب عالمياً. إنه كان أعظم أستاذ في العلوم الآبائية في جيله. كذلك أعلم من علَّم في المؤلفات الكنسية المبكرة. وهو صاحب أعظم مؤلف عن تاريخ العقيدة المسيحية *History of Dogma* في سبعة مجلَّدات (نُشر ما بين 1894-1899) من البدء حتى زمن الإصلاح. وكان يؤمن بالمُلك الألفي. وهو صاحب مؤلفات يصعب حصرها أو التعليق عليها في هذا المجال الضيق.

(34) Johannes Weiss, *Early Christ.* I,II.

(35) W. L. Knox, The *Acts of the Apostles,* Cambridge, 1948.

ب ـ بل ولوقا مؤرِّخ ولاهوتي أيضاً قدير ومدقّق:

أول باب انفتح أمام فكر العلماء لتقييم القديس لوقا تقييماً واقعياً صحيحاً هو مرافقته للقديس بولس لا كمجرد مرافق أو مسجِّل سواء في تنقلاته أو عظاته أو مواقفه الدفاعية أو الورطات التي

تنتهي بالمحاكمات والسجن أو الضرب. ولكنه كشاهد عيان يكتب بحسب فكره ونظرته وتقييمه الخاص لكل موقف وموضوع! أي أن سفر الأعمال يقوم أساساً على معرفة ق. لوقا الخاصة ودرايته ورؤيته الروحية والموضوعية واللاهوتية أيضاً. من هذه النظرة اقتنع السير وليم رامزاي وقال تقريره الخطير الذي احتسب أنه تجاوز الحد: إنه إذا لم يكن ق. لوقا هذا الذي كان رفيقاً لبولس الرسول هو الذي كتب سفر الأعمال ما كان ممكناً لسفر الأعمال أن يُعتمد تاريخياً!

ويدلل العلماء المحافظون أي التقليديون أنه عندما كان ق. لوقا يتكلَّم في سرده لأخبار سفر الأعمال بقوله «نحن» كان يتضح للغاية أنه كان صاحب رأي ومشورة في الموضوع. فمثلاً:

+ «فلما رأى الرؤيا للوقت طلبنا (بولس ولوقا) أن نخرج إلى مكدونيا متحققين (بولس ولوقا) أن الرب قد دعانا (بولس ولوقا) لنبشرهم (بالجمع).» (أع 16:10)

+ «... وكنا نكلِّم (بالجمع) النساء اللواتي اجتمعن.» (أع 16:13)

وانكبَّ العلماء على دراسة مركز ق. لوقا في السفر خاصة في المواضع التي كان يتكلَّم فيها مشيراً إلى وجوده الشخصي مع بولس، فانتهوا إلى أن تسجيلات لوقا تكشف عن شخصيته كلاهوتي متميِّز a distinctive theologian وهذا بالتالي له حسابه في تقديمه للحوادث والشخصيات وتقديره للمواقف وشرحه للأسباب والنتائج التي كانت تتحرك بمقتضاها الجماعة المرتحلة.

أمَّا المواقف التي لم يشترك فيها فقد وفَّاها حقها بصورة مذهلة من الدقة والصحة، وهذا يعني أنه كان يرجع إلى المصادر ويراجعها ويصفِّيها ويتحقق من دقتها ولا يأخذ إلاَّ بالصحيح منها؛ لهذا نجد هذا السفر على درجة من الوضوح والإتقان والصحة بمقتضى المعقول والمنطق بصورة مذهلة؛ لأن قلم ق. لوقا لم يكن يخط إلاَّ عن رؤية ومشاهدة أو اقتناع وإلهام بالحقيقة. ورؤيته كانت مسنودة بنعمة الإفراز الواضحة، وحكمه على ما يُروى بالسماع كان يتحكم فيه استشفافه للحق. وينبغي ألاَّ ننسى

أبداً أنه إنجيلي ممتاز.

والأمر الظاهر للعيان والذي يفوق المنطق الطبيعي للأمور أن نرى كاتباً مؤرخاً من القرن الأول يحتفظ بأقصى حدود الصحة في التأريخ للأمور والحوادث فلا نجد فيها عثرة واحدة فكرية أو مطباً فلسفياً أو منطقياً. وهكذا استطاع الروح القدس أن ينتخب، ليس لبولس بمفرده بل وللكنيسة كلها، لوقا هذا الطبيب لكي يقدِّم لها أدق تاريخ لأحرج مرحلة من مراحل انتقال البشارة من فلسطين وأُورشليم الأم إلى العالم الخارجي وإلى أقصى حدود الأرض. والعجب العجاب أن ق. لوقا بعد أن أنجز هذا السفر النفيس والفريد في خزانة الكنيسة، ضُربت أُورشليم الضربة القاضية

وتبعثرت الكنيسة الأم. ولكن كان ـ وهذا هو العجب ـ قد سبق بعثرتها أن أسَّسَ ق. بولس مع ق. لوقا مراكز قوية وضعت فيها الكنيسة أقدامها بل وأسست فيها ومنها المخطط العتيد الذي خططه لها ربها وسيدها قبل أن يستودعها لتلاميذه والروح القدس. وهكذا بدأ شكل الملكوت على الأرض يظهر شيئاً فشيئاً. وهل ننسى أن أفخر تلميذ في الجماعة، يوحنا، حلّ في أفسس ليكون أسقفها بعد أن مهَّد له بولس ولوقا إيبارشية من الطراز الأول؟

وقد استشف العلماء من وراء الانسجام الروحي واللاهوتي، بل والسياسي والفكري أيضاً الذي لاحظوه بين ما سجله ق. لوقا في السفر وما سجله ق. بولس في رسائله، حقيقة مؤداها أن القديس لوقا كان بالفعل رفيقاً لصيقاً ببولس الرسول لم يشذ عن روح بولس في رسالته كمرافق ومؤرِّخ وشارح!! وثبت أنه كان على أعلى درجة من الأهمية لهذه الرحلات التبشيرية كقائد مؤتمن في تأسيس كنيسة الله على أساس من التاريخ الكنسي موثوق به وصحيح.

وفي الواقع نحن لا نوافق العلماء الذين يؤاخذون سير وليم رامزاي الذي بعد دراسات ودراسات بل وبعد عثرات جعلته هو نفسه يشك في صدق رفقة ق. لوقا لبولس الرسول التي عاد إليها قانعاً مقتنعاً وبعد مزيد من البحث والدراسة والترحال والتجوال في كل المناطق التي عبر عليها بولس مع لوقا، عاد ليعطي تقريره النهائي أن لوقا كان مؤرِّخاً معصوماً عن الخطأ (36)!!! ولماذا لا والحقيقة تنطق في سفر الأعمال أنه أصبح القلب النابض لفكر الكنيسة ووعيها خاصة فيما يجب أن يُقال ويُعمل لتكميل البشارة بالإنجيل.

ويؤكد سير رامزاي أن لوقا ككاتب سفر الأعمال كان على دراية وثيقة بعالَم بولس الرسول عن قرب، وعلى دراية ماهرة وسعة أفق وعلم واطلاع. فلم يكن مجرد طبيب بل وصاحب حاسة البحث على مستوى

---

(36) William Neil, *op. cit.,* p. 19.

التشريح والجري وراء الحقيقة وعدم الاقتناع إلا إما بالرؤية أو بالبرهان الأكيد.

وليس أدل على ذلك من براعته في دقة درايته بألقاب ودرجات رجال الحكومة الرومانية التي كانت ولازالت عقدة العقد عند أكثر العلماء سعة في العلم والمعرفة.

فكان يفرِّق بين درجات البروقنصول (Pro-consul) في المقاطعات، ودرجات الأسيارخس (أع 31:19) (في أفسس) والستراتيجي في فيلبي (أع 16: 22و36) والبوليتارخس (17: 6و8) في تسالونيكي، كل جماعة بدرجاتها وأسمائها بل وأخلاقها. إنه عجيب حقاً لوقا هذا. فكان

صاحب عقلية علمية صاحية. فكان بمجرد أن تواجهه مشكلة فنية أو سياسية كان يحاصرها ويواجهها في الحال بالدرس والفحص حتى بلوغ أم الحقيقة منها. لهذا قدَّم لنا الحقائق الروحية مزينة بالحقائق الزمنية. فكان يتكلَّم عن الشيء كمن هو صاحبه!

فبهذه الدقة أو كما يقول هو عن نفسه: «من البدء بتدقيق» كأنه كان يدري بهؤلاء النقَّاد الأراذل المتربصين له وراء الزمن، فتحدَّاهم بالحق الذي يستطيع وحده أن يتحدَّاهم!

وكان الله قد قيَّض لهذا الحق رجلاً من رجالات البحر والإبحار اسمه « جيمس سميث» الذي من جوردان هيل(37)، قام هذا العالِم البحَّار بعمل دراسة على السفن القديمة وطرق الملاحة وأدواتها في ذلك الزمان. وقرر بعد أبحاثه أن كاتب سفر أعمال الرسل في أصحاح 27 إنما كتب بواسطة شاهد عيان مع أنه من لغته يظهر تماماً أنه لم يكن بحَّاراً إنما كان مرافقاً في سفينة بولس وحسب.

ثم أكَّد أن شاهد العيان هذا هو نفسه كاتب سفر الأعمال. وبذلك أخجل العالِم الألماني كونزلمان Conzelmann الذي تسرَّع دون بحث ودراية واتهم ق. لوقا بأنه حصل على قصة تحكي عن غرق سفينة فأخذها ودسَّها في سفره الملفَّق!! تبًّا(38) للناقد المغرض المسِفّ(39).

وجاء عالم آخر هو هـ. ج. كادبوري وقدَّم دراسته(40) سنة 1927 مبرهناً أن ق. لوقا كان ذا دراية بل هواية في حفظ وتحديد البلاد والأماكن جغرافياً بدقة منقطعة النظير، فلا يذكر مدينة إلاَّ ويوقِّع مركزها على الخارطة: برجة/ في بمفيلية، أنطاكية/ في بيسيديا، لسترا ودربة/ في ليكأونية، فيلبي/ في مكدونية، طرسوس/ في كيليكية، ميرا/ في ليكية، المواني الحسنة/ في كريت بقرب لاسائية، وفينكس/ ميناء تطل على

---

(37) James Smith of Jordanhill, *The Voyage & Shipwreck of St. Paul,* 1884.

(38) نوع من الشتيمة المؤدبة الرقيقة.

(39) من الإسفاف بمعنى الجنوح الزائد في الذم.

(40) H. J. Cadbury, *The Making of Luke-Acts,* 1927.

الشمال الشرقي وعلى الجنوب الشرقي. وفي فيلبي أقام بولس عند ليديا، وفي تسالونيكي أقام مع ياسون، وفي كورنثوس أقام مع أكيلا وبريسكلا. ثم ترك بيتهما وذهب وأقام مع يوستس الذي بيته بجوار باب المجمع. وفي يافا أقام بطرس مع دبَّاغ اسمه سمعان رجل ساكن عند البحر.

لهذا، أيها القارىء العزيز، حينما تسمع من فم القديس لوقا أنه «تتبَّع كل شيء من الأول بتدقيق» فافهم أنه إنما كان طبيباً باحثاً مدققاً أميناً يحب الحق ويجري وراء الحقيقة يسجِّل كل ما

يقع تحت عينيه، ويفحصه ويضعه في موضعه الصحيح من الذاكرة ثم الكتاب. ولا يتلقى خبراً إلاَّ ويستوثق من مصدره ويفحصه فحص طبيب لمريض لا يرغب منه إلاَّ الصحة والصحيح. هذا اختاره الله لإنجيله ليكون رفيق الرسول الذي اختاره الله من وسط إسرائيل كلها واليهودية أيضاً ليشهد له، حتى إذا شهد بولس يسجِّل لوقا عن صحة وبالحق اليقين!

ويشاء ربك ذو الجلال أن يبعث لنا بعالِمٍ آخر في شئون القضاء الروماني والقوانين والأحكام الرومانية الشديدة التعقيد التي تربك ذاكرة وفكر كثير من المحامين، ليفحص كل ما عَرَضَ للقديس بولس من قبض ومحاكمة وسجن ويراه ويسجِّله القديس لوقا بعقليته القانونية الدقيقة ويتركه ليشهد في صمت لدى رجال القضاء والحكم والأحكام عن مدى الدقة التي بلغها هذا الكاتب المؤرِّخ الطبيب ويسجِّل لنا هذا كله العالِم القانوني أ. ن. شروين هوايت(41) في دراسته «المجتمع الروماني والقانون الروماني في العهد الجديد» الصادر سنة 1963. فيقول:

[إن كاتب سفر الأعمال كان بارعاً ومتضلعاً في الدقائق المعقدة للقانون الروماني كما كان يُمارَس في ذلك الزمان في المقاطعات داخل الإمبراطورية في منتصف القرن الأول. فالملاحَظ أثناء محاكمة ق. بولس سواء أمام فيلكس الوالي أو فستوس أو غاليون أن قام القديس لوقا بتسجيل مجرى التحقيق الرسمي بدقة. فيما يخص حدود مساءلة الدولة للمواطن إذا كان يحظى بالمواطنة الرسمية الرومانية التي كان بولس حاصلاً عليها، وحدود حقوق المواطن على الدولة، ويقول بعد الإجراءات العامة والردود: إن في سفر الأعمال توجد الإثباتات التاريخية بصورة غامرة، حتى أن أية محاولة لزعزعة الأساس التاريخي لهذه الرسالة حتى وفي الأمور ذات التفاصيل تظهر أنها مرفوضة ومزعجة. فحتى الخبراء في التاريخ الروماني أقروا بصحة ذلك وأصبحت قضية مسلَّمة.]

وهكذا وبعد تقييم كل الدراسات الخاصة بتخصص القديس لوقا كمؤرِّخ

---

(41) Sherwin White A. N.

معتمد بالدرجة الأولى وكمؤرِّخ جعل تاريخه ينضح باللاهوت والحق والأصالة فهو أولاً وأخيراً صاحب إنجيل، أصبح من المستحيل فصل لوقا المؤرِّخ عن لوقا اللاهوتي، فهو مؤرِّخ لاهوتي ولاهوتي مؤرِّخ بآن. وبالاثنين أصبح سفر الأعمال، بفضل هذا الطبيب الإنجيلي الذي قيَّضه الله للإسفار والإبحار مع بولس كصديق سَفَرٍ، يوثق به ويُحب!

أسلوب كاتب سفر الأعمال هل يفصح عن شيء؟

هل هو مؤرِّخ وكاتب سير؟
هل هو طبيب؟
هل يفصح عن هدف عميق وراء الهدف المعلن؟
هل يمكن تقييمه بأسلوب معين واحد؟

يقول العالِم ماكجريجور(42) إن أسلوب كاتب الإنجيل والأعمال ـ لوقا ـ أدبي طيِّع سهل التعبير لغته فنية راقية، حتى إنه إذا اقتبس مثلاً من إنجيل آخر كإنجيل القديس مرقس، فإنه لا ينقل الكلام نقلاً بل يتذوَّقه ثم يجمِّله كما بفرشاة فنان في الوقت الذي تظهر اقتباسات إنجيل القديس متى من نفس المصدر مجرد إعادة.

وحينما بدأ يسجِّل عن مجيء الروح القدس بعد الخمسين وحلوله والمواهب التي انبثقت منه، نجده يتقهقر بلُغته ليُلبسها ثوبها العتيق المطوَّل ليعطيها بريق المناسبة وجوَّها. كذلك في أمر وصفه لفيلبس المبشر أو تحول كرنيليوس، يعود إلى نفس الأسلوب ليعطي المناسبة جوَّها التاريخي المطابق تماماً للأسلوب العبري. وفي نفس الوقت حينما يدخل في وصف بولس في الأريوس باغوس وما جرى هناك وهو يحاور فلاسفة اليونان، يُخرج له في الحال أسلوبه الهلليني المتقن بكل شكله وسماته ومميزاته!! حتى ليؤخَذ الإنسان ويَحسب أن المتكلِّم فيلسوف يوناني!

وعن ذلك يقول بروس في كتابه(43):

[نحن نجد في كتابة ق. لوقا اللغة اليونانية الرسمية Classical مما لا نراه في أي مكان آخر في كل كتابات العهد الجديد، ولكن ليست كل لغته يونانية رسمية Classical. فهو يعود إلى اليونانية المحلية

---

(42) Macgregor, *Acts,* p. 7.
(43) Bruce, *op. cit.,* p. 26.

(العامية) في وصف المناظر والأحاديث التقليدية القديمة مثل بداية الإنجيل في قصة الميلاد وكذلك بداية سفر الأعمال. وهي ذات رنين أرامي].

وينقل بروس عن إد. نوردن Ed. Norden(44) أن لغته في الأريوس باغوس بلغت القمة في

(44) Ibid, p. 26.

اللهجة الأتيكية Attic وهي اللغة الأثينية الفصحى!! التي لا يوجد لها مثيل في لغة العهد الجديد كله.

ويعلّق على لغته عموماً فيقول إنها لغة يونانية هللينية ممتازة أكثر من كل العهد الجديد، وهو يتقن التفريق بين تصاريف الأفعال وأزمنتها بصورة ممتازة.

وبحسب أبحاث العلاَّمة اللغوي هاوكنز Hawkins فإنه استخدم 732 كلمة لم يظهر لها مثيل في كل مدونات العهد الجديد، موزعة كالآتي: 261 في إنجيله، 413 في الأعمال، 58 كلمة مشتركة بين الكتابين الإنجيل والأعمال. وكلها موزعة على الكتابين دون الانحصار في حيز معين، فتأتي في حديثه بضمير "نحن" مساوية تماماً حينما تأتي في ضمير الغائب، مما يؤكد أن لوقا هو كاتب سفر الأعمال برمته وهو كاتب الإنجيل والأعمال بلا منازع.

وفي الحقيقة إن سفر الأعمال يستحيل حصره تحت أسلوب واحد فهو متعدد الأساليب، وهذا لا يمكن إرجاعه إلى أنه يأخذ من مصادر مكتوبة متغيرة الصفات واللغة بل لمهارة الكاتب في معايشة الأجواء التي يخوضها ويصفها فيعطيها لغتها وأسلوبها وكأنه يتكلَّم مع أهلها بلغتهم. ألا ربما كان حاضراً يوم الخمسين؟

ويقول العالم ج. هـ. مولتن(45) إن لوقا عنده قدرة أن يغمس أسلوبه تماماً في اللكنة اليونانية المحلية (العامية) عندما يتكلَّم عن تعبيرات إنجيلية مأخوذة من العهد القديم، ذلك كلما كان حديثه داخل منطقة فلسطين للذين يتكلَّمون اليونانية (عن غير صحة)، فتجده يماثل لهجتهم الغريبة!! بينما نجده في الحال وغريزياً يخرج من هذا الأسلوب إن هو خرج بالحديث إلى ما هو خارج فلسطين!!

وذلك كما أشار العالِم كادبوري:

[إن الإنسان يتحيَّر هل هو يقلّد عن دراية ووعي أو هي مهارة

---

(45) Moulton, J. H., *A Grammar of N. T. Greek,* II, 7, 8.

استحضار المناسب لكل مناسبة!

والملفت للنظر أن الاصطلاحات الأرامية واضحة جداً خلف أسلوبه كقوله «في مرارة المر» «ورباط الظلم» «يخرجهم من الظلمة إلى النور» «من سلطان الشيطان إلى سلطان الله»](46)

The Making of Luke-Acts, pp.122, 123. (46)

وقد قام كل من العالِم هارناك(47)، وهاوكنز(48) بأبحاث أثبتوا فيها بحق وحدة الأسلوب بين إنجيل لوقا وسفر الأعمال، بسبب شدة تشابه المفردات اللغوية (vocabulary) بين هذين الكتابين بصورة غير موجودة قط بين أي كتابين في كل أسفار العهد الجديد.

ففي الوقت الذي فيه وجدوا أن: 17 كلمة متشابهة بين سفر الأعمال وإنجيل متى،
14 كلمة متشابهة بين سفر الأعمال وإنجيل مرقس،
13 كلمة متشابهة بين سفر الأعمال وإنجيل يوحنا،

أثبتوا وجود ليس أقل من: 58 كلمة متشابهة بين سفر الأعمال وإنجيل لوقا،

والمدهش حقاً أن هذا التشابه الشديد بين إنجيل لوقا وسفر الأعمال لا يأتي في موضع خاص، بل هو موزَّع على مدى السفرين بدون تخصيص أجزاء، مما يكشف عن أن القديس لوقا هو كاتب سفر الأعمال بأكمله، وهذا مطابق تماماً للتقليد المنحدر إلينا تاريخياً وكنسياً.

ويعلِّق العالِم الفرنسي موريس جوجال على إحصائية هارناك هذه بدعابة فيقول:

[إن المواضع التي لم يُذكر فيها «نحن» في رواية سفر الأعمال هي للوقا تماماً. أمَّا التي يُذكر فيها «نحن» فهي "hyper-Luke" أي للقديس لوقا بكل تأكيد. ويستطرد إنها هي العلامة المميِّزة لأسلوب لوقا التي تتخفف بعد ذلك على المدى.](49)

أمَّا المحاولة الشديدة التي حاولها كثير من اللغويين لإثبات أن لغة لوقا تنم عن أن صاحبها ممتهن الطب فلم توفَّق أبداً. ولكن من ناحية أخرى

---

(47) Harnack, *Luke the Physician,* Ch ii.

(48) Hawkins, *Horae Synopticae,* 2nd ed., Oxford, Clarendon Press 1909, pp.174-193.

(49) Maurice Goguel, *Introd. au Nouv. Test., Le Livre des Actes,* III 138, 141-142.

أثبتت الأبحاث الدقيقة أن كاتب السفرين، الإنجيل والأعمال، له ميل شديد للطب ومنعطف بشكل واضح نحو المرضى والأشفية بصورة متميزة.

فإنجيل لوقا يتميَّز عن باقي الأناجيل الثلاثة كونه يركز بشدة على الانشغال بالشفاء والعناية بالمريض. فلوقا وحده هو الذي أورد مَثل المسيح عن السامري الصالح ووصفه الممتع وهو واقع بين لصوص ضربوه وجرحوه وتركوه بين حي وميت. ولكن وفي نفس الوقت يقرِّب لوقا إلى ذهننا من بعيد لبعيد صورة المسيح. فكون السامري أيضاً له هذه العناية والدراية والشوق الشديد للاهتمام بشفاء المريض فهو يضعنا أمام المسيا، الذي حمل أوجاعنا وأمراضنا (لو 7: 18-22).

وفي سفر الأعمال أبرز ق. لوقا اتجاه الرسل نحو شفاء المرضى بصورة واضحة في أورشليم (5:

16-12) وبولس الرسول في أفسس (11:19)، وأيضاً يخفي وراء إشباع انعطافه المهني (كطبيب) تدليلاً أن الرسل وبولس كانوا يحملون لمسات يد الرب، فهو وحده الشافي (3: 12و13)، (4: 7-10).

وينبهنا العالِم الألماني هارناك أن اهتمام لوقا بهذه الأشفية على أيدي الرسل هو إشارة إلى القوة التي من الأعالي التي حلت عليهم. فهنا يكرز لوقا ببشارة الملكوت بأسلوبه التاريخي المبسط الذي يجوز على الغافل (دون أن يلمح الغرض الأساسي الذي يرمي إليه الكاتب). ثم لوقا منذ البدء قدَّم عينة من هذه القوة من الأعالي. فهي التي سجلها من فم القديسة العذراء مريم فتسجلت في قلبه ووعيه وقلمه: «قوة العلي تظللك »(1:35)، وبهذه القوة والروح حملت العذراء وولدت المسيا.

ثم تتكشف شخصية القديس لوقا عندما واجه المعلومة الخاصة بمهنته التي وردت في إنجيل القديس مرقس، وإذ وجدها تمس شرف المهنة عدَّل ورقَّق في كلماتها ولطَّف من قوة الحكم على الأطباء حتى صارت في وضعها المقبول لديه. ففي إنجيل مرقس تأتي هكذا:

+ «وامرأة بنزف دم منذ اثنتي عشرة سنة وقد تألمت كثيراً من أطباء كثيرين. وأنفقت كل ما عندها ولم تنتفع شيئاً بل صارت إلى حال أردأ. »(مر 5:25)

فأخذها لوقا وألبسها ثوبها الأبيض هكذا:

+ «وامرأة بنزف دم منذ اثنتي عشرة سنة وقد أنفقت كل معيشتها للأطباء ولم تقدر أن تُشفى من أحد.» (لو 8:43)

وهنا يلاحظ القارىء الحركة الذكية التي حوَّل بها لوقا المعنى. فبدل أنها تألمت من أطباء كثيرين بعدما أنفقت لهم كل ما عندها بل وصارت إلى أردأ، صيرها هذا الجرَّاح الماهر هكذا أنها هي التي «لم تقدر أن تُشفى من أحد»!! وبذلك حفظ للمهنة حقها وكرامتها.

ومن جهتنا، إذا أردنا أن نقيِّم أسلوب القديس لوقا سواء في إنجيله أو سفر الأعمال، فهو وإن كان يُحسبُ لدى بعض العلماء مؤرِّخاً ولدى البعض الآخر مؤرِّخاً لاهوتياً فهذا كله جيد وحقيقي. ولكن نحن نرى أنه

قديس ملهم مسوق بالروح القدس. كان يوقّع كل ما في الكنيسة الأُولى آنئذ وهي تتشكل أمامه، يوقّعها على صفحات كتابه، ولكنه أوتي من النعمة والحكمة وكأنه يسجل لنا بالصوت والصورة والحركة أيضاً. فهو يقدِّم لنا كنيسة تتحرك من كل الجهات وهي تُبنى على أيدي بنائين متخصصين كلٍ في مجاله، أمَّا الخطة أو الرسم البياني فليس أحد حرًّا فيها لأنها سبق وأن وُضعت منذ الأزل وكل واحد يعمل بحسب ما تسلَّم من اليد الخفية التي

وزعت الأدوار والقدرات. أمَّا الدقة المتناهية التي تشعّ من خلال أوصافه وتعليقاته التاريخية فهي أيضاً من أدوار الحكمة التي تولت بناء بيتها وأقامت أعمدتها ورتبت مائدتها. فالقديس لوقا لم يكن فقط طبيباً بل كان حكيماً، والحكمة تشمل الطب ضمن ما تشمل، ولم يكن مؤرخاً بل الله هو الذي قال له أرِّخ فأرَّخ. ولم يكن لاهوتياً بل الله كان فيه عاملاً وناطقاً. أمَّا هو فكان يسمع ويكتب حسب الصورة والمثال.

زمن كتابة إنجيل لوقا وسفر الأعمال
والسبب في الانتهاء المفاجىء لسفر الأعمال

لقد كانت الآراء في تحديد زمن كتابة إنجيل القديس لوقا وكذلك سفر الأعمال وأسباب توقف سفر الأعمال فجأة وق. بولس في القيود سجين روما سنة 62م، كثيرة جداً ومتضاربة جداً. ولم يستقر العلماء حتى اليوم على رأي واضح مقنع يتفقون عليه.

معلوم أن القديس بولس الرسول أمضى أواخر أيام إقامته في اليونان في مقاطعة أخائية وانتهى بمدينة كورنثوس التي غادرها في شتاء سنة 56م وأوائل 57 وهو عالم أنه لن يعود إليها بل ولن يعود إلى كل مواضع رحلاته السابقة في أسِيًّا واليونان، مما حدا بالقديس لوقا وكان رفيقاً له في هذه الرحلة الأخيرة أن يفكر جدياً في كتابة سفر تنقلات بولس الرسول وأعماله.

ثم استغل القديس لوقا فرصة السنتين اللتين قضاهما بولس في سجن قيصرية في الاتصال بجميع الرسل وكل الذين عاينوا الرب وبالأكثر القديسة العذراء مريم، وبدأ يكتب إنجيله في أُورشليم على مرأى ومسمع من التلاميذ الذين كانوا يعرفونه جيداً، ويعرفهم هو أيضاً جيداً، يترسَّم معهم خطى «المعلّم» ويستمع إلى أقواله من أفواه كل الذين عاينوه وخدموه، وكان يجمع كل المعلومات التي يحصل عليها أولاً بأول مبتدئاً من القديسة العذراء أم الرب. لذلك نسمعه بوضوح يقول:

1 ـ إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا،

2 ـ كما سلَّمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخدَّاماً للكلمة (المسيح)،

3 ـ رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي.

ولسنا الآن بصدد شرح إنجيل ق. لوقا حتى نفسر ما وراء كل هذه

التلميحات الهامة جداً. لكننا اكتفينا بوضع الخطوط تحت الكلمات القائدة التي تكشف مصادر الإنجيل.

ونحن نعتقد أنه على مدى السنتين اللتين قضاهما بولس في السجن كان ق. لوقا قد انتهى من كتابة إنجيله. وهنا نوجه نظر القارىء المؤرخ أن يلتفت إلى كيف انتهى إنجيل القديس لوقا بخبر صعود الرب، وهو الإنجيل الوحيد الذي سجَّل هذا الخبر بالتفصيل، في مقابل أن القديس لوقا ابتدأ بهذا الخبر نفسه في تدوين سفر الأعمال، مما يوضح الارتباط الشديد القائم على الورق

بالنسبة للتدوين بين «الإنجيل» وسفر «الأعمال» الذي كان حتماً قائماً في ذهن لوقا وهو يكتب وينتهي من إنجيله على أمل البدء فوراً بتدوين سفر الأعمال «على التوالي» حسب قوله. فإن كان الإنجيل يمثل «أعمال الرب» فسفر الأعمال يمثل أعمال الرسل أو بالحري وعلى وجه الأصح أعمال الرب في الرسل وبواسطتهم. إذاً «فالإنجيل» و «الأعمال» هما كتاب واحد لأعمال الرب ورسله، أو أعمال الرب بالروح القدس وأعمال الروح القدس بالرسل.

لهذا ما أن استقر ق. بولس وهو في قيوده في روما واستأجر بيتاً له وكان معه القديس لوقا، حتى بدأ ق. لوقا بتكميل القصة المتيقنة عنده كما استلمها من السابقين عليه مضيفاً إليها جزءها الثاني عما رآه وعاينه هو بنفسه أثناء معايشته للرسل عن قرب شديد وأثناء ترحاله في رفقة بولس الرسول. وهكذا جاءا معاً ملتحمين «على التوالي» حسب وعده، ملتحمين بقصة الصعود. ويبدو أن إحساس ق. لوقا بدنو الأجل سواء له أو لبولس هو الذي جعله يسرع بكتابة سفر الأعمال.

وفجأة وبعد سنتين استُدعي بولس للمحاكمة، ومن محاكمة إلي محاكمة إلى أن شبَّت النار في روما، ووجدها اليهود فرصة ذهبية فوشوا بالمسيحيين بطرقهم الخاصة التي لا يجاريهم فيها أحد، وذلك سواء بالموظفين اليهود أو الزوجات اليهوديات للأمراء الرومانيين، وأُلصقت التهمة بالمسيحيين وضُربَ عليهم حصار، وسيقوا إلى «الذبح والحريق بالنار». ومعروف أن ق. بولس استُشهد كمواطن روماني بالسيف. وغالباً استُشهد ق. لوقا أيضاً دون أن نعرف أين وكيف. وبهذا توقف قلم ق. لوقا عند «السنتين» (أع 28:30) دون أن يخطّ كلمة واحدة بعدها، فقد أُسكت القلم، ولو أن هناك قصصاً تقول إنه عاش حتى سن 82 سنة ودُفن في Boeotia.

أمَّا عدم وجود عنوان في الأصل لسفر «الأعمال» فلأنه كان مُلحقاً بالإنجيل أصلاً كما قلنا. وكلمة "الأعمال" وُجدت في البداية بدون الألف واللام «أعمال» فهي كما كانت في ذهن القديس لوقا. لأن الإنجيل كان هو

«الأخبار» السارة وملحقه هو «الأعمال السارة» أو «أعمال» الإنجيل السارة، أي كان الكتابان معاً هما «أخبار وأعمال» ككتاب واحد. وقد وُجدا هكذا تماماً ونُشرا هكذا تماماً في كتاب واحد إلى أن فُصِلَ الإنجيل من الأعمال ـ كما قلنا ـ وانضم إلى باقي الأناجيل الثلاثة، فصاروا الأربعة معاً هم « الإنجيل» وبقي سفر الأعمال بدون عنوان إلى أن أخذ موضعه بين «الأربعة الأناجيل» و «كل الرسائل» باعتباره متصلاً بالإنجيل ومتصلاً بالرسائل بآن واحد، ودُعي بسفر الأعمال فقط. أمَّا كلمة "الرسل" فهي

إضافة متعمدة لسبب ذكرناه في صفحة 24.

ويشاء الله أنه بعد سنتين أيضاً أي في سنة 66 ميلادية بدأت الحرب السبعينية اليهودية التي انتهت «بالذبح والحريق والنار» للشعب وكل منجزاته على مدى آلاف السنين.

وفي الحقيقة إن هذا الملخَّص دون تعقيد هو الرد المباشر والواضح لواقع المكتوب تماماً. هنا نرى أن تاريخ كتابة سفر الأعمال يلزم أن يكون سنة 62م، وذلك من واقع تدوينه حيث لا يوجد أي معنى أن يكون قبل ذلك ولا بعد ذلك، طالما أن كاتبه وهو القديس لوقا قد اختفى فجأة من فوق صفحة التاريخ عند هذا التاريخ.

وهكذا يكون انقطاع الكتابة في سفر الأعمال فجأة سنة 62م مع اختفاء كاتبه وهو القديس لوقا فجأة، سنة 62م أيضاً، هو الحد القاطع المانع في تحديد تاريخ سفر الأعمال بسنة 62م ونرجو الرجوع إلى العالِم بروس في كتابه الثاني «كتاب الأعمال» (50) فإنه يرجح التاريخ المبكر كما يرجح مع علماء آخرين أن إنجيل ق. مرقس كُتب قبل سفر الأعمال وإنجيل لوقا بزمان قليل، لأن إنجيل لوقا، وبالأكثر سفر الأعمال، استعان فيهما القديس لوقا بإنجيل القديس مرقس.

ولكن واضح أن استشهاد القديس بولس وهو الشخصية الأساسية في «الأعمال» ثم اختفاء القديس لوقا الذي يرجح استشهاده أيضاً هو السبب الذي أخَّر وصول السفر إلى يد الكنيسة ربما بعشر سنوات إذ مَنْ الذي كان يهتم بإرساله، وأين كانت مخطوطة السفر وروما أُحرقت والمسيحيون ذُبحوا وأُحرقوا. فهي معجزة أن ينجو هذا السفر بالذات ومعه الإنجيل الثالث. وهذا هو السر الذي أخَّر ظهور إنجيل ق. لوقا وسفر الأعمال لأنهما كانا في كتاب واحد.

هذا معناه أن سفر أعمال الرسل انتهى بانتهاء عمل القديس لوقا كمؤرِّخ لأعمال الرسل، بل ولكل أعمال الإنجيل؛ لأننا لا نسمع عنه بعد

---

(50) Bruce, *The Book of Acts,* pp. 22-23.

ذلك لا مؤرِّخاً ولا حيًّا بالمرة.

فإن ظهر للقديس بولس أعمال أخرى بعد سنة 62م كما يُستشف ذلك من رسائله، فهذا يكون قد أصبح خارج حدود أعمال القديس لوقا بالنسبة لكتاب أعمال الرسل الذي يؤرِّخ له. ولو أن أعمال بولس الرسول بعد سنة 62م إن وُجدت فهي تكون ضمن أعمال الرسل والإنجيل بكل تأكيد. ولكن للأسف لم تجد من يجمعها ويؤرِّخ لها.

من هنا تظهر القيمة التاريخية العظيمة التي اضطلع بها القديس لوقا بالنسبة لتاريخ المسيحية

والإنجيل وللرسل عامة في هذه الحقبة الزمنية. والذي لم يوجد بعده من يعتني بأعمال الرسل ويجمعها ليضمها في كتاب.

ولم يظهر الكتاب إلاَّ بعد الحرب السبعينية، بعد أن هدأت الأمور واستعادت الكنيسة أعمالها بحرية.

والعالِم بروس يناقش موضوع تاريخ سفر الأعمال بإسهاب ولكن ينتهي إلى ما انتهينا إليه إذ يضع سنة 61م موعداً لانتهاء إنجيل لوقا وهو الكتاب الأول وإرساله لثاوفيلس، ثم سنة 62م لانتهاء سفر الأعمال، وهو الكتاب الثاني. وقد جُمعا بعد ذلك في كتاب واحد تحت اسم القديس لوقا. انظر كتابه «أعمال الرسل» صفحة 10-14.

الغرض الأساسي والأغراض الجانبية الهامة من كتابة سفر الأعمال

الغرض الأساسي:

قد أفصح عنه ق. لوقا في بداية القسم الأول من الكتاب أي الإنجيل، باعتبار أن هذا الغرض يشمل الجزئين الإنجيل والأعمال:

**+ «إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا،
كما سلَّمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخدَّاماً للكلمة،
رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق،
أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي عُلِّمت به.» (لو 1: 1-4)**

وهكذا بدأ في الحال يقدِّم أخبار الميلاد المقدَّس، والصبوَّة الطاهرة، وكذلك مجيء يوحنا المعمدان المُؤيَّد بالنبوَّة الناطقة، والمتوازي مع الواقع: «يأتي مَنْ هو أقوى مني ... هو سيعمدكم بالروح القدس ونار»(لو 3:16). ثم يدخل في موضوع الإنجيل حتى القيامة وينتهي بوصية الانتظار للتلاميذ في أورشليم حتى يُلبَسوا قوة من الأعالي لبدء الخدمة. أمَّا هو «فانفرد عنهم وأُصعد إلى السماء» (لو 24:51)، قالها بمنتهى الاختصار لأنه سيعود إليها.

ثم يبدأ سفر الأعمال بتكميل هذا الموقف الدرامي حيث تنتهي أربعون يوماً منذ الإعلان في نهاية الإنجيل ويظهر المسيح مُعطياً الوعد بحلول الروح، ثم حلول الروح القدس حسب وعد الآب الذي ذكره لهم في نهاية الإنجيل، وبداية الأعمال. وهكذا بدأ سفر الأعمال بأخبار البشارة المفرحة.

وهكذا يكون الغرض من كتاب «الإنجيل ـ والأعمال» للقديس لوقا قد وضح حسب فكر كاتبه وبقلمه. الجزء الأول: عن كل ما ابتدأ يسوع يعمله ويعلِّم به إلى اليوم الذي ارتفع فيه، والجزء الثاني أي الأعمال هو:

+ «ستنالون قوة متى حلَّ الروح القدس عليكم وتكونون لي شهوداً في

أُورشليم وفي كل

اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض.» (أع 1:8)

ونحن نحسب أن الجزء الأول: «ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلِّم به» (أع 1:1) يكمِّله الجزء الثاني: ما استمر يعمله ويعلِّم به بواسطة تلاميذه بعد صعوده. لذلك يمكن أن نقول إن سفر الأعمال هو في الحقيقة أعمال المسيح بواسطة الروح القدس في التلاميذ، لأنهم أولاً لم يعملوا إلاَّ بعد أن حلَّ عليهم الروح القدس، إذاً فهو العامل، وثانياً الذي أرسل الروح القدس هو المسيح.

وهنا يلزم أن ننبه الذهن إلى بداية وضوح الأغراض غير الظاهرة المنبثة في سفر الأعمال والتي كانت تحرك فكر ق. لوقا وتحرك الأمور كلها أمامه لتكميل الغرض الذي من أجله سمح الله بكتابة هذا السفر وسخَّر له مَنْ سخَّر، ليس القديسَيْن بولس ولوقا فقط بل الملائكة والرؤساء والملوك والضبَّاط والسجَّانين والقضاة.

الأغراض التي كان ق. لوقا يعمل لحسابها مع ق. بولس في سفر الأعمال:

أولا: انتشار المسيحية في كل الأرض كأمر صادر من المسيح:

+ **«أن يُكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم. مبتدأ من أُورشليم وأنتم شهود لذلك.» (لو24: 47و48)**
+ **«لكنكم ستنالون قوة متى حلَّ الروح القدس عليكم وتكونون لي شهوداً في أُورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض.»(أع 1:8)**

أمَّا اختصاص بولس ومعه لوقا فكان "لجميع الأمم"، "إلى أقصى الأرض".

ثانياً: الدفاع عن المسيحية عامة: ضد المقاومين اليهود أولاً، وأمام الولاة والملوك والقضاة، والضبَّاط.

ثالثاً: الدفاع عن القديس بولس في خدمته وتقديمه للكنيسة كرسول معيَّن من المسيح مثل باقي الرسل.

ولكن لم يكن لوقا وحده في هذه المهمة الدفاعية الكبرى فهي ليست

مهمة إنسان مهما كان. فالله آزر انتشار المسيحية بالشهادة بواسطة الروح القدس الذي قاد العمل بصورة علنية وجبَّارة حقاً.

أولاً: انتشار المسيحية في كل الأرض

1 ـ الروح القدس كعامل أساسي في انتشار المسيحية:

+ «وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد. روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه. وأمَّا أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم.» (يو 14: 16و17)

+ «ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي. وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معي من الابتداء.» (يو 15: 26و27)

+ «وأمَّا المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلِّمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم.» (يو 14: 26)

+ «وأمَّا متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلَّم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلَّم به ويخبركم بأمور آتية(*). ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم. كل ما للآب هو لي. لهذا قلت إنه يأخذ مما لي ويخبركم.» (يو 16: 13-15)

+ «وينبغي أن يكرز أولاً بالإنجيل في جميع الأمم. فمتى ساقوكم ليسلموكم فلا تعتنوا من قبل بما تتكلَّمون ولا تهتموا. بل مهما أعطيتم في تلك الساعة فبذلك تكلَّموا. لأن لستم أنتم المتكلمين بل الروح القدس.» (مر 13: 10و11)

---

(51) مثل المجاعة وما سيحدث لبولس الرسول في أورشليم (أع 21:11).

أ ـ بإعطاء موهبة التكلَّم بالألسن:

سكب موهبة الألسن على الرسل تمهيداً للعمل والتي لم يحرم منها بولس الرسول:

+ «أشكر إلهي أني أتكلَّم بألسنة أكثر من جميعكم.» (1كو 14:18)

ب ـ إعطاء روح الشجاعة والمجاهرة:

إعطاء روح شجاعة ومجاهرة بصورة غير عادية.

+ «والآن يا رب انظر إلى تهديداتهم وامنح عبيدك أن يتكلَّموا بكلامك بكل مجاهرة بمد يدك للشفاء ولتُجْرَ آيات وعجائب باسم فتاك القدوس يسوع. ولمَّا صلَّوا تزعزع المكان الذي كانوا مجتمعين فيه. وامتلأ الجميع من الروح القدس وكانوا يتكلَّمون بكلام الله بمجاهرة.» (أع 4: 29-31)

ج ـ عمل الآيات والمعجزات:

+ «وجرت على أيدي الرسل آيات وعجائب كثيرة في الشعب.» (أع 5:12)

د ـ تسليم الروح القدس للآخرين بوضع اليد:

+ «حينئذ وضعا الأيادي عليهم فقبلوا الروح القدس.» (أع 8:17)

وامتدت وشملت بولس الرسول:

+ «ولمَّا وضع بولس يديه عليهم حلَّ الروح القدس عليهم.» (أع 19:6)

هـ ـ إعطاء روح الإقناع للقيام بالكرازة للأمم متخطياً حدود الانحصار اليهودي:

+ «فقال الروح لفيلبس تقدَّم ورافق هذه المركبة ... ولمَّا صعدا من الماء خطف روح الرب فيلبس ... فوُجِدَ في أشدود.» (أع 8: 29-39)

و ـ إعطاء روح التعزية الذي جعل الكنائس تنمو وتتكاثر:

+ «وأمَّا الكنائس في جميع اليهودية والجليل والسامرة فكان لها سلام وكانت تُبنى وتسير في خوف الرب وبتعزية الروح القدس كانت تتكاثر.» (أع 9:31)

ز ـ تسيير عمليات مدبرة بأكملها لتنفيذ خطة انتشار المسيحية بين الأمم مثل بشارة كرنيليوس وتعميده:

+ «قال له الروح القدس هوذا ثلاثة رجال يطلبونك لكن قم وانزل واذهب معهم غير مرتاب في شيء لأني أنا قد أرسلتهم.» (أع

19:10)

ح ـ مؤازرة عملية التبشير بحلوله على السامعين أثناء الوعظ:

+ «فبينما بطرس يتكلَّم بهذه الأمور حلَّ الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة.» (أع 44:10)

ط ـ عملية اختيار أعضاء البعثات التبشيرية بصورة علنية:

+ «... قال الروح القدس افرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه.» (أع 2:13)

ي ـ قيادة الروح القدس للمبشرين قيادة فعلية عبر الأماكن والبلاد:

+ «فهذان إذ أُرسلا من الروح القدس انحدرا إلى سلوكية ومن هناك سافرا في البحر إلى قبرس...» (أع 4:13)

ك ـ الدفاع المباشر عن طهارة المسيحية بالتدخل في تنفيذ العقاب الذي نطق به بولس ضد بَارْيَشُوعُ:

+ «وأمَّا شاول الذي هو بولس أيضاً فامتلأ من الروح القدس وشخص إليه (بَارْيَشُوعُ الساحر) ... فالآن هوذا يد الرب عليك فتكون أعمى.» (أع 13: 9و11)

ل ـ التدخُّل المباشر للسيطرة على فكر الكنيسة الأم في أُورشليم والنطق بما يجب أن يعملوه لتسهيل قبول المسيحية بين الأمم:

+ «لأنه قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة.» (أع 28:15)

م ـ منع الكارزين من الذهاب إلى أماكن لا يراها مناسبة:

+ «وبعدما اجتازوا في فريجية وكورة غلاطية منعهم الروح القدس أن يتكلَّموا بالكلمة في أسِيَّا، فلما أتوا إلى ميسيا حاولوا أن يذهبوا إلى بثينية فلم يَدَعْهم الروح.» (أع 16: 6و7)

ن ـ السيطرة على مسار كرازة بولس ودفعه للنزول إلى أُورشليم كأنه مقيدٌ بالروح:

+ «ها أنا أذهب إلى أُورشليم مقيداً بالروح لا أعلم ماذا يصادفني هناك.» (أع 22:20)

س ـ التدخُّل المباشر لاختيار الأساقفة اللائقين لإدارة الكنائس:

+ «احترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس عليها أساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه.» (أع 18:20)

ع ـ إعطاء الإشارة إلى انتهاء زمن الخدمة بالنسبة لكل خادم بمفرده:

+ «إنه حسناً كلَّم الروح القدس آباءَنا بإشعياء النبي قائلاً اذهب إلى هذا الشعب وقل ستسمعون سمعاً ولا تفهمون وستنظرون نظراً ولا

تبصرون لأن قلب هذا الشعب قد غلُظ وبآذانهم سمعوا ثقيلاً وأعينهم أغمضوها لئلا يبصروا بأعينهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم.» (أع 28: 25-27)
تماماً مثل نهاية إنجيل ق. يوحنا قبل الدخول في أحداث الصلب والقيامة (يو 12: 39و40).

2 ـ قيام الملائكة بدور فعَّال في انتشار المسيحية مع الروح القدس:

+ «أليس جميعهم أرواحاً خادمة مُرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص..» (عب 1:14)

أ ـ بشارة التلاميذ أن الرب انطلق ليدخل إلى مجده وإعطاء أول وعد بالمجيء الثاني:

+ «وفيما كانوا يشخصون إلى السماء وهو منطلق إذا رجلان قد وقفا بهم بلباس أبيض وقالا: أيها الرجال الجليليون ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء. إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء.» (أع 1: 10و11)

ب ـ التدخُّل الفعَّال المادي الملموس للدفاع عن الرسل بفتح أبواب السجن وإطلاق سراح الرسل وتشجيعهم لمتابعة التبشير:

+ «ولكن ملاك الرب في الليل فتح أبواب السجن وأخرجهم وقال اذهبوا قفوا وكلِّموا الشعب في الهيكل بجميع كلام هذه الحياة.» (أع 5: 19و20)

ج ـ التدخُّل المباشر في وضع خطط للتبشير واستخدام الرسل للتنفيذ بقوة فائقة إعجازية:

+ «ثم إن ملاك الرب كلَّم فيلبس قائلاً قُمْ واذهب نحو الجنوب على الطريق المنحدرة من أُورشليم إلى غزة التي هي بَرِّيَّة فقام وذهب... »(أع 8:26و27)

د ـ توصيل رسالة من الله للبشارة بقبول الله للصلاة وترتيب تكميل الخلاص:

+ «فرأى ظاهراً في رؤيا نحو الساعة التاسعة من النهار ملاكاً من الله داخلاً إليه وقائلاً له يا كرنيليوس. فلما شخص إليه ودخله الخوف قال ماذا يا سيد. فقال له صلواتك وصدقاتك صعدت تذكاراً أمام الله. والآن أرسل إلى يافا رجالاً واستدع سمعان الملقَّب بطرس ... هو يقول لك

ماذا ينبغي أن تفعل.» (أع 10: 3-6)

هـ ـ القيام بعملية إنقاذ للرسول من داخل السجن وهو تحت حراسة مشددة والأبواب حديدية مغلقة:

+ «كان بطرس في تلك الليلة نائماً بين عسكريَّيْن مربوطاً بسلسلتين وكان قدَّام الباب حرَّاس يحرسون السجن. وإذا ملاك الرب أقبل ونور أضاء في البيت فضرب جنب بطرس وأيقظه قائلاً قم عاجلاً. فسقطت السلسلتان من يديه وقال له الملاك تمنطق والبس نعليك. ففعل هكذا. فقال له البس رداءك واتبعني. فخرج يتبعه ... فجازا المحرس الأول والثاني وأتيا إلى باب الحديد الذي يؤدي إلى المدينة فانفتح لهما من ذاته فخرجا وتقدما زقاقاً واحداً

وللوقت فارقه الملاك.» (أع 12: 6-10)

و ـ وهيرودس الذي قتل يعقوب أخا يوحنا وعاد إلى بطرس ليقتله، نال نصيبه من يد ملاك آخر ضربه ضربة قاضية، وهكذا أفسح للرسل المختارين لتكميل البشارة:

+ «ففي الحال ضربه ملاك الرب لأنه لم يعطِ المجد لله فصار يأكله الدود ومات.» (أع 12:23)

ز ـ بُشرى النجاة لتشجيع بولس الرسول في محنة تحطيم السفينة لكي يشهد للإيمان المسيحي وسط البحَّارة ويبشره بضرورة الشهادة في رومية:

+ «لأنه وقف بي هذه الليلة ملاك الإله الذي أنا له والذي أعبده قائلاً لا تخف يا بولس ينبغي لك أن تقف أمام قيصر. وهوذا قد وهبك الله جميع المسافرين معك. لذلك سرّوا أيها الرجال.» (أع 27: 23-25)

وهكذا يجد القارىء كيف سبق الرب يسوع وأنبأ بالدور الكبير الذي سيقوم به الروح القدس ثم الملائكة في تنفيذ خطة انتشار الإنجيل التي سخَّر لها هذا الطبيب الصامت المنكر لذاته، ويبدو لنا أن صمته وإنكاره لذاته كانا بسبب إحساسه الغامر بتدخّل الله تدخُّلاً قوياً سافراً بروحه القدوس وملائكته القديسين في كل الأعمال التي سجلها في حينها.

بل ولا يمكن أن نستثني القديس لوقا نفسه بأن الروح القدس وقيادة الملائكة كانا هما الملهمين الأساسيين له في تسجيل حركات الرسل وتنقلات القديس بولس وعمل المصالحة بين إنجيل الختان وإنجيل الغرلة.

فإذا أردنا أن نصنف العوامل التي قام عليها سفر الأعمال فينبغي أن تكون هكذا: الروح القدس، الملائكة، القديس لوقا، الرسل وبولس الرسول.

ومن هذا العرض المختصر يتضح كيف كان القديس لوقا يجري وراء الحوادث ويسجِّل مواقف الروح القدس ويتتبَّع أخبار عمل الملائكة أثناء جهاد التلاميذ والرسل في أورشليم أولاً ثم مع ق. بولس في صراعه

العنيف لانتشار المسيحية. فهذا كان الهدف والغرض الواضح الطاغي على فكر ق. لوقا وقلمه المبدع في سرد الحوادث والأخبار العجيبة في هذا السفر الأعجب. فإن كانت الحوادث تتداخل، والأخبار تتشكَّل، تزينها أعمال الروح القدس الفائقة القوة والإعجاب وتسندها الملائكة لتجعلها وكأنها رحلة في عرض السماء وليس على وجه الأرض، فإن الفضل الكلي في

هذا الإبداع الغني في صياغة هذه الملحمة السمائية يرجع لقلم ق. لوقا الذي أخرج لنا هذه الدُرَرَ، وكأنها إنجيلُ ما بعد الإنجيل.

وبعد أن ينتهي القديس لوقا من عرض انتشار المسيحية "في كل الأرض" ولو جزئياً، يأتينا تأكيداً لذلك بتصريح من فم بولس الرسول:

+ «لأني لا أجسر أن أتكلَّم عن شيء مما لم يفعله المسيح بواسطتي لأجل إطاعة الأمم بالقول والفعل، بقوة آيات وعجائب بقوة روح الله. حتى إني من أُورشليم وما حولها إلى إلليريكون (أقصى شمال اليونان)(52) قد أكملت التبشير بإنجيل المسيح ... وأمَّا الآن فإذ ليس لي مكان بعد في هذه الأقاليم ولي اشتياق إلى المجيء إليكم...» (رو 15: 18-23)

ثانياً: الدفاع عن المسيحية كغرض ملازم لغرض انتشار المسيحية

هنا نورد المواقف التي اعتنى ق. لوقا أن يجري وراءها ويسجِّلها ليكشف مدى عنف المقاومة السلبية التي واجهتها المسيحية في انتشارها، وكان أقساها وأعنفها من اليهود. أمَّا الدفاع الإيجابي فكان عجيباً حقاً فقد انبرى الروح القدس للتحدُّث في قلوب الملوك والولاة والقضاة والضبَّاط حتى حوَّلهم إلى مدافعين عن انتشار المسيحية.

ولا يمكن أن نغفل دور إنجيل ق. لوقا في الدفاع عن المسيحية أكثر من أي إنجيل آخر. فإذا انتبهنا لرواية الإنجيل حسب القديس لوقا نجده ينبري بقوة وإصرار غير ملحوظين للدفاع عن براءة المسيح. سواء أمام هيرودس أو أمام بيلاطس: «فدعا بيلاطس رؤساء الكهنة والعظماء والشعب وقال لهم: قد قدَّمتم إليَّ هذا الإنسان كمن يفسد الشعب وها أنا قد فحصتُ قدامكم ولم أجد في هذا الإنسان علَّة مما تشتكون به عليه. ولا هيرودس أيضاً لأني أرسلتكم إليه. وها لا شيء يستحق الموت صُنع منه

(52) الآن المنطقة التي كانت تُعرف باسم يوغوسلافيا.

... فصرخوا قائلين اصلبه اصلبه. فقال لهم ثالثة فأي شر عمل هذا. إني لم أجد فيه علة للموت.» (لو 23: 13-22). وهذه شهادة صارخة أيضاً على براءة المسيح باعتراف علني من فم اللص اليمين المصلوب معه: «وأمَّا هذا فلم يفعل شيئاً ليس في محله» (لو 41:23)، بل ومن فم قائد المئة نفسه الذي صلبه: «فلما رأى قائد المائة ما كان، مجَّد الله قائلاً: بالحقيقة كان هذا الإنسان باراً.» (لو 47:23)

1 ـ الدفاع ضد اليهود المقاومين:

الذي ارتضى بمنتهى رضاه أن يسمح لمقاوميه ومضطهديه أن يتعقبوه حتى الصليب ويقتلوه، لم يمنعهم من أن يقاوموا رسله ويضطهدوهم ويتعقبوهم حتى سيف نيرون!!

أمَّا كيف حدث ومتى ومع مَنْ هذا الدفاع المجيد، فهذه حلقة سرية من حلقات سفر الأعمال فسنعبر على رؤوسها دون الخوض في التفاصيل التي سنتركها للشرح في حينه ومكانه، لأن الذي اضطلع بهذا الدفاع وبمفرده هو الروح القدس روح الحق!!

أ ـ أول دفاع قام به الروح القدس كان لدى كل الشعب المزدحم في أُورشليم يوم الخمسين، وكان على لسان بطرس الرسول:

+ «فلما سمعوا نخسوا في قلوبهم ... فقبلوا كلامه بفرح واعتمدوا وانضم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس.» (أع 2: 37و41)

ب ـ بعد حادثة شفاء الأعرج، وهنا أول مواجهة بل مصادمة بين الروح القدس ورؤساء الكهنة، حيث نطق الروح القدس على فم بطرس أيضاً نطقاً نارياً مؤنباً ومرعباً:

+ «امتلأ بطرس من الروح القدس وقال لهم: يا رؤساء الشعب وشيوخ إسرائيل ... فليكن معلوماً عند جميعكم وجميع شعب إسرائيل أنه باسم يسوع المسيح الناصري الذي صلبتموه أنتم الذي أقامه الله من الأموات. بذاك وقف هذا أمامكم صحيحاً، هذا هو الحجر الذي احتقرتموه أيها البناؤون الذي صار رأس الزاوية. وليس بأحد غيره الخلاص ... لم يكن لهم شيء يناقضون به ...!!!» (أع 4: 8-12و14)

ج ـ «فقام رئيس الكهنة وجميع الذين معه الذين هم شيعة الصدوقيين وامتلأوا غيرة. فألقوا أيديهم على الرسل ووضعوهم في حبس العامة. ولكن ملاك الرب في الليل فتح أبواب السجن وأخرجهم...» (أع 5: 17-19)

وكان هذا الدفاع الصامت من صنع الملائكة.

د ـ وهنا لأول مرة يتحدث الروح القدس في قلب معلّم فريسي مرموق ليتدخل بكل ثقله اليهودي الصرف مدافعاً عن الرسل. وهذا الأمر وحده عجيب حقاً، ولكن هو الروح القدس الذي يحوِّل الأسد إلى غنمة:

+ «فلما سمعوا (رؤساء الكهنة) حنقوا وجعلوا يتشاورون أن يقتلوهم (يقتلوا الرسل). فقام في المجمع رجل فريسي اسمه غمالائيل معلّم للناموس مكرَّم عند جميع الشعب ... والآن أقول

لكم تنحوا عن هؤلاء الناس ... لئلا توجدوا محاربين لله أيضاً ... ثم أطلقوهم.» (أع 5: 33-40)

هـ ـ «فنهض قوم من المجمع الذي يقال له مجمع الليبرتينيين (روما) والقيروانيين (ليبيا) والإسكندريين ومن الذين من كيليكيا (طرسوس) وأسِيًّا يحاورون استفانوس [«رجلاً مملوءاً من الإيمان والروح القدس» (5:6)]. ولم يقدروا أن يقاوموا الحكمة والروح الذي كان يتكلَّم به.» (أع 6: 9و10)

و ـ «... فقاموا وخطفوه وأتوا به إلى المجمع ... وأقاموا شهوداً كذبة ... فشخص إليه جميع الجالسين في المجمع ورأوا وجهه كأنه وجه ملاك (حضور فعلي للملاك). فقال رئيس الكهنة أترى هذه الأمور هكذا هي. فقال أيها الرجال الإخوة والآباء ... يا قساة الرقاب وغير المختونين بالقلوب والآذان أنتم دائماً تقاومون الروح القدس.» (أع 6: 12و13و15؛ 7: 1و2و51)

ز ـ «وفي ذلك الوقت مدَّ هيرودس الملك يديه ليسيء إلى أُناس من الكنيسة. فقتل يعقوب أخا يوحنا بالسيف ... عاد فقبض على بطرس أيضاً ... ولمَّا أمسكه وضعه في السجن مسلِّماً إياه إلى أربعة أرابع من العسكر... وإذا ملاك الرب أقبل ... فجازا المحرس الأول والثاني وأتيا إلى باب الحديد الذي يؤدي إلى المدينة فانفتح لهما من ذاته فخرجا...» (أع 12: 1-4و7و10)

ح ـ ولم يترك الرب هيرودس ليسيء أكثر إلى الكنيسة:

+ «ففي الحال ضربه ملاك الرب (مُهلك المصريين) ... فصار يأكله الدود (بدل أن يأكل هو القديسين) ومات!» (أع 12:23)

ط ـ الدفاع الخالد عن كنيسة الغُرْلة. وتوحيد كنيسة الختان (أُورشليم) بكنيسة الغرلة (الأمم):

+ «ولكن قام أُناسٌ من الذين كانوا قد آمنوا من مذهب الفريسيين وقالوا إنه ينبغي أن يُخْتَنُوا ويوصوا بأن يحفظوا ناموس موسى. فاجتمع الرسل والمشايخ لينظروا في هذا الأمر ... رأينا وقد صرنا

بنفس واحدة أن نختار رجلين ونرسلهما إليكم مع حبيبينا برنابا وبولس، رجلين قد بذلا أنفسهما لأجل اسم ربنا يسوع المسيح ... لأنه قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة. أن تمتنعوا عمَّا ذُبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا التي إن حفظتم أنفسكم منها فَنِعِمَّا تفعلون. كونوا معافين. »(أع 15:

5و6 و25و26 و28و29)

2 ـ الدفاع عن المسيحية أمام السلطات المدنية:

أ ـ «هذان الرجلان يبلبلان مدينتنا وهما يهوديان. ويناديان بعوائد لا يجوز لنا أن نقبلها ولا نعمل بها إذ نحن رومانيون. فقام الجمع معاً عليهما ومزَّق الولاة ثيابهما وأمروا أن يُضربا بالعصي. فوضعوا عليهما ضربات كثيرة وألقوهما في السجن وأوصوا حافظ السجن أن يحرسهما بضبطٍ. وهو إذ أخذ وصية مثل هذه ألقاهما في السجن الداخلي وضبط أرجلهما في المِقْطرة. ونحو نصف الليل (جاء الملاك المعتاد وسبقه الروح القدس) كان بولس وسيلا يصليان ويسبحان الله والمسجونون يسمعونهما. فحدث بغتة زلزلة عظيمة حتى تزعزعت أساسات السجن. فانفتحت في الحال الأبواب كلها وانفكت قيود الجميع ... ثم أخرجهما وقال يا سيديَّ ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص. فقالا آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل بيتك ... فأخبر الجلادون الولاة بهذا الكلام فاختشوا لمَّا سمعوا أنهما رومانيان. فجاءوا وتضرعوا إليهما وأخرجوهما وسألوهما أن يخرجا من المدينة.» (أع 16: 20-39)

ب ـ «ولمَّا كان غاليون (أخو سينكا الحكيم الفيلسوف) يتولى أخائية قام اليهود بنفس واحدة على بولس وأتوا به إلى كرسي الولاية، قائلين إن هذا يستميل الناس أن يعبدوا الله بخلاف الناموس. وإذ كان بولس مزمعاً أن يفتح فاه (كان الروح القدس قد سبقه إلى قلب هذا الحاكم الحكيم) قال غاليون لليهود: لو كان ظلماً أو خبثاً ردياً أيها اليهود لكنت بالحق قد احتملتُكم. ولكن إذا كان مسئلة عن كلمة وأسماء وناموسكم فتبصرون أنتم لأني لست أشاء أن أكون قاضياً لهذه الأمور. فطردهم من الكرسي.» (أع 18: 12-16)

ج ـ «وحدث في ذلك الوقت شغب ليس بقليل بسبب هذا الطريق. لأن إنساناً اسمه ديمتريوس صائغ صانع هياكل فضة لأرطاميس كان يُكَسِّب الصنَّاع مكسباً ليس بقليل. فجمعهم والفعلة في مثل ذلك العمل

... فلما سمعوا امتلأوا غضباً وطفقوا يصرخون قائلين عظيمة هي أرطاميس الأفسسيين. فامتلأت المدينة كلها اضطراباً ... ثم سكَّن الكاتب الجمع ... لأننا في خطر أن نحاكم من أجل فتنة هذا اليوم وليس علة يمكننا من أجلها أن نقدم حساباً عن هذا التجمع. ولمَّا قال هذا صرف المحفل.» (أع 19: 23-41)

د ـ محنة بولس الرسول الأخيرة ودفاع الروح القدس على طول المدى منذ أن قبض عليه داخل الهيكل، إلى المحاكمة أمام الضابط "الأمير" ليسياس ومجمع اليهود، ثم في قيصرية أمام الوالي

فيلكس ومجمع اليهود، ثم أمام فستوس ثم أمام أغريباس ثم رفع القضية إلى قيصر.

في هذه المحن كلها دافع الروح القدس حسب وصية الرب: «لأن لستم أنتم المتكلمين بل الروح القدس.» (مر 13:11)

أمَّا شهادة ليسياس الضابط ببراءة بولس فأتت هكذا:

+ «كلوديوس ليسياس يهدي سلاماً إلى العزيز فيلكس الوالي. هذا الرجل (بولس) لمَّا أمسكه اليهود وكانوا مزمعين أن يقتلوه أقبلت مع العسكر وأنقذته ... ولكن شكوى تستحق الموت أو القيود لم تكن عليه. ثم لمَّا أُعلمت بمكيدة عتيدة أن تصير على الرجل من اليهود أرسلته للوقت إليك.» (أع 23: 26-30)

وأمَّا شهادة فيلكس الوالي وبعده فستوس أمام أغريباس الملك فكانت هكذا:

+ «ففي الغد لمَّا جاء أغريباس ... أمر فستوس فأُتي ببولس. فقال فستوس أيها الملك أغريباس والرجال الحاضرون معنا أجمعون أنتم تنظرون هذا الذي توسل إليَّ من جهته كل جمهور اليهود في أُورشليم وهنا صارخين إنه لا ينبغي أن يعيش بعد. وأمَّا أنا فلما وجدت أنه لم يفعل شيئاً يستحق الموت وهو قد رفع دعواه إلى أوغسطس عزمت أن أُرسله. وليس لي شيء يقين من جهته لأكتب إلى السيد. لذلك أتيت به لديكم ولا سيما لديك أيها الملك أغريباس حتى إذا صار الفحص يكون لي شيء لأكتب ... فقال أغريباس لبولس مأذون لك أن تتكلَّم لأجل نفسك. حينئذ بسط بولس يديه وجعل يحتج ... من أجل ذلك أمسكني اليهود في الهيكل وشرعوا في قتلي. فإذ حصلت على معونة من الله بقيتُ إلى هذا اليوم شاهداً للصغير والكبير ... إن يؤلَّم المسيح يكُنْ هو أول قيامة الأموات مزمعاً أن يُنادي بنور للشعب وللأمم ... وانصرفوا وهم يكلمون بعضهم بعضاً قائلين إن هذا الإنسان ليس يفعل شيئاً يستحق الموت أو القيود. وقال أغريباس لفستوس كان يمكن أن يُطلق هذا الإنسان لو لم يكن قد رفع دعواه

إلى قيصر.» (أع 23:25 إلخ، 1:26 إلخ)

وهكذا دافع الروح القدس وهكذا سجل سكرتير الروح القدس هذا الطبيب اليقظ لحركات الروح ومساره وأعلن البراءة مبرِّئاً ليس بولس وحسب بل والمسيحية في بولس. وكان هذا كل أمنية لوقا وكل غرض سفر الأعمال برمته.

هـ ـ وأخيراً تلتحم الشهادة مع الدفاع لانتشار المسيحية في روما من خلال القيود أيضاً. ففي روما أعطى الروح القدس الهيئات الحكومية والقضائية الإحساس الغامر ببراءة هذا الإنسان

أي بولس وتأكدوا أنه غير مذنب بالمرة فكان الانطباع القانوني أن لا يُعامَل كمذنب فأعطوه الحرية العجيبة أن يقطن في بيت استأجره ـ لحساب المسيح طبعاً ـ وأعطوه الحرية الكاملة أن يتكلَّم ويقابل كل من يشاء بلا مانع ولا استثناء، فكان هذا الدفاع الصامت للروح القدس في قلوب هؤلاء القضاة والولاة عن المسيح في شخص بولس هو الباب المفتوح لانتشار البشارة بالمسيح في روما، وهكذا تأسست المسيحية في قلب العالم الغربي. كان هذا هو قصد الروح بالدرجة الأُولى وكان بآن واحد هو خطة التنسيق والتدوين الموهوب في قلب لوقا وقلمه.

فلولا هذا القلم الموهوب لما اكتشفنا هذا العمل العظيم الذي اضطلع به الروح القدس على مدى هذه السنين الثمينة في حياة المسيحية.

وبنظرة عميقة فاحصة نرى أن القديس لوقا يقدِّم لنا مشهداً غريباً للغاية محزنا أشد الحزن ولكن كان هو ترتيب قضاء الله لحساب انتشار المسيحية. فبولس، هرباً من اليد القاتلة التي رفعها عليه اليهود وحاصروه في كل مكان، التجأ إلى قيصر. والمعتقد تماماً أن قيصر روما جاء في صفه ومنحه البراءة للحياة ولمزيد من البشارة بالمسيح. وكان في هذا نبوَّة عن كل السنين والدهور القادمة إذ أصبحت روما حامية المسيحية في كل عالم الغرب.

ثالثاً: الدفاع عن القديس بولس باعتباره رسولاً كباقي الرسل

لك أيها القارىء العزيز أن تتصوَّر كيف تكون صورة ق. بولس إذا أسقطنا سفر الأعمال وما جاء فيه من ترجمة حياته بقلم ق. لوقا الإنجيلي والطبيب.

وبدء كل ذي بدءٍ، نحن نلمح كيف تركزت عين ق. لوقا بشدة على العنصر الأممي، فقد استرعت نظره بل استهوت قلبه مقولة المسيح التي نُقشت بالنور على صفحة ذاكرته يوم سمعها: «وأن يُكرز باسمه بالتوبة

ومغفرة الخطايا لجميع الأمم، مبتدأً من أُورشليم وأنتم شهود لذلك وها أنا أرسل إليكم موعد أبي ...» (لو 24: 47و48). فما أن حلَّ الروح القدس وبدأت ألسنة الرسل تنطق بلغات الأمم حتى جالت عين ق. لوقا فاحصة عن الدرب الموصِّل للأمم وسط كل هذه الحوادث.

كان أول الخيط النزاع الذي قام على أثر إغفال اليونانيات من الخدمة، ثم تعيين سبعة شمامسة

من اليونانيين، ثم تركَّزت العين بشدة على استفانوس، ومن استفانوس انتقلت إلى ق. بولس. ومن هنا بدأت سرعة الحركة نحو الأمم، ورافقها ق. لوقا بكل يقظة وبكل ثقله إذ أحسَّ أن هذه هي رسالته التي من أجلها يعيش، واطمأنَّ للقديس بولس وقد اعتبره بطل الأمم ورسولها بلا منازع. لقد نسي القديس لوقا أنه الإنجيلي ونسي الطب والتطبيب واعتبرها فرصة العمر أن يكون رفيق ق. بولس في افتتاح ملكوت الله بين الأمم. وهنا لمح بعينيه النبويتين أهمية بل خطورة تثبيت إعلان الله لبولس أنه رسول الأمم: «فإني سأرسلك إلى الأمم بعيداً» (أع 21:22)، ولمَّا تشكَّك حنانيا خاطبه الرب بنفسه: «فقال له الرب اذهب لأن هذا لي إناء مختار ليحمل اسمي أمام أمم وملوك وبني إسرائيل.» (أع 15:9)

كم أبهجت قلب ق. لوقا هذه الدعوة المقدَّسة والمباركة، كم حرَّكت غيرة قلبه وزكَّت كل موهبته في البحث والفحص والتحليل والتركيب لتعمل كلها لحساب تكميل دعوة الله لهذا اليهودي المختار لضم الحظائر الأخر لتكون رعية واحدة لراعٍ واحد.

فصمم ق. لوقا كهدف أول أن يكشف ويعلن رسولية ق. بولس ويؤكد رسوليته بين الرسل على نفس المستوى، وأخيراً أن يضع رسولية ق. بولس في المقابل المساوي والمُناظر لرسولية ق. بطرس!!!

ولا يَخفى على القارىء أنه لكي يعلن رسولية ق. بولس ويؤكد عليها، نجده يكرر الرؤيا العينية التي رآها في منتصف النهار مؤكداً أن وجه المسيح كان أكثر لمعاناً من الشمس، والشمس كانت في أوج نورها، يكررها ثلاث مرات في سفر الأعمال، الأولى في الأصحاح التاسع والثانية في الأصحاح الثاني والعشرين والثالثة في الأصحاح السادس والعشرين.

كما صمم أن يؤكد أن رسولية ق. بولس هي واحد مع رسولية الرسل قامة بقامة، وإنجيله إنجيلهم، إن كانوا هم للختان فهذا للأمم بأمر الرب! فسجَّل كيف انحدر ق. بولس إلى أُورشليم وقدَّمه برنابا إلى الرسل بعد أن خدم معه في أنطاكية وعرف موهبته. ويذكر أنه خدم مع الرسل: «فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل وحدَّثهم كيف أبصر الرب في الطريق وأنه

كلَّمه (وأرسله رسولاً للأمم) وكيف جاهر في دمشق باسم يسوع. فكان معهم يدخل ويخرج في أُورشليم ويجاهر باسم الرب يسوع.» (أع 9: 27و28)

ومرة أخرى يسرد ق. لوقا خبر وصول ق. بولس وكان في رفقته إلىأُورشليم وكان مع التلاميذ والرسل: «ولمَّا وصلنا إلى أُورشليم قبلنا الإخوة بفرح، وفي الغد دخل بولس معنا إلى

يعقوب وحضر جميع المشايخ (التلاميذ والرسل) فبعدما سلَّم عليهم طفق يحدِّثهم شيئاً فشيئاً بكل ما فعله الله بين الأمم (إنجيل الغرلة) بواسطة خدمته، فلمَّا سمعوا كانوا يمجدون الرب.» (أع 21: 17-19).

أمَّا علامات الرسولية فقد اهتم ق. لوقا بإبرازها في أماكنها توكيداً أن ق. بولس رسول كباقي الرسل بالفعل والكلمة حتى إلى الإقامة من الموت كما في الشاب إفتيخوس، هذا بالإضافة إلى ظهورات الرب له وتعيينه رسولاً للأمم رسمياً، كذلك تشجيعه للإقامة في الموضع الخطر مع وعد بالمحافظة عليه لكي يكمِّل خدمته للإنجيل: «لأن لي شعباً كثيراً في هذه المدينة.» (أع 18:10)

فلم يكن يتلقَّى أوامره أو أعماله من رسول أو كنيسة بل من المسيح رأساً، الذي كان يوجِّه مسيرته الإنجيلية علناً. وبالرغم من مأساة رحلة روما، ولكن كانت بتدبير المسيح وإعلان تكرر مرتين:

- **«وفي الليلة التالية وقف به الرب وقال ثق يا بولس لأنك كما شهدت بما لي في أُورشليم (كرسول وصاحب إنجيل) هكذا ينبغي أن تشهد في رومية أيضاً.» (أع 23:11)**
- **«قائلاً لا تخف يا بولس. ينبغي لك أن تقف أمام قيصر.» (أع 27:24)**

وإذ كانت نفسه تشتهي أن يمكث في أُورشليم مع الرسل إلاَّ أن الرب ظهر له وأمره أن يسرع بالخروج منها:

- **«وحدث لي بعدما رجعت إلى أُورشليم وكنت أُصلي في الهيكل أني حصلت في غيبة فرأيته قائلاً لي أسرع واخرج عاجلاً من أُورشليم لأنهم لا يقبلون شهادتك عني.[53]» (أع 22: 17و18)**
- **«فقال لي اذهب فإني سأرسلك إلى الأمم بعيداً.» (أع 22:21)**

---

[53] واضح هنا أن وقوعه بين أيدي اليهود في أورشليم بالذات بعد ذلك كان بسبب أنه لم ينفذ كلام الرب بدقة وحاول أن يلتصق بالهيكل مرة أخرى ويسترضي اليهود بحسب مشورة ق. يعقوب ويمارس العادات اليهودية التي كان هو نفسه علَّم بعدم نفعها (أع 26:21).

رسولية ق. بولس في مقابل رسولية ق. بطرس:

قد أبرز ق. لوقا الآيات التي عملها الرب على يَدَيْ ق. بولس في مقابلة تماماً للآيات التي عملها ق. بطرس، حتى تنتبه الكنيسة بعد ذلك وينتبه التاريخ ليسجل للقديس بولس رسوليته على مستوى رسولية ق. بطرس كتفاً بكتف!!

▪فبطرس الرسول شفى الأعرج (أع 3:2 إلخ)	▪وبولس الرسول شفى الأعرج (أع 8:14)
▪ بطرس الرسول كان مجرد ظله يشفي المرضى (15:5)	▪ بولس الرسول مناديله كانت لها قوة الشفاء (18:16)
▪بطرس الرسول أخرس الساحر (20:8)	▪ وبولس الرسول أعماه (6:13)
▪بطرس الرسول أقام الميت (36:9)	▪وبولس الرسول أقام الميت (9:20)

ونعتقد أن إبراز هذه الآيات المقارنة الشاهدة والمؤكِّدة لرسولية ق. بولس لم يكن مصادفة، بل كان خطة مخططة ومنفذة بنعمة خاصة بقلم ق. لوقا. كذلك أيضاً على مستوى المعونة السمائية الفائقة. فبطرس الرسول أخرجه الملاك من السجن (19:5)، (7:12) وبولس الرسول أخرجه الرب بزلزلة فتحت أبواب السجن (25:16). وهي ليست معونة شخصية لمجرد إنقاذ ولكن هي تدخَّل رسمي من الله لتكميل عمل الشهادة والرسولية. وإن كان بطرس الرسول قد استُدعي لخدمة الأمم (كرنيليوس) برؤيا من السماء في لغز أكل النجس والطاهر، فبولس الرسول استُدعي لخدمة كل الأمم برؤيا بشخص الرب نفسه جاعلاً فيه هو نفسه آية حياته أنه سيُخرج الأمم من الظلمة إلى النور، بأن أصابه بالعمى هو نفسه فصار في ظلمة ثم أبصر ورأى النور.

وإن كان بطرس الرسول قد فاز بالشهادة: «أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي» (مت 18:16)، فبولس الرسول نال الشهادة ذاتها وعلى أعلى مستوى: «لأن هذا لي إناء مختار يحمل اسمي أمام أمم وملوك وبني إسرائيل.» (أع 15:9)

دراسة في الأحاديث التي نقلها ق. لوقا عن أصحابها في سفر الأعمال مدى دقتها وصحة نسبتها إليهم

أسئلة تحيِّر القارىء:
هل كان ق. لوقا ينقل من مصادر مكتوبة؟
والأقوال التي سمعها بأذنيه هل كان يكتبها كما نطقها أصحابها؟
وإلى أي مدى تدخَّل هو بفكره أو لغته أو قلمه؟
وبالنهاية هل نأخذ هذه الأحاديث أنها صحيحة دقيقة وإلى أي مدى؟
ثم هل ينطبق عليها قول ق. بطرس: إن الذين كتبوا كل التوراة وبالتالي الإنجيل كانوا مسوقين من الروح القدس (2بط 1:21)؟
ثم إن صحَّ ذلك ـ وهو صحيح ـ هل نأخذها كنصوص أو شرح لنصوص؟
وأخيراً هل يؤخذ هذا السفر أنه إنجيلي حقاً وأصيل؟

بادىء كل ذي بدء، يلزم للقارىء أن يضع في ذهنه حينما يقرأ سفر الأعمال أنه يقرأ لرسول(54) متمرِّس كتب إنجيلاً من أدق الأناجيل وأوضحها إلهاماً. وما سفر الأعمال هذا الذي كتبه إلاَّ تكملة عملية لإنجيل وضع الرب أساسه بنفسه قولاً وإلهاماً.

فالإنجيل هو النص الإلهي المنطوق بفم الرب،

أمَّا الأعمال فهي مرتبطة غاية الارتباط بالإنجيل تشرح حقيقته بالأعمال وتنطلق به كبشارة تأخذ مسارها عبر الدول والبلاد والأشخاص فتصطبغ بفكر القوم ولغتهم.

وشأن سفر الأعمال شأن رسائل ق. بولس تماماً، فكل رسالة هي إنجيل له طابع وظروف وأخلاق القوم المرسل إليهم، فرسالة رومية هي الإنجيل

(54) القديس لوقا حسب التقليد هو من السبعين رسولاً.

الذي كانت تحتاجه رومية جاءها في هيئة رسالة، ورسالة أفسس هي إنجيل أفسس الذي كانت أفسس تنتظره بفارغ الصبر فأتاها في رسالة. أمَّا سفر الأعمال فهو الإنجيل المتجوِّل الذي يحمل كل الرسائل معاً لكل البلاد وكل الأشخاص

على كل مستوياتهم، ولكن ليس على مستوى نصوص بل على مستوى شرح النصوص والكرازة بها، وهو ما يسمونه باليونانية ـ كاصطلاح كنسي هام يتحتم حفظه ـ Kerygma (كريجما). حيث النص العقيدي هو الدُجما Dogma، وشرح النص والكرازة به هو الكريجما. ولكن من العسير أن يستطيع القارىء المدرسي أن يبوِّب الكريجما في سفر الأعمال كما تبوَّب الدُجما أي نصوص العقيدة، ولكن من السهل للغاية للدارس المتمكن أن يستخرج من سفر الأعمال «قانون الإيمان المسيحي» من مواضعه المختلفة ويصنع منه دُجما أي عقيدة.

تقييم العالِم بروس(55) للغة ق. لوقا حينما يكتب معبِّراً عن نفسه وحينما يكتب عن الآخرين:

يقول في كتابه «أعمال الرسل» إن ق. لوقا حينما يكتب معبِّراً عن نفسه، أي حراً من أي نقل، فإن لغته تكون أنيقة للغاية سهلة وبلاغية حسب الأصول اليونانية، لذلك من السهل التمييز بين ما يكتبه عن الآخرين إذ تأتي الأحاديث بلغة متواضعة أقل من مستواه الأدبي بكثير. وهذه الخاصية في النقل تظهر أكثر في الجزء الأول من الأعمال. وهذا يؤكد لنا أنه كان يعبِّر عمَّا قالوه أدق تعبير إن لم يكن بنفس كلماتهم فبنفس أسلوبهم الذي كان على مستوى ضعيف للغاية بالنسبة للغة اليونانية، أو أنه كان يترجم ما قالوه بالأرامية ترجمة ملتزمة بالكلمة الأرامية فخرجت اليونانية أقل بلاغة.

كذلك من خصائص رواية ق. لوقا في إنجيله أنه كان يلتزم بالنقل عن المكتوب أو المحفوظ، فهو يأخذه أيضاً بدقة حرفية لتخرج الكلمات والمعاني مطابقة للأصل، بمعنى أن أمانة النقل هي التي تؤثر دائماً في لغته وهذا واضح على مدى إنجيله، فهو صادق كل الصدق فيما قاله: «كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة» (لو 1:2). فالتسليم عند القديس لوقا كان تسليم معنى ولفظ معاً ـ يا له من سر فنحن نقرأ في إنجيله جملاً خرجت من فم القديسة العذراء حقاً ـ (لو 1: 46-

(55) Bruce II, *op. cit.,* 18.

.(53

ويقول العلاَّمة ف. ك. بوركت(56) بعد تحليله لتسجيلات ق. لوقا التي جاءت عن الأمور الأخروية في إنجيله أصحاح (21) بالمقارنة مع إنجيل ق. مرقس في صورته الأُولى كما جاء في الأصحاح (13) يقول:

F. C. Burkitt, *Beginnings of Christianity*, ii, p. 106 ff. cited by Bruce, *op. cit.,* p. 18. (56)

[إن الاختلافات الطفيفة لا تغير الحقيقة. إن الحديث مطابق جوهرياً. والذي يعنينا هنا لا كيف أن ق. لوقا لم يغيِّر كثيراً بل كيف أنه لم يُدخِل على النص إلاَّ الشيء القليل].

فإذا كان هذا هو ما توصلنا إليه من التحقيق في الصور التي وجدنا لها أصلاً مأخوذة عنه فهذا يعني أنه حتماً كان أميناً في النصوص التي ليس لنا ما نطابق عليها.

ويعود العالِم بروس ليؤكد أن ما أخذ ق. لوقا عنه من نصوص العهد القديم حتى مع التعليق عليها وشرحها، فهذا أيضاً مطابق لمجموعة الاستشهادات من العهد القديم المألوفة عند المسيحيين الأوائل والمسمَّاة Testimonia **ـ أي شهادات ـ كما جاءت بفم بطرس الرسول في (25:2) مع ما جاء في (33:13). فالنص من المزمور وشرحه والتعليق عليه ليس من عند ق. لوقا بل لبطرس الرسول كما كان يستخدمها باقي الرسل منذ بدء المسيحية.**

والعالِم المعروف الآن أنه حجة في ظروف استخدام هذه الـ Testimonia **هو دكتور رنْدِل هارّيس(57) حيث يقول في بحثه إن ق. لوقا لم يستخدمها من نفسه مباشرة أبداً بمعنى أنه لم يقل مثلاً «كما هو مكتوب بالنبي القائل» أو «كما هو مكتوب في المزمور» ..إلخ بل إنه عندما استخدم هذا الاصطلاح فهو كان نقلاً عن مَنْ استخدمه، أي صاحب الحديث الذي يقدمه ق. لوقا لأن هذه كانت عادة وطبيعة الرسل الأوائل فقط.**

والآن إذا عدنا إلى الأصحاحات الأُولى من سفر الأعمال، نجد أن ق. لوقا يسجل لأحاديث بطرس الرسول التي كان يلقيها على اليهود المتنصِّرين أي بالأرامية. فلو درسنا أقوال ق. بطرس دراسة متأنية ودقيقة، نجده يروي حياة المسيح كلها تقريباً ولكن يبتدئها ليس من الميلاد على مستوى إنجيل ق. متى بل من العماد ويوحنا المعمدان، إذاً

Rendel Harris, *Testimonies,* ii, p. 80 cited by Bruce, *op. cit.,* p. 19. (57)

فهو مطابق لإنجيل ق. مرقس. إذاً هنا عندنا الأصول الأُولى لإنجيل ق. مرقس مشروحة ومكروزاً بها (أي Kerygma) عن النص، وهذا يعتبر أول كريجما بلغتنا للإنجيل، أي أول نص مع أول شرح للإنجيل!! هنا، وهنا بالذات تظهر دقة وأمانة ق. لوقا على أعلى مستوى إنجيلي!!

والذي يساند قِدَم هذا الشرح الإنجيلي حسب النص والشهادة من المزمور، ما أكمل به بطرس الرسول وعظه الذي يبيِّن، ليس قِدَم هذا الشرح الإنجيلي، بل يبيِّن أنه أول شرح للإنجيل قاطبة، وتاريخه هو اليوم الأول من عيد الخمسين، فبقية العظة تسير هكذا وهو يكلِّم "بيت إسرائيل" قبل

أن يتقبل أحد منهم الإيمان بالمسيح!! «فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم رباً ومسيحاً.» (أع 2:36)

ثم يسرد ق. لوقا عن ق. بطرس أول دعوة للتوبة أُلقيت لليهود لتأتي أيام الفرج من عند الرب: «فتوبوا وارجعوا لتُمحى خطاياكم لكي تأتي أوقات الفرج من وجه الرب ويُرسِل يسوع المسيح المبُشَّر به لكم قبل، الذي ينبغي أن السماء تقبله إلى أزمنة رد كل شيء التي تكلَّم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر.» (3: 19-21)

والآن فَلْيَعُد القارىء بذهنه إلى ما سجله القديس لوقا عن قصده من كتابة سفر الأعمال بعد الإنجيل مباشرة وهو يتتبَّع كل شيء من الأول بتدقيق!! نعم وبغاية التدقيق ومنذ أول يوم بل أول ساعة بدأت مسيرة التبشير بالإنجيل!!

يا لهذا الإنجيلي الملهم والصادق الأمين! ويا لدقة ما يقول الذي يحتاج منا إلى منتهى الدقة في الدرس والبحث حتى نستطيع أن نستوعب هذا المخطط الإلهي العميق والمترامي الأطراف: «سفر الأعمال»

فإن كان ق. لوقا قد استحضر لنا في سفر أعماله: ق. بطرس بإنجيله وبشرح إنجيله، نجده بآن واحد يستحضر لنا ق. بولس بإنجيله، وإنجيل ق. بولس هو التبرير بالإيمان ومغفرة الخطايا هكذا:

+ «أيها الرجال الإخوة بني جنس إبراهيم والذين بينكم يتَّقون الله (الأمم)، إليكم أُرسلت كلمة هذا الخلاص ... فليكن معلوماً عندكم أيها الرجال الإخوة أنه بهذا (المسيح يسوع ابن الله) يُنادَى لكم بغفران الخطايا وبهذا يتبرر كل مَنْ يؤمن ...» (أع 13: 26و38و39)

هذه هي نظرة ق. لوقا النافذة إلى عمق السماء ومقاصد الله العلي، فقد استطاع أن يستخلص من ق. بطرس أول عظة إيمانية بربوبية المسيح كما استخلص من ق. بولس ومن أولى عظاته خُلاصة الخلاص وغاية ونهاية مجد المسيحية: «البر بالإيمان بيسوع المسيح».

ثم وفي هذا ومع هذا يبقى ق. لوقا مختبئاً وكأن ق. بطرس نفسه هو

الذي يتكلَّم وق. بولس بذاته هو الذي يعظ؛ أمَّا هو فكأنه غير موجود!!

ويقول في هذا العالِم ك. هـ. دودد إن هذا الذي ينقله ق. لوقا من فم بولس الرسول هو المحسوب عند ق. بولس أنه التقليد الذي استلمه وهكذا يسلمنا ق. لوقا تسليماً محققاً ومشروحاً بفم صاحبه كما سلَّمه. كذلك معظم الشرح ـ الكريجما ـ الذي سجَّله لنا ق. لوقا في سفر

الأعمال يحمل سمات أرامية شديدة وهكذا يضعنا وجهاً لوجه مع التقليد الأول البدائي ليسوع المسيح كما سجَّله التاريخ(58).

والملفت للنظر جداً أن العقيدة المسيحية في هذه الأحاديث هي مسيحية حقيقية صادقة وصحيحة للغاية بالرغم من بداءتها وبساطتها المتناهية، فهي تقدم لنا يسوع المبشَّر به أنه هو المسيح حقاً على مستوى الإنجيل تماماً كمخلِّص وفادٍ في مضمونها الكامل الذي يأتي بصورة شرح "كريجما":

+ «يسوع الناصري رجلٌ (يسوع) قد تبرهن لكم من قِبَلِ الله ... هذا أخذتموه مُسلَّماً بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق، وبأيدي أثمة صلبتموه وقتلتموه، الذي أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت إذ لم يكن ممكناً أن يُمسك منه ... يسوع هذا أقامه الله ونحن جميعاً شهود لذلك، وإذ ارتفع بيمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب سكب هذا الذي أنتم الآن تبصرونه وتسمعونه ... فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم رباً ومسيحاً. »(أع 2: 22-24و32و33و36)

هذه هي العقيدة المسيحية الأُولى والصحيحة والكاملة، مقدَّمة على مستوى الشرح المبسَّط، هذه هي عظة الإنجيل الأُولى بفم بطرس الرسول، يسجِّلها ق. لوقا بلغة بطرس الرسول بلهجتها الأرامية، يقدِّمها لأهل الختان.

ويقدِّم لنا ق. لوقا أيضاً عظة ق. بولس الأُولى لمؤمني الأمم أصحاب الغرلة:

+ «نبشِّركم أن ترجعوا من هذه الأباطيل (الأوثان) إلى الإله الحي الذي خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها، الذي في الأجيال الماضية ترك جميع الأمم يسلكون في طرقهم، مع أنه لم يترك نفسه بلا شاهد وهو يفعل خيراً يعطينا من السماء أمطاراً وأزمنة مثمرة ويملأ قلوبنا

---

(58) C. H. Dodd, *Hist. and the Gospel,* p. 73.

طعاماً وسروراً.» (أع 14: 15-17)

فإذا أضفنا إليها عظته لأهل أريوس باغوس الفلاسفة الوثنيين أيضاً:

+ «أيها الرجال الأثينويون ... هذا أنا أنادي لكم به. الإله الذي خلق العالم وكل ما فيه، هذا إذ هو ربُّ السماء والأرض لا يسكن في هياكل مصنوعة بالأيادي ولا يُخدم بأيادي الناس كأنه محتاجٌ إلى شيء. إذ هو يعطي الجميع حياةً ونفساً وكل شيء، وصنع من دمٍ واحدٍ كل أُمَّةٍ من الناس يسكنون على كل وجه الأرض وَحَتَمَ بالأوقات المعيَّنة وبحدود مسكنهم لكي

يطلبوا الله لعلهم يتلمَّسونه فيجدوه مع أنه عن كل واحد منا ليس بعيداً. لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد، كما قال بعض شعرائكم أيضاً، لأننا أيضاً ذريته، فإذ نحن ذرية الله لا ينبغي أن نظن أن اللاهوت شبيه بذهب أو فضة أو حجر نقش صناعة واختراع إنسان. فالله الآن يأمر جميع الناس في كل مكان أن يتوبوا متغاضياً عن أزمنة الجهل. لأنه أقام يوماً هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل، "برَجُلٍ" قد عيَّنه مُقدِّماً للجميع إيماناً إذ أقامه من الأموات.» (أع 17: 22-31)

وهكذا استطاع ق. لوقا أن يقدِّم محتوى الإيمان بحسب الإنجيل تماماً لكل من أهل الختان وأهل الغرلة الذي من هذين الاثنين يقوم العالم المسيحي اليوم. فلو فحصنا ما قدمه بطرس الرسول نجده تحقيقاً لوعود الله السابقة بالأنبياء، أمَّا ما قدَّمه ق. بولس فهو البشارة الأُولى لعالم الأوثان الذي يقتطف لهم في شحٍّ وخجل مما تفتّقت به موهبة الفلاسفة الشعراء اليونانيين لاستشفاف حقيقة الإنسان من خلف الله. فإذا عدنا إلى رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية (19:1) نجد نفس هذا التقديم البديع للاهوت الطبيعي وانطباعه على قلب الإنسان.

فإذا عدنا إلى باقي الأقوال في سفر الأعمال نجدها تأخذ قالب الدفاع عن المسيحية، وهو يتركز في أصحاح (22) الذي مطلعه: «أيها الرجال الإخوة والآباء، اسمعوا احتجاجي الآن لديكم ...» وفي أصحاح (26) الذي مطلعه: «حينئذ بسط بولس يده وجعل يحتج ...» وفيهما تظهر رجاحة فكر وحكمة ق. بولس في اختيار الكلمات والتعبيرات التي تناسب كل جماعة منهما، لأن الجماعة الأُولى هي يهودية متعصبة للديانة اليهودية، أمَّا الجماعة الثانية فهي أممية خالية الذهن ولو صورياً عن كل ما هو حق وكل ما هو لله وهذا ما حاول ق. بولس أن يكشفه أمام ضمائرهم مؤكداً أن الله ولو أنه معروف لديهم ولكن ليس مكرَّماً ولا معبوداً: «لست أهذي أيها العزيز فستوس بل أنطق بكلمات الصدق والصحو لأنه من جهة هذه الأمور عالمٌ الملك الذي أُكلمه جهاراً إذ أنا لست أصدق أن يخفى عليه شيء من ذلك ... أتؤمن أيها الملك أغريباس بالأنبياء، أنا أعلم أنك تؤمن.

»(أع 26: 25-27)

وهذا في الحقيقة تطبيق حي على ما جاء على فم ق. بولس نفسه في رسالته إلى أهل رومية (5:1).

أمَّا العظة الوحيدة التي ألقاها على المسيحيين فهي التي قالها لقسوس كنيسة أفسس حين ودَّعهم وهو مارٌّ بهم مروره الأخير نحو أُورشليم. وتجيء هذه العظة مرصَّعة بالوصايا الإنجيلية والكلمات

التي تهز قلوب المؤمنين حتى إنهم بكوا جميعاً ووقعوا على عنقه وقبَّلوه. وسمة هذه العظة هي أنها بروح الإنجيل ووصية الرب يسوع التي لم ترد سابقاً في كل الأناجيل. وهذا كفيل أن يدمغها بالفرادة والأصالة معاً.

ونختم هذا البحث المختصر بقول للعلاَّمة ف. ج. فوكس جاكسن:

[مهما كانت الأحاديث التي جاءت في هذا السفر، فلا يمكن أن يختلف اثنان في كونها عجيبة في تنوعها بالنسبة لمضمونها وسماتها، وكقاعدة مُسلَّم بها فهي جاءت مثيرة للدهشة في مناسبتها المُحكَمة للظرف التي قيلت وسُجِّلت فيه. فقد نجح ق. لوقا في أن يعطينا صورة فائقة الإحكام غير معتادة للاهوت غير المتطور الذي تعرَّف عليه المسيحيون الأوائل مما أهَّلنَا أن نكشف الأصول البدائية الأُولى التي تَقبَّلها المسيحيون من الإنجيل. وكيفما كانت هذه الأحاديث التي حواها سفر الأعمال فهي درر بلغت القمة القصوى وهكذا تستحق منتهى العناية في الالتفات إليها.](59)

وبالنهاية فإن هذه الأحاديث بفحصها واستعلان مقاصدها وظروفها ومحتواها تقنعنا تماماً أنها بفرادتها وأصالتها وأهميتها البالغة بالنسبة لدارسي الإنجيل والوحي المقدَّس بصفتها تمثل الينابيع الأُولى التي استقت منها الكنيسة الأُولى تقاليدها وقانون إيمانها، إنها من صنع الوحي المقدَّس الذي قاد الرسل والتلاميذ لكل ما كتبوا لخلاصنا.

F. J. Foakes Jackson, *The Acts of the Apostles* p. X VI. (59)

الحالة السياسية والاجتماعية للعالم وقت كتابة سفر الأعمال

ثلاثة محاور كان العالم يتحرك عليها في هذه الحقبة الزمنية:

أ ـ المحور الأول والأساسي: روما:

كانت هي مركز العالم آنئذ، وهكذا ظلت تنمو حتى وصفها الشاعر المسيحي المعروف دانته (دانتي أليجيري)(60) الذي كان يهيم بمركز الإمبراطورية الرومانية أيام الإمبراطور هنري السابع، أنها خليقة إلهية (فحرمته الكنيسة). ومصدر هيامه بروما كان رؤيته أن العالم في حاجة إلى دولة موحَّدة تنفِّذ وصايا الله وتُسعد مواطنيها، وقضى بقية حياته يكمِّل الكوميديا الإلهية على هذا الفكر.

وقطعاً كانت الإمبراطورية الرومانية طيِّعة تحت يد الله هيأ بها كل ما كان يلزم لاستقبال ابنه المتجسِّد وامتداد البشارة في كل أنحاء العالم، إذ قبل أن يولد المسيح كانت الإمبراطورية الرومانية قد وحَّدت لغة العالم ووحَّدت هويته الرومانية ووحَّدت طرقه ومواصلاته (كل الطرق تؤدي إلى روما)، ووحَّدت أحكام قضائه، ووحَّدت جيشه ومراكزه في كل البلاد، ووحَّدت ثقافته ومدنيته، وهكذا انتشر الإنجيل في كل أنحاء العالم. وبوحدة العالم عمَّ السلام الروماني Pax Romana، وانبثقت لأول مرة في العالم "الأخوَّة البشرية". وهكذا حققت حلم الفلاسفة أن يصير البشر مجمعاً واحداً! لحكومة واحدة، مواطنة مفتوحة للجميع. وكانت روما قلب هذه الإمبراطورية الجاذب لقلب كل العالم وإليها يهرع العلماء والفلاسفة ورجال الحكم والقضاء وطالبو الصيت والغنى والمال والتجارة، وقبضت

---

(60) دانتي أَليجيري Dante Aleghiere (1265 ـ 1321) إيطالي شاعر وفيلسوف من مواليد فلورنسا صاحب أعظم ملحمة في تاريخ إيطاليا "الكوميديا الإلهية" ومجموعة من أعظم المؤلفات الفلسفية لها طابع الحكمة: Lady philosophy "الفلسفة سيدة الفكر"، "اللطف والمجاملة"، "الشرف"، "الحرية"، "العدالة"، ويعتبره التاريخ من أعظم الشعراء لكل البلاد وكل العصور.

روما بيدها الحديدية على كل أعنَّة(61) العالم، تحرِّكه كما تشاء وجيوشها تجوب كل الأنحاء، تعيِّن الملوك والولاة والحكَّام والقضاة وتحكم وتقضي بقوة بالعدل

(61) أعنَّة: جمع عِنَان: سَيرْ اللجام التي تُمسك به الدابة. بمعنى متولي زمام الحكم.

القانون الروماني الذي لا يزال يعيش في معظم قوانين العالم حتى اليوم. واحتفظت روما بحكومتها ومحاكمها لتكون الملجأ الأخير لأي إنسان مظلوم مهما كان وضعه. فـ «إلى قيصر أنا رافع دعواي» (أع 25:11)، تعني أن يتحرك الجيش لحمايته وينقله بمعرفته وحراسته حتى يضعه أمام قيصر روما الذي به استغاث! وهكذا صارت روما سيدة العالم المحبوبة المرهوبة لا بالقسر بل بالحق والعدل، فلا أرستقراطية ولا ديموقراطية (أي لا حكم أشراف ولا شعوبية) بل حاكم واحد كأب للجميع محكوم بالقانون حاكم بالقانون وكأنه مبعوث الله. ومن فرط تأثر الشعب بعدله عبدوه كإله، واستخدمت روما هذا الحق الإلهي لتوجِّه العالم تحت خضوع قضيب مُلْكه. حتى جُنَّ بعض الأباطرة وظن نفسه بالفعل إلهاً، كما ظن كاليجولا ونيرون.

والقارىء الفاحص المدقق يرى أن هذا النظام المحكم أخذ بألباب المسيحيين، وبدأوا ينظرون إليه كنموذج يقيسون عليه ملكوت الله وأورشليم السماوية، حتى أصبحت روما عينها محط الأنظار كعاصمة بالفعل للعالم، ورأى ق. بولس أنه إذا بشَّر روما يكون قد بشَّر كل الأمم، فصارت روما عنده ذات جذب شديد لآماله في الكرازة، وظل هذا الفكر طاغياً على الكنيسة باعتبار أن انتشار المسيحية ينبغي أن يتركز في الزحف ناحية روما. هذا هو الإحساس الذي يشعره القارىء تجاه سفر الأعمال.

وقليلاً قليلاً بدأت روما الوثنية تبهت صورتها ويخف التعلّق بها قبل أن يمحوها الله من على الخريطة لتحل محلها روما المسيحية بحكومتها الحرة المرتبطة بكل الحكومات الأخرى على أساس الصالح العام المشترك. وكانت المواطنة لروما أيام ق. بولس مصدراً للأمن وتأميناً للحرية والحق وفخراً يُعتزّ به حتى ولو تشترى بالمال: «فإذ سمع قائد المئة (أن بولس عنده الجنسية الرومانية) ذهب إلى الأمير وأخبره قائلاً انظر ماذا أنت مزمع أن تفعل لأن هذا الرجل روماني (بولس) فجاء الأمير وقال له قل لي أنت روماني؟ فقال نعم. فأجاب الأمير أمَّا أنا فبمبلغ كبير

اقتنيت هذه الرعوية، فقال بولس أمَّا أنا فقد وُلِدْتُ فيها!!! وللوقت تنحَّى عنه» (أع 22: 26-29). وأيضاً: «فقال لهم بولس ضربونا جهراً غير مقضي علينا (بدون محاكمة) ونحن رجلان رومانيان وألقونا في السجن، أفالآن يطردوننا سرًّا. كلاَّ بل ليأتوا هم أنفسهم ويخرجونا ... فاختشوا لمَّا سمعوا أنهما رومانيان فجاءوا وتضرَّعوا إليهما وأخرجوهما.» (أع 16: 37-39)

وكان إعجاب ق. بولس ـ ومعه ق. لوقا بالضرورة ـ بالإمبراطور الروماني وثقته الشديدة في عدله، واحترامه لحقوق مواطنيه هو الذي دفعه ليرفع قضيته من بين أيدي اليهود الظلمة لتُسلَّم ليد

إمبراطور الأمم، فكان شعوره بأنه رسول الأمم هو الذي جعل إحساسه بأن قضيته ينبغي أن تكون في يد الإمبراطور بعد يد الله.

والعجيب أن هذا الشعور قبلَه الله وأمَّنه له: «لأنه وقف بي هذه الليلة ملاك الإله الذي أنا له والذي أعبده قائلاً لا تخف يا بولس ينبغي لك أن تقف أمام قيصر» (أع 27: 23و24). ومن هذا الوعد الإلهي يظهر بوضوح وتأكيد أن الله راضٍ أن يحاكم بولس أمام قيصر، بل وراضٍ ومطمئن على عدالة قيصر، بل وضامن أن وقوفه أمام قيصر سينتهي بإنصافه، بل وسماع قيصر اسم المسيح والشهادة له. هنا تتفق مشيئة ق. بولس مع مشيئة الله في كل ما حدث، وكأن الله هو الذي أقام قيصر وأقام روما لتكون ملجأ للمظلومين.

ويلاحظ القارىء اللبيب أن دائرة الشرق كله بكل ثقله الروحي كانت غائبة تماماً في سفر الأعمال وظلت غائبة حتى النهاية، لأنه كان قد قُضي من الله أن يكون الغرب وروما بالذات هي البؤرة الفعَّالة التي ستشع منها أنوار المسيحية على العالم. هذا ما كان يدور على السطح، أمَّا الشرق ففي الوقت المعيَّن بدأ يسطع نوره من الأساس والقاعدة ليضع للمسيحية الغربية جذوراً فيها (في الشرق) تستقي منها الروح بعد أن يكون قد تكامل شكلها طولاً وعرضاً ولا يزال!

لذلك ينبغي أن ترتفع عندنا نقلة ق. بولس من أُورشليم إلى روما كمعيار ذي وزن عالٍ لانتقال الكنيسة ككل والرسولية فخر الكل ـ يمثلها ق. بطرس وق. بولس هامتا الرسل ـ من أُورشليم إلى روما، وكان توسُّد جسديهما ثرى روما بمثابة ميراث أرضها وسمائها وعزها وبهائها لحساب المسيح والكنيسة.

وليس من فراغ أن جنَّد الشيطان أباطرة روما بعد ذلك لمحو المسيحية، فقد أحس أنها سحبت قوته وجبروته وفخر عبادته وكل أصنامه من تحت رجليه بل ومن فوق رأسه، ولكن كانت الكنيسة أقوى ألف ألف مرة فدفعت الجزية دماً وحريقاً وأجساداً ممزَّقة بين أنياب الوحوش، فاغتسلت بدم شهدائها وبيَّضت ثيابها وتقلَّدت صليب المسيح تاجاً أبدياً، وهكذا

خرجت منتصرة ولوياثان تحت قدميها مع وعد أبدي أن أبواب الجحيم لن تقوى عليها.

والكنيسة في سفر الأعمال نجدها تتعامل حتماً مع الإمبراطور ممثَّلاً في أربع مؤسسات:

المؤسسة الأولى: الحكومات:

فالإمبراطورية كانت على هيئة مقاطعات ولكن كانت هذه المقاطعات على هيئة ما نسميه الآن

ممالك تحت الإدارة المركزية أو كما في أمريكا ولايات تحت إدارة الحكومة المركزية. وكل مقاطعة أو ولاية لها حاكم روماني. ويختلف اسم رتبة الحاكم باختلاف الهيئة التي عيَّنته.

فإذا كان مجلس الشيوخ هو الذي عيَّنه كان يُسمَّى بروقنصل Proconsul **أي نائب قنصل أو قائد روماني.**

أمَّا إذا كان الذي عيَّنه هو القيصر بنفسه فكان يسمَّى بريفكت Prefect **أي الوالي.**

فإذا كانت المقاطعة أو الولاية صغيرة كان يسمَّى بروكيوراتور Procurator **وكيل أو حاكم.**

ولكن على أي حال فأي رئيس من هؤلاء الرؤساء بمجرد أن يعيَّن يصبح تحت قيادة القيصر نفسه أي الأغسطس: «وأمَّا أنا فلمَّا وجدت أنه لم يفعل شيئاً يستحق الموت وهو قد رفع دعواه إلى أوغسطس عزمت أن أرسله (مباشرة).» (أع 25:25)

وكان الحاكم أيَّا كان مع حاشيته الرومانية هو نقطة الوصل بين قيصر وكل قطر أو ولاية وبين المؤسسة الرومانية المسئولة عن حكم وإدارة البلاد على أساس القانون الروماني والضرائب الموضوعة.

وفي سفر الأعمال نعثر على اثنين فقط برتبة البروقنصل أي نائب قنصل (وترجمتها باليونانية: انثيباتوس ¢nqÚpatoj**):**

الأول غاليون:

+ **«ولمَّا كان غاليون يتولَّى أخائية قام اليهود بنفس واحدة على بولس وأتوا به إلى كرسي الولاية.» (أع 18: 12)**

والثاني هو سرجيوس بولس:

+ **«ولمَّا اجتازا الجزيرة إلى بافوس وجدا رجلاً ساحراً نبياً كذاباً يهودياً اسمه بار يشوع كان مع الوالي سرجيوس بولس ...» (أع 13: 6و7)**

كما نعثر على اثنين أيضاً برتبة بروكيوراتور (وترجمتها باليونانية

gemîn[1]):

الأول فيلكس:

+ «وقال أعدَّا مئتي عسكري ليذهبوا إلى قيصرية وسبعين فارساً ومئتي رامح من الساعة الثالثة من الليل. وأن يقدما دواب ليُركبا بولس ويوصلاه سالماً إلى فيلكس الوالي.» (أع 23: 23و24)

والثاني فستوس:

+ «ولكن لمَّا كملت سنتان قبلَ فيلكس بوركيوس فِسْتوس خليفة له ... »(أع 27:24)

المؤسسة الثانية: الجيش:

وهو أساس القوة الرومانية الضاربة والمؤمنة للحدود والطرق والمواصلات. وكان مكوَّناً من:

لجيونات Legions:

وهو الفيلق وينقسم إلى عشرة أقسام: كلٌّ منها يُدعى الكوهورت Cohort = spe…ra **وهي الكتيبة إحدى أقسام اللجيون. وهذه تتكون من المئات** Centuries = katontarc…a ~ **يقودها قائد يسمَّى قائد المائة** Centurion **وهو تحت إدارة الأمير الذي هو رئيس الألف** cil…arcoj.

وأمَّا التريبون Tribune:

فهو القائد والمحامي العام والمسئول المباشر تحت الحاكم العام والمخصص للحفاظ على النظام وسلامة الشعب.

وفي أيام السلم تقف فيالق الجيش على الحدود على طول نهر الدانوب والراين في الغرب والفرات في الشرق وباقي الجيش يتفرَّق داخل المقاطعات أو الولايات، مع استثناء الولايات المشاغبة كاليهودية فكان يرابط فيها حاميات لها تركيبها السريع الحركة.

وكان يرابط في قيصرية خمس كتائب، وفي أُورشليم كتيبة واحدة في قلعة أنطونيا لتراقب كل منطقة الهيكل من علٍ. وكانت توجد كتائب فوق العادة كالمسمَّاة "بالإيطالية أو الأوغسطية". وعلى العموم كانت قوة الجيش تتمثَّل في قوات المئات ذات الضباط الحائزين على أعلى التدريب والمسلحين ولهم قوة فائقة في سرعة الحركة والضبط والربط. وما عليك أيها القارىء العزيز لكي تستوثق من وصفنا هذا إلا الرجوع إلى القائد كرنيليوس:

+ «وكان في قيصرية رجل اسمه كرنيليوس قائد مائة من الكتيبة التي

تُدعى الإيطالية وهو تقي وخائف الله مع جميع بيته يصنع إحسانات كثيرة للشعب ويصلّي إلى الله في كل حين (ساعات الصلاة).» (أع 10: 1و2)

نرجو قراءة كل قصته لأنها ممتعة حقاً بالنسبة لرجل أممي!!!

+ «فلما استقر الرأي أن نسافر في البحر إلى إيطاليا، سلّموا بولس وأسرى آخرين إلى قائد مائة من كتيبة أوغسطس اسمه يوليوس ... فكان رأي العسكر أن يقتلوا الأسرى لئلا يسبح أحد منهم فيهرب. ولكن قائد المائة (يوليوس)، إذ كان يريد أن يخلّص بولس منعهم من

هذا الرأي ...» (أع 27: 1و42و43)

+ **«ولمَّا أتينا إلى رومية سلَّم قائد المائة (يوليوس) الأسرى إلى رئيس المعسكر، وأمَّا بولس فأذن له أن يقيم وحده مع العسكري الذي كان يحرسه.» (أع 28:16)**

المؤسسة الثالثة: الجاليات Colonies:

وهي جاليات رومانية لها كل امتيازات مواطني روما نفسها وتعيش على نفس القوانين والعوايد والأنظمة السارية في روما، ومواطنوها ذوو حصانة ضد أي إجراءات محلية. وهذه الجاليات كان لها دور أقوى وأهم من الجيش نفسه، وعساكرها مُحنَّكون ومدربون تدريباً عالياً خاصاً لفرض قوانين رومية وأنظمتها بكل صرامة، وكل جالية لها جيشها المخصص لها وحدها. وميزتها بالنسبة للدولة الرومانية هي قدرتهم على تطويع الشعوب الغريبة للأنظمة الرومانية وبالتالي إعطائهم حق المواطنة، أي أنها مركز تجنيس الشعوب بالجنسية الرومانية Latinization. وهكذا يصبح المواطنون الرومانيون بمثابة نقل روما نفسها داخل الشعوب، والقصد ليس استعمارياً ولكن نشر الثقافة والمدنية الرومانية في العالم. وهكذا تدرب بولس الرسول بالخدمة وسط هذه الجاليات تدريباً رائعاً إعداداً لخدمته في روما نفسها. وأهم هذه الجاليات كان في أنطاكية بيسيدية Pisidia وترواس Troas وفيلبي وكورنثوس.

المؤسسة الرابعة: الطرق باعتبارها تحت عناية وحراسة الجيش:

والذي قام بتمهيدها فرق الجيش بكل همة وعناية مخترقة الجبال والوديان والصحاري والأنهار، وكل طريق عليه علامات الطريق Milestones من الصخر مكتوب عليها رقم الستاد(62) مبتدئاً من أي طرف نهائي للطريق بالرقم الذي يدل على طوله الكلي ويتناقص الرقم حتى ينتهي عند روما وذلك من جميع أنحاء وبلاد العالم، وتصب جميع الطرق في روما، وعليها حراساتها المدربة، ويصفها أحد الكتَّاب بأنها

(62) وحدة مقياس طول رومانية قديمة تساوي 606.95 قدماً إنجليزياً.

شبيهة تماماً بطرق السكك الحديدية، فكل كيلو عليه رقمه وله محطاته وله حامياته. فكانت الطرق إلى روما تمثل الشرايين التي تنبع من القلب لتغذي جسم الدولة حتى أطرافه. وكانت هي بالحق شرايين المدنية الرومانية فأصبحت التنقلات آمنة سهلة سريعة.

والآن إن كان عندنا الآن سِفْرٌ يُسمَّى سفر الأعمال الذي يجوب فيه ق. بولس مع ق. لوقا بنا في كل بقاع دنيا روما آنذاك من اليهودية إلى السامرة إلى دمشق إلى أنطاكية إلى طرسوس إلي ولايات أسِيَّا الصغرى وغلاطية وكبادوكية وبيثينية وليكيا وأنطاكية (بيسيدية) ثم أقليم

ثراكياباليونان ومكدونية وأخائية وميسيا في الشمال ودلماطية في أقصى الشمال الغربي، إلى قبرص إلى كريت إلى مالطة إلى روما(63)، فالفضل كل الفضل للمدنية الرومانية التي تفتخر بهذه الشبكة من الطرق التي كانت تربط كل جسم الدولة معاً.

وكأن روما قد اضطلعت في سفر الأعمال بتمهيد الطرق لأرجل الكارزين وحمايتهم في أسفارهم بالليل والنهار فأخذت نصيب المؤسس الأول لبناء الكنيسة على الصخر، فكان ق. بولس يسير من مدينة إلى مدينة لا يحمل زاداً ولا سلاحاً، ويعبر القارات بلا بطاقة هوية ولا تفتيش على الحدود ولا إذن بالعبور ولا فيزة إقامة ولا ضمان ولا سؤال!! مَنْ يصدِّق ذلك في عالمنا اليوم؟؟ وليس ذلك فقط بل ويرسل الرسائل فتصل في حينها وتجيئه أخبار الكنائس وكأنه على اتصال لاسلكي بها، هذا عجب روما!! وذلك كله لأنه كان يحمل الجنسية الرومانية مع أنه يهودي ابن يهودي، والأعجب جداً أن روما حمت ق. بولس من متعصبي يهود أُمته وأنقذته من أيديهم وحافظت على سلامة نفسه وجسده!! وكأنها أمَّنت لنا الإنجيل وحفظته من براثن اليهودية. ولمَّا لفظته أمته ويهوديته فتحت له روما أبوابها وقلبها وعقلها.

ب ـ المحور الثاني: اليهودية:

بجوار الرومانيين واليونانيين كان يوجد اليهود كأمة متحدة مكروهة غاية الكره، وبالإجماع من كل من الرومانيين واليونانيين. وأمَّا هم فبادلوا العداوة بعداوة من أعماق القلب وكانت هذه من العقبات الرديئة التي كلفت الكنيسة الأُولى كثيراً.

وكما وقفت روما عاصمة العالم بشعوبه وأممه، وقفت أُورشليم عاصمة الشعب اليهودي فقط شعب الله، الأولى روما مدينة ملك هذا العالم، والثانية أُورشليم مدينة الملك العظيم، وكانت عظيمة لأنها كانت المدينة المقدسة! ويدعوها المؤرِّخ بلليني: "هي بلا مقارن أعظم مدائن الشرق".

---

(63) نرجو من القارىء أن يطلع على الخريطة صفحة 87.

ولكن كان اليهود زمن سفر الأعمال مبدَّدين على وجه الأرض لأنه بعد السبي الكبير لم يستقر لهم قرار ولكن كانوا بلا استثناء أغنياء، ولكن أغنياء لأنفسهم فقط، وبسبب غناهم وترابطهم وتخابرهم ومكائدهم كانوا ذوي تأثير، وهذا هو تقرير بطرس الرسول عن أسرار اليهود من الداخل: «أنتم تعلمون كيف هو محرم على رجل يهودي أن يلتصق بأحد أجنبي أو يأتي إليه» (أع 28:10) أو حتى يأكل معه أو عنده!! فانظر كيف كان يمكن أن يكرز اليهودي للأمم باسم

خريطة العالم الذي بشَّر فيه القديس بولس الرسول

المسيح!! والكلام أيضاً للقديس بطرس: «أنك دخلت إلى رجال ذوي غلفة وأكلت معهم.» (أع 11:3). من أجل هذا «خاصمه اليهود»

ولكن كان اليهود رغماً عنهم أحد العناصر التي تتكون منها الإمبراطورية الرومانية، وكانت أُورشليم لليهود هي روما بالنسبة للرومانيين، فهي لهم المدينة الأم ولها الإخلاص والأمانة فوق كل إخلاص لأي كان. وكانوا وهم في أقصى الأرض يرسلون لها الجزية مع تقدمات لخدمة الهيكل العظيم. فكانوا يتقاطرون عليها كل سنة في أعيادهم الثلاثة وبالأكثر الفصح، وكان على اليهودي مهما كان أن يحج إليها ولو مرة واحدة في عمره. وق. لوقا يحكي:

+ «وكان يهود رجال أتقياء من كل أمة تحت السماء ساكنين في أُورشليم (عيد الخمسين) فلما صار هذا الصوت اجتمع الجمهور وتحيروا لأن كل واحد كان يسمعهم يتكلمون بلغته ... فرتيون وماديون وعيلاميون والساكنون ما بين النهرين (بقايا السبي) واليهودية وكبَّدوكية (شمال أسِيَّا الصغرى) وبُنْتس وأسِيَّا وفريجية وبمفيلية ومصر ونواحي ليبيا التي نحو القيروان والرومانيون المستوطنون يهود ودخلاء كريتيون وعرب.» (أع 2: 5-11)

أمَّا كمالة هذه القائمة فهي كالآتي:

+ «وإذا رجل حبشي خصي وزير لكنداكة ملكة الحبشة كان على جميع خزائنها (وزير مالية) فهذا كان قد جاء إلى أُورشليم ليسجد.» (أع 27:8)

وكانت لهفة اليهود للعودة إلى أُورشليم شيئاً يفوق العقل:

+ «لأن بولس عزم أن يتجاوز أفسس في البحر لئلا يعرض له أن يصرف وقتاً في أسِيَّا لأنه كان يسرع حتى إذا أمكنه يكون في أُورشليم يوم الخمسين.» (أع 16:20)

وكانوا أكثر تعصباً من يهود أُورشليم ذاتها:

+ «ولمَّا قاربت الأيام السبعة ـ (عيد الخمسين) ـ (أيام الذين عليهم نذر) أن تتم رآه اليهود الذين من أسِيَّا في الهيكل فأهاجوا كل الجمع

وألقوا عليه الأيادي صارخين أيها الرجال الإسرائيليون أعينوا ...»(أع 21:27و28)

ولم تكن نفوس اليهود راضية أبداً ولا في يوم من الأيام بولاية الرومان عليهم، بل كانت روما عبئاً عليهم ثقيلاً وكابوساً أذل نفوسهم وأزعج أرواحهم. وكان اعتقادهم أنه لا بد أن الله مُرسِلٌ المسيا لينقذهم من هذه العبودية ويضع رقاب الرومانيين تحت أقدامهم، وشاع بينهم أن الذي يعطي الجزية لقيصر هو خائن لعهد الله والناموس وأن الثورة قضية إيمانية. وهكذا عاشت اليهودية تغلي

من فوق بركان وكانت خشونة الرومان تزيدهم غلياناً. وبالرغم من أن السلطات اليهودية وخاصة رؤساء الكهنة والصدوقيين حاولوا تخفيف العبء بتوددهم للسلطات الرومانية، إلاَّ أنهم عبثاً كانوا يصنعون، فالثورة كانت قد دخلت في قانون إيمانهم يغذيها الغيورون بتعصبهم الشديد حتى اندلعت ألسنة النيران سنة 66م. وكان ذلك لخرابهم وتحطيم أمتهم وحرق هيكلهم بل ودكّه دكاً حتى التراب وإجلائهم عن بلادهم. ومع أن هذا قد حدث بعد أن انتهى سفر الأعمال من أعماله، إلاَّ أن حركات هذه الثورة والتربُّص بين الفريقين والتيارات الخفية التي كانت تحمل عوامل إشعالها بدأت علاماتها مبكرة قبل نهاية السفر: «ثم جاء واحد وأخبرهم قائلاً هوذا الرجال الذين وضعتموهم في السجن هم في الهيكل واقفين يعلمون الشعب، حينئذ مضى قائد الجند (جنود الرومان ـ كما في مت 14:28) مع الخدام (عساكر اليهود) فأحضرهم لا بعنف لأنهم كانوا يخافون الشعب لئلا يُرْجَموا» (أع 26:5). واضح من الكلام أنه كان يوجد تحفز لدى الشعب لرجم جنود الرومان وهذا هو بعينه ما يمثل التيارات التحتية التي كانت تحمل بذور الثورة. وقد سجل سفر الأعمال حركتين فاشلتين قام بها بعض المتحمسين من قواد الشعب لإشعال الثورة فعلاً ولكنهم أُقمِعوا بواسطة الجيش بلا رحمة فقُتلوا وأتباعهم تشتتوا:

الأولى حركة ثوداس:

+ «لأنه قبل هذه الأيام (بدء البشارة بعد يوم الخمسين بقليل) قام ثوداس قائلاً عن نفسه إنه شيء الذي التصق به عدد من الرجال نحو أربعمئة الذي قتل وجميع الذين انقادوا إليه تبددوا وصاروا لا شيء.» (أع 36:5)

الثانية حركة يهوذا الجليلي:

+ «بعد هذا قام يهوذا الجليلي في أيام الاكتتاب وأزاغ وراءه شعباً غفيراً. فذاك أيضاً هلك وجميع الذين انقادوا إليه تشتتوا.» (أع 37:5)

يهود الشتات:

ولكن لم تكن اليهودية كلها مساوىء، بل ظهر في الجاليات اليهودية في الشتات Diaspora حركة استعداد هائلة لتقبَّل رسل الإنجيل وفتحوا أبواب بيوتهم ومجامعهم للقديس بولس في كل مدينة ذهب إليها، وهكذا أخذت المسيحية بدايتها القوية والثابتة من وسط يهود الشتات ومن داخل المجامع. أمَّا أخلاق يهود الشتات التي برزت فيها عناصر انعطاف اليهودي على اليهودي بقوة غذّتها حياة الغربة والبعد عن الوطن، فهذه كانت نواة محبة الإخوة philadelphia التي

صارت علامة مميَّزة للوسط المسيحي.

كما أن نمط حياة الجماعات اليهودية، سواء في التنظيم الداخلي للجماعة، أو الاجتماعات المحددة للعبادة، أو الانضباط الأخلاقي للأفراد ومحاكمة الخارجين عن التقليد أو المخالفين للعوايد، فإن كل هذا استلمته الكنيسة المسيحية، وبقليل من الارتفاع من مستوى الحَرْف إلى مستوى الروح، أخذت شكلها المسيحي الباهر في المحبة والحرية والانضباط معاً، وزاد عليها العنصر الوحيد الغريب جداً عن اليهود واليهودية وهو البذل، لا بالمال وحسب، وهذا أصعب ما يكون عند اليهودي بل بالحياة شهادة للإيمان. وانتهى عهد الطاهر والنجس ولا تشم ولا تَذُقْ...

+ «أنا كنت في مدينة يافا أصلي، فرأيت في غيبة رؤيا إناءً نازلاً مثل مُلاءة عظيمة مدلاّة بأربعة أطراف من السماء، فأتى إليَّ. فتفرَّست فيه متأملاً فرأيت دواب الأرض والوحوش والزحافات وطيور السماء. وسمعت صوتاً قائلاً: قم يا بطرس اذبح وكُلْ. فقلت كلاَّ يا رب لأنه لم يدخل فمي قط دنس أو نجس، فأجابني صوتٌ ثانيةً من السماء ما طهره الله لا تنجسه أنت.» (أع 11: 5-9)

ولكن ربما أهم خدمة قدمها يهود الشتات هي وقوفهم كخطوة مباركة معدة للانتقال بهم ومنهم إلى بشارة الأمم:

+ «ولما صارا في سلاميس (بقبرص) ناديا بكلمة الله في مجامع اليهود.» (أع 5:13)

+ «وأمَّا هم فجازوا من برجة وأتوا إلى أنطاكية بيسيدية ودخلوا المجمع يوم السبت وجلسوا، وبعد قراءة الناموس والأنبياء أرسل إليهم رؤساء المجمع قائلين: أيها الرجال الإخوة إن كانت عندكم كلمة وعظ للشعب فقولوا. فقام بولس وأشار بيده وقال ...» (أع 13: 14-16)

+ «وحدث في إيقونية أنهما دخلا معاً إلى مجمع اليهود وتكلَّما حتى آمن جمهور كثير من اليهود واليونانيين.» (أع 1:14)

+ «فاجتازا في أمفيبوليس وأبولونية وأتيا إلى تسالونيكي حيث كان

مجمع اليهود، فدخل بولس إليهم حسب عادته وكان يحاجّهم ثلاثة سبوت من الكتب موضحاً ومبيناًأنه كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات وأن هذا هو المسيح يسوع الذي أنا أنادي لكم به. فاقتنع قوم منهم وانحازوا إلى بولس وسيلا ومن اليونانيين المتعبدين جمهور كثير ومن النساء المتقدمات عدد ليس بقليل.» (أع 17: 1-4)

+ «وأمَّا الإخوة فللوقت أرسلوا بولس وسيلا ليلاً إلى بيرية وهما لمَّا وصلا مضيا إلى مجمع اليهود. وكان هؤلاء أشرف من الذين في تسالونيكي فقبلوا الكلمة بكل نشاط فاحصين الكتب كل يوم هل هذه الأمور هكذا. فآمن منهم كثيرون ومن النساء اليونانيات الشريفات ومن الرجال عدد ليس بقليل.» (أع 17: 10-12)
+ «فكان (بولس) يكلِّم في المجمع اليهود المتعبدين والذين يصادفونه في السوق كل يوم.» (أع 17:17)
+ «وكان يحاج في المجمع كل سبت ويقنع يهوداً ويونانيين.» (أع 4:18)
+ «وكريسبس رئيس المجمع آمن بالرب مع جميع بيته، وكثيرون من الكورنثيين إذ سمعوا آمنوا واعتمدوا.» (أع 8:18)
+ «فأقبل إلى أفسس وتركهما هناك وأمَّا هو فدخل المجمع وحاجَّ اليهود. وإذ كانوا يطلبون أن يمكث عندهم زماناً أطول لم يُجِبْ.» (أع 19:18و20)
+ «ثم دخل المجمع وكان يجاهر مدة ثلاثة أشهر محاجاً ومقنعاً في ما يختص بملكوت الله.» (أع 8:19)

ج ـ المحور الثالث: الهللينية:

بين المحور الأول "الرومانية" والمحور الثاني "اليهودية" يقع المحور الوسيط بين الاثنين المتنافرين وهو الهللينية أو الثقافة اليونانية ذات الشأن العريق.

لم يعد اليونانيون قوة سياسية فلم يصبح تأثيرهم على مستوى السلاح ولكن على مستوى الأدب والثقافة الرفيعة والشعر والفلسفة واللغة أولاً وأخيراً. فبهذه اللغة وآدابها وثقافتها غزوا العالم ومهَّدوا للفكر المسيحي تمهيداً يكاد يكون شاملاً، فقد وُضع الإنجيل بلغتهم وانبرى الأساقفة يعظون ويشرحون بلغتهم. وتعمدت اللغة اليونانية بمعمودية أربابها وصارت لغة الإيمان المسيحي في كل الأرجاء، وكان أول مَنْ تتلمذ على

الثقافة اليونانية علماً وأدباً وفلسفة وفناً وموسيقى هم الرومان!! فظهرت للوجود الفلسفة والثقافة الرومانية ـ اليونانية Graeco-Roman Civilization التي سارت ممسكة ببعضها يداً بيد تغزو البلاد مع فيالق الجيوش. وكان الشرق قد تمهَّد لهذه الثقافة والمدنية واللغة على يد المقدوني الأكبر ذي القرنين: الإسكندر!! ووضعت روما ختمها على هذا الغزو الأدبي الثقافي فترسخ، وكان ذا ثبات بثبوت روما. وصارت اليونانية قرينة المدنية وسيدة الفلسفة وأم الأدب الديني وسيدة التفسير. فإذا قيل عن أحد أنه يعرف اليونانية، فاعرف أنه مثقف

من الدرجة الأولى. وهكذا قسمت اللغة اليونانية العالم إلى قسمين: القسم المتحضِّر المتمدين والمتدين بعد ذلك، والقسم الهمجي البربري. فإما يوناني أو بربري، هكذا صار تعريف الإنسان عن حق، تماماً كما وقفت اليهودية مضادة للأممية ولكن على غير وجه حق.

ووقفت الهللينية وسيطاً بين الرومانية واليهودية، فهي التي حضَّرت الفكر الروماني ليفهم اليهودية، وعلى الوجه الآخر قلَّلت من تعصّب اليهودية قليلاً قليلاً حتى أنهت عليه. وهذا واضح منتهى الوضوح في يهود الشتات الذين أتقنوا اليونانية فهيأتهم بسهولة لقبول المسيحية المشروحة شرحاً بديعاً باليونانية.

ولكن ظلت اليهودية بجذرها السام في معاداة الأممية واضحاً حتى بعد أن تنصَّر الاثنان!! وكان هذا في بكور ميلاد الكنيسة المسيحية وبعد يوم الخمسين بقليل:

+ **«وفي تلك الأيام إذ تكاثر التلاميذ حدث تذمَّر من اليونانيين (المسيحيين) على العبرانيين (المسيحيين) أن أراملهم كُنَّ يُغْفَل عنهن في الخدمة اليومية (بعد أن باع الكل كل ما يملك ليعيشوا في شركة المسيح).» (أع 1:6)**
+ **«أمَّا الذين تشتتوا من جراء الضيق الذي حصل بسبب استفانوس (استشهد) فاجتازوا إلى فينيقية وقبرس وأنطاكية وهم لا يكلِّمون أحداً بالكلمة إلاَّ اليهود فقط!!» (أع 19:11)**

وعلى أيدي اليونانيين المسيحيين بدأت حركة انطلاق للتبشير بين الأمم بصورة سريعة قوية، وقام منهم المبشرون الأوائل، وكانوا جميعاً مملوئين من الروح القدس: استفانوس، فيلبس، القبارصة، القيروانيين. «ولكن كان منهم قوم وهم رجال قبرسيون وقيروانيون الذين لمَّا دخلوا أنطاكية كانوا يخاطبون اليونانيين مبشرين بالرب يسوع، وكانت يد الرب معهم، فآمن عدد كثير ورجعوا إلى الرب.» (أع 10: 20و21)

وهكذا كما ارتفعت روما بالعالم اجتماعياً وسياسياً وقانونياً ودولياً على أساس جغرافي ودولي مشترك، هكذا ارتفعت الهللينية بالعالم ثقافة ولغة

وفناً وفلسفة، ثم عادت فارتفعت بالمسيحية لغة وفهماً وبحثاً ودراسة. وأهم الكل هي اللغة. إذ بهذه اللغة اليونانية التي خُلقت لتكون عوناً للاهوت المسيحي استغنت الكنيسة عن التكلّم بالألسن، فهي لغة العالم بدوله وبلاده وأجناسه وشيعه وأفراده، فقد هيأت للعالم ثقافة ولغة وفهماً مشتركاً. وهناك رسائل ق. بولس ذات اللغة الواحدة والتعبيرات الفنية اللاهوتية الواحدة والفكر المتفتح الواحد، يكلّم بها روما كما يكلّم بها أفسس وكورنثوس، وبها استعلن الحق الإلهي واضحاً ناصعاً مفهوماً ومقبولاً ومحبوباً، فاختفت خزعبلات

الآلهة الكاذبة وذوي السحر، وانزوى السحرة وخرجت عقول الفلاسفة الجبارة من الظلمة إلى النور تخدم الكلمة الحية بعد أن كانت تخدم فجور الآلهة الكاذبة. وهكذا بزغت المسيحية باعتبارها القوة الرابعة متهيئة منذ البدء لتتخطَّى الكل.

التقسيم الموضوعي لسفر الأعمال

الخطوط العريضة:

بحسب وجهة نظر القديس لوقا جاء سفر الأعمال يحمل المراحل المترتبة على صعود الرب ووعده بإرسال الروح القدس. وبحسب وعده للعزيز ثاوفيلس، فإنه قدَّمها على التوالي، بمعنى توقيعها على التاريخ من حيث حدوثها.

وأمامنا السفر يحمل ست مراحل متوالية تاريخياً. وبآن واحد كل مرحلة تحمل طابعها الموضوعي.

المرحلة الأولى:

طبيعي أن تكون هي حلول الروح القدس يوم الخمسين على التلاميذ المجتمعين في حالة صلاة وصوم حسب وعد الرب لهم. هكذا كانت بداية ميلاد الكنيسة المسيحية في العالم بشهود يشهدون بالنطق بجميع اللغات وبآيات ومعجزات، ويتبعها حتماً انفجار من جهة السنهدريم والبدء بالاضطهاد.

المرحلة الثانية:

الاضطهاد يُسْفِر عن استشهاد كبير الشمامسة استفانوس ويبين أن شاول كان شريكاً في القتل. وطبيعي أن ينبثق من الاضطهاد بركة للكنيسة الفتية، فكنتيجة للذعر الشديد بعد قتل استفانوس بدأ الانتشار للكرازة بعيداً عن أُورشليم، بسبب عنف اضطهاد شاول وتنتهي هذه المرحلة بدخول شاول الإيمان في حادثة طريق دمشق.

المرحلة الثالثة:

بدء خدمة بطرس الرسول بين أهل الختان، والمعجزات التي تمت على يديه وذلك بدعوة الله له رسمياً لخدمة الأمم كسابقة أولى وفريدة، فكانت

بمثابة اعتراف مُسْبَق بقبول الأمم ثم انطلاق لبدء خدمته في أنطاكية.

وطبيعي أن يكون الرد اضطهاداً، يبدأ بقتل ق. يعقوب أخي يوحنا وسجن ق. بطرس

وخروجه من السجن بيد ملاك علناً وباقتدار. والنتيجة بركة للكنيسة، إذ ينتهي هذا الاضطهاد باختيار شاول بولس رسولاً من قِبَل الروح القدس وإرساله ليكرز بين الأمم (أع 13: 1-3).

المرحلة الرابعة:

بدء خدمة بولس الرسول.

بولس وبرنابا في أنطاكية، ثم من أنطاكية إلى قبرس ثم إلى أنطاكية بيسيدية ثم إلى إيقونية ولسترة ودربة.

عودة سريعة إلى أُورشليم وانعقاد أول مجمع، والخطاب المُرسل لكنائس الأمم.

رحلة ق. بولس الثانية إلى غلاطية والتحاق تيموثاوس بالخدمة.

المرحلة الخامسة:

البشارة على شواطىء بحر إيجة باليونان.

فيلبي، تسالونيكي إلى أثينا إلى كورنثوس ثم إلى أفسس.

زيارة عاجلة إلى أُورشليم. التحاق أبلّوس بالخدمة.

المرحلة السادسة:

من أفسس إلى مكدونية والبدء بالتفكير في زيارة رومية.

رحلة الرجوع العاجلة إلى أُورشليم محملاً بالعطايا.

في ترواس على الطريق، ثم صور ثم قيصرية ثم الوصول إلى أُورشليم.

مقابلة ق. يعقوب والشيوخ. ثورة في الهيكل. القبض على ق. بولس.

ق. بولس أمام السنهدريم، المكيدة لقتل ق. بولس، ترحيله إلى قيصرية.

الفحص أمام فيلكس، ثم فستوس.

ق. بولس يرفع دعوى قضيته إلى قيصر.

عودة للفحص أمام أغريباس الملك.

الاتفاق بالإجماع على براءة ق. بولس.

رحلة الغرق والنجاة، الوقوع على شاطىء مالطة.

«وأتينا إلى روما»

ق. بولس في بيت استأجره سنتين، انتشار الإنجيل حتى دار الولاية والبشارة بلا مانع.

التوقيع التاريخي للأشخاص والحوادث المتعلقة بسفر الأعمال

الحدث	التاريخ
▪ الصلب والقيامة والصعود ويوم الخمسين	أبريل ـ مايو 30 سنة (باعتبار الميلاد 4 ق.م)
▪ استشهاد ق. استفانوس	33
▪ تحوَّل شاول الطرسوسي إلى الإيمان المسيحي	33
▪ زيارته الأُولى لأُورشليم بعد تحوله إلى المسيحية (بعد 3 سنوات من تحوله)	35
▪ استشهاد القديس يعقوب الرسول أخي يوحنا سجن ق. بطرس وخروجه بواسطة ملاك موت هيرودس أغريباس الأول	44
▪ المجاعة في اليهودية والمعونة المرسلة بواسطة بولس وبرنابا من أنطاكية	46
▪ الإرسالية الأُولى: برنابا وبولس في قبرس ثم أسِيًّا الصغرى.	47-48
▪ الرسالة إلى غلاطية	48
▪ المجمع الرسولي في أُورشليم بعد زيارته الأُولى بأربع عشرة سنة	49؟

مرور عشرين سنة على بداية تأسيس الكنيسة

▪ الإرسالية الثانية: لسترة، دربة، ترواس، فيلبي، تسالونيكي، بيريه، أثينا، كورنثوس	49-50
▪ الرسالتان إلى تسالونيكي الأُولى والثانية	آخر 50
▪ ق. بولس في كورنثوس	خريف 50/ 52 ربيع
▪ غاليون يصير مساعد قنصل على أخائية	يوليو 51
▪ زيارة سريعة للقديس بولس إلى فلسطين	ربيع وصيف 52
▪ ق. بولس في أفسس	خريف 52/ 55 ربيع

▪ الرسالة الأولى إلى كورنثوس	ربيع 54
▪ زيارة ق. بولس الحزينة إلى كورنثوس	صيف أو 54 خريف
▪ الرسالة إلى فيلبي	آخر 54 أو 55 بداية
▪ ق. بولس يرسل تيطس إلى كورنثوس وتيموثاوس وأرسطوس إلى مكدونية	بداية 55
▪ ق. بولس في ترواس	خريف 55
▪ ق. بولس في مكدونية وإلى إلليريكون	شتاء 55 أو 56 خريف
▪ الرسالة الثانية إلى كورنثوس	56
▪ ق. بولس في كورنثوس	شتاء 56-57
▪ الرسالة إلى رومية	بداية 57
▪ ق. بولس يصل إلى أورشليم ويتم القبض عليه	مايو 57
▪ محاكمة ق. بولس في قيصرية	57-59
▪ ق. بولس يقلع إلى روما	سبتمبر ـ 59 أكتوبر
▪ ق. بولس في مالطة	شتاء 59-60
▪ ق. بولس يصل إلى روما في القيود	فبراير 60
▪ رسائل إلى كولوسي وفليمون وأفسس	60-61
▪ استشهاد يعقوب البار في أورشليم	61
▪ نهاية اعتقال ق. بولس في روما	آخر 61/ بداية 62
▪ حريق روما الكبير، تعذيب المسيحيين	64

- موت ق. بولس 65؟
- اندلاع الحرب السبعينية 66
- خراب أُورشليم 70

توجيــــه:

بعض هذه التواريخ مؤكدة بشهادات ثابتة، أمَّا البعض الآخر الذي لا تسنده شواهد ثابتة فهو تقريبي إلى أقرب سنتين أو ثلاث(64).

(64) Bruce, *op. cit.,* pp. 55,56; C.H. Turner in H.D.B., i, 403 ff; K. Lake in B.C.,V, pp. 445f.

ما بين الإنجيل والأعمال
أو
ما بين المسيح وبولس

حينما قال المسيح على الصليب قد أُكمل وأسلم الروح، كان ذلك معناه أن المسيح قد أكمل رسالة الابن التي أتى بها من الآب، من السماء. أمَّا على الأرض فلم تكن الرسالة قد أُكملت ولا حتى عُرِفت ما هي، لا على الصليب ولا في القبر ولا حتى بعد أن أُعلنت القيامة بواسطة الملاك. هذا هو الإنجيل!

فعند القبر وما بعد القبر، كان التاريخ الأرضي قد سجَّل موت المسيح وحسب. وبحسب الرؤية البشرية العمياء، كان الفريسيون ورؤساء الكهنة قد انتصروا بقتل المسيح. إلى هنا ينتهي تاريخ المسيحية عند اليهود أبناء هؤلاء الكهنة والفريسيين حتى اليوم.

ولكن بقيامة المسيح من بين الأموات وإعلان قيامته بواسطة جند السماء، أي الملائكة، أُعلنت بداية تاريخ المسيحية الحقيقي على مستوى الحياة الأبدية، على مستوى السماء.

ثم بظهور المسيح علناً منظوراً وملموساً باليد متحدثاً وجروحه عليه، اقتحم التاريخُ السمائي الأرضَ وانفتح التاريخ الأرضي ـ من واقع حياة التلاميذ والرسل على الأرض ـ ليتقبل أول تباشير الحياة المسيحية معطَّرة برائحة المسيح والخلود.

وبحلول الروح القدس حسب وعد الآب وتكرار وعد المسيح، بدأت الحركة السماوية على الأرض يوقِّعها التلاميذ بقيادة الروح القدس حسب الله والمسيح: «لأنه يأخذ مما لي ويخبركم.» (يو 16:14)

وهكذا ابتدأ التاريخ المسيحي، أي تاريخ المسيح من السماء على

الأرض عاملاً في التلاميذ ـ كنيسة أُورشليم ـ ثم كنيسة الأمم بالروح القدس «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل 20:2)، «ولكن لا أنا بل نعمة الله التي معي.» (1كو 10:15)

هكذا تصبح أعمال الرسل، أي «الأعمال» مع «الإنجيل» هي عمل المسيح الكامل: على الأرض بالإنجيل ومن السماء «بالأعمال» وهكذا يدخل «الأعمال» أي سفر الأعمال في صميم الكلمة التي قالها المسيح « قد أُكمل» في معناها الكامل المتسع الذي س يكمل إلى أن يجيء!

من هذا يتضح للقارىء مدى خطورة وأهمية سفر الأعمال بالنسبة للإنجيل، بالنسبة للمسيح، بالنسبة لتدبير الله لخلاص الإنسان.

بولس الرسول بنوع خاص:

يحكي ق. لوقا في إنجيله عن المسيح: كيف استقبلت كنيسة أُورشليم أولاً سماع الخبر من المسيح رأساً مع حضوره المنظور على الأرض، وأعلنته الكنيسة بالكلمة. أمَّا ق. بولس فاستعلنه من السماء منظوراً بالرؤية ونقله منظوراً بالإيمان وحاضراً في القلب بالروح، وكما استلمه سلَّمه، «مسيح الاستعلان» بالإيمان في سر التقوى.

فإن كانت كنيسة أُورشليم استعلنته كمسيًّا اليهود المكمِّل للناموس مع السبت والختان والعوايد والمنفتح على اليهود وكل الذين على بُعْدٍ، فالقديس بولس استعلنه كمسيًّا ما بعد مسيًّا اليهود، «نوراً للأمم» بعيداً عن الناموس، وبدونه، بلا ختان، بلا سبت، بلا عوايد. وإن كانت كنيسة أُورشليم تحققت منه بلمس الجروح وأكل العسل: «فناولوه جزءاً من سمكٍ مشويٍ وشيئاً من شهد عسل. فأخذ وأكل قدامهم» (لو 42:24و43)، فالقديس بولس تحقق منه بالروح «الرب الروح المعلَن من السماء» نوراً أشد لمعاناً من الشمس في الظهيرة، المتكلِّم بذاته من أعلى سمائه، والمسموع بالأذن الروحية المفتوحة. له ملامح الإنسان الكامل وكل صفاته، الإله الكلي القداسة وكلي الحضور، بآلامه وفقره وتعاذيبه وجروحه كلها فيه، وبها كلها يشترك معنا في آلامنا وفقرنا وتعذيبنا وجروحنا: «تعالوا إليَّ يا جميع المتعَبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم» (مت 28:11). جسد بجسد مصهوراً في لاهوته، حاضراً في الكنيسة مع قديسيه، ساكباً نعمته من كنز إنجيله للواقفين بخوف الله والسامعين الواعين لكلمة الخلاص، والآكلين بالسر من سر الحياة.

عارضاً صليبه بالإيمان للممارسة «مع المسيح صُلبتُ» (غل 20:2) لنوال كل ما حققه عليه، عاراً يؤول إلى مجد، وحزناً يتحول إلى فرح، وموتاً يؤدي إلى حياة، كما هو أمْساً هو لنا اليوم، وهو هو كل يوم. لا ننظر إلى الوراء لكي نتحقق منه، ولا نبحث عنه في المستقبل المجهول لننتهي إليه، بل هو كله اليوم والآن: «فمن يأكلني فهو يحيا بي» (يو 57:6). لم يَعُدْ مسيح التاريخ بل مسيح الآن وكل أوان. لا يُقرأ في ورق أو رقوق بل صار مقروءاً في القلب ومسموعاً ومنظوراً.

وبقدر ما قام به ق. بولس من الأعمال لحساب الإنجيل والمسيح التي تتناسب تماماً مع الأعمال التي عملها المسيح والإنجيل فيه هو شخصياً، يصوِّر لنا ق. لوقا القديس بولس رسولاً عملاقاً حمل الإنجيل والمسيح فوق ظهره بل في قلبه، وانطلق لعالم الأمم وملوكه ولكل الشعوب كوعد الرب حاملاً الاسم العظيم ليسلمه للعالم، لليهود أولاً ثم اليونانيين. وبقدر ما تألم من أجل هذا الاسم حسب وعد الرب أيضاً، بقدر ما اتسع له التاريخ المسيحي ليحتل أهم وأضخم فصوله.

وبقدر ما وهبه الله من طبيعة روحية بقلب تصوفي ناسك مع فكر مدقق عميق ومتسع، هكذا ولهذا يتقابل فيه الشرق بوجدانه التصوفي والغرب بفكره المدقق المحلل المدرسي. وبهذا صار ق. بولس بإنجيله وتعاليمه كفؤاً للعالم بأممه يستدرجه للمسيح بجاذبية تفوق المستوى العادي لأي إنسان.

ولأن أقوى الصفات التي تميز المسيح كإنسان، أو على الأصح كمتأنس، كانت في حريته من العالم: «أنا لست من العالم» (يو 16:17) وكانت هذه بعينها أمنيته بل وصلاته من أجل تلاميذه: «هؤلاء ليسوا من العالم» (يو 16:17) لأنه اختارهم من العالم، لذلك يصوِّر لنا ق. لوقا اختيار شاول بولس كأشد وأعنف عملية اختيار جرت للرسل، «هذا لي إناء مختار ليحمل اسمي أمام أمم وملوك وبني إسرائيل» (أع 15:9). لهذا استلم مع هذا «الاسم» حرية هذا «الاسم» من العالم بصورة فائقة: «صُلب العالم لي وأنا للعالم» (غل 14:6). لذلك كان ق. بولس أقدر رسول في تحرير الإنسان من العالم وكان أقوى تحرير أدّاه لحساب المسيح هو تحرير الأمم من اليهودية، ويليها تحرير الأمم من عبادة الأوثان!!

وقد نجح ق. لوقا في تصوير ق. بولس بإنجيله، بالقوة المسيحية المتفجرة لتحرير البشرية من كل قيودها أيًّا كانت إلاَّ قيد الصليب!! فإن كان الإنجيل قد انتهى بالقبر في نظر الفريسيين المتعصبين للناموس ضد الحرية والحق والحياة، وهكذا أعلنوا في التاريخ وللتاريخ نصرتهم على

المسيح: «فليخلِّص نفسه إن كان هو المسيح مختار الله» (لو 25:23). ولكن بدخول الروح القدس لحساب الإنجيل وقيام الرسل وبالأخص ق. بولس استُعلنت نصرة المسيح واستعلى الحق وأُظهرت الحياة التي كانت مخفية في الله. وأُرغم التاريخ الإنساني في العالم ومعه اليهود أن يخضع لحركة الإنجيل بل لحركة الروح والقيامة والإنسان الجديد كأحد مقوماته الحتمية التي تؤثر فيه وتلغي مواته.

ومن الجهة الأخرى نجد أنه مهما ادَّعى أصحاب الدعوات التحررية من الدين كمعوِّق لتقدَّم

الشعوب، فإن الدين المسيحي يظلّ، وعلى يد رسله، معلِناً قوته وحقه وصدقه في تجديد الإنسان وتنوير فكره ورؤياه، القوة الحتمية لتغيير مصير الإنسان وبالتالي مسيرة تاريخه باعتباره المعيار الوحيد الصادق لمفهوم الحرية فردية كانت أو جماعية.

هكذا أوضح سفر الأعمال مناداة ق. بولس بإنجيل المسيح التي أيقظ بها عالم "الأمم" أو أمم العالم من رقاد:

+ «فقلت أنا: مَنْ أنت يا سيد، فقال: أنا يسوع الذي أنت تضطهده (نيابة عن الفريسية ورؤساء الكهنة) ولكن قُمْ (من الموت) وقِفْ على رجليك لأني لهذا ظهرتُ لك لأنتخبك خادماً وشاهداً بما رأيت وبما سأظهر لك به، مُنقذاً إياك من الشعب ومن الأمم الذين أنا الآن أُرسلك إليهم لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلمات إلى نور ومن سلطان الشيطان إلى الله حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا ونصيباً مع المقدَّسين.» (أع 26: 15-18)

هكذا وثَّق ق. لوقا دعوة ق. بولس للرسولية بختم سمائي.

نظرة بولس الرسول للعالم بعد أن انفتحت عيناه

باعتباره أصلح قاعدة للبشارة بالإنجيل:

«فإننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخَّض معاً إلى الآن» آنئذ عند ق. بولس «إذ أُخضعَت الخليقة للبُطل» ولكن ليس إلى الأبد «ليس طوعاً بل من أجل الذي أخضعها على الرجاء ... متوقعين التبني» بعد العبودية، لأن العالم يتوقع استعلان أبناء الله، «وإن كنَّا نرجوه ... فإننا نتوقعه بالصبر.» (رو 8: 20-25)

لم تكن الآلام والأوجاع والظلمة التي يعانيها الإنسان في نظر بولس الرسول جبرية أو بلا سبب وكأنها بلا نهاية أو بلا مخرج، بل في اعتقاد جازم يقول إن ذلك لم يكن طوعاً كأنه من إفراز العالم الطبيعي كحتمية ملازمة له، بل «من أجل الذي أخضعه» وأخضعه هكذا تحت هذا الباطل والألم والمعاناة، على الرجاء، رجاء التبني بالنسبة للإنسان أي بلوغ درجة أولاد الله «لأن الخليقة نفسها أيضاً ستُعتَق من عبودية الفساد إلى

حرية مجد أولاد الله» (رو 8:21) لكي يتساوى بالنهاية مع ملائكة الله الذين يُدْعَوْن أيضاً «أبناء الله» ! «يكونون كملائكة الله» (مر 12:25) في المجد!!

وهكذا أعطى ق. بولس ـ برؤيته القوية ـ مستقبلاً للعالم يفوق تصوُّر أي نبي أو قديس في القديم أو الجديد، وأعطى معنى جديداً للباطل الذي يعانيه العالم الآن إلى أن يتخلَّص منه أو يبلغ

الخلاص منه، ويقيِّم الألم والتوجع بشبه الماخض وهي على أُهبة الميلاد لإنسان جديد، إنها الآلام التي يتمخَّض بها العالم إلى أن يولد بالفعل الإنسان الجديد الذي سيصبح ليس من هذا الباطل ولا تحت هذا الألم بعد: «متوقعين التبني فداء أجسادنا.» (رو 23:8)

هكذا يعطي القديس بولس معنىً واقعياً لتاريخ العالم، ولكن ليس كأنه تاريخ بلا غاية، فتاريخ العالم وإن كان واقعه معاناة، فالمعاناة ليست بلا معنى كإنسان يشقى بلا سبب، بل كأم تتألم لكي تلد!! فالعالم يتمخَّض بتاريخه لكي يلد تاريخاً جديداً بلا معاناة.

والذي يراه سفر الرؤيا في تغيير السماء والأرض إلى سماء جديدة وأرض جديدة، وكأنه يتم في لحظة في طرفة عين، وكأنها حادثة مروعة كالزلزال أو البركان أو الفيضان، ويراه ق. بطرس أنها نار تحترق: « والعناصر محترقة تذوب» (2بط 12:3)، يراه ق. بولس أنه حركة تتم داخل الإنسان يراها الإنسان ولا يراها الحيوان، حركة مواكبة للتغيير من صورة إلى صورة، ومن مجد إلى مجد، ومن عبودية الفساد إلى حرية مجد الله وأولاده. فلا قيمة لحرق الأرض بنار الله، ولكن القيمة العظمى هي في تطهير روح الإنسان بنار الله التي لا تحرق الحجر ولا تقوى على حرق الشجر، والعُلّيقة تشهد (خر 2:3)، ولكن تحرق كل ما هو غير قابل أن يتغيَّر ليصير كالله أو بحسب الله، لأنه هكذا أصلاً خُلق الإنسان ليكون، وخُلق عالمه يشهد لله.

أمَّا بذرة التغيير فقد رآها في نفسه أعظم ما رأى، وفي الحال انكشفت لعينيه المسيحية التي ترى بعين المسيح نفسه، فرأت بذرة التغيير هذه في الإنسان مهما كان. رآها في الأممي الذي يعبد الحجر والشجر وحتى في الذي ارتمى في عبادة الشهوات والنجاسات، فلا أحد قط خُلق بغير هذه البذرة، بذرة التغيير: «إذ معرفة الله ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم (مطبوعة على صفحة ضمائرهم) لأن أموره غير المنظورة تُرى منذ خلق العالم، مُدركَة بالمصنوعات، قدرته السرمدية ولاهوته حتى إنهم بلا عذر »(رو 1: 19و20)، «لأن الأمم الذين ليس عندهم الناموس متى فعلوا

بالطبيعة ما هو في الناموس، فهؤلاء إذ ليس لهم الناموس، هم ناموس لأنفسهم، الذين يُظهرون عمل الناموس مكتوباً في قلوبهم شاهداً أيضاً ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مشتكية أو محتجة.» (رو 2: 14و15)

كذلك ق. بولس لا يرى العالم يسير بقانون جبري كما كان ولا يزال، كما كان يؤمن بذلك الناس بكل طوائفهم قديماً، بل وكثيرٌ جداً من علمائه الآن، كما لا يرى الإنسان تسيِّره حظوظه أو نجومه كما كان يؤمن بذلك كل علمائه وكهنته وفلاسفته في القديم وكثيرون حتى الآن. فعند

القديس بولس العالم يخضع خضوعاً كاملاً بانسجام مطلق لمشيئة الله التي تدبِّره، وكذلك الإنسان يخضع لتدبير الله خضوعاً كاملاً دون أن يدري، والله يدبِّره لا بإرادة حديدية مقننة، بل بحرية إرادة، يرحم مَنْ يشاء ويقسِّي مَنْ يشاء، يعدُّ من الإنسان إناءً للكرامة وإناءً للهوان، لا عفوياً وإنما بحسب رؤية الله الشاملة وسَبْق معرفته المطلقة بمدى خضوع الإنسان لوحي الله وهاتف الخير الذي يبثُّه في قلبه: «قد جعلت قدامك الحياة والموت، البركة واللعنة. فاختر الحياة لكي تحيا» (تث 19:30). وحينما قال أحببتُ يعقوب وأبغضتُ عيسو وهما لا يزالان في البطن، فلأنه رأى عيسو يبيع البكورية ويحتقر نصيبه المقدَّس لله، البكر من الرحم!! لأن الماضي منظور عند الله والمستقبل حاضر أمامه. فالإنسان هو الذي يشير بحياته وأعماله إلى حرية الله لتنقل حكمها من الشمال إلى اليمين، كما يشير الله لإنسان أن ينقل أعماله من الشمال إلى اليمين. فإن كان الإنسان حرًّا في حياته وأعماله، فالله أيضاً حرٌّ في قضائه، يبرر الفاجر، ليجذب الإنسان إلى رحمة الله مهما اتسخت حياته وساءت أعماله!! ولكن «مَنْ أخطأ[65] إليَّ أمحوه من كتابي.» (خر 33:32)

الله هو الذي يضطلع بارتقاء الإنسان والتسامي بروحه، فالذي وضع ناموس النجس والطاهر ظهر لبطرس يأمره بأن يأكل من كل طيور السماء ودواب الأرض، وبطرس يقول لا يا رب لا آكل النجس، والرب يقول ما حلله الله لا تنجسه أنت. نعم فهو يحلِّل ما يشاء ويحرِّم ما يشاء وعلى الإنسان أن لا يشاء إلاَّ ما يشاء الله!! وأخيراً انصاع بطرس: « وأمَّا أنا فقد أراني الله أن لا أقول عن إنسان ما إنه دنس أو نجس.» (أع 28:10)

الله عند ق. بولس تبنَّى شعب إسرائيل ورذل الأمم، وعاد فرذل شعب إسرائيل وتبنَّى الأمم!! هو حرٌّ في هذا وفي ذاك، فلما تعالى شعب إسرائيل ببنوته لله ولم يُبق على بنوته في المخافة والأمانة والطاعة رُذل: «الابن

(65) الخطية المميتة.

يكرم أباه والعبد يكرم سيده فإن كنت أنا أباً فأين كرامتي وإن كنت سيداً فأين هيبتي قال لكم رب الجنود ...» (ملاخي 6:1)

ثم نظر الأمم فوجدهم قد بلغوا الذُّلّى في العبودية فرحمهم وتبنّاهم وطعَّمهم في أصل رحمته. وهو في غاية الاستعداد أن يعيد الاختيار والرذل إذا تاب الأول ولم يتب الثاني.

وهكذا تعمل حرية الله مع حرية الإنسان معاً لبلوغ منتهى قصد الله من رفعة الإنسان وتهذيبه لأنه يحبه!! وحرية الله مع سبق معرفته ثم اختياره، هذه الثلاث ركائز في التعليم اللاهوتي للقديس بولس هي التي تعامل بها الله مع العالم حتى بلغ به إلى المستوى الذي لاق بأن يرسل له ابنه ليعلن

رضاه ويؤسس خلاصه ويفتح أمامه الطريق لنقلته الأخيرة إلى ملكوته ومجده.

وهكذا لمَّا انحاز الله بكل قوته نحو الإنسان عندما بذل ابنه هكذا لخلاصه، أدرك ق. بولس هذا وهتف من أعماقه: «إن كان الله معنا فمَنْ علينا» (رو 31:8)، «الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء» (رو 32:8). وهكذا يرى ق. بولس أن الإيمان بما عمله الله كفيل بأن يورِّثنا كل ما عمل!!!

والله عمل معنا المستحيل لكي نؤمن بالمستحيل فننال ما هو كان أصلاً غير حق لنا: «ملكوت السموات يُغْصَب والغاصبون يختطفونه» (مت 12:11). «أمَّا الذي لا يعمل ولكن يؤمن بالذي يبرر الفاجر (المستحيل) فإيمانه يُحسب له براً!!!» (رو 5:4)

✞ ✞ ✞

تقسيم سفر الأعمال بحسب الشخصيات الرسولية أو بحسب نمو الكنيسة

أولاً: ينقسم سفر الأعمال، بحسب الشخصيات الرسولية التي يدور عليها، إلى قسمين:

القسم الأول: ويختص بأعمال بطرس الرسول (3-12).

القسم الثاني: ويختص بأعمال بولس الرسول (13-28).

ثانياً: كما ينقسم سفر الأعمال بحسب نمو الكنيسة إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: الكنيسة في حالة التصاق بالهيكل وتآخٍ مصطنع مع العبادة اليهودية: من الأصحاح الأول حتى الخامس. وقد انتهت هذه المرحلة بحادثة استشهاد القديس استفانوس

الأصحاح السادس والسابع.
المرحلة الثانية: الكنيسة تقع فريسة اضطهاد شرس من اليهود يدفعها للاتجاه نحو الأمم: من الأصحاح الثامن حتى الأصحاح الثاني عشر.
المرحلة الثالثة: الكنيسة ترسِّي قواعدها الدهرية في كافة أنحاء الأمم للأبد: من الأصحاح الثالث عشر حتى الأصحاح الثامن والعشرين.

شرح سفر الأعمال

الأصحاح الأول

1: 1ـ11): التمهيد ثم صعود الرب.

1: 12ـ14): ترقُّب الروح القدس بالصلاة والصوم وهم مجتمعون في العلية.

1: 15ـ26): اختيار الرسول الثاني عشر.

التمهيد ثم صعود الرب
[1:1-11]
أ ـ التمهيد (1:1-5)

1:1 «**الكلامُ الأولُ أنشأتُه يا ثاوفِيلُس عَنْ جميع ما ابتدأ يسوعُ يفعلُهُ ويُعلِّمُ بهِ».**

نحن نتمسَّك أشد التمسُّك بقول القديس بطرس: «عالمين هذا أولاً أن كل نبوَّة الكتاب ليست من تفسير خاص، لأنه لم تأتِ نبوة قط بمشيئة إنسان، بل تكلَّم أُناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس» (2بط 1: 20و21).

فإن كان هذا هو أمر النبوة في العهد القديم، فما بالك بإنجيل الله!

لذلك ينبغي أن ينتبه الذهن أننا هنا أمام الإنجيل المقدَّس، والمكتوب هنا هو بقيادة الروح القدس، وقد كُتب حسب المشورة الإلهية، فهو يختص بعمل المسيح وتعليمه.

وسوف يتضح لنا من تحليل الكلمات في مفهومها اليوناني أن **الكلام الأول** هو الإنجيل للقديس لوقا، وأن ما يقدمه ق. لوقا هنا هو المحسوب أنه الكلام الثاني أو اللاحق أو المكمِّل وهو سفر «الأعمال» وأن الاثنين عمل واحد، وهو ما ابتدأ الرب يسوع يعمله ويعلِّم به أثناء وجوده مع تلاميذه في مدة حياته على الأرض. ثم ما انتهى به الرب الروح من السماء من العمل والتعليم بواسطة تلاميذه بقيادة الروح القدس.

أمَّا عن شخصية ثاوفيلس هذا، فذلك لا يهمنا في شيء مهما كان هذا الإنسان عزيزاً، ففي الحقيقة لم يُكتب الإنجيل بوحي الروح القدس وتدبيره من أجل عزيز من الناس أو الأعزاء فقط، بل في الحقيقة كُتب لجميع المتعبين والمذلين والثقيلي الأحمال الطالبين راحة لأنفسهم، ولخطاة الأرض الذين يطلبون منه التوبة والنجاة ويتلمَّسون فيه نور الحياة. وإن كان ولا بد من ثاوفيلس فهو ثاوفيلس كل إنسان، الذي يعني «**محب الإله**» QeÒfiloj فهذا جيد وحق. ولمثل هؤلاء وحدهم يلزم الإنجيل!

«الكلام الأول»: prîton lògon

«الكلام»: lògon

الكلام هنا لا يعني مجرد كلام، بل في اليونانية يعني "كتاب" أو "دَرْج مكتوب (ملف)" ويُقاس لا بعدد صفحاته بل بطول شريط الرق الذي يُفرد ويُطوى: «ثم **طوى** السفر وسلّمه إلى الخادم وجلس» (لو 4 : 20). وكلمة lògon تفيد أكثر من دَرْج[66]، لذلك فكلمة لوجون lògon تعني مقالة من ملفين، أي دَرْجَيْن، الأول الإنجيل والثاني الأعمال وهو أكبر عمل في أسفار العهد الجديد.

«الأول»: prîton

ويعني باليونانية "السالف" في حالة وجود اثنين فقط، وهكذا فإن هذه الكلمة تعطي الانطباع في الحال أن بعد الأول ثانٍ. وهكذا فإن ق. لوقا يتكلّم هنا عن إنجيله الذي أكمله وأرسله بصفته الكتاب الأول الذي يحمل أعمال « يسوع» وتعليمه بين تلاميذه أثناء حياته على الأرض، وها هو أنشأ يكتب الثاني الذي يكمّل أعمال وتعاليم المسيح الرب من السماء بواسطة التلاميذ بقيادة الروح القدس وتدبيره. فهما عمل واحد في جزئين أو كتابين.

«أنشأته»: ™poihs£mhn

وتفيد العمل أو الإنشاء أو التعامل.

«يا ثاوفيلس»:

أتت هنا بدون اللقب الذي خاطبه به في بداية إنجيله «العزيز ثاوفيلس» وإذ يرفع ق. لوقا هنا التكلُّف ويخاطبه باسمه المجرد من اللقب فذلك يهمنا في أمر واحد وهو أن العمل هنا ملحق بالعمل الأول، أي الإنجيل، باعتبارهما عملاً واحداً[67].

«جميع ما ابتدأ»:

«جميع»: p£ntwn

هنا ليس القصد كل ما عمل وعلّم به الرب، وإلاّ استحال تسجيله في كتب، وإذا تسجّل فالعالم لا يسع المكتوب كقول يوحنا الرسول بالحق (يو 21:25). ولكن القصد هنا هو الجمع

---

(66) Bruce, II, p. 65.
(67) Ibid. p. 66.

وليس الجميع، أي جمع ما ابتدأ يعمله مع تلاميذه وهو على الأرض مع ما ظلّ يعمله بواسطة تلاميذه وهو في السماء.

«ابتدأ»: ½rxato

هنا يتكلّم ق. لوقا عن الإنجيل أنه يختص بما «ابتدأ» يسوع يعمل ويعلّم، وبالتالي يكون ما سيجيء في الأعمال هو ما استمر الرب يسوع من السماء يعمله ويعلّمه بواسطة تلاميذه بقيادة الروح القدس وتدبيره. ولنا في إنجيل ق. مرقس تطبيق جيد إذ يبتدىء إنجيله بقوله: «بدء ¢rc» إنجيل يسوع المسيح ابن الله» (مر 1:1) معتبراً أن هذا البدء إنما يحصر التاريخ بين تعليم المعمدان حتى القيامة.

ويلزم أن ينتبه القارىء أن كلمة "يبتدىء" هنا ذات توجيه معين، وهو يتناسب مع قول ق. لوقا: «كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ **البدء** معاينين وخداماً للكلمة» (لو 2:1)، كذلك قوله: «رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت **كل شيء** من **الأول** بتدقيق» (لو 3:1). وهذا لكي يفهم القارىء أن متابعة ق. لوقا في كتابته ليس أمراً هيناً، فهو فعلاً دقيق فوق العادة، كذلك أعطى التزاماً لنفسه أن لا يترك شيئاً قط إلاّ ويسجّله من أجلك أيها القارىء **العزيز.**

«يفعله ويعلّم به»: poie‹n te ka^ did£skein

بالنسبة لكرازة المسيح نجد تقدُّم العمل على التعليم، لأنه بالعمل استعلن ذاته أنه المسيَّا وابن الله، ثم بالتعليم كما جاء في (يو 38:10): «**ولكن إن كنت أعمل فإن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال**»، وفي (أع 38:10): «يسوع الذي من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة، الذي **جال يصنع خيراً ويشفي جميع المتسلّط عليهم إبليس** لأن الله كان معه»

والتعبير «يفعله ويعلّم به» تعبير متقن للقديس لوقا، فهو إنجيلي بحق لأن الإنجيل هو تعليم وعمل معاً وبآن واحد. فيستحيل أن يكون الروح بدون عمل إلهي ولا عمل إلهي بدون روح: "طوبى لمَنْ **عمل وعلّم**":

+ «كونوا **عاملين** بالكلمة لا **سامعين فقط** خادعين أنفسكم.» (يع 22:1)

+ «وأمَّا مَنْ **عمل وعلّم** فهذا يُدعى عظيماً في ملكوت السموات.» (مت 19:5)

وهذا في الحقيقة سر من أسرار التعامل مع الروح القدس، إذ يستحيل على إنسان أن ينال معرفة روحية من الله ويبقى بدون أن يعبّر عنها تعبيراً فعَّالاً ينقل فيه قوة الروح القدس التي نالها في هيئة معرفة ليقدمها للآخرين خدمة أو بذلاً أو حباً أو كرازة. لأن الروح القدس لا يُحصر إذ لابد

أن يعبِّر عن طبيعة الله التي فيه. فالإنجيل نور وحياة والكلمة فيه مضيئة وفعَّالة.
وهنا يتكشَّف لنا خطأ غير مقصود في تسمية سفر الأعمال «بأعمال الرسل» وهو في الحقيقة وبحسب النص المقصود والواضح الذي أورده ق. لوقا يكون هو أعمال المسيح من السماء أو الجزء الثاني من الإنجيل!! أو أعمال الروح القدس. أمَّا التلاميذ فكانوا عاملين بالروح وبدون الروح القدس ما كان ولن يكون لهم عمل يتمم إنجيلاً!!! (راجع صفحة 54 في المقدمة).

2:1 «**إلى اليومِ الذي ارتَفَعَ فيهِ بَعْدَمَا أوصَى بالرَّوحِ القُدُسِ الرَّسُلَ الذينَ اختارهُمْ**».
وهكذا يُدْرِجُ ق. لوقا في الكلام الأول الذي أنشأه أي الإنجيل المدة من أحد القيامة حتى يوم الصعود. وهكذا أدخل الأربعين يوماً بعد القيامة ضمن خدمة المسيح وهو حي على الأرض، وبالتالي يكون قد أكَّد أن المسيح كان حيًّا فيها وكان عاملاً ومعلّماً تماماً على مستوى ما قبل الصليب. وهذه الشهادة المؤكدة لها وزنها العالي.
أمَّا الذي يتميَّز به سفر الأعمال عن تسجيل ق. لوقا في إنجيله لهذا اليوم الأخير، أي يوم الصعود، فهو الوصية التي أوصى بها الرب تلاميذه ـ وقد اعتبرهم هنا رسلاً ـ وأعطاهم وصية **خاصة بالروح القدس**، وبأن واحد أوصاهم، وكأن الوصية **كانت بالروح القدس أيضاً**، إذ يصعب فصل المعنيين بعضهما عن بعض. ويقول العالِم هـ. أ. و. ماير[68] إن النسخة المخطوطة المسمَّاة "بيزا" جاء فيها بوضوح أن المسيح أوصى تلاميذه بالروح القدس الذي فيه: «أمَّا يسوع فرجع من الأردن ممتلئاً من الروح القدس» (لو 1:4)، «ولمَّا قال هذا نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس.» (يو 22:20)
وهذا اليوم جاء تسجيله كاملاً في الإنجيل هكذا:

(أ) «وقال لهم هكذا هو مكتوب وهكذا كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث.
(ب) وأن يُكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مُبْتَدأً من أورشليم ـ وأنتم شهود لذلك.
(ج) وها أنا أرسل إليكم موعد أبي. فأقيموا في مدينة أورشليم إلى أن تُلبَسُوا قوة من الأعالي.

---

(68) H. I. W. Meyer, *Acts,* p. 25.

وأخرجهم خارجاً إلى بيت عنيا ورفع يديه وباركهم.
وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وأُصعد إلى السماء.» (لو 24: 46-51)

واضح هنا أن الآية (أ) تحمل مضمون الإنجيل أو صيغة الكرازة،
الآية (ب) العمل الذي أوكله للرسل لبدء الخدمة والشهادة من أُورشليم ثم الأمم،
الآية (ج) الوعد بإرسال الروح القدس، والوصية بانتظار الروح القدس.

هذه الآيات الثلاث اختتم بها المسيح عمله وتعليمه على الأرض وأُصعد إلى السماء. وبهذا دخلت الآية (ب)، (ج) في صميم سفر الأعمال. ثم عاد ق. لوقا واختصر هذه الآيات في آية واحدة وذلك كمطلع لسفر الأعمال هكذا:

+ «إلى اليوم الذي ارتفع فيه بعدما أوصى بالروح القدس **الرسل** الذين اختارهم.» (أع 1:2)

ثم عاد وكررها أيضاً هكذا:

+ «وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لا يبرحوا من أُورشليم بل ينتظروا موعد الآب الذي سمعتموه مني.» (أع 1:4)

ثم عاد مرة أخرى ليوضح هذا الأمر بتفصيل ويبيِّن رد الرب على أسئلة التلاميذ من (1:6-8).

وبهذا التكرار المقصود يتضح أن المسيح سلَّم الكنيسة بنفسه وهو على الأرض بداية خدمتها بعد أن أخرجها إلى الوجود من بطن الأزلية، في عملية ميلاد رفيع المستوى بواسطة الروح القدس، لتأخذ بدء حياتها على الأرض وتخط أول يوم من أيامها الخالدة السماوية.

والقارىء اللبيب لن يغيب عنه اللغة السرية التي يتكلَّم بها المسيح والتي تكشف بالحق نوع هذا الميلاد العذري للكنيسة، فهي أُم وهي عذراء بآن واحد، فانظر وتمعَّن:

+ «فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً؟

فأجاب الملاك وقال لها: **الروح القدس يحل عليكِ، وقوة العلي تظللكِ** فلذلك أيضاً القدوس المولود منكِ يُدعى ابن الله.» (لو 1: 34و35)

وهو نفس ما قاله المسيح لتلاميذه ورسله القديسين هكذا:

+ «لكنكم **ستنالون قوة، متى حلَّ الروح القدس** عليكم وتكونون لي شهوداً.» (أع 1:8)

فحلول الروح القدس تتبعه حتماً قوة تظلل ليولد المسيح من بطن عذراء فيكون الإنجيل.
وهو بعينه الروح القدس الذي تتبعه قوة لتولد الكنيسة من بطن عذراء عفيفة مخطوبة لرجل

واحد فيكون الإنجيل.

إنه إبداع في التصوير والطباق لا يلحظه الزمن، ولكن ق. لوقا هو الذي نطق بهذه الأحجية في بدء الإنجيل وبدء الأعمال تماماً على طباق واحد ومساواة، وبسرّية ملفوفة بالروح القدس!

فالمولود الأول، ابن الله، دُعي قدوس الله لأنه مولود من الروح القدس وبقوة من الأعالي.

والمولود الثاني، الكنيسة، دُعيت مقدَّسة لأنها من الروح القدس وُلدت وبقوة من الأعالي.

المولود الأول، مسيح الله، وُلد **من** بشر ـ العذراء مريم ـ بعد أن تقدَّس وتقوَّى بقوى السماء.

والمولود الثاني، كنيسة الله الحي، وُلدت **في** بشر ـ رسل ـ بعد أن تقدَّسوا وتقووا بقوى السماء.

ولم تزل العلامات تسير في تطابق.

ففي الأول ـ الطفل يسوع ـ كان بالأيام ينمو ويتقوى بالروح: «وكان الصبي **ينمو ويتقوى بالروح ممتلئاً حكمة** وكانت **نعمة** الله عليه.» (لو 2:40)

وفي الثاني ـ الكنيسة في المهد ـ كانت بالأيام تنمو وتتقوى بالروح:

+ «فكان لها **سلام** وكانت **تُبنى** وتسير في خوف الرب **وبتعزية الروح القدس كانت تتكاثر.**» (أع 9:31)
+ «مُسبِّحين الله **ولهم نعمة لدى جميع الشعب.**» (أع 2:47)

كان ق. لوقا يكتب هذا وهو يدري مدى القوة السرِّية التي تربط المسيح بكنيسته، وكأنه يرى رؤيا في مرآة الزمن الذي لم يكن قد أتى بعد. في الأول يرى الكنيسة في المسيح، وفي الأعمال رأى المسيح في الكنيسة.

ونتمنَّى أن لا يفوت على القارىء لمسات ق. لوقا الخفيفة التي يلقها السر وتنبثق منها معاني عميقة وكثيرة. ففي كل "ما أنشأه في الأول ليخبر به ثاوفيلس" كان لقب تابعيه الذين اختارهم اثني عشر، وكانوا يُدعَوْن **بالتلاميذ،** حيث التلميذ يتبع معلمه خطوة بخطوة. ولكن لمَّا نوى المعلّم أن ينطلق ليصير الرب الروح من السماء دعا تلاميذه **وأرسلهم،** فدُعُوا من هذه اللحظة **رسلاً،**

وودَّعوا التلمذة بذكرياتها الخالدة، وحملوا نير الرسالة والعمل والتعليم فصاروا رسلاً ومعلمين ليتلمذوا بدورهم الأمم: «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم...» (مت 19:28)

فلمَّا كانوا تلاميذاً كانوا في حضن الرب المعلّم، فلا ضير أن يكون فيهم واحد شيطاناً، لأن الرب وحده هو الذي سيتلقّى السهم المسموم عنهم وهو له على استعداد، بل واستطاع أن يحوّله إلى سهم من النور والحياة. ولكن أن يكون في وسط الرسل شيطانٌ فهذا محال، فقد أسقطه من السماء ومن وسطهم قبل أن يرسلهم: «ظافراً بهم فيه (الصليب)» (كو 15:2). فلم يعد له بين الرسل مكانٌ. والذي حلَّ محل يهوذا، يذكره سفر الأعمال أنه متياس (1: 15ـ26). كما يذكر أيضاً بولس وبرنابا (14:14) والاثنان من اختيار الروح القدس (2:13). ولكن عاد المسيح نفسه واختار بولس إناءً مختاراً وأرسله تحت قيادته (21:22)! فبولس الرسول رسول (1كو 1:9) على قدم المساواة مع بطرس الرسول قامة بقامةٍ وإنجيلاً بإنجيلٍ:

+ «إذ رأوا (الرسل) أني **اؤتمنت على إنجيل الغرلة، كما بطرس على إنجيل الختان.** فإن **الذي عمل في بطرس لرسالة الختان، عمل فيَّ أيضاً للأمم.**» (غل 2: 7و8)

3:1 «الذين أراهم أيضاً نفسَه حيًّا ببراهينَ كثيرةٍ بَعْدَما تألَّمَ وهو يَظهرُ لهم أربعينَ يوماً ويتكلَّمُ عن الأمورِ المختصةِ بملكوتِ اللهِ».

«الذين أراهم أيضاً نفسه حيًّا ببراهين كثيرة»:

فعلاً فإن ق. لوقا على حق، فلو جمعنا عدد الظهورات التي أعلن فيها المسيح نفسه حيًّا لتلاميذه، سواء من الأناجيل أو من رسالة كورنثوس الأُولى (15: 5ـ9) لوجدناها أكثر من العشر مرات تمت في اليهودية وفي الجليل. أمَّا المرات التي يذكرها بولس الرسول: «وإنه ظهر لصفا (بطرس)، ثم للاثني عشر، وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمائة أخ أكثرهم باقٍ إلى الآن ولكن بعضهم قد رقدوا، وبعد ذلك ظهر ليعقوب ثم للرسل أجمعين، وآخر الكل كأنه للسقط ظهر لي أنا، لأني أصغر الرسل...» (1كو 15: 5ـ9). ولكن ق. بولس أسقط ظهور الرب لمريم المجدلية وللمريمات مرة أخرى، وظهوره لتلميذي عمواس وللتلاميذ مرة أخرى في الثامن (الأحد الثاني بعد القيامة)، وظهوره للتلاميذ مرة أخرى على بحيرة طبرية.

وواضح أن ظهوره حيًّا بعد الآلام، أي الصلب والتعذيب والموت، كان تثبيتاً للقيامة وقوتها ومجدها، وإظهاراً لسلطانه على إقامة نفسه من الموت حسب قوله: «لي سلطان أن أضعها ولي

سلطان أن آخذها أيضاً» (يو 10:18)، وبالتالي سلطانه على الإقامة من الأموات بالنسبة للذين يؤمنون به ويرقدون على رجاء القيامة، بل وتحقيقاً لقوله: «أنا هو القيامة والحياة. مَنْ آمن بي ولو مات فسيحيا. ومَنْ كان حيًّا وآمن بي فلن يموت إلى الأبد» (يو 11: 25و26). بل وتوضيحاً ما بعده توضيح لنوع الجسد الذي سنلبس مثله في القيامة: «الذي سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده» (في 21:3)، ممكن أن يُرى وممكن أن لا يُرى، يعبر خلال الأبواب المغلقة، ويحمل آثار تعذيبه وجروحه، يصعد به إلى السماء بلا صعوبة أو عناء كونه أخف من السحابة التي تحمله؛ ويطل علينا من السماء. ثم تثبيتاً لإيماننا أننا نعبد إلهاً حيًّا في السماء، وتوثيقاً لقوله: «أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت 20:28)، ثم تحقيقاً لقوله: «إني أنا حي فأنتم ستحيون» (يو 19:14)، وتصديقاً لقوله: «بعد قليل لا يراني العالم أيضاً وأمَّا أنتم فترونني» (يو 18:14)، « وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليَّ الجميع» (يو 32:12)، «بعد قليل لا تبصرونني ثم بعد قليل أيضاً ترونني لأني ذاهب إلى الآب.» (يو 16:16)

وفي الحقيقة إن ظهورات الرب على مدى الأربعين يوماً كانت بحد ذاتها كرازة محقّقة ومؤكّدة لكل ما قال ونادى به المسيح على مدى خدمته كلها. كذلك كانت كرازة من نوع جديد، فهي كرازة الرب الروح مخاطباً نفوس وأرواح التلاميذ القديسين ـ وكما سيأتي ـ انحصرت في الكرازة بملكوت الله. وهكذا لم يعد الكلام عن ملكوت الله مجرد كلام يحتاج إلى توضيح أو إثبات، فهو كان في ملء ملكوته متحدثاً من فوق نصرته على العالم والموت والشيطان. لأن الموت ـ بعد أن قام ـ لن يسوده بعد لأنه طواه تحت قدميه هو ومن له سلطان الموت وذلك لحظة أن قام من بين الأموات.

«ببراهين كثيرة»: pollo‹j tekmhr…oij

هذه الكلمة تترجم بحسب اليوناني الصحيح «علامة مُلزمة» وهكذا تكون «بعلامات ملزمة» [69] وهي أوقع من كلمة «براهين» فقط. فالأفضل أن تكون «ببراهين لا تقاوم» [70]. وهذا حقيقي، فسوف نرى أن من ضمن هذه البراهين وضع توما إصبعه في جنب الرب، وأكل المسيح القائم من بين الأموات وشربه مع التلاميذ.

إذاً فقول ق. لوقا هنا «ببراهين كثيرة» يقصد ما صنعه مع القديس توما التلميذ والرسول بعد

([69]) Bruce, II, p. 67.

([70]) R. B. Rackham, *Acts of Ap.* p. 4.

ذلك كاشفاً له جروحه برؤيا واضحة وبحالة استعلان، إذ رأى الجروح ومجد المجروح معاً وبآن واحد، ففزع توما وصرخ «ربي وإلهي» ثم لمَّا وجد التلاميذ خائفين وجزعين ظانين أنه روح، أكل معهم وشرب، فكانت قمة التأكيدات التي أخذت بلُبِّ بطرس الرسول وظل يذكرها ويؤكد عليها أنه قام حياً ورأيناه وأكلنا معه: «هذا أقامه الله في اليوم الثالث وأعطى أن يصير ظاهراً ليس لجميع الشعب بل لشهود سبق الله فانتخبهم، لنا نحن الذين أكلنا وشربنا معه بعد قيامته من الأموات.» (أع 10: 40و41)

ويذكر القديس يوحنا الرسول ظهوره المفاجىء على بحيرة طبرية بعد رحلة صيد فاشلة أمضى فيها التلاميذ الليل كله في طرح الشباك وجمعها بلا طائل حتى ولا سمكة واحدة، ولمَّا أتوا قرب الشاطىء رأوه وهم في منتهى خجلهم إذ ضبطهم وهم يصطادون سمكاً، بعد أن كان قد قال لهم «هلموا لأجعلكم صيادي الناس» ولكنه تحنَّن كطبعه وقال لهم أن يرموا الشباك، فرموها فاصطادوا، وكانت هذه أيضاً أحد البراهين التي أراهم نفسه بها، لكي يعلموا أنه لا يزال ولن يزال يتابعهم من وراء حجاب العالم ويؤازرهم في ليالي أحزانهم التي تنتظرهم.

«بعدما تألم»: paqe‹ n

ذكرها ق. لوقا في (أع 17 : 3)، (أع 26 : 23) ولكن أول مَنْ ذكرها كان هو الرب معبراً بها عن صلبه والتعاذيب التي عاناها كما جاء في إنجيل ق. لوقا وهو يخاطب تلميذي عمواس: «أمَا كان ينبغي أن المسيح **يتألم** بهذا ويدخل إلى **مجده**» (لو 24 : 26). وارتباط "**الألم**" "**بالمجد**" هنا ذو رنين قوي في قلب القديس بولس: « إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضاً معه» (رو 8 : 17). وهكذا ارتبطت الآلام بالمجد في التعاليم الرسولية، وأول مَنْ نادى بها هو بولس الرسول. وكلمة «ينبغي» هنا معناها الحرفي «يتحتمmust» . فكأن الآلام في الإيمان المسيحي تحتِّم باستحقاق المجد إن كانت حقاً على مستوى آلام المسيح.

والآلام عند القديس بطرس ذات دلالة عالية القيمة، فهي على مستوى ما قاله المسيح وما نادى به ق. بولس: « باحثين أي وقت أو ما (حال) الوقت الذي كان يدل عليه روح المسيح الذي فيهم (الأنبياء) إذ سبق فشهد **بالآلام** التي للمسيح **والأمجاد** التي بعدها» (1بط 1:11)، ثم عاد وطبَّق مثل بولس الرسول:

+ «كما اشتركتم في **آلام المسيح** افرحوا لكي تفرحوا في استعلان **مجده** أيضاً مبتهجين» (1بط 4:13)

+ «إن عُيِّرتم باسم المسيح فطوبى لكم لأن روح المجد والله يحل عليكم» (1بط 14:4)
+ «فإن الذين **يتألمون** بحسب مشيئة الله فليستودعوا أنفسهم كما لخالق أمين في عمل **الخير**.» (1بط 19:4)
+ «أنا الشيخ رفيقهم والشاهد **لآلام** المسيح وشريك **المجد** العتيد أن يُعلن.» (1بط 1:5)

«وهو يظهر لهم أربعين يوماً ويتكلَّم عن الأمور المختصة بملكوت الله»:

هذا نص غاية في الأهمية، فهو النص الوحيد في جميع الأسفار الذي يوضح أن الصعود تمَّ بعد القيامة بفاصل زمني محدد بأربعين يوماً[71]. ولقد كانت هذه الفترة الزمنية وغير الزمنية بآن واحد فرصة عجيبة وفريدة لن تتكرر في حياة الإنسان. لأن ظهور الرب وهو في حالة قيامة ليعلّمهم ما هي القيامة أمر مدهش حقاً، فهو تعليم على الواقع. أمَّا لماذا هذا التأكيد فلأن التلاميذ أصبحوا رسلاً وقد وضع الرب على عاتقهم أن يبشّروا بقيامته. وليس فقط بظهوره قائماً من الموت يصير البرهان الذي لا يقاوم لدى الرسل المبشرين بالقيامة، بل وبما سلّمهم من كل ما يمت للقيامة من تعاليم أودعوها في الأناجيل وسلّموها شفاهاً، التي جاءت في تعليم الرسل.

وليست القيامة فقط هي التي تحققت بهذه الظهورات، بل والآلام والصلب والموت لأنه ظهر بجروحه المميتة. إذاً فبرهان الصلب قائم مع برهان الموت حتماً.

وبهذا التعليم القائم على الرؤيا واللمس والنظر، والرب واقف أمامهم ميتاً وحيًّا بآن واحد: «أنا هو الأول والآخر والحي وكنت ميتاً وها أنا حي إلى أبد الآبدين» (رؤ 1: 17و18) يكون الدرس الأساسي في التعبير عن ملكوت الله. وهو الإيمان بموت الرب وقيامته المنظورَيْن والمشاهدَيْن بالعين والإيمان معاً، لأن الرب نفسه هو الذي يتكلَّم عن موته الذي مات وعن قيامته وهو قائم. هنا قمة البرهان والتأكيد الذي صار لحساب الإيمان. هذه هي الأمور المختصة بملكوت الله، بل هي الأخبار السارة، وهي الإنجيل بعينه!

هذا يعني أن التلاميذ استلموا عقيدة القيامة على الواقع المنظور بل والمشروح بكل دقائقه من فم الرب وهو قائم من الموت. بهذا صار الإنجيل والبشارة بالأخبار المفرحة بالنسبة للتلاميذ خبرة حيَّة

---

(71) وهذه ذات قيمة كبرى لدى الذين يؤمنون بأن الروح تمكث أربعين يوماً على الأرض وبعدها تنطلق إلى مقرها الخاص بها، ومن هذا المعتقد أخذت الكنيسة القبطية إقامة تذكار الأربعين للنفوس المنتقلة تقيمه بالصلاة لراحة النفس، ولا يوجد أي سبب لنقض هذا التقليد أو برهان يثبت أنه غير تقليدي.

وليس مجرد تعليم أو مبادىء مكتسبة بالفكر. هذه الخبرة الحية بالقيامة كما استلموها من القائم من الأموات بنفسه، دخلتهم كقوة، فذاقوا القيامة قبل أن يبشروا بها، وأدركوا ماهية ملكوت الله بأفراحه قبل أن يسلّموه للآخرين. وهذا كان قصد الرب من الظهور لهم أربعين يوماً يتكلّم عن الأمور المختصة بملكوت الله لأنهم رسله وقد حمَّلهم المناداة بالملكوت الذي عاينوه وذاقوه. بهذا صار الإنجيل في أفواه التلاميذ قوة تحمل فعلها وتأثيرها في كل من يسمعه، لأنهم كانوا يبشرون بما رأوه وسمعوه بل وذاقوه بل وتقووا بقوته: «فدعوهما (بطرس ويوحنا) وأوصوهما أن لا ينطقا البتة ولا يُعلّما باسم يسوع. فأجابهم بطرس ويوحنا وقالا: إن كان حقاً أمام الله أن نسمع لكم أكثر من الله فاحكموا. لأننا نحن **لا يمكننا أن لا نتكلّم بما رأينا وسمعنا**.» (أع 4: 18-20)

«ملكوت الله»: Basile…aj toà qeoà

حينما بدأ المسيح خدمته نادى قائلاً: «توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات» (مت 4 : 17). وملكوت الله هو ملكوت السموات، ولكن في التقليد الأرامي كان يحذر النطق بكلمة الله بـlâhâ مع كلمة «ملكوت» فكانوا يضعون بدلها ما يعبِّر عن سمو الكلمة فقط فجعلوها ملكوت السموات Shêmayya وهي المكان الذي فيه الله تجنبًّا من ذكر اسمه[72].

وواضح أن في كرازة المسيح بملكوت الله أن الملكوت قد اقترب فقط، لأنه كان ما يزال هناك مسافة طويلة حتى يبلغ الصليب والقيامة، ولكن الآن وهو قائم من الأموات فقد صار ملكوت الله منظوراً وملموساً وكائناً به وفيه وهو في حالة مجد القيامة. فهو كان يكلّمهم عن نفسه، عن قوة موته الذي مات وقوة قيامته التي هو فيها قائم. فهو كان في الحقيقة يسلّمهم قيامته وكأنه يُدخلهم ملكوته ليبشّروا بما رأوه وبما سمعوه.

لذلك نسمع في نهاية هذا السفر المبارك أن ق. لوقا يجمع الأمور الخاصة بملكوت الله، والأمور الخاصة بالرب يسوع وكأن الثانية تشرح الأولى وذلك في آية واحدة: «كارزاً بملكوت الله ومعلّماً بأمر الرب يسوع المسيح بكل مجاهرة» (أع 28:31). كذلك في مكان آخر: «ولكن لمَّا صدَّقوا فيلبس وهو يبشر بالأمور المختصة بملكوت الله وباسم يسوع المسيح اعتمدوا رجالاً ونساءً.» (أع 8:12)

والقارىء اللبيب لا يغيب عن ذهنه ما اختبره القديس بولس أيضاً، فقد رأى المسيح الرب الروح من السماء رؤيا العين فعاين القيامة عياناً بياناً، فاحتوته واحتواها فصار إناءً مختاراً حاملاً

---

(72) Bruce, II, p. 68.

اسم الرب، أي أقنومه، يكرز به قائماً من الأموات صاعداً ومستقراً في مقر ملكه: «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ (كإناء).» (غل 20:2)
بهذا نفهم أن تعاليم المسيح خلال الأربعين المقدَّسة قبل الصعود كانت تتركز بشدة في الربط بين المسيح والملكوت، أي **أمور المسيح** الخاصة بموته وقيامته، **وأمور الملكوت** الخاصة بالإيمان بموته وقيامته. لأن البشارة بموت المسيح وقيامته هي جوهر الإيمان بالمسيح، وعملياً هي الاتحاد بالمسيح في موته وقيامته، إنْ بالمعمودية أو بالإفخارستيا، وهذا هو التأهيل لملكوت الله. هذا التعليم بالذات نحن أخذناه من الرسل، من الإنجيل، ومن الرسائل وهو هو بعينه الذي استلمه الرسل من المسيح رأساً.
ولا شك أننا نجد في هذا التعليم نوعاً من السمو في فهم المسيح وتعليمه، وهذا بعينه هو سبب ما قاله المسيح قبل الصلب مباشرة: «إن لي **أموراً كثيرة** أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن» (يو 12:16). وهذه هي بعينها الأمور المختصة بملكوت الله**!!** وقبل الموت والقيامة كان من الصعب جداً أن يفهمها التلاميذ أو يحتملوها: «إن هذا الكلام صعب مَنْ يقدر أن يسمعه» (يو 60:6). ولكن الآن، والمسيح قد جاز الموت بجدارة وقام بمجد عظيم، قد صار الكلام عن الأمور المختصة بملكوت الله، التي هي بعينها المختصة به هو في موته وقيامته، أموراً واقعة تشرح نفسها. إذاً فالمسيح قبل الصليب احتجز كل المعرفة العالية والتي تسمو على الذهن والنفس التي لم تعاين القيامة لكي يقدمها لهم في الزمان المناسب.
وفي الحقيقة واضح أمامنا الآن أن في هذه الأربعين يوماً بعد القيامة لم يستخدم الرب طريق تعاليمه التي درج عليها تلاميذه وكانوا معوقين في الفهم وأغاظوه مرات كثيرة حتى قال لهم: «أحتى الآن لا تفهمون... كيف لا تفهمون...» (مت 16: 9و11). ولكن في مدة الأربعين عمل الرب عملاً جديداً وعظيماً في التلاميذ إذ «حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب وقال لهم هكذا هو مكتوب وهكذا كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث. وأن يُكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا **لجميع الأمم** مبتدأً من أورشليم. وأنتم شهود لذلك. وها أنا أرسل إليكم موعد أبي...» (لو 24: 45-49). هذا بعينه ما تم في الأربعين: فتح ذهنهم وأخذ يعلّمهم معنى موته ومعنى قيامته، وكيف أن هذه ستكون هي موضوع بشارتهم **للأمم.**
ويلاحِظ القارىء أن عقيدة التوبة ومغفرة الخطايا والكرازة للأمم هذه كلها مسلّمات الأربعين

يوماً التي دخلت في صميم لاهوت الكنيسة وليتورجيتها كأساس الإيمان ودعائم ملكوت الله. وبطرس الرسول يشرحها كما استلمها من المسيح رأساً هكذا: «هذا أقامه الله في اليوم الثالث. وأعطى أن يصير ظاهراً، ليس لجميع الشعب بل لشهود سبق الله فانتخبهم. لنا نحن الذين أكلنا وشربنا معه بعد قيامته من الأموات. وأوصانا أن نكرز للشعب ونشهد بأن هذا هو المعيَّن من الله دياناً للأحياء والأموات... إن كل مَنْ يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا.» (أع 10: 40-43)

وإن كان بقيامة الرب من بين الأموات أعلن مجيء الملكوت ليكون موضوع البشارة في العالم،
فبمجيء الرب الثاني يُستعْلن الملكوت ليكون موضوع الحياة الأبدية ونهاية العالم.
فالآن تحققت لدينا الحياة الأخرى لنعيشها بالإيمان والرجاء،
وبمجيء المسيح الثاني نعيش ما تحققناه ونحقق إيماننا ورجاءنا!!

4:1 «**وفيما هو مجتمعٌ معهم أوصاهُم أن لا يَبْرَحُوا من أُورشليمَ بل يَنتظِرُوا مَوْعِدَ الآبِ الذي سَمِعْتُمُوه منِّي».**

يبدو هنا واضحاً أنه كان ظهوراً خاصاً تعيَّن لإعطاء هذه الوصية.

«مجتمع معهم»: sunalizÒmenoj

الكلمة اليونانية في معناها المعتاد تعني «مجتمع معهم»

ولكن كثيراً من الشرَّاح القدامى والمحدثين أخذوها بمعنى خاص على اعتبار أنها مشتقة من كلمة ¤lj = ملح[73] فيكون معناها «فيما كان يأكل ملحاً معهم» ويؤيد ذلك أنها جاءت في الترجمة السريانية الهرقلية mith mallah أي «يأكل ملحاً معاً» وفي الترجمة السريانية البشيتا "ekhal amhun lahma" أي يأكل خبزاً معاً.

وكثير من الآباء أخذوها بهذا المعنى ومنهم القديس يوحنا ذهبي الفم الذي يقول:

[من أجل هذا بقي معهم أربعين يوماً على الأرض متخذاً من طول المدة إعطاءهم فرصة للتأكد من رؤيته في شكله العادي حتى لا يتوهموا أن الذي يرونه خيالٌ. بل ولم يكتف بهذا بل أضاف البرهان الآخر وهو الأكل معهم على مائدتهم وهذا يشير إليه الكاتب (ق. لوقا) بقوله: «وبينما هو على المائدة معهم **أوصاهم**» وهذا اتخذه الرسل على أنه برهان

---

(73) Bruce, I, p. 68, Bruce, II, p. 36.

معصوم عن الخطأ لصحة القيامة حتى قالوا: «نحن الذين أكلنا وشربنا معه بعد قيامته...» (أع 41:10)][74]

وكانت هذه القراءة معروفة عند الآباء.

ونحن نرى أن هذه القراءة تمتُّ بصلة للتصريح التقليدي الذي قال به القديس بطرس: «نحن الذين أكلنا وشربنا معه بعد قيامته من الأموات.» (أع 10: 40و41)، (لو 42:24)[75]

وهنا نستحضر إلى ذهننا المواقف الكبرى التي أبرم الله فيها المواعيد مع الإنسان: فإبراهيم أبرم الله معه ميثاقه على ذبائحه (تك 15:9-11)، ثم في وليمة مع الثلاثة الملائكة (تك 18:1-8)، ثم مع إبراهيم في ذبيحة ابنه التي تحولت إلى الخروف الممسوك بقرنيه (تك 22:9-14)، ، ثم بركة إسحق ويعقوب على ذبيحة (تك 27:1-29)، ثم الخروج من مصر على ذبيحة فصح (خر 12:21-29)، ثم الإنجيل على ذبيحة ابنه (يو 16:3)، وهكذا وعدُ الروح القدس مع تلاميذه لاق به فعلاً أن يكون على وليمة أكل غير دموية!!

وأخيراً وأعظم من الكل نوال الروح القدس من داخل ذبيحة ابنه، ذبيحة الشكر، جسده المقدَّس الذي يُقدَّم على الدوام.

ثم لماذا الأكل دائماً كمصدر للنعمة والتقديس والشركة والحياة؟ نعم لأنه بالأكل سقط آدم وتلوثت جبلته، ومن خلال الأكل قبلَ اللعنة والموت فكان يتحتم أن بالأكل تدخل النعمة وتتقدس الجبلة ويدخل الروح ويحيا الإنسان.

ويبدو لنا أنه كان الاجتماع الأخير، لأن الرب أعطاهم فيه الوصية الأخيرة للملكوت في أورشليم.

والسؤال: وماذا بالنسبة للروح القدس الذي نفخه في تلاميذه بعد القيامة وقال لهم: «اقبلوا الروح القدس» (يو 22:20)؟

يقول في ذلك العالم ماير إن هذا العطاء كان جزئياً[76]. ونحن نرى أن الروح لا يُعْطَى بتجزُّؤ،

---

(74) Chrysostom., *op. cit.,* p. 5.

(75) R. B. Rackham, p. 4.

(76) H. I. W. Meyer, *Acts,* p. 26.

والمعمدان قالها بوضوح إنه «ليس بكيل يعطي الله الروح» (يو 3:20). وإنما التلاميذ أخذوا بنفخة الرب القائم من الأموات روح القيامة **كقوة تجديد** شخصي، أمَّا يوم الخمسين فقد حلَّ عليهم **الروح القدس أقنومياً**، ليس لعمل شخصي بل لعمل جماعي، وحَّدهم معاً ككنيسة لتولد بهم وفيهم الكنيسة مجتمعين: «لأني خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح» (2كو 11:2). لاحظ أنهم كجماعة صاروا **كعذراء واحدة** عفيفة أخصبها المسيح بالروح لتلد الكنيسة جسده، كنيسة واحدة وحيدة لأن الجسد واحد وحيد.

«ينتظروا موعد الآب»:

هذه وصية قائمة بذاتها، أي يكونون في حالة صلاة وانتظار، أي ترقُّب حلول الروح القدس. بمعنى أن لا يباغتهم الروح بل يكونوا على استعداد لاستقباله، لأن هذا الوضع بالذات يجعلهم مهيئين أكثر لقبوله. وواضح أن الرب لم يحدد لهم ميعاد حلوله، لأن المعروف في طبيعة عمل الله والروح القدس أنه لا يمكن تحديد مواعيد تحرك النعمة والروح. فالروح يهب حيث يشاء وملكوت الله لا يأتي بمراقبة. فالمطلوب فقط أن لا يكونوا غير مستعدين، بل في حالة صلاة واستعداد.

والملاحَظ أن كلمة «موعد» لم يستخدمها إلاَّ ق. بولس لأن ق. يوحنا حينما ذكر مجيء الروح القدس أثناء حديثه بعد العشاء لم يذكر كلمة «الموعد» وينبغي أن لا يفوت على القارىء أن هذا «الموعد» أي حلول الروح القدس كشف عنه ق. لوقا أنه هو «العماد بالروح القدس» بالنسبة لتلاميذ الرب.

«الذي سمعتموه مني»:

الحديث هنا يتغيَّر من المخاطب الغائب للمخاطب الحاضر، وهذا أسلوب واقعي درامي ينقله ق. لوقا بحاله الذي سمعه، وهذا يعطي لرؤية ق. لوقا هنا الأصالة والدقة والأمانة في النقل والتبليغ.

ولكن السؤال هنا، متى سمعوا منه عن هذا الموعد؟ هنا تبرز أهمية إنجيل ق. يوحنا، فهو الوحيد الذي يذكر وعد الرب بحلول الروح القدس بعد انطلاقه وذلك في حديث ما بعد العشاء الأخير في خمسة مواضع (يو 14-16)، وهي التي تمت بالفعل في سفر الأعمال واستعلن حلوله وأعماله (أع 1-15)

بهذا نرى أن حلول الروح القدس دُعي **بموعد الآب**، وبذلك تم الربط بين **العهد القديم** الذي جاء فيه الوعد واضحاً في سفر إشعياء النبي (15:32؛ 3:44) وفي سفر يوئيل النبي (2: 28-32)، وبين **العهد الجديد**. ثم إن **وعد المسيح** بإرسال الروح القدس من عند الآب **كان هو**

الرباط بين الإنجيل والأعمال. والجميل أن وعد الآب بالأنبياء تحقق في الإنجيل بحلول الروح القدس على العذراء وميلاد المسيح، ووعد المسيح بالإنجيل تحقق بحلول الروح القدس على التلاميذ بميلاد الكنيسة. وهكذا تثبتت «مواعيد الله الحقيقية غير الكاذبة» ! وهذه كلها تأخذ أصولها وبدايتها هناك، هناك في إبراهيم الذي بإيمانه نال المواعيد التي تحققت في نسله (بالمفرد) ونسله هو المسيح!! وهكذا عاش الإنسان تحت مظلة من مواعيد الله التي تركزت واستقرت بالنهاية في الكنيسة التي هي من صنع الروح القدس.

5:1 **«لأن يوحنا عمَّدَ بالماءِ أمَّا أنتم فستَتَعمَّدون بالروح القدسِ ليس بعدَ هذه الأيامِ بكثيرٍ».**

نفس الكلمات التي سجَّلها الإنجيليون الأربعة من فم المعمدان نفسه:

يوحنا المعمدان يتكلَّم بنفسه:

+ «أنا أعمدكم بماء للتوبة ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن أحمل حذاءه. هو سيعمدكم بالروح القدس **ونار**.» (مت 11:3)

ولكن هنا المسيح لا يذكر كلمة «النار» كما أنها غابت عن تسجيل القديس مرقس (8:1).

والقديس بطرس يتذكر قول المسيح الذي قاله في الأربعين بعد قيامته ويعيده بالنص في قصة حلول الروح القدس على كرنيليوس وأهل بيته حتى قبل العماد، مما يفيد أن العماد تمَّ بالفعل بالروح القدس قبل العماد بالماء: «**فلما ابتدأت أتكلَّم حل الروح القدس عليهم كما علينا أيضاً في البداءة.** فتذكرت كلام الرب كيف قال إن يوحنا عمَّد بماء وأمَّا أنتم فستتعمَّدُونَ بالروح القدس. فإن كان الله قد أعطاهم الموهبة كما لنا أيضاً بالسوية مؤمنين بالرب يسوع المسيح فمن أنا. أقادر أن أمنع الله.» (أع 11: 15-17)

وعاد وكررها بولس الرسول أيضاً:

+ «فإذ وجد تلاميذ قال لهم هل قبلتم الروح القدس لمَّا آمنتم، قالوا له ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس. فقال لهم فبماذا اعتمدتم، فقالوا بمعمودية يوحنا، فقال بولس إن يوحنا عمَّد بمعمودية التوبة قائلاً للشعب أن يؤمنوا بالذي يأتي بعده أي بالمسيح يسوع. فلمَّا سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع ولمَّا وضع بولس يديه عليهم حلَّ الروح القدس عليهم فطفقوا يتكلَّمون بلغات ويتنبأون.» (أع 19: 1-6)

أمَّا معمودية يوحنا فكانت للتوبة، والتوبة كانت إعداداً لقرب ملكوت الله: «من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا **لأنه قد اقترب ملكوت السموات**» (مت 17:4)، ولإعادة قلوب الآباء على الأبناء وقلوب الأبناء على الآباء وهذه هي آخر كلمة تسجَّلت بفم ملاخي النبي لكل أسفار العهد القديم:

+ «ها أنذا أرسل إليكم إيليا النبي (يوحنا المعمدان بروح إيليا) قبل مجيء يوم الرب اليوم العظيم والمخوف فيرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم لئلا آتي وأضرب الأرض بلعن.» (مل 4: 5و6)

وفي ذلك يقول ذهبي الفم:

[حينما قال الرب: «الحق الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان. ولكن الأصغر في ملكوت السموات أعظم منه» (مت 11:11)؛ ولكن الآن يقول الرب علانية: «أن يوحنا عمَّد بالماء أمَّا أنتم فستتعمَّدون بالروح القدس» فالآن لا يستخدم الرب استشهادات ولكن يرجع إلى شخصية يوحنا نفسه مُذكّراً التلاميذ بما سبق وقاله **موضحاً لهم أنهم هم الآن صاروا أعظم من يوحنا**، إذ إنهم هم أيضاً سيتعمَّدون بالروح القدس. وأيضاً لم يقل إني أنا أعمدكم بالروح القدس، بل أنتم ستتعمَّدون بالروح القدس ونار (لو 16:3) ... ولكن لماذا قال الرب: «إنكم ستتعمَّدون» علماً بأنه لا يوجد بالعلية ماء؟ **نعم لأن الجزء الأهم في العماد هو الروح، الذي بواسطته حقاً يأخذ الماء فعاليته، وعلى نفس المستوى قيل أن الرب مُسح، علماً بأنه لم يُمسح قط بالزيت ولكن لأنه قبلَ فقط الروح.** هكذا نحن نراهم في الحقيقة قد قبلوا معمودية الماء سابقاً ثم ها هم يقبلون معمودية الروح ولكن في وقتين متعاقبين. أمَّا نحن فنأخذهما كفعل أو كعمل واحد، ولكن هم أخذوا (المعمودية) على دفعتين لأنهم في البداية عُمِّدوا بواسطة يوحنا.](77)

لقد كانت معمودية يوحنا بالماء إعداداً لقبول الإنجيل، أمَّا معمودية الروح القدس فكانت إعداداً لقبول الملكوت.

(77) Chrysost., *op. cit.,* pp. 6,7.

ب ـ صعود الرب العلني (1:6-11)

6:1و7 «أمَّا هم المجْتَمِعُونَ فسألوه قائلينَ: يا ربَّ هل في هذا الوقتِ تَرُدَّ المُلْكَ إلى إسرائيلَ؟ فقال لهم: ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقاتَ التي جَعَلَهَا الآبُ في سلطانهِ».

هذه الفقرة (6و7) تمثّل آخر لقاء وآخر حديث مع الرب يسوع، وبعدها صعد أمام عيونهم، كما تمثّل آخر تعلُّق للتلاميذ بوطنهم الأرضي الذي انتهى إلى الأبد بعد حلول الروح القدس ليحل محله التعلُّق بالوطن السمائي.

هنا من العدد (6) يتحول الحديث إلى المستقبل بسبب قوله: «ليس بعد هذه الأيام بكثير» فالمسيح فتح أمامهم التطلُّع إلى المستقبل، ولكن المستقبل دائماً دائماً هو للروح وليس للجسد. وهكذا يدخل حتماً في الصعود وما بعد الصعود، غير أن هذه الآية لا تمتُّ مباشرة إلى الصعود. فتسجيل ق. لوقا للحديث هنا ليس محوره الصعود إنما ما تم قبل الصعود إعداداً للتلاميذ لحلول الروح القدس وبالتالي البدء بتنفيذ استعلان ملكوت الله والكرازة به.

ولكن بمجرد أن شعر التلاميذ أن اختفاء الرب صار وشيكاً جداً حينما قال لهم إنهم سيعمَّدون بالروح القدس **ليس بعد هذه الأيام بكثير**، شعروا بمسئوليتهم الضخمة الملقاة عليهم فأرادوا أن يستفسروا عن موقفهم بالنسبة لوطنهم إسرائيل، خاصة أن التلاميذ يدركون جيداً أن حلول الروح القدس بالوصف الذي وصفه المسيح يمتُّ مباشرة لنبوة يوئيل الذي يصف فيها علامة الملكوت الماسيَّاني بحلول الروح القدس. فهنا صلة الملكوت الماسيَّاني بعودة الملك لإسرائيل واردة بشدة(78)!!! كذلك بالنسبة للملكوت الجديد المعد وعلاقته بإسرائيل. إنه سؤال يفصح عن الإحساس بالمسئولية مع الحيرة لانعدام الرؤية بسبب غياب الروح القدس الذي لم يكن قد حلَّ عليهم بعد.

منظر مؤثر للغاية وحزين وتطلُّع إلى الوراء!! وكأنما إنسان مدعو لسفر سعيد لوطن آخر لا يعلم عنه شيئاً وقف يودِّع وطنه ويسأل رفيق سفره وقائد رحلته الخطرة والمباركة بآن واحد، يا سيدي هل سنعود مرة أخرى لوطننا هذا؟ ومتى يكون؟ فيشفق السيد على عواطفهم ويرد: لقد حان موعد السفر، هيا، لا تنظروا إلى الوراء إنما نحن تحت قيادة أعلى!!

(78) H. I. W. Meyer, *Acts,* p. 27.

هو حنين إلى الوطن فترجَّوه بنظرة تطلعية نحو الملكوت الذي سمعوه أو سمعوا عنه، لعلَّ هذا الملكوت يكون هو ملكوت إسرائيل؟ أيجلس المسيح على كرسي موسى؟ أو على كرسي الحاكم عوض حكام روما؟ هل يعود مجد إسرائيل التي تسود على الأمم؟ فتخرج الشريعة الجديدة من أُورشليم؟ لقد اختلط عليهم الأمر، والزمن، والغاية، والنهاية، والروح مع الجسد، ومفهوم ملكوت المسيَّا!! ومُلْك إسرائيل، ثم هل سنجلس معه عن يمينه وعن يساره؟ كان هذا السؤال هو آخر فتيلة مدخنة في رجاء عظمة إسرائيل وهو يخبو.

أمَّا رد الرب على سؤالهم فكان عملية اجتذاذ لكل الآمال الجسدية للعهد القديم وتطلعات الإنسان من داخل الزمن. وكأن المسيح يرد عليهم: يا بني الملكوت اطلبوا ما فوق وليس ما على الأرض، إسرائيل اتسعت تخومها نحو السماء ولم يعد لها على الأرض حدود ومدن ومُلْكٍ وإقامة. أُورشليم رحلت لتتجلَّى في السماء وتؤسس لنفسها الأساسات. زمن الخلاص استسلم للروح وسلَّم مفاتيح الأيام والشهور والسنين لله ليقيس وجود الإنسان بإيمانه، وطول حياته على الأرض بتوبته، ويتحدد انتهاء رسالته بمقدار الزيت الذي جمعه في مصباحه!

وإجابة المسيح تنقسم إلى قسمين:

أولاً: «الأزمنة والأوقات» crÒnouj ½ kairoÝj[79]

الأزمنة: crÒnouj: تشير إلى الزمن الذي يلزم أن ينقضي حتى يكمل تأسيس ملكوت الله.

الأوقات: kairoÝj: ويشير إلى الحوادث الزمنية التي ستصاحب هذا التكميل.

وقد تكلَّم عنها ق. بولس بنفس هذا الترتيب والمعنى: «وأمَّا الأزمنة والأوقات فلا حاجة لكم أيها الإخوة أن أكتب إليكم عنها لأنكم أنتم تعلمون بالتحقيق أن يوم الرب كلص في الليل هكذا يجيء (انتهاء الأزمنة وبلوغ يوم الرب الأخير).» (1تس 5: 1و2)

إن الأزمنة والأوقات ليس لهم أن ينشغلوا بها فهي في سلطان الآب، ويلزم أن ينحصروا في عملهم الذي هو الشهادة للمسيح من أُورشليم لأقصى الأرض، علماً بأن عملهم يتوقف عليه انتشار الملكوت سواء في إسرائيل أو إلى أقصى الأرض، فهم بحد ذاتهم جزء من الإجابة.

ثانياً: سوف يعلن لهم الملاك أن انطلاق المسيح هو مقدِّمة لمجيئه الثاني الذي سوف يكون بنفس

([79]) Bruce, I, p. 70 citing Lightfoot on (1 Th. v).

الشكل الذي يتم به أخذه إلى السماء في السحاب، حينما يبدأ ختام تمام استعلان ملكوت الله وعمله، ويتم قصد الله وتأخذ الكنيسة منتهى استعلانها.

وإجابة المسيح يتضح فيها رغبة الله في عدم تسرُّع الإنسان في الأحكام وضبط انشغاله بالمستقبل الذي هو من عمل الله وحده. فتحديد الزمن أو كشف مستقبله ليس من عمل الإنسان قط. كما يُستشف من رد المسيح أنه أراد أن يهدىء من روع تلاميذه واضطرابهم بسبب صعوده واختفائه، إذ قد أعدَّ المعزي الآخر الذي سيبدأ عمله سريعاً فيكونوا تحت قيادته وحكمته. وهذا تحققه التلاميذ تماماً بعد حلول الروح القدس مباشرة:

+ «وإذ ارتفع بيمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب سكب هذا الذي أنتم ترونه وتسمعونه.» (أع 2: 33)

وهنا يصف ق. لوقا الصعود بصورته المنظورة، وهو الوحيد الذي أتى على هذا الحدث الفريد. ولو أن ق. بطرس ذكره عبوراً: «الذي هو في يمين الله إذ قد مضى إلى السماء وملائكة وسلاطين وقوات مُخْضَعَة له.» (1بط 3:22)

وفي حقيقة الصعود نلمس وضعاً لاهوتياً جديراً بالانتباه، فغياب المسيح بالجسد حلَّ محله حضور المسيح بالروح الذي أسماه ق. بولس: «الرب الروح من السماء» (1كو 15: 45و47، 2كو 3:17)، الذي تعامل معه ق. بولس عياناً بياناً سمعاً ورؤية، وهذا أيضاً هو القصد الأساسي من الصعود، حتى نتعامل مع الرب بالإيمان عوض أن كنا نتعامل معه بالعيان.

1:8 «لكنَّكم ستنَالونَ قوَّةً متى حلَّ الرَّوح القدس عليكم وتكونونَ لي شُهوداً في أُورشليم وفي كلِّ اليهوديةِ والسَّامرةِ وإلى أقصى الأرض».

«لكنكم»: ¢ll£

استطراد للتصحيح، الرد هنا على لهفة التلاميذ بخصوص معرفة المستقبل بالنسبة لإسرائيل ونصيبها من مجيء الملكوت الذي دُعُوا لخدمته. فهو هنا يرد أنَّ معرفة ما سيكون هو من شأن الآب وحده أمَّا شأنكم أنتم فهي الشهادة، دُعيتم إليها وإليها تُرسلون.

«ستنالون قوة»: l»myesqe dÚnamin

هذه القوة dÚnamin هي طاقة فوق الطبيعة، فعَّالة في الطبيعة لتصحّح وتغيِّر وتصنع المعجزات، حيث المعجزات نفسها هي «قوات» dun£meij سواء في الطبيعة أو الأجساد أو حتى في الشهادة

نفسها أو الوعظ، فإنها تكون مشبَّعة بقوة إلهية تكون ذات تأثير على النفوس والقلوب والأفكار لِتردَّها إلى طاعة الله ومحبته. هذه القوة هي من طبيعة الروح القدس، والروح يوجِّه قوته للغرض الذي يشاءه الله. فهنا بدأت قوة الروح القدس أول ما بدأت بالشهادة للمسيح لموته وقيامته وربوبيته، الأمر الذي اجتذب القلوب المقفلة والأذهان العنيدة إلى طاعة المسيح بصورة أخَّاذة:

+ «**فلما سمعوا نُخسوا في قلوبهم.** وقالوا لبطرس ولسائر الرسل. ماذا نصنع أيها الرجال الإخوة. فقال لهم بطرس توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس... فقبلوا كلامه بفرح واعتمدوا وانضم في ذلك اليوم (الأول) ثلاثة آلاف نفس.» (أع 2: 37-41)

«شهوداً في أورشليم، وفي كل اليهودية، والسامرة، وإلى أقصى الأرض».

ليس الكلام هنا مُرْسَلاً جزافاً، إذ بحكمة الروح تحوي هذه الآية جدولاً زمنياً وجغرافياً مطبَّقاً على سفر الأعمال أو العكس، أي أن سفر الأعمال مطبَّق على هذا الفهرس، إذ نجد:

1 ـ السبعة الإصحاحات الأولى تُغطِّي الشهادة في أورشليم.

2 ـ من (8 : 1 ـ 11 : 18) تُغطِّي الشهادة في كل اليهودية والسامرة.

3 ـ الباقي من سفر الأعمال. خارج حدود الأراضي المقدَّسة، تغطي كل الأرض حتى روما.

وبالفحص نجد أن نفس دعوة المسيح لتلاميذه التي ألقاها عليهم قبل صعوده مباشرة سبق وأن سجَّلها ق. لوقا في إنجيله بنفس الكلمات والمعنى، مما يفيد أن ق. لوقا ضمَّن إنجيله نفس المشهد الأخير الذي سجَّله في سفر الأعمال قبل صعوده أو العكس:

+ «وأن يُكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأ من أورشليم وأنتم شهود لذلك. وها أنا أُرسل إليكم موعد أبي.» (لو 24: 47-49)

والسؤال: ولماذا أورشليم أولاً؟ نعم لأن في هذه المدينة أُدين ابن الله وصُلب وهكذا خرجت منها العثرة، لهذا تحتم أن تكون هي أول ما ينادَي فيها بالقيامة ويُشهد لها، ليتم الصوت القائل بإشعياء النبي: «من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب» (إش 2 : 3) شريعة غلبة الحياة على الموت، والحق على الباطل. وبالأكثر لأن أتقياء الله الذين سمعوا لكرازة المعمدان وانفتحوا على دعوة المسيح كانوا على ميعاد مع الذي تعلَّقت به قلوبهم. لذلك نسمع ما لم نسمعه قط أنه في عظة واحدة آمن ثلاثة آلاف نفس، تابوا واعتمدوا وخلصوا!! وحلَّ عليهم الروح القدس!!

1 : 9 **«ولمَّا قالَ هذا ارتفعَ وهُمْ ينظرون. وأخذتهُ سحابةٌ عن أعينِهم».**

[+ «طأطأ السموات ونزل، وضبابٌ تحت رجليه، ركب على كروب وطار، ورُئيَ على أجنحة الرياح!» (2صم 22 :10و11)

+ «كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان،
أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدامه،
فأعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً،
لتتعبَّد له كل الشعوب والأمم والألسنة،
سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول
وملكوته ما لا ينقرض.» (دا 7: 13و14)

+ «الجاعل السحاب مركبته الماشي على أجنحة الريح.» (مز 104 :3)]

القديس لوقا هو الوحيد الذي سجَّل للكنيسة تاريخ صعود الرب، وقد أخذت الكنيسة عن سفر الأعمال، أي عن ق. لوقا تحديد تاريخ عيد الصعود بيوم الأربعين بعد القيامة، ويعتقد ذهبي الفم أنه كان يوم السبت.[80]
والقديس لوقا هو الوحيد الذي باعد بين القيامة والصعود بأربعين يوماً وهو أيضاً الوحيد الذي وصف هذا المشهد البديع والمثير والواقعي لارتفاع الرب «وأخذته سحابة عن أعينهم»
والسحابة بالنسبة لله والمسيح إعلان عن حضرة الله، وهي مجال المجد الذي يخفي اللاهوت والذي يعمي العينين فلا يُرى سوى ضباب أو سحاب. وذهبي الفم يسمِّي هذه السحابة بالمركبة الملوكية tõ Ôchma tõ basilikòn وقد رآها دانيال بالرؤيا (دا 7 :13). والقديس بولس له خبرة في ذلك إذ لمَّا حدَّق في نور وجه المسيح المشرق من السماء والأكثر لمعاناً من الشمس وكان وقت الظهيرة، انعمت عيناه ولم يعد يبصر، تأكيداً أنه رأى الرب: «أما رأيت يسوع المسيح ربنا؟» (1كو 9 :1). وبعد أن أدَّى الشهادة نزلت من عينيه قشور هي قشور الجحود السابق، فأبصر.

---

(80) Chrysostom, On Acts, Hom. III, I.

«ارتفع»: ™p»rqh
هي قوة الجذب الإلهي التي تلغي جاذبية الأرض وكل ما هو أرضي: «وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليَّ الجميع» (يو 32:12). ليس من السهل ولا هو من طبيعة الإنسان أن يلمح الجسم السمائي وهو يرتفع، لأن المسيح آنئذ وإن كان يظهر بجسد ملموس ومنظور فهي قدرة إلهية لخفض مجاله الإلهي ليدخل ظله في العين البشرية أو العكس لرفع مجال الرؤيا البشرية حتى تتساوى في مستواها قدرة الإبصار لما هو إلهي. فهو إن شاء ظهر وإن شاء اختفى، وإن شاء أن يراه أحد يرفع من مستواه لرؤيته وإلاَّ يبقى غير منظور من كل أحد. لأنه بعد قيامته تسربل جسده بالمجد وكأنه التحف بالنور أو بالغمام، فالعين البشرية لا تقوى على ملاحقة رؤيا مجده أو نور لاهوته. فعين الإنسان لا يسقط عليها شعاع اللاهوت وإلاَّ تحترق:

+ «لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش. وقال الرب هوذا عندي مكان، فتقف على الصخرة ويكون متى اجتاز مجدي أني أضعك في نقرة من الصخرة وأسترك بيدي حتى أجتاز، ثم أرفع يدي فتنظر ورائي وأمَّا وجهي فلا يُرى.» (خر 33: 20ـ23)

المسيح قصد قصداً وعمل في ذاته عملاً ورفع من طاقة عيون تلاميذه حتى يروه صاعداً، فرأوه حتى يشهدوا بصعوده مع أن صعوده لا يُرى. فالذي استطاع أن يخلي ذاته وينزل إلى مجال البشر ليأخذ منهم جسداً، استطاع أن يستعيد ما أخلاه ويرتفع إلى مجاله كما كان ويحتفظ بإخلائه لحظة حتى يراه الشهود الذين تعيَّنوا للشهادة وحينئذ أخذته سحابة عن أعينهم، وبتعبيره هو: «دخل إلى مجده»

ولكن قدَّم لنا ق. لوقا مشهداً للصعود في إنجيله: «أخرجهم خارجاً إلى بيت عنيا ورفع يديه وباركهم. وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وأُصعد إلى السماء. فسجدوا له ورجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم.» (لو 24: 50ـ52)

ولكن الأمر الذي حيَّر الشراح والمفسرين هو أن كلاً من ق. متى وق. يوحنا لم يأتِ على ذكر الصعود في مكانه، والذي انفرد بذكره هما ق. مرقس وق. لوقا فقط حيث يقول ق. مرقس: «ثم إن الرب بعد ما كلَّمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله.» (مر 19:16)

ولكن معروف أن ق. مرقس إنما يكتب عن معاينة ق. بطرس، وق. يوحنا أتى على ذكر الصعود بوضوح للمجدلية غير أنه لم يضعه في مكانه: «قال لها يسوع لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي. ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم إني **أصعد** إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم.» (يو

20: 17و18)

ولكن أولاً وقبل كل شيء معروف أن القيامة من الأموات تمَّت بذات جسده الذي صُلب به وظهر لتلاميذه وعليه جروحه. فهنا يتحتم حدوث الصعود. ثم أن الصعود ويرافقه السحاب هو التعبير التقليدي عن ظهور مجده منذ دانيال النبي وعن رؤية ابن الإنسان أو ابن الله؛ بل ومنذ العهد القديم. فحينما كان يحل الله على خيمة الاجتماع كان ذلك على هيئة سحابة منيرة يُطلق عليها "الشاكيناه" ومعناها السكنى أو حلول الله في مكان معين، سواء فوق خيمة الاجتماع أو فوق غطاء التابوت "الإيلاستريون".

فإذا كان صعود الرب يرافقه مجده، هنا أصبحت رؤية الصعود وتحديد حركة ارتفاعه أمراً يتعلّق بقدرة التلاميذ على الرؤيا والوصف الذي يستحيل أن يكون مطابقاً الواحد على الآخر. لأن سحابة النور التي هي بعينها هالة المجد المحيطة بالرب لا يمكن تحديدها بالنظر كما نحدد الأمور أو الأجساد المادية، إذ ليس للمجد محدودية. من هنا لا ننتظر أن نحصل على روايات متطابقة للصعود.

ولنا في وصف الرب نفسه لكيفية مجيئه ما نستشف منه كيفية وحال صعوده:

+ «حينئذ ينظرون ابن الإنسان آتياً في سحاب بقوة كثيرة ومجد.» (مر 13:26)

1:10و11 «وفيما كانوا يَشْخَصُونَ إلى السماءِ وهو مُنطلِقٌ إذا رَجُلانِ قد وَقفَا بهم بلِبَاسٍ أبيضَ وقالا أيَّها الرجالُ الجليليُّونَ ما بالُكُم واقفينَ تنظرونَ إلى السماءِ. إنَّ يسُوعَ هذا الذي ارتفعَ عنكم إلى السماءِ سيأتي هكذا كما رأيتمُوهُ مُنطلقاً إلى السماءِ».

كان الربُّ في العهد القديم يُدعى ربًّا، ربَّ الجنود السمائية أي رب الصباؤوت أو رئيس جند الرب. ويخاطبه المزمور أيها الرب ربنا ما أعجب اسمك على الأرض كلها. هؤلاء الملائكة وهم خدامه رافقوه في ميلاده وعماده وصومه وتجربته وصلاته عند صلبوته وفي قيامته، وها هنا أيضاً في صعوده. والملاكان هنا هم شاهدان مكلّفان بإعلان «صعوده» وهما اللذان أعلنا عن قيامته للمجدلية وخاطباها لكي تعلن هذا لتلاميذه. والملابس البيضاء هي التحاف بالنور بقدر ما أُعطيا من نور، لا لكي تستر جسديهما كبني البشر بل لتعلن للعين البشرية عن قداستهما وطبيعتهما السمائية. فكل الخلائق السمائية منيرة إذا رؤيت بالعين الطاهرة المفتوحة.

أمَّا في مراجعتهما للتلاميذ كونهما يحدّقان في السماء باهتمام بالغ وبلا طائل، فهو لكي يكفُّوا

عن البحث عمَّن لا يُبحث عنه بالعين ولا يُستقصي عنه من أين جاء وإلى أين ذهب، فسماؤه غير سمائنا، لا العلو المكاني يحدّها ولا السماء تكفي لتعبِّر عن علّوه لأنه أعلى من السموات. إنهما (الملاكان) يراجعانهم فيما راجعا به سابقاً المريمات: «لماذا تطلبن الحي بين الأموات، ليس هو ههنا لكنه قام» (لو 6:24)، إذهبا وخبِّرا، إنه ليس بين النجوم والأقمار بل هو جالس عن يمين الآب، اذهبا بشِّرا.

والزمن عند الملائكة لا يُقاس بزماننا، فالسنين عندهم ثوانِ والثواني دهور. فتبرَّعا ليخبرا التلاميذ عن مجيئه الأزلي وكأنه باكر أو بعد باكر، ولكن حينما تنتهي البشارة إلى أقصى الأرض، سيأتي كما رأيتموه هكذا صاعداً، محمولاً على السحاب، مركبته الإلهية، وها ألفان من السنين مضت ونحن في انتظاره، عيوننا إلى فوق حيث هو جالس وسط تسبيحات أورشليم:

✸	بنات صهيـــــون خبرنني هل	∴	رأيتنَّ نجم إســــــرائيل؟
	هل بين الخيـــام كان ورحل؟	∴	وأين إليه الســـــــبيل؟
✸	إن يشرف ألوف الأملاك تسجد	∴	والآلاف الأخــرى تعبُد
	إن يقل يردد صـــــداه الأبــد	∴	بتســبيح شـــكر يــدوم
✸	راعيَّ العـــزيز نفســي تتبعك	∴	ما أعـذب صـــوتك لي
	دربني أرشــدني أنت الكل لي	∴	يــا نفســـي لـــه هلّلي
✸	حبيبي فتـى مثـــل أرز لبنـــان	∴	ســاقاه عمـــودا رخــام
	بديع الجمال وحلو اللســـان	∴	ويدعى رئيس الســـلام
✸	في ظل حبيبي اشتهيت الجلوس	∴	وإليـــه حـنَّ الفــــــؤاد
	مريح التعابى معــزي النفوس	∴	ويرثي لضعــف العبـــاد
✸	متى يتحقق هــــــذا الأمــل	∴	ويأتي أوان الزفـــــــاف
	وتنظر عينـاي مجــد الحمــل	∴	وأسمع صـوت الهتــاف

ترقُّب الروح القدس بالصلاة والصوم
والرسل مجتمعون في العلية
[14-12:1]

12:1 «**حينئذٍ رَجَعُوا إلى أُورشليمَ مِنَ الجبلِ الذي يُدعَى جَبَلَ الزيتونِ الذي هو بالقُرْبِ من أُورشليمَ على سَفَرِ سبتٍ».**

في إنجيل ق. لوقا تجيء هذه المعلومة هكذا: «وأخرجهم خارجاً إلى بيت عنيا ورفع يديه وباركهم» (لو 50:24). وبيت عنيا متاخمة لجبل الزيتون من شرق، وتقدَّر بخمسة عشر ستاديوم[81]، أمَّا المسافة بين جبل الزيتون وأُورشليم فتقدَّر بسفر سبت أي المسافة المسموح بها للسفر في يوم السبت وهي 6 ستاديوم وتقدَّر بحوالي كيلو متر واحد، وتسمَّى هذه المسافة باللغة العبرية Tehum ha Shabbath "تخوم السبت" أي حدود السبت.

ويُكمِّل في الإنجيل قائلاً: «فسجدوا له ورجعوا إلى أُورشليم بفرح عظيم.» (لو 52:24)[82]

أمَّا لماذا اعتنى ق. لوقا بتحديد هذه المسافة دون زيادة فذلك لأن اليوم الذي صعد فيه الرب هو اليوم الأربعين من قيامته (بحسب اعتقاد القديس يوحنا ذهبي الفم فإنه وقع يوم السبت)، إذاً فالمسافة إجبارية حسب تقليد الناموس.

أمَّا سر فرح التلاميذ أثناء عودتهم بعد أن استودعوا الرب إلى السماء فهو أمر غير طبيعي بالمرة، لأننا كنا نظن أنهم عادوا مثقلين حزانى مهمومين إذ أُخذ منهم مصدر عزائهم، بل رجائهم بل حياتهم. فماذا لهم بعد صعوده؟ ولكن كان الله عالماً بطبيعة الإنسان، فسبق وأوحى للملاك أن يؤكد لهم أنهم كما رأوه صاعداً هكذا، سيرونه حتماً آتياً بمجد عظيم. لذلك فسرُّ عودتهم فرحين هو تطلُّعهم نحو مجيء الرب. ولا يخفى عليك، عزيزي القارىء، أن الإيمان بمجيء الرب والتصاق الفكر والقلب بمجيئه هو بحد ذاته سرُّ قوة وفرح وعزاء لا يُحدُّ. وإن أردت برهاناً حيًّا فاسمع ق. بطرس وهو يتغنَّى ويتمنَّى بصلاة وطلبة: «منتظرين وطالبين سرعة مجيء يوم الرب» (2بط

---

(81) الستاديوم: وحدة إغريقية ورومانية قديمة للطول تساوي حوالي 607 أقداماً إنجليزية.

(82) «لأن فرح الرب هو قوتكم.» (نح 10:8)

12:3). فهما شهوتان يشتهيهما القديسون: إمَّا «سرعة مجيئه» أو «لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جداً» (في 23:1). إنها شهوة لُقيا وجه الرب! إنها شهوة أرواح الأنبياء وشهوة عاشقي رؤيا المسيح:

+ «إلى اسمك وإلى ذكرك شهوة النفس،
بنفسي اشتهيتُك في الليل،
أيضاً بروحي في داخلي إليك أبتكر.» (إش 26: 8و9)

الرسل يجتمعون في العلية للصلاة بانتظار حلول الروح القدس
[13:1و14]

13:1 **«ولمَّا دخلوا صَعِدُوا إلى العليَّة التي كانوا يُقِيمُونَ فيها، بُطرسُ ويعقُوبُ ويوحنَّا وأندَرَاوُسُ وفِيلُبُّسُ وتُوما وبَرْثُولمَاوُسُ ومَتَّى ويَعْقُوبُ بْنُ حَلْفَى وسِمعَانُ الغَيُورُ ويَهُوذا أخُو يعقُوبَ».**

جدول يبيِّن ترتيب ورود أسماء التلاميذ في سفر الأعمال بالمقارنة مع الأناجيل الثلاثة (ذات الرؤية المتشابهة):

	الأسماء باليونانية حسب سفر الأعمال	**الأسماء بحسب سفر الأعمال**	**بحسب متى** (مت 2:10و3)	**بحسب مرقس** (مر 16:3ـ19)	**بحسب لوقا** (لو 14:6و15)
الأول	Pštroj	بطرس	بطرس	بطرس	بطرس
الثاني	'I£kwboj	يعقوب	أندراوس	يعقوب	أندراوس أخاه
الثالث	'Iw£nnhj	يوحنا	يعقوب	يوحنا أخاه	يعقوب
الرابع	'Andršaj	أندراوس	يوحنا أخاه	أندراوس	يوحنا
الخامس	F…lippoj	فيلبس	فيلبس	فيلبس	فيلبس
السادس	Qwm©j	توما	برثولماوس	برثولماوس	برثولماوس
السابع	Barqoloma‹oj	برثولماوس	توما	متى	متى
الثامن	Maqqa‹oj	متى	متى	توما	توما

التاسع	'I£kwboj `Alfa…ou	يعقوب بن حلفى	يعقوب بن حلفى	يعقوب بن حلفى	يعقوب بن حلفى
العاشر	S…mwn Ð zhlwt»j	سمعان الغيور	لباوس/تداوس	تداوس	سمعان الغيور
الحادي عشر	'IoÚdaj 'Iakèbou	يهوذا أخو يعقوب	سمعان القانوي	سمعان القانوي	يهوذا أخو يعقوب
الثاني عشر			يهوذا الإسخريوطي	يهوذا الإسخريوطي	يهوذا الإسخريوطي

ملاحظات(83):

1 ـ التسعة الأسماء الأولى للرسل موجودة في كل الأناجيل والأعمال.

2 ـ بطرس/ وفيلبس/ ويعقوب بن حلفى يحتلون الترتيب: الأول/ الخامس/ التاسع.

3 ـ سمعان الغيور هو نفسه سمعان القانوي يأتي العاشر في الأعمال وفي لوقا، هو نفسه يأتي الحادي عشر في كل من متى ومرقس.

4 ـ يهوذا ليس الإسخريوطي هو يهوذا أخو يعقوب ويأتي الحادي عشر في الأعمال وفي لوقا ويأتي العاشر في متى وفي مرقس، كما يذكره يوحنا أيضاً (22:14).

5 ـ في إنجيل ق. يوحنا «**كلوبا**» ليس هو أبا يعقوب بن حلفى كما يظن بعض الشرَّاح (يو 25:19) ولكنه هو أخو يوسف خطيب مريم، وذلك حسب تحقيق هيجيسيبوس المدَّون في تاريخ يوسابيوس القيصري (11:3). ولا يحسب يعقوب أنه قريب يسوع بأي صلة كما يظن بعض الشُرَّاح.

6 ـ **سمعان الغيور:** كان يتبع جماعة الغيورين، وهي فئة متعصبة وهم الذين كانوا ينادون بالتحرر من الرومان وأنه يتحتم الحصول على الحرية منهم بالقوة. وبتحقيق العلامة ج. ف. مور(84) فإن فكرهم متسلسل من فكر فينحاس في سفر العدد (25:10-13). ويقول يوسيفوس المؤرِّخ اليهودي أنهم ذوو صلة بثوداس الثائر الذي رتب ثورة ضد الرومان سنة 6 ميلادية وجاء ذكره في سفر الأعمال (37:5)، ولازالوا حافظين لروحه الثائرة وهم بعينهم الذين خدموا الثورة سنة 66 م. التي على أثرها قامت الحرب السبعينية وأتت على الأخضر واليابس. وكلمة «قانوي» منطوقة باليوناني ومعناها الذي من قانا kanana‹oj.

(83) Bruce, I, p. 73.

(84) G. F. Moore. cited by F.F. Bruce, I, p. 43.

«ولمَّا دخلوا صعدوا إلى العلية»:

كانت هذه العلية بحسب التقليد هي التي أقام فيها الرب عشاءه الأخير فدشَّنها الرب بدمه في كأس الإفخارستيا، وهكذا حُسبت أول كنيسة في العالم. وكان يجتمع فيها التلاميذ للصلاة، وهي التي دخلها الرب بعد القيامة **والأبواب مغلقة،** وكانت مغلقة بسبب خوف التلاميذ بعد أن مات الرب على الصليب ودفنوه، فارتاع التلاميذ وحسبوها النهاية: «وفيما هما (تلميذا عمواس) يتكلَّمان ويتحاوران اقترب إليهما يسوع نفسه وكان يمشي معهما، ولكن أُمسكت أعينهما عن معرفته. فقال لهما: ما هذا الكلام الذي تتطارحان به وأنتما ماشيان عابسين. فأجاب أحدهما الذي اسمه كليوباس وقال له: هل أنت متغرب وحدك في أورشليم ولم تعلم الأمور التي حدثت فيها في هذه الأيام؟ فقال لهما: وما هي؟ فقالا المختصة بيسوع الناصري الذي كان إنساناً نبياً مقتدراً في الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب، كيف أسلمه رؤساء الكهنة وحكامنا لقضاء الموت وصلبوه، **ونحن كنا** نرجو أنه هو المزمع أن يفدي إسرائيل. ولكن مع هذا كله، **اليوم له ثلاثة أيام منذ حدث ذلك!!**» (لو 24: 15ـ21)

ويبدو واضحاً أن العلية كانت في غاية الاتساع إذ يقول ق. لوقا: أنهم «**كانوا يقيمون فيها»!!** ويضيف أن بقية المجتمعين معهم كانوا كثرة أيضاً ومنهم نسوة. ولكن يُعْتقدُ أن الأغلبية كانت مقيمة داخل البيت أسفل وخاصة النساء، لأنه لمَّا حلّ الروح القدس يقول إنه كان كريح عصفت بالبيت كله وملأته حيث كانوا جالسين، الرسل في العلية والبقية أسفل في البيت.

أمَّا البيت فكان بيت مريم أم ق. يوحنا مرقس كاروز الديار المصرية. أي لنا في العليَّةِ نسبة ونصيب! وفاضت علينا من بعيد ومن قريب. ولا نعلم ربما جاءت أمّه معه إلى مصر واستوطنت بلادنا، بل ويقولون أيضاً أن ق. بطرس جاء بزوجته ومكثا في منطقة بابلون ـ وهي مصر القديمة ـ ومن هناك كتب إلى كنائس بنتس وغلاطية وكبادوكية وأسِيَّا وبثينية المختارين يقول: «تسلّم عليكم التي **في بابل** المختارة (زوجته) معكم **ومرقس** ابني ... »(1بط 5:13) وأرسل الرسالة بيد برنابا خال مرقس أي أخي أمه. وهكذا كان هؤلاء في زيارة لمصر، مرقس وأمه وخاله وبطرس، وربما زوجته!!!

والمهم عندنا أن هؤلاء جميعاً، الرسل ومعهم أم الرب كانوا يصلّون.

14 : 1 «هؤُلاءِ كلُّهُم كانوا يواظِبُونَ بنَفْسٍ واحدةٍ على الصَّلاةِ والطلبةِ مع النِّساءِ ومريمَ أُمِّ يسُوعَ ومع إخوتهِ».

«يواظبون»: proskarteroàntej

تفيد في اليونانية أكثر من المواظبة، فهي بمعنى إصرار على المواظبة، وهنا في الحال تأخذ كلمة "المواظبة" صفة الحرارة واللجاجة والغيرة المتقدة. والكلمة شديدة التعبير فهي تفيد بحسب القاموس: **يداوم بعناد** = persist obstinately، **يلتصق بشدة** = adhere firmly، **يكون أميناً نحو**. ونحن لسنا بصدد حصة في تعليم اللغة اليونانية، ولكن في الحقيقة أخذتُ بهذه المعاني لوصف الصلاة!! ما أبدعها مواصفات وما أعظمها صلاة وما أحلاها عشرة إخوة وهبوا أنفسهم للصلاة ووهبوا وقتهم وحياتهم ومسرّتهم!! نعم يا رب فهي تستحق أن يرتاح عليها الروح القدس ليزيدها ناراً على نار ويشعلها بشارة للإنجيل تملأ القلوب والبلاد والقارات وإلى أقصى الأرض. فهي بهذه اللجاجة وبهذا الروح الناري لا تزال تضرم دائرة الكون كله، لم تبرد ولن تخمد حتى يأتي الرب ويجني كل ثمارها.

«بنفس واحدة»: p£ntej ... Ðmoqumadòn

هذه الكلمة يلزم أن يكون معها كلمة "**الجميع**" p£ntej كما جاءت أصلاً في اليونانية، لأنها تفيد الارتباط المتناسق المتّحد بالفكر والقلب. وهو لا يأتي إلاّ مع الكثرة. وهكذا إذا وضعنا أوصاف المواظبة مع أوصاف النفس الواحدة بمفهومها اليوناني الخصب، يكون المعنى بل يكون الرد هو حلول الروح القدس.

«على الصلاة والطلبة»:

هنا تأخذ الصلاة المعنى الطقسي، إذ يُفهم أنها صلاة السواعي مع طلباتها الثماني عشرة المسماه في الطقس العبري بالبراكوت، حيث ترتفع بسبب هذه الحرارة والاتحاد الروحي لتأخذ معاني أكثر من المألوف في الطقس ويكون لها استجابة حتمية.

وسوف نقابل هذه المواظبة على الصلاة والطلبة والتعليم كثيراً في هذا السِفْر، وقد وردت حوالي عشر مرات في مواقف تستدعي الصلاة القوية. وعلى القارىء العزيز أن يدرك أن سفر الأعمال هو في الحقيقة سفر الصلاة التي استجابت لها السماء بصورة فورية وملموسة.

«مع النساء ومريم أم يسوع»:

وقوله "النساء" دون تخصيص، فيكنَّ هن اللواتي تبعْنَه من الجليل: «وعلى أثر ذلك كان يسير

في مدينة وقرية يكرز ويبشر بملكوت الله ومعه الاثنا عشر وبعض النساء كنَّ قد شُفين من أرواح شريرة وأمراض (حفظوا الجميل وتبعوه). مريم التي تُدعى المجدلية التي خرج منها سبعة شياطين، ويونّا (حنينة) امرأة خوزي وكيل هيرودس وسوسنة وأُخَرُ **كثيرات** كُنَّ يخدِمْنَه من أموالهن!!» (لو 8: 1-3). والأخريات اللاتي كُنَّ معه عند الصليب وعند القبر: «وكانت هناك نساء كثيرات ينظرن من بعيد وهن كنَّ قد تبِعْنَ يسوع من الجليل يخدمنه وبينهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب ويوسي وأم ابني زبدي.» (مت 27: 55و56)

ويذكر إنجيل ق. مرقس نفس هاته النسوة ويضيف: «**... وأُخَر كثيرات اللواتي صعدن معه إلى أورشليم.**» (مر 15: 41)

«ومريم أم يسوع»:

وكان اسم **«مريم»** في العهد القديم يُنطق **«ميريام»** ونطقها يوسيفوس **«ميريامين»**. هذه هي آخر مرة تظهر فيها القديسة مريم في الكتاب المقدَّس. فهي وإن كان قد تمَّ فيها ما قيل بنبوة سمعان الشيخ عند الصليب إذ جاز في نفسها سيف، وأي سيف! يُذبح ابنها أمام عينيها ويستودع الروح، ولكن هوذا الروح القدس انحدر ومعه إكليل مجد الأمومة التي وهب الله العالم من أحشائها ابناً والرئاسة على كتفيه، إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام ويُدعى اسمه عجيباً!! وقد ارتاح في أحشائها المعزِّي عِوَض المخلّص فأراحها. وهوذا الأجيال كلها تطوِّبها. ويا لسعادة آذاننا حينما نسمع الكنيسة كلها ومن فم واحد تطوِّبها.

«ومع إخوته»:

لقد ذكرهم بولس الرسول كما رآهم في أيامه وهم يخدمون الإنجيل وكل واحد معه زوجته هكذا:

+ «ألعلنا ليس لنا سلطان أن نجول بأخت زوجة كباقي الرسل **وإخوة الرب** وصفا.» (1كو 9:5)

وأسماؤهم بحسب ما ذكرهم ق. متى في إنجيله (13:55) وق. مرقس (6:3) يعقوب ويوسي (يوسف) وسمعان ويهوذا. ومعروف أنهم لم يكونوا من المؤمنين بالرب من البداية حتى موته (يو 7:5). ولكنهم آمنوا بالقيامة إذ اقتنعوا بها، ورفعت عنهم عار جحودهم. ومعروف بحسب بولس الرسول أن يعقوب حصل بعد القيامة على مقابلة خاصة مع الرب (1كو 15:7)، وقد ذكره ق. لوقا مراراً في سفر الأعمال: (12:17)، (15:13)، (21:18). أمَّا يهوذا فهو بحسب ظن الباحثين هو صاحب الرسالة التي وردت باسمه (يهوذا: 1).

وفي القرن الرابع بلغنا تحقيقٌ أجراه القديس إبيفانيوس أن إخوة يسوع هؤلاء هم أولاد يوسف خطيب مريم من زوجة سابقة، وقد استلمها ممن سبقوه كتقليد تأصَّل في الكنيسة.(85)

وأول مَنْ عارض هذا التقليد هو ترتليانوس المعروف أنه حُسب خارج الإيمان الصحيح، وقام القديس جيروم وهدم هذه الظنون المخالفة للتقليد وكتب دفاعاً عن الرأي التقليدي للكنيسة(86)، موضحاً رأياً آخر أن هؤلاء الإخوة هم أولاد خوؤلة وهم أولاد حلفاؤس من مريم زوجة كلوبا، أخت مريم العذراء. وعن هذه الزوجة التي لكلوبا نحن متأكدون أن لها ابنين يعقوب الصغير ويوسي (يوسف): (مر 15:40). ولكن يظن أن يعقوب الصغير ليس هو أخا الرب، وسمِّي بالصغير بالنسبة ليعقوب أخي الرب.

ولكن الذي يهمنا من أمرهم أن دخولهم الإيمان الصحيح واعتلاء واحد منهم رئاسة كنيسة أُورشليم، وهو الذي دُعي بالبار بسبب نسكه الشديد وتقواه التي شُهد له بها وذلك بعد عدم إيمانهم بالرب طول مدة حياة الرب معهم، يوضح لنا بقوةٍ سلطانَ قيامة الرب الغالبة التي سلبت لبَّهم، بل سلبت جحودهم ووهبتهم هذه الرفعة مرة واحدة لينضموا مع الرسل على قدم المساواة. هذا ملفت للنظر حقاً: والآخِرون أولون!!!

ويقال أنه بسبب قتل اليهود ليعقوب البار أخي الرب ـ إذ رموه من على جناح الهيكل فسقط على الأرض وترضَّض ومات ـ أن قامت بعد ذلك الحرب وخُرِّب الهيكل والمدينة ونُفي الشعب. ولكن ليس بسبب موت يعقوب البار بل بسبب موت روح التقوى ومخافة الله التي بلغت أَوَجَها بصلب المسيح: «هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً.»(مت 23:38)

---

(85) Bruce, I, p. 74.
(86) Ibid.

اختيار الرسول الثاني عشر
[1: 15ـ26]

+ «**ليأخذ وظيفته آخر.**» (أع 1:20)

+ [تعيين متياس تلميذاً بالقرعة ليحل محل يهوذا الإسخريوطي وهي آخر قرعة في الأسفار المقدَّسة التي أُلغيت بحلول الروح القدس. لأن القرعة الهيكلية هي نظام العهد القديم].

1: 15ـ17 «**وفي تلك الأيامِ قامَ بطرسُ في وسْطِ التلاميذِ. وكان عِدَّةُ أسماءٍ معاً نحوَ مائةٍ وعشرينَ فقال: أيَّها الرجالُ الإخوةُ، كان ينبغي أن يتمَّ هذا المكتوبُ الذي سَبَقَ الرَّوحُ القدُسُ فقَالَهُ بفَمِ داودَ عن يهوذا الذي صَارَ دليلاً للذين قبَضُوا على يَسُوعَ. إذْ كان معدُوداً بينَنا وصارَ لهُ نصيبٌ في هذهِ الخدمةِ**».

حينما عدَّ بطرس تلاميذ الرب الذين تبعوه واجتمعوا معاً في أورشليم وجد عددهم مائة وعشرين تلميذاً. وأضاف على الرقم حرف و j أو وsei ويعني "نحو". هؤلاء غير الذين بقوا في الجليل وذلك حسبما قال ق. بولس في (1كو 15: 6): «وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمائة أخ أكثرهم باقٍ إلى الآن ولكن بعضهم قد رقد» وهذا الظهور يُحسب أنه تم في الجليل. وق. متى يلمّح إلى ذلك بوضوح: «وأمَّا الأحد عشر تلميذاً فانطلقوا إلى الجليل إلى الجبل حيث أمرهم يسوع. ولمَّا رأوه سجدوا له ولكن بعضهم شكُّوا.» (مت 28: 16و17)
هؤلاء المائة والعشرون يدعوهم هنا بكلمة "إخوة" وهي تسمية أوسع من كلمة "تلميذ"، وهو التعبير الذي شاع في الكنيسة الأُولى. ولكن قوله «أيها الرجال الإخوة» هو أكثر احتراماً وجدّية من قوله «أيها الإخوة» مباشرة. أمَّا لماذا تحدَّد هذا الرقم (120) بالذات، لأنه كان ممكناً أن يُقال "عدَّة تلاميذ" وحسب، ولكن تحديده يرجع إلى تقليد يهودي وهو أن أصغر رقم لابد أن يتوفر لأي جماعة يهودية لتأخذ صفتها الجماعية ويكون لها الحق في تدبير ذاتها بذاتها هو **120 أخاً**[87].

(87) I. Howard Marshall,. *Acts,* pp. 63, 64.

ودفاع بطرس الرسول هنا الذي يشير إلى النبوات وحتمية تتميمها بالنسبة ليهوذا الإسخريوطي، هو لكي يوضح أن خيانته وقطعه وموته لم يكن مجرد حَدَثٍ حَدَثَ في زمانه، ولكنه قصة لها جذورها العميقة في الشخص وفي التاريخ وفي مشورة الله بآن واحد.

وواضح هنا أن ق. بطرس يأخذ دور القيادة، وهكذا كان دائماً مركزه طالما ذُكر اسمه في الإنجيل. وكان هو جديراً بهذه الزعامة. وهو هنا يتزعم حركة انتخاب تلميذ عوضاً عن يهوذا الإسخريوطي، معلّلاً ضرورة ذلك باستكمال نبوة العهد القديم على فم داود النبي في سفر المزامير.

«إذ كان معدوداً بيننا وصار له نصيبٌ في هذه الخدمة»:

الكلام هنا كما يقول العالِم ماير مطابق لصيغة تقسيم أرض الميعاد على الأسباط بيد يشوع، فهو تدبير فوق مستوى التدبير العادي الجسدي، بل هو تسليم أنصبة يُسأل أصحابها عنها كوكلاء عن الذي اختارهم وعيَّنهم وسلّمهم. هنا يقصد بطرس الرسول أن يفصح عن خطورة العمل الذي عمله يهوذا. ونحن نرى أن هناك صلة مرعبة وخطيرة بين الوظيفة التي أخذها يهوذا وبين إمكانية تسليمه المسيح ليد رؤساء الكهنة، لأنه من خلال صلته الوثيقة بالمسيح كتلميذ مقرَّب للرب أخذ فرصة أكبر وتخطيطاً أخطر منرؤساء الكهنة، فلو لم يكن تلميذاً ما استمعوا إليه وما استخدموه بكل اهتمام. هذا هو قصد ق. بطرس من قوله: «صار له نصيب في هذه الخدمة» التي أخذها واستخدمها ضد من اختاره ولحساب أعدائه!!

استخدام الشهادات من العهد القديم:

كان استخدام آيات ونبوات العهد القديم كشواهد أو شهادات للأحداث والوقائع التي حدثت في العهد الجديد ذات قيمة كبرى جداً منذ البدء. والذي ابتدأ هذا الاستخدام بالفعل هو الرب يسوع نفسه هكذا:

+ «فقال لهما (لتلميذي عمواس) أيها الغبيان والبطيئا القلوب **في الإيمان بجميع ما تكلَّم به الأنبياء**. أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده. ثم ابتدأ من **موسى** ومن **جميع الأنبياء** يفسِّر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب.» (لو 24: 25-27)

+ «هذا هو الكلام الذي كلَّمتكم به وأنا بعد معكم، أنه لا بدَّ أن يتمَّ **جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير**. حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب، وقال لهم هكذا هو مكتوب وهكذا كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث وأن يُكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأً من أورشليم.» (لو 24: 44-47)

وكان هذا هو الدافع الأول لانشغال الكنيسة منذ البدء بجميع النبوات الخاصة بكل حوادث ووقائع المسيح وجعلها في متناول الكارزين والمعلمين. ولكن تاريخ استخدام النبوات لكشف عهد المسيَّا وظروف عمله تبدأ قديماً من العهد القديم نفسه وخاصة في المزامير وبالأخص المزامير المدعوة "مزامير الملك"، فكلها شُرحت في العهد القديم باعتبارها للمسيَّا. وكلمة «الرب» هي التي كانت تُفهم أنها للمسيَّا مثلما جاء في (مز 110 : 1) الذي شرحه الرب على نفسه إنما بصورة غير مباشرة: «قال الرب لربي.» (مر 12 : 36)

ولقد ابتدأ بطرس الرسول في هذا السفر ـ سفر الأعمال ـ يستخدم النبوات وخاصة المزامير لشرح وتثبيت حقيقة موت الرب وقيامته في (أع 2 : 25 إلخ، 34 إلخ). واعتبر أن أعداء صاحب المزامير هم في الحقيقة أعداء المسيَّا، باعتبار أن صاحب المزامير كان يتكلّم عن المسيَّا الآتي بصفته المتكلّم بالروح في شخصه كما جاء في (أع 4: 25و26): «القائل بفم داود **فتاك** لماذا ارتجت الأمم وتفكّر الشعوب بالباطل، قامت ملوك الأرض واجتمع الرؤساء معاً على الرب (مسيَّا) وعلى مسيحه (داود)» ثم شرحها بطرس ويوحنا: «لأنه بالحقيقة اجتمع على **فتاك** القدوس يسوع الذي مسحته هيرودس وبيلاطس البنطي ...» (أع 4 : 27)

ويلاحِظ القارىء هنا أن الرسل هم أول مَنْ أطلقوا على المسيح لقب فتاك (عبدك) نقلاً حرفياً من المزمور أعلاه الذي جاءت النبوَّة فيه على داود بفم داود: «داود فتاك (عبدك)» فأخذوا هذا اللقب كما هو باعتباره منطوقاً بالروح القدس، ولكنهم استبدلوا كلمة "عبدك" بكلمة «فتاك» وقد اعتبر ق. بولس أن هذا من واقع عمل الإخلاء الذي صنعه ابن الله في نفسه: «أخلى نفسه آخذاً صورة **عبد**.» (في 2 : 7)

وقد اعتبر الرسل أن من ضمن الأعداء يهوذا الإسخريوطي، التلميذ الذي نقل تلمذته بإرادته من تحت المسيح لتكون للشيطان: «واحد منكم **شيطان**» (يو 6 : 70). وقد استخدم ق. متى أسفار الأنبياء لتوضيح عداوة يهوذا من جميع ما جاء في سفر زكريا النبي مع ما جاء في سفر إرميا النبي. ولكن أوضح وأخطر تعريف لعداوة يهوذا للمسيح جاء في صلاة الرب في إنجيل ق. يوحنا الأصحاح السابع عشر: «ولم يهلك منهم أحد **إلاَّ ابن الهلاك ليتم الكتاب**» (يو 17 : 12). كذلك النبوة التي جاءت في (مز 41: 9و10): «أيضاً رجل سلامتي الذي **وثقت به** آكل خبزي (جسدي) رفع عليَّ عقبه، أمَّا أنت يا رب فارحمني **وأقمني** فأجازيهم» = «لست أقول عن جميعكم، أنا أعلم الذين اخترتهم. لكن ليتم الكتاب الذي يأكل معي الخبز رفع عليَّ عقبه.» (يو

(18 : 13

وبطرس الرسول كان واثقاً أن داود النبي إنما كان يتكلَّم بالروح عن المسيح حينما تكلَّم عن الموت والقيامة «(داود) سبق فرأى وتكلَّم عن قيامة المسيح أنه لم تُترك نفسه في الهاوية ولا رأى جسده فساداً. فيسوع هذا أقامه الله **ونحن جميعاً شهود لذلك.**» (أع 2: 31-32)

ولكن ق. بطرس نفسه لا يرى في شهادته ما للنبوات ذاتها من الأهمية بالنسبة لإيماننا، فهو يتكلَّم عن النبوات هكذا:

+ «ونحن سمعنا هذا الصوت (أنت ابني الحبيب الذي به سررت) مُقبلاً من السماء إذ كنَّا معه في الجبل (التجلي) المقدَّس. **وعندنا الكلمة النبوية وهي أثبت** التي تفعلون حسناً إن انتبهتم إليها كما إلى سراج منير في موضع مظلم إلى أن ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح في قلوبكم، عالمين هذا أولاً أن كل نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص، لأنه لم تأتِ نبوة قط بمشيئة إنسان بل تكلَّم أُناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس.» (2بط 1: 18-21)

1: 18و19 **«فإن هذا اقْتَنَى حقلاً من أُجرةِ الظّلمِ وإذْ سَقَطَ على وجهه انشقَّ من الوسَطِ فانسكبت أحشاؤُهُ كُلّهَا. وصار ذلك معلُوماً عند جميع سكَّانِ أُورشليمَ حتى دُعِيَ ذلك الحقلُ في لُغتِهِم حَقْلُ دَمَا أي حَقْلَ دَمٍ».**

«فإن هذا اقتنى حقلاً من أجرة الظلم»:

هذا التعبير يحمل تورية مؤلمة للغاية، لأن يهوذا لم يكن عنده الوقت ليشتري حقلاً بل لمَّا أحسّ بالكارثة وأنه أسلمَ معلّمه وسفك دماً بريئاً تقول القصة في إنجيل ق. متى هكذا:

+ «حينئذ لمَّا رأى يهوذا الذي أسلمه أنه (المسيح) قد دين ندم (كندم عيسو بعد الأوان) وردَّ الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلاً قد أخطأت إذ سلَّمْتُ دماً بريئاً. فقالوا ماذا علينا أنت أبْصر، فطرح الفضة في الهيكل وانصرف ثم مضى وخنق نفسه. فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا لا يحل أن نلقيها في الخزانة لأنها ثمن دم. فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخاري مقبرة للغرباء لهذا سُمي ذلك الحقل حقل الدم إلى هذا اليوم. حينئذ تمَّ ما قيل بإرميا النبي القائل وأخذوا الثلاثين من الفضة ثمن المثمَّن الذي ثمنوه من بني إسرائيل وأعطوها عن حقل الفخاري كما أمرني الرب.» (مت 27: 3-10)

وهكذا ركَّب ق. بطرس شراء الحقل فوق رأس يهوذا واعتبره تورية أنه هو الذي اشتراه!! وهي قصة مُفجعة حقاً لا يطيق سماعها الإنسان!!
ولكن في النسخة اليونانية الدقيقة للعالِم "وستكوت وهورت" وضعوا هذه المعلومة بين قوسين باعتبارها ليست واردة عن ق. بطرس، بل وضعها ق. لوقا من عنده للتوضيح. أمَّا هذا الاختلاف الشديد بين النص كما جاء في إنجيل ق. متى وهذا النص في سفر الأعمال للقديس لوقا فيرجع إلى أن ق. لوقا يكتب بعد هذه الحادثة بما يقرب من ثلاثين سنة مع أن هذا التسجيل موضعه يوم الأربعين أي بعد الحادثة بستة أسابيع فقط. وهو يضعها هنا من عنده ليوضح لثاوفيلس أحداث ثلاثين سنة مضت. لذلك يلزم فهم المفارقة في ذلك بين ما تم بالفعل في وقته، حيث يزيد ق. لوقا ـ أن هذا صار معلوماً عند سكان أورشليم ـ آنئذ! وليس بعد ثلاثين سنة. علماً بأن ما جاء على لسان بطرس الرسول هنا مخاطباً سامعيه كان يوم الأربعين، أي كان سامعوه يعرفون أيضاً هذه الحقيقة، لأنه لم يكن قد فات عليها أكثر من ستة أسابيع.
كذلك على القارىء أن يدرك قصور رواية ق. لوقا هنا التي يوضح فيها أنه لم يكن معاصراً لها فمثلاً:

1 ـ يهوذا ألقى الثلاثين من الفضة في الهيكل ومضى. فمَنْ الذي اشترى الحقل؟ (الحقيقة أنهم رؤساء الكهنة).

2 ـ وكيف ولماذا «**سقط على وجهه وانشق من الوسط**»؟ (الحقيقة أنه شنق نفسه).

3 ـ لماذا دُعي في أورشليم ذلك الحقل بحقل الدم؟ (لأنها أجرة تسليم دم للموت).

هذه الأسئلة أوضحت أن رواية ق. لوقا لم تكن لشاهد عيان زمني أي معاصر.
وقد جرت محاولات للتوفيق بين النصَّين للقديس متى والقديس لوقا. ولا داعي للدخول في تفاصيل لُغويَّة دقيقة ومتعبة، خاصة بأن القصة بجملتها مُفرقة.

20:1 «**لأنه مكتوبٌ في سِفْرِ المزامير لتَصِرْ دَارُهُ خَرَاباً ولا يكُن فيها سَاكنٌ وليأخُذْ وظيفتَهُ آخرُ**».

«لتصر داره خراباً ولا يكن فيها ساكن»:

هي من المزمور (69 : 25) وأتت هكذا: «لتصر دارهم خراباً وفي خيامهم لا يكن ساكنٌ» وكمالتها أيضاً تدخل في الاعتبار: «ليمحوا من سفر الأحياء ومع الصديقين لا يكتبوا.» (مز 69 : 28)

«ليأخذ وظيفتَهُ آخر»:

وهي من المزمور (109 : 8) وأتت هكذا: «لتكن أيامه قليلة ووظيفته ليأخذها آخر» وكمالتها أيضاً منطبقة « من أجل أنه لم يذكر أن يصنع رحمة بل طرد إنساناً مسكيناً فقيراً والمنسحق القلب ليميته. وأحب اللعنة فأتته ولم يُسَرَّ بالبركة فتباعدت عنه.» (مز 109 :16و17)

هنا القديس بطرس مشغول بالمنصب الذي أُفرغ من شاغله أكثر من العقاب الذي حلَّ بيهوذا. فالكلام هنا لا يأتي من باب الشماتة أو الدينونة، ولكن من باب المسئولية التي شعر بها ق. بطرس كونه المسئول عن جماعة الرسل الاثني عشر: «وأنت متى رجعت ثبِّت إخوتك» (لو 22 : 32). إذ اعتبر أن عدد الرسل الذي حدَّده الرب ليس جزافاً بل على مقابل عدد الأسباط: «وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتاً. لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي وتجلسوا على كراسي تدينون أسباط إسرائيل **الاثني عشر**» (لو 22: 29و30). والملاحَظ أن إنجيل ق. لوقا هو الوحيد الذي ذكر هذه الآية. فالآن بسقوط يهوذا من دائرة الرسولية التي تخصُّه يكون وكأنه تعطَّل سِبْطٌ من أن يكون له ممثل في ملكوت المسيح. ثم بدخول النبوَّة المشيرة إلى سقوط يهوذا وفراغ كرسيه (109 : 8) برزت ضرورة القيام بعملية ملء وظيفته بحسب اتجاه المزمور: «ووظيفته ليأخذها آخر» التي جاءت بصيغة الأمر، فاعتبرها ق. بطرس أنها التزام، وعليه أن يختار مَنْ هو أهل ليملأ وظيفته على قياس مؤهلات التلاميذ.

وإن كانت النبوة الأولى (69 : 25) جاءت في الأصل بالجمع، فمعروف أن يهوذا لم يكن في الحقيقة يمثل نفسه أو رسوليته لمّا أتى هذا الإثم الشنيع، إنما هم رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب. لذلك فالمفرد هنا تمثيلي إذ يمثل الجمع، أي رؤساء الكهنة، وهذا ما تمَّ بالفعل إذ أُوقف الكهنوت بعد أن قُتل وذُبح وأُحرق كهنة المذبح مع رؤسائهم على يد تيطس، وأُفرغ الهيكل من رؤسائه وساكنيه، وتمَّت النبوة باللعنة: «لِتَصِرْ دارهم خراباً (دار رؤساء الكهنة والكهنة أي رواقهم) وفي خيامهم (أي مساكنهم الخاصة داخل الهيكل) لا يكن ساكن» وهذا صار معروفاً على مستوى التاريخ والواقع حتى هذا اليوم!!

وحتى بعد أن غيَّر العلماء[88] كلمة «وظيفته» كأنها مجرَّد خدمة diakon…a إلى كلمة «أسقفية» أي نظارة عليا ™piskop»n، فإن هذه الكلمة الجديدة هي أشد انطباقاً على رؤساء الكهنة أو رئيس الكهنة بالمفرد الذي حكم حكمه من واقع وبناءً على خيانة يهوذا. فاللعنة للخائن

(88) Bruce, I, p. 79.

جاءت بمنطوق المفرد قولاً ولكنها أصابت الطغمة التي نفَّذت الخيانة. وبشيء من التأمل نجد أن **جزاء يهوذا باللعنة** والخراب والسقوط من الأسقفية، أي الرسولية، لا قيمة له على الإطلاق بالنسبة لمسار التاريخ والواقع الحي بل والمسيحية بأكملها، ولكن الجزاء الذي وقع على رؤساء الكهنة وخدمتهم أو أسقفيتهم بالخراب والدمار، وتوقُّف عملهم كسكان في بيت الله، هو الذي صنع التغيير الجوهري في الديانة اليهودية وأصابها إصابة مباشرة لتحل محلَّها الديانة المسيحية والكنيسة.

1: 21و22 «**فينبغي أن الرجالَ الذينَ اجتَمَعُوا مَعَنَا كُلَّ الزمانِ الذي فيهِ دَخَلَ إلينا الربُّ يسوعُ وخَرَجَ، مُنذُ معموديَّةِ يُوحَنَّا إلى اليومِ الذي ارتفعَ فيهِ عنَّا، يصيرُ واحدٌ مِنهُم شاهِداً معنا بقيامَتِهِ**».

هنا نستخلص من حدود أوصاف الشخصية التي تؤتمَن على البشارة بالإنجيل والشهادة بالقيامة مؤهلات الإنجيلي التي تؤهله لذلك:

أولاً: يلزم أن يكون قد عاصر الرب ولازمه وسمعه واستمع إليه وفهم قوله واستنار بتعليمه، حضر معموديته وشاهد بداية مناداته بالملكوت ولازمه في آلامه وصلبه وموته حتى قيامته التي يشهد لها شهادة رؤيا العين وإيمان الخبر بآن واحد.

ثانياً: أن يكون قد اجتمع مع الرسل ـ «معنا» ـ وتعرَّف عليهم كاثني عشر مختارين من المختارين، ويكون من الذين تعبوا مع الذين تعبوا في التجديد، ليؤهَّل للجلوس مع الذين سيجلسون على مائدته في ملكوته، شهد معهم في كل ما شاهدوه وشهدوا له. ليكون واحداً من الاثني عشر، لا عدداً أو اسماً بل عن تأهيل لهذه الوظيفة.

ونعتقد أنه لكي يكون حائزاً على هذه المؤهلات، ينبغي أن يكون واحداً من السبعين الذين اختارهم المسيح ومنحهم قوة روحه القدوس، الذين خدموا وشهدوا وعملوا آيات ومعجزات وكُتِبَتْ أسماؤهم في ملكوت الله حسب إعلان الرب: «بل افرحوا بالحري أن أسماءَكم كُتبت في السموات.» (لو 10 : 20)

فلو أردنا أن نعرف ما في قلب ق. بطرس من جهة أهم المؤهلات التي يتطلبها بالروح، فإننا ندرك ذلك من شهادته لنفسه ولإخوته: «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات» (1بط 1 : 3). هذه الخبرة

الروحية التي ملأت كيان ق. بطرس والتي جدَّدته وغيَّرته وولدته من جديد هي الحد الأدنى الذي يتطلبه من زميل رسوليته الجديد. وهذا هو معنى قوله «شاهداً معنا بقيامته» أي ليست شهادة نُطْقٍ محفوظ أو مُلقَّن أو مفهوم أو مدروس، بل شهادة الإنسان الجديد بالروح عديم الغش والرياء، شهادة من واقع الحياة والرؤيا!! حيث تأتي شهادته للرب يسوع على نفس المستوى من الرؤيا والتصديق والبرهان القلبي: «أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال، يسوع الناصري رجل قد تبرهن (لي و) لكم من قِبَلِ الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم أيضاً تعلمون.» (أع 2 : 22)

إذاً، فهو يبحث عن ويطلب رسولاً له دراية رسوليته هو، ويشهد هكذا:

+ «ورئيس الحياة قتلتموه الذي أقامه الله من الأموات ونحن شهود لذلك.» (أع 3 : 15)

فالرسولية عند ق. بطرس لها هذه السمة الأساسية:

+ «بقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع ونعمة عظيمة كانت على جميعهم.» (أع 4 : 33)

23:1 «فأَقامُوا اثنينِ يُوسُفَ الذي يُدعَى بَارْسَابَا الملقَّبَ يُوستُسَ ومَتِّياسَ».

«بارسابا»:

فالاسم أعطاه ق. بطرس وكان اسمه سابقاً يوسف، أمَّا بارسابا فترجمتها ابن الشايب أو ابن السبت، أي المولود يوم السبت Barshabba. ويوستس من أصل Just وهو روماني، والمقابل العبري «البار hatzaddiq» .

ويشهد المؤرخ يوسابيوس القيصري(89) عن فيلبس الذي من صيدا، أن بابياس يقول عن رواية استقاها من بنات فيلبس العذارى النبيات (أع 21:9) أن يوستس شرب سم ثعبان باسم الرب يسوع ولم يحصل له أي سوء، وذلك تحدِّياً لأشخاص جاحدي الإيمان معتمداً بذلك على قول المسيح: «وإن شربوا سماً مميتاً لا يضرهم.» (مر 18:16)

«متياس»:

هو اسم مختصر من الاسم Mattithiah ويعني عطية يهوه.

وبحسب تاريخ يوسابيوس(90) هو من السبعين الذين اختارهم المسيح. وهو المعروف في التقليد

---

(89) *Ecc. Hist.*, III, 39.
(90) *Ecc. Hist.*, I, 12; II, 1.

الكنسي أنه بشَّر بلاد الحبشة ـ أثيوبيا ـ ومعروف أن المسيحية في أثيوبيا قويمة الأركان.

24:1 «وصلَّوا قائِلِين أيُّها الربُّ العارفُ قلوبَ الجميع عيِّن أنت مِنْ هذَيْنِ الاثنين أيًّا اخترتَهُ».

«وصلّوا قائلين»: proseux£menoi e pan

الترجمة العربية صحيحة تماماً على الوضع اليوناني، فالمعنى هنا أنهم رفعوا الصلاة وفيها قالوا. وجاءت في الترجمة الإنجليزية بتوضيح أكثر، "صلوا وقالوا prayed and said"، والمعنى أنهم رفعوا طلبهم إلى المسيح كصلاة، وهذا يفيد أنهم كانوا في حالة خشوع وتوسُّل.

«العارف قلوب الجميع»: kardiognîsta

ومنها صلاة الليتورجيا التي تأتي: «أيها العارف القلوب» kardiognèsthj qeÒj (أع 15: 8).

«عيِّن أنت من هذين الاثنين أيًّا اخترته»:

يقول العالِم بروس:

> [ينبغي أن نلاحظ أنهم لم يلقوا القرعة بلا تمييز أيًّا كان، فهم اختاروا أولاً رجلين حكموا بأنهما الأحق لملء هذه الوظيفة (ويقول في الهامش أن رجال الحكم في أثينا أيام نظام سولون كانوا يلقون القرعة بين مرشحين يكونون قد سبق اختيارهم على قواعد أكثر منطقية)، لأنه لم يكن قد تبقَّى شيء يمكن أن يميِّز الواحد منهما عن الآخر، وفي هذه الحالة يكون إلقاء القرعة عملاً حكيماً لاختيار أيٍّ منهما، خصوصاً أنهم التجأوا إلى الله ليتدخل. وكانت القرعة في العهد القديم ذات مكانة محترمة سابقاً في التاريخ المقدَّس. ولكن من المؤكد أنه بعد حلول الروح القدس يوم الخمسين لم يتم أي إجراء مثل هذا. وهذه الحقيقة قد تكون هامة وخطيرة أو لا تكون.][91]

وهو يقصد بذلك أنها قد تكون هامة وخطيرة عند الذين يتمسكون بعمل الروح القدس باعتباره الذي "يُعلّمكم كل شيء ... ويُخبركم بأمور آتية" (يو 14:26، 16:13) وهو «روح الحق "الذي" يرشدكم إلى جميع الحق.» (يو 16:13)

وواضح من هذه الصلاة أنها ذات رنين ليتورجي له روح الصلاة وإحساس الحضرة الإلهية، ولا

([91]) Bruce, II, p. 51.

تزال مقاطع من هذه الصلاة مستخدمة للآن في الكنيسة خاصة صلاة: «أيها الرب العارف قلوب الجميع» أما تدخُّل الروح القدس بصورة واضحة قوية مباشرة في العهد الجديد لمعرفة مشورة الله فنسمعها في سفر الأعمال:

+ «وبينما هم يخدمون الرب ويصومون، قال الروح القدس أفرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه، فصاموا حينئذٍ (ثانية) وصلوا ووضعوا عليهما الأيادي (للتكريس) ثم أطلقوهما.» (أع 13: 2و3)

25:1 **«ليأخُذَ قُرْعَةَ هذه الخدمةِ والرسالةِ التي تعدَّاها يهوذا ليذهبَ إلى مكانِهِ».**

هذه قرعة للمجد، وتلك قرعة للهلاك. هذا يدخل على وظيفة تؤدي إلى مجد، وذاك تخلَّى عنها بمشورة الشيطان ليذهب للهلاك. هنا قول الله لكل نفس في كل زمان ومكان:

+ «قد جعلت قدامك الحياة والموت، البركة واللعنة، فاختر الحياة لكي تحيا.» (تث 19:30)

واضح منذ أن تشاجر الرسل فيما بينهم فيمن هو الأعظم فيهم، وكانت المشاجرة واضحة بين يهوذا وبطرس، مَنْ منهما يجلس عن يمين الرب، فهذا هو الطقس، لأن الأصغر هو يوحنا جلس على الشمال فكان الأقرب لقلب الرب، والجلوس عن اليمين يؤهل صاحبه أن يحتل مكانة المسيح من بعده. لقد تشاجر يهوذا من أجل النصيب الأكبر بل وطمح طموحاً أن يكون موضع المسيح بعد المسيح فكانت هي خطية الشيطان التي زرعها في قلب آدم:

+ «فقالت الحية للمرأة لن تموتا (والله قال موتاً تموت) بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما **وتكونان كالله**، عارفين الخير والشر!!» (تك 4:3)

وقد علمونا في الأدب الرهباني أن هناك شيطاناً يسمَّى شيطان النصيب الأكبر، يا ويل مَنْ ينخدع لإلحاحه ويجري وراء النصيب الأكبر، فإنه ينتهي به إلى فقدان الأكبر والأصغر!! هذا يهوذا الذي انتهى إلى أن فقد نصيبه ليذهب إلى مكانه، ومكانه معروف، ولكن بسبب تحشُّم ق. بطرس أمسك عن ذكره.

26:1 **«ثم ألقَوْا قُرْعَتَهُم فوقعَت القُرْعَةُ على مَتِّياسَ فحُسِبَ مع الأحَدَ عَشَرَ رَسُولاً».**

يُلاحَظ هنا أن ليس موت يهوذا الإسخريوطي هو الذي أنشأ الحاجة لملء وظيفته الرسولية، لأنه لمَّا استشهد يعقوب أخو يوحنا بسيف هيرودس لم يجتمع التلاميذ لانتخاب خليفة لكرسيه أو

رسوليته، فكرسيه دائم في السموات في ملكوت المسيح، وعليه هو جلس بأفضل مما كان على الأرض. ولكن هو سقوط يهوذا من دون كرسيه ومن دون رسوليته لسببٍ جدّ قبيح، وهو خيانة أمانة هذه الوظيفة وخيانة الذي اختاره ليكون رفيق مسرته، هو الذي أنشأ الحاجة لملء وظيفته الرسولية. لقد عرّى وظيفته وظهر كرسيه فارغاً في السموات يطلب الملء، والسبط الذي سقط من دونه احتاج لِمَنْ يمثله.

وقفة قصيرة

لنتأمل الآن معاً كيف مُنيت الكنيسة في يهوذا بتصدُّع ركن من أركانها الاثني عشر، ثم كيف حزمت أمرها بغاية السرعة والانضباط واجتمعت اجتماعاً من أهم وأخطر اجتماعاتها لتنتخب الذي يصلح لهذه الوظيفة، كيف بحثت في صدق وأمانة عن اللائق والمناسب، ثم كيف قدَّمته أمام الله في يقين وثقة لتدخُّل الله الأخير، واستمدت ثقتها ويقينها من طهارة تصرفها وصدق تدبيرها ونقاوة ضمائر الذين فحصوا وبحثوا وقرروا وانتخبوا. لا رشوة ولا غرض ولا اعوجاج في الفكر أو العمل، ولا اختلاف وخلاف، ولا تضارب في الرأي أو بالكلام أو اليد. في هدوء القديسين مهَّدوا لحلول الروح واختيار النعمة، فكان كما أرادوا وأكثر مما أرادوا. هذا هو حال الكنيسة منذ ألفي سنة قبل أن تولد المدنيات الحديثة وقبل أن يفتخر الإنسان بديمقراطياته وأحكامه وقبل أن تنفتح عيناه على نور علمه الكاذب ومُثُله ومبادئه وحرياته.

وهكذا صارت معادلته التي لم تُخلَّ: بقدر الروح يكون الصدق، وبقدر التقوى تكون العدالة، وبقدر النعمة يكون الهدوء ويكون الانضباط ويكون النجاح. وهذا وقبل كل شيء وبعد كل شيء لم يكن قد حلَّ عليهم الروح القدس بعد ولا استضاءت قلوبهم بالحق الإلهي على أعلى مداه.

عودة على ذي بدء:

يحتج بعض العلماء، وربما ضمير القارىء، أنه لو لم يتسرع ق. بطرس ليختار متياس لكان بولس هو أحق من يمثل الرسول الثاني عشر. ولكن قول العلماء هنا على غير صواب وصوت الضمير هو الذي يحتسب أنه متسرع بالحكم، والحكم باطل من أساسه. لأن بولس لا يحمل المؤهلات التي تجعله بين الاثني عشر، فلا هو عاصر الرب في خدمته، ولا هو عاصر موته ولا قيامته، فبأي إنجيل يبشّر وعلى أي مؤهلات شخصية يُسمع له؟

ولكن بولس تعيَّن رسولاً بما لم يتعيَّن به أي رسول، تعيَّن من فوق من فم الرب الروح من السماء، لا عن مؤهلات بل عن غير مؤهلات بالمرة، بل عن إيذاء لأولاده وبناته وتمزيق للكنيسة بإفراط وتفريط، من قتل وتشريد وسجن وتعذيب لقديسيه ومُتقيه. هذه هي المؤهلات، فأي رسول يكون؟ وبين أي رسل يُحسب بولس رسول على مستوى الرسل مجتمعين، فهو لا يُحسب واحداً من الاثني عشر؟ لأنه أثبت ـ كما يقول هو ـ أنه أفضل من جميعهم، في تعذيب وضرب وجلد وسجن ورجم وميتات كثيرة. فرسوليته مستمدَّة من رسولية المسيح، إن جاز هذا التعبير، لأنه كما قال هو: «أكمِّل نقائص شدائد المسيح في جسمي» (كو 1:24). والرسل الاثنا عشر كرزوا لأورشليم وما حولها وحملوا همّ الختان، أما هو فحمل وسخ العالم الأممي بكل أممه وشعوبه وعزلته، حمله على كتفيه وعبر به البحار والأهوال حتى أرساه على نعمة المسيح على قدم المساواة وأكثر مع أهل الختان وأصحاب الموعد!!

فبولس هو رسول العالم كله بلا منازع، وكرسيه آخر الكل وأعلى من الكل بكل يقين، محسوب أصغر الرسل وبين القديسين سقط، ولكنه معروف في السموات أنه صاحب إكليل البر الذي وضعه عليه الرب بيده، وسمات الرب وجروحه أوسمة تتلألأ على جسده، تمشي وراءه ألوف وملايين تعترف بفضله وتهتف باسمه.

الأصحاح الثاني

معمودية الاثني عشر مجتمعين، أي معمودية الكنيسة

(2: 1ـ 13): حلول الروح القدس.

(2: 14-40): خطاب بطرس الرسول.

(2: 41-47): الكنيسة تأخذ شكلها وبداية حركتها.

حلول الروح القدس
في عيد الخمسين عيد الباكورات
أو عيد الأسابيع "شبوعات"
[13-1:2]

1:2 **«ولمَّا حَضَرَ يومُ الخَمسِينَ كان الجميعُ معاً بنفسٍ واحدةٍ».**

«ولمَّا حضر يوم الخمسين»:

ka^ ™n tù sumplhroàsqai t¾n ¹mšran tÁj penthkostÁj

الترجمة العربية لا تعطي المعنى الحرفي الدقيق، فالكلمة تفيد "لمَّا اكتمل يوم الخمسين"، أي لمَّا بلغ الزمن إلى يوم الخمسين. لأن العدد يبتدىء من أحد القيامة ويُعدّ سبعة أسابيع تماماً ويأتي يوم الخمسين. فالعيد يأتي لمَّا تكمل الأيام خمسين. لذلك فإن هذا العيد يسمَّى إمَّا عيد الأسابيع "شبوعات" أو عيد الباكورات أي تقديم باكورات القمح. ويقع دائماً يوم الأحد السابع بعد أحد القيامة.

«يوم الخمسين»: tÁj penthkostÁj

وتعني باليونانية الخمسين عدداً. وبالعبرية يُدعو shabu'oth وترجمته "الأسابيع".

وهو مذكور في (لا 23:15)، وباسمه هذا مذكور في (خر 34:22)، (تث 16:10) ومذكور باسم عيد الباكورات في (عد 28:26)، (خر 23:16). فهو عيد للشكر على بركات الحصاد. وفي الأيام المتأخرة لليهود اعتُبر أنه يوم نزول الشريعة في سيناء الذي كان في اليوم الخمسين من خروجهم من مصر، فهو ذكرى التحرُّر، وتحرُّرهم كان بالعجائب التي لم يُسمع مثلها قط، فهو عيد لذكرى العجائب.

وحينما أعطى الرب الشريعة لموسى في هذا اليوم أعطاها في وسط مظاهرة الطبيعة، الريح والنار والأرض والجبال، زلازل وبروق ورعود لم يَرَ مثلها الإنسان، فهو عيد ظهور جبرؤوت الله الذي أعطى فيه الشريعة مكتوبة بإصبع الله على ألواح حجرية، فكان بدء تاريخ علاقات الله مع

الإنسان مدوَّنة بالحروف!! لذلك كان يعيِّد له اليهود باهتمام بالغ وافتخار واعتزاز لأن فيه تحدَّد أنهم شعب الله.

وحينما يُقال: «لمَّا **حضر** يوم الخمسين» فإن هذا معناه أن يوم الخمسين الأول بعد قيامة الرب قد حضر ولم يَغِبْ ولن يغيب، لأن فيه تسجَّل حضور الروح القدس، الذي حضوره قائم من الأزل وإلى الأبد، ولكن هو استعلان حضوره على التلاميذ لقيام الكنيسة، فهو عيد الكنيسة الأول وسيبقى عيدها الدائم الخالد، حاضراً بحضور الروح القدس. وحضور الروح القدس هو البقاء الدائم: فهو لن يُصبح ماضياً قط.

«كان الجميع معاً بنفسٍ واحدةٍ»:

هنا أخطأ كثير من المفسرين في فهم كلمة **«الجميع»**، فحسبوها مجموعة الذين كانوا في أورشليم، أي المائة والعشرين. ولكن إذا انتبهنا إلى ما جاء في نهاية الأصحاح الأول والتحامه في الأصحاح الثاني، يتضح أنهم التلاميذ الأحد عشر والرسول الجديد معهم، فهنا جاءت كلمة **الجميع** ونقرأها هكذا: «ثم ألقوا قرعتهم فوقعت القرعة على متياس فحُسب مع الأحد عشر ولمَّا حضر يوم الخمسين كان **الجميع** معاً بنفسٍ واحدة» أي الاثنا عشر.

وأي شرح خلاف ذلك يكون قد جانبه الصواب، لأن حلول الروح القدس الذي رافقه نوال قوة من الأعالي كان وضعاً خاصاً جداً للرسل فقط في البداية، حسب وعد الرب لهم والوصية أن لا يبرحوا من أورشليم حتى يُلبَسوا قوة من الأعالي ويُعمَّدوا بالروح القدس عندما يحل عليهم: «وأمَّا أنتم فستتعمَّدون بالروح القدس ليس بعد هذه الأيام بكثير» (أع 5:1). ومن هنا لزم بغاية السرعة وبوحي من الله، انتخاب الرسول الذي يكمِّل الاثني عشر، لأن الكنيسة ممثَّلة بالاثني عشر هي التي ستقبل المعمودية الأُولى بالروح القدس: « نحن الذين لنا باكورة الروح» (رو 23:8) كميلاد جديد للرسل والكنيسة بآن واحد.

أمَّا دفاع العالِم ماير بأن نبوَّة يوئيل النبي لم تحصر حلول الروح القدس في التلاميذ فقط بل جعلته على العبيد والإماء أيضاً والشيوخ والشباب بالرؤى والأحلام، فهذا جيد وحقيقي وهو ما تمَّ بالحرف الواحد بعد ذلك، بعد الرسل، ولكن بواسطة الرسل وليس مباشرة من السماء. لأن هذا يخلخل مفهوم الكنيسة ويجعل الجميع رسلاً والجميع معلمين والجميع مفسرين والجميع عضواً واحداً، وهذا خلل. ولكن مَنْ وضع عليه الرسل أيديهم حلَّ عليهم الروح القدس بدون تفريق بين أممي ويهودي، أو رجل

وامرأة، أو عبد وحُرّ. **فالعماد** أساساً هو من

اختصاص عمل الكنيسة ممثّلة أولاً في الرسل، وبواسطتها يتم العماد ويتم وضع اليد ويتم حلول الروح القدس ثم التكلُّم بالألسن. أمَّا قبول العماد بالروح القدس وبدون ماء ومباشرة من الله، من فوق، فكان خاصاً بالرسل الاثني عشر أساساً وبجانبهم شخصيات شرفية للكنيسة كالعذراء مريم القديسة وبقية النسوة، ولكن جسم الكنيسة الأساسي هو الاثنا عشر وسيظل هو الأساس إلى أن نراه منقوشاً على أساس أورشليم الجديدة (رؤ 14:21). ولم نسمع في كل الإنجيل عن أن الروح القدس حلَّ بدون إجراء الكنيسة أو أن إنساناً عمَّد نفسه!! وإلا فلماذا اختار الرب الاثني عشر ولماذا ظهر لهم خاصة وأوصاهم أن لا يبرحوا أورشليم؟ وإلاَّ فلماذا وعدهم هم وحدَهم بأنهم سيعمَّدون بالروح القدس؟ أو لماذا سينالون هم وحدَهم قوة من الأعالي ليشهدوا له في البداية؟

إذاً، فليفهم القارىء والعالم كله أن الرب رتَّب اختيار الكنيسة بدقة متناهية ورتَّب الحوادث لتخدم كلها معاً قيام الكنيسة ممثّلة في الاثني عشر بصورة أساسية، وأضاف عليها بعد ذلك من أضاف ولكن بواسطة الرسل الاثني عشر. وإننا نؤكد هذه الحقيقة ونصرّ عليها لأن هذا يتسحب على قانونية الكنيسة ولزومية وجودها وامتيازها الإلهي ممثلة في الرسل أولاً وكل مَنْ اختارهم الرسل ثم الأساقفة وهكذا.

ووضع ق. بولس الرسول يؤكّد هذا. فبالرغم من أن المسيح ظهر له وخاطبه وعيَّنه رسولاً للأمم، إلاَّ أنه لم يقبل الروح القدس من الرب من السماء مباشرة، بل تحتَّم أن يُرسل المسيح له ـ خاصةً وبرؤيا مُسْبَقة ـ حنانيا أحد التلاميذ الذين تقبَّلوا العماد وحلول الروح القدس من يد الاثني عشر لكي يعمِّده ويضع يده عليه ليحل الروح القدس.

يشذ عن هذه القاعدة حالة حلول الروح القدس على كرنيليوس وأهل بيته أثناء صلاة بطرس الرسول بدعوة خاصة من الله، وحدث مع حلول الروح القدس تكلُّم بألسنة، وكان هذا إيذاناً بانفتاح السماء على الأمم لقبول الإيمان بالمسيح. وكان حلول الروح القدس قبل وضع اليد والمعمودية لإقناع الرسل أن الأمم شركاء في الميراث والجسد. ولكن بدون تدخُّل بطرس الرسول كان هناك استحالة لقبول الروح القدس. هنا أخذت الكنيسة ممثّلة في الرسول بطرس نعمة الكرازة للأمم، وهذا ما اعترف به بطرس الرسول أثناء اجتماع الرسل في أورشليم في الأصحاح الخامس عشر.

2:2 «وصارَ بغتةً من السماءِ صوتٌ كما مِنْ هبوبِ ريحٍ عاصِفَةٍ وملأ كلَّ البيتِ حيثُ كانوا جالِسِينَ».

الروح القدس يعلن عن نفسه علناً آتياً من "السماء"، هذه أول آية ‘shme‹on، والإعلان يجيء معبِّراً عن طبيعة الروح الخاصة حسب قول الرب عنه: «الريح (pneàma = الروح) تهبُّ حيث تشاء» (يو 3 : 8). ومن هنا كان «الروح» و «الريح» يحملان اسماً واحداً تمادياً في فهم طبيعة الروح القدس. والاسم بالعربية واضح التقارب روح وريح، أمَّا باليونانية فهو كلمة واحدة pneàma = الروح = الريح ومنها pnoÁ التي جاءت هنا. وقد جاءت pneàma في سفر حزقيال (37 : 9) بالتعبير الذي يجمع عمل الروح وعمل الريح معاً: «فقال لي تنبأ للروح pneàma، تنبأ يا ابن آدم وقُلْ للروح هكذا قال السيد الرب هلمَّ **يا روح** من **الرياح** الأربع **وَهُبَّ** على هؤلاء القتلى ليحيوا» ويُلاحِظ القارىء هنا التقارب بين الروح والريح، وقوله للروح هُبَّ وكأنه للريح تماماً.

«من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وملأ كل البيت»:

فلينتبه القارىء أنها لم تكن ريحاً طبيعية[92]، ولا هواء ولا أية حركة طبيعية[93]، ولكن صوتاً من السماء. فالصوت هو الذي ملأ البيت كله، أي كان مسموعاً من جميع الموجودين في البيت أنه آتٍ من السماء. والأرجح جداً أنه لم يكن صوتاً تسمعه الأذن الطبيعية بل الأذن الروحية المُهيَّأة أن تسمع للروح ولحركته الداخلية، حتى أن القديس مار أفرآم السرياني[94] يقول إنه ملأ البيت برائحة عطرة، وطبعاً هذه الرائحة هي للذين يستنشقون الروح القدس ويميِّزونه. والصوت أو الرائحة الذي أو التي تملأ كيان الإنسان ليس من الضروري أن يكون للجميع بدرجة واحدة ولا هو لازمة من لوازم الروح القدس الحتمية، تأتي بمجيئه وتذهب بذهابه، بل إن الروح القدس أراد أن يعلن عن نفسه وعن وجوده وعن اندفاقه داخل النفس البشرية ويستحوذ على حواسها، وذلك للتأكيد الشديد على صدق وجوده وصدق عمله، حتى يثبِّت الإيمان به والتعلُّق بوجوده. وهذا واضح من قوله «بغتة» (= فجأة)، فهو لم يَسْرِ من غرفة إلى غرفة، بل انطلق

---

(92) Meyer, *op. cit.*, p. 43.

(93) Lightfoot, Neander - cited by Meyer, Ibid.

(94) Ibid.

من فوق ليملأ الكل مرة واحدة ليحس الجميع أنه افتقاد قد جاء من السماء. وما جعلهم يشعرون شعوراً طاغياً بحلوله بهذا الصوت وهذه المفاجأة دون أن يخافوا أو يتزعزعوا هو أنهم كانوا في حالة صلاة عميقة، صلاة دامت عشرة أيام وهي على

أشد ما يمكن من الانتباه والانتظار.

«وملأ كل البيت»:

هنا لأول مرة نسمع عن أن الروح القدس يملأ المكان، والمكان هو المكان الذي كان يجتمع فيه الرب مع تلاميذه وأحبائه في أعياد الخمسين التي مرَّت. وها الروح القدس يدشّنه اليوم بحضور نفس التلاميذ والجمع الذي حضر لصلاة العيد، التي فيها يصومون حتى تنتهي الصلاة في الساعة العاشرة صباحاً، ليجتمعوا ويتناولوا الأغابي معاً. هنا تقدَّس البيت والجميع والطعام معاً، كنيسة مكتملة الصورة والرب في وسطها حسب الوعد:

+ «لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم.» (مت 20:18)
+ «وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر.» (مت 20:28)

3:2 **«وظهَرَتْ لهم ألسنةٌ مُنقسِمةٌ كأنَّها من نارٍ واستقرَّتْ على كلّ واحدٍ منهم».**

هذه هي الآية shme‹on الثانية. إذاً، فقد اكتملت مظاهر الروح القدس، الريح والنار، فإن كان الريح يكشف عن طبيعة الاختفاء المنبثّة في الروح القدس: «الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها، **لكنك لا تعلم** من أين تأتي ولا إلى أين تذهب. هكذا كل مَنْ وُلِدَ من الروح» (يو 3 : 8)، فهنا سماع الصوت الشديد الذي يعبِّر عن حلول الروح لأداء مهمَّته الخطيرة، ثم ظهور النار ليكشف عن طبيعة الروح وطبيعة الأداء الذي سيؤديه الروح كروح إحراق وتطهير: «جئت لألقي ناراً على الأرض، فماذا أريد لو اضطرمت» (لو 12 : 49). وهذان معاً يدخلان ليكمِّلا الصورة والموضوع الذي سبق الرب وأعلن عنه لتلاميذه أنهم سيعمَّدون **بالروح القدس** وحسب قول المعمدان: « هو سيعمِّدكم بالروح القدس **ونار**» (لو 3 : 16). وهو لم يقل "ألسنة من نار" بل « كأنها من نار » glîssai æse^ purÒj **فهي** تحمل شكل النار وليس فعلها الطبيعي الحارق، «إلهنا نار آكلة» (عب 12 : 29)، تأكل الخطية وتأكل كل ما ينحاز ضد الله أو برّه أو قداسته أو عدله فلا يوجد، وذلك لحساب طبيعته البارة القدوسة العادلة. ففعل نار الله إيجابي، هو يحرق السالب ليزداد الإيجابي ليزداد البر والقداسة والحق والعدل.

وحينما يقول: «استقرت على كل واحد منهم» (من الاثني عشر) فهذا يعني أن

الروح الناري ارتاح في كيانهم الرسولي ليحوِّله إلى كيان قدسي «إنكم هيكل الله وروح الله يسكن

فيكم» (1كو 3: 16)، يعمل فيهم ويعمل بهم بآن واحد! لأنه قال بعد ذلك إنه لم يدخل فيهم بل ملأ كل واحد فيهم!! والملء بالروح هو احتلال الروح لكل الكيان ليصير كيان الإنسان كياناً لله، جسداً للمسيح!! الملء هو اتحاد: كيان بكيان. ومن هنا جاء التكلُّم بالألسن، فهو نُطق جسدي وروحي بآن واحد، فعل بشري إلهي بآن واحد، معجزة على المستوى البشري والإلهي بآن واحد.

بهذا يكون التلاميذ قد جازوا التعميد والتطهير والتقديس بواسطة الرب الحاضر غير المنظور وبروحه القدوس.

إذاً، فقد وُلدت الكنيسة في أشخاص الاثني عشر! كياناً إلهياً واحداً، جسداً واحداً بأعضاء. فكما **حل الروح** القدس على **العذراء** وظلّلتها **قوة العلي** حتى أن القدوس **المولود** منها دُعي **ابن الله الوحيد،** هكذا خطب المسيح لنفسه **عذراء** عفيفة بحسب تعبير القديس بولس **وحلّ عليها بروحه** القدوس وأعطاها **قوة من الأعالي،** والمولود منها هو **شعبه المقدَّس والمفدي،** كنيسته الجامعة الرسولية، كنيسة الله الحي. وكما لمَّا تعمَّد المسيح في النهر حلَّ الروح القدس واستقرَّ عليه بهيئة مجسَّمة مثل حمامة تعبيراً عن عمل ووظيفة حمامة نوح بشير السلام على العالم بعد الطوفان، هكذا تعمَّدت الكنيسة بالروح القدس وظهرت ألسنة الروح كنار منقسمة ومستقرَّة عليهم تعبيراً عن حلول الروح فيهم وتقديسهم وتطهيرهم ثم العمل بواسطتهم.

ويلزمنا هنا التأكيد على أن لا الريح ولا الألسنة ولا النار هي الموضوع الذي ننشغل به، بل الموضوع هو الروح القدس، أمَّا هذه كلها فهي آياته التي تخدم وجوده وعمله، لا كأنها طبيعته بل لتُظهر طبيعته غير الظاهرة.

4:2 **«وامتلأ الجميعُ من الرُّوح القدسِ وابتدأُوا يتكلَّمون بألسنةٍ أُخرى كما أعطاهُم الروح أن ينطِقوا».**

هنا نحن أمام ظاهرة جديدة لعمل الروح القدس وهو الامتلاء الفوري مع النطق الفوري، إمَّا باللغة العادية وإمَّا بلسان يعطيه الروح القدس يكون غريباً عن لسان الشخص، وذلك كبرهان لعمل الله، أي معجزة تتناسب مع وظيفة التلاميذ الأولى: وهي إمَّا الكرازة للعالم أجمع بلغاته المعروفة والأمثلة توضح ذلك: «حينئذ **امتلأ بطرس من الروح القدس**

وقال لهم، يا رؤساء الشعب وشيوخ إسرائيل» (أع 4 : 8)، وفي نفس الأصحاح: «ولمَّا صلوا تزعزع المكان الذي كانوا

مجتمعين فيه، وامتلأ الجميع من الروح القدس وكانوا يتكلَّمون بكلام الله بكل مجاهرة »(أع 4 : 31)، وأيضاً: «وأمَّا شاول الذي هو بولس أيضاً فامتلأ من الروح القدس وشخص إليه وقال... فالآن هوذا يد الرب عليك فتكون أعمى...» (أع 13: 9و11)، وإمَّا بلغة أخرى غير لغة الكارز وهي التكلُّم بالألسنة، وسيجيء ذكرها.

«وامتلأ الجميع من الروح القدس»:

في البداية يتحتَّم أن نعرف أن هناك ملئاً بالروح القدس يتمُّ في المعمودية مرة واحدة. كما يوجد ملءٌ آخر بعد المعمودية يتكرر كلما شاء الروح واحتاج الكارز. الملء الأول في المعمودية هو تقديس هيكل الإنسان للسكنى والإقامة: «أنتم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم »(1كو 3 : 16). وهذا الملء هو الذي يؤهِّلنا للشركة مع الروح القدس والمسيح، وبالتالي في عضوية الجسد أي الكنيسة. أمَّا الملء المتكرر فهو زيارة مفاجئة للروح القدس تتم في حدود عملية معينة يضعها الله على كاهل الكارز لإعلان حق الله والشهادة للمسيح.

كما أن هناك فرقاً بين حلول الروح القدس في القديم على الأنبياء والملوك وهذا قابل أن يفارق من يحلّ عليه؛ وبين حلول الروح القدس في العهد الجديد فهو للعمل في الداخل وهو الملء، وهذا قابل للإحزان وقابل للإطفاء، أمَّا الذي يزدري به فلا خلاص له بل يوضع للهلاك.

والتكلُّم بالألسن أو اللسان له أشكال متعددة، فهنا في سفر الأعمال جاء بأوضح صورة وأقوى مفاعيله حيث يتكلَّم الرسول بلغة لا يعلمها وينطقها دون إرادته، فهذا إعلان صارخ عن وجود الروح القدس ونشاطه واشتراكه في الشهادة بقوة، لذلك سبق المسيح في إنجيل ق. يوحنا وقال: «ومتى جاء المعزِّي الذي سأرسله أنا إليكم ... فهو يشهد لي وتشهدون أنتم أيضاً (بآن واحد)...» (يو 15: 26و27). كما أن هناك تكلُّماً بالألسن بلغة غير مفهومة تحتاج إلى مترجم كما سمعنا في (1كو 14: 27و28). كذلك يوجد أيضاً تكلُّم بلسان لا يفهمه أحد ولا يفهمه صاحبه وهو مجرد انفعال بالروح، كما يوجد تكلُّم باللسان مزيَّف من الأرواح الشريرة، لذلك يقول ق. يوحنا: «أيها الأحباء لا تصدِّقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله، لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم» (1يو 4 : 1). أمَّا الاختبار فهو التأكيد من أن هذه الأرواح تشهد للمسيح وتنطق بعظائم الله.

«وامتلأ الجميع»:

«الجميع» هنا هم الاثنا عشر، وهم فقط الذين يمثلون الكنيسة الرسولية الواحدة، أي

الجسد الواحد، ولكن كل واحد نال هذا الملء، فهو ملء لكل رسول ونفس الملء للاثني عشر. وهنا تظهر الوحدة المقدَّسة التي ربطت الكل في الواحد. والواحد هو الروح القدس والمسيح. هذه هي الشركة المقدَّسة بالروح الواحد في الروح الواحد، وهي بعينها الوحدة **معاً وفي المسيح بالروح القدس:** «أنتم فيَّ وأنا فيكم» (يو 14 : 20). وهكذا نفهم ونتيقَّن أن أصل وحدة الكنيسة هو الملء من الروح القدس لكل فرد كالآخر. نقول، ملء كل فرد من الروح القدس وملء كل واحد كالآخر، هذا هو أساس سر الوحدة في الكنيسة وبالتالي سر الشركة في المسيح. واضح أيضاً من هذا أن وحدة الكنيسة ليست وحدة مصنوعة أو مركبة، بل وحدة إلهية مصدرها الملء من الروح القدس من فوق الذي هو بعينه ملء التجديد، ملء الخليقة الجديدة. وبالنهاية يمكن الآن أن نقول بكل ارتياح ويقين إن **وحدة الكنيسة هي بعينها الخليقة الجديدة** ممثَّلة بالاثني عشر. فإن كانت الكنيسة هي الخليقة الجديدة فهي الملكوت، ملكوت المسيح على الأرض الذي يضم، بواسطة الرسل أو تعليم الرسل أي الإنجيل، كل الذين يخلصون ليكونوا بالنهاية مع المسيح كل حين.

وكل مَنْ امتلأ بالروح القدس بعد ذلك بتعليم الرسل والإنجيل ثم بالمعمودية والصلاة مع الصوم والطلبة التي مارسها الرسل الاثنا عشر، كنموذج حتمي لمن يريد أن يحل عليه الروح القدس ويملأه، فإنه يتأهل للاتحاد بالمسيح إذ ينال نفس الملء الذي في الكنيسة. فنقول عنه ـ بعد أن يشترك في جسد الرب ودمه ـ إنه اتحد بجسد المسيح، أي الكنيسة، وصار عضواً في الجسد الواحد، حتى أن ق. بولس تجرأ ونقلها نقلة واحدة غاية في العلو والسمو والسرِّية فقال: «لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه» (أف 5 : 30)!! فالاتحاد ليس بالتصوُّر ولا بالعقل ولا حتى بالافتراض حسب منطوق الإيمان أو التعليم، ولكنه اتحاد واقعي صنعه المسيح في نفسه قبل أن يمنحه بالسر لنا، فقد اتحد لاهوتياً بلحمنا وعظامنا بتجسده، فصار لحمه لحمنا وعظمه عظمنا، وبالتالي صار بلاهوته متحداً بنا، فصرنا متحدين بلاهوته بعد أن اتحد هو بناسوتنا. وصدقت أحجية الكنيسة التي نرددها في التسبحة: «**هو أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له فلنسبحه ونمجده ونزيده علواً**» (ثيئوتوكية الجمعة)!! فإن كان هو الذي تنازل وأعطانا، فكيف لا نتجرأ ونأخذ؟!

ولكي يعلن الرب عن امتلاء الكنيسة بالروح القدس الذي بحسب وعده المبارك أنه ـ أي الروح القدس ـ يأخذ مما له ويخبر رسله القديسين قال: «مَنْ غفرتم خطاياه تغفر له ومَنْ أمسكتم خطاياه أُمسكت» (يو 20 : 23). إذاً فالملء بالروح القدس تحدَّدت له **وظائفه** في **الاثني عشر،**

والذين بدورهم **سلّموها** لمَنْ استأمنوهم على الروح القدس ووظائفه.

«ابتدأوا يتكلّمون بألسنة أخرى، lale‹n ˜tšraij glèssaij
كما أعطاهم الروح أن ينطقوا»:

هنا وضحت فاعلية الروح القدس في الاثني عشر، فهم وهم جليليون أي أُميّون لا يعرفون اليونانية إلاّ القليل ـ بدأوا أو **شرعوا**، على وجه الأصح، يتكلّمون بلغات أخرى، لا كما هم يعرفون، ولكن كما أعطاهم الروح القدس أن ينطقوا. بمعنى أن **الروح القدس استخدم ألسنتهم كأداة يتكلّم بها هو بحسب ما يرى** وحسب ما يريد أن يتحدَّث إلى السامعين الذين يقصدهم. هذا وضع جديد للغاية، فالإنسان بدأ يتكلّم ليس بما عنده ولا بما يفهمه أو يعقله أو بما يريده، بل كما يرى الروح ويشاء. ويصفها مرقس الرسول بفم المسيح هكذا: «ويتكلّمون بألسنة جديدة glèssaij lal»sousin kaina‹j. »(مر 16 :17)

وفي الحقيقة إن كلمة «جديدة» هنا تأتي شارحة معنى المعجزة، فهي ليست لغة حسب إمكانيات أو قدرات الإنسان، فهو لا يتعلّمها ولا يستذكرها ولا يتمرَّن عليها حسب أصول التعليم والنطق والدراسة البشرية العادية أو القديمة، ولكن بحسب مواهب **الإنسان الجديد** بمواهبه الجديدة التي يخدم بها الحياة الجديدة. وكما أن الإنسان الجديد يولد من الروح فجأة، هكذا ينطق بلغة جديدة فجأة، هي ليست لغته القديمة ولم يسبق له أن تكلّم بها أو عرفها أو فهمها. فهي ليست فقط لغة **أخرى** ˜tšraij glèssaij ولكنها لغة **جديدة** glèssaij kaina‹j فهي بالحري لغة **جديدة أخرى**، أو لغة **أخرى جديدة.** وهنا الجدّة ذات معنى عميق فهي لغة لا تتبع لغة الإنسان القديمة ولا تتبع طبيعته القديمة بل وليست على أصول بشرية بالمرة بل من فعل إلهي.

هذه الموهبة لم يقصد بها الله أن يستخدمها الرسل أو البشيرون لمخاطبة كل بلاد العالم بلغتهم، بل أعطاها الله كآية وكمعجزة يُفهم منها أنهم مدعوُّون لكرازة العالم كله بكل لغاته. ولكن دون أن يحملوا همَّ اللغة، فهو كفيل بأن يجعلهم يكرزون وينجحون بإمكانياتهم العادية، لذلك وجدنا أن هذه الموهبة لم تتعدَّ زمانها الأول الذي جذبت فيه أنظار الأمم وإيمانهم، ولم يتبقَّ منها إلاّ نماذج قليلة لتبرهن عن صدق حدوثها.

وقد ثبت فعلاً أن الكرازة لم تتم بالنطق بالألسن، فقد كانت اللغة اليونانية ومعها العبرية

أو الأرامية كافية جداً لنشر الإنجيل بين الأمم، وأكبر مثل لذلك كرازة ق. بولس. فبالرغم من أنه

كان حائزاً على موهبة التكلُّم بالألسن إلاَّ أنه لم يكن يحتاج إليها قط في كرازته. وهكذا بقيت في العصر الرسولي كمعجزة للروح القدس تشهد ليوم الخمسين، وتشهد بالدرجة الأولى أن المسيحية هي ديانة كل بلاد العالم ولغاته. لأنه إن كانت المسيحية قد نطقت بالروح على يد رسلها الاثني عشر الكارزين بلغات العالم أجمع، فقد أصبح العالم كله هدفها.

لذلك فموهبة التكلُّم بالألسن لم تدخل التاريخ كعنصر أساسي للكرازة ولكنها بقيت موهبة قائمة بحد ذاتها، بدأت مع العماد ووضع اليد ولكنها صارت بعد ذلك موهبة (خارزما) مع بقية مواهب الكنيسة: «ولكنه لكل واحد يُعطي إظهار الروح للمنفعة، فإنه لواحد يعطى بالروح كلام حكمة، ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد، ولآخر إيمان بالروح الواحد، ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد، ولآخر عمل قوات، ولآخر نبوة، ولآخر تمييز الأرواح، ولآخر **أنواع** ألسنة ولآخر ترجمة ألسنة، ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد »(1كو 12: 7ـ11)، «ألعل الجميع يتكلَّمون بألسنة» (1كو 12 : 30). لاحِظ هنا أن القديس بولس جعلها آخر المواهب.

ولكن قد تتحوَّل هذه الموهبة تحولات لا حصر لها، فقد يدخل المتكلِّم باللسان في حالة اللاوعي أي الغيبوبة ويصير كلامه غير مفهوم، فلا يصبح كلاماً للفائدة، وقد يتدخل الشيطان ويحوِّل التكلُّم باللسان إلى خداع. من أجل هذا لم تعد الكنيسة تحتضن هذه الموهبة أو تشجِّع عليها، ولكنها موجودة.

أمَّا بالنسبة للرسل في يوم الخمسين، فكان في الكلام الجديد تأثير خاص من الروح يستخدمه لإقناع السامعين وتبكيتهم ليفتح أمامهم باب التوبة وطلب المزيد من معرفة الله:

+ «فلمَّا سمعوا نُخسوا في قلوبهم وقالوا لبطرس ولسائر الرسل. ماذا نصنع أيها الرجال الإخوة.» (أع 2 : 37)

ولا يظن القارىء أن الأمر كان يتعلَّق بجملة من هنا وجملة من هناك بلسان مَلْوِيّ يُفهم نصفه ويسقط الباقي عن الفهم. كلاَّ، فبطرس الرسول وقف مع الأحَد عَشَرَ في حشد من يهود الشتات من كل أمة ولسان تحت الشمس وأخذوا يخاطبونهم بلسان كل شعب وكل لغة، والكل فهم ما يقوله الروح بلغتهم التي وُلِدُوا فيها، وظلُّوا يتكلَّمون بصحو الروح ربما ساعة أو يزيد: «وتحيَّروا لأن كل واحد كان يسمعهم يتكلَّمون بلغته، فبهت الجميع وتعجبوا

قائلين بعضهم لبعض أترى ليس جميع هؤلاء المتكلمين جليليين. **فكيف نسمع نحن كل واحد منَّا لغته التي وُلِدَ فيها:** فرتيون وماديون وعيلاميون ... إلخ إلخ ...» وآخرهم العرب، خمس عشرة لغة، «فوقف بطرس مع الأحد

عشر ورفع صوته ـ (بلسان) ـ وقال لهم أيها الرجال **اليهود والساكنون** في أورشليم أجمعون (يهود الشتات بلغاتهم)... إلخ.» (أع 2: 5-15)

ونحن هنا مرة أخرى فوق مستوى كلام الله للأنبياء قديماً، فكان الروح القدس يحل عليهم من الخارج وتأثيراته كانت كلها في الظاهر كما وَصَفَها حزقيال النبي «كانت **عليَّ** يد الرب» (حز 37 : 1). ولكن في يوم الخمسين حلَّ الروح القدس وملأ الداخل وملك الفكر والنطق والتعبير وتكلَّم فيهم وبواسطتهم: «روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه وأمَّا أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم **ويكون فيكم.**» (يو 14 : 17)

في القديم كان عمل الروح القدس في الخارج ومن الخارج كقوة مؤقتة وغير ثابتة، أمَّا بعد يوم الخمسين فصار عمله من الداخل ويبقى ويدوم بانسجام واتحاد وسكنى: «ويكون فيكم» (يو 1 : 17)، «أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم» (1كو 3 : 16). هذا ليس من فراغ أن يحل الروح القدس ويملأ ويسكن ويتحد، فهو "روح المسيح" **والمسيح** سبق ودخل وملأ واتحد بمؤمنيه: «في ذلك اليوم تعلمون أني أنا في أبي وأنتم فيَّ وأنا فيكم» (يو 14 : 20)، «مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه» (يو 6 : 56)، «فمَنْ يأكلني فهو يحيا بي» (يو 6 : 57)، «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ. »(غل 2 : 20)

إذاً، فدخوله وملؤه تحصيل حاصل أَوْجَبَه المسيح للذين آمنوا واتحدوا به. والمسيح نفسه جعل هذا المستحيل، أي أن يملأ روح الله القدوس الإنسان ثم يتحد به، جعله واجب الحدوث حينما اتحد لاهوته بجسد إنسان، فأصبح الروح القدس روح الإنسان يسوع المسيح مع روحه البشري، فبعد أن تمجَّد المسيح واستعاد كل أمجاد بنوَّته وجسد الإنسان فيه، نالت البشرية فيه ذروة الكمال وصارت بحكم كمالها منفتحة على البشرية التي فداها المسيح لنفسه وصالحها مع أبيه، ليعبر الروح القدس إليها، لتؤهَّل بدورها للاتحاد بابن الله في هيئة كنيسة تركزت فيها هذه المواهب والإمكانيات.

ونحن نرى أن كل ما قاله يوئيل النبي بالنبوة سابقاً ها هو يتحقق يوم الخمسين. فالروح القدس انسكب على الرسل فتكلَّموا بكلام الله دون أن يدروا بما ينطقون، لأن الروح القدس كان هو الناطق بواسطتهم، وأكبر دليل على ذلك أنهم تكلَّموا بلغات يجهلونها لم ينطقوها سابقاً ولا تعلموها ولا يعرفونها. وبذلك صار مثلهم كمثل مَنْ يتكلَّم في رؤيا أو في حلم.

وخاصية التكلُّم في الرؤيا أو في الحلم لا تكون خاضعة للعقل الواعي. وهكذا صارت مواصفات انسكاب الروح كما

وصفها يوئيل النبي: يرون رؤى وأحلاماً.

لهذا بعدما انسكب الروح القدس على الاثني عشر وامتلأوا منه، تكلّموا بألسنة ـ **أو هو على الأصح لسان واحد هو لسان الروح القدس** الناطق بكل اللغات ـ هؤلاء أُعطوا من الله أن يعمِّدوا الناس بالماء، وعندما كانوا يضعون أيديهم على المعمَّدين كان يحل عليهم الروح القدس. وكانوا يتنبأون، أي يتكلّمون باللسان في الحال والتوّ، ويرون الرؤى والأحلام، رجالٌ ونساءٌ وشيوخٌ وشبانٌ وعبيدٌ وإماءٌ، لا فرق، ويهود وأمميون لا فرق أيضاً كما صرَّح بذلك بطرس الرسول وشهد:

+ «فلما ابتدأت أتكلّم حلَّ الروح القدس عليهم كما علينا أيضاً في البداءة. فتذكرت كلام الرب كيف قال إن يوحنا عمَّد بالماء وأمَّا أنتم **فستُعمَّدون** بالروح القدس (الله هو المعمِّد بالروح). **فإن كان الله قد أعطاهم الموهبة كما لنا أيضاً بالسويَّة** مؤمنين بالرب يسوع المسيح فمَنْ أنا. أقادر أن أمنع الله. فلمَّا سمعوا ذلك سكتوا وكانوا يمجدون الله قائلين إذاً أعطى الله الأمم أيضاً التوبة للحياة.» (أع 11: 15-18)

وهكذا حلَّ الروح القدس على الرسل وتنبأوا وتكلّموا بلسان (الروح)، وعمَّدوا بقية الشعب والأمم فانسكب عليهم الروح بالسوية **وتكلَّموا بألسنة:**

+ «فبينما بطرس يتكلّم بهذه الأمور حلَّ الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة، فاندهش المؤمنون (اليهود) الذين من أهل الختان كل مَنْ جاء مع بطرس. لأن موهبة الروح القدس قد انسكبت على الأمم أيضاً لأنهم **كانوا يسمعونهم يتكلَّمون بألسنة، ويعظمون الله.**» (أع 10: 44-46)

وهكذا وسَّع الله تُخُم الكنيسة من الجسد الواحد للرسل المملوئين من الروح الواحد إلى جسد يلتحم فيه كل مَنْ اعتمد وحل الروح القدس عليه وامتلأ بذات الملء واتحد، كعضو في الجسد الواحد بمقتضى الملء الواحد. فأصبحت الكنيسة حقاً وبالحقيقة الجسد الواحد المملوء بالروح القدس المتكلّم بلسان الله والناطق بعظائم الله والشاهد للمسيح:

+ «فقبلوا كلامه بفرح واعتمدوا وانضم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس.» (أع 2: 41)

+ «وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون.» (أع 2: 47)

فلو عدنا بالفكر إلى معمودية المسيح في نهر الأردن على يد آخر الأنبياء وأعظمهم،

ورأينا كيف بعد أن مسحه الله بالروح القدس والقوة انطلق ينادي بقرب ملكوت الله، والآن وبعد أن

قام من الأموات وسكب الروح القدس من عند الآب ـ وهو روحه بآن واحد ـ على الرسل الذين اختارهم لنفسه ومُسحوا هم أيضاً بالروح والقوة، انطلقوا بدورهم يكرزون بملكوت الله الذي انفتحت أبوابه "عن سعة". فإن صحَّ القول أن البشرية في المسيح قبلت عمادها الأول بالماء على الأردن، فهنا وفي يوم الخمسين قبلت عمادها بروح الموعد القدوس، موعد الآب وروحه، وهكذا وُلِدَت الكنيسة لله في يوم الخمسين ـ بشرية جديدة تحيا بالروح ـ بشبه عريسها، وقدَّمها الآب لابنه عروساً أبديةً، وهي الآن تكمِّل رتبتها بشهدائها وأتقيائها القديسين:

+ «وتكلَّم معي قائلاً هلمَّ فأُريك العروس امرأة الخروف. وذهب بي بالروح إلى جبل عظيم عالٍ وأراني المدينة العظيمة أورشليم المقدَّسة نازلة من السماء من عند الله لها مجد الله... وسور المدينة كان له اثنا عشر أساساً وعليها أسماء رسل الخروف الاثني عشر.» (رؤ 21: 9-11و14)

5:2-7 **«وكان يهودٌ رجالٌ أتقياءُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ تحت السماءِ ساكنينَ في أُورشليمَ. فلمَّا صار هذا الصوتُ اجتَمَعَ الجمهُورُ وتحيَّروا لأنَّ كلَّ واحدٍ كان يسمعهم يتكلَّمونَ بلُغَتِهِ، فَبُهِتَ الجميعُ وتعجَّبوا قائلينَ بعضهُم لبعضٍ أتُرى ليس جميعُ هؤلاءِ المُتكلِّمينَ جليليينَ».**

وهذا هو عمل الله المنسَّق البديع، فقبل أن يحل الروح القدس كان الله قد أعدَّ نوَّاباً عن كل شعوب الأرض ولغاتها ليروا ويسمعوا ويؤمنوا ويذهبوا ليخبروا ويشهدوا كرسالة يحملها هؤلاء اليهود والمتهودون الأتقياء الآتون من كل بقاع العالم المتمدِّن آنذاك. 15 دولة بخمس عشرة لغة جاءوا مدفوعين بحب وطنهم يتزوَّدون بزاد عواطف أهاليهم وذويهم ومنظر هيكلهم وبهاء عبادتهم وعظمة قدسهم: «لأن عبيدك قد سُرّوا بحجارتها وحنُّوا إلى ترابها» (مز 102 : 14)، ولكن كان الروح وراء حنينهم يدفعهم بحنين أعظم وأبقى، حنين الروح إلى مواطن الروح والتزوُّد بزاد النعمة لحياة تدوم. جاءوا من كل صَوْبٍ وحَدَبٍ حُجَّاجاً على الأقدام ورُكبَاناً، فكان يوم الخمسين وكان حلول الروح القدس بجلاله، وكانت أصوات الرسل تمجِّد الله بكل اللغات وتشق عنان السماء. خرجوا مذهولين، واجتمعوا مدهوشين متحيِّرين، شيء لم يُرَ ولم يُسمع عنه قط. جليليون أُميُّون

ينطقون اليونانية بأفضل من أبنائها، بل وباللاتينية والمصرية والعربية وبكل اللهجات التي قلَّ مَنْ يعرفها، يسبحون الله ويهتفون للحي، ويشهدون للمسيح الذي مات وقام وسكب هذا السيل من المواهب واللغات.

«يهود رجال أتقياء»: 'Iouda‹oi ¥ndrej eÙlabe‹j
كان هذا اللقب الجميل يخلعه اليهود على إخوتهم الذين في الشتات الذين يتجشمون مشاق الحج إلى أورشليم: اليهود منهم والمُتهوِّدون على حد سواء، لأن السفر كان مكلّفاً ومضنياً للغاية فلا يقوى عليه إلاّ مَنْ كانت روح التقوى قد استبدَّت به وروح العبادة استعبدته لحسابها فكنز لها كل ما كنز من أموال وهدايا. فبالرغم مما يُشاع عن اليهود أن المال عندهم يقيِّم كل شيء حتى التقوى، إلاّ أن هؤلاء الأتقياء كانوا يوزعون أموالهم على فقراء اليهود وخدَّام الهيكل. فكانوا - لهذا السبب ـ محبوبين للغاية لدى المواطنين وخدَّام الهيكل.

«ساكنين في أورشليم»:
كان هؤلاء الحجاج الآتون من مشارق الأرض ومغاربها غالباً ما يقضون الخمسين يوماً من عيد الفصح إلى عيد الحصاد في أورشليم، يسكنون فيها ليُشبعوا عاطفة الحنين نحو أرض الوطن ويرتاحوا من وعثاء السفر، فكانوا يجولون في المدينة ليتعرَّفوا على كل شيء فيها ويتمتَّعون بكل ما يسمعون، لذلك ما أن تبادر إلى أسماعهم هذه الضجة الكبرى إن من صوت الريح الذي عصف أو من أصوات المهلّلين لما تثقّلوا بنعمة الروح القدس وشدة قوته وأخذوا يمجِّدون الله بكل اللغات، وكأن الروح القدس قد وضع في أفواه هؤلاء الناطقين بالروح أبواقاً تشد انتباه القوم وتجمعهم للسماع، وما تبقّى كان يقوم به الروح القدس نفسه من نخس القلوب ووخز الضمائر لتوبة ودعوة لحياة جديدة بقبول الإيمان الذي يلقي الروح بذرته في القلوب وفي الألسنة بآن واحد: «فلما سمعوا نُخسوا في قلوبهم» (أع 2 : 37). وهكذا حملت القلوب بذرة الإيمان عن انعطاف شديد وبرهان العيان إلى كل بلد وكل أمة، وابتدأ الإيمان يزحف نحو البلاد البعيدة كشروق الفجر بعد ليل طال ظلامه لينير على الجالسين في الظلمة وظلال الموت.

2 : 8-11 **«فكيفَ نَسمَعُ نحنُ كلَّ واحدٍ منَّا لُغَتَهُ التي وُلِدَ فيها. فَرتِيُّونَ ومادِيُّونَ وعِيلاميُّونَ والساكنونَ ما بينَ النهرينِ واليهوديَّة وكَبَّدُوكية وبُنتُسَ وأسِيَّا وفريجيَّة وبمفيليَّة ومِصرَ ونواحي ليبيَّة التي نحو القيروانِ والرَّومانيُّونَ المستوطِنُونَ يهودٌ ودُخلاءُ كريتيُّونَ وعربٌ نسمعهُم يتكلَّمون بعظائمِ اللهِ».**

يُلاحَظ أن المذكورين هنا كلهم يهود أو متهودون، لذلك بالرجوع إلى البلاد التي ذكرها ق. لوقا هنا نجد أنه أسقط أسماء بلاد كثيرة أو مقاطعات بجملتها وهي التي لم يكن فيها يهود. كما يلاحَظ أن أول البلاد التي ذكرها فرتيون وماديُّون وعيلاميون هي المناطق الشرقية التي

سُبي فيها الشعب ـ العشرة الأسباط ـ ومعظمهم بقي هناك ولم يعد من السبي، أمَّا سبي بابل خاصة الذين استوطنوا هناك كانت لهم مدرسة لاهوتية خاصة، لها أفكارها ومبادئها الخاصة المأخوذ بها لكثرة علمهم، والذين عُرفوا بيهود ما بين النهرين أو يهود بابل، وكان تأثيرهم شديداً على أهل شمال الفرات فتهوَّد كثير منهم، كذلك الذين استوطنوا أنطاكية وأخذوا حق المواطنة وفي أسِيًّا خاصة على الشواطىء الغربية، كانت لهم جالية من أكبر الجاليات، ولهم مدرسة ووجود وتأثير، ولكنهم كانوا يهوداً منحلين ويقول عنهم سفر الرؤيا مخاطباً **فيلادلفيا:** «هأنذا أجعل الذين من "مجمع الشيطان" من القائلين إنهم يهود وليسوا يهوداً بل يكذبون، هأنذا أصيِّرهم يأتون ويسجدون أمام رجليك ويعرفون أني أنا أحببتك» (رؤ 3 : 9). كذلك فإن يهود بمفيلية وفريجية وغلاطية والبنتس كانت الجاليات اليهودية هناك لها تأثير كبير وهوَّدت كثيرين. كذلك قبرس حيث كانت لهم جالية كبيرة وخطيرة قامت بثورة أيام حكم تراجان وذبحت مئتين وأربعين ألفاً من مواطني قبرس وذكرها المؤرخ ديوكاسيو(95)، ولكن يهود قبرس عادوا وقبلوا الإيمان المسيحي وساعدوا كثيراً في نشر الإنجيل. ولا يمكن أن ينسى التاريخ المسيحي برنابا (يوسف برناباس) وهو لاوي يهودي أصلاً قبرسي الجنس وهو خال مرقس وهو الذي قاده في رحلته إلى مصر.

فإذا جئنا إلى يهود مصر فنحن نكون أمام أقوى جاليات العالم وأهم يهود الشتات بلا نزاع. فهم الذين قاموا بأهم ترجمة للعهد القديم من العبرية إلى اليونانية. وهي التي عُرفت باسم الترجمة السبعينية. وكان عددهم مليوناً بحسب تحقيق العالم اليهودي فيلو الإسكندري الجنس، وكان لهم في الإسكندرية حيٌّ يهوديٌّ بأكمله يقتطع من الإسكندرية الكبرى قسمين من خمسة أقسام مساحة المدينة. وأهميتهم هي في مقدرتهم اللاهوتية ذات الطابع الأفلاطوني الليبرالي التي وقفت لتصل بين الهيللينية واليهودية وكان يمثّلها العلاَّمة فيلو. ولكنهم في سنة 37ـ38 عانوا اضطهاداً مرعباً على يد مواطني الإسكندرية الأمميين، والذي بسببه أرسلوا فيلو زعيمهم إلى روما ليرفع شكواهم إلى الإمبراطور كاليجولا. ولا يغيب عن بالنا هنا أبلُّوس فهو يهودي إسكندري الجنس من هذه الجماعة، ونذكر فلسفته وقدرته على المحاجاة، وكيف تعمَّد على يدي أكيلا

(95) Dio Cassio LXVIII 32, cited by Rackham p. 23.

وبرسكلا وقام وبشَّر بالإنجيل وكان حاراً بالروح وناجحاً. وكثيرون يُعْزُون إليه كتابة سفر العبرانيين، ولكن هذا غير معترف به. ويُظن أن القديس استفانوس هو أيضاً ربيب مدرسة الإسكندرية اليهودية.

أمَّا ليبيا وأهم مدنها القيروان فقد أمدَّتنا بيهود قبلوا الإيمان وصاروا قديسين وأئمَّة. ولا يمكن أن ننسى سمعان القيرواني حامل صليب المسيح، ولوكيوس النبي في أنطاكية وأيضاً القديس مرقس كاروز الديار المصرية، وقد كان لهم مجمع خاص بهم في أورشليم.

أمَّا يهود روما فكانوا أصلاً ضمن الأسرى الذين أسرهم بومبي من أورشليم سنة 63 ق.م، وقد تحرَّروا بعد ذلك وكوَّنوا مجمعاً ولكن بعدد متواضع، وعلى المدى كوَّنوا جالية أصبحت ذات تأثير كبير حتى على رجال الحكم. ولكن ضعفت شوكتهم بعد أن طردهم كلوديوس. ثم عادوا وكوَّنوا لهم جالية كانت ممثَّلة في أورشليم تمثل أهل روما: الليبرتينيين.

أمَّا الكريتيون فكانت الجالية اليهودية هي أساس تكوين الكنيسة هناك التي أقام عليها ق. بولس تيطس أسقفاً. وأمَّا العرب سواء شرق الأردن أو جنوبه فكان ملكهم أريتاس (الحارث انظر 2كو 11: 32)، وكان متعاهداً مع اليهود. وكانت عاصمته بثرا، وصنع لنفسه إمبراطورية، وزحف واستولى على أنطاكية في سوريا. وقد تزوج هيرودس أنتيباس رئيس ربع الجليل بنت أريتاس العربي ثم طلَّقها وأخذ عوضاً عنها هيروديا امرأة أخيه. وقامت حرب بين هيرودس هذا وأريتاس العربي، وقد هُزم هيرودس على يد أريتاس العربي، فالتجأ إلى روما التي أسقطته من الحكم. ولكن سرعان ما انقلبت روما على العرب في وقت كتابة سفر الأعمال، وقد أرسل أوغسطس قيصر بعثة إلى بلاد العرب هُزمت أولاً، ثم عادت حكومة روما فأرسلت جيشاً سنة 70م تغلغل جنوباً وهزم العرب واستولى على عدن[96].

2: 12و13 **«فتحيَّر الجميعُ وارتابُوا قائلينَ بعضُهُم لبعضٍ ما عسَىَ أن يكونَ هذا، وكان آخرونَ يستهزئُونَ قائلينَ إنَّهم قد امتلأُوا سُلافَةً».**

«فتحيَّر الجميعُ وارتابوا»: ™x…stanto de\ p£ntej ka^ dihpÒroun

الترجمة العربية جانبها الصواب، فالمعنى الصحيح بحسب اليوناني «اندهشوا وتحيَّروا» وذلك بحسب العلاَّمة ماير = astonished and perplexed. لأن المعجزة غير العادية تُحدث أولاً اندهاشاً لأول وهلة، ثم بعد تفكير لا يجد الإنسان لها حلاً معقولاً وحينئذ تكون

(96) Mommsen: *Roman Provinces,* II, pp. 290-304. cited by Rackham, *op. cit.,* pp. 22-24.

الحيرة. فالحيرة تأتي بسبب توقُّف الفهم أو استخدام العقل. ولكن لا يوجد في الأصل اليوناني ما يفيد الارتياب.

«يستهزئون»: diacleu£zontej

تأتي بالأكثر بمعنى "يسخر من"، حيث السخرية يكون لها تشبيه، والتشبيه هنا أنهم سكارى، والرجل السكران مصدر سخرية أكثر منه مصدر استهزاء. والسبب أن بعض السامعين كانوا لا يفهمون الكلام لأن التكلُّم بالألسن لا يعني التكلُّم بلغة أدبية ولكن بلغة يفهمها أصحابها بصعوبة، لأن المتكلّم لا يجيد النطق مائة بالمائة. فهنا إمَّا أن السامع يكون جاداً فيصغي باهتمام ليتبين الكلام فيفهمه، أو غير جاد وغير مهتم فيفوت عليه الكلام وكأنه كلام إنسان سكران لا يُفهم.

«امتلأوا سُلافةً»: gleÚkouj

الكلمة اليونانية التي تُرجِمت إلى «سُلافةً» في طبعة بيروت، تعني العنب المختمر حديثاً حيث تكون نسبة السكر فيه عالية لم يكمل اختمارها بعد أو أُوقف تخميرها دون الحد النهائي، لذلك يكون حلو المذاق، لأن كلمة gleàkouj تعني حلو وتعني سكر العنب (ومنها كلمة الجلوكوز).

وينبغي أن ندرك لماذا عثر هؤلاء القوم في المتكلّمين بالروح بالألسنة الأخرى، إذ أن الذين يتكلّمون كانوا يتنبأون لأن حلول الروح القدس في البداية كان يصحبه التنبؤ بلسان آخر: «فلما سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع، ولمَّا وضع بولس يديه عليهم حلَّ الروح القدس عليهم فطفقوا يتكلّمون بلغات ويتنبأون.» (أع 19: 5و6)

خطاب بطرس الرسول

[2: 14-40]

«روح الحق ... يشهد لي، وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معي من الابتداء.» (يو 15:26 و27)

هذه أول شهادة يقدِّمها بطرس الرسول، على خلفية ناطقة من الروح القدس.

حينما انسكب الروح القدس يوم الخمسين وطفق الرسل يتكلّمون بألسنة جديدة ويشهدون ويعظّمون الله علناً، تجمَّع سكان أورشليم اليهود الآتون من كل بلاد العالم. وهكذا صنع الروح القدس الخلفية اللازمة لكي تنطلق منها الشهادة ويتم قول الرب: «روح الحق ... يشهد لي وتشهدون أنتم أيضاً.» (يو 15: 26و27)

المناسبة، تحليل الخطاب:

يبدأ من الواقع المنظور والمسموع لما هو حادث أمام أعينهم، فالرسل الجليليون الأميُّون يتكلّمون ويعظمون الله بكل لغات الأمم آنئذ، خمس عشرة لغة لخمس عشرة دولة شرقاً وغرباً. ويعود بالحادث أمام أعينهم إلى النبوة التي سبقت ووصفت ما هو حادث ووصفت زمانه وهي نبوة يوئيل النبي، ثم يستخرج من الواقع ومن النبوة أهمية هذا الحادث الفريد ومعناه والظروف التي أدَّت إليه: كيف رفضوا المسيَّا وقتلوه، وكيف قام وسكب الروح القدس حسب الوعد (مستشهداً بالمزمور الذي ينص على موت داود وعدم فساد جسد "القدوس")، فلمَّا فسد جسد داود وصار تراباً تثبَّتت النبوَّة على أنها تخص المسيَّا وليس داود، إذ أن الله أقام المسيَّا "يسوع" من الموت ولم يَرَ جسده فساداً إذ قام به. ثم سكب الروح القدس الذي سبق فوعد به قبل موته، وهكذا ثبت أنه المسيَّا. فلمَّا تحرك السامعون مصدقين الكلام طالبين ماذا يعملون، طالبهم القديس بطرس بالتوبة والمعمودية باسم يسوع المسيح ليدركوا حقيقة كل شيء لينالوا الروح القدس الذي هو موعود به لهم ولأولادهم. فآمنوا واعتمدوا واشتركوا في عطية الروح القدس وبدأوا حياة جديدة، وبحياتهم الجديدة بدأت الكنيسة تنمو وتزداد.

ولتصديق كل ما قاله ق. بطرس فحص العلماء(97) لغة هذا الخطاب وكلماته فوجدوها مطابقة لكلام بطرس الرسول ولغته واصطلاحاته التي وردت في رسالته الأولى لأهل الشتات اليهود والمتهوِّدين.

ولكي يستوثقوا أن ق. لوقا إنما كتب عن صحة ونقل عن واقع حي فحصوا الكلام مرة أخرى فوجدوه باصطلاحاته اللاهوتية أقدم من زمن ق. لوقا والكلمات هي الكلمات التي نطق بها الرسل منذ بدء قيامة المسيح والشهادة له. ولكن كان ق. لوقا ـ بآن واحد ـ مسئولاً مسئولية كبرى عن صحة ما يقول وينقل لاهوتياً، فالناقل إن لم يكن لاهوتياً بواقعه لاستحال عليه النقل الصحيح الدقيق. نفهم من ذلك أن ق. لوقا كاتب سفر الأعمال هو لاهوتي بالدرجة الأولى.

ثم فحصوا ما قاله ق. بطرس على أساس ما استشهد به من النبوات وكيف عالجها وشرحها، ومدى الاستنارة التي طبَّق بها، فوجدوا أن هذه استحالة أن يكون بطرس «

(97) J.H. Marshall, R.F. Zahn.

الجليلي» على هذا المستوى من الاستنارة، فظهر في الحال صدق قول الرب للرسل: «
حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا

الكتب» (لو 24:45). فلولا هذه النعمة التي وهبها المسيح بعد قيامته لهؤلاء الرسل ما استطاع ق. بطرس أو غيره من الرسل أن يبلغوا هذا المبلغ من المهارة والقدرة العجيبة في استخدام النبوات وشرحها لحساب الشهادة للمسيح.

خطاب بطرس الرسول:

ينقسم الخطاب إلى ثلاثة أقسام، كل قسم منها يبتدىء بمخاطبة خاصة للسامعين وينتهي باستشهاد من الكتاب وخاتمة عملية:

القسم الأول (2: 14-21)**:**

الحدث الظاهر أمامهم الذي استدعى أن يتكلّم أمامهم،
تقبُّله أن يكون رجلاً جليلياً (عد 7) يخاطب الجموع يهود اليهودية وكل الساكنين في أورشليم ويرد على استهزاء البعض بأنهم سكارى أن الوقت من النهار ليس ميعاد سُكْر، فهو كلام ليس بالخمر ولكن بالروح القدس.

القسم الثاني (2: 22-28)**:**

يشرح لهم عمل الرب «يسوع» أنه كلمة الإنجيل المرسلة إليهم كشعب مختار، «رجال إسرائيل» وأنها «شهادة يسوع» (رؤ 19:10)، شهادة حياته وموته وقيامته.

القسم الثالث (2: 29-36)**:**

شرح القيامة كحقيقة تدعمها النبوة، وأنها الحقيقة التي يشرحها عملياً انسكاب الروح القدس. فهذه الحقيقة هي هبة وهي التي تبرهن أن المسيح هو الرب رجاء الموعد المنتظَر بفارغ الصبر لإسرائيل، وهي التي ستجمعهم كإخوة حقاً فهي موهبة الأُخوَّة.

دعوة للتوبة والمعمودية لكل فرد على حدة (2: 37-40)**:**

كوسيلة لنوال غفران الخطايا وقبول عطية الروح القدس، هذه التي يرونها التي هي بلا حدود، مع التحذير من الاستعفاء.

وعلينا لكي نلمَّ بهذا الخطاب أن نضم عظات بطرس الرسول الأخرى:

- التي ألقاها على اليهود (3: 12-26).

- والتي ألقاها على الأمم (10: 34-46).
- ثم عظة بولس الرسول لليهود أيضاً (13: 16-41).

القسم الأول من الخطاب
موضوعه "**الروح القدس**" من واقع الحال
[2: 14-21]

14:2 «**فوقفَ بُطرسُ مع الأحدَ عَشَرَ ورفعَ صوتهُ وقالَ لهم أَيُّها الرجالُ اليهودُ والسَّاكنونَ في أُورشليمَ أجمعونَ، ليكن هذا معلوماً عندكم وأَصغُوا إلى كلامي».**

«فوقف بطرس مع الأحد عشر»:

القديس بطرس يتكلّم عن الاثني عشر وهو مع الاثني عشر، واضح هنا طبعاً أن الاثني عشر بما فيهم بطرس الرسول يتكلّمون بألسنة أخرى، وق. بطرس يخاطب كل المجموعات التي ذُكرت أسماؤها وكلهم تقريباً لا يعرفون الأرامية، وإن عرفوها فلن يفهموها، لأن ق. بطرس يتكلّم لغة أهل الجليل وهي أرامية عامية جداً. فمن غير المعقول أن يخاطب اليونانيين والفارسيين والعرب بلغة أهل الجليل. إذاً، فالموقف يحتّم على ق. بطرس أن يتكلّم بلغة ولسان الروح القدس، والذي حتَّم بهذا الموقف هو الروح القدس، ولولا أن هؤلاء اليهود الذين لا يعرفون الأرامية سمعوا لغتهم التي وُلِدُوا فيها أي اليونانية واللاتينية والفارسية والعربية لما تجمعوا وما حضروا وما سمعوا وما فهموا. فإذا لم يكن ق. بطرس قد تكلّم باللسان "الجديد" الذي أعطاه الروح القدس في ذلك اليوم وتلك الساعة فماذا كانت قيمة يوم الخمسين وانسكاب الروح القدس؟

نحن نتعجَّب جداً من العلماء الذين استبعدوا أن يكون ق. بطرس قد تكلّم بألسنة هذه البلاد، فما منفعة الموهبة إذاً، هل أخذها ق. بطرس ليكلّم بها الاثني عشر؟ أليس هذا أكبر دليل على أن هؤلاء العلماء وكل من يقول بقولتهم هذه أنهم لا يؤمنون بحلول الروح القدس وبإعطاء موهبة التكلُّم، ويكون موقفهم كموقف الذين قالوا إنهم سكارى؟ إن عظمة يوم الخمسين وقوة حلول الروح القدس ومجد عمل الله بإعطاء هذه الموهبة العجيبة والفريدة في تاريخ البشرية يتوقف على أن خطاب ق. بطرس كان بلسان الروح القدس، وأن كل واحد من الحاضرين فهم تماماً ما قاله بطرس الرسول.

فلا يغترّ أحد ولا يضل بكلام العلماء والمفسرين(98) الذين ينكرون على ق. بطرس أنه كلّم هذه الجموع الحاشدة بلغاتها وفهموها وندموا وطلبوا المشورة وخلصوا، لأن هؤلاء العلماء والمفسرين لا يؤمنون أصلاً بأن التكلُّم بالألسن موهبة روحية من الله، فمعظمهم لكي يخفى عدم إيمانه وجحوده لكلام الإنجيل قالوا إنها كانت هستيريا وانفعالات نفسانية، وانزعاجات بسبب حلول الروح القدس بهذه القوة، وقالوا ما قالوا، وكل ما قالوا هو شبه تجديف ومغالطة صارخة لكلام الإنجيل، لأن المكتوب واضح أن كل واحد سمع لغته التي وُلِدَ فيها، وأنهم اعترفوا وتابوا واعتمدوا وخلص منهم ثلاثة آلاف في يوم واحد. وكان هذا المشهد المهيب بمثابة رفع الستار لرؤية أول مشهد من مشاهد الكنيسة وهي تسير وتنطلق نحو المجد بقيادة الروح القدس، ومن يؤمن فليؤمن.

وعلى القارىء أن يُلاحِظ هدوء ق. بطرس غير العادي وشجاعته الفائقة، فهو في خطابه يأخذ صفة الآمر، وليس التوسُّل، لكي يقبلوا الإيمان بالمسيح، وهو أيضاً يحذر كمن له سلطان. وبعد ذلك أخذ يوعِّي، ويقبل الاعتراف والتوبة، ويعمِّد، ويعطي المغفرة، ويهب لهم نعمة الخلاص وموهبة الروح القدس للتكلُّم بالألسن. هذا ليس بطرس الرعديد الذي خاف من الجارية وأنكر معلّمه ثلاثاً. هذا بطرس المسيح الناطق بالروح القدس والشاهد الأمين لرئيس الإيمان ورب النعمة والخلاص.

كل هذا يكشف أنه امتلأ حقاً بالروح، والذي يمتلئ بالروح يتكلَّم بالروح!! فإن كان بطرس ليس على مستوى التكلُّم بالألسن لإقناع هذه الحشود بلغاتها، فحلول الروح القدس إذاً بلا قيمة بالنسبة لهذا اليوم بالذات، وموهبة التكلُّم بالألسن لم يكن لها أية قيمة ولا منفعة. هذا غير مقبول ونحن نحسبه خروجاً عن الإيمان بيوم الخمسين وبالروح القدس وموهبة الروح.

«ورفع صوته»: ™pÁren t¾n fwn¾n aÙtoà

الوضع العادي أن يقول وقف وقال، ولكن كلمة رفع صوته هنا تعطي لخطاب ق. بطرس روح المناداة للإعلان والشهادة بالصوت العالي ذي لهجة الآمر وليس التوسُّل أو مجرَّد الدفاع.

«وقال»: ¢pefqšgxato

(98) كل أئمة المفسرين وعلماء الغرب.

ليس مجرَّد قول، فالمعنى هنا يحمل قولاً ملهماً[99]، ونحن نعلم أن أقوال الآباء القديسين اسمها

(99) Bruce, I, p. 88.

"الأبوفثجماتا" وهو اصطلاح مشهور ويعني "أقوال ملهمة" تؤخذ مأخذ التقليد كمصدر رسمي موثوق به للتعليم.

ولو تأمل القارىء لوجد أن هذا التعريف صادق، فما قاله ق. بطرس في هذا الخطاب صار ليس بمثابة أقوال تقليدية رسمية فقط، بل أقوال إنجيل واجبة التكريم منزّهة عن الخطأ.

«أصغوا إلى كلامي»: ™nwt…sasqe

ترجمتها "أعطوني آذانكم"، وهو اصطلاح عبراني مأخوذ من كلمة أُذن oâj وهي بالعبرية:

he' ozin "أعطِ أذنك". وفي الحقيقة يظهر ق. بطرس هنا بمظهر الحكيم المتمهل الذي يود أن يستميل السامعين لقضيته الموثوق بها. وواضح في هذا عمل النعمة الخاص الذي صنع من بطرس المتعجّل المنفعل هذا النموذج للواعظ والمبشر لحساب المسيح وعلى مستوى الروح القدس. لأننا لا يمكن أن نعتبر ق. بطرس يتكلّم هنا مما له بل هو الروح القدس المتكلّم به.

15:2 **«لأنَّ هؤلاءِ ليسُوا سَكارَى كما أنتم تَظُنُّونَ، لأنها السَّاعة الثَّالثة مِنَ النهار».**

يلزمنا هنا أن نكرر لماذا عثر هؤلاء القوم في مظاهر هذه الموهبة الجليلة، أي التكلُّم بألسنة أخرى أو بلسان جديد كما يقول ق. مرقس في إنجيله، لأن الكلام هنا لم يكن كلاماً عادياً بل كان تنبُّؤاً، والتنبؤ يحتاج إلى تدقيق في الفهم وتصديق لأن الكلام لم يكن عن الماضي أو الحاضر فقط بل معظمه كان عن مجد المسيح الآتي وشكل الكنيسة في العالم ومعالم الملكوت الذي افتُتح اليوم عن سعة. وهذا واضح جداً ومنذ الابتداء أن التكلُّم بالألسنة رافقته موهبة التنبُّؤ:

+ «ولمَّا وضع بولس يديه عليهم حلَّ الروح القدس عليهم فطفقوا **يتكلَّمون بلغات ويتنبأون.**» (أع 6:19)

ولماذا لا يسكرون في الساعة الثالثة من النهار؟ ليس لأنها ميعاد مبكر فقط، ولكن هذه الحشود وهؤلاء الرسل هم يهود وهم في أورشليم، واليوم يوم عيد الخمسين حيث صلاة العيد والذبائح الرسمية. فميعاد رفع الذبائح ومعها الصلوات تستمر حتى دون العاشرة بقليل فبطرس الرسول ينبههم أن واقع الحال لا يتناسب مع هذا المقال وكأنه يقول لهم: "اختشوا"

فلا يليق هنا أن يُقال هكذا.

ولكن في الحقيقة نحن نعطف كثيراً على هؤلاء الذين نظروا حال هؤلاء الرجال وقالوا إنهم سكارى، فالروح القدس حينما ينسكب بالفعل على الإنسان فإنه يصير إنساناً آخر، وأول مظاهر

الملء من الروح القدس هو "**الفرح الشديد**"، والفرح الشديد من العسير أن نفرِّقه عن "**الدهش الإلـهي**" ecstasy حتى أن ترجمة ecstasy هي الفرح المفرط، حيث يتحوَّل إلى التهليل. وعسير على الإنسان أن يحتفظ برزانته وهو ممتلىء من الروح القدس، فهو لا بد أن يعلن عن الفرح الذي فيه، إن لم يكن بالكلام فبالحركة والبهجة الطافحة على القلب والوجه ومحاولة الإنسان إشراك الآخرين معه في فرحه وبهجته وسروره.

والمعروف أن الخمر إذا امتلأ منها الإنسان تؤدي إلى مثل هذه العوارض، ولكن السكران فرحه وسروره إلى حين ويكون محصوراً فيه. لذلك فالتفريق بين الممتلىء من الخمر (السلافة ـ أي الخمر الحلو الخفيف) والممتلىء من الروح القدس أمر صعب ويحتاج إلى تمييز روحي. علماً بأن الذي يشرب الخمر (الخفيف) يكون هدفه البلوغ إلى حالة الفرح وطرح الهموم ونسيان حاله وأوجاعه وهو يبلغ بالفعل إلى هدفه ولكن لا يدوم، وقد يزداد في سكره فينقلب الحال إلى عكس ما كان يهدف إليه. والآية القديمة تنص على ذلك ولكن في قراءتها الصحيحة: «أعطوا مُسْكِراً لهالك (لمتهالك أو مُتعب) وخمراً لمُرّي النفس، يشرب وينسى فقره ولا يذكر تعبه بعد» (أم 6:31 و7). والقديس بولس يعرف هذا بيقين لذلك يقول لتلميذه تيموثاوس: «لا تكن في ما بعد شرَّاب ماءٍ بل استعمل خمراً قليلاً من أجل معدَتِكَ وأسقامِكَ الكثيرةِ» (1تي 23:5)، ولكن هو نفسه ينصح الذين يريدون أن يكونوا دائماً في حالة راحة وعزاء والساعين وراء طرح همومهم والدخول في راحة فكرية أن لا يسكروا بل يقول: «لا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة بل امتلئوا بالروح (القدس)» (أف 18:5). لأن النتيجة في حالة الروح القدس تكون يقينية وثابتة وتصيِّر النفس متعزية وقادرة أن تعزِّي، فَرِحَةً وقادرة أن تفرِّح الآخرين، لأن **قوة** الروح القدس تضاف لحسابها نهائياً فتصبح مؤهلة على الدوام أن ترتفع إلى حالة **ما فوق الطبيعة** بقوة الروح. وهذا منتهى قصد الله. فالله أراد بالفعل أن يفرِّح قلب الإنسان ويُنسيه همومه ويرفعه فوق ذاته.

علماً بأن ليس كل الذين كانوا مجتمعين قالوا إنهم سكارى، ولكن جاءت هكذا: «فتحيَّر **الجميع** وارتابوا ... وكان **آخرون** يستهزئون قائلين إنهم قد امتلأوا سلافة» إذاً، يتضح من هذا أن قلّة هي التي ظنَّت هذا الظن، وذلك بسبب عدم خبرتهم وقلة تمييزهم بين فرح الروح ومسرَّة الجسد، بين تهليل النفس بالله وفرح الجسد بحاله. وق. بطرس كان يمكن أن

يتجاوزهم ولكنه اتخذها فرصة ومدخلاً يدخل منه ليستعلن سر الروح القدس وحقيقة ما هو حاصل، وفي هذا كان حاذقاً لمَّاحاً، أو على الأصح كان على مستوى الإلهام.

21-16:2 «**بل هذا ما قِيلَ بيوئيلَ النبيِّ. يقول الله ويكون في الأيام الأخيرةِ أنّي أسكُبُ مِنْ روحي على كلِّ بشرٍ فيتنبَّأ بنوكُم وبناتُكُم ويَرَى شبابُكُم رُؤَى ويحلُمُ شيوخُكُم أحلاماً. وعلى عبيدي أيضاً وإمائي أسكُبُ من روحي في تلك الأيَّامِ فيتنبَّأونَ. وأُعطي عجائب في السماءِ من فوقُ وآياتٍ على الأرض مِنْ أسفلُ دماً وناراً وبُخارَ دُخَانٍ. تتحوَّل الشمسُ إلى ظُلمةٍ والقمرُ إلى دمٍ قبل أن يجئَ يومُ الربِّ العظيمُ الشَّهيرُ. ويكونُ كلَّ مَنْ يدعو باسم الربِّ يخلُصُ».**

«**بل هذا**»: ¢ll¦ toàtÒ ™stin

هذا الذي رأيتموه سكراً وظننتموه مجُوناً وسخرتم منه، لا هو خمر ولا هو مجونٌ وموضع سخريةٍ، بل هذا هو قول الله عينه الذي سبق وقاله وتمَّ في زمانه.

«**ما قيل بيوئيل النبي**»:

أي ما قاله على لسان يوئيل عن آخر أيام هموم الإنسان، آخر الغربة التي تغرَّبها الإنسان على أرض شقائه ونهاية العزلة عن الله وختام البغضة.

يقول الله عن آية تسبق مجيء المسيَّا حامل خلاص الإنسان ورافع غضب الله ومؤتي الرحمة والبر والإيمان. والآية هي التي ترونها أمامكم اليوم، هذا هو الروح القدس الذي سمعتم صوته والناطق في أفواه رسله بالنبوّة، لاستعلان ملكوت المسيَّا الذي افتُتح بالإنجيل. والذي ترونه الآن هو أول مشاهد الملكوت وفتح الستار عن أعمال المسيح الرب الروح من السماء. ليس كما كان يحل الروح على أنبياء العهد القديم إلى ساعة ليغادرهم بعد ساعة، بل هوذا حلَّ وملأ ونطق وملك وأهَّل الإنسان ليملك في ملكوته. فالكل صاروا ملوكاً وأنبياء وكهنة لله العلي، لا فرق، الكبير كالصغير، العبد كالحر، لا يهودي ولا أممي بل ولا أُمة أفضل من أُمة، ولا رجل ولا امرأة، فالكل صار واحداً في المسيح.

«**أسكب من روحي على كل بشر**»**!!!**: pas©n s¦rka

الكل يتنبأ، كل مَنْ يؤمن بالمسيح!! اليوم تبدأ بداية النهاية، والذي يبلغ سر هذا اليوم يكون قد بلغ النهاية، وكل مَنْ انفتحت عيناه على المسيح يكون قد بلغ النهاية في البداية. فالقديس بطرس صاحب هذا السر ومكتشفه يقول: «مولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى بكلمة الله الحيَّة الباقية إلى الأبد ... وأمَّا كلمة الرب فتثبت إلى الأبد وهذه هي الكلمة التي بُشِّرتم بها» (1بط 1: 23-25). فإن كنَّا نكلمكم اليوم بلسان آخر فهذا لأننا

وُلدنا ثانية من كلمة أخرى هي كلمة

الله التي بها نتكلّم كآية وبرهان لِما تمَّ اليوم، وهذه هي كلمات الرؤى وكلمات الأحلام التي تكلّم عنها يوئيل لآخر الأيام. ومن يعوزه الفهم فليطلب حكمة من أبي الأنوار الذي يعطي بسخاء ولا يعيِّر.

ثم إذ تنتهي أيام البُشرى السعيدة وتكمل أقدام المبشرين وما أحلى بُشراها لكل الأرض، تأتي أيام الحساب الأخير، الأيام التي وصفها الآباء والأنبياء منذ الدهر وكررها الرب في إنذاراته الأخيرة، أيام تَزَعْزُع الأسس المستقرة، حيث تحجب السماء إشراقها والليل يزداد ظلامه، ومعالم السماء تتغيَّر، تمهيداً لسماء وأرض ونظام لا يتزعزع، وزمان لا يُحسب بالأيام بعد. وفي كل هذه الأهوال تُحفظ نفوس عبيد الله الأمناء، وكل مَنْ يدعو باسم **الرب** يخلص. وهنا ولأول مرة يطرق آذان اليهود اسم **"الرب"** "أدوناي" و"شداي" اسم يهوه العظيم مشيراً إلى **"يسوع"**.

القسم الثاني من الخطاب
وموضوعه **"يسوع الناصري"**
[2: 22-28]

2 : 22 **«أيَّها الرجالُ الإسرائيليّونَ اسمعوا هذهِ الأقوالَ. يسوعُ النَّاصريَّ رجلٌ قد تبرهنَ لكُم من قِبَلِ الله بقوّاتٍ وعجائبَ وآياتٍ صَنَعَها الله بيدهِ في وسطِكُم كما أنتم أيضاً تعلمونَ».**

«أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال»:

نفس الجملة التي استهل بها مقطع خطابه الأول. ولكن الموضوع هنا هو "يسوع" الذي به ومن أجله حلَّ الروح القدس وتعيَّن يوم الخمسين.

«يسوع الناصري»: 'Ihsoàn tÕn Nazwra‹on

هذا اللقب قديم منذ بدء الإنجيل بل وبعد الميلاد «ويُدعى ناصرياً» لأنه أتى وسكن في الناصرة فاحتُسِبَت أنها رأس ميلاده. والناصرة سُمِّيت كذلك لخمول ذكرها كمدينة صغرى لا قيمة لها فدُعيت باسم فرع شجرة صغير نابت من مكان غير مناسب بقرب الجذر الذي يسمَّى بالعربية "نسر" ويُدعى بالعبرية "نتسير". من هنا جاء اسم الناصرة، وبسبب خمول ذكرها بين المدائن في المنطقة احتجَّ نثنائيل على فيلبس حينما قال له إن المسيَّا

مولود بالناصرة: «فيلبس وجد نثنائيل وقال

له وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء يسوع بن يوسف الذي من **الناصرة.** فقال له نثنائيل أَمِن الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح؟ قال له فيلبس تعالَ وانظر.» (يو 1:45و46)

«رجل قد تبرهن لكم»: ¢podedeigmšnon

كلمة **تبرهن** جاءت كثيراً وبألفاظ أخرى في تحقيق شخصية المسيح في سفر الأعمال فمثلاً جاءت بكلمة "تعيَّن":

+ «وأوصانا أن نكرز للشعب ونشهد بأن هذا هو **المعيَّن** (الأصح هذا هو الذي **قد تعيَّن**) ærismšnoj من الله.» (أع 10:42)
+ «لأنه أقام يوماً هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل برجل قد **عيَّنه** érisen مقدِّماً للجميع إيماناً إذ أقامه من الأموات.» (أع 17:31)

كما جاءت في مستهل الرسالة إلى رومية هكذا: «**وتعيَّن** Đrisqšntoj ابن الله بقوة ...» (رو 1:4). كل هذه الاصطلاحات تتركز في معنى كيف حقق الله شخصية المسيح ابنه للإنسان.

«تَبَرهن لكم من قبل بقوات وعجائب وآيات»:

واضح هنا السبب الذي على أساسه عمل المسيح كل القوات والآيات والعجائب، وهو أن يفهم الشعب ويدرك أن عصر المسيَّا قد جاء كما نصَّت عليه كل النبوات موضِّحة أن في زمن المسيح يُقبل عليهم ملكوت الله، وقد قالها المسيح بفمه: «إن كنت أنا بروح الله أُخرج الشياطين **فقد أقبل عليكم ملكوت الله**» ! (مت 12:28)

وقوله «قوات » dun£mesi يعني إظهار **واستعلان قوة الله المذخرة فيه** وتحت هيمنته، وأمَّا معنى "الآيات والعجائب" فقد سبق وشرحناها في كتاب: "المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا" صفحة 289 - 294.

«آيات وعجائب صنعها الله بيده»:

اصطلاح لاهوتي فريد في عمقه. وواضح هنا أيضاً أن الآيات والعجائب التي صنعها المسيح هي آيات لا يعملها إلاَّ الله، وعجائب لا يعملها إلاَّ الله، هذه دفعها الله ليد المسيح فعملها لكي يؤمن الشعب: «لأني خرجت من قِبَلِ الله وأتيت» (يو 8:42)، وأن « طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله» (يو 4:34)، وأن «أبي يعمل حتى

الآن وأنا أعمل» (يو 5 : 17)، «لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلاّ ما ينظر الآب يعمل، لأنه مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك. لأن الآب يحب الابن ويريه جميع ما هو يعمله ... لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويُحيي

كذلك الابن أيضاً يُحيي مَنْ يشاء» (يو 5: 19-21). وأخيراً يركز المسيح بقوة على مفهوم عمله الآيات والمعجزات التي لا يعملها إلاّ الله كيف أنه إذا عملها هو كان ينبغي أن يؤمنوا به أنه من الله، وبالتالي أنه المرسل لخلاصهم: «إن كنت لست أعمل أعمال (الله) أبي فلا تؤمنوا بي، ولكن إن كنت أعمل (الآيات والمعجزات) فإن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال (الآيات والمعجزات) لكي تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فيَّ وأنا فيه.» (يو 10: 37و38)

2 :23 **«هذا أخذتموه مُسلّماً بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق وبأيدي أثمة صلبتموه وقتلتموه»**.

«مُسلّماً بمشورة الله المحتومة»: ærismšnV boulÍ... ækdoton **وعلمه السابق** prognèsei

وتأتي في اليونانية بمعنى "بترتيب محدد أسلمتموه". وهنا ينتبه العلماء إلى لغة ق. بطرس الرسول التي كتب بها رسالته الأولى إذ يأتي هذا الاصطلاح نفسه مكرراً كما جاء هنا مكرراً. فقد جاء في سفر الأعمال أيضاً في (28:4) هكذا: «**ليفعلوا كل ما سبقت وعيَّنت** proèrisen **يدك ومشورتك**» هكذا جاءت مكررة في رسالته الأولى: «**بمقتضى علم الله الآب السابق** prÒgnwsin ...» (1بط 2:1)، «معروفاً proegnwsmšnou سابقاً قبل تأسيس العالم» (1بط 20:1). وبهذا دلّل العلماء على يقينية نسبة هذا الخطاب لبطرس الرسول، وبهذا يظهر ق. لوقا في وضعه لهذا السفر بمظهر الدقة والأمانة المدهشة.

«بأيدي di¦ ceirîn **أثمة صلبتموه وقتلتموه»:**

هذا الاصطلاح غير معروف في التعبيرات اليونانية، فهو يكشف عن أرامية صرف لبطرس الرسول، وتأتي بالأرامية (بي يد be-yad)، كذلك قوله «بيد **أثمة** » ¢nÒmwn هنا كلمة «أثمة» هي في أصلها أرامية أيضاً وتعني بلا ناموس ¢-nÒmoj قاصداً بذلك الرومان، فاليهود يسمُّون مملكة روما "بمملكة الشر" malKüth ha resha'im[100]. وجاءت عند القديس مرقس هكذا: «هوذا ابن الإنسان يسلّم إلى **أيدي الخطاة**» (مر 41:14) قاصداً

(100) Bruce I. p. 91.

بهم الرومان.

كل هذا يكشف عن أرامية الخطاب وصحة نسبته لبطرس الرسول.

وهذه الآية بجملتها تُعتبر أقدم تعبير لاهوتي عن موت الرب وظروفه المنظورة وغير المنظورة وذلك في التعليم الرسولي.

ولينتبه القارىء أن من ضمن السامعين من ساروا في موكب صليبه وهتفوا «اصلبه اصلبه» تحت تأثير رؤساء الكهنة الضالين المُضلّين. الذين من مركزهم العالي الممنوح لهم لتدبير الشعب لمسيرة الحق أضلُّوا الشعب وزيَّفوا عليه الحقائق وساقوه أمامهم في موكب عارهم ودمارهم، وصنعوا بالشعب آلات هدم للأمة اليهودية: «دمه علينا وعلى أولادنا »(مت 25:27). لذلك حينما يسمع القارىء في آخر هذا الخطاب الناري ـ الذي يُعتبر أخطر خطاب أُلقي على الناس، كل الناس من يوم آدم إلى يوم المسيح هذا، حينما يُسمع عن أن من الشعب من نُخِسَتْ قلوبهم وندموا واعترفوا وتابوا واعتمدوا، فهذا لأنهم كانوا يعلمون كل ما جاء في هذا الخطاب.

24:2 «**الذي أقامه الله ناقِضاً أوجاعَ الموتِ إذْ لم يكن ممكناً أن يُمسَكَ منه**».

«**الذي أقامه الله**»: = «الله الذي أقامه من الأموات» (1بط 1 : 21)

إذاً لا يزال ختم القديس بطرس على الكلمات والآيات والتعبيرات.

«**ناقضاً أوجاع الموت**»: lÚsaj t¦j çd‹naj

«ناقضاً» lÚsaj بمعنى "يفك أو يحل" وكأنه يقطع قيودها أو حبالها.

«**ناقضاً**»:

اصطلاح قديم منذ أيام أيوب الصديق (39 : 2) œlusaj aÙtîn dš çd‹naj = «وهل **حللت أوجاعهم**» (حسب السبعينية) حيث «حللت» جاءت بدل "نقضت" والكلمة اليونانية واحدة. وجاءت «أوجاع الموت» بمعنى حبال الموت هكذا في (مز 18 : 4و5): «اكتنفتني حبال الموت qan£tou çd‹nej وسيول الهلاك أفزعتني، حبال الهاوية حاقت بي، أشراك الموت انتشبت بي» ووصف المزمور هنا يظهر كأنه يعطي للموت شخصية الذي ينصب الفخاخ كصياد الموت، أمَّا المسيح فقد فكَّ فخاخ الموت التي كان الموت قد أسره داخلها.

في حين أننا نرى في وصف ق. بطرس (على لسان ق. لوقا) أنه «حلَّ **أوجاع** الموت » وكأنه «**مخاض**»، فولد (كمن شقَّ رحم الموت أو الهاوية) وأقام نفسه، وكأن الموت ظلَّ يمخض بالمسيح وأخيراً لفَظه مُجبراً، أو كيف أن الموت يصطاد الحياة والعكس هو الصحيح؟

والمزمور السابق يشبِّه الموت بعدو يربط وثاق الإنسان بحبال أسماها حبال الموت أو قيود الموت، حيث ليس مَنْ يحل أو يفك أو ينقض، ولكن كلمة «ينقض» أقواها لأن فيها استهتار بقوة قيود الموت، كحبال شمشون التي مزَّقها كما يمزِّق فتلة خيط رفيعة، بل وأكثر: «فقالت له (بعد أن

أوثقته بأوتار جلد): الفلسطينيون عليك يا شمشون (والكمين لابث في الحجرة) **فقطع الأوتار كما يُقطع فتيل المُشاقة**[101] **إذا شمَّ النار**» والمرة الثانية أوثقته **بحبال** جديدة وقالت له: «الفلسطينيون عليك يا شمشون والكمين لابث في الحجرة **فقطّعها عن ذراعيه كخيط**» (قض 16: 9-12). وكل هذه نبوات عن جبروت المسيح تجاه الشيطان وأعماله.

هكذا أيضاً صوَّر داود النبي المسيح كأنه إنسان امتلأ خمراً وثمل ثم استفاق مرَّة واحدة: «فاستيقظ الرب كنائم كجبَّارٍ مُعيِّطٍ (يصيح عالياً) من الخمر.» (مز 78 : 65)

وهي بذات التصوُّر الأرامي hebel-mawet = حبال الموت، حبال الهاوية oléhebel sh وكلمة "نقض" أو "حلّ" بالأرامي تأتي باستخدام الفعل من الاسم habal فتأتي haba layya أي "فك الحبال" أو "نقض القيد".

علماً بأن مخاض الموت أو مخاض الولادة يُحسب كأنه قيود على الإنسان، فلكي يلد أو يقوم من الموت عليه أن يقطعها أو ينقضها، وهي نفس الكلمة التي استخدمها بطرس الرسول هنا çd‹naj أي وجع. لذلك عندما كان المزمور يقول: «اكتنفتني حبال الموت» فكان يعني بحسب اللفظ العبري "مخاض الموت حلَّ بي"، أي رباط الموت التفَّ عليَّ. وعندما قال بطرس الرسول هنا «نقض أوجاع الموت» فالمعنى العبري هو قطع حبال مخاض الموت أو قطع قيود الموت، فالمخاض والأوجاع والقيود واحد!

وقد استخدم هذا الاصطلاح القديس الشهيد بوليكاربوس (69؟ - 155؟م حسب قاموس Webster) مما يعطينا تأكيداً أن سفر الأعمال كان بين يديه في هذا الوقت المبكّر، إذ كتب في رسالته إلى أهل فيلبي (1 : 2) يقول:

«إذ قد نقض أوجاع الهاوية¯dou lÚsaj t¦j çd‹naj toà» .

وهكذا إن كان الموت قد تعيَّن بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق، حينئذ وبالضرورة الحتمية فإن القيامة تكون قد وُضعت بالتالي في ذات المشورة المحتومة وعلمه السابق.

«إذ لم يكن ممكناً أن يُمسَك منه»:

«يُمسك منه»: krate‹sqai aÙtÕn Øp' aÙtoà

الترجمة العربية هنا غير دقيقة والمعنى واضح باللغة اليونانية وهي «إذ لم يكن ممكناً

(101) المُشَاقَةُ: ما سقط من الشعر والكتان عند المَشْط.

بواسطته = øp' aÙtoà» وهنا يكمل التصوير. فالمسيح مات حقاً وجسده كان ميتاً تماماً، ونزل إلى الجحيم ككل الموتى، ولكن كانت ـ لو صحَّ التعبير ـ مفاجأة عظمى لأن الجسد الميت كان يحوي الحياة: «أنا هو الأول والآخر والحي وكنت ميتاً وها أنا حيٌّ إلى أبد الآبدين» (رؤ 1 : 18). هنا قوتان اجتمعتا مقابل بعضهما، الحياة والموت، أو الحياة في بطن الموت (الجحيم)، أو كما يصوِّرها الآباء الأُول "رحم الموت"، فرحم الموت حَمَل بالحياة (لمَّا اصطادها في جوفه) فكان لابد للحياة أن تشق بطن الموت أو رحمه وتخرج غالبة ومنتصرة، الحياة على الموت. الحياة قطعت رُبُط الموت وقيوده، والحي شقَّ رحم الموت والهاوية وخرج بجلال عظيم ومن ورائه المفديون في موكب نصرته: «سبى سبياً (المسبيين بواسطة الشيطان) (وخرج) وأعطى الناس عطايا» (أف 4 : 8). بهذا يفهم القارىء بسهولة كل مزامير داود النبي التي تصف هذا المنظر هكذا:

+ «**اكتنفتني حبال الموت، وسيول الهلاك أفزعتني**، حبال الهاوية حاقت بي، أشراك الموت انتشبت بي. في ضيقي دعوت الرب وإلى إلهي صرخت، فسمع من هيكله صوتي وصراخي قدامه دخل أذنيه، فارتجت الأرض وارتعشت أُسس الجبال (الهاوية) ... أرسل من العُلا فأخذني، نشلني من مياه كثيرة.» (مز 18: 4ـ 7 و16)

+ «**اكتنفتني حبال الموت، أصابتني شدائد الهاوية** كابدت ضيقاً وحزناً وباسم الرب دعوت، آه يا رب نجِّ نفسي ... ارجعي يا نفسي إلى راحتكِ ["أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده (راحته)" (لو 24 : 26)]. لأن الرب قد أحسن إليك. لأنك أنقذت نفسي من الموت ... أسلك قدام الرب في أرض الأحياء (السماء).» (مز 116: 3و4و7ـ9)

هذه كلها أوصاف المسيح بالنبوَّة في عتمة الليل، من وراء الدهور، وهي تصف كيف أن الحياة اصطادها الموت خدعةً وأودعها بطنه فلم يطقها الموت، ولمَّا لفظ الحياة (المسيح) لفظ هو (أي الموت) أنفاسه!!

ثم عودة مرة أخرى بالقارىء، هل أدركت عزيزي القارىء لماذا كان من المستحيل أن يقبض الموت على المسيح أو يمسك فيه؟ لأنه هو هو الحياة، وهو هو القيامة: «أنا هو القيامة والحياة» ! (يو 11 : 25). فإن كان قد مات فلأنه أخذ جسدك المحكوم عليه

بالموت وتقبَّل حكم الموت فيه من أجلك، لكي حينما يقوم به تقوم معه وينتهي من عليك حق الموت (الأبدي) وحكم اللعنة وغضب الله، فتشترك في قيامته لأنه هو اشترك في موتك. لأنه لمَّا اشترك في موتنا مات وهو هو

الحياة، ولمَّا مات قام حتماً فاشتركنا في قيامته وفي حياته التي لا تموت بعد، هذا بحكم سر جسدنا الذي مات به وبحكم جسدنا الذي قام به!

بطرس المفتوح الذهن يستشهد بالمزامير:

صحيح أنه منذ بداية العصر الرسولي والكنيسة تستشهد بالمزامير في كون القيامة من الموت هي استجابة وتكميل للوعد الذي وعده الله لداود، متخذين من نبوَّة إشعياء أساساً كالآتي:

+ «أميلوا آذانكم وهلمُّوا إليَّ، اسمعوا فتحيا أنفسكم، **وأقطع لكم عهداً أبدياً مراحم داود الصادقة.** هوذا قد جعلته شارعاً للشعوب رئيساً وموصياً...» (إش 55: 3و4)

والسؤال هنا، ما هي مراحم داود الصادقة؟ هذا السؤال يرد عليه ق. بولس الرسول بلسان ق. لوقا في سفر الأعمال بأسلوبه الخاص:

+ «ونحن نبشِّركم بالموعد الذي صار لآبائنا إن الله قد أكمل هذا لنا نحن أولادهم إذ أقام يسوع كما هو مكتوب أيضاً في المزمور الثاني: أنت ابني **أنا اليوم ولدتُك. إنه أقامه من الأموات،** غير عتيد أن يعود أيضاً إلى فساد فهكذا قال إني سأعطيكم مراحم داود الصادقة. ولذلك قال أيضاً في مزمور آخر: لن تَدع قدوسك يرى فساداً. لأن داود بعدما خدم جيله بمشورة الله رقد وانضم إلى آبائه ورأى فساداً، أمَّا الذي أقامه الله فلم يرَ فساداً.» (أع 13: 32-37)

واضح من تفسير بولس الرسول أن: **«أنا اليوم ولدتُك» هي في حقيقتها القيامة من الأموات.** وهذا التحقيق الجميل للقديس بولس يثبت أن قول المزمور:**«أنا اليوم ولدتك»** هو الذي حدث بالفعل للمسيح **في القيامة من الأموات.** والدليل الذي يؤكد هذا التفسير الصحيح ما جاء مرة أخرى لبولس الرسول في الرسالة إلى أهل كولوسي هكذا: «**الذي هو البداءة بكر من الأموات** لكي يكون هو متقدِّماً في كل شيء» (كو 1:18). بمعنى أنه أول مَنْ قام أو باكورة مَنْ قام من الأموات. وكان **هو البكر** بين الذين سينالون بواسطته القيامة من الأموات أيضاً! **ثم يشرح مراحم داود الصادقة أنها هي القيامة من الأموات.**

وأمَّا بطرس الرسول فيعتمد على المزمور (16: 8-10) هكذا:

+ « جعلت الرب أمامي في كل حين لأنه عن يميني فلا أتزعزع. لذلك فرح قلبي وابتهجت روحي، جسدي أيضاً يسكن مطمئناً لأنك لن تترك نفسي في الهاوية، لن

تدع تقيّك يرى فساداً»

25:2و26 **«لأنَّ داودَ يقولُ فيهِ كُنْتُ أرى الربَّ أمامي في كلِّ حينٍ أنَّهُ عن يميني لكي لا أتزعزَعَ، لذلكَ سُرَّ قلبي وتَهلَّلَ لساني حتَّى جسدي أيضاً سيسكُنُ على رجاءٍ».**

تعبير عن موقف تهليلي، فداود بالرؤيا رأى الرب أمامه دائماً وعن يمينه! فالكلام لا يخصُّه من البداية إذ يلزم أن نضع في الاعتبار استهلال الآية:

«لأن داود **يقول فيه»:** lšgei e„j aÙtÕn

والتي تُترجم بحسب اللغة اليونانية "فيما يخصه"، وهنا "المسيح" مُضْمَرٌ، فكل ما سيجيء بعد ذلك لا يخصُّ داود بالمرة حتى ولو قاله بصيغة المتكلّم. لذلك فقوله بعد ذلك مباشرة: **"كنت أرى الرب أمامي في كل حين"، فهذا قول المسيح لله أبيه وليس قول داود عن نفسه!!**

وقد استخدم ق. بولس هذا الاصطلاح عينه بالمعنى الآتي الذي يوضّح قول المزمور هنا هكذا في رسالته إلى أهل أفسس:

+ «هذا السر عظيم ولكنني **أنا أقول من نحو المسيح** ™gë de lšgw e„j CristÕn.» (أف 32:5)

فهنا داود يتكلّم وكأنه عن نفسه مع أنه يقول من نحوه (فيه): «لأن داود يقول فيه» ويكمِّل ق. بطرس الكلام كما جاء في المزمور:

«أرى الرب أمامي في كل حين أنه عن يميني لكي لا أتزعزع»:

الرؤيا "أمامي" تفيد المساواة والزمالة في المسير في الضيق وفي السعة، أمَّا عن يميني فتفيد المساعدة والمحافظة: «الرب عن يمينك يحطّم في يوم رجزه ملوكاً» (مز 5:110)، والمحاماة: فمعروف في المحاكم أن المحامي يقف عن يمين موكله يتكلّم بلسانه ويدافع عنه وكأنه هو المتهم: «لأنه يقوم عن يمين المسكين ليخلّصه من القاضين على نفسه» (مز 31:109). هذه المؤازرة الفائقة في الشركة والزمالة والمساعدة والدفاع معاً جعلته يثق برحلة خلاصه وفي أحلك ساعاتها **"لا يتزعزع"**، وجعلت قلب داود (وهو في الحقيقة يتكلّم عن المسيَّا) يفرح ويتهلّل لأنه إن كان الأمر كذلك إذاً:

«لذلك سُرَّ قلبي وتهلّل لساني حتى جسدي أيضاً سيسكن على رجاء»:

والمعنى الآن واضح، إن كان الله أمام المسيح أو عن يمينه فلا خوف ولا انشغال بأمر الموت، لأن الجسد الذي سيُستودع القبر سيسكن وكأنه سكنٌ مؤقت لأنه يكون على رجاء،

وواضح طبعاً أنه سيكون على رجاء القيامة، ولكن صعب على داود أن ينطقها هكذا بوضوح فاكتفى

بالوقوف عند أنه سيسكن على رجاء، ثم لفّ وعاد يكمِّل المعنى والرؤيا أيضاً.

27:2 «**لأنَّك لن تترُكَ نفسي في الهاويةِ ولا تَدَعُ قُدّوسَكَ يَرى فساداً**».

هذا إبداع ودقة متناهية في الرؤيا، ويا لجمالها، فقد رأى القبر وكأنه سَكَنٌ مؤقتٌ للجسد، وعاد ورأى النفس في الهاوية غير ممسوكة من الموت، فعندما أطبق عليها الفخ، «الفخ انكسر» ونجت النفس كعصفور في يد القدير. فلا الجسد رأى فساداً في القبر ولا النفس ذاقت مرارة الحبس في الهاوية، **القبر** ارتفع غطاؤه وخرج الجسد بجلال ومهابة قاهراً الموت ومعه النفس تحف بها الملائكة في مجد الألوهة.

فإذا كان داود "**قال هذا فيه**" ورؤياه كانت بالنبوَّة وصدق الروح، وإن كان هذا ما حدث أمامنا خطوة خطوة ودرجة درجة فنحن الذين استودعناه القبر ونحن الذين رأينا القبر فارغاً، ثم رأينا المسيح بجسده وجروحه عليه أمامنا قائماً. فهذا هو المسيَّا وهو هو يسوع الرب.

28:2 «**عرَّفتني سُبُلَ الحياة وستملأني سروراً مع وجهِكَ**».

الرؤيا واضحة ولكن التعبير عزَّ على داود النبي، فكلمة «القيامة من الموت» استحالت على لسانه وتعسَّر التعبير عنها لأنها شيء لا يمكن أن يتصوَّره المائتون!! فاستعاض عنها "**بالحياة**" في ملء مفهومها المطلق المأخوذ من جمال الحياة هنا والإحساس بأهميتها. وعبَّر عن الصعود من الهاوية والارتفاع إلى أعلى السموات بقوله "سُبُلَ الحياة". فكما كان طريق الموت هابطاً فها هنا طريق الحياة صاعد. ومع الحياة بصورتها المطلقة التي لم يستطع أن يحصرها داود، أَلصَق السرور ونِعْمَ ما ألصق، فلا شيء قط يساوي مسرَّة الحياة وبالأكثر جداً مسرَّة الحياة عندما تكون أمام وجه الله، أي في حضرته أو مع وجوده! إلى هذا الحد المذهل كان هؤلاء الأنبياء يرون الحقائق من وراء حُجُب الزمن وعتامة الرؤيا وضعف الإبصار وتعويق اللسان وسقم الألفاظ. ولكن يا لها من رؤيا أبهج من كل ما رأينا نحن، ونحن في ملء الواقع وفي هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون!!

ولا يغيب عن بال القارىء أننا هنا أمام رسول مفتوح الذهن بيد الرب، مفتوح العينين

والبصيرة. أحبَّ الرب وأحبَّه ثم أحبَّه، فردَّ المسيح على حبه بأن حمَّله رسالة توعيتنا. وها نحن نستمتع برؤياه وكلماته. وبطرس الرسول لمَّا انفتح ذهنه، أدرك بحذق مدهش مسار ذهن الأنبياء

وما كان يجري في قلوبهم وضمائرهم الحائرة وهم يتنبأون بحثاً وراء هذا المسيَّا العجيب. اسمعه وهو يحكي عن منهجهم الروحي ودرجة فحصهم:

+ «الخلاص الذي فتش وبحث عنه أنبياء. الذين تنبأوا عن النعمة التي لأجلكم باحثين أي وقت وما (حال) الوقت الذي كان يدل عليه **روح المسيح الذي فيهم**، إذ سبق (الروح) فشهد (لهم) بالآلام التي للمسيح والأمجاد التي بعدها. الذين أُعلن لهم أنهم ليس لأنفسهم بل لنا كانوا يخدمون بهذه الأمور التي أُخبرتم بها أنتم الآن بواسطة الذين بشَّروكم في الروح القدس المُرسل من السماء (يوم الخمسين) **التي تشتهي الملائكة أن تطّلع عليها.**» (1بط 1:10-12)

لاحِظ أنك هنا أيها القارىء أمام أعظم مفسِّر للأنبياء، والمدرك لأعماق أرواحهم، والفاهم لحدود ومعاني رؤياهم، فهو عالم إلهي ولا أقول لاهوتي، وهو معلّم استلم العلم من أعظم معلّم. وأخيراً اسمعه وهو يتغنّى، بل يتشبَّب، بل يتهلّل بالروح واصفاً ما قاله لك أنت الآن أنه "سر" ويا له من سر، سر تشتهي الملائكة أن تطّلع عليه!! وهوذا هو قد فكَّ رموزه ووضعه بين يديك!!

القسم الثالث من الخطاب
وموضوعه "**القيـامة**"
[2: 29-36]

2: 29-31 **«أيَّها الرجالُ الإخوةُ يَسوُغُ أنْ يُقال لكم جهاراً عن رئيسِ الآباءِ داودَ إنَّه ماتَ ودُفِنَ وقبْرُهُ عِنْدَنا حتى هذا اليوم. فإذ كانَ نبيًّا وعَلِمَ أنَّ الله حَلَفَ لهُ بقَسَمٍ إنَّهُ مِنْ ثمرةِ صُلْبهِ يُقيمُ المسيحَ حَسَبَ الجسدِ ليجلِسَ على كُرْسِيهِ، سبقَ فرأى وتكلَّمَ عن قيامةِ المسيح أنَّه لم تُتْرَكْ نفسُهُ في الهاويةِ ولا رأى جسدُهُ فساداً».**

«أيها الرجال الإخوةِ»:

ليت القارىء يتمعَّن في بساطة المخاطبة الشديدة الوقار والصحة والكياسة. هنا ق. بطرس يرتفع إلى مستوى الآباء العظام الأوائل الذين سيتكلّم عنهم وكأنَّ روحهم حلّت فيه. هنا يرجع ق. بطرس إلى الماضي وما سجَّله الزمن بالنسبة لداود الذي دعاه ـ على غير تقليد ـ بـ «أب الآباء» وباليونانية patri£rcou وتعني "رأس" أو "رئيس آباء"، ويطلق هذا اللقب على الذين أقاموا عائلة، ومقابلها بالعبري **Rosh** ha-aboth**.**

«إنه مات ودُفن وقبره»:

قبره تأتي باليونانية tõ mnÁma وهي قريبة من الكلمة العربية "**المنامة**" وربما مأخوذة منها.

«وقبره عندنا»:

وفعلاً قبره موجود في الجهة الجنوبية من أورشليم بالقرب من سلوام وله مبنى كبير وداخله تابوت مزيَّن بقناديل ذهبية وفضية وتحف وتيجان كثيرة (انظر صورة قبر داود).

وقد تقبَّل داود قسَماً من الله أنَّ من ثمرة صُلبه يأتي ملك يجلس على كرسيه (مز 132: 11): «أقسم الرب لداود بالحق ولا يرجع عنه، من ثمرة بطنك أجعل على كرسيك» (وهكذا تأججت في أحشاء داود لهفة أن يتعرَّف على هذا الذي سيخرج من صُلبه، فأُعطي بالروح أن يرى ويتكلّم عن قيامة المسيح في أحجية أن: «نفسه لا تُترك في الهاوية ولا جسده يرى فساداً»

2 : 32 «**فيسوعُ هذا أقامَهُ الله ونحنُ جميعاً شُهُودٌ لذلك**».

بعد أن قدَّم ق. بطرس شهادات الأنبياء وركَّز على المزامير، سواء عن اختيار الرب (بحسب الجسد من نسل داود) أو موته أو قيامته ـ وقد أسهبت المزامير إسهاباً دقيقاً كاشفة عن كل هذه الخطوات بلا أي لبس ـ ختمها ق. بطرس بشهادته. ومعروف في منهج بطرس الرسول بالنسبة للاستشهاد بالأنبياء أن شهادات الأنبياء هي أعظم حجَّة يمكن أن يقدمها، وإن قدَّم شهادته في النهاية فهو يعيد إلى ذهن القارىء أهمية النبوات بالدرجة الأولى. اسمعه في هذا يُعْلي من قيمة النبوات هكذا:

+ «ونحن سمعنا هذا الصوت مُقبلاً من السماء إذ كنَّا معه في الجبل المقدَّس، وعندنا الكلمة النبوية وهي أثبتُ التي تفعلون حسناً إن انتبهتم إليها ...» (2بط 1: 18و19)

ولكن ماذا تفيد شهادة بطرس الرسول والنبوات بالنسبة لقوم يريدون أن يروا ويسمعوا بأنفسهم؟ هذا كان في صميم ذهن ق. بطرس وهو يكلّم هؤلاء "الرجال الإخوة"!! فماذا يمكن أن يعمله ـ ليس هو بل الله ـ لمثل هؤلاء القوم الآن والمسيح يسوع قد قام وصعد ولا يُرى بعد؟ هنا بسرعة ولهجة ختامية أحالهم بطرس الرسول إلى انسكاب الروح القدس الذي هو بحد ذاته شاهد وأعظم من شاهد «روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي، وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معي من الابتداء.» (يو 15: 26و27)

وفي موضع آخر أحالهم ق. بطرس إلى الروح القدس الذي يشهد عن نفسه ويشهد للذي ارتفع إلى السموات وأرسله من عند الله الآب: «ونحن شهود له بهذه الأمور والروح القدس أيضاً الذي أعطاه الله للذين يطيعونه.» (أع 5:32)

33:2 «**وإذْ ارتفعَ بيمينِ الله وأخذَ موعدَ الرُّوح القُدُس مِنَ الآبِ سَكَبَ هذا الذي أنتُم الآن تُبصرُونَهُ وتَسْمَعُونَهُ**».

القديس بطرس هنا يستشهد مباشرة بمزمور 118 (سبعينية) إذ يقول: «**يمين الرب رفعتني** يمين الرب صنعت بقوة» (عدد 16)، ولكن طبعة بيروت في الترجمة غير اليونانية تقول: «يمين الرب مرتفعة» هنا اليمين هي يمين الرب وهي غير «اجلس عن يميني» التي تفيد المكان أو على الأصح المكانة التي تدل على التساوي في المجد والكرامة. أمَّا "يمين الرب رفعتني" فتفيد القوة الصالحة

العزيزة الجبَّارة: «بجبروت خلاص يمينه» (مز 20 : 6)، «يمينك يا رب تحطِّم العدو.» (خر 15 : 6)

«وأخذ موعد الروح القدس من الآب»:

هذه هنا تفيد الوساطة:

فالمسيح بمقتضى عمله الذي عمل في غفران خطايا الإنسان ورفع حكم الموت واللعنة عنه، واسترضاء وجه الله بطاعته وخضوعه وتواضعه ووداعته، أكمل للإنسان المصالحة مع الآب ورفع الإنسان إلى استحقاق برِّ الله الآب. بهذا وبهذا كله استطاع أن يرسل لنا الروح القدس من عند الآب:

+ «وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً **آخر** ليمكث معكم إلى الأبد.» (يو 14 : 16)

+ «وأمَّا المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب **باسمي** فهو يعلّمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم.» (يو 14 : 26)

+ «لكني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي، ولكن إن ذهبتُ أرسله إليكم.» (يو 16 : 7)

ليكمِّل به، أي بالروح القدس، تأهيل الإنسان لمعرفة الله: «فهو يرشدكم إلى جميع الحق» (يو 16 : 13)، وهو يتكلّم مع الله كشفيع: «كذلك الروح أيضاً يعين ضعفاتنا لأننا لسنا نعلم ما نصلّي لأجله كما ينبغي ولكن الروح نفسه يشفع فينا (لدى الآب) بأنات لا ينطق بها» (رو 8 : 26)، «لأنه بحسب مشيئة الله (التي يعرفها هو) يشفع في القديسين» (رو 8 : 27)، «الله روح، والذين يسجدون له (العابدون) **فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا.**» (يو 4 : 24)

واضح إذاً أن الروح القدس الذي أرسله المسيح من عند الآب هو يكمِّل ما عمله المسيح ويثبته ويعطينا ثمراته.

ومعروف من تعليم بولس الرسول أن الروح القدس هو الذي يهيِّئ قلوبنا لحلول المسيح ليكمِّل المسيح عمله فينا سرًّا وفي القلب:

+ «لكي يعطيكم بحسب غنى مجده أن **تتأيدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن: ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم** ـ وأنتم متأصلون ومتأسسون في المحبة ـ حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو (في

معرفة الله) **وتعرفوا محبة المسيح ـ** الفائقة المعرفة ـ **لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله!!**
»(أف 3: 16-19)

«سكب هذا الذي أنتم الآن تبصرونه وتسمعونه»:

كان يتحتم أن ينسكب هذا الروح الناري الناطق بكل لسان والمُعظّم والمعطي كل المجد لله ومسيحه!! فالعار والذلة والمهانة والضرب والصلب والفضيحة التي اقترفها الإنسان في حق الله ومسيحه لابد ـ نعم لابد ـ أن يرد عليها الله من السماء جهاراً وعلى مشهد من الذين اشتركوا وشاهدوا فصول المهانة والإذلال، حتى يرتد للإنسان عقله وترتد لله كرامته في وسط خليقته!! ابن الله قبِلَ الموت وقبِلَ الموت فقط لكي يعطي القيامة لمن أهانوه وقتلوه!! قبِلَ المهانة من يد الإنسان ليعطي بيد الإنسان المجد لله!! ما عمله الإنسان بالرب يسوع في الخفاء، هناك في سنة من سنين بؤس الإنسان، وفي يوم لم تشرق له شمس بعيداً عن أعين الأزمان، عمل عملاً من أعمال جنونه وشرِّه وجهالته المتعجرفة، واعتقد أن جريمته سرعان ما تكون نسياً منسيًّا، حاصره الروح القدس ورفعه من تحت أرجل الإنسان والزمان ورفعه فوق هامة الزمان ورأس الإنسان مقروءاً ومسموعاً، شهادة أبدية لما اقترفه الإنسان في حق إلهه، بل في حق نفسه إزاء خيرية الله ومحبته ورحمته. ثم استعلن الروح القدس مراحم الله التي لا تحصى ولا تُعدُّ ولا تحدُّ، التي وبأثر رجعي ومستقبلي محت كل ذنوب الإنسان وجهالته وألبسته ثوباً جديداً من صنع الله، ليبدأ به حياة جديدة عظيمة وبهيَّة وكأنه وُلِد من السماء ليكمِّل مشوار حياته هناك فوقَ، ورأسه برأس ملائكة الله وربما أكثر!! «المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح.» (يو 3 : 6)

هكذا ولهذا أرسل الله الروح القدس وسكبه من السماء ليشهد علناً، ويشاهده الذين صلبوه وقتلوه. وسكبه على التلاميذ الذين عانوا المذلّة مع المذلول ولاقوا الهول مع الذي حلَّ به الهول، واختفوا وأغلقوا على أنفسهم الأبواب لما أنزلوا معلمهم من فوق الصليب وكفنوه وقفلوا عليه باب القبر!! حتى يقوموا من مخبأهم ويهتفوا في أروقة الهيكل وكل شوارع أورشليم بالمجد لله وللمصلوب القائم من بين الأموات والجالس عن يمين الله في أعلى السموات، الذي وهبهم هذا الروح من السماء ليملأ قلوبهم بالقوة وبالروح ليشهدوا ويسلّموا الشهادة إلى جيل الأجيال.

2:34و35 **«لأنَّ داودَ لم يَصعَدْ إلى السمواتِ وهو نفسه يقولُ: قال الربَّ لربِّي اجلس عن يميني حتى أضعَ أعداءَكَ موطِئاً لقدميكَ».**

وهكذا بلغ التدرُّج مع السامعين إلى الصعود ليعطي له شهادته من صميم نبوَّة داود:

أولاً: أن داود يقول بالروح إن الله لن يترك نفسه في الهاوية إذا مات، ولا جسده يرى فساداً.

ثانياً: بعد الموت سيُعرِّفه طريق الحياة (الأبدية).

ثالثاً: اتضح أن داود مات ودُفن وقبره قائم على مشهد من الجميع.

رابعاً: إذاً، داود وقد كان نبياً، تنبأ عن المسيَّا أنه هو الذي سيقوم من الموت وليس داود.

خامساً: وبشهادة الرسل كشهود عيان يكون المسيح هو الذي قام من الأموات.

سادساً: ويسوع المسيح سبق وقال إنه عندما ينطلق سيرسل لهم الروح القدس حسب موعد الآب.

سابعاً: إذاً، ما حدث اليوم (الخمسين) هو أن يسوع المسيح سكب الروح القدس الذي يسمعونه ويرونه متكلّماً بألسنة هؤلاء التلاميذ.

والآن يؤكد بحكم الواقع أن داود قال بالروح: «قال الرب لربي اجلس عن يميني» (مز 110 : 1). إذاً، فبعدما أُطلق الجسد من القبر دون أن يفسد، وأُطلقت النفس من الهاوية دون أن تُمسك فيها، يكون هكذا أن المسيح قام من الأموات. والآن حينما يقول داود: «قال الرب لربي اجلس عن يميني» فإنه يعلن، وبحكم النبوَّة، أن المسيح رب، وأنه بعد أن ارتفع إلى أعلى السموات جلس عن يمين الله، دلالة على المساواة في المجد والكرامة، كما تحتّمه المقولة في النبوَّة: «قال الرب لربي» حيث يخاطب المثيل المثيل ولا فرق. إذاً، فهو لم يرتفع بعد كيسوع، بل كربٍّ، حيث يبقى الرب عن يمين الرب. وهكذا ولأول مرة يُعرف في التعاليم الرسولية أن **المسيح ربٌّ** (رو 10 : 9) وكقانون رسولي في الكنيسة، ليس كمجرد اسم أو لقب بل «اسماً فوق كل اسم، لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومَنْ على الأرض ومَنْ تحت الأرض، ويعترف كل لسان **أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب**» (في 2 : 9-11). فالآن يكون قد تحقق أن يسوع المسيح قام من الأموات وارتفع بيمين الله وجلس عن يمينه حسب النبوَّة.

وأمَّا أن الله "جعل أعداءه تحت موطىء قدميه"، فهذا من واقع الحال لأن المسيح وهو الآن جالسٌ فوق أعلى السموات، فبالتالي وعن اضطرار يكون جميع أعدائه تحته فعلاً وكأنهم مدوسون تحت قدميه. فالذين أرادوا أن يُهبطوه إلى الهاوية نزلوا هم إليها ولم يقوموا، أمَّا هو فقام وصعد فوق رؤوسهم إلى أعلى السموات. وبالأكثر أيضاً وإذ أُعلنت

ربوبيته وارتفع اسمه فوق كل اسم، ففي الحال انحنت كل ركبة مما في السماء وعلى الأرض لتسجد له وتعترف بربوبيته.

الإعلان الأخير:

36:2 «**فَلْيَعْلَمْ يقيناً جميعُ بَيتِ إسرائيلَ أنَّ الله جعل يَسُوعَ هذا الذي صَلَبتُمُوهُ أنتم ربًّا ومسيحاً».**

وهكذا انتهى ق. بطرس بهذا التدرُّج المنطقي، وهو يتسلّق الحقائق على استشهادات ثابتة ومعروفة ومتداولة لدى جميع شعب إسرائيل، كل خطوة بشهادة وكل شهادة بنتيجة. وهكذا جاءت النتيجة الأخيرة المدعَّمة بشهادتها لتختم على هذا المسلسل النبوي واللاهوتي بآن واحد أن: «الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم ربًّا ومسيحاً»

وأي باحث أو دارس لاهوتي مهما كان قد تمكن من دراسته ومعرفته يستحيل عليه أن يبلغ هذه النتيجة بهذه القناعة والبساطة المدعمة بأقوال الله النافذة، وعلى لسان داود النبي الذي كان بالنسبة للإنسان أعظم أب لابن خرج من صُلبه ليصير هو ابن الإنسان طرًّا، وبآن واحد يكون هو ابن الله الوحيد. والمهم أن شهادات داود النبي تسمو بسمو شخصية داود سمواً لا نظير له في جميع الأنبياء، لأن داود هو المحسوب ليس أباً للمسيَّا بالجسد: « ابن داود حسب الجسد» وحسب، بل إن المسيَّا هو الرب الخصوصي بالنسبة لداود «قال الرب لربي» أي أن المسيَّا هو ابن داود وأب له بل ربٌّ وإله!!

+ «لأنه يولد لنا ولد **ونُعطى ابناً** وتكون الرياسة على كتفه ويُدعى اسمه عجيباً مشيراً **إلهاً** قديراً **أباً** أبدياً رئيس السلام، لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد.» (إش 9: 6و7)

ولكن لو أدرك القارئ أن القديس بطرس في خطابه هذا كان ينوى ليس فقط أن يقنع رجال إسرائيل هؤلاء بأن المسيح هو ربٌّ، بل ومن البدء كان يضيِّق الخناق على هؤلاء القوم الذين منهم مَنْ صَلَبَ ومنهم مَنْ شاهد الصلب وصرخ مع الصارخين المأجورين « اصلبه اصلبه» ومنهم مَنْ سمع واستحسن الصلب، ومنهم مَنْ تعجَّب كيف يُصلب مَنْ كان مقتَدراً في الأقوال والأعمال هذا الذي أبرأ المرضى وأقام الموتى وعمل الأعاجيب؟ وكان السؤال محيِّراً في قلوبهم يكاد يقلب عليهم الأمور والأسس كلها في أذهانهم. لهؤلاء وهؤلاء ظلّ ق. بطرس يرتقي بهم من اتهام إلى اتهام إلى أن قَبَضَ عليهم في قفص واحد: «الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم ربًّا ومسيحاً» وكأنَّ بطرس هو النائب العام للبشرية كلها في هذه القضية، ونجح أيّما نجاح، إذ أبكاهم ونخس ضمائرهم وأخرج

الاعتراف بالذنب من قلوبهم «يا قساة القلوب» وكبَّلهم بالنعمة وأدخلهم جرن المعمودية

راضين فرحين مهلّلين، ليخلعوا ليس ذهنهم القديم أو غُرلة قلوبهم وحسب، بل إنسانهم العتيق جملة وتفصيلاً ويبيعوا كل شيء!!

دعوة للتوبة والمعمودية لكل فرد على حدة
يقظة الضمير وطلب الغفران
[2 : 37-40]

[«لأن كلمة الله حيَّة وفعَّالة وأمضى من كل سيف
ذي حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح
والمفاصل والمخاخ ومميِّزة أفكار القلب ونياته.
» (عب 4 : 12)]

2 : 37 **«فلمَّا سَمِعُوا نُخِسُوا في قلوبهم وقالوا لبُطرُسَ ولِسائر الرَّسُلِ ماذا نَصنعُ أيُّها الرجالُ الإخوَةِ».**

«نُخِسُوا»: katenÚghsan

هذه الكلمة في اليونانية تعطي معنى النخس، وهي نفس الكلمة التي استخدمها إنجيل ق. يوحنا لطعن جنب المسيح بالحربة: «ولكن واحداً من العسكر طعن œnuxen جنبه بحربة» (يو 19 : 34). وهكذا ارتدت الحربة التي طعنوه بها لتنخس قلوبهم فيشعروا بهول ما صنعوه، ويا لهول ما صنعوه حينما استيقظ الضمير، فأدركوا أنه كان فاديهم القادم إليهم بالحب وبأرقِّ مشاعر القلب من عند الآب.

لقد استطاع ق. بطرس بكلمات الروح القدس التي كانت كالأنوار أن يضيء ظلمة قلوبهم، التي بعد أن أنارت ارتدَّت كالحراب لتصيب ضمائرهم، فللحال حملوا عار أُمَّتهم ورؤساء كهنتهم وعار الذين ساروا في موكبهم وعار أنفسهم إذ لم يتعرَّفوا على مسيحهم.

«ماذا نصنع أيُّها الرجال الإخوة»:

حينما يخضع القلب لنداء الروح القدس، تنمحي الرؤيا لمسيرة الظلام، ويقف المعزي المبارك

جائلاً بين طريق الموت ومستقبل الإنسان ليأخذ باليد حتى يختار الإنسان الحياة ليحيا.

كان هؤلاء القوم نخبة من الذين وقفوا ليستمعوا لخطاب ق. بطرس الأول كأول عظة في كنيسة الله التي بدأت تتشكَّل بهم. ثلاثة آلاف نفس، مرة واحدة اصطادهم الروح القدس في رمية واحدة للشبكة بيد ذلك الصياد الماهر.

وعندما رُفِعَت الغمَّة من فوق قلوبهم تقدَّموا يطلبون مسيرة النور: «ماذا نصنع»

2 : 38 **«فقالَ لهم بُطرس تُوبوا وليَعتَمِدِ كلَّ واحدٍ منكُم على اسم يسوُعَ المسيح لغفرانِ الخطايا فتَقبلوا عطيَّة الروح القدُس».**

«توبوا»: metano»sate

نسمعها من فم المعمدان كأول كرازة فيما قبل الكرازة: «جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية قائلاً توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات» (مت 3: 1و2). ونسمعها على نغمتها العالية من فم المسيح وهو يبشِّر بالأخبار السارة: «من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات» (مت 4 : 17). وهكذا ما فات هؤلاء اليهود عند المعمدان، وما ضاع عليهم عند الرب الكارز، قدَّمه لهم اليوم بطرس الرسول ليبدأوا الطريق من بدايته، وبدايته دائماً حاضرة ومستعدَّة حتى اليوم.

والتوبة هي الميطانيا، والميطانيا بحسب اللغة اليونانية تُترجم تغيير الفكر أو القلب أو إعادة النظر met£noia في كل أوضاع الحياة الداخلية والخارجية. وهي في موضوعها تُعبِّر عن الانتقال من الخطية والموت فيها إلى الله والحياة معه! ووضع التائب بحد ذاته وهو معترف بخطيته هو وضع قابل المغفرة من كل خطية.

أمَّا بالعبرية فالتائب هو طالب العزاء، لأن مفهوم الخطية في العهد القديم يختلف جذرياً عمَّا هو في العهد الجديد، وتُنطق Naham. لذلك فإسم «نحميا» يعني أصلاً "ناحام ياه"، أي عزاء يهوه، أي عزاء الله، وفي مضمونها السرِّي تعني التائب لله أو المتعزِّي بالله. والفرق بين معمودية يوحنا ومعمودية يوم الخمسين على يد ق. بطرس أن هذه الأخيرة هي على اسم المسيح وبسرِّ الروح القدس وقوته، لذلك فنتيجتها منها وفيها وهي حلول الروح القدس وقبوله في القلب في الداخل ليسكن ويعمل.

والمُلاحَظ أن إجابة القديس بطرس واضحة مختصرة سريعة منيرة، وهي بحد ذاتها قانون رسولي.

2 : 39 **«لأنَّ الموعِدَ هو لكم ولأولادِكُم ولكُلِّ الذينَ على بُعدٍ كُلِّ مَنْ يدعوهُ الربَّ إلهُنَا».**

هنا كلمة **الموعد** قد اتسعت حدودها، فهي بالأساس موعد الروح القدس الذي أتى من عند الآب بحسب موعد الآب في إرساله الروح القدس كما نطق به يوئيل النبي بصورته المتسعة جداً «على كل بشر» الآباء والأنبياء والعبيد والإماء والشيوخ والأطفال. وكلمة «على كل بشر» تلغي الفوارق نهائياً في كل ما يفرّق الإنسان عن الإنسان. هذا هو الروح القدس الذي عمله على الأرض، أن يجمع أبناء الأرض ويوحّد مؤهلاتهم ثم يحوّلها لتخدم أولاً قضية الخلاص وثانياً وبالنهاية الاستيطان في السماء. ولم يضع ق. بطرس لهذه الجامعية الجامعة من كل شعب ولسان وأُمة أية حدود كما نبَّه الروح القدس في يوم الخمسين على ذلك، إلاّ أنه خصص الدعوة للذين يدعوهم الرب إلهنا، والرب يدعو كل مَنْ يدعو باسمه.

ثم موعد المسيح "إن ارتفع يجذب إليه الجميع" (راجع يو 12 : 32) ولم يخصص الرب هنا مَنْ الذي سيجذبه، فدعوة الانجذاب إلى المسيح متروكة لحرية الإرادة والاختيار وبالتالي لمدى قبول دعوة الروح القدس في القلب. «فهذه النخسة» التي ذكرها كاتب السفر هي بعينها قبول صوت الروح في القلب، وهي بعينها الندم على ما فات والاستعداد لتغيير كل شيء في المستقبل، وبالحري قبول دعوة المسيح للانجذاب إلى فوق إلى الموطن السعيد.

ثم هي أيضاً تشمل موعد إبراهيم، وهو موعد البركة التي تصيب كل مَنْ آمن إيماناً كإيمان إبراهيم، وهي أن يترك الإنسان كل شيء ويتبع صوت الله، ويؤمن بالذي يقيم من الأموات.

أمَّا هؤلاء السامعون، فإذا استودعوا أنفسهم لهذه الدعوة فهي ستظل قائمة فيهم لتشمل أولادهم وتشمل كل الذين على بُعْد منهم، نسلاً ومكاناً وزماناً. فالدعوة وسّعها المسيح بعد قيامته لتخرج خارج حدود اليهودية وأورشليم والسامرة لتبلغ إلى أقصى الأرض. لذلك ترى أيها القارىء العزيز أن رد ق. بطرس هنا هو بحد ذاته قانون رسولي ومبدأ لاهوتي

لا تسقط منه كلمة. والآن إذا عدت إلى هذا الخطاب العجيب ودققت لوجدت أنه دخل بجملته وتفاصيله في التقليد الروحي والآبائي والرسولي كقانون تتفرَّع منه القوانين، ولا عجب فالقديس بطرس يحمل باكورة

الروح القدس الناطق في الرسل على نور ما نطق في الأنبياء لا يحيد:

+ «روح أبيكم الذي يتكلَّم فيكم» ! (مت 10 : 20)
+ «رأيت طرقه وسأشفيه، وأقوده وأرد تعزيات له ولنائحيه (الشعب المهجور). خالقاً ثمر الشفتين: سلام سلام للبعيد وللقريب قال الرب وسأشفيه.» (إش 57: 18و19)
+ «ويكون أن كل مَنْ يدعو باسم الرب ينجو، لأنه في جبل صهيون وفي أورشليم تكون نجاة، كما قال الرب وبين الباقين مَنْ يدعوه الرب.» (يؤ 2 : 32)

2 : 40 **«وبأقوالٍ أُخَر كثيرةٍ كانَ يشهَدُ لهُمْ ويَعِظُهُمْ قائلاً اخلُصُوا مِن هذا الجيل المُلتَوِي».**

لم يذكر هنا كل العظة، ولكن يبدو أن ق. بطرس ركَّز على خطية هذا الجيل بالذات الذي حمل وزر صلب المسيح بعد رفضه تعاليمه وآياته مما كشف عن التواء مقصود في سلوكه تجاه الحق، فحُسب أنه جيل شرير كما قال المسيح لهم: «هذا الجيل شرير. يطلب آية ولا تُعطى له آية إلاَّ آية يونان النبي» (لو 11 : 29)، مشيراً إلى تعدِّيهم على حياته بالموت وبقائه في ا لموت في باطن الأرض ثلاثة أيام لتتسجَّل عليهم جريمة سفك الدم البريء التي سيحاكم عليها هذا الجيل ولن يبرَّأ تبريئاً، وهم الذين سجَّلوا هذا الحكم عليهم بأنفسهم: «دمه علينا وعلى أولادنا» (مت 27 : 25)، فهم أولاد قتلةٍ، محبُّون لسفك الدماء. وإن كان المسيح على الصليب قد غفر لهم خطية صلبه، ولكن بقية خطاياهم باقية عليهم بلا غفران.

الكنيسة تأخذ شكلها وبداية حركتها
[47-41:2]

أول حركة حياة لكنيسة الختان،
تسجيل يوم الخمسين كيوم ميلادها.
ثلاثة آلاف نفس يعتمدون باسم المسيح،
فينفضون عار إسرائيل صالِبَة عريسها،
ويفتحون أزمنة الخلاص وعهد رضى الله،
ويكتبون بحياتهم أول صفحات إنجيل الختان.

41:2 «**فقَبلوا كلامَهُ بفَرَحٍ واعتمدوا وانضمَّ في ذلك اليوم نحو ثلاثةِ آلاف نفسٍ**».

هذه آية عصر الكنيسة الأول التي افتتح بها ق. لوقا ـ لأنها لغته ـ سجل الكنيسة الخالد الذي ابتدأ بثلاثة آلاف نفس. وكلمة «انضموا» تفيد ضمناً وجود خميرة أُخرى كانت موجودة سابقاً وهي المائة والعشرون:

(أ) فأصبح تعداد الكنيسة في السجلات الرسمية ثلاثة آلاف ومائة وعشرين نفساً قابلة للزيادة! وهنا جدير بنا ـ ولو أننا سنسبق الحوادث ـ أن نعطي أول صورة للكنيسة كما صوَّرها ق. لوقا وهي تنمو بسرعة مدهشة هكذا.

(ب) «وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون.» (46:2)

(ج) «وكثيرون من الذين سمعوا الكلمة آمنوا وصار **عدد الرجال** نحو خمسة آلاف» (4:4)

(د) «وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة.» (32:4)

(هـ) «وكانوا لا يزالون **كل يوم في الهيكل وفي البيوت معلِّمين ومبشِّرين بيسوع المسيح.**» (42:5)

(و) «وفي تلك الأيام إذ تكاثر التلاميذ ...» (1:6)

(ز) «فالذين تشتَّتوا جالوا مبشرين بالكلمة» (4:8)

«فقبلوا كلامه بفرح»:

هذا الفرح يجعلنا نثق تماماً أن الروح القدس حلَّ على هؤلاء الإخوة وكان يلهب قلوبهم ليكمّلوا شروط انضمامهم، لأن قبولهم العظة ـ أي تعليم الرسل ـ والتوبيخ بفرح معناه سهولة اعترافهم بالخطايا، وبالتالي غفرانها مما أهَّلهم للعماد مباشرة بعد نطق الإيمان بالمسيح.

«وانضم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس»:

وهكذا بدأ للكنيسة كيان عددي، وربما أن الانضمام كان يشمل تسجيل أسماء. وأصبح اصطلاح "الانضمام" اصطلاح كنسي يفيد الدخول الرسمي في عضوية الكنيسة أو عضوية الجسد الواحد. فهي عملية سرِّية للغاية حيث يكتسب العضو الجديد عملية انتماء لجسد الكنيسة الذي يعطيه حقوقاً وامتيازات أقوى وأعمق ألف مرة مما كان ينالها اليهودي في مجمعه، إذ يُحْسَب هنا ابناً للملكوت.

شكل أول كنيسة من الداخل

(أ) «وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات،
(ب) وصار خوف في كل نفس وكانت آيات وعجائب كثيرة تُجرى على أيدي الرسل،
(ج) وجميع الذين آمنوا كانوا معاً وكان عندهم كل شيء مشتركاً،
(د) والأملاك والمقتنيات كانوا يبيعونها ويقسمونها بين الجميع كما يكون لكل واحد احتياج،
(هـ) وكانوا كل يوم يواظبون في الهيكل بنفس واحدة. وإذ هم يكسرون الخبز في البيوت كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب،
(و) مسبِّحين الله ولهم نعمة لدى جميع الشعب. وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون.» (أع 2: 42-47)

2 : 42 **(أ) «وكانوا يُواظِبُونَ على تعليم الرَّسُلِ والشَّرِكَةِ وكَسْرِ الخُبزِ والصَّلَواتِ».**

«يواظبون»: proskarteroàntej

جاءت قبلاً في (1 : 14). والكلمة اليونانية ذات تشديد أكثر مما جاء في الترجمة

العربية، فهي

تعني "كرَّسوا أو أعطوا أنفسهم" وتأتي بالإنجليزية devoted themselves والمعنى الواضح أنهم **تفرَّغوا.** وتأتي في القاموس بمعنى **يلتصق بشدَّة، ويداوم بإصرار.**

«على تعليم الرسل»: didacÍ tîn ¢postÒlwn

وتعليم الرسل في بداية قيام الكنيسة، كان هو ما يساوي الآن قراءة الإنجيل وشرحه والتعليم به، لأن الرسل ظلُّوا محتفظين بالتقليد الإنجيلي الشفاهي الذي استلموه من الرب مدة طويلة جداً 15 أو 20 أو 30 سنة إلى أن دوَّنوه فصار هو الإنجيل. كذلك الرسائل ظلت فرادى يتناقلها الأساقفة والمعلّمون إلى أن دُوِّنت وأخذت كل رسالة اسمها، ثم جُمعت الرسائل وصارت مجموعة واحدة تسمَّى «الرسل» بالنسبة إلى الإنجيل. وكان تعليم الرسل هو الأساس الذي بُنيت عليه ذهنية الكنيسة وإيمانها وعقيدتها وفهمها وحياتها الروحية كإطار عام لا يخرج عنه التعليم «مبنيين علىأساس "**الرسل**" والأنبياء (شواهد العهد القديم بنبواته ومزاميره) ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية (الإنجيل).» (أف 2:20)

ومعروف أن المسيح فتح ذهن الرسل جهاراً ليفهموا الكتب فهماً روحياً إلهامياً دقيقاً معصوماً من الخطأ. لذلك أصبح تعليم الرسل على مستوى الإنجيل تماماً في الصحة والدقة والاستعلان: «الذي في أجيال أُخر لم يعرَّف به (سر المسيح) بنو البشر **كما قد أُعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه** بالروح» (أف 3:5). وقد أخذت الديداخي «didac» سلطة قانونية في الكنيسة.

أمَّا كلمة **المواظبة** التي اكتشفنا أنها **التفرَّغ والالتصاق بالتعليم** فيمكن أن نجد لها صورة قديمة في الرسالة إلى تيموثاوس إذ يقول بولس الرسول لتيموثاوس أسقف كنيسة أفسس هكذا:

+ «اكرز (أي بشِّر) بالكلمة، اعكف (أي تفرَّغ) على ذلك في وقت مناسب **وغير مناسب** (يعني التفرُّغ الكامل)، وبِّخ (بسلطان المسيح)، انتهر، عِظْ بكل أَناة وتعليم.» (2تي 4 : 2)

«والشركة»: tÍ koinwn…v

الشركة هنا لها أربعة مواضع أو حالات تُمارس فيها، الحالة الأولى اشتراك الإخوة معاً في جمع التبرعات للفقراء وما أشبه ذلك من عيادة المرضى والمسجونين والغرباء وتعزية الحزانى، هذه حالة الشركة الفعَّالة للخير والصالح العام للكنيسة، ولا قيام للكنيسة بدون هذه

الشركة التي تجعل من الجماعة وحدة واحدة متماسكة متعاونة باذلة محبَّة تشهد للمسيح بأعمالها وتشهد للعالم أيضاً.

أمَّا الحالة الثانية للشركة فهي الاشتراك معاً في وليمة المحبة التي لها أوقاتها الخاصة والمهمة جداً وهي تخلق في الجماعة روح الفرح والتعارف وتبادل الشعور والمحبة والإخاء.

أمَّا الحالة الثالثة للشركة فهي الاجتماع المحدد بساعات محدَّدة للصلاة، فهذه هي شركة الصلاة. ومعروف أن في هذه الشركة أو الاجتماع يحل الرب حسب الوعد: «لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (مت 20:18)، «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت 20:28). ومن هنا كان إلحاح المسيح المتواصل على التلاميذ أن يصلوا، ويصلوا كل حين، ويُصلُّوا بلا انقطاع ويُصلُّوا ولا يملُّوا!! لأن في هذه الصلاة يأتي الرب ويعمل في قلوبهم وأفكارهم ويعزيهم ويشدِّدهم باعتباره رأس الكنيسة الذي يعتني بها كل حين.

وأخيراً وأهم الكل هو الاجتماع معاً حول الإفخارستيا للتناول معاً من جسد المسيح ودمه، وهذه الشركة هي المسئولة عن تسمية الكنيسة بأنها كنيسة واحدة جامعة.

«وكسر الخبز»: kl£sei toà ¥rtou

وهي التسمية البدائية الجميلة لمفهوم وعمل الإفخارستيا، فكسر الخبز هو طقس قائم بذاته وهو أيضاً أول عمل من أعمال الإفخارستيا وهو تقسيم الخبزة الواحدة على الحاضرين، الذي هو تقسيم جسد المسيح ليتناول منه كل واحد. أمَّا لماذا سُمِّي طقس الإفخارستيا بكسر الخبز فقط مع أن فيه الشرب من كأس دم المسيح فذلك لأن أثناء كسر الخبز يحدث حلول الرب لأنه هو الذي يقسِّم وليس أحد غيره، وهذا واضح من حادثة تلميذي عمواس إذ لمَّا ابتدأ الرب يكسر الخبز انفتحت أعينهما فرأياه ثم اختفى (انظر كتاب الإفخارستيا صفحة 713 وراجع أيضاً 356-360).

«والصلوات»: proseuca‹j

هنا بدأت بالصلوات في الهيكل في مواعيدها كالمعتاد حيث كانت تُتلى المزامير والتسابيح وصلوات البيراخوت (البركات) الثماني عشرة حسب المواسم. ولكن لم يكتفِ المسيحيون بذلك بل بدأوا يجتمعون ويصلون في البيوت بصورة أكثر أهمية وأكثر مواظبة وأكثر روحانية:

+ «والآن يا رب انظر إلى تهديداتهم وامنح عبيدك أن يتكلَّموا بكلامك بكل مجاهرة بمدِّ يدك للشفاء، ولتُجْرَ آياتٌ وعجائبُ باسم فتاك القدوس يسوع. ولمَّا صلُّوا **تزعزع المكان الذي كانوا مجتمعين فيه** وامتلأ الجميع من الروح القدس وكانوا يتكلَّمون بكلام الله بمجاهرةٍ.» (أع 4: 29-31)

هذه هي الصورة المكتملة داخل الكنيسة الأولى، فقد وجدنا **الندم، والاعتراف بالخطايا، والتوبة، والعماد وحلول الروح القدس، والتناول من الجسد الواحد، والاجتماعات للصلاة، وللافتقاد، وللأغابي**، كل هذا على خلفية ثابتة دائمة من الحضور المتواتر **لقبول تعاليم الرسل.** هذا من الوجهة التعليمية والليتورجية والعبادة والافتقاد.

43:2 (ب) **«وصارَ خوفٌ في كلِّ نفسٍ وكانت عجائِبُ وآياتٌ كثيرةٌ تُجْرَى على أيدي الرَّسُلِ».**

«وصارَ خوفٌ fobÒj **في كلِّ نفسٍ»:**

كان مبدأ الخوف نتيجة للحقائق التي أعلنها بطرس الرسول مدعَّمةً بالنبوات وبالروح القدس وبشهود عيان منهم هم أنفسهم أن الأمة اقترفت جريمة بقتل فاديها. والآن وتحت سيطرة الروح القدس بدأت الجماعة كلها تحس أن عصراً جديداً قد دخل عليهم، ولكن العنصر الأساسي الذي ملأ قلوبهم بالرهبة هو وجود الرب في وسطهم دون أن يروه: «وستنظره كل عين والذين طعنوه وينوح عليه جميع قبائل الأرض» (رؤ 1 : 7). هنا لم يكن نخس قلوبهم آتياً من خارجهم بل هو هو الروح يعلن عن حضوره فيهم ليفتح صفحة جديدة من سيرة مقدَّسة طاهرة تليق بالمسيَّا مسيح الرب الذي افتقدهم من العلاء. فهذا الخوف لم يكن خوفاً سلبياً يفقد الإنسان حيويته وحريته، بل خوفاً إلهياً يعطيهم قوة على الامتداد والارتفاع بحذر وشكر عميق وإحساس أنهم صاروا تحت عناية خاصة من الله تؤهلهم أن يبيعوا كل شيء، لأن الله والمسيح صار يغنيهم عن كل شيء. وعليك أيها القارىء العزيز أن تتصوَّر يهوديًّا يبيع كل ما يملك ليتفرَّغ للصلاة والعبادة. هذا هو انقلاب الطبيعة من جذورها والتحوُّل الكامل والشامل لكل ما كنزه الإنسان في أخلاقه وسلوكه العنصري لألفين من السنين ويزيد، يخلعه في يوم ليتقبَّل كل ما يوحي به الروح بلا تردد. هذا هو الميلاد الجديد للإنسان في أصعب نموذج لخلع الإنسان العتيق.

«عجائب وآيات كثيرة تُجْرَى على أيدي الرسل»:

الروح القدس يعلن عن نفسه من خلال أشخاص ارتاح فيهم وأكملوا مشيئته. هكذا بدأ الروح القدس يغزو طبيعة الإنسان ليعطيها إمكانيات ما فوق الطبيعة تمهيداً لحياتها الجديدة التي تنتظرها حيث تعيش في ملء قوة الروح وتوجيهه، ولكن كانت الآيات آيات أو

إشارات لترفع الفكر والقلب إلى حقيقة المسيح التي هي فائقة على العقل العادي، كيف يأتي ابن الله ويتَّحد بجسد

إنسان ويُولد من عذراء. هنا الروح القدس بدأ يصنع الآيات على أيدي الرسل ليتحقَّقوا أنه إن كان الرسل يعملون ما هو فوق العقل وما هو فوق الطبيعة، فهل يصعب على الله أن يرسل ابنه ليتجسَّد في جسد إنسان ليحمل عار الإنسان وخطاياه وهمومه لينجِّيه منها ويعطيه حياة جديدة وخلقة جديدة؟ وهكذا جاء الروح القدس وشاركهم حياتهم اليومية لكي، من خلال أعاجيبه، يدخلوا بسهولة إلى الحياة مع المسيح ويقبلوا الشركة معه بالروح، هذا هو القصد. «مَنْ يؤمن بي فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضاً ويعمل أعظم منها »(يو 14 :12). حتى وإن كان الكلام هنا للرسل فقط، والرسل بشر، فالرب رفع الإمكانيات البشرية لتكون على مستواه فكيف نتراجع؟ كيف نستصغر وعده؟ كيف لا نقبل العطية من يديه؟

المسيح لا يريد أن يعظّمنا بل أراد أن يعظّم خلقته التي أذلّها الشيطان وأفقدها بهاء مجد الله. لذلك كل مَنْ يؤمن ويصدِّق وعود الله وينال من المسيح قوة إنما هو يمجِّد الله ولا يمجِّد نفسه، فكل هذه الآيات والأعاجيب علىكثرتها هي لتمجيد الله بلسان الإنسان الذي توقف دهوراً عن تمجيده بلا سبب مع أنه مخلوق أصلاً ليسبِّح ويمجِّد الخالق الذي خلق.

يا لرجعة الإنسان في استيعابه لدروس الله، فهذا القول وهذا التعليل صدر من موسى منذ أربعة آلاف سنة حينما غضب بعض المقربين من موسى لمَّا سمعوا برجلين يتنبآن في الجماعة ولم يكونا مع موسى. والقصة تعليمية جيدة وليت القارئ يتّسع صدره لنحكيها:

+ «فخرج موسى وكلَّم الشعب بكلام الرب وجمع سبعين رجلاً من شيوخ الشعب وأوقفهم حَوَالَي الخيمة، فنزل الرب في سحابة وتكلَّم معه وأخذ من الروح الذي عليه وجعل على السبعين رجلاً الشيوخ. فلمَّا حلّت عليهم الروح تنبأوا ولكنهم لم يزيدوا. وبقي رجلان في المحلّة اسم الواحد ألداد واسم الآخر ميداد، فحلَّ عليهما الروح وكانا من المكتوبين ولكنهما لم يخرجا إلى الخيمة فتنبآ في المحلة. فركض غلام وأخبر موسى وقال: ألداد وميداد يتنبآن في المحلة. فأجاب يشوع بن نون خادم موسى مِنْ حداثته وقال: يا سيدي موسى اردعهما. فقال له موسى هل تغار أنت لي؟ **يا ليت كل شعب الرب كانوا أنبياء إذا جعل الرب روحه عليهم.**» (عد 11: 24-29)

وعندما قال موسى: «**يا ليت**» كل شعب الرب كانوا أنبياء فهو هنا يقول بالروح ما يريده الله فعلاً وما يطلبه، وقد قال الروح مرَّة: «**ويكون الجميع متعلّمين من الله.**» (يو 6 : 45

راجع

-

أيضاً إش 54 : 13)

لذلك فالآيات والمعجزات هي إرادة من الله ومشيئة حارة منه أن يرتقي الإنسان فوق ضعفاته ويستهين بأتعاب الحياة وعثرات العالم وتنفتح عيناه على ما أعدَّه له الله فوق: شيءٌ لا يخطر على قلب بشر!!

2:44و45 (ج) **«وجميعُ الذينَ آمنوا كانوا معاً وكانَ عندهم كُلَّ شيءٍ مشتركاً،**
(د) **والأملاكُ والمقتنياتُ كانوا يبيعُونَها ويَقْسِمُونَها بينَ الجميع كما يكونُ لكلِّ واحدٍ احتياجٌ».**

لم يكن هذا فرضاً من الرسل، ولا هو قانون وضعوه على أنفسهم بشبه الأسينيين الذين كانوا معاصرين لهم، بل هذا ثمرة الحب الإلهي الذي يجعل الإنسان يعشق البذل ويتمادى في العطاء حتى بذل الذات. فهذا العضو الجديد يوسف (4 : 36) الذي من قبرص، وهو أصلاً لاوي في الدرجة الكهنوتية عن أجداده، والذي دُعي من الرسل برنابا المترجَم ابن الوعظ، هذا كان له حقل وإذ غمرته محبة الإخوة واشتهى أن يبيع كل شيء ليشتري اللؤلؤة باعه وجاء بالثمن ووضعه تحت أرجل الرسل. ربما كانوا يتشبَّهون بالرب والتلاميذ الذين كانوا قد اختطوا هذا الطريق.

وهذا على كل حال من فاعلية الروح القدس المتأجج في قلوبهم. لقد أنساهم ما لهم لمَّا أعطاهم ما لله، وإذ وجدوا أن أمور الدنيا وممتلكاتها ومغرياتها تفرِّق الإنسان عن أخيه الإنسان وتزيد تعلُّق الإنسان بمتعلقاته، وتربط النفس بتراب الأرض، وتلهي الروح عن مآلها وموطنها، فرّطوا فيها تفريطاً وانتهوا منها وباعوا واستبدلوا جمالها الذي يُفْني بعطاء لا يُفْني. وهكذا عوض القنية التي تُفرِّق اكتسبوا المودَّة التي تجمع وتوحِّد، وعوض انشغال البال بالجمال انشغلت الروح بالله خالقها، وعوض الوقت الضائع في العناية بالكماليات سخَّروه للاستزادة من العناية بالروح والتعرُّف على أسرار الله. وهكذا تقاربت الأرواح لمَّا تقاربت الأهداف وصنع الروح من الكنيسة الفتيَّة أعظم نموذج للإنسان الساعي نحو الله.

2:46 (هـ) **«وكانوا كلَّ يومٍ يواظبونَ في الهيكلِ بنفسٍ واحدةٍ، وإذ هُمْ يكسرونَ الخبزَ في البيوتِ كانوا يتناولونَ الطَّعامَ بابتهاجٍ وبَسَاطةِ قلبٍ».**

لقد أفرغوا أنفسهم من هموم القنية واهتمامات العالم وهكذا تفرَّغوا للصلاة، والذي يثير دهشتنا وإعجابنا الشديد بهؤلاء اليهود الذين آمنوا بالمسيح هو مقدار تعلُّقهم بالهيكل، هذا معناه الحتمي أنهم كانوا يرون أن هذا الهيكل أصبح هيكلهم بالدرجة الأُولى، فهو لا يمتُّ لليهودية الموسوية الناقصة، هوذا جاء مَنْ كمَّل الناموس والأنبياء وشرَّفهم، فهو صاحب الهيكل بلا نزاع إن كان بيتاً للصلاة. وكانوا يواظبون على الهيكل بروح الأصالة الأُولى للعبادة يتلاقون معاً بالرب ويرفعون أصواتهم بالشكر والتسبيح بنفس التسابيح الهيكلية ولكن على أساس انكشاف سرّها الذي يكمِّل معناها ويحقق مبناها. فقد جاء السيد إلى هيكله فمَنْ لا يسبِّح؟ ومن أُورشليم خرجت الشريعة فمَنْ لا يتعلّمها: «وكانوا كل حين في الهيكل يسبِّحون ويباركون الله.» (لو 24 : 53)

أمَّا قول ق. لوقا هنا «كل حين» فيعني كل ساعة بساعتها: «وصعد بطرس ويوحنا معاً إلى الهيكل في ساعة الصلاة التاسعة» (أع 3 : 1). ما أسعد هؤلاء اليهود بمسيحهم، بل ما أسعد المسيح بهؤلاء اليهود الذين آمنوا به وأحبُّوه وقبلوه فمنحهم قلبه ومنحهم السلطان أن يكونوا أولاد الله. ثم يا لحسرة القلب ويا لحزن العالم كله على الذين رفضوه « رفضوني أنا الحبيب مثل ميت» (مز 37 : 21 حسب النسخة القبطية)، فلو كانوا قبلوه كلهم لبقي الهيكل وبقيت أُورشليم وبقي كل يهود العالم شهوداً مكرَّمين كرسل جميعاً، وكلهم أنبياء ملهمون ومعلّمون وعلماء. ولكن ألم يقل الرب لابد أن تأتي العثرات ولكن « ملكوت الله يُغصَب والغاصبون يختطفونه» (مت 11 : 12)، ويبقى أن الإيمان ليس للجميع (2تس 3 : 2)!!

كان مكانهم رواق سليمان حيث يتذكرون المسيح فيه والمواقع المختارة المحببة لديه التي كان يجلس فيها وحوله الجموع يشرح لهم ويعلّم ويملأ القلوب عزاءً ونعيماً وسروراً، وحيث كان يجلس الفريسيون يتربصون من بُعد ويتذمرون فيما بينهم: من أين لهذا أن يعلّم وهو ليس منَّا، ورؤساء الكهنة يرسلون سائلين، ووراء أسئلتهم شباك منصوبة. يتكلّمون بحلو المقال وهي تخفي النصال. والآن تجدَّدت أوجاعهم بهؤلاء الأتباع!! فكان مجيئهم كل يوم يثير القلق في نفوس الفريسيين والكهنة، ولكن ماذا يعملون؟ إذ كانوا كحملان وكزهور يانعة في بيت الله. كانوا هكذا محبوبين لدى الشعب ولكنهم صاروا مكروهين لدى الرؤساء. والجميع كانوا يتعجَّبون من بساطة قلوبهم وحرارة إيمانهم، فكان شعورهم

باقتراب مجيء الرب يزيدهم ناراً وكأنهم يستعجلونه المجيء بإلحاح الصلاة والدموع وماران أثا!! لقد كانوا زينة هيكله بما لم يتزيَّن به قط منذ بناه سليمان، فلمَّا

أسكتوهم بقي حزيناً كئيباً إلى اليوم الذي أسرعوا فيه لخرابه بأيديهم «هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً.» (مت 23 : 38)

«وإذ هم يكسرون الخبز في البيوت»:

يُلاحِظ القارىء أن في هذه الآية لم يذكر اجتماع «الشركة» للتناول من الجسد والدم، فقد سبق وذكرها في الآية (42) واستوفيناها شرحاً. فهنا كسر الخبز هو ما كانت تسميه الكنيسة الأولى بوليمة الأغابي التي كانت تبدأ بكسر الخبز وتوزيعه من يد كبير العائلة أو كبير الموجودين وبعد ذلك من الأسقف أو الكاهن، وكانت ولائم المحبة لها طابع ديني خشوعي مع طابع عائلي للأكل بعدم تحديد أي أنظمة أخرى إلاّ تقديم الشكر في النهاية، وفي الديداخي أي تعليم الرسل توجد نصوص وشروط الأغابي وقد ذكرناها بالتفصيل والتدقيق في كتاب الإفخارستيا (انظر صفحة 297-322).

وكانت ولائم المحبة فرصة نادرة لإطعام العائلات الفقيرة بدون أي إحراج لأن الجميع كانوا يأكلون معاً وكان الأغنياء يتبارون بتقديم الأطعمة بكثرة لهذا الغرض.

«كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب»:

«بابتهاج»: ¢gall…asei

في اليونانية تأتي الكلمة بمعنى الفرح المتعاظم والفائق، وإليك التعابير الإنجليزية: great joy, to rejoice exceedingly. وفي الحقيقة نحن لا نجد في الأرض كلها ما يجعلنا في فرح وسرور بهذا الوصف.

فإذا فرحنا وسررنا وابتهجنا بهذا المقدار، فيلزم أن نكون قد دخلنا عالماً آخر غير عالمنا هذا، أو يُكشف عن أعيننا أمرٌ ليس من هذا العالم، أو على أكثر تقدير يكون المسيح قد حلَّ بالروح في قلوبنا.

فالبهجة هي بهجة القيامة، لذلك لا توجد بهجة تساويها وكأن الكلمة صيغت لها. لأن حالة القيامة إذا دخلها الإنسان، يشعر في الحال بماهية الميلاد الثاني، وبماهية الخليقة الأخرى وبمعنى: «هوذا كل شيء قد صار جديداً» (2كو 5:17). يعيش المصالحة، يقيم في النعمة، يرى المسيح جالساً عن يمين العظمة، تختفي الأرض بهمومها، يُصلب العالم له، «ولكن لا أنا بل نعمة الله التي

معي» (1كو 10:15)، «أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل 20:2)، «لأنكم قد مُتُّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله» (كو 3:3)، «نَقَلنا إلى ملكوت ابن محبته» (كو 13:1)، و «انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب الإخوة» (1يو 14:3). هذا هو الابتهاج «الذي وإن لم تروه تحبونه، ذلك وإن كنتم لا ترونه الآن لكن تؤمنون به فتبتهجون بفرح لا يُنطق به ومجيد» ! (1بط 8:1)

القديس بطرس كان يحيا هذا الابتهاج، وإلاَّ ما كان وصفه!! هذه هي الكنيسة الأولى، وهذا هو ق. بطرس قائدها، فما قاله ق. بطرس في رسالته عاشته كنيسته في أيامها الأولى، فما قاله ق. بطرس في رسالته هو حق الروح، وما كتبه ق. لوقا عن كنيسة بطرس الأولى هو روح وحق، والآن أين نحن؟

يا آبائي وإخوتي نحن نحتاج أن نعيش القيامة في حياتنا وبهجتنا وطعامنا وشرابنا. فكما قال الرب: «طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله» (يو 34:4)؛ هكذا يصير طعامنا أن نحيا المسيح في قيامته لأن هذا هو تمام عمله.

«بساطة القلب»: ¢felÒthti kard…aj

بساطة القلب تعبير عظيم، ولكن كلمة البساطة ضعفت في أفواهنا وقلّت قيمتها على ألسنتنا. ولكن لو علمنا أن أعمق صفات طبيعة الله هي البساطة لدخلت في قلبنا الرعبة تجاه هذه الكلمة. فبساطة طبيعة الله تعني عدم انقسامها أو تقسيمها، عدم تعدُّدها، فالطبيعة البسيطة أعظم عمقاً من أي صفة أخرى. فأن تكون طبيعة الله بسيطة بساطة مطلقة، فلا يمكن أن يكون الله إلاَّ هو!! لذلك لمَّا أراد الله أن يعرِّف اسمه لموسى قال له: «أنا هو» فـ « أنا هو» تعني «الكائن بذاته» فانظر كيف أن البسيط أعمق صفة من الواحد!؟

فهنا بساطة القلب جاءت محصِّلة للإيمان بالله وبالرب القائم من الأموات، فالإيمان بالله جعل الإنسان يضع كل همّه على الله، وهكذا انتفى عنصر القلق. والإيمان بالمسيح جعل الإنسان يتطلّع إلى الحياة الأبدية، إلى فوق، وهكذا انتفى عنصر الالتزام بالأرضيات. ثم الامتلاء من الروح القدس أعطى الإنسان صداقة أعظم مُعزِّي ومُشير ومُدافع، وهكذا انتفى عنصر الاهتمام بالمستقبل. وهنا تأمَّن للقلب حياة السلامة وعدم الاتكال على الذات، فأصبح للإنسان قلب واحد أو قلب بسيط ذو اتجاه واحد نحو الله!! لا كبرياءَ ولا حسدَ ولا بغضة ولا خصومة ولا تعدٍّ ولا رياء ولا طموح ولا مكر ولا خداع. لقد صاروا كأطفال

مولودين لله حديثاً يرضعون من ثدي السماء كل حين

فيشبعون ثم يسبِّحون!!

2 : 47 **«مُسبِّحينَ الله ولهُم نعمة لدى جميع الشعبِ، وكان الربُّ كُلَّ يوم يَضُمُّ إلى الكنيسةِ الذين يَخلُصُونَ».**

«مُسبِّحين الله»:

لا مُسبِّحين الله على الأكل ولا من أجل الأكل ولا لأي شيء كان لهم حسب الجسد، بل هي تسبحة الروح بالروح للروح، لا يدفعها دافع أرضي بل هي التي تدفع كل ما على الأرض ليشترك في التسبيح. هي روح العبادة، فالتسبيح هو العبادة الصادقة الدائمة والكاملة بحد ذاتها، وإن كانت كاملة في ذاتها فلا شيء يُزيدها ولا شيء يُنقصها. هي خلاصة علاقة بين النفس المخلوقة وخالقها خُلواً من كل شيء ورغماً عن كل شيء. والتسبيح قادر بذاته أن يدفع ذاته إلى تسبيح أعلى، وقادر ـ إن انتبه الإنسان للمحرك الذي يُحركه في القلب واللسان وهو روح الله ـ أن يدوم ويزيد ولا يفتر.

التسبيح إذا أخذ حقه من وقت الإنسان، فإنه يصير قادراً أن يردَّ للإنسان عوض الساعات سنين من القُربى والعشرة مع الله. فرح الروح وسلامة النفس عندما يكونان بحرارة بالروح، فهما قادران أن يغطيا على كل الأتعاب والأمراض والضيقات والاضطهادات، يجعلاها كلها كلا شيء، فتدخل كعناصر تسبيح للتمجيد والشكر الدائم.

ربما يكون التسبيح هو العمل الوحيد الذي نعمله على الأرض لنكمّله في السماء، فكل شيء سيتوقف إلاَّ تمجيد الله وتسبيحه. كذلك فهو العمل الوحيد الذي نعمله وتأتي الملائكة لتشاركنا فيه لأنها مهنتهم الوحيدة. وإن أعظم مظهر من مظاهر رضى الله على الإنسان أن يتيح له الفرص أن يقف ويسبّح، لا باللسان والفم وحسب بل بالقلب والروح، ويخرج كل مرة وكأنه خارج من وليمة سماوية وفي حضنه هدايا.

«ولهم نعمة لدى جميع الشعب»:

+ «فليضيء نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السموات.» (مت 5 : 16)

النعمة التي اكتسبوها بزيت مصابيحهم، وحَنْي ركبهم، وبذل محبتهم، واتضاع أرواحهم، وتوزيع أموالهم، وبالأكثر حياة القيامة بعد أن عملت فيهم ما عملت خرجت لتعمل في الآخرين. لقد صارت الكنيسة منذ يومها الأول كنيسة مؤثرة كارزة في صمت التسبيح إن صحَّ القول، كنور يبدد شكوك الناس ويؤكد حق المسيح وقيامته.

قد لا يلاحِظ الإنسان العادي قوة المجال المحيط بأولاد الله المواظبين على الصلاة والعبادة والتسبيح، ولكن الشياطين تدرك ذلك وترتعب منه: «هؤلاء الناس هم عبيد الله العلي الذين ينادون لكم بطريق الخلاص» (أع 16 : 17). وتتعجب جداً أيها القارىء العزيز أن هذا الاعتراف خرج بصراخ من الروح الشرير!!

فالنعمة ليست مجرد لفظ أو فكرة أو تعبير إنجيلي، بل قوة إلهية، مجال حيّ فعَّال غير مرئي للإنسان ولكن مرئي للملائكة والشياطين، الإنسان لا يحسه ولا يراه، وينفعل له ويخضع ويبارك الله.

ثم أرجو أن يلاحظ القارىء قوله هنا: «**جميع الشعب**»، فهذا معناه مباشرة اليهود، يهود الهيكل وكل الذين يتعاملون معهم، وهذا حتماً أدَّى إلى إيمان الكثيرين.

«وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون»:

هذا هو الرد المباشر على النعمة التي فيهم التي تمت بالصلاة والمحبة والبذل وبيع الدنيا. فالإنسان الذي يتعبَّد بالحق لله هو كارز، سواء كرز أو لم يكرز. والذي يسبِّح بكل قلبه وكل قدرته، فهو كمن ينادي في كل أقطار الدنيا، والذين على المستوى يستمعون من على بُعد ويخلصون. الروح يهبُّ حيث يشاء حاملاً صلوات ودموعاً وتسبيحات وتمجيدات من بيت لبيت ومن مدينة لمدينة ومن قطر لآخر: «لا قولَ ولا كلام، لا يُسمع صوتهم، في كل الأرض خرج منطقهم وإلى أقصى المسكونة كلماتهم.» (مز 19 : 4)

وهكذا في اختصار شديد، اختار ق. لوقا هذه الآيات بطريقة إعجازية كما يتركب الجسد، كل عضو مرتفق على العضو الآخر بانسجام، وكل إنسان يرتفق على الآخر تمام الارتفاق، فيأتي الهيكل ناطقاً بنعمة الله التي صنعت هذا. وهكذا نمت الكنيسة، وهكذا انضم إليها في هدوء الأيام والسنين فصارت إلى ما صارت إليه، والفضل لهؤلاء الرواد الأُول الذين أعطوا النموذج الأول للكنيسة، وهذا ما أعطاها قوة امتدادها بهذه الصورة العجيبة: كنيسة مُسبِّحة!!

الأصحاح الثالث

تدعيم الكنيسة في أورشليم

(3: 1 - 10): إجراء آية الشفاء.

(3: 11- 26): الخطاب الثاني للقديس بطرس الرسول.

إجراء آية الشفاء
[3: 1-10]

1:3 «**وصَعِدَ بُطرُسُ وَيوحَنَّا معاً إلى الهيكلِ في ساعةِ الصلاةِ التَّاسعةِ**».

«بطرس ويوحنا»:

محسوبان أنهما معاً يقودان جماعة الرسل، ومعروف أن القديس يوحنا والقديس يعقوب هما ابني زبدي، وأن هؤلاء الثلاثة (بطرس ويعقوب ويوحنا) كانوا الجماعة المختارة من الرسل للسير مع الرب في بعض الأحيان إذ كانوا ذوي صلة وثيقة به. فنجدهم مثلاً بثلاثتهم مع الرب على جبل التجلي (مر 9:20)، وكذلك كانوا الأقرب من الآخرين في جثسيماني والرب يصلّي صلاته الأخيرة (مر 14:33). كذلك اختار الرب اثنين منهم ليعدَّا له الفصح الأخير: «فأرسل **بطرس ويوحنا** قائلاً اذهبا وأعدَّا لنا الفصح لنأكل» (لو 22:8)، ونجد أن بطرس ويوحنا فقط كانا عُضوَيْ البعثة التي أرسلها الرسل لتسليم أهل السامرة الإيمان والعماد (أع 8:14). وفي أيام بولس الرسول لمَّا ذهب إلى أورشليم بعد أربع عشرة سنة من عماده، أي في سنة 47م، أي بعد يوم الخمسين بحوالي 17 سنة، كان الذي يترأس كنيسة أورشليم (بطرس ويوحنا مع يعقوب): «فإذ علم بالنعمة المعطاة لي يعقوب (أخو الرب) **وصفا (بطرس) ويوحنا** المعتبرون أنهم أعمدة، أعطوني وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم وأمَّا هم فللختان.» (غل 2:9)

أمَّا من جهة قربهما بعضهما من البعض فهو أمر يحيِّر العقل حقاً، لأنهما من جهة الطبائع والسلوك نجدهما على النقيض. فعلى مستوى الجرأة، نجد بطرس ينكر المسيح ثلاثاً أمام جارية، في حين أن يوحنا يتبع الرب في كل مراحل المحاكمة سواء أمام رؤساء الكهنة أو هيرودس أو بيلاطس، ويسجِّل كل المشاهد ويواجه ذات الجارية (التي أنكر أمامها بطرس سيده) بالأمر والنهي فترضخ له (يو 18: 15و16؛ 19:26). ولكن بالرغم من ذلك نجدهما معاً عند القبر (يو 20:2)، إلاَّ أن واحداً تعجَّب مجرد عجب إذ رأى القبر فارغاً، بينما يوحنا آمن بالقيامة. كذلك نجدهما معاً في الجليل بعد القيامة (يو 21:7).

«وصَعِدَ بطرس ويوحنا»: ¢nšbainon

الصعود هنا يُذكر تجاوزاً، لأن بناء الهيكل مرتفع قليلاً عن بقية المدينة.

«إلى الهيكل»: e„j tÕ ferÒn

وقفة قصيرة لإعطاء القارىء فكرة مبسَّطة عن الهيكل:

في سنة 20 ق.م. بدأ الملك هيرودس الكبير في إعادة بناء هيكل سليمان على مساحة أوسع مما كان عليها، وقد ذُكر ذلك في إنجيل ق. يوحنا هكذا: «فقال اليهود في ست وأربعين سنة بُني هذا الهيكل أفأنت في ثلاثة أيام تُقيمه. وأمَّا هو فكان يقول عن هيكل جسده» (يو 2: 20و21). فلو أضفنا على عمر المسيح آنذاك ـ وهو 30 سنة ـ الست عشرة سنة التي قبل ميلاده (لأنه وُلِد سنة 4 ق.م) يكون هذا عمر الهيكل بالتقريب. ولكن حتى في أيام المسيح لم يكن بناء الهيكل قد كَمُل بعد. وقد بُنيت في الناحية الشمالية منه قلعة أنطونيا التي كان يقطنها عساكر الرومان مع قائدهم. ويحيط بالهيكل أسوار عالية جداً، وبها تسعة أبواب، أربعة منها في الجنوب كانت فخمة للغاية إذ كانت مغطَّاة كلها بالبرونز، ومن الشرق كان هناك الباب الجميل (أع 3: 2و10) الذي من خلاله يدخل الداخل إلى رواق النساء، وكان مصفَّحاً بالذهب والفضة وله أعمدة تحصر الجزء المخصَّص لهنَّ. وفي نفس الرواق في الاتجاه المقابل إليه كانت توجد الخزانة، وهي صناديق التبرعات والتقدمات، وكان هذا الجزء يسمَّى الخزانة: «وجلس يسوع تجاه الخزانة ونظر كيف يُلقي الجمع نحاساً في الخزانة» (مر 12:41)، وعلى الغرب من رواق النساء يوجد رواق إسرائيل ويفصلهما فاصل. ورواق إسرائيل هو الرواق الذي يتجمهر فيه الإسرائيليون العلمانيون للعبادة والصلاة، وخارجه مباشرة ومحجوز عنه بحاجز كان يوجد رواق الأمم وهو الذي بناه هيرودس، ويتّسع لأعداد ضخمة، ولكن بين الرواقين وعلى الحاجز يوجد إنذار مكتوب باليونانية واللاتينية بعدم تعدِّي الحاجز وإلاَّ فعقوبة المخالف القتل.

ويُلاحَظ أن هذا الجزء المخصَّص لعبادة الأمم (الغُلف)، ذكره سليمان الملك في صلاته أثناء تدشين الهيكل، أن يسمع الله صلاة الأمم في هذا المكان (1مل 8: 41و43). وفي غرب رواق إسرائيل يوجد رواق الكهنة، وفي الجزء الغربي منه توجد فتحة ولها باب بسلالم صاعدة أربع عشرة درجة حيث يوجد «الهيكل» ويسمَّى **«البيت»** (naÒj) (وهو متاخم لرواق الكهنة ويخرج منه سلالم تصل للقدس ثم لقدس الأقداس). وهو الذي تُقام فيه

والخدمات الذبائحية: «حسب عادة الكهنوت أصابته القرعة أن يدخل إلى هيكل الرب naòn ويبخِّر.» (لو 1 : 9)

«في ساعة الصلاة التاسعة»:

كما يقول العلاَّمة لايتفوت(102) وكما يكرِّر داود في المزامير (مز 55:17)، فقد كان مرتَّباً ثلاثة مواعيد للصلاة: «فلما علم دانيال بإمضاء الكتابة ذهب إلى بيته وكواه مفتوحة في عليته نحو أورشليم، فجثا على ركبتيه ثلاث مرات في اليوم وصلَّى وحمد قدام إلهه كما كان يفعل قبل ذلك» (دا 6:10). هذه المرات الثلاث هي: الساعة الثالثة من النهار، والساعة السادسة، والساعة التاسعة.

أمَّا الذبائح فكانت تُقدَّم مرتين، الأولى في الصباح الباكر والثانية الساعة التاسعة. ومع تقديم الذبائح كانت تُقام خدمة الصلاة(103). وواضح أن اجتماعهم كان إمَّا في رواق إسرائيل أو في رواق سليمان.

والمُلاحَظ هنا أن الكنيسة الأولى وبقيادة يعقوب وبطرس ويوحنا ظلَّت محافظة على كل طقوس العبادة اليهودية وحضور الصلوات في الهيكل في المواعيد الرسمية. والواضح أنهم أيضاً كانوا يشتركون في تقديم الذبائح، لأن هذه كانت مشورة ق. يعقوب أخي الرب لبولس الرسول هكذا:

+ «وفي الغد دخل بولس معنا (لوقا يتكلَّم) إلى يعقوب وحضر مجمع المشايخ ... "فافعل هذا الذي نقول لك، عندنا أربعة رجال عليهم نذر، خذ هؤلاء **وتطهَّر معهم** وأنفق عليهم ليحلقوا رؤوسهم فيعلم الجميع أن ليس شيء مما أُخبروا عنك، **بل تسلك أنت أيضاً حافظاً للناموس".**» (أع 21: 18و23و24)

ونحن لا نستطيع أن نعيب عليهم في شيء لأنه إن كان بولس الرسول قد أدخل ولأول مرة مبدأ التخلِّي عن الناموس والسبت والختان، فهذا كان بسبب دعوته الرسمية الخاصة من الله للكرازة بين الأمم بالإنجيل، الذي عرَّفه به الرب، والقائم على أن الأمم شركاء في الميراث **والجسد** (أف 3:6)، أي أنهم مدعوون أعضاء في الكنيسة، أي جسده، وأن لا رجعة للناموس أو أي عوايد

(102) Lightfoot cited by D. Thomas, *Acts of the Apost.*, ad loc.

(103) Bruce, II, p. 83.

أخرى لليهود. وهكذا كما قال ق. بولس أيضاً: «فإن الذي عمل في بطرس لرسالة الختان (إنجيل الختان أي اليهود) عمل فيَّ أيضاً للأمم (إنجيل الغرلة).» (غل 8:2)

2:3 **«وكانَ رَجُلٌ أعرَجُ مِنْ بطنِ أُمِّهِ يُحمَلُ، كانوا يضَعُونَهُ كلَّ يومٍ عند باب الهيكل الذي يُقال له الجميلُ ليسألَ صَدَقةً مِنَ الذين يدخلونَ الهيكلَ».**

على القارىء ألاَّ يأخذ عناصر القصة ببساطة، فهي قصة منتخبة من مئات القصص التي يتحقَّق فيها كيف دعَّم الله الكنيسة الأُولى بنفسه تدعيماً مخطَّطاً مدروساً على الأقل من جهتنا نحن، أي يتحتَّم علينا أن نكتشف مساره والدروس المستفادة منه:

1 ـ فعندما قال السفر «بطرس ويوحنا» فهو يبين هنا أنه على يدي شاهدين تقوم صحة الشهادة.

2 ـ وعندما ذكر ق. بطرس بالذات فذلك لأن الوعد جاء مرادفاً لاسمه "صخر = Petros": «أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي» (مت 16 : 18). وهنا ق. بطرس يضع الأساس كبنَّاء، والقديس يوحنا يعيِّن له حجر الزاوية لأنه مختص بمعرفة الرب من على بُعد: «ولمَّا كان الصبح (بعد القيامة) وقف يسوع على الشاطىء ولكن التلاميذ لم يكونوا يعلمون أنه يسوع ... فقال ذلك التلميذ الذي كان يسوع يحبه لبطرس، **هو الرب.**» (يو 21: 4و7)

3 ـ «**الأعرج من بطن أمه**» هنا لمسة من لمسات التعريف باستحالة الصدفة أو استخدام أي وسيلة للتزييف أو التقليل من خطورة المعجزة وبالتالي من معناها. فهنا عملية **خِلْقة!!**

4 ـ **«عند الباب الذي يقال له الجميل»:** وهو الباب الرئيسي الذي يدخل منه جميع شعب إسرائيل، وحتى رجال الكهنوت لاويُّون وكهنة، لأن من بعده مباشرة يوجد رواق النساء ثم رواق إسرائيل ثم رواق الكهنة. إذاً، فكل عابر رأى هذا الأعرج، وجميع الذين دخلوا في هذا اليوم وتلك الساعة صاروا شهوداً عياناً جهاراً، رضوا أو لم يرضوا، فهي شهادة تؤدي إلى الإيمان فالخلاص، أو الرفض فالدينونة.

إذاً، عزيزي القارئ، يلزم عند قراءة الإنجيل الدراسة والتحليل، لأن الروح القدس لا يكتب قصصاً للتسلية أو للتعزية، بل كلها شهادة وتحقيق لحساب الرب المقام: «روح الحق

الذي	من	عند

الآب ينبثق فهو يشهد لي» (يو 15: 26). هذه هي شهادة مخططة ومدبَّرة ومدروسة ومنقَّذة بدقة لتأتي بشهادة قاطعة لحساب الرب. أمَّا بطرس ويوحنا والأعرج فهؤلاء سبق وأعدَّهم الروح القدس قبل أن تأتي الساعة التاسعة من النهار.

6-3:3 «**فهذا لمَّا رأى بُطرُسَ ويوحنا مُزمِعَين أنْ يدخُلا الهيكلَ سألَ ليأخذَ صَدَقة. فتفرَّسَ فيه بُطرُسُ معَ يوحنَّا وقال انظر إلينا. فلاحظهُما مُنتظِراً أن يأخُذَ منهُما شيئاً. فقال بُطرُسُ لَيسَ لي فِضَّةٌ ولا ذهبٌ ولكن الذي لي فإيَّاهُ أُعطيكَ، باسم يسوعَ المسيح النَّاصريِّ قُمْ وامش**».

ومرَّة أخرى يلحُّ الروح القدس على القارىء أن ينتبه من تكراره لاسم بطرس ويوحنا لثالث مرة!! لماذا؟ لأن هنا اثنين وثالثهما ابن الله حقاً وبالحقيقة حسب الوعد (مت 18: 20).

كان ق. بطرس وق. يوحنا كل منهما مُحاطاً بهالة غير منظورة ذات جاذبية اكتسباها من الرب القائم وسطهما، لم يكن منظرهما أبداً كباقي الداخلين. أمَّا الأعرج فلعلّه كان شبه نعسان، فهو من الصباح الباكر جالسٌ جلسته المملّة، ولكن نسيماً رقيقاً منعشاً هبَّ عليه فجأة، ففتح عينيه فانفتح قلبه ونظر إليهما بانتباه زائد وكأنه على معرفة يقينية بهما، مما جعل بطرس ويوحنا معاً ينتبهان إليه بدورهما. هنا تلاقت العيون، بل الأرواح، بل الأقدار، لتصنع من هذا التلاقي حصيلة لحساب الإنجيل، ولحساب كل قارىء للإنجيل منذ ذلك اليوم وإلى اليوم الأخير. ولكن من أين لبطرس ويوحنا المال وقد وزَّعاه ولم يبقَ في حوزتهما شيء؟ ففي الحال أعلن بطرس ـ وليس يوحنا ـ إفلاسه من مال الدنيا ولكن كان يثق أنه يملك وارثاً عن الرب عُملة سماوية يمكن صرفها في الحال وبأي كمية بضمان اسم يسوع، فأراد أن يعلن عن ذلك علناً، فقال له: يا عمّي ليس لنا ذهب ولا فضة نعطيهما ولكن الذي أخذناه وورثناه منه يمكن أن نعطيك لعلّه ينفعك أكثر من مال وغنى. هوذا اسم يسوع المسيح نعطيك إياه بأمر الرب.

«باسم يسوع المسيح الناصري قُمْ وامش»

لم يكن ق. بطرس على استعداد من قبل أن يصنع هذا، ولا حتى لمَّا تقابل الوجه مع الوجه، ولكن الصوت الواضح في القلب كان قد أشار على هذا الأعرج، فانتبه ق. بطرس

بالعين المكشوفة فرآه صحيحاً يمشي ويطفر كما في رؤيا، ففهم تماماً أن الأمر قد صدر من فوق، فلم يبقَ عليه إلاّ

التنفيذ. وفي الحال تحرَّك قلب ق. بطرس بالإيمان الحي بالاسم المبارك القادر أن يشفي ويقيم من الموت! وصدَّق الوعد المبارك: «إن سألتم شيئاً باسمي فإني أفعله.» (يو 14:14)

7:3 **«وأمسكه بيدِهِ اليُمنَى وأقامهُ، ففي الحالِ تشدَّدَتْ رِجْلاَهُ وَكعْبَاهُ».**

ليس لأن اسم المسيح لا يكفي لكي يقيمه واقفاً على رجليه حتى أن ق. بطرس مدَّ يده وأمسكه وأقامه، بل هي مخزون القوة التي من الأعالي التي صيَّرت من ق. بطرس مصدر قوة يمكن أن تسري أينما أراد الروح. فاليد هنا وهي اليمني مع "اليمين" كانت مصدر سريان قوة الله التي من الأعالي التي مُنحت للكنيسة في أشخاص هؤلاء الرسل القديسين: « يمينك تعضدّني.» (مز 63 : 8)

والمُلاحَظ أن هذه هي عادة بطرس الرسول أن يمد يده ويقيم فيقوم حتى الميت:

+ «وصلّى ثم التفت إلى الجسد وقال: يا طابيثا قومي، ففتحت عينيها ولمَّا أبصرت بطرس جلست فناولها يده وأقامها.» (أع 9: 40و41)

وهذا هو سر التقليد المقدَّس الذي للكنيسة أن وضع اليد الرسولية يقدِّس ويكرِّس ويمنح الروح القدس ويعطي الغفران من الخطايا ويُقيم الأساقفة والكهنة، يعطي سر الزيجة المقدَّس ويشفي من أي سقم ومرض ويطرد الأرواح الشريرة. لأن في يمين الرسول قوة الله العلي تسري وتعمل وتُقيم من الموت. وهكذا فقوة الله التي حلّت على الرسل مع الروح القدس يوم الخمسين لا تزال تُسلَّم من يمين إلى يمين حتى إلى المنتهى.

8:3 **«فوَثبَ ووقفَ وصارَ يمشي ودخلَ معهُما إلى الهيكلِ وهو يمشي ويطفُرُ ويسبِّحُ اللهَ».**

فوثبَ ™xallÒmenoj، **ووقفَ** œsth، **وصار يمشي** periep£tei، **ويطفر** ¡llÒmenoj. كلها أفعال جديدة تدل على سرعة الحركة والانتفاضة. نعم فالقوة التي سرت في جسده ليست قوة طبيعية، ولا هي عافية جسدية، ولا هي ردّة إلى حالته الطبيعية. فهنا طبيعة الرجل الأعرج من بطن أُمه تعبِّر عن القوة الإلهية التي افتقدت عجز هذه الطبيعة وقصورها لتعطيها قوة تعبِّر عن مصدرها، وهكذا وافاها اللسان سريعاً بالتسبيح الذي يكمِّل الاعتراف بفضل الله الذي حينما يفتقد الضعيف يكمِّله بالقوة: «يعطي المُعيي

قدرة» (إش 40:29). هكذا رآه إشعياء بالرؤيا من

وراء الدهور ووصفه كما رأيناه وسمعناه الآن: «حينئذ يقفز الأعرج كالأيل (كذكر الغزال) ويترنَّم لسان الأخرس» (إش 35 : 6). المنظر أمامنا مذهل للعقل، والمشاعر البشرية كلها لا تملك إزاء هذا إلاَّ أن تصفّق بأيديها، نعم ولكن كل هذا التصوير الحي المبدع وكأنه بالصوت والصورة أمام أعيننا لا يقدِّمه الروح القدس ليُسرَّ مشاعرنا ولكن يملأنا رهبة وعجباً وسروراً.

فلينتبه القارىء، لأننا أمام تصميم أساسي من الروح القدس لتقديم شهادة لاسم الذي قتلوه وصلبوه، الروح القدس أمعن في هذا الوصف الذي تمَّ بحذافيره أمام الكهنة، لأنه تمَّ في مواجهة رواقهم وأمام رؤساء الكهنة والكتبة وكل طغمة الصدوقيين ومَنْ يتبعهم، وبالرغم من هذا ستسمع كيف قبضوا على ق. بطرس واستجوبوه كأنه جدَّف على الهيكل وسَدَنَتِه (أي خُدَّامه)!!

من هنا فليفهم القارىء أن الروح القدس إنما يستكمل بنود القضية المرفوعة أصلاً على الذين صلبوه، ثم يكرر عمل المصلوب الإعجازي عياناً مرة أخرى على أيدي رسله وتلاميذه، فتتكرر المأساة نفسها وبأشنع صورة. فقد أخذوا يعقوب البار رئيس كنيسة أورشليم وقذفوا به من فوق جناح الهيكل فوقع وتهشَّم وأسلم روحه شهادة مزدوجة. نعم إنها قصة تدعيم الكنيسة على الأرض وفي السماء وتكميل مأساة الصليب. فالإنجيل كله لا يُقرأ إلاَّ على خلفية الصليب، لأننا سنقرأ حالاً رد رؤساء الكهنة:

+ «وبينما هما (بطرس ويوحنا) يخاطبان الشعب أقبل عليهما الكهنة وقائد جند الهيكل والصدوقيون متضجرين من تعليمهما الشعب وندائهما في يسوع بالقيامة من الأموات، فألقوا عليهما الأيادي ووضعوهما في حبس إلى الغد.» (أع 4: 1-3)

9:3و10 «**وأبصرهُ جميعُ الشعبِ وهو يَمْشِي ويُسبِّح الله،**
وعَرَفُوهُ أنَّه هو الذي كانَ يجلسُ لأجل الصَّدقةِ على بابِ الهيكلِ الجَمِيلِ فامتلأُوا دَهشةً وحيرةً ممَّا حدثَ له».

هذا هو منتهى قصد الروح القدس، أن ينظر الشعب ويسمع ويتحسَّس الحقيقة بعينيه ويديه. لقد عرفوه لأن له من السنين أربعين سنة في كُساحه المولود عليه. ثم يُلاحِظ القارىء كيف يختار الروح القدس إنساناً مثل هذا ويضعه على باب الهيكل الفخم ليراه كل

داخل وكل خارج كسيحاً يزحف على يديه صباحاً ومساءً على مدى أربعين سنة، ثم يقدِّمه لهذه الآلاف وعشرات الآلاف

من الشهود صحيحاً معافىً قائماً ماشياً طافراً مسبحاً باسم الذي صلبوه!!

ويُلاحِظ القارىء أن ردّ الفعل لهؤلاء الصدوقيين والكهنة عموماً هو:

«دهشة وحيرة»: q£mbouj ka^ ™kst£sewj

الدهشة نعرفها جميعاً فهي رجع صدى عجز العقل عن فهم الحاصل، أمَّا الحيرة كما جاء في الاصطلاح اليوناني فهي انفلات النفس عن وعيها بتأثير مؤثر شديد للغاية، وهي إمَّا تكون سالبية كما هي هنا فتعني ضياع اتزان العقل بسبب صدمة الحق مع الباطل، وإمَّا تكون إيجابية حينما تضع الحق في تأثيره على المستوى الطبيعي الدنيوي فتطير النفس لتحلّق في الأعالي أي في مجال الحق.

ليست فقط الدهشة بل و«**الحيرة**»، وهذا بيت القصيد. كيف، ثم كيف يقوم هذا صحيحاً باسم المصلوب الذي قتلوه بأيديهم واطمأنت نفوسهم عندما دفنوه وأغلقوا القبر؟ هنا الصدمة العنيفة بين الحق أمامهم والباطل في نفوسهم. فإن كان دم الإنسان البريء يتكلَّم صارخاً أمام الله في السماء، فكم يكون دم يسوع المسيح؟ إنه يصرخ في القلوب فلا مناص ولا خلاص، وسيظل يصرخ إلى أن يعودوا صارخين وباكين.

الخطاب الثاني للقديس بطرس الرسول
[3: 11-26]

11:3 «**وبينما كانَ الرجلُ الأعرجُ الذي شُفِيَ متمسِّكاً ببطرُسَ ويوحنَّا تَراكضَ إليهم جميعُ الشعبِ إلى الرواق الذي يُقالُ له رُوَاقُ سليمانَ وهُم مندهشُونَ**».

وهكذا بلغت الحوادث إلى ما كان ينشده الروح القدس، فقد تراكض الشعب من رواق إسرائيل وتكدَّسوا في رواق سليمان الخارجي. معنى هذا أن كل العُبَّاد والذين يتقون الله حسب المظاهر اليهودية قد أثارهم هذا الحادث وعزموا أن يعرفوا الحقيقة. وهذا هو المطلوب سواء من الروح القدس أو من ق. بطرس وق. يوحنا أن يعرف الناس الحقيقة التي من أجلها تكرَّسوا رسلاً ومبشرين. فوجد ق. بطرس أن كل شيء قد تجهَّز لإعلان حق المسيح على مسمع من الكهنة والكتبة وكل الصدوقيين الذين يقولون إنه ليس قيامة!!

هنا وبعامل الحفاظ على حالة شفائه، وبعامل النعمة التي جعلته يلتصق بأولياء نعمته، ثم بإيحاء الروح القدس، ظلّ هذا الأعرج الذي استوى على رجلي غزال متمسّكاً بالرسولين بكل قوته، والقصد واضح: أن تظل القرينة تشهد بشهادة الفم والوجود والكيان. فكان ق. بطرس يتكلّم على خلفية توضيحية، والأعرج يهتف بصدق كل ما كان ق. بطرس يتكلّم به.

12:3 «**فلمَّا رأى بطرُسُ ذلكَ أجابَ الشعبَ: أيَّها الرجالُ الإسرائيليون، ما بالكم تتعجَّبونَ مِنْ هذا ولماذا تَشْخَصُونَ إلينا كأننا بقوَّتنا أو تقوَانا قد جَعَلْنَا هذا يَمشي**».

إن أخطر ما يواجه أولاد الله الذين يُظهرون عمل الله بحياتهم أو بسلوكهم أو بمواهبهم أن يخطئ الناس أو يخطئوا هم فيحسبوهم قديسين وأن بقداستهم تتم أعمال الله!! أو يحسبون أنفسهم أن بتقواهم عمل الله ما يعمل بواسطتهم. هنا يكون المسيح قد خُذل في موقع الشهادة، فشهد المؤمن لنفسه عِوَضَ أن يشهد لإلهه. ولكي يزيد الواعظ أو الخادم أو مَنْ يصلّي على مريض أو يعطي مشورة أنه فعلاً بقداسته وتقواه تمَّ هذا، يتصنّع التواضع ويتمنّع في تقبُّل التكريم والتعظيم حتى يؤكد قداسته بتواضعه ويسجِّل المعجزة لحسابه بإنكار ذاته إنكاراً هو التعظيم بعينه.

الشعب فعلاً ويقيناً يتلهف أشد اللهفة أن يعرف كيف قام هذا الأعرج الكسيح من بطن أمه، وهو معروف عند الجميع، كيف قام صحيحاً وبأي قوة؟ هل قوة وتقوى هؤلاء الرجال الذين يتبعون شيعة الناصري؟ أم أنها قوة الناصري نفسه، كما بدأت تتأكد الأمور من كل جانب.

القديس بطرس لاحَظ ذلك واعتبرها باباً مفتوحاً يدخل فيه ليشهد لمَنْ له الشهادة. وظهر ق. بطرس على حقيقته الصخرة الصلدة التي اختارها المسيح ليبني عليها كنيسته. فلو كان ق. بطرس اكتفى بشرح الموضوع ببساطة أنه عمل المسيح المصلوب وليس عملنا، لكان في هذا فعلاً يريد أن يحوّل الكرامة لنفسه، إذ لماذا عمل المصلوب هذا العمل العظيم به إلاَّ لأنه (أي لأن بطرس) عظيمٌ؟ ولكن ق. بطرس عرف الفخ المنصوب حوله وأدرك الخدعة، فألقى بنفسه في أتون الصليب عينه وهو يرى من خلفه المسامير والحراب، إذ انقضَّ عليهم انقضاضاً لا هوادة فيه، لا لكي يسترضيهم بعد، بل ليحمّلهم جريمة قتل مبيَّت وعن عمد وإصرار وعن عمى قلب وحماقة فكر وضمير. فإمَّا أن يقتلوني بأيديهم وإمَّا

أُعمِّدهم أنا بيدي!! فقد عرف وتأكد أن وراءه محامي الاتهام الذي يتكلَّم

بسر الله في القلوب وسيفه في يده، فعليه هو فقط تعرية ضمائرهم ومحاصرتهم في جريمتهم، ويترك الباقي على الذي يستطيع أن يوثقهم بوثاق النعمة ويجرَّهم إلى الخلاص منخوسي القلوب والضمائر.

13:3 **«إنَّ إله إبراهيمَ وإسحقَ ويعقوبَ إله آبائِنا مجَّدَ فتاهُ يسوعَ الذي أسلمتمُوهُ أنتُم وأنكرتُمُوهُ أمامَ وجهِ بيلاطُسَ وهو حاكمٌ بإطلاقِهِ».**

القديس بطرس يسند ظهره على **"صخر"** الدهور. إن اسم إله إبراهيم وإسحق ويعقوب[104] هو المرجع الأول والأخير. إن كان الأمر صادراً منه فمَنْ ذا يعاند، إنه إله إسرائيل، فإن لم يخضعوا لعمله فلمَنْ يخضعون؟ وإن كانوا هم رسله، والمتكلمين باسمه، فقد وجب الإصغاء وانفتاح العقل.

نعم، إن كان وهو الإله القوي العزيز الجبار قد قام من الموت الذي أماتوه، فموته إذاً كان حتماً ظلماً بل كان جريمة وكان تحدّياً لكل أعماله ولكل أقواله منذ بدء الدهور إلى آخرها. إذاً قضية قيامة المسيح من بين الأموات هي التي صارت الحَكَمَ الفصل بين التبرئة والاتهام. فإن أنكروا القيامة التي صارت معلومة لديهم بألف برهان وبرهان، فها أمامهم الرسل الذين شاهدوا قيامته ويشهدون لها وهم لا إثنان ولا ثلاثة بل خمسمائة أخ دفعة واحدة!! ثم هذا الأعرج الكسيح ها هو اسم الرب، الذي قام وجلس في مجده، دُعِيَ عليه، فقام واستقام، وها هو يجري أمام أعينهم ويسبِّح ويهتف ويشهد ويمجِّد!

فإن كان الله الكليِّ القدرة الذي نلنا منه القدرة ودعونا باسمه، مجرد دعاء، فقام هذا الأعرج ليشهد بعمل الله فيه، فهو الله أيضاً الذي مجَّد فتاه[105] يسوع وأقامه من الموت بعد أن أسلمتموه

(104) هذه الصيغة التي يستخدمها ق. بطرس هنا في ذكر الله هي نفس الصيغة الليتورجية المستخدمة في صلوات الهيكل في صلوات البيراخوت الثماني عشرة، إذ تبتدئ كل بركة بالقول: «مبارك أنت أيها الرب إلهنا وإله آبائنا إله إبراهيم وإسحق ويعقوب».

(105) هذه لغة إشعياء النبي وقد استخدمت هنا كلمة «فتاه» عوض "عبدك" بحسب التعبير اليهودي: «هوذا **عبدي** يعقل ويتعالى ويرتقي ويتسامى جداً (وتُقرأ في السبعينية "هوذا عبدي ... **سوف** يرتفع") ... لذلك أُقسم له بين الأعزاء ومع العظماء يقسم غنيمة من أجل أنه سكب للموت نفسه» (إش 13:52، 12:53). أمَّا أن الفتى أي **العبد** هنا هو هو الابن فيظهر عندما يخاطبه في المزمور: «أنت **ابني** أنا اليوم ولدتُك.» (مز 7:2)

ويُعتبر نداء الله من السماء على المسيح وهو في المعمودية: «أنت ابني الحبيب الذي به سُررت» (مر 11:1). هو أقدم وأوضح شهادة أن المسيَّا الملقَّب في نبوَّة إشعياء **بالعبد** هو هنا في وضح تحقيق النبوات «**الابن**».

عن وعي ومعرفة وعن ظلم صارخ صرخ به الحاكم الروماني في وجوهكم أنه ليس فيه علة واحدة يمكن أن يحكم عليه بمقتضاها بالموت، ولمَّا تماحكتم وأردتم أن تقيموا حُكمكم ضده الذي بيتَّم عليه حسداً وحقداً وضغينة، كرَّر براءته ثلاثاً علناً وغسل يديه على رؤوس أشهادكم، ولكنكم أسلمتموه بالصراخ والضجيج والتهديد ليُصلب مع أنه قد حكم بإطلاقه وبإصرار.

وهكذا نجح ق. بطرس ليضع معجزة قيام الأعرج من كساحه على مستوى قيامة الرب من الموت. وبهذا حوَّل اندهاشهم المتزايد من أعرج يقوم صحيحاً إلى ما هو أخطر وأعظم وهو أن يقوم المسيَّا من الموت ـ الذي أسلموه للموت ـ فإن كان الأعرج باسم المسيح قام، فما بالهم والمسيح نفسه قد أقامه الله من الموت. إذاً، فقد سجَّل ق. بطرس اندهاشهم ليُحسب عليهم.

14:3و15 «ولكن أنتُمْ أنكرتُم القدّوس البارَّ وطلبتُم أن يُوهَبَ لكُم رجُلٌ قاتِلٌ، ورئيسُ الحياةِ قتلتُمُوهُ الذي أقامه الله مِنَ الأمواتِ ونحنُ شهودٌ لذلِكَ».

كان المأزق الذي وضعهم فيه بيلاطس ـ دون أن يدري ـ خطيراً للغاية، فبهذا العرض كشف نوايا رؤساء الكهنة والصدوقيين وبقية رؤساء الشعب بصورة خطيرة، إذ سجَّل عليهم أنهم قيَّموا المسيح بأقل من رجل قاتل محكوم عليه بالإعدام مما أذهل بيلاطس، حتى أنه نبَّههم مراراً: هل أصلب "ملككم"؟ لكي يستفيقوا. فبيلاطس لم يكن يسخر منهم بل كان قد شعر وتحقَّق بعد الحديث السرِّي الخاص الذي جرى بينه وبين المسيح: من أين أنت؟ هل أنت ملك اليهود؟ تحقَّق هذا الحاكم الذكي أنهم أسلموه حسداً، فهو ملك حقيقي ولكنهم لا يريدون ملكاً يحاسبهم على فجورهم ويصفِّي مهنتهم التي يرتزقون منها، لذلك صرخ: هل أصلب ملككم؟ ثم هل أصلب ملككم؟ يا لله!!! فأسلمه إليهم ليصلبوه هم حسب ما أرادوا، وصلبوا ملكهم، وصاروا فعلاً بلا ملك ولا ملكوت!!

«أنكرتم البار ... وطلبتم القاتل»:

ثم هي معادلة بسيطة لا يصعب على القارىء أن يحلَّها، إن كانوا صلبوا البار وأطلقوا القاتل فماذا يكون مستوى ضمائرهم، أو حتى تفكيرهم، أو على الأقل جداً تقديرهم للبرِّ؟ طبعاً لا شيء، بل أقل من أقل كل شيء، بل أقل من مجرم وقاتل. هكذا صار مستوى البرّ

والتبرير عند رؤساء الكهنة، عندما بحثوا قضية "يسوع" وحكموا فيها!!

المسيح في هذا الموقف كان يستصرخ ضمير الحق والعدالة:

+ «لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالاً لم يعملها أحد غيري لم تكن لهم خطية، وأمَّا الآن فقد رأوا وأبغضوني أنا وأبي. لكن لكي تتم الكلمة المكتوبة في ناموسهم إنهم أبغضوني بلا سبب.» (يو 15: 24و25)

ثم قضية ثانية نحتكم فيها للقارئ: مَنْ يُبغض البار؟ أو مَنْ الذي يكره الحق؟ أو مَنْ الذي يحسد الأمين؟ وأخيراً مَنْ الذي يظلم العدل؟ هذا هو مستوى رؤساء الكهنة! وهل لا يوجد لموازين الناس، مهما عظموا وترأسوا وتخفّوا وراء خدمة الله، هل يوجد مَنْ يحاسب؟ وإلاَّ فهذا صياد سمك من بحيرة الجليل وقف يحاسب الكهنة ورؤساء الكهنة بكلمات من نار وبموازين عدل الله الصارم، فكل ما فعلوه في الظلام كشفه ذلك الصياد في وضح النهار وعلى مستوى كل حكومات العالم وقضاة الأرض إلى يوم الدين.

«ورئيس الحياة قتلتموه»:

«رئيس الحياة»: ¢rchgÕn tÁj zwÁj

لا تأتي الكلمة باليونانية لتفيد الترؤُّس، لأن الترؤُّس على الحياة أقل من التعبير المطلوب، فالكلمة تفيد صاحب الحياة أو مُنشئ الحياة. وتأتي في الإنجليزية بحرف كبير كابيتال Capital لتفيد شخص الجلالة. ولا ينبغي أن يتوه عن بالنا أنه هو قال عن نفسه: «أنا هو القيامة والحياة» (يو 11: 25)، فهو لا ينتمي إليها بالرئاسة بل هي تنتمي إليه بالوجود!!

القديس بطرس هنا بلغ الذروة في وصف خَبَل رؤساء الكهنة، فهنا مقولة لا يقولها إلاَّ رجل مجنون، أو عاقل يقولها لرجل مجنون!! أمَّا القديس بطرس فنحن نعرفه، أمَّا رؤساء الكهنة الذين حكموا هذا الحكم فهذا هو وصفهم: «قتلوا الحياة» ! يوجد أُناس يقتلون الحياة التي فيهم فينتحرون، ويوجد أُناس يقتلون الحياة في الآخرين وهم القتلة، أمَّا رؤساء الكهنة فقتلوا **«الحياة في ذاتها»** أو قتلوا صاحبها ومعطيها!! وهل هذا ممكن؟ لقد تسجَّل عليهم أنهم قتلوا رئيس الحياة حقاً وفعلاً، ولكن هل هذا ممكن؟ هنا استحالة، لذلك أقامه الله لأنه الحياة، والحياة لابد أن تقوم وتبقى وتدوم. لقد أماتوه لأنفسهم فأماتوا حياتهم، وهو قام ليُحيينا. لقد حُسب موته عليهم وحدهم أمَّا لنا فحياة من موت!

«الذي أقامه الله من الأموات ونحن شهود لذلك»:

ليحذر القارئ أن يفهم من هذا القول أن الله كان يمكن أن لا يقيمه، هذا جدّ مستحيل فهو مات على أساس أن يقوم، بل قال إنه هو القيامة، وهو قائم أبداً، وإن مات فهذا لكي يصنع بموته قيامة وحياة!! المسيح مات ليحوّل موته إلى حياة أبدية، وموت المسيح لم يكن كموت الناس بل كان موته أقوى جداً وبلا قياس من موت كل الناس، فقد داس بموته الموت وألغى سطوته وقام لكي لا يموت الناس. فيا لمجد هذا الموت، ويا لعزّنا بهذا الموت، فقد سمعنا به في المسيح مرّة ولن نسمعه بعد أو نراه: «مَنْ يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولن يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة.» (يو 5: 24)

القديس بطرس يشهد لقيامة المسيح ليس لأنه شاهدها وحسب، أو لأنه شاهد المسيح حيًّا من بعد الموت، بل لأن المسيح قائم فيه. فهو يستمد شهادته من خبرته، من كيانه، من حياة القيامة التي فيه. المسيح قد قام، لأننا قمنا معه، وإن شهدنا فنحن نشهد لقيامتنا فيه. أمَّا قيامته هو على حقيقتها وفي صميم طبيعتها ومقدار فعلها وقوتها، فلو اجتمعت كل قيامة الذين قاموا فيه فلن تعطي إلاَّ صورة قوامها خبرة الإنسان فيها وحسب، أمَّا خبرة المسيح وملء قيامته فهو ملء السماوات والأرض والأجيال والدهور، شيء لا يحيطه فكر.

16:3 **«وبالإيمان باسمهِ شَدَّدَ اسمُهُ هذا الذي تنظرونَهُ وتَعرِفونَهُ والإيمانُ الذي بواسطتِهِ أعطاهُ هذه الصحَّة أمامَ جميعكمْ».**

هدفٌ واحدٌ ركّز عليه ق. بطرس في دفاعه عن المسيح وإثبات برّه وقداسته وقيامته من الأموات، وذلك الهدف هو الإيمان بالمسيح. فيقول نحن دعونا عليه «بالاسم» فبسبب إيماننا باسم المسيح باشر المسيح قوته في إقامة هذا الأعرج سليماً. فصحة هذا الأعرج أمام عيونكم التي تتأجج نشاطاً وحيوية وفرحاً وتهليلاً وتمجيداً هي من صُنْع الإيمان بالمسيح.

وهنا كرر ق. بطرس **«الإيمان»** مرتين ليزيد التركيز على مصدر القوة الحقيقية التي أقامت الأعرج، ثم كرر **«اسم»** المسيح مرتين ليكشف عن هويَّة صاحب **«الاسم»**. فـ « **اسم**» الله عند اليهود يعني حضرته، يعني شخصه، يعني كل خصائصه وقوته. ولا يوجد اسم آخر له هذه الخاصية، وذلك لسبب هام سقط بمضيِّ الدهور الأولى، فالله المدعو عندهم «يهوه» كان له اسم

تتكوَّن حروفه من حروف هذه الكلمة وهي: ي هـ و ه. وكان محرَّماً على أي يهودي أن ينطقه أو يكتبه، فأعطوه اسماً آخر بديلاً عن هذا الاسم المقدَّس المرهوب فأسموه «أدوناي» أي السيد، وأسموه «شداي» أي القوي والقدير. واستخدموا هذه الأسماء للدلالة على «يهوه» الإله المخوف، فبقيت هذه الأسماء وبدأ الاسم يهوه ونطقه الصحيح يضمحل، حتى اضمحل فعلاً ولم يعد أحد يعرف نطق كلمة «يهوه» صحيحاً حتى اليوم، فاخترعوا لها حروفاً متحركة لتنطق «يهوه» ولكن الاسم الأصلي ضاع. ولكي يريحوا أنفسهم من خطر النطق بهذا الاسم، اكتفوا عند الاستشهاد بالله بذكر **«الاسم»** فقط. فيُقال كما قال ق. بطرس هنا: **«بالإيمان باسمه، شدَّد اسمه هذا»**، ويقصد المسيح، كما كان يصنع اليهود قديماً في أمر يهوه. وبهذا نفهم أن ق. بطرس تعمَّد ذكر **«الاسم»** بهذا المعنى وهذا السلطان ليعيد لأذهان اليهود قيمة يهوه العظمى وقدرة اسمه في العمل بمجرد ذكره، وكرر «الاسم» مع تكرار «الإيمان» ليُدخل في قلوبهم أن اسم المسيح هو مصدر القوة والمعجزة التي تمَّت، وبنوع خفي يسرِّب إلى أذهانهم الحقيقة العظمى أن يسوع المسيح هو يهوه!! وعليك أيها القارئ إعادة قراءة هذه الآية أعلاه (3 : 16) مرة أخرى، ثم اسأل: ومَنْ الذي يكون الإيمان باسمه يعطي اسمه هذه الصحة لهذا الأعرج إلاَّ الله؟ بهذا انتهى الدفاع الأول للقديس بطرس.

لقد كان ق. بطرس، في هذا الدفاع أكثر من مُلهَم، أكثر من نبي ومعلِّم، أكثر من محامٍ وقاضٍ. لقد كان عند حسن ظن صاحب الاسم تماماً وكان موضع فرح الروح القدس الذي فيه!!

عملية مداولة للتهوين من شدة الكلام ودفعاً للمصالحة:

مرة أخرى يتألَّق ق. بطرس، لا في الاتهام ولا في الهجوم ولا في الحكم القاطع ضد قتل رئيس الحياة وهم على علم وضغينة والحكم مبيَّت قبل الحكم، والقتل أمر انتهوا منه قبل أن يبدأوا به. نعم وبالرغم من كل ذلك انتقل ق. بطرس من منصة القاضي الذي يحكم بشريعة موسى التزاماً، وتغاضى عن أي اعتبار للقانون الروماني نفسه، بل وأي قانون مدني أيًّا كان، فالكل يحكم ضد القاتل عمداً بلا رأفة. ولكن ق. بطرس لكي يعلن عن المسيح الذي فيه، بدأ يدافع عن قاتليه. فهذا نص القانون الذي رسمه المسيح على الصليب، إذ نطق عليه قبل تسليمه الروح بدقائق بالبراءة لصالح صالبيه، طالباً من الله أن لا يقيم لهم

هذه الخطية فلا يُحاكَمُوا بمقتضاها. بهذه الروح بدأ ق. بطرس يسترضي قلوبهم.

17:3 **«والآن أيـُّها الإخوةُ أنا أعلمُ أنكم بجهالةٍ عَمِلتُم كما رُؤَساؤُكُم أيضاً».**

طبعاً معروف في كل قضاء أن عدم العلم بالقانون لا يبرِّئ من الإدانة. ولكن هذا هو القانون المسيحي الذي اختطه المسيح وهو في ذروة ألمه وعلى الصليب وغصَّة الموت في حلقه. فلم يجعل عدم العلم عائقاً للبراءة، بل والعلم بالخطأ والإصرار عليه وتكميل تنفيذه لا يمنع البراءة!! هذا هو قانون الرحمة الذي انبثق على الصليب بالذات كأحد بنود بركاته: « والرحمة تفتخر على الحكم» ! (يع 13:2)

كان من المستحيل على المسيح أن يكون وهو يتحمل العذاب والتعذيب والألم والتنكيل دفاعاً عن الخطاة، كل الخطاة، ليحمل بتعاذيبه وآلامه ثمن كل خطايا الخطاة، كان من المستحيل أن يجعل صليبه وهو آلة الخلاص الأولى وعلة التبرير العظمى، سبب دينونة وهلاك صالبيه! فمنطق الصليب الذي اختطّه المسيح ابن الله في محاكمة الخطاة وليكون أساس حكومة الله بين الناس، هو أنه برَّأ أول ما برَّأ صالبيه. لقد دخل ق. بطرس هو نفسه تحت مظلة الصليب إذ نال سابقاً صفحاً، بل نال عوناً وصلاة مُسبَقة عن إنكاره لسيده ثلاثاً وأمام شهود وبسبق إنذار، ونال تبريئاً وحباً مضاعفاً. فكيف وهو الآن في موضع القاضي ـ كيف لا يبرئ الصالبين مرة أخرى، فهو وإن كانت قد بدرت منه هذه السابقة عن جرأة منقطعة النظير غير أنه لم يكن إلاَّ مُكَرِّراً لحكم المسيح: «يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون.» (لو 24:23)

وفي الحقيقة نحن نقيِّم إعفاء ق. بطرس للصالبين من الدينونة، ليس بالرغم من علمهم وسبق إصرارهم، بل باعتباره **«جهالة».** والجهالة تتجاوز عدم العلم في أثرها المبرِّئ بل وتتجاوز العلم نفسه وسبق الإصرار! لأنها ليست **«جهالة»** بأمور يمكن معرفتها بالعقل وبأدوات المعرفة المتاحة لكل إنسان، ولكنها جهالة بسر الله الفائق للعقل ولأدوات المعرفة التي لدى كل إنسان! التي يقابلها القاضي ليحكم بالبراءة للقاتل. إن المتهم **غير "عاقل"** وفي أقل من الحدود المفروضة لوعيه. ألم يقل ق. بطرس لهم الآن للتدليل عن خبالهم إن **«رئيس الحياة قتلتموه»** مقولة لا يقولها عاقل، وعملٌ لو استطاع إنسان أن يعمله لقيل أنه جُنَّ، ثم ألم يثبت المسيح أنه قد مسَّهم الجنون والجنّ وهم يسرعون بلهفة لصلبه قائلاً لهم: «هذه ساعتكم **وسلطان** الظلمة.» (لو 53:22)

3:18-20 «**وأمَّا الله فمَا سبقَ وأنبَأ بهِ بأفواهِ جميع أنبيائهِ أن يتألَّم المسيحُ قد تَمَّمَهُ هكذا، فتوبوا وارجِعُوا لتُمحَى خطاياكُمْ لكي تأتي أوقاتُ الفرَج مِنْ وجهِ الربِّ. ويُرسِلَ يسوعَ المسيحَ المُبَشَّرَ بهِ لكم قبْلُ**».

لم يترتَّب على صلبكم للمسيح أي خسارة إلاَّ لكم أنتم وحدكم.
فتوبوا لكي يأتي سريعاً ويرد لكم كل شيء.

بعد أن أخرجهم ق. بطرس من تحت الحكم بعامل جهالتهم، ممهِّداً بذلك طريق إراحة ضمائرهم ليقبلوا عنف الكلام الذي خاطبهم به، يعود الآن ويرفع عن كاهل ضمائرهم ثقل هذه الجريمة الشنعاء بقتلهم المسيح وسفك دم بريء لرجل تعيَّن أن يكون ربًّا ومسيحاً وديَّاناً للأحياء والأموات. فيقول لهم إن كل مراحل تعدِّيهم الصارخ وتربُّصهم بالمسيح وإقامة التهم الباطلة ومحاكمتهم المغشوشة الباطلة واتهاماتهم المزوَّرة وشهودهم الكذبة، ثم قسوة القبض عليه وتعذيب جسده بالضرب والسياط ثم الحكم بالصلب دون أي سبب، ثم موته ودفنه، كل هذه المراحل التي اقترفتها أيديهم وقلوبهم سبق وقالها الله جميعها وتنبأ بها الأنبياء أن لابد أن تكون، لكي حينما يجوزها المسيح كلها راضياً مطيعاً لأمر الله ومشيئته تتم بنود الخلاص للبشرية كلها بما فيها إسرائيل.

أي أن كل ما اقترفته أيديهم انتهى إلى خلاص العالم وتممه المسيح كما سبق ورسمه الله، إذاً، فما من خاسر إلاَّ هم والذين رفضوا الصليب فرفضوا الخلاص. فماذا يمنعهم عن التوبة **والرب غفر خطيتهم**؟ إذاً، لم يبقَ أمامهم أي عائق يمنعهم عن التوبة، علماً بأن عدم توبتهم (إلى الآن) حرمهم من **أزمنة الخلاص** التي وعد بها الرب على فم جميع الأنبياء. كذلك فعدم توبتهم وقف عائقاً منع مجيئه ليردَّهم إليه مرة أخرى وبالتالي دخولهم في فرح استعلان مواعيده الصادقة لهم ولأولادهم. إذاً، توبتهم أصبحت مُلحَّة من أجل دخولهم في الخلاص الموعود لهم وفي أيام الفرج المرصودة لحسابهم، ولردِّهم إلى سابق علائق الحب الذي امتازوا به دوناً عن جميع شعوب الأرض.

صحيح فات عليهم زمن البشارة الأولى بالمسيح المخصَّص لهم أولاً، ولكن لمَّا رفضوا عبر منهم إلى الأمم. والآن إن يعودوا ويرجعوا إليه يرجع إليهم ويجدِّد لهم زمن البشارة الذي فاتهم.

إن الاستنارة التي يتكلّم بها ق. بطرس هنا تبدو وكأن المسيح كشف لهذا الرسول العظيم حقاً دقائق مشورته الأزلية، وفتح ذهنه لا ليفهم الكتب وحسب بل ليفهم خطة الخلاص بدقائقها وصعابها وتعديلاتها مع طول أناة الله على خلاص هؤلاء القوم. هذا يُرى بوضوح من الإلحاح وإقامة الأدلّة الأكثر من مُقنِعة لتوبتهم!!

حيثّيات:
مزيد من الأدلة المقنعة على صدق دعوة اليهود للتوبة والإيمان بالاستشهاد بالكتب:

ولسان حال بطرس الرسول "أنا كعبراني من العبرانيين، وكوريث معكم في كل ما جاء في الكتب وما وعد به الله في الناموس والأنبياء، هلم نتحاجج لتعلموا أن المسيح هو لكم، فإن ارتفع عنكم لأنكم خذلتموه وصلبتموه، فهو على ميعاد معكم للعودة إن عُدتم إلى التوبة وطلب الإيمان به".

21:3 **«الذي ينبغي أنَّ السَّماءَ تقبَلُه إلى أزمنةِ رَدِّ كلِّ شيءٍ التي تكلَّم عنها الله بفَمِ جميع أنبيائِهِ القديسينَ منذُ الدهر».**

لو رفعنا أعيننا إلى مستوى العمل الذي عمله المسيح على الصليب باستثناء القوم الذين بجهالة خططوا للصليب من وراء ظهر الله وبدون مشورة، لا من الروح المستودع لإيمانهم وعبادتهم وتقواهم، ولا من روح آبائهم وأنبيائهم، بل ولا حتى عن حكمائهم ـ نجد أن بقية الشعب في طول البلاد وعرضها قد ظلموا بجهالة هؤلاء الرؤساء. فلو رجعنا ونظرنا كيف كان سيكون الحال لو آمن الشعب بقيادة المعتدلين والملهمين منهم وآمنوا بالمسيح وكيف كان يمكن لعمل الخلاص أن يشمل الأمة اليهودية بأكملها ويتم لهم الوعد والميعاد، ثم تنطلق دعوة الخلاص للعالم كله بقوة اندفاع مواهب اليهود من إعزاز الله وحبه وسنده ووعده لهم؟ هذا أمر خطير، فالأمة المختارة على مدى ألفَيْ سنة صاحبة أعظم تدخلات السماء في كل مناحي حياتهم، ومبادرة الله لنجاتهم ومساعدتهم في أعظم الأمور وأصغرها، تقف هي بكل ثقلها وبكل مواهبها لتعمل عكس ما هو منتظر منهم، فتقاوم وتجدّف وتتحدى الله وخططه لخلاصهم هم أنفسهم، ثم تتعدى ذلك بصورة عنيفة وبأكثر جهالة لمقاومة خلاص الأمم والشعوب حتى لا يعرفوا الله ويؤمنوا به ويؤمنوا

بالكتب المقدَّسة وبوعد الله الأكيد لهم المنصوص عنه في جميع الأسفار، منذ إبراهيم بصورة عظمى وأولى: «يتبارك في نسلك جميع أمم الأرض» (تك 18:22)، ومن موسى ووعده كما سيجيء في الآية القادمة، مع كل النبوات وأكثرها ما جاء في سفر إشعياء.

حتى أن التلاميذ في يوم الخمسين، وقبل ذلك عند وعد الرب لهم بأنهم سيُعمَّدون بالروح القدس وقوة العلي تحل عليهم من الأعالي، وأنهم سيشهدون له في اليهودية وأُورشليم والسامرة ثم إلى أقصى الأرض، فهموا في الحال أنه قد جاء زمن ردِّ كل شيء حسب وعده للأمة كلها فسألوه: «هل في هذا الوقت تردُّ الملك إلى إسرائيل» (أع 6:1). الأمر الذي وقف عنده المسيح ـ كعارف بكل شيء ـ موقف الحزن والصمت مدة ثم رد عليهم: « ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات» (أع 7:1)، والرد هنا يرمي بكل وضوح أنها ليست سنة أو عشرةً أو عشرين أو ثلاثين على أكثر تقدير كما كانوا يظنون جميعاً، بل كان الرد ليس مجرد **زمان** أو **وقت** بل **أزمنة وأوقات!!** ثم وفي حزن أعمق أكمل القول عن هذه الأزمنة والأوقات أن الآب جعلها في سلطانه حتى أنها تخفى عن عَيْنَي «يسوع» شفيع إسرائيل الأعظم!! وهو بين شعبه، وبالأكثر عن عيون التلاميذ لئلا يذهلوا ويخوروا وترتخي قلوبهم وأذرعهم ويصابوا بالشلل والكلل: **ألفان من السنين** قد مضت حتى الآن!! ولا يزال من مزيد!! وليس ثلاثون سنة! نعم فقلب هذا الشعب غلظ والله زاد الكيل لهم فغلّظه لهم وآذانهم تباطأت في السمع والطاعة ففاض عليهم صمماً فوق صمم وعيونهم تغاضت عن رؤيا الحق فأرسل لهم العمى ضعفين.

ولكن نعود ليوم الخمسين، والتلاميذ متلهفون لسماع قرب زمن ردِّ الملك، وباختصار شديد كان يود الرب أن يقول لهم عندما يرتدُّون إليه فيرتدَّ إليهم، وعندما يردّون على افتقاده لهم بموته وقيامته لتُمحى كل خطاياهم، التي ما استطاع الناموس أن يمحو منها خطية واحدة، نعم عندما يردُّون على قيامته يردُّ عليهم ملكهم وعزّهم وحبه لهم وإعزازه وكل وعوده لآبائهم.

كان الأنبياء وبالأكثر إشعياء عظيمهم أكثرهم هماً ورجاءً وتوثباً ليوم العودة هذا، ولزمن «ردِّ كل شيء» كما يقول عنه ق. بطرس هنا وكأنه نبي على مستواهم وأكثر. وقد استطرد في هذا المعنى بولس الرسول بوضوح:

+ «أيها الإخوة إن مسرَّة قلبي وطلبتي إلى الله لأجل إسرائيل هي للخلاص.» (رو

(1:10

+ «فأقول ألعلّ الله رفض شعبه؟ حاشا ... لم يرفض الله شعبه.» (رو 11:1و2)

+ «فأقول ألعلّهم عثروا لكي يسقطوا (كشعب واحد)؟ حاشا...،
بل بزلتهم صار الخلاص للأمم ـ لإغارتهم ـ (إغارة اليهود)، فإن كانت زلّتهم غنى للعالم ونقصانهم غنى للأمم فكم بالحري ملؤهم.» (رو 11: 11و12)

+ «إن القساوة قد حصلت جزئياً لإسرائيل إلى أن يدخل ملؤ الأمم **وهكذا سيخلص جميع إسرائيل.**» (رو 11: 25و26)

إذاً، بطرس الرسول هنا يتكلّم من موقف رسولي معروف للرسل، لأنهم بعد أن عرفوا من الرب في يوم الخمسين أن لا يضعوا قلوبهم وراء عودة المُلك لإسرائيل، فمن ذلك الحين ظلّوا يترجونه ويتوقعونه بصبر ولم ييأسوا أبداً.

ولكن رجعة حزينة على أنفسنا وعلى حالنا وكنيستنا، فلو كانت الكنيسة قد سارت بحرارة العهد الرسولي وقيادة الروح القدس كما كُتب عنها: "إنهم كانوا يواظبون على الصلاة كل يوم في الهيكل وكانوا يواظبون على تعاليم الرسل والشركة وكسر الخبز"، لو تمسّكنا بالتعاليم الرسولية لفتحنا الباب أمام اليهود، لأن عظة واحدة من بطرس الرسول ضمَّت ثلاثة آلاف نفس آمنوا واعتمدوا، وبعدها جماهير من رجال ونساء. ولكننا لم نعد قدوة للخلاص لا لليهود ولا للعالم. لقد تباطأت الكرازة، ثم تباطأت، ثم تواطأت، ثم تآكلت. والآن نسمع عن الارتداد في العالم أكثر آلاف المرات من الانضمام. فإن تأخر زمان عودة الرب فلأن البشارة بالإنجيل لم تبلغ مستواها من الصليب!! والشيطان يجول ويبتلع بأكثر مما يجول الكارزون ويضمّون.

وسؤال التلاميذ يحيِّرنا نحن أيضاً: متى يُرد المُلك الموعود، ويتحقق وعد الملاكين للرسل: «سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء» (أع 1:11). إن هذا موضع رجاء شديد ولهفة عندنا، لأن العالم يمخض بالإثم ويلد كل يوم أنواع خطايا جديدة لم نعرفها ولم نسمع لها مثيلاً!

«الذي ينبغي أن السماء تقبله»:

«السماء تقبله»: dšxasqai

فلينتبه القارئ لأن كثيرين من العلماء الكبار فهموا هذا القول باعتباره إفادة عن أن المسيح عاد إلى موطن سُكناه للإقامة. ولكن الكلمة «تقبله السماء» تفيد إفادة واضحة أنها مرحلة مؤقتة يجلس فيها عن يمين العظمة ليدير حركة كنيسته على الأرض، ويؤازر

شهداءه وقديسيه ومُتَّقيه في

كل مكان ويُعدّ لهم عنده مكاناً، ثم يأتي إلينا ليختتم زمان الكرازة بإعطاء أكاليل المجد في ذلك اليوم، ويمسح الدمع عن العيون التي هدَّها الحزن وأضناها البكاء وليس في الأرض من يُعزّى أو في العالم من يَرثى. إنه يوم الانتظار الذي نصلّي من أجله على الدوام: **«منتظرين وطالبين سرعة مجيء يوم الرب»** (2بط 3:12)، **ماران أثا.**

فكلمة **«تقبله السماء»** التي جاءت على لسان بطرس الرسول تعطينا هذا الرجاء وتُزيدنا انتظاراً وطلباً ودعاءً: «ألقوا رجاءكم بالتمام على النعمة التي يُؤتى بها إليكم عند استعلان يسوع المسيح» (1بط 1:13). فالآن هو الزمان الذي يقضيه الرب في السماء، والذي تجوزه الكنيسة على الأرض، هو زمان ما قبل الاستعلان الأخير.

ثم قوله:

«إلى أزمنة ردّ كل شيء»: ¥cri crÒnwn ¢pokatast£sewj p£ntwn

فردّ كل شيء ليس هو زمان الدينونة كما أخطأ الكثيرون في فهم عمل مجيئه الثاني المنتظر المحدد بردِّ كل شيء إلى وضعه الأمثل الذي يتناسب مع خلاصه العظيم الذي صنع. فكلمة «كل شيء» أو "الكل" لا تتناسب إلاَّ مع استعلان عمل إيجابي محض ليس فيه عقاب أو دينونة أو توبيخ أو مراجعة سواء لإسرائيل أو لنا. فردُّ إسرائيل سيكون له عمل من جهتهم حتماً سيُرضي قلبه المجروح، حيث يردّون من الإيمان والحب والاعتراف والتوبة أضعاف ما قدَّموه من جحود. أمَّا لنا فهذا كله هو عمل الزمان الحاضر الآن بالروح القدس: «يبكّت العالم على خطية وعلى برٍّ وعلى دينونة» (يو 16:8). أمَّا عمله لنا ولهم فسلامي مائة بالمائة، عمل استكمال الحب لمَنْ أعوزهم الحب، وردِّ المجد لمَنْ تعرَّوا منه ظلماً وجَوْراً وتعسُّفاً، وردِّ اعتبار من أُهينوا وتجردوا وشربوا كأس المرارة من أعدائهم، من إخوتهم ورؤسائهم ومضطهديهم، إعداداً للنقلة الأخيرة إلى الوطن المُعدِّ.

فإن كنا نحيا الآن بين استعلانين parous…a، فنحن في الحقيقة لا زلنا قائمين في **«يوم الرب»** الذي جمع فيه كلُّ الأنبياء في نبواتهم بين مجيئه الأول ومجيئه الثاني دون أي تفريق زمني، بل جمعوا فيه بين الأعمال والنتائج، وبين الأتعاب والراحة، بين الامتحان بل الامتحانات المرة والقاسية وبين المديح ولبس الأكاليل بيد الرب، كما جمعهم ملاخي النبي(106) **معاً:**

(106) Meyer,. *op. cit.*, p. 83.

+ «فهوذا يأتي **اليوم (يوم الرب) المتَّقد كالتنور** (الفرن) ... **ولكم أيها المتَّقون اسمي تشرق شمس البر والشفاء في أجنحتها.**» (مل 4: 1و2)

3:22و23 «**فإنَّ مُوسَى قالَ للآباءِ إنَّ نبيًّا مثلي سَيُقِيمُ لَكُمُ الربَّ إلهُكُم مِنْ إخوَتِكُم لهُ تسمَعُونَ في كُلِّ ما يكلِّمُكُم بهِ. ويكونُ أنَّ كُلَّ نفسٍ لا تسمَعُ لذلك النبيِّ تُبَادُ مِنَ الشَّعْبِ**».

هذا النص كما يقول العلاَّمة ماير في شرحه لسفر الأعمال[107] مختلف في بعض ألفاظه وزائد في ألفاظ أخرى عن النص السبعيني لأنه مأخوذ من النص العبري.

أمَّا النص في السبعينية فهو كالآتي:

+ «يقيم الرب إلهكم نبيًّا من إخوتكم ـ مثلي ـ له تسمعون حسب كل ما طلبتم من الرب إلهكم في حوريب في يوم الاجتماع، كما قلتم نحن لا نريد أن نسمع صوت الرب إلهك ونحن لا نريد أن نرى أيضاً هذه النار العظيمة حتى لا نموت. والرب قال لي: قد أحسنوا في كل ما قالوه لك، أنا سأقيم لهم نبيًّا من إخوتهم مثلك، وأنا سأضع كلماتي في فمه، وهو سيكلّمهم كما أُوصيه. وإن **أي إنسان لا يسمع للكلام الذي سيتكلَّم به** هذا النبي باسمي سأنتقم منه.» (تث 18: 15-19)

وقد تناقلت هذه النبوة بحذافيرها في الشرح والتعليم اليهودي وأخذ بها المعلّمون حتى إلى عصور مجيء المسيح وقد علَّم بها فيلو اليهودي، وأخذها المسيحيون الأوائل كنبوَّة تمَّت بحذافيرها في المسيح ونسمع صدى ذلك بقوة في إنجيل ق. يوحنا هكذا من فم الكهنة واللاويين حينما أرسلوا يسألون المعمدان "مَنْ أنت؟": «فاعترف ولم ينكر وأقرَّ أني لست أنا المسيح (المسيَّا الذي ينتظرونه)، فسألوه إذاً ماذا إيليا أنت (النبي الذي يسبق مجيء المسيَّا) فقال لست أنا. ألنَّبيُّ أنت (الذي قال عنه موسى) فأجاب لا...» (يو 1: 19-21)

ثم وفي إنجيل ق. يوحنا أيضاً في حديث المسيح مع السامرية، نجد أن السامريين ينتظرونه بفارغ الصبر حتى الخطاة والنساء من الخطاة! «قالت المرأة أنا أعلم أن مسيَّا الذي يُقال له المسيح يأتي فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شيء. قال لها يسوع أنا الذي أكلّمك هو» (يو 4: 25و26). وقبل

(107) Ibid., p. 113.

هذا التصريح ألمحت السامرية إلى كون الذي يكلّمها نبيًّا: «قالت له المرأة يا سيد أرى أنك نبي» (يو 4 : 19). وأخيراً تأكدت أنه النبي وأنه هو المسيَّا: «فتركت المرأة جرتها ومضت إلى المدينة وقالت للناس هلمُّوا انظروا إنساناً قال لي كل ما فعلت (نبي) ألعل هذا هو المسيح؟ فخرجوا من المدينة وأتوا إليه» (يو 4: 38و39). وأخيراً يؤكد أهل المدينة كلها أنهم أدركوا حقيقته من كلام المسيح نفسه: «لأننا نحن قد سمعنا ونعلم أن هذا هو بالحقيقة المسيح مخلّص العالم.» (يو 4 : 42)

ونأتي إلى نخبة التلاميذ الإسرائيليين بالحق والذين لا غش فيهم كيف تعرَّفوا عليه بعد قراءة وبحث في الناموس والأنبياء هكذا:

+ «كان أندراوس أخو سمعان بطرس واحداً من الاثنين اللذين سمعا يوحنا (المعمدان) وتبعاه. هذا وجد أولاً أخاه سمعان فقال له **قد وجدنا مسيًّا الذي تفسيره المسيح.**» (يو 1: 40و41)
+ «فيلبس وجد نثنائيل وقال له وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء يسوع...» (يو 1 : 45)
+ «أجاب نثنائيل وقال: يا معلّم أنت ابن الله، أنت ملك إسرائيل.» (يو 1 : 49)

ثم شهادة جموع الفلاحين الجليليين:

+ «فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع (الخمس الخبزات والسمكتين) قالوا: **إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم.**» (يو 6 : 14)

ثم وفي يوم التجلي العظيم جاء الصوت المصدِّق من السماء بنفس العبارة التي سبق أن قالها الله لليهود في سفر التثنية كما قرأنا في الآية السالفة:

+ «أي إنسان **لا يسمع للكلام الذي سيتكلَّم به هذا النبي** باسمي أنتقم منه.» (تث 18 : 15)

ويجيء صوت الله من السماء في يوم التجلّي هكذا:

+ «وفيما هو يقول ذلك جاءت سحابة فظللتهم فخافوا عندما دخلوا السحابة (الحضرة الإلهية) وصار صوت من السحابة قائلاً: هذا هو ابني الحبيب **له اسمعوا** ولمَّا كان الصوت وُجد **يسوع وحده.**» (لو 9: 34-36)

ونُلاحِظ في نقل ق. بطرس للآية أنه لم يغيِّر فيها شيئاً إلاّ نوع النقمة للذي **لا يسمع له**، فبدل «**أنتقم منه**» وتعني في لغة أسفار موسى أنه **يموت بلا مغفرة**، خفَّف من ثقلها على أسماع السامعين

وجعلها: «**تُباد من الشعب**».

وبهذه المقدمة لموسى النبي عن نبوَّة مجيء المسيَّا، يكون ق. بطرس قد افتتح تحقيق عصر النبوات التي بدأت من موسى، ويراها أنها انتهت بالمسيَّا. لأن نبوَّة موسى واضحة غاية الوضوح أن إقامة نبي آخر مثل موسى يكون كلام الله في فمه وله يُسمع وحده والذي لا يسمع له يُباد. هذا يعني تماماً أن هذا النبي سيبتدئ عصراً جديداً وناموساً جديداً سيحتاج إليه الشعب بعد أن يكون قد استنفذ الناموس الأول صلاحيته بالنسبة للشعب. وفيه تحذير خطير أن الذي سيتمسَّك بالكلام الأول الذي لموسى ولناموسه ولا يسمع للكلام الجديد الذي سيضعه الله في فمه ليتكلَّم به بما يحتاجونه بالفعل، فإنه سيُباد.

ويُلاحِظ القارئ أن في النبوَّة تفريقاً واضحاً بين مَنْ سيسمع ومَنْ لا يسمع. وهنا يستميل القديس بطرس الشعب لكي يسمع ويستجيب لهذا النبي، ولا يلقي بالاً أو يخاف من الذين يرفضون ولا يسمعون، قاصداً بذلك الرؤساء والمسئولين عن الناموس وموسى، الذين يتمسكون به ولا يسمعون للمسيح المعيَّن والمختار من الله والذي يتكلَّم بكلام الله.

كما يُلاحِظ القارئ أن استشهاد ق. بطرس بنبوة موسى يجيء توضيحاً وشرحاً لقوله السابق عن «**أزمنة ردِّ كل شيء**» التي ستأتي على يدي هذا النبي بدل موسى، فهنا «رد كل شيء» تعود على ما سيفقده الشعب من وراء تعسُّر اتّباعهم للناموس الذي وضعه موسى وإساءتهم لله. فهنا في الحقيقة كلمة «رد كل شيء» هي هي نفسها التي قالها المسيح: «ما جئت لأنقض بل **لأكمِّل**» (مت 17:5). إذاً، فـ «رد كل شيء» هي "تكميل كل شيء" عند المسيح، أي تكميل الناقص والفاقد وغير المعمول به، وإصلاح ما أفسده الشعب من كلام الله وخطة خلاصه وفدائه. وكان هذا معروفاً لدى الله مُسْبقاً، وقد سبق وأنبأ به لموسى والكلام للشعب، الأمر الذي فسَّره بولس الرسول بقوله:

+ «لأن غاية الناموس هي المسيح.» (رو 4:10)

+ «الناموس مؤدِّبنا إلى المسيح لكي نتبرر بالإيمان، ولكن بعدما جاء الإيمان لسنا بعد تحت مؤدِّب.» (غل 3: 24و25)،

+ «هوذا الكل قد صار جديداً.» (2كو 17:5)

+ «وأمَّا ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال.» (عب 8:13)

ولمَّا جاء المسيح وبدأت أزمنة الخلاص، أكمل المسيح ما وعد به وارتقى بالناموس إلى الكمال المسيحي، وبلغ الإنسان بالمسيح إلى أرقى درجات المصالحة والحب مع الله: «لا أعود أُسميكم عبيداً ... لكني قد سميتُكم أحباء» (يو 15:15). ولكن واضح غاية الوضوح أن هذا الذي أكمله المسيح لا يزال ناقصاً وبشدة من جهة الذين أخطأوا في معرفة المسيح كمسيَّا الخلاص، النبي الموعود به، وهذا أمر لا يرضى به الله حتى ولو رضي به هذا الشعب الفاسد الذهن والقلب. لذلك يتودد ق. بطرس إليهم أن يتوبوا لتأتي لهم أزمنة الفرج من عند الرب ولتعمَّ عليهم وعلينا، وهي لا تأتي إلاَّ بردِّ كل شيء إلى وضعه الصحيح، سواء لهم أو لنا، لأننا نحن الأمم الذين أخذنا الكمال المسيحي لازلنا نحتاج إلى أن نستوعب الفرح الذي فيه، وهي أزمنة الفرج التي يتكلَّم عنها ق. بطرس، والتي نحلم بها نحن ويتوق إليها العالم الذي بلغ ذروة المأساة في خطاياه وعمق الحزن الذي يعانيه.

24:3 **«وجميعُ الأنبياءِ أيضاً مِنْ صمُوئيلَ فما بعدهُ، جميعُ الذين تكلَّموا سَبَقُوا وأنبأُوا بهذه الأيَّام».**

ق. بطرس هنا بعد أن سجَّل قول الله على فم موسى النبي ـ موجَّهاً مباشرة للشعب ـ عن النبي الآتي مثل موسى، انتقل مباشرة إلى صموئيل باعتباره النبي الأول بعد موسى والمعروف في التلمود باسم عظيم الأنبياء. لأنه محسوب أوَّلهم كما عبَّر عن ذلك بولس الرسول: «وبعد ذلك في نحو أربعمائة وخمسينَ سنةً أعطاهم قضاة حتى صموئيل النبي.» (أع 13: 20)

أمَّا نبوَّة صموئيل **«عن هذه الأيام»** فهي عندما رسم شاول ملكاً وتنبأ عن **المملكة التي ستدوم إلى الأبد.** إلاَّ أن شاول أخطأ إلى الله فانقطع منه السلسال ليلتحم في نسل داود: «فقال صموئيل لشاول: قد انحمقت، لم تحفظ وصية الرب الهك التي أمرك بها، لأنه الآن كان الرب **قد ثبَّت مملكتك على إسرائيل إلى الأبد**» (1صم 13: 13). فلمَّا أخطأ شاول، انتقل هذا الوعد إلى بيت داود (1صم 15: 28). واضح جداً من هذا الكلام أن صموئيل أدرك تماماً معنى نبوَّة موسى في مَلكٍ، سيقوم من نسله **ملك يملك إلى الأبد.**

وكذلك يقول بولس الرسول: كيف انتهت كل النبوات عندما أشار الله كيف سيعطي في

المسيح «مراحم داود الصادقة» «ونحن نبشِّركم بالموعد الذي صار لآبائنا، إن الله قد أكمل هذا لنا نحن أولادهم إذ أقام يسوع كما هو مكتوب في المزمور الثاني **أنت ابني أنا اليوم ولدتك، إنه أقامه من الأموات** غير عتيد أن يعود أيضاً إلى فساد، فهكذا قال إني سأعطيكم مراحم داود الصادقة.» (أع 13: 32-34)

أمَّا بقية النبوات التي قالها الأنبياء عن **«هذه الأيام»** التي يتكلّم عنها ق. بطرس فهي كالآتي:

إرميا النبي (31: 31-34):

+ «ها أيام تأتي يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً. ليس كالعهد الذي قطعتُه مع آبائهم يوم أمسكتُهم بيدهم لأُخرجهم من أرض مصر (عهد موسى والناموس) حين نقضوا عهدي فرفضتُهم يقول الرب. بل هذا هو العهد الذي أقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام، يقول الرب، أجعل شريعتي في داخلهم وأكتبها على قلوبهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً. ولا يعلّمون بعد كل واحد صاحبه وكل واحد أخاه قائلين اعرفوا الرب (انتهاء عهد الكتبة والناموسيين والفريسيين والكهنة ورؤساء الكهنة) لأنهم سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم يقول الرب. لأني أصفح عن إثمهم ولا أذكر خطيتهم بعد»

هذا الوعد وهذه النبوَّة تكمِّلها نبوَّة يوئيل بقوله عن حلول الروح القدس على الجميع بلا استثناء، وهو «روح المعرفة ومخافة الرب» بحسب إشعياء (إش 11 : 2).

يقول **يوئيل النبي** (2: 28و29):

+ «ويكون بعد ذلك (أيام النقمة والبغضة والسبي والخراب) أني أسكب روحي على كل بشر، فيتنبأ بنوكم وبناتكم (انتهاء عصر الأنبياء) ويحلم شيوخكم أحلاماً، ويرى شبابكم رؤًى (انتهاء عهد الرائين)، وعلى العبيد أيضاً وعلى الإماء (انتهاء عصر العبودية والتفريق) أسكب روحي في تلك الأيام»

واضح من هذا الكلام أن الكل يكون متعلّماً من الله (يو 6 : 45) بحسب قول ق. يوحنا (1يو 2 : 27): «وأمَّا أنتم فالمسحة (مسحة الروح القدس في المعمودية) التي أخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم إلى أن يعلّمكم أحد، بل كما تُعلّمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء وهي حق وليست كذباً كما علّمتكم تثبتون فيه»

ويقول **حزقيال النبي** عن **«هذه الأيام»** (حز 37: 26و27):

+ «وأقطع معهم عهد سلامٍ فيكونُ معهم عهداً مؤبداً وأُقِرُّهُم وأُكثّرهم وأجعل مقدسي في وسطهم إلى الأبد. ويكونُ مسكني فوقهم وأكون لهم إلهاً ويكونون لي شعباً»

وهكذا تنتهي النبوات إلى تحقيق دقيق يصفه بولس الرسول في الرسالة إلى العبرانيين:

+ «ولكنه الآن قد حصل (المسيح) على خدمة أفضل (من الناموس) بمقدار ما هو وسيط (المسيح) أيضاً لعهد أعظم (عهد دم ربنا يسوع المسيح أعظم من عهد دم ثيران وعجول) قد تثبَّت على مواعيد أفضل (ملكوت الله). فلو كان ذلك الأول بلا عيب (الناموس) لما طُلب موضع لثانٍ (النعمة). لأنه يقول لهم لائماً هوذا أيام تأتي يقول الرب حين أُكمل مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً لا كالعهد الذي عملتُه مع آبائهم يوم أمسكتُ بيدهم لأُخرجهم من أرض مصر. لأنهم لم يثبتوا في عهدي وأنا أهملتُهم يقول الرب. لأن هذا هو العهد الذي أعهدُه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب. أجعل نواميسي في أذهانهم وأكتبها على قلوبهم وأنا أكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً. ولا يُعلّمون كل واحد قريبه، وكل واحد أخاه قائلاً اعرف الرب لأن الجميع سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم. لأني أكون صفوحاً عن آثامهم ولا أذكر خطاياهم وتعدياتهم في ما بعد. فإذ قال جديداً عتّق الأول، وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال.» (عب 8: 6-13)

وبهذا يتضح أمام القارئ وحدة الرأي ووحدة المعرفة ووحدة التعليم في العصر الرسولي، وكأن الجميع يستقون من كتاب يحمل عنوان الاستشهادات من جميع الأسفار، استقوه من تعليم الرب نفسه لتلميذي عمواس الذي ابتدأ معهم من ناموس موسى والمزامير والأنبياء. فهذا الكتاب هو تقليد إنجيلي من فم الرب نستطيع أن نرى في صداه هنا رصانة التعليم، ودقة الاختيار، وصدق المعنى، ووحدة الهدف للمواعيد جميعاً، كيف تركّزت في المسيح كما قال هو عن نفسه: «أما كان ينبغي أن المسيح يتألّم بهذا ويدخل إلى مجده. ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يُفسِّر لهما الأمور المختصَّة به في جميع الكتب.» (لو 24: 26و27).

الخلاصة:

أنتم أبناء الموعد:

3: 25و26 «**أنتُم أبناءُ الأنبياءِ والعهدِ الذي عاهدَ به الله آباءَنا قائلاً لإبراهيم وبنسلِكَ تتباركُ جميعُ قبائلِ الأرض. إليكُم أولاً إذ أقامَ الله فتاهُ يَسُوعَ أرسَلَهُ يُباركُكُم بردِّ كل واحدٍ منكُم عن شرورهِ**».

«**أنتم أبناء الأنبياء**» ـ "**أنتم أبناء العهد**"

«**إليكم أولاً إذ أقام الله فتاه يسوع**» ـ

«**ليباركِكم بردِّ كل واحد منكم عن شروره**»

هكذا طاف بنا ق. بطرس وبسامعيه في كل أجواء العهد القديم وهو يتحسَّس مواضع البركات في دعوات كافة الأنبياء من موسى وصموئيل، وكل مَنْ ظهروا بعد صموئيل حتى يوئيل وملاخي، وهم يشيرون بإصبع النبوة الموحَّدة على هذه الأيام التي كان يعيشها الرسل مع الشعب اليهودي في ذلك الحين. كيف حقَّق الله كل أقوالهم التي قالوها، كلٌّ في أيامه، من وحي الله وإملائه، حتى تبلورت جميعاً في بؤرة يوم الرب العظيم الذي ظهر فيه مسيَّا الدهور واستُعلن بالقيامة من الأموات ابناً لله. وبهذا صار الجيل الذي كان يخاطبه ق. بطرس أبناء كل الأنبياء بالحق، وأبناء العهد الذي استُعلن بحسب الوعد بآن واحد، أي أبناء النبوات التي تحققت في المسيَّا لأجلهم. فهم أبناء الخلاص المرسَل لهم في ميعاده، وكأنهم على ميعاد كأول جيل تنفتح أذناه وعيناه على رضى الله بعد صَمَمٍ وظلام وقتام دام ألفي عام.

فالآن هذا كله تحقق، ولكنه لم يتحقق إلاَّ لمَنْ يقبله ويستقبله عن وعي وإدراك، فهذه المواعيد تحققت اليوم لهم، وهم أول مَنْ تحققت لهم كافتتاح لأزمنة الخلاص، وكأنهم كانوا حلم إبراهيم الدهري الذي طال زمان تحقيقه. فهم فَرْحة إبراهيم الكبرى، ورجاء إسحق ويعقوب الذي ترجَّوه من وراء الدهور أن يرى نسلهُم منتهى وعد الله وإشراق نوره في ملء الزمان. القديس بطرس يتكلَّم وكأنه واقف مع الأنبياء جميعاً على رُبَى الدهور السالفة يتطلَّع معهم ليرى ولو من بعيد بصيص نور الوعد وهو يستقر على رؤوس الجيل الموعود له، كما رفع الله موسى على جبل الفسجة وأراه أرض الميعاد من بعيد. القديس بطرس كان يحمل في قلبه وأحشائه لهفة الأنبياء، نبيٍّ وراء نبيٍّ، من موسى حتى ملاخي، لقدوم هذا

اليوم الذي جاء في صميم ميعاده، وكأنه يتلهف

معهم أن يسقيهم ـ ولو أمكن ـ هذه الفرحة عينها بمسيَّا الأنبياء والمواعيد الذي قام من الأموات لأجلهم، ليفتتح لهم زمان الفرح والغفران والتغاضي عن المعاصي وانسكاب رضى الله[108].

فإن كان قد تعثَّر هذا الجيل **الأول** في قبول بشرى الخلاص بميلاد المخلِّص وقيامته من الأموات، فعذرهم واضح، لأن عيونهم كلَّت من التطلُّع وآذانهم انسدَّت من تنهدات وأحزان السبي من وراء السبي والسخرة والمذلة والتشريد في كل الأرجاء، لذنوب اقترفوها عن جهل وعبادة شياطين طغت عليهم بطغيان معلميهم ومرشديهم: «قد هلك شعبي من عدم المعرفة.» (هو 4 : 6)

ولكن إن كان **ظلماً** قد بغى عليهم الزمان وأضلَّهم الرؤساء والشيطان، **فمجَّاناً** أيضاً فتح لهم الله باب الخلاص وذراعيه بالأحضان. فإن كان لهم في السابق عذر في البعد عن الله، فالآن لم يعد لهم عذر والرب يدعوهم للصلح والسلام. ولسان حال ق. بطرس كالقديس بولس: «كأن الله يعظ بنا، نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله» (2كو 5 : 20). فذبيحة الصلح تمَّت وأُعدَّت الوليمة، والله يدعوهم هلمُّوا: «إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج» (إش 1 : 18)، «مجاناً بعثُم وبلا فضة تُفكون» (إش 52 : 3)!! هلموا كلوا من فصحكم الأبدي الذي لخلاص بلا ندامة، ولحياة أبدية من بعد موت.

وهكذا ما كاد يُنهي ق. بطرس خطابه، إلاَّ وأرجل قائد جند الهيكل ورؤساء الكهنة حوله تؤكد له أنه لا تزال للظلمة جحافل تعشعش في أروقة الهيكل وجنباته، مستعدَّة لخدمة الضلال وإخفاء النور عن بقية الأجيال، إلى أن يُردَّ لهم الذي قبلته السماء إلى حين.

ولكن بالرغم من ذلك، ومن هذه التخويفات، سنقرأ سريعاً (4 : 4): «وكثيرون من الذين سمعوا الكلمة آمنوا وصار عدد الرجال نحو خمسة آلاف!!» كمعجزة المسيح: ما عدا النساء والأطفال!!

هذا الخطاب التاريخي بشقَّيه الأول والثاني يُحسب كإحدى اللآلىء النفيسة في تراث

---

[108] يؤكد العالم ماير (Meyer, *op. cit.*, p. 86.) أن بطرس الرسول كان في غاية الاقتناع أن افتتاح الخلاص على يد هذا الجيل من اليهود كان هو مفتاح دخول الأمم بعد ذلك. ولكنه كان على اعتقاد راسخ بقي معه حتى النهاية أن مجيء الأمم وقبولهم المواعيد سيكون من داخل الموسوية. ولا يغيب عن بال القارئ أن ق. بطرس كان يخطب في الهيكل وغالباً في رواق سليمان حيث ظلَّ مواظباً على العبادة والصلاة في الهيكل حتى اختفى بعد حادثة السجن.

الكنيسة.

الأصحاح الرابع

(3-1:4) بطرس الرسول يشهد للمسيح أمام أكبر مجمع يحتشد في الهيكل

منذ أن صُلب المسيح!

(4:4)

تحية لباكورة الختان

(10-5:4) تحفُّز مجمع السنهدريم وكل أعضاء الهيكل ينتهي بالخذلان

ودفاع الكنيسة يتحدى ويجاهر ويكسب الرهان.

(10:4و11) القديس بطرس ينتقل من الدفاع إلى الهجوم العنيف، فلا يترك لهم فرصة حتى للدفاع

عن أنفسهم!!! والقصد أن يعلن للشعب وعلى رؤوس الأشهاد شهادته للمسيح.

(12:4)

ق. بطرس يُصدر قراره الأخير كحُكم لتحتكم به المحكمة رغماً عن أنفها.

(16-13:4) خذلان في صورة قوة وتهديد من وراء قلب مرتعب.

لقد سحقهم

اسم الخلاص، فرفعوا الجلسة، إلى غير رجعة.

(22-17:4) استعادة الجلسة وبطرس ينطق بالحكم على المجمع أنه خارج عن إرادة الله.

(28-23:4) الكنيسة المهددة تصلّي!! والروح يحلّ، والمكان يتزعزع!!

(31-29:4) والآن...

(35-32:4) الكنيسة ترتب حياتها من الداخل. اقتناء الروح حتَّم بترك قنية العالم،

وحياة

الشركة أوحت بتوزيع الحاجات.

بطرس الرسول يشهد للمسيح أمام أكبر مجمع يحتشد في الهيكل منذ أن صُلِبَ المسيح!

«وحدث في الغد أن رؤساءهم وشيوخهم وكتبتهم اجتمعوا إلى أُورشليم مع حنَّان رئيس الكهنة وقيافا ويوحنَّا والإسكندر وجميع الذين كانوا من عشيرة رؤساء الكهنة.» (أع 4: 5و6)

والكنيسة تجتمع في أكبر اجتماع لها وتقيم صلاة تستعرض أمام الله تهديدات اليهود وتطلب منه رسمياً أن يؤازرها بقوة جديدة للمجاهرة ومنح قدرة على إتيان الآيات والمعجزات.

4: 1و2 **«وبينما هُمَا يُخَاطِبانِ الشَّعبَ أَقبَلَ عليهما الكهنةُ وقائِدُ جُندِ الهيكلِ والصَّدُّوقيُّونَ مُتضَجِّرِينَ من تَعليمهما الشعبَ ونِدائِهما في يَسُوعَ بالقيامةِ مِنَ الأمواتِ».**

أن يذهب المسيحيون إلى الهيكل علناً ويقفوا في رواق إسرائيل ويصلُّوا الصلوات الرسمية وهي البيراخوت الثماني عشرة صلاة، فلا مانع. وأن يجتمعوا في رواق سليمان ويتعزَّوا معاً بالحديث والمجاملة وجمع المال والإنفاق على الفقراء منهم، فلا مانع. ولكن أن يُنادي منادٍ منهم عن "قيامة المسيح" فهذا اتهام علني أن رؤساء الكهنة وكل مَنْ آزرهم يُحسبون قتلة وسافكي دمٍ بريءٍ وأن هذا الذي صلبوه هو حقاً النبي الآتي الذي أتى والمسيَّا الذي أنكروه ورفضوه، وهذا لا سكوت عليه، وعليه فلتجتمع الأُمة كلها بهيئة رؤسائها جميعاً لبحث الخطر!

أمَّا البعثة التي تشكَّلت للقبض على ق. بطرس فهي على أعلى مستوى، فهي تتكون من الكهنة بأنفسهم ويعاونهم قائد جند الهيكل وجنوده. وهذه التشكيلة تُنبئُ بأن الاتهام هو على مستوى مقاومة الأُمة كلها في اتهامها بالخروج عن رسالتها.

«الكهنة»:

وقد جاءت في بعض المخطوطات رؤساء الكهنة j ¢rciere‹.

وهم المسئولون عن كل ما يختص بالعبادة الرسمية داخل الهيكل ويتحركون بأسرع ما

يمكن فيما هو من اختصاصهم.

«وقائد جند الهيكل»: Ð strathgÒj

ويُسمَّى بالعبرية Sagan ساجان، وجمعها Seganim وهو في الإدارة والدرجة يلي رئيس الكهنة مباشرة فيما يختص بأمور أمن ونظام الهيكل في الداخل والخارج وحفظ النظام العام في الصلوات(109).

«والصَّدُّوقِيُّون»: Saddouka‹oi

وهم جماعة المناصرين لرؤساء الكهنة، منحدرون من صادوق المذكور في سفر حزقيال النبي: «أمَّا الكهنة اللاويون أبناء صادوق الذين حرسوا حراسة مَقدِسي حين ضلَّ عني بنو إسرائيل فهم يتقدمون إليَّ ليخدموني ويقفون أمامي ليقربوا لي الشحم والدم، يقول السيد الرب، هم يدخلون مَقدِسي ويتقدمون إلى مائدتي ليخدموني ويحرسوا حراستي »(حز 44: 15و16). ومن اسمهم صارت صفاتهم أي أنهم الصادقون في خدمتهم والمحافظون على ترتيب الخدمة وحراسة كل مقادس العلي بحسب أصولها الداخلية، أي هم المسئولون عن الولاء الديني والأخلاقي في خدمة الهيكل أمام الرسميين وأمام الشعب، لذلك كانت لهم سلطة وهيبة وإدارة. وعائلات الكهنة عموماً ورؤساء الكهنة كانت تنتسب لهذه الجماعة، بل وكانت لهم علاقة حسنة مع السلطات الرومانية، فكانوا وسطاء في استلام الأوامر وتنفيذها في حدود النظام ضد عمليات المقاومة التي كان يقوم بها الغيورون من الفئات المتعصبة ضد الحكّام الأجانب. فكانوا يواجهون الفوضويين بقسوة وصلابة ويخمدون روح العصبية المشاغبة التي كانت تسبب هياج السلطات الحاكمة. ومن هنا زاد سلطانهم بالأكثر علىكل الهيئات الأخرى في الأمة وكان يُعمل لهم ألف حساب. وكانت لهم معتقدات خاصة ضد الملائكة ومبدأ رئاساتهم وكذلك الشياطين، وضد قيامة الأموات أو حتى الحياة بعد الموت جملة. فكانوا بالطبع أول مَنْ يتحرك ضد مَنْ ينادي بالقيامة من الأموات(110).

وهذه الفئة تعتبر أقل محافظة من الفريسيين، فكان الصدوقيون يتحررون كثيراً في أفكارهم كما كانوا يعتبرون الأنبياء والنبوات أقل أهمية وسلطاناً من التوراة (أي خمسة أسفار موسى) وهذا ما دعا الرب عندما ناقشهم في موضوع قيامة الأموات (مر

(109) Shürer, II.I 257 ff.
(110) Bruce, I, pp. 115,116.

18:12)، (مت 23:22)، (لو 27:20) أن يراجعهم على أساس ما جاء في سفر الخروج (3:6) وليس على أساس ما جاء في الأنبياء كإشعياء (19:26) أو حزقيال (1:37) أو دانيال مثلاً (2:12).

وهؤلاء هم الذين رتَّبوا حراسة قبر الرب بعد استئذان بيلاطس (مت 27 : 65). كذلك سوف نسمع عن هذه الحملة نفسها عندما اجتمعت أيضاً على عَجل وباضطراب لمَّا أتتهم الأخبار المخيفة، أن الرسل الذين سجنوهم وُجِدوا أحراراً خارج السجن بل وفي الهيكل يعلّمون، بعد ما فتح ملاك الرب في الليل أبواب السجن وأطلقهم وأمرهم أن يذهبوا ويشهدوا في ذات الهيكل (أع 5: 17-27).

وهكذا فكل مَنْ لم ينتفع بموت الرب يتضجَّر من قيامته، وعوض بهجة القيامة تمتلئ قلوبهم بانقباض النقمة.

4 : 3 «**فألْقَوْا عليهما الأيادي ووضعُوهُمَا في حَبْسٍ إلى الغدِ لأنه كان قد صارَ المساءُ**».

وهذه هي أول مرَّة وأول ليلة يقضي فيها تلميذا المسيح وقتهما في السجن. وهكذا ابتدأت سلسلة آلام الكنيسة المتغرِّبة على الأرض التي ابتدأت بالسجن وانتهت تحت السيف، فأثبتت أنها ليست من هذا العالم، ولكنها عاشت من أجل هذا العالم مصلوبة لتكمِّل خلاصها بفِدْيتها. وصدق عليها قول ق. بولس الرسول: «صُلب العالم لي وأنا للعالم.» (غل 6 : 14)

ـ تحية لباكورة الختان ـ

4 : 4 «**وكثيرونَ مِنَ الَّذينَ سَمِعُوا الكلمة آمنوا وصَارَ عَدَدُ الرجالِ نحوَ خَمسةِ آلافٍ**».

هذه هي باكورة كنيسة أهل الختان (اليهود)، وهؤلاء هم أبناء إبراهيم بالحق وليس بالختان، بالروح والإيمان وليس بالجسد لأن الجسد لا يفيد شيئاً ولكن إيمان الروح هو الذي يُحيي. هؤلاء هم آباؤنا بالحق وبالدرجة الأُولى، الذين عنهم ورثنا موسى والأنبياء والمزامير وكل الشهادات الجليلة عن يسوع الجليل وربيب الناصرة ورب الهيكل وذبيحة الفصح الأبدي وتاريخ الأبطال الذين عاشوا بالإيمان سابقاً ولو لم يروه. والآن ها هم ينالون القيامة الأفضل، وقد أكملوا الإيمان الأقل بالإيمان الأعظم، وأضافوا إلى أمجاد تاريخهم أمجاد الكنيسة، التي لا تزال تعبر بحر هذا العالم إلى أن تلقى مراسيها على شاطيء الأبدية. فسلاماً لأرواح هؤلاء الخمسة الآلاف في السماء، فقد صدق وعد الله لإبراهيم، إذ قد صاروا نجوماً تلمع في السماء وتغطي بلمعانها كل ما عداها.

تحفُّز مجمع السنهدريم وكل أعضاء الهيكل ينتهي بالخذلان ودفاع الكنيسة يتحدَّى ويجاهر ويكسب الرهان

4 : 5-7 **«وحدثَ في الغدِ أنَّ رُؤَساءَهُمْ وشيُوخَهُم وكَتَبَتَهُم اجتمعوا إلى أُورشليم مع حنَّان رئيس الكهنةِ وقيَافا ويُوحنَّا والإسكندر وجميع الذين كانوا مِنْ عَشيرةِ رُؤساءِ الكهنة. ولمَّا أقاموهما في الوسطِ جعلوا يسألونَهما بأيَّةِ قوَّةٍ وبأيِّ اسمٍ صنعتُمَا أنتُمَا هذا».**

هذا الجمع المجتمع من خارج وداخل أُورشليم هو هيئة السنهدريم بأكملها.

السنهدريم:

كلمة «سنهدريم» أرامية وعبرية مشتقة من الكلمة اليونانية الأصلية sunšdrion، وتعني مجلس مشورة أو إدارة؛ وهو أعلى محكمة في إسرائيل. وهو ما يقابل مجلس الشيوخ ولكن بسلطة حاكمة. ويسمَّى أيضاً في العهد الجديد باسم **المشيخة** presbutšrion كما سيجيء في (أع 22 : 5): «كما يشهد لي أيضاً رئيس الكهنة وجميع المشيخة الذين إذ أخذتُ أيضاً منهم رسائل للإخوة إلى دمشق» وكما جاء في (لو 22 : 66)، وكذلك يُطلق عليه باليونانية gerous…a وهي تُترجم جماعة الشيوخ أو العجائز (أع 5 : 21) ويطلق كتاب "المشناه" عليه اسم السنهدرين. ويُسمَّى سنهدرين "الواحد والسبعين" و"المحكمة العليا". ويضم رئيس الكهنة ومعه السبعين فيكون عددهم القانوني برئيس الكهنة 71. وهذه الهيئة الحاكمة أو هذه المحكمة عقدت أول اجتماع تاريخي لها سنة 200 ق.م كهيئة تنظيمية تنظم شئون الأمة. وبقيت تباشر سلطانها حتى سنة 66م أي في بداية قيام الحرب السبعينية.

وكان اجتماعهم في دار غرب الأروقة[111] عند نهاية القنطرة شرق الهيكل عبر وادي تيروبيون وكانت تُدعى دار الجازيت.

ولم يكن قد مضى على اجتماعهم السابق في الحكم بالصلب على المسيح سوى أسابيع قليلة. وكانوا قد ظنوا أنهم قد تخلَّصوا منه. ولكن هوذا الأيام تذيقهم مرارة ما اقترفوه، وأن

(111) Bruce, II, p. 97.

ما ورثوه من جريمتهم سوف يقضُّ مضجعهم الليل والنهار وفي الحياة والموت.

«ولمَّا أقاموهما في الوسط جعلوا يسألونهما»:

استُحضر من السجن بطرس ويوحنا وأُوقفا في الوسط، ووقف الحق متَّهَماً من الباطل، والحياة يحيط بها الموت، وأسئلة الاستهزاء تستفسر عن النور من أين أتى، والقاتلون وكأنهم لم يَقتِلوا.

«بأيَّة قوة وبأي اسم صنعتما أنتما هذا»:

إذاً، فقد أقروا بالمعجزة، لأنها أمامهم واقفة تشهد دون كلام الإنسان، فالمولود أعرج يَصطبح به ويتمسَّى رؤساء الكهنة وأعوانهم وكتبتهم والناموسيون والفريسيون وكل مَنْ يأكل خبزاً حراماً من الهيكل. وكان الإنسان ابن أربعين سنة، وربما بدأ يستعطي منذ كان صبياً! البيِّنة واضحة كما شهدوا بعضهم لبعض: «لأنه ظاهر لجميع سكان أُورشليم أن آية معلومة قد جرت بأيديهما ولا نقدر أن ننكر.» (أع 16:4)

إذاً، فالسؤال يتّجه مباشرة عن القوة التي صنعوا بها هذه الآية هل هي سحرية؟ أم ببعلزبول أو ربما خفة يد؟ ثم بأي اسم أي بأي دعاء، باسم أي نبي من أنبياء العهد؟ وهكذا يحاولون أن يحرِّفوا الإجابة عن صحتها والقوة عن صاحبها والاسم عن جلال صاحبه!! ولكن إن كانوا لم ينجحوا مع المسيح لكي يخيفوه أو يردعوه فأُعيوا وضلَّ شيبهم وخاب المشيب، ولمَّا وصلوا إلى حافة الإفلاس أو دخلوها، أحضروا شهود الزور واستعانوا بالكذب والتهديد، إذاً فليكرروا الأمر. ولكن كان الضيق قد أخذ بهم كل مأخذ، وغصة الإخفاق صعدت إلى أعلى حلقهم، كما خاطبوا الأعمى الذي شفاه الرب ـ تبارك اسمه ـ يوم شفاه وشتموه: «فشتموه وقالوا أنت تلميذ ذاك. وأمَّا نحن فإننا تلاميذ موسى» (يو 28:9) أي أنهم أصحاب السلطان، أما هو فقد قُطع من أن يكون يهودياً!!

فهنا أيضاً نفس عبارة الاستهزاء ولكن فات على المترجم العربي التقاطها فهي تأتي باليونانية «أو بأي اسم صنعتما **أنتما** هذا؟» À ™n po…J ÑnÒmati ™poi»sate toàto Øme‹j; حيث في اللغة اليونانية إذا أتت كلمة Øme‹j في آخر الجملة تكون في موضع الاستهزاء وتُترجم كما نقول في اللغة العربية: «بأية قوة صنع **أمثالكم** هذا؟» بمعنى أن لا أنتم تمتُّون إلى الكهنة ولا إلى الفريسيين ولا أنتم أنبياء ولا حتى تظهر عليكم مسحة القديسين، نعم فكيف يصنع أمثالكم هذه المعجزة؟

فالآن لسان حال ق. بطرس وق. يوحنا ليس كلسان حال أليشع النبي: «أين هو الرب إله

إيليا» (2مل 2 : 14) بل أين أنت يا يسوع؟ ولكن يسوع كان قد سبق وأعطاهم الوصية والعلامة: «فضعوا في قلوبكم أن لا تهتموا من قبل لكي تحتجوا. لأني أنا أعطيكم فماً وحكمة لا

يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها» (لو 21: 14و15). إذاً، فلننظر، يا إخوة، كيف يحقّق الرب قوله ويَصدُق في وعده أيما صدق!!

«حينئذٍ امتلأ بطرس مِنَ الروح القدس وقال لهم»:

المجد لك يا صاحب المجد، وتعاظمتَ جداً يا صاحب الوعد، فليس كلام أعطيتهم بل روحك القدوس:

> «ويحلُّ عليه روح الرب: **روح الحكمة والفهم** (أعطيكم فماً وحكمة)، روح المشورة **والقوة** (لا يقدر معانديكم)، روح **المعرفة** (ولا يناقضوها) ومخافة الرب (بلا عظمة ولا افتخار).» (إش 11: 2)

ولكن هنا لا يفوتنا أن نلفت نظر القارئ أن يدرك الفارق بين "امتلأ" وبين "وهو ممتلئ" التي جاءت وصفاً لاستفانوس الشهيد القديس (أع 7: 55). فالأخيرة تفيد أنه في حالة ملء وهو يتكلم ويرى ويشهد. أما في حالة ق. بطرس فقد جاءت **"وامتلأ"** plhsqe^j pneÚmatoj ¡g…ou وهي تسمَّى باليونانية حالة aorist passive أي ماضي مبني للمجهول لا يوجد له باللغة العربية موازٍ. فكل ما يمكن أن يُقال: «وامتلأ بطرس من الروح القدس» فهنا جاءت أيضاً في الماضي ولكن اليوناني قدير أن يجعلها في صيغة مبني للمجهول؛ في حين نجد أن في حالة ق. استفانوس يقول النص: «وأمَّا هو فشخص إلى السماء **وهو ممتلىء** » Øp£rcwn pl»rhj(أع 7:55) أي وهو في حالة امتلاء Being full. وهذا الفارق كبير ويهمنا جداً، لأن كثيرين يخطئون ويحسبون أنه يمكن أن يمتلئ الإنسان من الروح القدس أكثر من مرة وهذا محال. لأن الملء الأول من الروح القدس يصاحبه مكوث: «وهو ماكث معكم ويكون فيكم» (يو 17:14). هنا إقامة واستدامة واتحاد بقبول طبيعة جديدة لا يفارق الروح القدس فيها الإنسان إلاَّ بفقدان طبيعته الجديدة أي «الارتداد للهلاك» (عب 39:10). ولكن يمكن أن يحزن الروح القدس بسبب تعديات على القداسة والطهارة، ويمكن أن ينطفئ بسبب تعديات على المعرفة الصحيحة والإيمان الصحيح، وبسبب كلام السفاهة والمجون وفقدان الوقار والإحساس بوجود الله. أمَّا في حالة الامتلاء بعد الامتلاء فهذا يعني حدوث **إلهام** جديد لحالة طارئة يتدخل فيها الروح القدس سريعاً ليعطي الفهم والمشورة والحكمة السريعة للرد القوي المقنع. ولكن هذا الإلهام لا يدوم لأن لكل حالة إلهامها ومشورتها. وهذا للعلم فنرجو الانتباه.

10-8:4 **«وقال لهم يا رؤساءَ الشعبِ وشيوخَ إسرائيلَ، إن كنَّا نُفحصُ اليومَ عن إحسانٍ إلى إنسانٍ سقيمٍ بماذا شُفِيَ هذا. فليكن معلوماً عند جميعكم وجميع شعبِ إسرائيلَ أنه باسمِ يسوعَ المسيح الناصري».**

الكلام هنا سهل ومسترسل. فمن جهة الفحص الذي تحققونه الآن قضائياً أمام محكمتكم بكل هيئاتها وأعضائها فيما يخص عملاً إنسانياً عُمِل لمريض أعرج كسيح يُحمل على الكتف، بماذا شُفي أي بأية قوة وبأي اسم شُفي، فيلزم ـ ليس أنتم فقط بصفتكم الهيئة القضائية الحاكمة في أورشليم أن تعرفوا بماذا شُفي وبأية قوة وبأي اسم شُفي ـ ولكن يتحتم أن يعلم هذا كل شعب إسرائيل بالدرجة الأولى، لأن الأمر يخص الشعب أولاً، إذ أنتم بكل هيئتكم القضائية تحت الاتهام الخطير، فقد ضيَّعتم على الأمة معرفة حقيقة الذي حكمتم عليه بالموت وصلبتموه وهو يسوع المسيح، الذي هو باسمه وبقوته جُعل هذا سليماً، والمريض واقف يشهد أمامكم!

أنتم تحاكموننا عن إحسان عُمل لمريض، وهذا الإحسان هو بالدرجة الأولى معمول للشعب ممثلاً في هذا المريض. فالذي صلبتموه، هو هو الذي جاء ليشفي كل كساح الأمة وأمراضها، جاء ليشفيها ويعطيها الصحة، وهذا الإنسان أمامكم هو نموذج حي لقدرة المسيح وقوة عمله.

أنتم تحاكموننا الآن عن إحسان عُمل، والأمر لا يهمنا إن كنَّا سنُبرَّأ أم لا. ولكن يلزم أولاً أن يعلم الشعب ما عملتموه أنتم بصاحب هذا الاسم وصاحب هذه القوة.

ق. بطرس ينتقل من الدفاع إلى الهجوم العنيف
فلا يترك لهم فرصة حتى للدفاع عن أنفسهم!!
والقصد أن يُعلن للشعب وعلى رؤوس الأشهاد شهادته للمسيح

10:4 **«يسوعَ المسيح النَّاصريِّ الذي صلبتُمُوهُ أنتُم الذي أقامهُ الله من الأمواتِ، بذاكَ وقفَ هذا أمامكم صحيحاً».**

مَنْ كان يصدِّق أن بطرس الذي أنكر المسيح أمام جارية يقف هذه الوقفة أمام أكبر محكمة في إسرائيل ليهاجم شرفها القضائي وصلاحيتها الإسرائيلية وسقوط الحق من

تحقيقها وحكمها، ليحمِّلها أكبر وزر في التاريخ القضائي بالحكم على بريء بسَفْك دمه بأشنع ميتة ثم يتضح أنه ملكهم وإلههم ومخلّصهم الذي أحسن إليهم ألفي سنة!!

+ «لأنهم لم يعرفوا الآب ولا عرفوني.» (يو 3:16)
+ «لأنهم أبغضوني بلا سبب.» (مز 19:35، مز 4:69، يو 25:15)

والآن ق. بطرس الرسول وبحكمة رجل قضاء بالدرجة الأولى يطرح أمام المحكمة حكمين، حكماً صدر من محكمتهم العاجلة بكامل هيئتها بصلب المسيح عن استحقاق الموت وتحت مسئوليتهم، وحكماً حكمه الله من السماء!! «**الذي صلبتموه أنتم؛ الذي أقامه الله من الأموات**» (أع 10:4)، وبماذا تفسِّر أية هيئة قضائية هذا الحكم؟ إلاَّ أن الحكم الثاني قد نقض الحكم الأول نقضاً مبيناً مهيناً، إذ أقام من الموت الذي قتلوه، فظهر أنهم قتلة، وبذلك يتحتم أن يتنحَّوا. فلما لم يتنحَّوا نحَّاهم الله بنفسه!!

ثم يستطرد ق. بطرس: «**بذاك وقف هذا أمامكم صحيحاً**» (أع 10:4). القرينة هنا صارخة، لا من جهة صحة هذا الذي كان سقيماً، ولكن من جهة الذي رفع عنه السقم وأقامه من كساحه. فالقرينة تنطق لحساب المسيح كبرهان يصفع وجوههم صفعاً أن خطيتهم لا شفاء منها. ثم مزيد من الملاحقة والاتهام مع استشهاد بالأنبياء.

4 : 11 «**هذا هو الحَجَرُ الذي احتَقرتُمُوهُ أيَّها البنَّاؤُونَ الذي صارَ رأسَ الزاويةِ**».

النبوَّة من (المزمور 118 : 22 السبعينية). وقد استُخدمت كتعبير ماسياني قوي: «الحجر الذي رفضه البنَّاؤون قد صار رأساً للزاوية ومن قِبَل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا» هذا الاستشهاد مشهور للغاية وقد تناقله في العصر الرسولي كل المفسرين والكارزين، وقد قال به الرب نفسه وهو يهاجم بهذه النبوة هؤلاء القتلة:

+ «ولكن أولئك الكرَّامين قالوا فيما بينهم هذا هو الوارث. هلمُّوا **نقتله** فيكون لنا الميراث (ولا يأتي الرومان ويأخذون أمتنا). فأخذوه **وقتلوه** وأخرجوه خارج الكرم (خارج أُورشليم). فماذا يفعل صاحب الكرم؟ يأتي ويُهلِك الكرَّامين ويعطي الكرم إلى آخرين (الأمم). أما قرأتم هذا المكتوب: الحجر الذي رفضه البنَّاؤون هو قد صار رأس الزاوية. من قِبَل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا.» (مر 12: 7-11)

ويُلاحَظ أن الرب هنا إذ يقرر بالأسى أنه مرفوض، إلاَّ أنه بآنٍ واحد يقول إنه صار رأس الزاوية، كاشفاً عن نصرته فوق خبث البنَّائين وجهلهم، فالرب يعلم موته ويعلم قيامته. يعلم كيف يضع نفسه حتى التراب، وكيف يأخذها ليصعد بها فوق أعلى السموات.

ولا يمكن أن نعبر على هذا التعبير أن الرب هو "حجر". فبنفس الكلمة وصف نفسه أنه الحجر الذي إذا اصطدم به البنّاؤون فيترضضون وقد ترضَّضوا، أمَّا إذا وقع هو عليهم وقد وقع بالفعل بعد أن احتقروه وصلبوه، فهو يسحقهم، وقد سحقهم!! فقد جمع المسيح بنفسه بين هذه النبوَّة وهذه القوة في نفسه بقوله:

+ «قال لهم يسوع أما قرأتم قط في الكتب، الحجر الذي رفضه البنّاؤون هو قد صار رأس الزاوية. مِنْ قِبَل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا. لذلك أقول لكم إن ملكوت الله يُنزع منكم ويُعطى لأمة تعمل أثماره. ومَنْ سقط على هذا الجحر يترضَّض ومَنْ سقط هو عليه يسحقه.» (مت 21: 42-44)

والمسيح من عمق النبوات يتكلَّم ولكن الأمر يحتاج إلى مَنْ يفحص ويفهم، فإشعياء هو من ألمح إليها أول من ألمح:

+ «ويكون مَقدِساً وحجر صدمة وصخرةَ عثرةٍ لبيتي إسرائيل ... فيعثرُ بها كثيرون ويسقطون فينكسرون ... صُرَّ الشهادة اختم الشريعة بتلاميذي.» (إش 8: 14-16)

وكان يلذ لبطرس الرسول أن يكرر هذه النبوة فقد كتبها في رسالته الأولى (1بط 2: 3-5)، وقد بنى عليها كبنّاء ماهر هيكل كنيسته بحذق روحي وبحجارة حية. وهذا أول تعبير إبداعي عن المؤمنين الذين يقوم بهم وعليهم هيكل المسيح الذي يملأ السماء والأرض. وكذلك فإن ق. بطرس الرسول إنما يبني على ما بنى عليه إشعياء أيضاً في القديم بنفس المعنى والألفاظ، فهو يستقي صدقه من النبوات لذلك يقرّ ويعترف بقوله: «وعندنا الكلمة النبوية وهي أثبت، التي تفعلون حسناً إن انتبهتم إليها كما إلى سراج منير في موضع مظلم إلى أن ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح في قلوبكم (المسيح).» (2بط 1: 19)

فهو يأخذ عن إشعياء النبي قوله:

+ «لذلك هكذا يقول السيد الرب هاأنذا أُوسس في صهيون حجراً حجرَ امتحانٍ حجرَ زاويةٍ كريماً أساساً مؤسَّساً مَنْ آمن لا يهرب.» (إش 28: 16)

ويستخدمها ق. بولس الرسول برجاحة وفكر جديد مع تطبيق عملي:

+ «فإنهم اصطدموا بحجر الصدمة كما هو مكتوب: ها أنا أضع في صهيون حجر صدمة وصخرة عثرة وكل مَنْ يؤمن به لا يخزى.» (رو 9: 32و33)

ويقول ق. بطرس:

+ «إن كنتم قد ذُقتم أن الرب صالح. الذي إذ تأتون إليه حجراً حيًّا مرفوضاً من الناس ولكن مختارٌ من الله كريم. **كونوا أنتم أيضاً مبنيين كحجارة حية بيتاً روحياً** كهنوتاً مقدَّساً لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح.» (1بط 2: 3-5)

وبقوله «حجارة حية» أعاد الذكرى العطرة لقول الرب للكهنة والفريسيين الحاقدين لما سمعوا الأطفال يصرخون لملك إسرائيل والمسيح داخل مدينته بمهابة مُلكِه الذي لا تراه إلاَّ عيون الملائكة والأطفال، فلما احتجوا وطلبوا من المسيح أن يُسكّت الصارخين حذَّرهم أن هؤلاء لو سكتوا لصرخت الحجارة. وقد صرخت، وتصرخ كل يوم: «مباركٌ الآتي باسم الرب» في كل قدّاس وفي كل كنيسة ومن كل فم على وجه الأرض.

وق. بولس الرسول يُرسي حجر الزاوية كأساس أول للإيمان نبنى عليه إيماننا:

+ «**مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية** الذي فيه كل البناء مركباً معاً ينمو هيكلاً مقدَّساً في الرب. **الذي فيه أنتم أيضاً مبنيون معاً مسكناً لله في الروح.**» (أف 2: 20-23)

وبهذا يلزمنا هنا أن نوضح أن تعليم الكنيسة منذ الرسل وإلى الآن قد تركَّز بشدة وبمعرفة ونور وإلهام على المبدأ الذي جاء في النبوات أن المسيح **حجر زاوية** رُفض ولكنه صار رأساً للزاوية، وهذه تُعتبر من أقدم وأهم النبوات.

«احتقرتموه»: ™xouqenhqe…j

ويُلاحَظ أن كلمة "**احتقرتموه**" أو "رفضتموه" هي أصلاً من منطوق المسيح نفسه بتعبير الرذل قالها في إنجيل مرقس: «وكيف هو مكتوب عن ابن الإنسان أن يتألم كثيراً **ويُرذل** ™xoudenhqÍ.» (مر 9: 12)

والكلمة شديدة الوقع على المسيح، يقولها ولها أصداء مُرَّة في نفسه منذ أجيال ودهور سالفة. فقد قالها كما وقعت في حياته على أيدي الصالبين، قالها على فم صموئيل كنبوَّة مُسْبقة بأكثر من ألف سنة، لمَّا طلب الشعب من صموئيل أن يرسم لهم ملكاً مثل باقي الشعوب مع أن الله كان بالفعل هو ملكهم العظيم: «فقال الرب لصموئيل اسمع لصوت الشعب في كل ما يقولون لك لأنهم لم يرفضوك أنت **بل إياي رفضوا حتى لا أملك عليهم**» (1صم 8: 7). وعلى القارئ أن يستخدم تأملاته ويتعمَّق في أحاسيس الرب ورؤيته النافذة الصادقة لهذا الشعب، وكيف كان يتألم منهم ويُرفض حتى قبل أن يُصلب؛ بل لقد

رفعها سفر العبرانيين إلى ما هو أسبق من النبوات

والتاريخ كله إذ يقول: «**فإذ ذاك كان يجب أن يتألم مراراً كثيرة منذ تأسيس العالم**، ولكنه الآن قد أُظهر مرة عند انقضاء الدهور ليُبْطل الخطية بذبيحة (آلام) نفسه» (عب 9 : 26). ألا ترى معي، يا قارئي العزيز، أن آلام الرب سرٌّ رهيب حمل به همَّ العالم منذ أن تأسس، وحفظه بآلامه من الفناء مرات ومرات!!

القديس بطرس يُصدر قراره الأخير
كحُكم لتحتكم به المحكمة رغماً عن أنفها

4 : 12 «**وليسَ بأحدٍ غيرهِ الخلاصُ، لأن ليسَ اسمٌ آخرُ تحتَ السماءِ قدْ أُعطيَ بين الناسِ بهِ ينبغي أن نَخْلُصَ**».

إذاً، أخرجوا من أفكاركم وقلوبكم أنه يوجد أي اسم آخر أو أية قوة أخرى بين كافة الأسماء التي عرفتموها سواء موسى أو قبل موسى أو بعد موسى، من عظماء الأنبياء أو الأتقياء أو الأبرار في كل العصور، يمكن أن يتم به الخلاص الذي بحث عنه كافة الأنبياء وفتشوا، الذي كان هو بعينه روح المسيح الذي فيهم. فالأعرج الذي شُفي، إن كنتم رأيتموه قد شُفي جسداً، قد صار صحيحاً بالجسد والروح معاً. فالكلمة التي استخدمها ق. بطرس سابقاً بقوله: «عن إحسان إلى إنسان سقيم قد **شُفي**» (أع 4:9)، "**شُفي**" = sšswstai هي بعينها بحسب تحليل العالِم بروس[112] تصلح لشفاء الجسد وشفاء الروح. فهي مشتقة من sèzw أي "يخلص". وبالفعل قد حوَّلها ق. بطرس إلى فعل خلاص بقوله: «وليس بأحد غيره الخلاصswthr…a» (أع 4 : 12) التي تحوي في مبدئها شفاء الكساح الذي كان يعاني منه المريض. بمعنى أن الذي شفى الجسد هو بعينه شافي الروح وهو إن شفى الجسد فلكي تنفتح أعينكم لتعلموا أنه هو هو شافي الأرواح ومخلّصها من الفساد والموت، بل ومخلّصها من القضاء وحكم الموت كقضائكم وكحكمكم. وهو نفس التعبير عن الخلاص من القضاء الذي أنهى به بطرس آياته ودفاعه المجيد بقوله: «لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أُعطي بين الناس به ينبغي أن **نخلص** swqÁnai.» (أع 4 : 12)

---

(112) Bruce, I, p. 120.

إن اسم المسيح هذا الذي احتقرتموه أيها البنَّاؤون ويا حكّام إسرائيل هو اسم الخلاص الوحيد، ليس لإسرائيل وحسب، بل ولكل العالم بكل أممه وشعوبه، رضيتم أو لم ترضوا.

خذلان في صورة قوة وتهديد من وراء قلب مرتعب
لقد سحقهم اسم الخلاص، فرفعوا الجلسة، إلى غير رجعة

13:4 **«فلمَّا رأوا مُجاهرةَ بُطرُسَ ويوحنَّا ووجدوا أنَّهُما إنسانانِ عديما العِلمِ وعاميَّان تعجَّبوا فعرفوهُما أنَّهما كانَا مع يَسُوعَ».**

«مجاهرة بطرس»: parrhs…an

وتعني باليونانية "حرية الكلام" كإنسان يشعر بحقوقه الديمقراطية. وقد جاءت لتُعبِّر عن مقدار الثقة التي كان يتكلَّم بها ق. بطرس مع عدم الاضطراب، وطبعاً كان ذلك بسبب سلطة الروح القدس الذي يضبط الفكر واللسان والمنطق والصوت معاً، مما أدهش المحققين. لأن بطرس لم يردّ عن نفسه كأنه مخطئ في شيء بل بالعكس كمتّهم يلقي ذات التهم واللوم على هيئة المحكمة بدون أي حذر.

«عديما العِلم وعاميَّان»: ¢gr£mmatoi ... „diîtai

والقصد أنهما لم يتهذبا في مدارس الربِّيين وكذلك أنهما من الشعب العادي الذي كانوا يسمونهم بشعب الأرض 'amm ha-aretz الذين لا حول لهم ولا قوة في معرفة أو دراية بأصول المحاكم. وفي الوقت نفسه كان نقاشهما ومحاجتهما على مستوى أعاظم الربِّيين لاستخدامهما منطق النبوات. وهذا الأمر أدهشهم كما سبق وأن أدهشهم الرب نفسه: «فتعجب اليهود قائلين كيف هذا يعرف الكتب وهو لم يتعلّم» (يو 15:7). هنا يلزمنا أن نتذكر معنى القول: «حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا المكتوب» (لو 45:24). فالموضوع أكثر من الذهن وأكثر من الفهم. فالحقيقة أنهم لم يدرسوا الكتب أصلاً، ولكن الروح القدس أكمل لهم من العلم ما كان ينقصهم فأصبحوا عالمين بما في الكتب، وهذا هو العجب ليس لدى رؤساء الكهنة فقط بل ولنا نحن، لأن مستوى محاجاة ق. بطرس هو على مستوى دكتوراه في اللاهوت والقانون معاً، وهذا أمر يجعلنا نتحسر على أنفسنا لأننا ونحن قد تعلمنا وقد تسلمنا الكتب مشروحة، لا زالت مداركنا أقل بكثير من أن ترقى إلى مستوى هؤلاء الرسل الأماجد. إن الإنجيل يحتاج إلى الروح القدس فوق كل علم ودراسة وفهم، فالروح القدس هو صاحب الكلمة وهو وحده الذي يستعلن حقها ومعناها.

«فعرفوهما أنهما كانا مع يسوع»: ™peg…nwskon

هنا «عرفوهما» ليست مجرد معرفة ولا اكتشاف أمر كان غامضاً عليهم، لأن المسألة التي لم تكن مقبولة ولا مفهومة على الإطلاق أن رجلين على مستوى الشارع يقارعان محكمة مجتمعة بالحجة وراء الحجة، تم باتهام للمحكمة بلا خوف. هنا أدركوا أن المسألة ليست المعرفة وحدها بل الهالة التي كانت تحيط ببطرس ويوحنا، هالة مستمدة من المسيح رأساً جعلتهم يدركون في الحال أنهم أمام المسيح مرة أخرى «كانا مع يسوع» هنا ابتدأت شخصية المسيح المسيطرة على بطرس ويوحنا تمارس تأثيرها الخفي عليهم، لذلك نجد سرعة في التنازل عن القضية ورغبة شديدة لقفل الموضوع برمته. هذا روح المسيح المسيطر على الجلسة والمؤتمرين.

4 : 13 **«ولكن إذ نظروا الإنسانَ الذي شُفيَ واقِفاً معهُما لم يكُنْ لَهُم شيءٌ يُناقِضُونَ به»**.

والذي أوقف قدرتهم نهائياً على المضي في مناقشة الموضوع، أن حيثيات براءتهما عينية وملموسة. فالرجل الذي شُفي على يديهما، وهو موضوع المناقضة، واقف أمامهم. لذلك أصبحت حجتهم بأن هذا شُفي باسم يسوع المسيح وقوته غير قابلة للمناقضة ولا حتى المناقشة، وهنا تظهر حالة إفلاس المحكمة إذ أوقفت المضي في الجلسة. وهذا يعني أن كل القصة صحيحة وأنها سابقة خطيرة بالنسبة للمحكمة لأنها ستواجه هذه الحقيقة بعد ذلك باستمرار، فالاسم الذي يصنع المعجزات موجود وتلاميذه موجودون. وهذا كله يناقض فكرهم وعملهم وربما وجودهم لو كانوا يحسنون الرؤيا.

15:4و16 **«فأمرُوهُمَا أنْ يَخْرُجَا إلى خارج المجمع وتآمَرُوا فيما بينهُم قائلينَ ماذا نفعَلُ بهذَين الرجُلين لأنّـه ظاهرٌ لجميع سكَّان أُورشليمَ أنَّ آيةً معلومةً قد جَرَتْ بأيديهمَا ولا نَقدِرُ أن نُنكِرَ»**.

«المجمع» sunedr…on

وهي المنطوقة بالعبري "سنهدرين" المعتبر المحكمة العليا. وقولنا "سنهدريم" هو الأصح عبرياً لأنها جمع[113]. والاسم المتداول عبرياً هو المحكمة العليا للقانون وتُنطق

(113) Bruce, I, p. 122.

"beth din hagadol" أو Sanhedrin gedolah أو محكمة الواحد والسبعين Sanhedrin shel shibim waehad هذا معناه أن الجلسة رُفِعَتْ للمداولة دون أن تبلغ مع المتهمين إلى أية نتيجة ضدهم.

«وتآمروا فيما بينهم قائلين»:

هذه الجملة خطيرة، إذ مَنْ هو المصدر الذي سرَّب ما قيل وما تآمروا عليه، مع أن بطرس ويوحنا كانا خارجاً؟ هنا يعتقد أكثر الثقاة أن شاول المدعو بولس كان داخل هذا المجمع وأنه هو الذي أعطى ق. لوقا أدق المعلومات الخاصة بهذا الموضوع وكل المواضيع الأخرى التي جرت بين الرسل والمحكمة بعد ذلك بل وكل الإجراءات التي دُبِّرَتْ ضد الرسل في تلك الحقبة(114) بل وكل ما سبق هذه المحاكمة أيضاً، لأن علاقة ق. بولس بغمالائيل كانت قوية، وكان هو تلميذه، بل وربما كان يشترك حتى ولو عن طريق غير مباشر، فبولس كان رجلاً شديداً عنيداً وسنداً قوياً لرؤساء الكهنة.

فلو وضعنا في الحسبان موضوع "الشعب"، نجد كالعادة أن الخوف بدأ يدب في قلوب رؤساء المجمع، لأنالآية (شفاء الأعرج) فريدة من نوعها وذات أثر كبير جداً على أحاسيس الشعب ونفوسهم، فهي دائماً تزكي آمالهم في الله وتجعلهم يتهافتون على معرفة مصدر العمل لأن الشعب البسيط كان أكثر صدقاً مع نفسه في عبادة الله ومخافته. فهنا أصبح المجمع مهدداً بكارثة لو هو أساء لبطرس ويوحنا إذ قد صارا في أعين الشعب كسفراء عن الله وأبطال إنقاذ للشعب.

ولكن كيف يواجهون الموقف؟ لأنهم لو تركوا بطرس ويوحنا دون أية مؤاخذة فيكون هذا معناه موافقة المجمع علنياً على أن اسم يسوع المسيح يعمل المعجزات بواسطة تلاميذه. وهكذا وقفوا أمام باب مسدود. وأخيراً توصلوا إلى حلٍّ صوري مَحْض لا قيمة له على أي وجه وهو أن يكتفوا بتهديدهم.

استعادة الجلسة
وبطرس ينطق بالحكم على المجمع أنه خارج عن إرادة الله

4:17و18 **«ولكن لئلاَّ تَشِيع أكثرَ في الشَّعبِ لِنُهدِّدهما تهديداً أنْ لا يُكلِّما أحداً مِنَ الناسِ فيما بَعدُ بهذا الاسم.**
فدعوهُما وأوصَوْهُما أنْ لا يَنْطِقَا البتَّة ولا يعلِّما باسم يسوعَ».

---

(114) Bruce, I, p. 103.

إجراء وقائي لأنفسهم وليس فيه أية قيمة. والانطباع الواضح الذي خرجوا به من مجمعهم أن مسألة قيامة الرب يسوع من الأموات وقوته الفعَّالة أمر لا جدال فيه. وهذا في الحقيقة يذهلنا

كيف يتحملون الاستمرار في سلوكهم المنافي للحق. إنها قدرة ليست من أنفسهم قط، فالدفع السلبي الذي اكتسحهم به الشيطان ليصلبوا الرب لا يزال بقصوره الذاتي حتى اليوم: «هذه ساعتكم وسلطان الظلمة» (لو 53:22). ولا تزال هذه الساعة حتى هذه الساعة.

وعلى أي أساس هدّدوهما؟ وهل تهديدهما يمنعهما أو يمنع القوة الفعَّالة الشافية أن تمارس عملها الإحساني وإجراء الشفاء للناس؟ ثم كيف لا ينطقون بالاسم، والاسم هو الذي ينطق فيهم؟ ثم كيف لا يعلّمون أحداً باسم يسوع، واسم يسوع له قوة بهذا القدر أن يشفي كسيحاً من بطن أمه له أربعون سنة؟ فالعمل نفسه هو الذي يعلّم ويخبّر ويبشّر.

4 : 19و20 «**فأجابهم بُطرُسُ ويوحنَّا وقالا إن كانَ حقًّا أمامَ الله أنْ نَسمَعَ لكُمْ أكثرَ مِنَ الله فاحكُمُوا.**

لأننا نحنُ لا يُمكِنُنَا أنْ لا نتكلَّم بما رأينا وسَمِعنَا».

هنا انتهى بهم الأمر من محاكمة، إلى تهديد، ثم إلى توصية، إنه أمر مخجل للمحكمة.

وليُلاحِظ القارئ أنهم تحاشوا ذكر اسم يسوع فأشاروا إليه بمجرد اسم الإشارة «هذا الاسم» لا كَرَهاً له فقط بل رُعباً منه. الاسم الحلو الذي ليس بغيره خلاص صار مُرًّا في حلقهم، لأنهم كرهوا الخلاص إذ أحبوا مجد الناس. وقد أصبح متداولاً عندهم أنهم أعطوا اسم يسوع المسيح رمزاً خاصاً ينطقونه وهو كلمة بيلوني Peloni[115] ويعني (فلان الفلاني). وهكذا حوَّلوا الاسم الذي يُشتقُّ منه ويتولّد كل اسم للحياة والمجد والقوة والبركة والنعيم الأبدي إلى نكرة، فماذا بقي لهم؟

«إن كان حقاً أمام الله أن نسمع لكم أكثر من الله فاحكموا»:

التفسير:

ـ أنتم لا تحكمون بالحق!

ـ نحن عملنا الحق كما رأيناه وسمعناه منه.

ـ والآن نرجو من المحكمة أن تعطي حكمها. هل نسمع لكم أم لله؟ وأيٌّ منكما على حق؟

الشرح:

(115) Bruce, I, p. 129.

ـ أنتم حكمتم على المسيح البار بالموت وصلبتموه بأيديكم.

ـ والله أقامه من الأموات ونحن رأينا وسمعنا: رأينا قيامته وسمعنا صوته وأعطانا وصية أن نبشّر

بقيامته.

ـ والآن هو أعطى صحة لهذا الأعرج ليعلن أنه هو الطبيب والمخلّص ليثبت أنه حي بعد قيامته ويعمل.

فالآن احكموا هل هو ميت أم حي؟ هل قام حقاً أم لم يقم؟

مع ضرورة الالتفات إلى هذا الأعرج الذي شُفي أمامكم.

كل هذا المضمون الذي في كلمة ق. بطرس كان واضحاً أمامهم.

4 : 20 **«لأنَّنا نحن لا يُمكِنُنا أن لا نتكلَّمَ بما رأينا وسَمِعْنَا».**

وليكن في علمكم في نهاية الجلسة، أنه إن حكمتم أو لم تحكموا، إن اقتنعتم أو لم تقتنعوا، فنحن لا يمكن أن نسمع لكم، ولابد أن نسمع لله، ولا يمكن أن نخفي القيامة التي رأيناها إرضاءً لحكم الصلب الذي اقترفتموه.

4 : 21و22 **«وبعدما هدَّدوهُما أيضاً أطلقوهُما إذ لم يجدُوا البتَّة كيف يُعاقِبُونهُما بسببِ الشَّعبِ. لأنَ الجميعَ كانوا يمجِّدونَ الله على ما جَرَى، لأنَ الإنسانَ الذي صارت فيهِ آيةُ الشفاءِ هذهِ كان له أكثرُ مِنْ أربعينَ سنةً».**

كان لا بد أن تنهي المحكمة أعمالها بأية صورة حتى ولو لم تكن بذات قيمة، تماماً كما عملوا إذ هددوهما أيضاً، أي ثانية، ثم أطلقوهما. بمعنى أن المحكمة أخذت قراراً أخيراً ولكن سريًّا أنه في حالة تكرارهم للمناداة باسم المسيح مرة أخرى بالقيامة من الأموات يلزم اتخاذ إجراءٍ تعسفيٍّ بالقتل للتخلُّص منهما دون أية محاكمة بعد ذلك، حتى يتجاوزوا ملاحقة الشعب الذي انحاز انحيازاً واضحاً لعمل الله الذي تمَّ بواسطة الرسولين، باعتبار أنه يمجد الله علناً. المحكمة تتخبَّط وتسير في نفس مخطط الصليب وشهود الزور فلا سبيل لديهم لمقاومة الحق إلاَّ بسفك الدم.

ثم في آخر الرواية يسرد ق. لوقا حالة المريض الذي شُفي، معطياً تلميحاً أنه يتبع نفس أسلوب القديس يوحنا وهو انتقاء المعجزات الفائقة التصوُّر. فكما أن ق. يوحنا اختار معجزة الخمس الخبزات والسمكتين والخمسة الآلاف الذين شبعوا ومعجزة ستة أجران الماء المملوءة ماءاً الذي تحوَّل إلى خمر، ومعجزة الأعمى منذ ولادته ومعجزة المشلول

ذي الثماني والثلاثين سنة، ومعجزة الميت القائم بعد أن أنتن في القبر، هكذا هذا الأعرج ذو الأربعين سنة. فكما أن الميت لا يقوم بعد

أن أمضى في القبر أربعة أيام، إذ هنا استحالة طبيعية؛ هكذا الأعرج الذي له بعد ولادته أكثر من أربعين سنة وهو أعرج، يستحيل في هذا السن أن يحدث له شفاء طبيعي بأي حال. هنا قوة الاسم الفائقة للطبيعة لصاحبها القائم من الأموات، والذي ارتفع إلى أعلى السموات، حتى يقطع الشك باليقين ويُظهر الذراع العالية التي للمسيح في تعامله مع ضعف الإنسان!! وما يهمنا جداً بالطبع في هذه الآية هو ما وصلت إليه في النهاية، أن الشعب تأثر تأثُراً شديداً وكان يمجد الله. مما يوضح أن الكنيسة كانت تسير في طريقها الصاعد رغم كل الضيقات، وأن كرازة بطرس ويوحنا وبقية الرسل كانت مُعانة بنعمة المسيح حسب الوعد، وأن أعمال الرسل بدأت بأهل الختان ونجحت نجاحاً مدهشاً على يد بطرس.

الكنيسة المهدَّدة تصلّي!
والروح يحلّ. والمكان يتزعزع!!

4: 23و24 «**ولمَّا أُطلِقا أتيا إلى رفقائِهما وأخبَراهُمْ بكلِّ ما قالهُ لهما رُؤَساءُ الكهنةِ والشيوخُ.**
فلمَّا سَمِعُوا رَفعُوا بنفسٍ واحدةٍ صوتاً إلى الله وقالوا أَيُّها السيدُ أنتَ هو الإلهُ الصَّانعُ السماءَ والأرضَ والبحرَ وكلَّ ما فيها».

عاد الرسل والتأمت الكنيسة، ليحكي الرسولان أول خبرة للكنيسة الفتيَّة في ميدان الجهاد الموضوع أمامها والذي سيستغرق كل الزمن طالما وُجِد الزمن وحتى النهاية!

صحيح أنهما خرجا منتصرَيْن بالذي أحبهما وأعانهما، ولكن تحت التهديد باستخدام الأساليب السرية التي يعرفونها جيداً. فتحتمت الصلاة لرفع القضية برمتها لله.

«**أيَّها السيد الإله**»: Dšspota, sÝ Ð QeÕj

وتُقرأ باليونانية حرفياً: "أيها السيد أنت هو الإله".

Ð QeÕj = وتعني أنت الإله الواحد.

والسيد = Dšspota وحدها تعني أيها السيد المالك أو الحاكم على الكل.

وعلى القارئ أن يُلاحِظ لماذا توجه الرسل هنا مباشرة إلى الله الكلي الحضور والوجود والسيادة ولم يخاطبوا المسيح. لأن تقدمة الصلاة شملت في الحقيقة قضية المسيح أولاً، لأن

قضيتهم الحالية التي دخلوا بسببها السجن وقُدِّموا للمحاكمة ونالوا على أثرها التهديد، هي قضية متفرعة

ومترتبة أصلاً على القضية الأساسية الأولى والأعظم، قضية الابن الوحيد الذي أرسله الآب إلى الكرم فقتلوه خارج أسواره، فالآن يقدمون قضيتهم لله الآب على أساس قضية ابنه، كنوع من ضم الفرع إلى الأصل لينالوا اهتمام «السيد» وليؤرخوا في السماء للكنيسة سيرتها على درب الصليب.

4 : 25-28 «**القائِلُ بفمِ دَاودَ فتاكَ لماذا ارتجَّتِ الأُممُ وتفكَّرَ الشعوبُ بالباطل.**
قامت ملوكُ الأرضِ واجتمعَ الرُّؤَساءُ معاً على الرَّبِّ وعلى مسيحهِ.
لأنَّه بالحقيقةِ اجتمعَ على فتاكَ القُدُّوسِ يسوعَ الذي مسحتَهُ هيرودُسُ وبيلاطُسُ البنطي مع أمم وشعوبِ إسرائيلَ.
ليفعلوا كُلَّ ما سَبَقَتْ فعيَّنت يَدُكَ ومَشُورَتُكَ أنْ يكونَ».

هنا المخاطبة المباشرة لله: «**أيـَّها السيد**» بدأت تأخذ في الآية (25:4) تكملتها «القائل» هنا توطئة حسنة وجيدة للدخول إلى الله لا بكلام من عندهم ولكن بكلام من عنده، ضماناً للقبول وتأكيداً للسماع والاستجابة. هنا ليتنا نتعلَّم من الرسل كيف ندخل إلى الله بالمخاطبة، فالحديث مع الله يحتاج إلى استعارة من لغة الروح القدس. وها الرسل قد وجدوها في المزمور. وفي المزمور الثاني الذي اختاروه رؤية شاملة لقضية الصليب والأدوات التي استخدمها الشيطان من اليهود والرومان والرؤساء ضد الرب ومسيحه.

«فتاك القدوس يسوع الذي مسحته»:

آية بليغة عميقة ممتدة: هنا يرتفع في البداية رنين نبوَّة إشعياء في كلمة «**فتاك**» = pa‹d£ sou. هنا «فتاك» تُترجم "**عبد**" أو "**ابن**"، فأولاً "عبد" لتعطي للنبوَّة حقها، ثم «ابن» بحسب الصوت الذي جاء عالياً من السماء ومسموعاً: «هذا هو "ابني"» (مت 3 : 17، لو 3 : 22). إذاً، فكلمة «فتاك القدوس» هو العبد المتألم عند إشعياء بما يجمع من اتضاع وطاعة وخضوع حتى الموت: «جعل نفسه ذبيحة إثم» ! (إش 53 : 10). ثم بقوله: «**الذي مسحته**» هنا، تعني أن «عبد» إشعياء (إش 61 : 1) يأخذ مجد وجلال « ابن الله» = «ابني» !

وهكذا نرى في هذه الآية نوعاً من العمق الروحي واللاهوتي غاية في الحكمة والإبداع!!

وهكذا حينما دخل الرسل إلى حضرة الله السيد خالق السماء والأرض بصوت النبوَّة المنطوق بالروح القدس، استطاع الروح القدس أن يكمِّل بفهمهم الصلاة بأعمق ما يكون. فهم الآن بقولهم

لله الآب: إن «الملوك والرؤساء وشعوب الأرض اجتمعوا معاً على فتاك القدوس يسوع الذي مسحته» يكونون قد أعطوا للقضية الأُولى، قضية الصليب وموت الابن، صورتها النبوية موقَّعة على التاريخ والواقع الزمني الذي يعيشونه والذي يمسُّ قلب الآب!

«ليفعلوا كل ما سَبَقتْ فعيَّنتْ يدك ومشورتك أن يكون»:

وهكذا يكملون خطابهم لله: وأن كل ما حدث هو بعينه «كل ما سَبَقتْ فعيَّنتْ يدك ومشورتك أن يكون» أي أنك بذلته «كابن» برضاك وبدافع حبك الكلي الحنان ليحمل خطاياهم، ولكنهم هم ذبحوه كخاطئ كَرَهاً وبغضةً وبلا سبب!!

وإلى هنا يكونون قد بلغوا أعظم تصوير لقضية الصليب ليمهِّدوا لقضيتهم التي انبثقت منها حتماً.

والآن

4: 29و30 **«والآنَ يا ربَّ انظر إلى تهديداتِهم وامنح عبيدك أن يتكلَّموا بكلامِكَ بكُلِّ مجاهرةٍ.**

بمدِّ يَدِكَ للشِّفاءِ ولتُجرَ آياتٌ وعجائِبُ باسمِ فتاكَ القُدُّوسِ يسوعَ».

«والآن»: nàn

الآن قضية كنيستك، أمَّا التهديدات فمن حيث ما يخصنا منها كأشخاص فلا اعتبار لها، فنحن قد وضعنا أنفسنا للموت لأننا نؤمن بالقيامة التي نعيشها ولكن التهديدات بأن لا ننطق بالاسم ولا نعلم بالقيامة فهذا مرفوع أمامك للنظر، فالذي قام لابد أن يبقى قائماً، والقيامة التي كانت لابد أن تكون، والاسم الذي خَضَعتْ له كل قوة في السموات والأرض سيبقى عالياً. لهذا أعطِ عبيدك أن يتكلَّموا حسب قولك ويعلِّموا حسب عملك، وإزاء تهديداتهم أعطِ مجاهرة ليعلو قولنا على تهديداتهم ويسود عملك للشهادة. فكما شفيت الأعرج اشفِ كل يوم، لتكنْ شهادة من قِبَلِ روحك القدوس، كما وعدت، حينما تنطق الآيات باسمك فيمجدك كلُّ حيّ.

وهكذا صارت معجزة شفاء الأعرج أقوى منعطف في خبرة الكنيسة الأُولى لمواجهة تكتُّل الهيئات الرسمية وتهديدات ومقاومات الرياسات المهزومة. فقد ثبت لدى الرسل ضعف السنهدريم والرياسات أمام الأثر الذي نشأ في وسط الشعب من جراء فعل الآيات

والمعجزات، لهذا تنبَّه قلبهم إلى الضرورة القصوى للآيات والمعجزات حتى يتحرك قلب الشعب ويؤمن بالقيامة على اسم الرب يسوع.

وكان إحساسهم بقوة الروح القدس التي نطقت في أفواههم وأعطتهم الحكمة والشجاعة والهدوء الذي ساد على أفكارهم ومشاعرهم قد جَعَلَهم في جوع حقيقي للمزيد.

31:4 **«ولمَّا صلَّوا تزعزعَ المكانُ الذي كانوا مُجتمعينَ فيهِ. وامتلأ الجميعُ من الرُّوح القُدسِ وكانوا يتكلَّمونَ بكلامِ الله بمجاهرةٍ».**

لماذا يتزعزع المكان في وجود الروح القدس؟

هو استعلان ما فوق الطبيعة، الطبيعة متزعزعة وإلى زوال. لذلك حينما يحلّ الحق الثابت الدائم فحتماً يتزعزع الباطل والزائل. الروح القدس يمثل الخلود الأزلي، والعالم وكل مكان في العالم لا يمتُّ لا للخلود ولا للأزل!! فالعالم مكان والمكان متعاهد مع الزمان والزمان مستقبله ماضٍ وماضيه عدم! والروح خالق الزمان والمكان من العدم. لذلك حينما يحلُّ الروح في المكان، يعلن المكان عن أصله المتزعزع والمسنود على لا شيء وينكشف مبدؤه ومنتهاه!!

«امتلأ الجميع من الروح القدس»

أمَّا الإنسان ذلك المخلوق السعيد الذي خلقه الله على الخلود[116]، فهو المخلوق ذو الكيان المفتوح لاستقبال روح الخلود: «(هؤلاء) ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم» (يو 17 : 16). فالمكان تزعزع لمَّا حلّ الروح والإنسان امتلأ ثباتاً بل حياةً بل خلوداً.

كان ملء يوم الخمسين معمودية ـ لنوال طبيعة فائقة، خلقة جديدة ـ أمَّا هذا الملء فهو لمزيد من القوة للشهادة بالكلمة والعمل.

يا لمجد الصلاة ويا لقوة صلاة المظلومين والمهدَّدين، لقد فتحَتْ المخلوق على الخالق فملأت أفواههم بكلام الله ليتكلَّموا وكأن الله هو المتكلّم فيهم علناً وبلا مانع.

وهكذا حولت الكنيسة مشقاتها إلى صلاة، وصلاتها تحولت لها قوة وكرازة وشهادة.

---

(116) سفر الحكمة 23:2 وصلاة الصلح في القداس الباسيلي.

الكنيسة ترتب حياتها من الداخل:
اقتناء الروح حتَّم بترك قنية العالم،
وحياة الشركة أوحت بتوزيع الحاجات

حينما مارس الرسل ومَنْ معهم الشهادة بقوة الروح القدس المنسكب، وضحت جسامة الخدمة المطلوبة وظهرت الحاجة للتفرُّغ، فلزم بيع الأشياء التي في العالم والتخلّي عن هموم القنية والعناية بالأملاك والمقتنيات من حقول وبيوت وتجارة، لحمل همِّ الرسالة التي تثقلت بها أرواحهم للغاية. وابتدأ الرسل يذوقون المفاضلة الحتمية بين العالم والله وعبَّروا عنها: «أن محبة العالم عداوة لله.» (يع 4 : 4)!!

وكان يسند قلبهم وفكرهم وضميرهم قول إلهي لهم لا يزال يرنُّ في أسماعهم: «وكل مَنْ ترك بيوتاً أو إخوة أو أخوات أو أباً أو أُماً أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً **من أجل اسمي** يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية» (مت 19 : 29). ويقولها ق. مرقس أيضاً حيث يذكر الترك من أجل الإنجيل بوضوح: «فأجاب يسوع وقال الحق أقول لكم ليس أحد ترك بيتاً أو إخوة أو أخوات أو أباً أو أُماً أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً **لأجلي ولأجل الإنجيل** إلاَّ ويأخذ مئة ضعف الآن في هذا الزمان بيوتاً وإخوة وأخوات وأمهات وأولاداً وحقولاً مع اضطهادات وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية.» (مر 10: 29و30)

كذلك مثل المسيح عن اللؤلؤة الفريدة: «أيضاً يشبه ملكوت السموات إنساناً تاجراً يطلب لآلئ حسنة فلمَّا وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن مضى وباع كل ما كان له واشتراها» (مت 13: 45و46). اسم المسيح هو اللؤلؤة الكثيرة الثمن فمَنْ ذا لا يبيع كل ما له ليقتنيه ويخدمه؟

ولنا هنا مع القارئ وقفة قصيرة:

أيهما الأول وأيهما الثاني: اقتناء الروح أم ترك القنية؟ حياة الشركة أم توزيع الحاجات؟ أو بمعنى آخر: هل الملء من الروح القدس هو الذي أوحى إلى التفرغ من هموم الدنيا أو العكس؟ هنا خطورة قلب الأوضاع الذي يضعف الأول والثاني بل ويحرم الإنسان من بلوغ هدفه بلوغاً حقيقياً وصحيحاً!!

المثل الذي طبقته الكنيسة ينطق بالحق والصحيح. الكنيسة امتلأت من الروح القدس يوم الخمسين فأخذت طبيعة الروح وفكره وعمله وهدفه. فابتدأت تعمل وتشهد. ثم بدأت تبيع وتتفرغ!

في مَثل المسيح الاسم المبارك ملأ القلب وغطّى على التفكير وشغل الروح فانطلق الإنسان يبيع ويترك كل ما كان يمتلك، من الأب حتى الولد. ثم الحقول ثم النفس «ينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني» (مت 16 : 24)!!

وفي المثل الثاني ارتفع الإنجيل في أفق الحياة فملأ كل تصوراتها، فلم يَعُدْ غير الإنجيل، فباع الإنسان كل ما كان له!

وفي مَثل اللؤلؤة تصوَّر الإنسان جمال اللؤلؤة فملأ جمالها كل نفسه وعقله وشهوة قلبه، فذهب يبيع كل ما كان له ليشتريها، ولمَّا اشتراها غطّت كل تصوراته وشهوة قلبه فلم يعد لعداها أية قيمة.

ثم من هذا المبدأ عينه إلى صميم الحياة والعبادة: هل صوم الجسد أولاً أم شبع الروح؟ وهل يمكن أن يصوم الجسد ويقنع بالصوم ويرتاح إليه والنفس ليست على شبع من الروح وفرحه؟

إذاً، فهو قانون روحي ومبدأ لاهوتي: «**بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً**» (يو 15 : 5)، وبالتالي وحتماً يكون: «**أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني.**» (في 4 : 13)

كثيرون أخطأوا في اتخاذهم الثاني بدل الأول فصار صومهم بدون فعالية الروح وأصبح تعذيباً للجسد دون بلوغ الهدف، وصار تكريسهم وخدمتهم عملاً شاقاً وجهداً مضنياً مبذولاً دون وصول. وبهذا الخطأ يضيع من مَثل المسيح «**المائة ضعف**»**!** فالمائة ضعف العائد من البيع والترك والتخلّي عن كل شيء هو رهن: «من أجلي ومن أجل الإنجيل» ! أمَّا **مع الاضطهاد** فهو تأمين لتحويل المائة ضعف على الأرض إلى ما يساويها في السماء!! وهذه هي سيرتنا المكتوبة في السماويات.

4 : 32 **«وكان لجمهورِ الذينَ آمنوا قلبٌ واحدٌ ونفسٌ واحدةٌ. ولم يَكُنْ أحدٌ يقولُ إنَّ شيئاً من أمواله لهُ بل كان عندهُمْ كلَّ شيءٍ مُشتركاً».**

حينما انفعل الجميع بالروح الواحد اتحدت المشاعر والأهداف، فالقلب قاعدة المشاعر الإنسانية، والنفس مصدر الفكر والرؤيا وتحديد الهدف. هنا اختفت الفردية، أي افرازات الخطية

التي تعمل على تفتيت الصورة الإنسانية من وحدتها المنطبعة من الله الواحد إلى الذاتية الأنانية المنبثقة من انقسام الهوى والغرض والمشيئة.

هذه الخبرة الفريدة في تاريخ الكنيسة الأولى تُعتبر بلوغ القمة في قامة الكنيسة باعتبارها جسد المسيح الموحَّد الأعضاء، وهي ذات الصورة التي تسعى إليها الكنيسة عبر عصورها، وهي أيضاً منتهى رجائها الأخير من جهة الإيمان والعبادة والمحبة والبذل والقداسة والشركة، وحتى من جهة العمل وتقسيم المواهب: «الذي نزل هو الذي صعد أيضاً فوق جميع السموات لكي **يملأ الكل**. وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين. **لأجل تكميل القديسين، لعمل الخدمة، لبنيان جسد المسيح** إلى أن ننتهي جميعنا إلى **وحدانية الإيمان، ومعرفة ابن الله، إلى إنسان كامل، إلى قياس قامة ملء المسيح.**» (أف 4: 10-13)

والعجيب حقاً أن الكنيسة بدأت بهذه القامة الواحدة الموحَّدة عملياً وبصورة بسيطة مذهلة. ولو فحصنا آية ق. بولس الرسول لأهل أفسس هذه، نجد أن سر الوحدة والوحدانية الكاملة بدأ مباشرة بعد أن صعد المسيح إلى أعلى من السموات «ليملأ الكل» فملأ الكل فعلاً. فكانت هذه الكنيسة الممتلئة من الروح القدس والمتحدة برأسها في السماء. وهكذا ظهر القلب الواحد والنفس الواحدة تأكيداً للجسد الواحد!!

أمَّا غياب الذاتية الفردية الذي هو العنصر المسموم لتفتيت الوحدة فنراه عملياً واضحاً ثابتاً وهو أنه لم يكن أحد يقول «**إن شيئاً من أمواله له بل كان عندهم كل شيء مشتركاً**» (أع 4: 32). فالإحساس بالملكية الذاتية ـ وهو الذي يكشف عن عنصر التفتت ـ كان غائباً عن الجماعة، فكانت متحدة قلباً ونفساً.

ولكن الذي ينبغي أن يسترعي انتباهنا هو أن غياب الإحساس بالملكية الذاتية لم يأتِ اصطناعاً أو طبيعياً، بل جاء كنتيجة فائقة لعمل الروح القدس الفائق. فالروح القدس جذب كل نفس إليه وأخلاها من كل الشوائب الدخيلة عليها التي من صنع العالم، وهكذا أخذت صورتها الصحيحة التي أخذتها من الله، ولكن الصورة أصلاً واحدة وهكذا توحَّدت النفوس في صورتها الصحيحة الواحدة. فصار للنفوس المتجمعة نفسٌ واحدة وقلبٌ واحدٌ بالضرورة.

والآن، بلوغ الكنيسة إلى هذه الصورة الحيَّة الفعَّالة العاملة والعابدة والمجاهدة الشاهدة

للمسيح في العالم ـ آنئذ ـ يؤكد لنا صدق وعد المسيح ويعطينا اليقين الإلهي أنها حتماً ستبلغها في النهاية. لأنه إن كانت الكنيسة قد بلغتها تماماً وبالتمام في بدايتها، فهي تحياها الآن وإن كان جزئياً على

رجاء الملء النهائي الذي سيمنحها هذه الصورة الفريدة بالنهاية لتنتهي الكنيسة إلى ملء قامة المسيح بالحق.

والذي نود أن نزيد ونعيد فيه أن نقتنع جميعاً بصدق المقولة الإلهية أن **الكنيسة هي جسد المسيح حقاً**، فصورة الكنيسة الأولى التي رسمها ق. لوقا الآن أمامنا من واقع خبرة الرسل الأولى وحياتهم العملية، تشهد أن هذه المقولة الإلهية هي في حكم الواقع الذي حققته الكنيسة بالفعل وفي أصعب أدوار حياتها. فالجسد الواحد للكنيسة، ذو القلب الواحد والنفس الواحدة والاهتمام الواحد، عاشته الكنيسة في ملء الواقع التاريخي وفي صميم الزمن، أسوأ زمن. فإن كانت الكنيسة اليوم عاجزة عن أن تتمم شكلها الواحد وأن تُجمِّع جسدها الواحد، فليس السبب عدم صدق المقولة الإلهية أن الكنيسة هي جسد المسيح والأعضاء فيها متحدون ولهم قلب واحد ونفس واحدة؛ ولكن السبب هو أن الأعضاء فيها أخذوا منهج الابن الأصغر الذي استقل بماله وذاته. ولكن الآب لم ييأس، فهو على الباب واقف ينتظر العودة.

4 : 33 **«وبقوةٍ عظيمةٍ كان الرُّسُلُ يؤَدُّونَ الشَّهادةَ بقيامةِ الرَّبِّ يسوعَ ونِعمَةٌ عظيمةٌ كانت على جميعِهِم».**

هذه نتيجة مباشرة للصلاة والملء من الروح القدس المخصص للشهادة. فقد خرج الرسل من التجربة الأولى، تجربة السجن والتهديد، بقوة مضاعفة إذ أحسُّوا أن موقفهم أقوى من موقف الذين يهددونهم. كذلك فإن التفرُّغ الكامل من هموم العالم أعطاهم تخصصاً في خدمة الكلمة والكرازة. وقد ارتدت أخبار الخدمة المفرحة عليهم بالدخول في حالة نعمة، وكأن الكنيسة في أعياد متواصلة. فليس جزافاً أن يسجل ق. لوقا أن الشهادة كانت بقوة عظيمة والنعمة كانت عظيمة. فهذا الانبهار في وصف حال الكنيسة يعطينا صورة فريدة لمستوى النجاح والنمو والقوة.

4 : 34و35 **«إذ لم يكن فيهم أحدٌ مُحتاجاً لأنَّ كُلَّ الذين كانوا أصحابَ حقولٍ أو بيوتٍ كانوا يبيعونـها ويأتونَ بأثمانِ المبيعاتِ ويضعونـَهَا عندِ أرجُلِ الرسُلِ فكان يُوزَّعُ على كلِّ أحدٍ كما يكونُ لهُ احتياجٌ».**

يُلاحَظ هنا أنه ينسب القوة العظيمة التي كان الرسل يؤدون بها الشهادة، والنعمة العظيمة التي كانت فيهم، ينسبها إلى تخلصهم من الاهتمام بشئون الحياة المادية، كعامل كان يعطل انطلاقهم

وذلك بقوله: «إذ لم يكن فيهم أحد محتاجاً» (أع 4 : 34). لأن الأغنياء وفَّروا العناء عن الفقراء. وإن كان هذا الكلام جاء هنا مكرراً لما سبق وقاله في الأصحاح الثاني: 45. فانظر، أيها القارئ العزيز، كيف بلغت الكنيسة بشعبها أقصى حالات العدالة الاقتصادية الذي تحلم به أعظم النظم الاقتصادية في العالم والعامل الأساسي الذي بُني عليه هذا النظام الاقتصادي المثالي، واضح أنه كان سمو روح الإنسان. ومن هنا نكتشف سر تدهور النظم الاقتصادية في العالم واستحالة بلوغها إلى مستوى العدالة، حتى بأقل صورة ممكنة، بسبب ضعف المستوى الروحي الذي تفكر به الحكومات والذي تحيا به الشعوب.

4 : 36و37 **«ويوسُفُ الذي دُعيَ مِنَ الرَّسُلِ بَرْنَابا الذي يُترجَمُ ابنَ الوعظِ وهو لاويٌّ قبرسيُّ الجنس. إذ كان له حَقْلٌ باعهُ وأتىَ بالدَّراهِمِ ووضَعها عندَ أرجُلِ الرَّسُلِ».**

في الحقيقة يبدو ذكر حالة برنابا هنا على وجه الخصوص دون مئات وربما ألوف من الحالات الأخرى أن فيها أمراً مستغرباً. هذا لأنه أولاً لاوي واللاوي لا يقتني أرضاً بحسب الناموس ولكن ربما كانت هذه الأرض في غير إسرائيل، أي في قبرص. وكذلك من المرجَّح أنها أرض متسعة وقد أتت بأثمان كثيرة حتى أنها صارت مثلاً، هذه الأرض باعها هذا القديس، فتأهَّل للرسالة.

الأصحاح الخامس

(5:1 ـ 11) الاختلاس من مال الله، والكذب على الروح القدس.

(5:12-16) نشاط غير عادي للكنيسة ينتهي بالقبض على الرسل.

(5:17-21) الغيرة المرة تأكل صدر رئيس الكهنة ومَنْ معه.

(5:21-26) المجمع والمشيخة ضاعت هيبتهم وضل شيبهم.

(5:27-29) «دمه علينا وعلى أولادنا.» (مت 27:25)

(5:30-32) القديس بطرس يشرح أدلة الدفاع ويحاصر المحكمة فيوقعها في الاتهام بسفك دم بريء.

(5:33-40) أسوأ قرار سري يصدر من محكمة تحكم باسم الله.

(5:41-42) «الآن أفرح في آلامي.» (كو 1:24)

الاختلاس من مال الله، والكذب على الروح القدس [1:5 - 11]

1:5و2 «ورَجُلٌ اسمُهُ حنَانِيَّا وامرَأتُهُ سفِّيرةُ باعَ مِلكاً، واختَلَسَ مِنَ الثَّمنِ وامرأتُهُ لها خَبَرُ ذلِكَ وأتَى بجُزْءٍ ووضَعَهُ عِندَ أرجُلِ الرَّسُلِ».

لأول وهلة يجزع الإنسان من ورود هذه القصة الحزينة المحزنة في هذا الوقت وهذا الموضع من الكنيسة وهي منتصرة وحارة، متآلفة بالروح القدس والحب والشركة، والوحدة تجمعها برباط مقدَّس مع الله. وهذا يوضِّح بكل تأكيد أمانة سرد الوقائع عند ق. لوقا، فهو لم يقف عند أخبار الانتصار والنجاح والتقدُّم للكنيسة بل حتَّم عليه ضميره أن يسجِّل على الكنيسة هذا التصرُّف الذي يظهر في خارجه عنيفاً أشد العنف. غير أنه في طياته يحمل قانوناً خطيراً للكنيسة الجديدة كان عليها أن لا تتعدَّاه قط لئلا تنكفئ على وجهها وتسقط أمام أعدائها. فكل ما للرب هو للرب ويتحتَّم على الكنيسة وكل مسئول فيها أن يفرِّق بين التصرُّف الذي يجعل المال في يدها مقدَّساً فتتقدَّس به والتصرُّف الذي يجعل المال الذي في يدها حراماً فتحرم نفسها بيدها ومما بيدها!!

كذلك لا يفوت على القارئ أن ق. لوقا قدَّم أولاً النموذج الصالح للكنيسة في شخص ق. برنابا القبرصي اللاوي المدقّق كيف باع حقله، ويبدو أنه كان كبيراً، وأعطى كل ثمنه للرسل، حتى لا يستكثر أحد على الكنيسة كل ما يملك بل ولا نفسه!!

ولكن لا يمكن فهم هذه القصة إلاَّ إذا فهمنا قصة عخان بن كرمي في موقعها وزمانها ومكانها وهي طبق الأصل من هذه القصة والهدف واحد (سفر يشوع الأصحاح السابع)!!

قصة عخان بن كرمي:

كان الشعب المتغرِّب في البرية أربعين سنة قد دخل لِتوِّه أرض الميعاد، وكانت هذه أول حرب تواجهها الجماعة مع الأعداء المتربصين، بعد سقوط أريحا بدون حرب. والرب أعطى أمراً سابقاً عن غنائم أريحا:

+ «وأمَّا أنتم فاحترزوا من الحرام لئلاَّ تُحرَّموا وتأخذوا من الحرام وتجعلوا محلةِ إسرائيل (كلها) محرَّمةً وتكدِّروها. **وكلّ الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد تكون قدساً للرب وتدخل في خزانة الرب.**» (يش 6: 18و19)

ولكن عخان اختلس وكذب، فانكسر إسرائيل أمام عاي البلدة الصغيرة:

+ «فقال الرب ليشوع قُمْ لماذا أنتَ ساقطٌ على وجهكَ. قد أخطأ إسرائيل بل تعدَّوا عهدي الذي أمرتهم به بل أخذوا من الحرام بل سرقوا بل أنكروا بل وضعوا في أمتعتهم ... في وسطِكَ حرامٌ يا إسرائيل فلا تتمكن للثبوت أمامَ أعدائِكَ حتى تنزعوا الحرام من وسطكم ... فقال يشوع لعخان يا ابني أعطِ الآن مجداً للرب إله إسرائيل واعترف له وأخبرني الآن ماذا عَمِلتَ. لا تُخفِ عني. فأجاب عخان يشوع وقال حقًّا إني قد أخطأت إلى الرب إله إسرائيل ... فرجمه جميع إسرائيل بالحجارة وأحرقوهم بالنار ورموهم بالحجارة.» (يش 7: كله)

وضح الآن أمام القارئ أن الأمر خطير ويخص تعليم الشعب بأجمعه وهم يبدأون عهداً مع الله للحياة حسب وصاياه ولمخافة اسمه والسير بمقتضى أوامره. فعخان مات وكل بيته ولكن بيت إسرائيل عاش وانتصر في الأرض الجديدة. كما هو واضح أيضاً أن الذهب والفضة كانا فعلاً مِلكاً للرب طالما وُضِعَتْ وصية بذلك.

فالآن إذا عدنا إلى مسألة حنانيا وامرأته نجدها طبق الأصل، فالشعب يبدأ عهداً جديداً مع الله، والكنيسة أصبحت هي بيته والرسل اتفقوا وأعطوا وصية أن تُجمع الأموال ليقوموا هم بإعادة توزيعها حسب احتياج كل فرد وكل أسرة. إذاً، فمالية الأفراد والعائلات صارت تبع خزانة الرب وبمجرد قبول الفرد أو الأسرة في الكنيسة وقبوله أن يكون عضواً في الشركة.

كذلك يُلاحَظ أن في العهد القديم أُلقيت القرعة على كل الأسباط فوقعت على سبط يهوذا، ثم قُدِّمت كل عشائره فوقعت على عشيرة الزارحيين، ثم قُدِّم كل رجال عشيرة الزارحيين فأُخذ زبدي فقُدِّم كل بيته ورجاله، فأُخذ عخان بن كرمي. إذاً، فالله عن طريق القرعة عيَّن السارق والكاذب.

أمَّا هنا في الكنيسة الروحية الجديدة، فلم تُلقَ القرعة لأن القرعة أُلغيت في الكنيسة بعد حلول الروح القدس الذي سبق وأن عيَّن الرب عمله: «يعلّمكم كل شيء» (يو 14: 26)،

«يُرشدكم إلى جميع الحق» (يو 16 :13)، «ويخبركم بأمور آتية.» (يو 16 :13)

وواضح أن أحداً لم يخبر ق. بطرس بذلك، بل هو الروح القدس الناطق في قلبه. وقد عبَّر عن ذلك ق. بطرس بقوله لحنانيا:

5: 3و4 **«يا حنانيَّا لماذا ملأ الشيطانُ قلبَكَ لتكذِبَ على الرَّوح القُدُسِ وتختَلِسَ مِنْ ثمنِ الحقلِ ـ أليس وهو باقٍ كان يبقىَ لكَ؟ ولمَّا بيعَ ألم يكن في سُلطانِكَ. فما بالُكَ وضعتَ في قلبكَ هذا الأمر. أنتَ لم تكذب على الناسِ بل على الله».**

«وتختلس من ثمن الحقل»: nosf…sasqai

يُلاحَظ هنا أن ق. بطرس الرسول يستخدم نفس الكلمة التي استخدمها يشوع مع عخان بن كرمي وقد جاءت هكذا: «**وخان** بنو إسرائيل **خيانة** في الحرام ™nosf…santo »(يش 7 : 1) وقد جاءت نفس كلمة **«اختلس»** المترجمة في سفر الأعمال هي نفس الكلمة **«خان»** باليونانية في الاثنين، مما يعطي انطباعاً أكيداً أن ق. بطرس الرسول كان قد استعلن له الروح القدس نفس العملية بنفس كلماتها! وذلك بسبب نفس الخطورة والقصد الإلهي من التعليم.

«حنانيَّا»: `Anan…aj

وهي بالعبرية Hanan yah وتعني "حنان ياه": الله هو منعم.

و**«سفِّيرة»:** Sapfe…rh

وهي بالأرامية Shappira وتعني "جميلة" **وطبعاً** لم تكن جميلة!

«الشيطان»: Satan©j

وهو اسم عام ويعني "مصيبة" أو "خصومة" (زك 3 : 1 هامش).

والاسم أصلاً في اللغة العبرية shatan والفعل منها shat ومعناه يجول ذهاباً وإياباً. ولهذا عرَّفه ق. بطرس بعمله: «يجول ملتمساً مَنْ يبتلعه» (1بط 8:5)، ولمَّا سأله الله مِنْ أين أتى؟ ردَّ في الحال: «مِنْ الجولان في الأرض ومن التمشِّي فيها» (أي 7:1). والإجابة هنا تقيِّمه فهو يريد أن يُظهر نفسه أن له قدرة الله لأن عَيْنَيْ الله معروفٌ أنها «أعين الرب الجائلة في الأرض كلها» (زك 10:4)، وطبعاً ليجد ما يشتكي به الناسَ أمام الله. فجاء المسيح وكان أول عمله أنه كان «يجول يصنع خيراً» (أع 38:10) أي يحطِّم الخصومات والمصائب التي يصنعها الشيطان. فكان المسيح بمثابة عين الله وقوته الإيجابية.

وهنا يحدد ق. بطرس عمل الشيطان أنه "يملأ قلوب الناس بالشر" ليصيروا كأدوات في يده

لِيُرديهم قتلى كما صنع بحنانيا وسَفّيرة، أو ليتخاصموا ويقتتلوا فيصيروا أولاده وتابعيه وأنصاره. وفي العهد القديم كان يُعرَّف بأنه بعل زبول Baal Zebul أي إله المرتفعات، حيث كان يضع الناس له أصناماً على المرتفعات ويعبدونها، وبآن واحد هو إله المرتفعين بقلوبهم، وقد قصدته القديسة العذراء مريم النبية في قولها التنبؤي: «شتَّت المستكبرين بفكر قلوبهم. أنزل الأعزاء (المرتفعين) عن الكراسي ورفع المتضعين» (لو 1: 51و52). ومعناه أن الله أنهى زمان تسلُّط الشيطان وأتباعه وجاء زمان رفع المتضعين مع الذي رفَّعه الله إلى أعلى من السموات!!

والشيطان أيضاً معروف باسم «الشرير» أي المدمن على الشر ومخترعه (مر 15:4). والشيطان له مملكته وله ملائكة أتباعه. وله أولاً من بني آدم مَنْ يخدمون مملكته بهمة ونشاط وهو «رئيس هذا العالم» (يو 11:16). وهو «إله هذا الدهر» الذي أعمى عيون الناس حتى لا يروا ولا يؤمنوا بالإنجيل كقول بولس الرسول (2كو 4:4). وهو «رئيس سلطان الهواء. الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية» (أف 2:2). وطبعاً معروف أن الروح القدس المعبَّر عنه بالريح الذي يهبُّ حيث يشاء هو الخالق الهواء مع الله. وبالنهاية طرحه الله بواسطة الملاك ميخائيل من السماء فلم يُوجد وانحصرت أعماله الشريرة على الأرض حسب سفر الرؤيا (رؤ 12: 7-9).

ويجيء باليونانية اسم آخر للشيطان وهو "ديابلوس di£boloj" ويُنطق عربياً: "إبليس" حيث صنعته حسب الاسم الوشاية والافتراء والتسلُّط على الفكر حيث جاء المسيح ليحطِّم قوته الباطنية في الإنسان:

+ «يسوع الذي من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس والقوَّة الذي جال يصنع خيراً ويشفي جميع المتسلّط عليهم إبليس لأن الله كان معه.» (أع 38:10)

والآن إلى قصة حنانيا مرة أخرى لأن كثيرين عثروا فيها ونقدوها وانتقدوا تصرُّف القديس بطرس وبالأكثر في إلقاء أمر الموت على سفيرة. وهو لم يعطِ لأحد منهما فرصة للاعتراف والتوبة. ولكن يلزم للقارئ أن يفهم خاصة من البحث القصير الذي قدمناه عن الشيطان، كيف أن الشيطان ملأ قلبيهما بالغش وأن الخطية الأولى التي عوقبا عليها هي الغش والكذب على الكنيسة وبالتالي على الروح القدس الذي أُقيم ق. بطرس ليتكلّم باسم كل منهما، باسم الروح القدس أولاً ثم الكنيسة. وقد برَّأ ق. بطرس نفسه من أن يكون عاملاً بنفسه: «أنت لم تكذب **على الناس** (بما فيهم بطرس) بل على الله» (أع 5 : 4)، لأنه يلزم

على القارئ أن ينتبه أن حنانيا في الواقع تقدَّم إلى الله ومعه المبلغ منقوصاً ومختلساً منه. لأنه قدَّمه باعتباره ثمن الحقل كله مع أنه احتجز جزءاً منه لحسابه، والأمر في مضمونه الإلهي يُقاس على أساس أن حنانيا قدَّم حساب الحقل **كله** ليأخذ أجرة

هذا العمل من الله روحياً سماوياً، مع مديح من الناس وشهرة وإكرام وتعظيم وتبرير وكتابة اسمه في لوحة شرف الكنيسة أو استئمانه على حمل الصندوق أو الطبق أو الصرف على الفقراء على أساس أنه **قدَّم كل ما عنده، أي كل معيشته على الأرض.** فالآن هو يطلب أو في الحقيقة يطالب الله والكنيسة أن يدفع له ما يوازي ثمن الحقل كله، فهنا اختلاس صارخ. وكأنه أراد أن يربح الأرض والسماء، هذا العالم وعالمالدهر الآتي، النعمة والمال معاً، الاتكال على الله وعلى المال معاً، محبة الله ومحبة المال معاً. هنا مناقضة فضحها الروح القدس وسلب منه الأرض والمال والحياة التي لحسابهما حتى يستطيع الله أن يعطيه الرحمة والخلاص والحياة التي من عنده نقية من عيب المال والدنيا. ومرة أخرى: «لأننا لو كنَّا حكمنا على أنفسنا لما حُكم علينا. ولكن إذ قد حُكم علينا نؤدَّب من الرب لكي لا نُدان مع العالم» (1كو 11: 31-32)، وأيضاً: «أن يسلَّم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد لكي تخلص الروح في يوم الرب يسوع.» (1كو 5 : 5)

إذاً، فالمواجهة هنا هي بين الروح القدس وبين حنانيا والأمر خطير لأن حنانيا معتمد وحائز على الروح القدس، فكونه يسمع للشيطان حتى يملأ قلبه معناه أنه انحاز للشيطان ضد الروح القدس.

وهنا نستمد من ق. بولس الرسول شيئاً من التوضيح حينما قال:

+ «أمَا تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم. إن كان أحدٌ **يُفسد هيكل الله فسيفسده الله** لأن هيكل الله مقدَّس الذي أنتم هو.» (1كو 3: 16و17)

وللقارئ أن يتصوَّر كيف أن حنانيا وهو من أحجار الأساس الأُولى لبناء كنيسة الله يوضع هكذا في الأساس وهو ممتلئ القلب بمشورات الشيطان. ومرَّة أخرى يقول ق. بولس الرسول من جهة الذي يشترك في الجسد الواحد (الكنيسة والإفخارستيا) «**بدون استحقاق يكون مجرماً** في جسد الرب ودمه» (1كو 11 : 27)، وبالتالي مجرماً في حق الله والكنيسة. ثم يعقّب ويقول: «من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى **وكثيرون يرقدون.** لأننا لو كنَّا حكمنا على أنفسنا لما حُكم علينا، ولكن **إذ قد حُكم علينا** (كحنانيا وسفيرة) **نؤدَّب من الرب لكي لا نُدان مع العالم.**» (1كو 11: 30-32)

وسماح الوحي المقدَّس بأن تُسجَّل حادثة حنانيا وسفيرة هكذا في بدء سيرة الكنيسة باعتبار أن الروح القدس يسائل المؤمنين ويحاسبهم على أعمال قلوبهم ونياتهم تجاه بيت

الله ومخصصاته، هذا أمر واضح وخطير أيضاً. علماً بأن ربط نصرة الشعب في القديم بمقدار الالتزام بالخضوع لوصايا

الله وأن أية خيانة كفيلة بأن توقع الشعب كله في انكسار مهين أمام الأعداء وموت وهلاك نفوس بريئة بلا عدد، يضع الكنيسة في موضع المُساءَلة أمام الأموال التي تُرصد لحساب الله وفقراء شعبه ومبانيها ومصروفاتها ـ كل بند برصيده وكل رصيد بحسابه ـ وأي انحراف في التصرف وخاصة إذا كان من جهة المنفعة الشخصية للمسئول أو أي مشترك في المسئولية، فنتيجتها موت بأية صورة من صوره المرعبة ليس له فقط بل ولكل مَنْ يتبعه، لأن صاحب الكنيسة حي وروح الله القدوس يعرف في الأرصدة والحسابات والاختلاسات. وينبغي على الكنيسة أن تقص قصة حنانيا وسفيرة على كل مَنْ تلمس يداه أموال الله: «ثم يُسأل في الوكلاء لكي يوجد الإنسان أميناً» (1كو 4 : 2)، «أعطِ حساب وكالتك.» (لو 16 : 2)

وأخيراً فإن قصة حنانيا وسفيرة وفحص الروح القدس الدقيق للقلوب والضمائر تُعتَبر ملهمة لقياس الأمانة بل والتدقيق في الأمانة أمام الضمير الشاهد الأمين لحساب الله.

5:5و6 «فلمَّا سَمِعَ حنانيَّا هذا الكلامَ وَقَعَ ومَاتَ، وصارَ خَوفٌ عظيمٌ على جميع الَّذِينَ سَمِعُوا بذلِكَ. فنَهَضَ الأحداثُ ولفُّوهُ وحَمَلُوهُ خارجاً ودَفَنُوهُ».

هنا الكلام غريب للغاية على العلماء في كل الغرب، فهم يقولون إن الموت كان بسبب الصدمة على أثر عنصر المفاجأة أو عنصر المواجهة مع الضمير وعدَّدوا الأسباب التي جاءت لتتوافق مع فكر الطبيب الشرعي في الكشف عن سبب الوفاة. ولكن من روح القصة ومن التعرُّف على شخص القاضي وهو الروح القدس واكتشاف نوع الخطية المميتة، لا يكون بعد ذلك أي اعتراض على حكم الموت الصادر من الذي بيده وحده الموت والحياة والحكم فيهما.

7:5و8 «ثُمَّ حَدَثَ بعد مُدَّةٍ نحو ثلاثِ ساعاتٍ أَنَّ امرأتَهُ دَخَلَتْ وليس لها خَبَرُ ما جَرَى. فأجابَهَا بُطرُسُ قُولي لي أبهذا المِقدَار بعتُما الحقلَ، فقالتْ نعم بهذا المِقدار».

يبدو أن حنانيا كان قدومه في ميعاد صلاة من الصلوات ليصلّي ويقدِّم عطيته، وبعد الصلاة بثلاث ساعات يأتي ميعاد الصلاة الأخرى التي جاءت فيها سفيرة. وجاءت خالية الذهن مما جرى لرجلها. وهنا أتت الفرصة الوحيدة بعد موت حنانيا للتأكد مما صنعاه معاً. وكانت الفرصة مواتية لامرأته لتصحيح موقف زوجها ولكنها كشفت حقيقة الاتفاق السرِّي

بينهما على الاختلاس والكذب حينما أكدت «نعم بهذا المقدار» (أع 5 : 8) وهو لم يكن المقدار.

أليشع النبي واجه هذا الموقف تماماً مع جيحزي تلميذه، عندما رفض النبي أخذ هدايا من نعمان

السرياني إزاء عمل الشفاء الذي أُجري له بواسطة النبي، ولمَّا خرج نعمان جرى وراءه جيحزي وكذب على الرجل ولفَّق سبباً ليعطيه هدايا فأعطاه، وعاد مسرعاً وأخفى العطية ودخل على أليشع وكانت الفضيحة:

+ «وأمَّا هو فدخل ووقف أمام سيده، فقال له أليشعُ مِنْ أين يا جيحزي؟ فقال لم يذهب عبدُكَ إلى هنا أو هناك. فقال له ألم يذهب قلبي حين رجع الرَّجُلُ (نعمان) مِنْ مركبته للقائك؟ أهو وقتٌ لأخذ الفضة ولأخذ ثيابٍ وزيتونٍ وكرومٍ وغنمٍ وبقرٍ وعبيدٍ وجوارٍ؟ فَبَرَصُ نُعمانَ يَلصَقُ بكَ وبنسلِكَ إلى الأبد. فخرج من أمامه أبرص كالثلج.» (2مل 5: 25-27)

كيف نقرأ هذه القصة؟ وبماذا نصف هذا النبي؟ أهي قوة بشرية خالصة؟ أهو رد كرامة أو إظهار كرامة؟ الحقيقة أن الصوت صوت أليشع النبي ولكن العمل عمل مَنْ بيده المرض والشفاء والموت والحياة. وشوكة الجسد تكون من الشيطان، ولكن تُوازنها نعمة تفوق الجسد بكل قواه.

ولكن مِنْ نُطق سفيرة ومِنْ واقع كلماتها أُدينت: «لأنك بكلامك تتبرَّر وبكلامك تُدان.» (مت 12: 37)

5: 9و10 **«فقال لها بُطرُس ما بالكُما اتفقتُما على تجربةِ روح الربِّ، هوذا أرجُلُ الذين دَفَنُوا رَجُلَكِ على البابِ وسيحمِلُونَكِ خارجاً. فوقعت في الحالِ عند رجليهِ وماتت، فدخلَ الشبابُ ووجدوها ميتة فحملوها خارجاً ودفنوها بجانبِ رَجُلِها».**

«اتفقتما على تجربة روح الرب»: peir£sai tÕ Pneàma Kur…ou

«تجربة روح الرب» عمل عدائي استفزازي لسبر غَوْر صبر الله بالتمادي في إغاظته الذي يحتمله الله إلى حد محدود تنصبُّ بعدها النقمة على الإنسان المجترئ في الخطأ تجاه الله.

+ «فماذا إن كان الله وهو يريد أن يُظهر غضبه ويبيِّن قوته **احتمل بأناة كثيرة** آنية غضبٍ مُهيَّأةً للهلاك.» (رو 9: 22)

+ «أم تستهين بغنى لُطفِهِ وإمهاله وطول أناته غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة. ولكنك من أجل **قساوتك وقلبكَ غير التائب** تَزْخر لنفسك غضباً في يوم

الغضب واستعلان دينونة الله العادلة.» (رو 2: 4و5)

فالتمادي في الخطأ والإنسان على علم وإحساس بأن ذلك يُغضب الله وأنه ضد وصيته، هو «تجربة روح الرب» التي قلَّ مَنْ يفلت من عقوبتها!

وقد نبَّه موسى شعب إسرائيل لمَّا هاج عليه وخاصمه من أجل الماء: «لماذا تخاصمونني؟ لماذا تجرِّبون الرب؟» (خر 17 : 2). وكانت هذه الحادثة مشهورة باسم « تجربة مسَّه» لذلك عاد في سفر التثنية وذكّرهم بها مُحذراً من تكرارها: «لأن الرب إلهكم إلهٌ غيورٌ في وسطِكُم لئلاً يحمى غضب الرب إلهكم عليكم (تنتهي حدود صبره) فيبيدكم عن وجه الأرض. **لا تجرِّبوا الرب إلهكم** كما جرَّبتموه في مسَّة» (تث 6: 15و16). وهذه الآية هي التي استشهد بها الرب أثناء صومه المقدَّس عندما جاء الشيطان يجربه ليغريه بأن يجرب الرب! «**مكتوب أيضاً لا تجرِّب الرب إلهك**» (مت 4 : 7)! وتعني في حالة تجربة الشيطان أن يجبر المسيح الله على اتخاذ موقف بأن يلقي بنفسه من فوق الهيكل إلى أسفل وعلى الله أن يرسل ملاكه ليحمله حتى لا تصطدم بحجر رجله!! الخطورة هنا أننا نُلزم الله على أخذ موقف معيَّن! هذه تجربة لله. حنانيا وسفيرة اتفقا معاً على إخفاء جزء من الثمن عن عَيْنَي الله، معتقدَيْن أن الله لا يتحرك؛ فكأنما هما يجبران الله على أن لا يتحرك ويقتص: هذه تجربة روح الرب، وهي على مستوى التحدي! وهي شديدة الشبه من الذي عملته حواء حينما أغواها الشيطان وأوحى إليها أن تجرِّب الرب الإله بأن تأكل من الشجرة قائلاً لها: «لن تموتا» (تك 3 : 4). فمدت حواء يدها على بركة الشيطان واعتمدت على مشورته وأكلت باعتبار أن الله سيتراجع ولن يميتها، فكانت تجربة الله التي دفعت ـ هي وزوجها ونحن ـ ثمنها مُرّاً وعلقماً وأفسنتيناً حتى تدخَّل المسيح وشرب كأس المرّ والعلقم والإفسنتين كله ونجَّانا.

5 : 11 «**فصار خوفٌ عظيمٌ على جميع الكنيسةِ وعلى جميع الذين سَمِعُوا بذلك**».

هذا هو القصد، فالله قوة إيجابية فائقة. فكل مَنْ كان على صورة الله في الحق كان اقترابه من الله واقتراب الله منه نعمة لا تُحدُّ، يلازمها فرح وبهجة فائقة وحياة. وكُلُّ مَنْ كان على مستوى السالبية من الله فاقتراب الله منه يصعقه، فالله نارٌ آكلة تأكل المضادين فقط، أمَّا القريبون فتشعلهم ناراً من نار الله فيتقدسون ويضيئون كالجَلَدِ. والإنسان يشعر بروحه مدى قربه من الله ومدى بعده منه. أمَّا القرب فيعطيه دالة وأمَّا البعد فيملأه خوفاً.

هنا الكنيسة دخلت في حالة خوف لأن هذه الخطية بالذات كانت قد بدأت تسري في

الجماعة. لذلك يصرخ ق. بولس متململاً من المال ليقول: «لأن محبة المال أصلٌ لكل الشرور الذي إذ ابتغاه قومٌ ضلُّوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاعٍ كثيرةٍ.» (1تي 6:10)

«الكنيسة»: ™kklhs…an

الإكليسيا تُذكر هنا لأول مرة، والتي ذُكرت بعدها كثيراً، لتعبِّر عن الجماعة المسيحية. وقد اشتغل العلماء بالبحث في أصل الكلمة وأول مَنْ قالها فلم يصلوا إلى حل(117). ولكن إكليسيا هو اصطلاح جاء ضمن كثير من الاصطلاحات التي تعبِّر عن الكنيسة.

والأصل في اللغة الأرامية هو kenishta وهي كلمة تعبِّر عن مفهوم السيناجوج «sunagwg» فكنيسة أورشليم سميت أول ما سميت بكنيشتا الناصريين nazarene، وهي المقابل لسيناجوج اليهود أي المجمع الصغير الموجود في كل مدينة. والذي كان يُقال له كاهال qahal.

والكنيسة المسيحية تعتبر امتداداً للمجتمع أو الجماعة التي كانت ملتفة حول المسيح.

(117) Bruce, I, p. 136.

نشاط غير عادي للكنيسة ينتهي بالقبض على الرسل [16-12:5]

12:5و13 «وجَرَتْ على أيدِي الرَّسُلِ آياتٌ وعجائبُ كثيرةٌ في الشعبِ، وكان الجميعُ بنفسٍ واحدةٍ في رُواقِ سليمانَ. وأمَّا الآخرونَ فلم يكُن أحدٌ منهم يجسُرُ أن يلتصِقَ بهم، لكن كان الشعبُ يُعظّمهُم».

كان هذا وعد الله كما جاء في إنجيل مرقس 17:16 «وهذه الآيات تتبع المؤمنين» فهو تدخُّل مُباشر من الروح القدس للشهادة وليفتح باب الإيمان للمترددين. وكانت الآيات تُعطي الرسل القوة والشجاعة والمواظبة على الصلاة، فكانت إقامتهم طول النهار في رواق سليمان وكان يسع أعداداً هائلة من المؤمنين، وهكذا تجدَّدت أيام المسيح لأنه استخدم رواق سليمان مركزاً لنشاطه. وكان اللاويون ورؤساء الكهنة غالباً ما يكونون حاضرين مع الفريسيين تارة للحوار وتارة لتدبير خطط للإيقاع به. وكان كثيرون منهم يؤمنون، ولكنهم خوفاً من بطش السنهدريم كانوا يُخفون تأثُّرهم وإيمانهم، وكما يقول الكتاب: «لأنهم أحبوا مجد الناس أكثر من مجد الله.» (يو 43:12)

وهنا تكررت التجربة بالنسبة لهم، فكانوا حذرين جداً في حضورهم لسماع الرسل ولم يجسروا أن يلتصقوا بهم خوفاً من تجسُّس خدام الهيكل. ولكن بقية الشعب كانوا يتجمهرون حولهم سامعين مندهشين، تائبين طالبين العماد، ومُعلنين الإيمان. لأن بساطة الشعب فتحت لهم قلب الله. وبسبب كثرة الداخلين في الإيمان وكثرة الحضور في الهيكل (رواق سليمان) كان خدام الهيكل يخافون من الرسل لئلا يُرْجَموا بسببهم. وهذا بحد ذاته كان يحسُّه الشعب وكان يجعلهم أكثر شجاعة وشغفاً بالسماع والإيمان. لأن يد الله كانت تعمل في الرسل وفي الشعب بآن واحد. أمَّا بقية الشعب الحذر فكانوا يكنُّون الاحترام الشديد للرسل ويعظمونهم ولكن ليس علناً.

16-14:5 **«وكان مؤمنُونَ ينضمَّونَ للربِّ أكثرَ، جماهيرُ مِنْ رجَالٍ ونساءٍ. حتى إنهم كانوا يحملُونَ المرضَى خارجاً في الشَّوارع ويضعُونَهُم على فُرُشٍ وأسرَّةٍ حتى إذا جاءَ بُطرُس يُخيِّمُ ولو ظِلَّهُ على أحدٍ منهم. واجتمع جمهُورُ المُدُنِ المُحيطةِ إلى أُورشليمَ حاملينَ مرضى ومُعذَّبينَ من أرواحٍ نجسةٍ وكانوا يُبْرأون جميعهُم».**

كانت حركة الكنيسة نشطة بفاعلية الروح القدس فتحتم أن تظهر علاماتها، فكل الآيات ومعجزات الشفاء هي رد فعل التهاب النفوس بالروح القدس. الروح القدس لا يعمل بمفرده ولكن إذ يجد له في قلوب الرسل والمؤمنين مكاناً يبدأ بنشر فعله وتأثيره بواسطتهم. فالروح القدس عندما يحلُّ في هيكل إنسان يصير للإنسان مجالاً فعَّالاً سواء بلسانه أو يديه أو فكره أو حتى مجرد لمس جسده أو كما يقول هنا ظِلُّه. والظل بحد ذاته لا يشفي، ولكن هو المجال الروحي الفعَّال الذي يحمله بطرس أينما سار وأينما حلَّ. فمجال الإنسان الحامل للروح القدس والممتلئ منه يعمل من بُعد، فالشياطين كانت حيثما ترى المسيح من بُعد تصرخ وتخرج.

والمجال الروحي للإنسان الروحي لا يعمل أيضاً من تلقاء ذاته بل يلزم فتحه على الآخرين بالصلاة والنية والقلب المتضرع من أجل المرضى والمتعبين والصارخين من الهموم والأوجاع. وهنا يمكن للمجال الروحي أن يمتد ليس أمتاراً بل أميالاً فالروح لا يحده المكان ولا الزمان:

+ «فأجاب قائد المائة وقال: يا سيد لستُ مستحقاً أن تدخُلَ تحت سقفي. لكن **قُلْ كلمة فقط** فيبرأ غلامي لأني أنا أيضاً إنسان تحت سلطان، لي جند تحت يدي، أقول لهذا اذهب فيذهب ولآخر ائتِ فيأتي، ولعبدي افعل هذا فيفعل. فلمَّا سمع يسوع تعجَّب وقال للذين يتبعون: الحق أقول لكم لم أجد ولا في إسرائيل إيماناً بمقدار هذا. وأقول لكم إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب في ملكوت السموات وأمَّا بنو الملكوت فيُطرحون إلى الظلمة الخارجية، هناك يكون البكاءُ وصرير الأسنان. ثم قال يسوع لقائد المائة: اذهب وكما آمنت ليكن لك **فبرأ غلامه في تلك الساعة**» (مت 8: 8-13)**.** الذي ربما كان على بُعد أميال كثيرة.

ولا يفوت علينا هنا أن الشعب دخل في حالة إيمان كإيمان قائد المائة، وعلى هذا الإيمان وبانفتاح القلوب استطاع الروح القدس بواسطة ق. بطرس أن يُمارس سلطان المسيح

الفائق على الزمان والمكان.

كذلك لا يفوت علينا أيضاً أن الروح القدس إذا تواجد في مكان، فإن عمله ينفرش على

الموجودين بصورة جماعية مذهلة. ونحن لا ننسى جماعة أولاد الأنبياء الذين بينما هم سائرون قابلهم شاول بعد أن مسحه صموئيل فلمَّا سار معهم بدأ يتنبأ مثلهم حتى صار مثلاً: «أشاول أيضاً بين الأنبياء» (1صم 12:10). فيا لطوبى مَنْ جاور صاحب الطوبى ولسعيد هو مَنْ سار مع أولاد الله وعاش بقربهم.

لذلك لا نستغرب أيها الأحِبّة إن كانت الشوارع قد امتلأت مرضى بل امتلأت هتافاً وشكراً وتسبيحاً وشفاءً فهذا هو "عهد الرسل" و"إيمان الرسل" و"بركة الرسل" ثم أيضاً هذه هي "كنيسة الرسل" التي نلنا فيها نصيباً: «مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية.» (أف 20:2)

كذلك لا يفوت علينا مسألة ظلّ ق. بطرس التي سيأتي في مقابلها مآزر بولس!!

وبالاثنين تتغنّى الكنيسة المرتشدة بالروح:

[أمَّا بطرس وبولس هامتا الرسل فكان ظل أحدهما يشفي الأمراض وكانت مناديل وعصائب الآخر تُذهب الأمراض وتُخرج الأرواح الشريرة.]

(قسمة الرسل / الخولاجي المقدَّس)

الغيرة المرَّة تأكل صدر رئيس الكهنة ومَنْ معه وما أشبه اليوم بالبارحة

[21-17:5]

«لأنه عرف أن رؤساء الكهنة كانوا قد أسلموه **حسداً.**»

(مر 10:15)

17:5و18 **«فقامَ رئيسُ الكهنةِ وجميعُ الذينَ معهُ الذينَ هُمْ شيعةُ الصَّدُّوقيِّينَ وامتلأُوا غيرةً. فألقوا أيديهُمْ على الرسُلِ ووضعوهُم في حبسِ العامةِ».**

قضية معادة بكل ظروفها وملابساتها، الرسل يبشِّرون والمساكين يؤمنون والجماهير يتقاطرون على الهيكل ويمتلئ رواق سليمان والمرضى على السلالم وفي الشوارع والميادين يشفون ويهللون. منظر مؤلم غاية الألم لرئيس الكهنة وكبراء الهيكل وسَدَنَتِهِ (خدَّامِه) والقوَّامين على الدين اليهودي العالي المُعلَّى والخاصة المختارين من بين الشعوب! غصّة كانت في حلق حنانيا وقيافا وكل زمرتهم يواجهونها كل صباح وكل ساعة من ساعات النهار. والكأس التي أذابوا فيها المرارة للذي صلبوه التي ذاقها ولم يرد أن يشرب بدأوا هم يتجرَّعونها حتى الثمالة. وأخيراً عيل صبرهم فأعطوا الأوامر بالقبض عليهم. وبيَّتوا النية هذه المرة على ألاّ يفلتوا من أيديهم بتلفيقةٍ تؤدّى إلى الضرب، مع توصية ليؤدى الضرب إلى الوفاة وتُحسب قضاءً وقدراً. والرب سمع وكتب أمامه سفر تذكرة.

وبات الرسل في السجن وأمضوا نصفه في الصلاة، فحولوه إلى منسك.

21-19:5 **«ولكنَّ ملاكَ الربِّ في الليلِ فتحَ أبوابَ السجنِ وأخرجهُم وقال: اذهبوا قِفُوا وكلِّموا الشَّعبَ في الهيكلِ بجميع كلامِ هذه الحياةِ. فلمَّا سمعوا دخلُوا الهيكلَ نحوَ الصَّبح وجعلوا يُعلِّمونَ».**

أيها القارئ العزيز انتبه قليلاً! السماء مفتوحة والرب يسوع يراقب حركات كنيسته. لقد صدق ق. بولس الرسول تمام الصدق حينما ارتفع بتعليمه اللاهوتي إلى تحقيق أن الكنيسة

هي

جسد المسيح وهو الرأس فيها. ألم يخاطبه مُعاتباً حينما كان يضطهد المسيحيين فقال له لماذا تضطهدني؟ حبسوهم وما ظنوا أنهم حبسوا رئيس جند الرب وابن الله المحبوب والعزيز؟!

ودخلوا هم الحبس غير مصدّقين لأن كلمة الله لا تُقيَّد!!

وحينما جَنَّ الليل تحركت الملائكة، واختاروا ملاك الشرف الذي سيفكُّ أسْر الجسد!

وفي عتمة الليل فُتحت أبواب الظلمة ليخرج أبناء النور، ليكلّموا الشعب بكلام الحياة، وتركوا وراءهم السجن فارغاً والباب مغلقاً، كما سبق الرب وترك القبر فارغاً والحجر عليه بختومه.

هناك أُعلنت القيامة؛ وهنا بها يُبشّرون. والملائكة في كلتيهما يخدمون!

وأوصاهم أن يذهبوا إلى الهيكل نفسه وفيه يقيمون ويصلُّون ويخدمون ويبشرون بالحياة الجديدة ـ أي الخلاص ـ ولأول مرة يسترد فيها الهيكل سابق اعتباره: «بيتي بيت الصلاة يُدعى.» (مت 13:21)

هذه القصة، قصة السجن والمقطرة وملاك الليل والأبواب المفتوحة والمقبوض عليهم تقع من أيديهم السلاسل ومن أرجلهم المقاطر ويتمشون خارج السجن نحو منازلهم أصبحت تسلية الملائكة، التي تحمل في طياتها معنى القيامة التي قامها الرب ليعطي الإنسان الحرية من القيود والأسر مهما كان نوعه حتى ولو كان من الحديد أو الفولاذ!

المجمع والمشيخة
ضاعت هيبتهم وضلَّ المشيب
[26-21:5]

23-21:5 **«ثُمَّ جاءَ رئيسُ الكهنةِ والذين معه ودَعَوُا المجمعَ وكُلَّ مشيخةِ بني إسرائيلَ فأرسلوا إلى الحبسِ ليُؤتَى بهم. ولكنَّ الخُدَّامَ لمَّا جاءُوا لم يجدوهم في السجنِ فرجعوا وأخبروا قائلين إننا وجدنا الحبسَ مُغلقاً بكل حِرصٍ والحُرَّاسَ واقفينَ خارجاً أمامَ الأبوابِ ولكن لمَّا فتحنا لم نجد في الداخلِ أحداً».**

واضح أن الاضطراب الحادث بين المسئولين من اليهود بسبب نشاط الكنيسة والمعجزات التي كانت تحدث كل يوم كان قد بلغ الذروة. لذلك لمَّا عَزم رؤساء الكهنة محاكمة الرسل هذه المرة دعوا ليس المجمع أي السنهدريم برئيسه وأعضائه فقط بل كل مشيخة شعب إسرائيل مضافاً إليها طبعاً الفريسيين.

ولكن لمَّا التأم السنهدريم وكل المدعوين وأرسلوا يطلبون المقبوض عليهم كانت المفاجأة شديدة في الواقع حينما أخبر الخدام رؤساء الكهنة وبقية السنهدريم أن المحبوسين تركوا أماكنهم والسجن مغلق والحراس عليه واقفون والأختام والأبواب مقفلة بكل ضبط ولكن الرسل غير موجودين.

طبعاً دخلت هذه الحادثة العلنية ضمن المعجزات التي ضجَّت مضاجعهم ووضح أن الأمر لم يعد محتملاً، فالتحدي بدأ يظهر علانية بين الكنيسة والسنهدريم، بين أتباع المسيح المصلوب وبين الذين صلبوه، واستُظهرت الكنيسة بمعجزاتها في عين الشعب.

24:5و25 **«فلمَّا سمعَ الكاهنُ وقائدُ جُندِ الهيكلِ ورؤساءُ الكهنةِ هذهِ الأقوالَ ارتابُوا مِنْ جِهَتهم ما عسى أن يصيرَ هذا. ثُمَّ جاءَ واحدٌ وأخبرهُم قائلاً هُوذا الرجالُ الذين وضعتُمُوهُم في السجنِ هُمْ في الهيكلِ واقفينَ يعلِّمونَ الشعبَ».**

الأمر بدا في البداية خطيراً من جهة مدى صحة الحبس ومدى المسئولية التي على الحرَّاس ورئيس

جند الهيكل والكاهن المباشر المسئول عن ذلك. فواضح أن الخلل بدأ في ذهنهم من جهة صلاحية الحبس والسجن والسجَّان وليس المسجونين، وبدا أن هذا غير معقول بل ومحيِّر إلى درجة اليأس.

«ما عسى أن يصير هذا»:

أولاً ما هذا الذي حدث؟ لأنه أمر فائق عن التصوُّر أن يخرج المساجين من الحبس علناً دون فتح الأبواب، فهل اخترقوا الجدران؟ اخترقوا السقف؟ أليست لهم أجساد؟ أهم بشر؟ ثم وما بعد ذلك؟ ماذا سيصير بعد ذلك؟ أنبقى بلا حول ولا قوة تجاه هؤلاء القوم الذين تحدوا الهيكل والقانون والرئاسة والسجن. وهل نتركهم ليزدادوا، ونبقى نحن لنصغر أمامهم، ثم نصغر، وإلى أين؟

مزيد من الاستفسار وإنما على حذر

26:5 **«حينئذٍ مضى قائِدُ الجُندِ معَ الخُدَّامِ فأحضرهُم لا بعنفٍ لأنهم كانوا يخافون الشعبَ لئلاَّ يُرجمُوا».**

خافوا على أنفسهم من الشعب لئلاَّ يرجمهم إن هم أساءوا إلى الرسل.

ولم يخافوا لا على أنفسهم ولا على الشعب من تماديهم في مقاومة ذلك الذي قام من بين الأموات وظلُّوا يرفسون المناخس حتى تكسَّرت أقدامهم وتكسَّر الهيكل كله وأورشليم والأمة جميعاً. عجبي على أمة وصفها موسى الذي أسس قواعدها بقوله: «إنهم أُمَّةٌ عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم.» (تث 28:32)

ولكن ألا ترى معي، أيها القارئ العزيز، أن الشعب كان يزداد وعياً ونصحاً وتمييزاً وصار قوة مرعبة لرؤسائه؟ هذه هي المسيحية، إنها نور من الداخل: «أنا هو نور العالم» (يو 12:8)، «أنتم نور العالم» (مت 14:5)، «فليُضِئْ نوركم هكذا قدام الناس.» (مت 16:5)!

«دمه علينا وعلى أولادنا»
(مت 27:25)

27:5و28 «فلمَّا أحضروهُم أوقفوهم في المجمع فسألهم رئيسُ الكهنةِ قائلاً: أمَا أوصيناكم وصيَّة

أن لا تعلِّموا بهذا الاسم، وها أنتم قد ملأتم أُورشليم بتعاليمكُم وتريدون أن تجلِبُوا علينا دَمَ هذا الإنسان».

الذي يُدهش القارئ حقاً أن رئيس الكهنة لم يحاول قط أن يثير موضوع كيف خرجوا من السجن؟ وفي هذا رضوخ مهين للأمر الواقع بل وفيه أيضاً نوع من التبجُّح؛ إذ بعد أن ظهرت لديهم هذه القوة التي لم يُسمع بها قط إلاَّ في أيام الأنبياء العظام، ما زالوا يستمرون في إدانتهم ومراجعتهم على ما يقولون، مع أن أعمالهم تنطق بأكثر من أقوالهم. فخروجهم من السجن المغلق والمنضبط بالحراس والأختام دون أي أثر لفتحة في باب أو غيره هو هو صورة مصغَّرة للقيامة من بين الأموات.

هكذا وبنوع من التعامي يترك رئيس الكهنة كل ما حدث من معجزات وآيات وكل ما صار من جهة خروجهم من السجن والأبواب مغلقة، ويعود بعيداً إلى الماضي ليسائلهم عن وصية قالها ولم يُسمع له فيها أن لا يعلّموا «بالاسم» وكأنه اسم نكرة، مع أنه الاسم الذي له يسجد كل اسم ويتبارك. ولكن هي اليهودية التي ضاقت من اسم يسوع المسيح فلم تَعُدْ تطيق أن تنطقه، وحذرت بالموت كل مَنْ ينطقه. وهكذا، ودون أن يدروا، ودون أن يريدوا أعطوا الهيبة لاسم المسيح فلا ينطقونه كما كان لاسم يهوه في القديم(118). أمَّا نحن فأخذنا « ليتقدس اسمك» (مت 9:6) نقوله مائة مرة في اليوم ولا يكفي.

ولكن لننتبه معاً لأن مُساءَلة الرسل عن عدم أخذهم وتنفيذهم لوصية أوصى بها المجمع كهيئة منعقدة رسمياً يُعتبر إهانة رسمية يُعاقب عليها القانون. وهذا هو القصد الأساسي من البدء بها كاتهام أول. وهذا لم يَخْفَ عن ق. بطرس إذ بدأ دفاعه بالرد عليها كما سيجيء. وكان رده مُحكَماً شديد القوة والوطأة على المحكمة، جعلها تصمت.

«وها أنتم قد ملأتم أورشليم بتعليمكم»:

يا لفرحة الكنيسة حينما سمعت وحينما نسمع نحن أيضاً ذلك، مبارك هو اليوم الذي صار فيه اسم يسوع المسيح يملأ أُورشليم. إذاً، فقد تحقق قول الرب: «وتكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض» (أع 8:1). وإن شهادة رئيس الكهنة هذه لمدى انتشار تعليم الرسل باسم المسيح في أُورشليم ليعطينا شهادة صادقة، إذ هي صادرة عن أعداء، على نجاح الرسل في كرازتهم الأُولى.

---

(118) ارجع لكتاب المدخل لشرح إنجيل يوحنا صفحة 220 وما يليها.

«تجلبون علينا دم هذا الإنسان»:

هنا أيضاً يختبئ الهدف المباشر الذي يرمي إليه رئيس الكهنة، فهو اتهام خطير للغاية، لأن تعليمهم أن السنهدريم حكم بالموت خطأ وسفك دماً بريئاً هو يُعتبر لدى المحكمة نوعاً من تحريض الشعب بالثورة والهياج على السنهدريم لرجمه، لأن هذه هي عقوبة سفك دم بريء! هنا الخبث مبيَّت والاتهام واضح: **"تحريض على القتل"**.

لأن من السذاجة، لو يظن أحد أن رئيس الكهنة يتكلّم من جهة تعكير ضميره أو حتى استعداء الله عليه. فلا هو يفكر في ضميره ولا هو يفكر عن الله بل يفكر في نفسه وفي إمكانية ثورة الشعب بالفعل ضده لرجمه!! وهو يتخذ هذه النقطة ويُشَكّلُ منها إشكالاً. إنهم إذا كانوا يعملون لهذا فهم يُعتبرون لدى المحكمة مُحرِّضِين على القتل ويحلّ دمهم!

أمَّا حقيقة سفك «دم هذا الإنسان» الذي سُفك بالفعل، وهو دم بار وابن الله، فهذه دينونة عليهم حقاً وقانوناً، وهم يقعون تحت الحكم. ولكن «المسفوك دمه» نَطَق بالبراءة لهم وهو على الصليب، فما عادوا تحت حكم القتل، ولكن الحكم يطالهم فقط لأنهم لم يؤمنوا به:

+ «الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية. والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله.» (يو 36:3)
+ «لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالاً لم يعملها أحد غيري لم تكن لهم **خطية** وأمَّا الآن فقد رأوا وأبغضوني أنا وأبي.» (يو 24:15)

29:5 **«فأجابَ بُطرُس والرَّسُل وقالوا ينبغي أن يُطاعَ الله أكثر من الناس».**

هذا هو الرد المباشر المختصر للغاية على اتهام المحكمة لهم بأنهم لم ينفذوا قرار المحكمة السابق بعدم التعليم بهذا «الاسم» وهو رد خطير لأنه نَقضٌ علني ومقصود لصلاحية المحكمة ولصحة قراراتها لأن المحكمة تأمر بما لا يأمر به الله وكفى! فهذا وحده يُسقِطها، أو على الأقل يُلغي أحكامها. أمَّا الأدلة والأسانيد التي يعتمد عليها الرسل في إثبات أن أحكامها باطلة، فستُذكر في الآية القادمة، أن السنهدريم حكم بقتل يسوع المسيح والله أقامه من الأموات ناقضاً حكم الموت!

وبما أنهم يعلّمون بالاسم على أن صاحبه هو الذي أقامه الله من الأموات فهم إنما يطيعون ما عمله الله وبالتالي وحتماً وبالضرورة لا يطيعون السنهدريم الذي حكم بالموت،

لأنه حكم نقضه الله بأن أقامه من الأموات وأعطاه حياة.

القديس بطرس يشرح أدلة الدفاع
ويحاصر المحكمة فيوقعها في الاتهام بسفك دم بريء
[32-30:5]

32-30:5 «**إلهُ آبائِنا أقامَ يَسُوعَ الذي أنتُم قتلتُمُوه معلّقينَ إيَّاهُ على خشبةٍ. هذا رفَّعهُ الله بيمينهِ رئيساً ومُخلِّصاً ليعطي إسرائيلَ التوبة وغُفرانَ الخطايا. ونحن شهودٌ لهُ بهذهِ الأمورِ والروحُ القدسُ أيضاً الذي أعطاهُ الله للذين يطيعونَهُ**».

(أ) ابتدأ ق. بطرس بالقيامة التي يشهد لها ويخدمها والتي من أجلها هو يحاكَم الآن، فهي أساس القضية.

(ب) ولكنه حدَّد أول كل شيء أن الذي أقامه هو **إله آبائهم**، أي الإله الذي تنتمي إليه المحكمة وباسمه هي مجتمعة وباسمه تحكم، وبدونه لا وجود لها ولا ينبغي أن تُطاع.

(ج) حدَّد عملية القتل العَمْد أنها تمت بأيديهم وبمشورتهم وحدَّد القتلة أنها هي هي ذات المحكمة، برؤسائها وأعضائها، التي أمامه أو الذي هو أمامها. يحاكَم عن القيامة التي حدثت بعد أن «قتلتموه أنتم»

(د) حدَّد وسيلة القتل أنها تمت برفعه على خشبة أي أنهم احتسبوه ملعوناً، فهو ليس مجرد قتل بل قتل وتشهير وقطع من الانتماء لإسرائيل. فهو حُكم بسفك دم مع إصرار وإمعان في إضافة اللعنة والقطع.

(هـ) هذا الذي سفكوا دمه ولعنوه وقطعوه من إسرائيل:

1ـ أقامه الله ورفَّعه بيمينه أي بقوته الذاتية.

وبهذا يكون الله قد نقض حكم الموت وألغاه عملياً وجهاراً.

2ـ «رفَّعه ... رئيساً»:

أي رئيساً لشعب إسرائيل وبالتالي رئيساً على كل الجماعة وعلى كل مجمع ومحكمة. هنا تنتفي رئاستهم على الرسل.

3ـ «ومخلّصاً»:

هنا صار المسيح محامي إسرائيل كلها والمدافع عنها للخلاص من كافة الوجوه وبالأكثر خطايا كل إسرائيل وخطايا كل فرد في إسرائيل. وبالتالي يتحتَّم أن يكون هو مخلّص الرسل أي مخلّصنا نحن ومحامينا المدافع عنّا، وأنه قادر أن يخلّصنا من أيديكم لو أنتم أمْعَنْتم في احتساب كرازتنا بقيامته أنها خطيئة أمام المحكمة. هنا تنتفي كل عقوبة ويسقط كل حكم.

4ـ «ليعطي إسرائيل التوبة وغفران الخطايا»:

هنا رجعة سريعة واستدراك ذكي، أن المحكمة كلها فيما اقترفته من سفك دم بريء، دم يسوع المسيح، يمكن أن تدخل تحت التوبة وغفران الخطايا لو هي تراجعت عن موقفها السابق من قتل المسيح واعترفت بخطيتها لتُغْفَر لها. هنا إسقاط المحكمة من صلاحيتها هو على أساس القوانين اليهودية التي قامت على أساسها واجتمعت لتحكم بمقتضاها؛ وإعطاؤها فرصة الانتماء للرسل كمُعيَّنين من الله لأخذ اعترافهم وتوبتهم والانضواء تحت رئاستهم وتعليمهم عن القيامة من الأموات.

«ونحن شهود بهذه الأمور»:

أي نحن مُعيَّنون من قِبَلِ الله الذي أقامه، ومن المسيح الذي قام، لنشهد للقيامة وبالتالي نشهد ضد الذين قتلوه. فنحن شهود الله والمعيَّنون رسمياً من قِبَلِه لاتهامكم بالقتل، ولنقض حكم الموت الذي حكمتُم به.

«والروح القدس أيضاً الذي أعطاه الله للذين يطيعونه»:

وشهادة الروح القدس هي التي سمعتم ورأيتم عملها جهاراً بالآيات والمعجزات التي عملناها بواسطته، فهو أَجْرَى هذه المعجزات ليشهد لشهادتنا أنه قام حقاً وأن الموت الذي حكمتم به أنتم كان سفك دم بريء. فالمعجزات التي ترونها تدينُكم رسمياً أنكم سفكتم دماً بريئاً.

هذا هو ملخَّص دفاع ق. بطرس الذي نطقه الروح القدس في فمه والذي ينتهي ببراءة الرسل وإدانة المحكمة إدانة بائنة.

أسوأ قرار سرِّي يصدر من محكمة تحكم باسم الله

التخلَّص من المتهم (الرسل) بالقتل دون تحديد التهم أو صدور حيثيات الحكم
وقد لخَّصه وترجمه غمالائيل بأن هذا الحكم قد يكون بمثابة «محاربة الله»!!
وغمالائيل بهذا الفكر يكون قد فهم صحة دفاع ق. بطرس وبدأ يدافع عنه
[40-33:5]

40-33:5 «**فلمَّا سَمِعوا حَنِقُوا وجعلوا يتشاورُونَ أن يقتلوهُم.**
فقامَ في المجمع رجُلٌ فريِّسيٌّ اسمُه غَمَالاَئِيلُ معلِّمٌ للناموسِ مُكرَّمٌ عِنْدَ جميع الشعبِ وأمرَ أن يُخرَجَ الرَّسُلُ قليلاً.
ثمَّ قالَ لهم (وهل يا تُرى بولس "شاول" كان موجوداً بينهم في هذه الأثناء؟) **أيُّها الرجالُ الإسرائيليونَ احترزُوا لأنفُسِكُم مِنْ جهةِ هؤلاءِ الناسِ في ما أنتُم مُزمِعُونَ أن تفعَلُوا.**
لأنَّه قبل هذه الأيَّامِ قامَ ثوداسُ قائلاً عن نفسِهِ إنَّهُ شيءٌ. الذي التصق به عددٌ من الرجالِ نحو أربَعمِئَةٍ. الذي قُتِلَ وجميعُ الذينَ انقادُوا إليهِ تبدَّدُوا وصاروا لاشيءَ.
بعد هذا قامَ يهوذا الجليليُّ في أيام الاكتتابِ وأزاغَ وراءَهُ شعباً غفيراً. فذاك أيضاً هَلَكَ، وجميعُ الذينَ انقادوا إليهِ تشتَّتُوا.
والآن أقولُ لكم تنحَّوا عن هؤلاءِ الناسِ واتركُوهُم. لأنه إن كان هذا الرأيُ أو هذا العملُ مِنَ الناسِ فسوف يُنْتَقِضُ.
وإن كان مِنَ اللهِ فلا تَقدِرُونَ أن تنقُضُوهُ. لئَلاَّ تُوجَدُوا مُحَاربينَ لله أيضاً.
فانقادُوا إليهِ ودَعَوا الرسلَ وجلدُوهُم وأوصَوْهُمْ أن لا يتكلَّمُوا باسم يسوعَ ثُمَّ أطلقُوهُم».

«حَنِقُوا»: diepr…onto

كلمة يونانية ذات معنى يصوِّر الحانق وكأنه نُشر أو صُدع من النصف[119].

وهذه تكشف عن أن دفاع ق. بطرس كان له وقع الصاعقة على نفوسهم، ويشرح ذلك العالِم

(119) Meyer *op. cit.* p. 115.

ماير أنه (تعبير وصفي يشبه ما جاء سابقاً في الآية (37:2) «فلمَّا سمعوا نُخسوا في قلوبهم وقالوا لبطرس ولسائر الرسل ماذا نصنع أيها الرجال الإخوة» ويفيد حتى انصداع القلب، بمعنى سريان الألم بسبب الحنق حتى ينفلق القلب).

وبدأوا المشاورة. وواضح أنهم استغاثوا بالفريسيين وهم القسم صاحب المشورة العلمية المبني على دقة دراسة التوراة بأحكامها طارحين عليهم فكرة القتل، طبعاً رَجْماً.

«غمالائيل»:

المدعوُّ "رابان" كمعلّم معلمين وبالعربية **"معلمنا"** المشهور في دقة دراسة التوراة. وهو الابن الأكبر لهليل الكبير، ومعلّم ق. بولس (أع 3:22) حسب قوله: «أنا رجل يهودي وُلِدت في طرسوس كيليكية ولكن ربيت في هذه المدينة مؤدَّباً عند رجلي غمالائيل على تحقيق الناموس الأبوي وكنت غيوراً لله كما أنتم جميعكم اليوم» فهو كبير معلمي الناموس، وممثل الفكر الفريسي كحائز على دكتوراه في القانون اليهودي. وقد شاع في التقليد المسيحي أنه آمن بالمسيح مع نيقوديموس ومع ابنه على يديِّ بطرس ويوحنا، وأنه كان مسيحياً في الخفاء، ولكن لا يوجد ما يؤكد ذلك تاريخياً[120].

أمَّا **«الفريسيون»:** Farisa‹oi[121] بالعبرية perushim وتعني المُفْرَزين أي الذين أفرزوا أنفسهم عن الذين لا يدققون في (جمارات) الناموس. ومعروف أنهم منحدرون من جماعة الحسيديم hasidim = ¡sida‹oi (1مكابيين 2 : 42) «وانضمت إليهم جماعة الحَسيديم المشهورين بشدَّة البأس في بني إسرائيل، وبولائهم للشريعة» وهم جماعة الذين وهبوا أنفسهم لدراسة التوراة وشرحها وكل المكتوب والشفاهي من الناموس في مقاومة ومعارضة اليهود الذين بدخولهم الهللينية بدأوا يتحللون من التقليد. وكان ذلك من صنع أنطيوخس الرابع في محاولته لمحو الديانة اليهودية. وفي البداية وضعوا أيديهم مع الحشمونيين hasmoneans وهم الأسرة التي نشأت منها عائلات المكابيين بعد ذلك. ولكن لمَّا تجبر الحشمونيون وكوَّنوا لأنفسهم جيشاً مدنياً واشتغلوا بالسياسة واستولوا على رئاسة الكهنوت بصورة دائمة انفصلوا عنهم ونشأت بينهم عداوة ظلت قائمة حتى النهاية، وهي العداوة والتحدي بين الفريسيين وبين كل رؤساء الكهنة وأتباعهم والصدوقيين.

---

[120] Ibid.

[121] Bruce, II p. 123.

ولمَّا قويت شوكة الفريسيين دخلوا في سياسة الدولة كعنصر فعَّال وذلك لفترة قصيرة

76) -

67) ق.م أيام الملكة سالومة ألكسندرة. وقد ازدادت قوتهم جداً في القرن الأول المسيحي وكان عددهم ستة آلاف فرِّيسي. وقد كان لهم تنظيم قوي يسمَّى بـ"الإخوان" الفريسيين وتسمَّى بالعبرية haburath حبورات. وكان تأثيرهم على الشعب كبيراً للغاية. وقد خرج منهم فرق الكتبة وهم شارحو الناموس للعامة من الشعب. وأعظم فريسيَّينْ ظهرا في العصر المسيحي كانا هلليل وشمّاي. وقد علا شأنهم جداً في أيام حكم هيرودس، وبعد سقوط أورشليم واندثار الهيكل سنة 70م استطاع الفريسيون أن يحتملوا الصدمة المريعة وبالأخص مدرسة هلليل Hillel، ونجحوا في الاستمرار بالزحف التاريخي للأمة المهيضة الجناح.

ومع أن عدد الفريسيين في السنهدريم كان دائماً أقل من الصدوقيين ورؤساء الكهنة، ولكن كان يُهاب جانبهم وكانوا أصحاب الصوت العالي والذي ينبغي أن يُسمع. بل كان العُرف السائد في مناقشة الأمور في السنهدريم أنه من غير المقبول بل وخارجاً عن الأدب أن يعترض الصدوقي أي رأي للفريسي(122)، هذا بتقرير يوسيفوس المؤرِّخ.

بهذا نفهم كيف أشار غمالائيل على المحكمة بإخراج المتهمين فسُمع له في الحال، لكي يستطيع أن يُسِرّ إلى المجتمعين برأيه الشخصي الذي يخالف رأيهم كلية، هم يطالبون بالقتل وهو يطلب لهم البراءة، ثم التنحي نهائياً عن جماعة الرسل!!

«ثوداس ويهوذا الجليلي»:

في الحقيقة تتعدد الروايات بشأن هذين الاثنين. ولكن الرواية عن يهوذا هذا كانت تتعلّق بدفع الجزية، إذ قام ينادي بالامتناع عن دفعها، فسحقه الرومان هو وأتباعه. ولكن ورث جماعة الغيورين تعليمه، وجعلوا من قضية دفع الجزية إحدى محاولات الإيقاع بالمسيح. (مر 12:13-17). ولكن الفخ انكسر، وخسر اليهود الرهان، وأُخذت نفوسهم، وأُحرق هيكلهم وهلكت أمتهم عِوَض الجزية التي وقفت في حلقهم حتى أودت بهم إلى الهلاك.

نصيحة غمالائيل تكشف عن إفلاس
المجمع والمشيخة في معرفة ما هو لله!!
والتفريق بين فكر الله وفكر الناس

---

(122) Joseph. *Ant.* XVIII 1. 4.

وعمل الله وعمل الناس، هذه مَسَبَّة في
حق أكبر هيئة عالمة متعلّمة في إسرائيل

«والآن أقول لكم تنحَّوا عن هؤلاء الناس واتركوهم»:

ولأول وهلة تبدو نصيحة كبير حكماء إسرائيل أنها تنم عن حكمة وعن فهم وعدالة، وهكذا انغشَّ رأي غمالائيل وكل فكر العلماء والمفسرين، باعتبار أن قضية الرسل ليست مطروحة أمام رأي جماعة سائرة في الشارع أو مجتمعين في نادٍ ليقولوا ما يقولون والأمور تسير كما هي والأيام والليالي تبقى كما بقيت في هناء وسرور. ولكن القضية ليست قضية أُناس قبض عليهم يتحدثون في شئون خاصة أو حتى عامة، حتى يُفتي الحكيم غمالائيل بأن اتركوهم وتنحَّوا عنهم والأيام تحكم وتُظهِر.

القضية قضية أُمة إسرائيل التي جلس على قمتها رؤساء سُدَّت آذانهم عن سماع كلمة الحق المرسلة لهم من الله وعميت أبصارهم عن رؤية مسيَّا الدهور الآتي لخلاص الأمة وإنقاذها وإنارتها ورفعها إلى المجد: «نورَ إعلان للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل» (لو 32:2). ضربوا بكل آياته ومعجزاته وأعماله الناطقة بالألوهية عرض الحائط. فحكموا عليه "**كخاطئ**" (يو 24:9) وهو غافر الخطايا؛ و"**كاسر الناموس**" (يو 16:9) وهو مكمِّله الوحيد؛ "**والمدَّعي بهدم الهيكل**" (مت 40:27) وهم الذين هدموه على رؤوسهم بحماقتهم؛ و"**كفاعل شر**" (يو 30:18) وهو الفاعل الخير الذي شفى مرضاهم وحمل أوجاعهم وأقام موتاهم من القبور. إن أية مطابقة لسيرة المسيح على بنود الاتهام التي تقدموا بها لصلبه واستُجيبت لهم كفيلة بأن تضعهم في موضع القتلة وسافكي الدم البريء.

لماذا لم يراجع هذا الحكيم حكمهم السابق على المسيح من واقع سيرة المسيح قبل الصليب وبعده!! نحن لا نُسرُّ بأنه تسبب في تنحية الرسل، وبالتالي انعتاقهم من الرجم، فهم إن كانوا لم يُرجموا فالسيف كان في انتظارهم. فلا الموت أخافهم ولا البراءة أفرحتهم. ولكن هذا الحكيم ضيَّع الفرصة على السنهدريم ليراجع نفسه في حق الرسل أولاً وبعد ذلك في حق المسيح. فإن كان قد أعطى غمالائيل فرصة للرسل ليعيشوا مضروبين، فقد ضيَّع الخلاص على الأمة كلها لتموت في ضلالها.

أيَّة مشورة مشئومة هذه التي تضيِّع على المحكمة معرفة هل هي على حق أو على باطل في الحال، هل هي تخضع لله حقاً ونواميسه أم أنها خضعت للحقد والكذب والباطل وتدبير القتل وسفك الدم البريء؟

هل يمكن بل هل يُعقل أن تُعطى مشورة للمحكمة وترضى بها أن تأخذ مهلة عدة سنين

لتتحقق من سيرة المتهمين ما إذا كانوا تبع الله أم تبع الناس؟ هل هذه حكمة إسرائيل ومشورة

حكمائها لآخر الزمان؟ وما الذي أسفرت عنه مشورة غمالائيل؟ هلاك الأمة كلها، وهدم الهيكل وأورشليم، وتبدُّد شعب إسرائيل على وجه الأرض.

والسؤال هو: إن كنتَ يا غمالائيل ترى في قتل الرسل عملاً يحمل في طياته إمكانية أن يكون حرباً ضد الله نفسه، فلماذا لم تعمل حساب هذا الفرض لئلا يكون هو الحق والواقع وتصبح أنت والمجمع والأمة كلها محاربين لله؟ ثم ماذا عملت بعد أن تحققت أنهم لم يزولوا من على وجه الأرض ولا هلكوا ولا تبددوا كثوداس ويهوذا؟ وقد رأيتَ معجزاتهم وآياتهم وسمعت عظاتهم ورأيت جماهير الشعب يؤمنون بهم وبمخلّصهم كل يوم ألوفاً وربوات؟!

لقد تعرَّت إسرائيل بمشورتك، وأهلكتَ الأمة بحكمتك!

ماذا لو كان غمالائيل قد وقف بكل ثقله وأقنع جماعته فحبسوا على أنفسهم وعلى الكهنة ومَنْ معهم في الهيكل وظلوا يتصارعون لمعرفة أين الحق وأين الباطل، ولو مات منهم مَنْ مات؟ وبالنهاية حتماً سيبرز الحق وتعلو كلمة الله ويعيش ويتوب الكل وتأتيه النجاة من فوق.

لقد ضيَّع غمالائيل بحكمته آخر فرصة لخلاص إسرائيل.

وقد رأى العلماء الذين قالوا إنه طرح مشورته بسبب عدائه للصدوقيين ليبرز هو فوق هاماتهم[123]. وصح منهم مَنْ قال بل عن تكبُّر واعتداد بالذات ومناصرة لمملكة الظلمة قال حكمته ليخضع له المجمع كله[124] ولتصبح كلمته هي النافذة وقد كانت. أمَّا نحن فنقول إن حكمته صاغت المشورة الأخيرة لتضليل إسرائيل:

+ «ولكن احذروا من الناس لأنهم سيسلمونكم إلى مجالس وفي مجامعهم يجلدونكم.» (مت 17:10)

«فانقادوا إليه ودعوا الرسل وجلدوهم وأوصوهم أن لا يتكلّموا باسم يسوع ثم أطلقوهم»:

لقد ربح الشيطان الرهان وأعمى عيون القضاة عن إعادة فحص القضية على أساس بصيص النور الذي فلت من شفتي حكيم إسرائيل دون أن يدري: «لئلاً توجَدُوا محاربين لله أيضاً» (أع 39:5). يقيناً كانوا يشعرون بأنهم يحاربون الحق، يحاربون الخير والرحمة والشفاء والفرح والرجاء الذي عمَّ الشعب، يحاربون الخلاص الذي انضم إليه جماهير من

(123) Pearson: (Lectt. p. 49) cited by Meyer. p. 115.

(124) Schrader, II p. 63. cited by Meyer. p. 115.

بني جِلْدَتهم. ولكن نفثة الشيطان السالبية التي ملأ بها صدورهم وظل يضغط بها عليهم حتى صلبوا المسيح لم تغادرهم حتى اليوم

وهي تعمل بالقصور الذاتي في كل تصرفاتهم: «هذه ساعتكم وسلطان الظلمة» (لو 53:22). لا الساعة انتهت ولا سلطان الظلمة فارق، إلى أن يأتي النور الحقيقي مرة أخرى، وليته لا يتأخر! نعم تعالَ سريعاً أيها الرب يسوع!

«وجلدوهم وأوصوهم»:

أمَّا الجلد فهو ضريبة الخلاص والمناداة به ويا لِنِعمَ الضريبة ويا لمجد الخلاص المتحصل بالضرب. أمَّا الوصية، فهذا محال إن لم أذكر القيامة قبل كل ذِكر فليلتصق لساني بحنكي وإن لم أهتف وأعمل للخلاص فلتُشلّ يداي وتُنسَ يميني.

«الآن أفرح في آلامي.»
(كولوسي 24:1)

41:5 **«وأمَّا هُمْ فذهبُوا فرحينَ مِنْ أمامِ المجمع لأنهُم حُسِبُوا مُستَأهِلِينَ أن يُهانوا مِنْ أجْلِ اسمهِ».**

كانوا يُضْرَبون 39 جلدة على الظهر بأقصى قوة الجلاّد. وكان لابد أن يرى الدم يسيل حتى يطمئن أن الضرب على المستوى الصحيح. يقول العلماء إنها عقوبة عدم طاعة المحكمة، ونقول نحن إنها عقوبة عدم طاعة الشيطان التي يستحيل أن يفلت منها الساعي نحو الخلاص أو الشاهد له.

كان الجلد على الظهر عارياً تماماً، كان في ذلك مهانة للرجل، يحزن لها الضمير ويكتئب، إلاَّ الرسل فقد اعتبروا الضرب حتى الدم جزءاً من المعمودية التي يموتونها كل يوم: «من أجلك نُمات كل النهار» (رو 36:8). أليس أنهم يشهدون للقيامة؟ إذاً يلزم أن يذوقوا الموت. لقد احتسبوها منّة من الله ونعمة أن يعتبرهم أهلاً أن يهانوا من أجل اسمه، لا من أجل المجد المُعدّ حتماً لكل مَنْ اشترك في آلامه، بل من أجل تذوُّق آلام المسيح نفسها وبحد ذاتها. لقد ضُرب على ظهره من أجلي فهل يُسمح لي أنا المهان في نفسي وخطيتي أن أُضرب على ظهري من أجله؟ إنه تكريم لا يليق ببني الموت، وأية كرامة عظيمة هذه أن يُهان الإنسان من أجل رب المجد!! وأن يذوق الألم مراراً وتكراراً 39 مرة من أجل رب الحياة وعلى اسمه لتُحسب له كل ضربة شهادة وشركة جديدة في آلامه المجيدة.

إن الفرح الذي فرحوه كان هو العائد السريع من وراء تعويض الألم بالمجد، فتحوَّل

الألم مضاعفاً إلى فرح. أنْ يكرم الله الإنسان بأن يرسله أمامه ليشهد له ويتألم لحسابه فهذه درجة أعلى

من درجة الآدمية بل أعلى من الملائكية. إنها درجة الابن نفسه؛ والشرب من ذات الكأس الذي أعطاه أبوه هو بمثابة الدخول رسمياً في خطة الخلاص كشريك!!

+ «أطلب إلى الشيوخ الذين بينكم أنا الشيخ رفيقهم والشاهد لآلام المسيح وشريك المجد العتيد أن يُعلن.» (1بط 5:1)

الكنيسة تستمد من آلامها قوة لامتدادها

42:5 **«وكانوا لا يزالونَ كلَّ يومٍ في الهيكلِ وفي البيوتِ معلِّمينَ ومبشرينَ بيسُوعَ المسيح».**

لقد تحوَّلت الآلام لهم إلى أفراح ولكن هذا هو الفرح الوحيد الذي يمكن أن يُسمَّى "فرح الله" كما تقول الآية: «فرح الرب هو قوتكم» (نح 10:8). وهكذا استمدوا القوة لمزيد من المواظبة للصلاة والخدمة والكرازة في الهيكل وفي البيوت، حيث خُصِّصت البيوت للعماد والشركة.

ولقد انتبه الرسل منذ البداية بجمع التعاليم أولاً التي من فم المسيح والتي دخلت التقليد المكتوب كأناجيل والبقية ظلت تُنقل بالتلقين، خاصة كل ما يخص أسرار الروح القدس وأعماله فهذه أُطلق عليها "التعاليم السرية Disciplina arcani ديسبلينا أركاني"[125] فكانت لا تسلَّم إلاَّ للذين يُعيَّنون للخدمة. أمَّا بقية التقليد الشفاهي فهو كل ما كان يختص بشرح أقوال الرب.

كذلك كانت تستجد قضايا يطرحها الشعب على الرسل للبتِّ فيها، أو يطرحها الرسل على الشعب للالتزام بمقتضاها، فهذه كانت تُسمَّى "الأحكام الرسولية". وهذا كله دخل كُتب التعاليم الرسولية كالديداخي وغيرها[126].

الأصحاحان
السادس والسابع

(125) انظر كتاب: "التقليد وأهميته في الإيمان المسيحي" صفحة 58.

(126) انظر كتاب: "التقليد وأهميته في الإيمان المسيحي" صفحة 36و37.

شهادة القديس استفانوس واستشهاده

- الإنهاء على التآخي المصطنع بين الكنيسة والهيكل (ص 1ـ 5).
- وبدء عاصفة اضطهاد تؤدي إلى امتداد الكنيسة خارج أورشليم ووصولها إلى أنطاكية (ص 8-12).

مقدِّمة

نلمح علاقة ثابتة بين الاضطهاد وبين ازدهار الكنيسة وامتدادها بعكس المنظور
فكري. فبمجرد أن انتبه السنهدريم للكنيسة وبدأ في مقاومتها، وبدأ بالتهديد، خرج
تلاميذ حاملين في قلوبهم نية رفع القضية إلى الله بصلاة حارة زعزعت المكان،
أرسل الله لهم قوة مجدِّدة من الروح عبروا بها التهديد، فجاهروا أكثر ومن داخل
هيكل بالبشارة بالقيامة والإصرار في التعليم داخل هيكل سليمان.

وبعد أن قُبِضَ عليهم، جُلِدوا هذه المرة. فخرجوا فرحين وباشروا نشاطهم
الأكثر، ونمت الكنيسة بصورة مُلفتة للنظر. وهكذا صارت متوالية روحية ثابتة،
رازة فاضطهاد فملء من الروح القدس ومزيد من النشاط والمعجزات فاضطهاد
هكذا.

وهذا النموذج المتكرر يوضِّح أن الكنيسة تسير بتدبير إلهي يقظ وتستجيب
موحيات النعمة ولا تبالي بالصعوبات والضيقات.

كذلك في الأصحاحين القادمين نرى ارتفاعاً حادًّا في الاضطهاد، ولكن يواكبه
رتفاع أشدّ في انتشار الكنيسة ونموِّها وخروجها من قوقعة أورشليم لتملأ النواحي
محيطة، وسنرى كيف أنه من الواضح أن عوامل الاضطهاد بعد أن تبلغ أعنف
ارها تعود وتخبو ويخرج من رمادها عوامل النشاط والانتشار بصورة إعجازية
لفتة للنظر. فعندما دخلت الكنيسة بقيادة الشماس استفانوس أقوى مواقف التحدِّي
ضد المضطهدين وسقط هذا الكارز المكرَّم والفذّ شهيداً تحت أرجلهم، خرج من

مضطهدين أنفسهم أقوى مَنْ فيهم لينضم إلى الكنيسة بصورة تَحدٍّ للسنهدريم
اليهود كافة لم يروا له مثيلاً قط. وبقدر ما ضُربت الكنيسة في أقوى شمامستها
بدا أن حصارها قد أُحكم إغلاقه، بقدر ما انكسر طوقها الحديدي وخرجت تبشِّر
ي كافة المناطق المحيطة، اليهودية والسامرة، وبعدها خرجت من دائرة البلاد لتبلغ
برص وأنطاكية. وعِوَضَ الشماس الذي فقدته الكنيسة استعاضت عنه برسول،
أي رسول؟ رسول اختارته السماء فانفتح للكنيسة باب في السماء ترى منه الرب
فسه بوجهه الأكثر إشراقاً من الشمس، وتسمع صوته وكلمات من شفتيه وتأخذ
دبيرها رأساً منه، ويعيِّن هو لها حركتها من شفتيه.

من كل هذا نفهم قوة وعمق التعبير الذي اكتشفه بولس الرسول في نفسه وفي رسل الكنيسة كلها بل والمؤمنين: «لا يتزعزع أحد في هذه الضيقات فإنكم أنتم تعلمون أننا موضوعون لهذا» (1تس 3:3) ليس فقط أن الضيقات تناسبنا، بل وأيضاً نحن نناسبها، ولا هي موضوعة لنا نحن فقط للفائدة، بل ونحن موضوعون لها لمزيد من الفائدة.

فالعلاقة بين الاضطهاد والخلاص علاقة حتمية حتَّم بها المسيح أولاً في نفسه، وبعدها لنا بسرّ يفوق طاقة قدراتنا التمييزية:

+ «إنه بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله.» (أع 22:14)

+ «في العالم سيكون لكم ضيق.» (يو 33:16)

+ «إن كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم.» (يو 20:15)

+ «إن كانوا بالعود الرطب يفعلون هذا فماذا يكون باليابس.» (لو 31:23)

وأراد بولس الرسول أن يُفَلسفها فقال: «أن الضيق يُنشئ صبراً والصبر تزكية، والتزكية رجاء، والرجاء لا يُخزي» (رو 3:5-5). ولكن الفلسفة الحقيقية ليست بتحليلها فكرياً بل بتذوُّقها عملياً.

اسمع: «أمَّا هم فذهبوا فرحين من أمام المجمع لأنهم حُسبوا مستأهلين أن يُهانوا من أجل اسمه» (أع 41:5)، فخرجوا يبشِّرون بالفرح: «فرحين في الرجاء، صابرين في الضيق.» (رو 12:12)

وهذا يكشف لنا عن معادلة إلهية وضعها الله سرًّا دون أن ننتبه إليها، وهي أن كل مَنْ يتألم أو يتضايق أو يُهان من أجل الإيمان باسم ابن الله يحصل في الحال وبيد

ملاك على وسام الحب الإلهي، يوضع على قلبه. لأن الآب يحب الابن وبالتالي يحب كل مَنْ يُحبُّه: «لأن الآب نفسه يحبكم لأنكم قد أحببتموني وآمنتم أني من عند الله خرجت» (يو 27:16). إذاً، فالفرح في الاضطهاد من أجل الإيمان بيسوع المسيح ابن الله هو فرح الحب الإلهي المجاني، لأن أتعاب وآلام الجسد والنفس لا توازن أثقال أمجاد الحب الإلهي.

من أجل هذا كانت الكنيسة تنمو في الاضطهاد وتزدهر بالحب الإلهي معاً.

الأصحاح السادس

(6: 1 ـ 6) تعيين الشمامسة السبعة.

(6: 8ـ15) شهادة استفانوس تثير عاصفة من المقاومة.

تعيين الشمامسة السبعة
[6-1 :6]

1:6 **«وفي تِلكَ الأيامِ إذ تكاثرَ التلاميذُ حَدَثَ تذمَّرٌ مِنَ اليونـانيينَ على العبرانيينَ أن أرامِلَهُم كُنَّ يُغفَلُ عَنـهُنَّ في الخدمةِ اليوميةِ».**

«وفي تلك الأيام»:

يقصد بها الآية السابقة التي تقول إنهم «**كانوا لا يزالون في الهيكل ...**»، وهذا هو الحد الفاصل بين تلك الأيام والأيام القادمة التي طُردوا فيها من الهيكل وتشتتوا في البلاد المحيطة «ما عدا الرسل» (1:8)، لا كأنهم بقوا في الهيكل كمركز خدمة، ولكنهم تمركزوا في أورشليم ولكن في غير الهيكل.

«تكاثر التلاميذ»:

هنا نواجه هذا الاسم "التلاميذ" الذي كان وَقفاً على الرسل الملازمين للمسيح سواء الاثني عشر أو السبعين وذلك فيما قبل الصعود. وهنا بدأ القديس لوقا يستخدمه للتعبير عن كل مَنْ انضم للمسيح وبدأ يخدم اسمه مع الرسل. والمهم أن الكنيسة بدأت تدخل في عصر الازدحام وبالتالي صعوبات الرعاية.

«اليونانيين»: `Ellhnistîn

هذا الوصف يرد هنا لأول مرة في كتابات العهد الجديد، وتحديد معناها يتحدد بما جاء في مقابلها وهي **العبرانيين** `Ebra…ouj. أمَّا اليونانيون هؤلاء فهم المؤمنون اليهود الذين يتكلّمون باليونانية اضطراراً بسبب طول حياتهم لأجيال كثيرة وسط البلاد اليونانية، ولكن قد يكون منهم أمميون يونانيون قبلوا الإيمان المسيحي يوم الخمسين[127]. كما قد يكون منهم **دخلاء** أي أمميون تهوَّدوا ثم تنصَّروا مثل الذي ذكرهم ق. لوقا على وجه الخصوص: «ونيقولاوس **دخيلاً** أنطاكياً.» (أع 6 : 5)

---

(127) Bruce, I, p. 151.

«على العبرانيين»:

هنا العبرانيون جنس وربما كانوا يتكلّمون العبرية الأصيلة (اللغة المقدَّسة)، وهؤلاء يمثلون نسبة قليلة للمتضلعين فيهم في القراءة والدراسة في التوراة وفي الخدمة الهيكلية، أو قد يكونون قد تحولوا إلى الأرامية وهي منحدرة من العبرانية وأقل صعوبة، ويستخدمها عامة الشعب. وكان الذي يتكلّم العبرانية يُحسب يهودياً أصيلاً (توراتياً) أي عالماً متعلّماً. وق. بولس كان يتكلّمها ويجيدها بطلاقة:

+ «فلمَّا سمعوا أنه ينادي لهم باللغة العبرانية أعطوا سكوتاً أحرى (خشية واحتراماً للغة المقدسة).» (أع 22 : 2)

نفهم من هذا أن الكنيسة في أورشليم كانت تشمل يهوداً يتكلّمون العبرانية أو الأرامية، ويهوداً يتكلّمون اليونانية فقط. وهذا بحد ذاته يُنشئ فُرْقة اجتماعية حتمية، لأن المسألة ليست لغة فحسب، بل يكمن وراءها ثقافة وعادات وطباع وسلوك. وواضح جداً أن اليونانيين كانوا إلى حد ما يحسون **بالتفوق المدني الثقافي**؛ وأمَّا العبرانيون فكانوا يحسون بالتفوق الوطني الديني. كما أن العبرانيين كانوا في أغلب الأحوال أصحاب أعمال ومهن وأراضٍ وبيوت ورؤوس أموال، أي أغنياء إلى حدٍّ ما، أمَّا اليونانيون فغالباً كانوا نازحين من الشتات وتخلفوا في أورشليم بعد قبولهم الإيمان المسيحي، أي غرباء في بلادهم مما كان يحزُّ في نفوسهم.

وبما أن القائمين على الخدمة كانوا في أغلب الأحوال عبرانيين، فمن هنا بدأت المفارقة في الخدمة اليومية المُعبَّر عنها بالدياكونية ـ ولم يكن قد تحدد معنى ووظيفة الذياكون كنسيًّا حينذاك ـ وهنا تأتي بمعنى توزيع المخصصات من أموال وأطعمة وملابس وكل أعواز الحياة. ووضحت هذه المفارقة أو التمايز في الخدمة بين فئة الأرامل بنوع خصوصي، إذ ليس من يطالب ولا مَنْ يدافع عنهنَّ، فعلِيَ الصراخ وبدأ التذمُّر. علماً بأن الناموس والنظام اليهودي يعتنيان بالأرامل والأيتام وكان لهم اكتتاب خاص تُسجَّل فيه أسماؤهم وأحوالهم ومخصصاتهم التي تؤخذ من الخزانة الهيكلية.

أمَّا الكنيسة الفتية فقد فاتها منذ البدء هذا الأمر مع إنَّهنَّ كوَّنَّ رابطة خاصة بينهنَّ للمناداة برفع الظلم وربما للخدمة العامة كما نسمع عن ذلك في أرامل يافا (أع 9 : 41). هذا في الوقت الذي نرى فيه بولس الرسول لم يَغِبْ عن باله هذا الأمر إذ طالب تيموثاوس

في أصحاح خصصه لشرح كيفية الاعتناء بهنَّ ودراسة أحوالهن، ووَضَعَ شروطاً روحية حتمية حتى يمكن أن تُكتتب الأرملة

في سجل الكنيسة للصرف عليهن وخدمتهن.

ولمَّا بلغت الشكوى إلى الرسل، وطبعاً أجروا التحقيق ووجدوا ذلك صحيحاً ابتدأت الكنيسة تنتبه إلى ضرورة تنظيم الخدمة على أساس إعادة النظر في هيئة الخدَّام الذين ظهر الخلل من خلالهم.

4-2:6 «**فدَعَا الاثنا عَشَرَ جُمهُورَ التلاميذِ وقالوا لا يُرضِي أنْ نترُكَ نحنُ كلمة الله ونخدُمَ موائِدَ. فانتَخِبُوا أيَّها الإخوةُ سبعة رجالٍ منكُمْ مشهُوداً لهم ومملُوئينَ من الروح القُدُسِ وحِكمةٍ فنُقِيَمُهم على هذهِ الحاجَةِ. وأمَّا نحنُ فنُواظِبُ على الصلاة وخِدمةِ الكلمَةِ**».

«**لا يُرضِي**»: oÙk ¢restÒn

لاتيني = non placet

والكلمة اليونانية مشتقة من الفعل ¢ršskw وتعني يَسُرُّ to please. لذلك فهي تعني أكثر من عدم الرضى، بل عدم المسرة، أو في الحقيقة "ليس حسناً".

«**نخدم موائد**»: diakone‹n trapšzaij

ليس القصد منها خدمة مائدة بل أكثر، فهي تعني كل المهام المالية، كيف تُجمَع وكيف توزَّع وكيف تُخصَّص للأكل واللبس وكل شئون الحياة، طالما مالية الكنيسة أصبحت مشتركة بين كل أفراد الكنيسة. وتصبح هنا كلمة «نخدم» diakone‹n لا علاقة لها بخدمة الكنيسة ليتورجياً، غير أنها صارت بعد ذلك تشمل هذا المعنى.

«**فانتخبوا**»: ™piskšfasqe

«**فنقيمهم**»: katast»somen

هنا فعل «انتخبوا» لا يشمل دخول الرسل في عملية الانتخاب، إذ أعطوا حق الانتخاب بكامله للشعب دون التدخل الرئاسي من الرسل، وهذا أول وضع كنسي على مستوى الحرية الواعية إعطاءً وممارسة بالنسبة للرئاسة الكنسية مع الشعب. وهو أمر مُذْهِل ويشغل البال حقاً! لأن بذلك تكون الكنيسة قد أدخلت في صميم تكوينها نوعين من المسئولية، مسئولية الصلاة وخدمة الكلمة وهذه يضطلع بها الرسل، ومسئولية خدمة ما هو خارج خدمة الصلاة والكلمة ويعني مباشرة الناحية المالية والاقتصادية والاجتماعية بكل

ما تشملها من اتجاهات في خدمة الشعب جسدياً ومادياً واجتماعياً وهذا مسئولية الشمامسة في الخدمة.

وهكذا أصبحت الخدمة في الكنيسة محدَّدة تماماً بالخدمة الروحية والخدمة المادية الجسدية،

والثانية قائمة بذاتها.

وقد أعطى الرسل السبب واضحاً وهو التفرغ الكامل للمسئولية العظمى الملقاة عليهم من جهة الحياة الروحية للشعب وكل ما يتبعها من صلاة عامة وخاصة وتعليم إنجيل وشرح قواعد الإيمان والسلوك الروحي. وهذا الفصل بين الخدمتين دمغوه بكلمة تعني اللارجعة في ذلك، وحدَّدوها تحديداً بقولهم: **«لا يُرضي»** بمعنى أنه لا يصح أن يمزج هذا بذاك، وحصروا خدمتهم بكلمة شاملة كاملة وهي المواظبة على الصلاة وخدمة الكلمة: « أمَّا نحن **فنواظب** على الصلاة وخدمة الكلمة.» (أع 4:6)

والرجاء من القارئ العودة لشرح الآية (أع 42:2) التي تشرح كلمة **«نواظب»** في معناها اليوناني الصحيح.

«انتخبوا»:

عودة مرة أخرى على كلمة «انتخبوا» كأمر الرسل للتلاميذ للقيام بعملية الاختيار **«بالانتخاب الحر». هنا لا نسمع قط عن القرعة، فقد انتهت من الإنجيل بحلول الروح القدس.** وأصبحت الكنيسة المملوءة من الروح القدس مسئولة عن **«الانتخاب»** لمن هو لائق لكل عمل في الكنيسة، من الرئيس (الأسقف) حتى الشماس. وذلك على أساس الروح القدس الذي يدبر الكنيسة في كل أمورها، وعلى المسيح الرأس الذي ينظر ويسمع ويبارك. لذلك نجد هنا الانتخاب يقوم أول ما يقوم على شهادة الجماعة **أن المختار أو المنتخَب هو «الممتلئ من الروح القدس».** هذا هو الشرط الأول والأساسي.

إذاً هنا استحالة كل الاستحالة أن تدخل القرعة مرة أخرى، لأن الالتجاء إليها يكون معناه غياب الروح القدس وتجاهله، وحينئذ يصبح الانتخاب باطلاً! بل ولهذا السبب عينه تنحَّى الرسل عن الدخول في الانتخاب حتى يتركوا للروح القدس حرية التدخُّل المباشر عن طريق التلاميذ، وبالتالي شهادة الجماعة كلها. فهنا تكون سلطة المنتخِبين غير مستمدَّة من الرسل بل مستمدة من الروح القدس مباشرة، وهذه أضمن وسيلة للخدمة لتكون حرّة وموحاةٍ بتدبير الله رأساً. كذلك ليكون الشعب واثقاً وراضياً ومسئولاً أيضاً عن الذي سينتخبه ليخدمه! لأنه هو الذي سيختاره.

ولقد وضع الرسل خمسة شروط للانتخاب:

الأول: أن تقوم به الجماعة كلها: «فدعا الاثنا عشر **جمهور التلاميذ.**» (أع 2:6)

الثاني: عددهم سبعة. ليس جزافاً أن يحدد الرسل الشمامسة بالعدد سبعة فهو العدد المقدَّس والمحبوب. نقرأ عنه في السبعين رسولاً الذين اختارهم الرب ليكونوا به واحداً وسبعين أخاً بين إخوة كثيرين يحملون هَمَّ خلاص العالم. ونسمع به عند موسى كأول هيئة يُحدد عددها الله لتحمل هَمَّ الشعب الغليظ الرقبة، وهُم الواحد والسبعين شيخاً. ونسمع عنها في اختيار السبعين من علماء التوراة المتضلعين في اللغة العبرية واليونانية لترجمة العهد القديم ليهود الشتات. والعدد سرِّيٌّ للغاية، فهو الذي اختاره الله أول ما اختار وقبل الخليقة ليحصر به دورات الزمان في السبعة الأيام، وليوقّع على مفرداته الخليقة كلها كل يوم بما يخصُّه، وقد خصَّنا بالعدد (6) لنظل نطلب السابع لنستريح فيه مع الله. ودورة الزمان السبعة بلغت ذروتها بمجيء المسيح وقيامته في الثامن منها متخطياً أسبوع الخليقة كلها فحلّها وانفتحت الخليقة على الزمن الأبدي المنزَّه عن الأيام والانحصار، ودخلت الخليقة العتيقة في جدة الحياة مع الله فانفرط عقد الزمان وصار كل شيء جديداً.

أمَّا السبعة الشمامسة فتعيَّنوا بحكمة الله ليكملوا خدمة الكنيسة في غربتها على الأرض من حيث أعواز الزمان، إلى أن يأتي صاحب اليوم الثامن ليأخذها إلى وطنها الأبدي.

الثالث: «مشهوداً لهم» من الجماعة كلها، لأنهم سيعملون وسط العائلات والأرامل. هنا تلزم شهادة السيرة.

الرابع: «مملوئين من الروح القدس» الروح القدس فيهم يشهد لمَنْ فيه الروح القدس.

الخامس: «مملوئين من الحكمة» الصفة الأولى للروح القدس وألزم ما يلزم للعمل والخدمة، حيث يطالب الشماس أن يحكم بالعدل ويزكي الأضعف وينحاز للمظلوم ويميِّز بين الصادق في دعواه والمدّعي، وبين المغالي في الطلب والخَجول. يتجنَّب التبذير ويقتصد في القليل.

«فنقيمهم على هذه الحاجة»:

واضح هنا ارتضاء الرسل بالذين ينتخبهم الشعب وإظهار استعدادهم للتصديق على اختيارهم وذلك برسامتهم فوراً، بمعنى أن الشعب ينتخب، والرسل يصدِّقون ويرسمون،

وهكذا يأخذ الذين اختارهم الشعب الصفة الرسمية لخدمة الكنيسة كلها في كل ما يخص مالياتها واجتماعياتها وفضّ المنازعات فيها سواء من جهة التوزيع أو الخلافات الأخرى التي تنجم عن تعدد الأجناس واللغات

واختلاف البيئة، ويكون حكمهم نافذاً بالروح القدس الذي فيهم وأنفاس الرسل القديسين.

وقد انقسم هذا الطقس، طقس خدمة السبعة، بعد ذلك إلى شمامسة يخدمون مع الرسل في الصلاة وخدمة الكلمة وإلى شمامسة ظلّوا على الأساس الذي قاموا من أجله لخدمة أعواز الشعب في كل ما يحتاج إليه خارجاً عن الصلاة وخدمة الكلمة، الذين دُعُوا قديماً بشيوخ الشعب وحديثاً بكلمة "الأراخنة" أي رؤساء الشعب، وهي الوظيفة التي بدأت منذ أيام موسى وظلت كما هي جنباً إلى جنب مع رؤساء الكهنة يتقاسمان فيها مسئولية الشعب عامة والحكم فيه. فالسنهدريم كان قوامه **الأساسي** من رؤساء الكهنة ورؤساء الشعب حتى أيام المسيح. وقد اشتركوا معاً في صلب المسيح، فاعتُبر أن الشعب كله بكل هيئاته مسئولاً عن الصلب.

وفي الواقع إن طقس إقامة السبعة الشمامسة الذين أقامهم الرسل بوضع اليد مماثلٌ لطقس إقامة السبعين شيخاً الذين عيَّنهم موسى. لقد عيَّنهم بوضع اليد عليهم فأخذ الله من روحه الذي فيه وأعطى السبعين. وهؤلاء السبعون شيخاً هم أصل طقس رؤساء الشعب Senates، وهم أصل فكرة مجلس الشيوخ في الحكومات.

وتشديد الرسل هنا على ضرورة أن يكونوا مملوئين من الروح القدس بالرغم من أن الخدمة التي تعيَّنوا عليها هي خدمة أموال وموائد وأعواز الشعب ورعاية أرامل وأيتام، ذلك لأن الكنيسة تحتسب أن كل أعمالها مقدَّسة وتحتاج لتدبير الروح القدس وخاصة في الأعمال الحسَّاسة التي قد تأتي منها العثرات. ولكن بمجرد أن وُضع هذا الشرط لم يستطع أحد ولا الرسل أن يمنعوا هؤلاء الشمامسة من الوعظ والصلاة وخدمة الكلمة لأن هذا العمل هو من اختصاص الروح القدس وبالتالي كل مَنْ يحمله.

وأخيراً يلزم أن نفرِّق بين الاختيار أو الانتخاب، ثم الرسامة وبعدها التعيين. والرسامة هي قلب الكنيسة النابض وموهبتها الأُولى والعظمى، فالرسامة بوضع اليد تعني تماماً كما كانت تعني في اختيار السبعين شيخاً ووضع موسى يده عليهم: فأخذ الله من الروح الذي في موسى وهو روح الله، روح الحكمة والمشورة والفهم الذي خصّ الله موسى به، وأعطى السبعين فصارت لهم موهبة موسى في التدبير. وبهذا يكون معنى وعمل وضع اليد في الكنيسة هو **ارتباط الكنيسة** في شخص واضع اليد **بالإنسان** الذي وُضعت اليد عليه. والرباط إلهي هو، وهو الروح القدس، فيصبح المرسوم متحداً بالكنيسة ومتكلماً باسمها

وعاملاً بروحها وقوتها:

+ «ويشوع بن نون كان قد امتلأ روح حكمة إذ وضع موسى عليه يديه فسمع له بنو إسرائيل

وعملوا كما أوصى الرب موسى.» (تث 9:34)

وفي هذا يقول ذهبي الفم:

[لأنهم يلزم حقاً أن **يصنعوا الاختيار بأنفسهم** كما يحركهم الروح القدس، بل وأيضاً يحتاجون إلى شهادة الشعب. أمَّا تحديد العدد وأمَّا الرسامة بالنسبة لهذه المهمة فهي من اختصاصهم، ولكن اختيار الرجال جعلوها للشعب، حتى لا يحسب اختيارهم أنَّ فيه انحيازاً وتفضيلاً. تماماً كما ترك الله لموسى أن يختار الشيوخ حسب معرفته هو (عد 16:11).][128]

لكي نشرح الآية (3:6): «**فنقيمهم على هذه الحاجة**»، يلزم أن تكون على أساس الآية (6:6): «**الذين أقاموهم أمام الرسل فصلّوا ووضعوا عليهم الأيادي**».

ونترك هنا الشرح للقديس يوحنا ذهبي الفم فيقول:

[وهكذا أفرزوهم من الجماعة، والشعب هو الذي انتخبهم وقدَّمهم وليس الرسل. فانظر كيف يتحاشى الكاتب الإضافات التي ليست في الموضوع إذ يقول مباشرة **إنهم رسموهم بالصلاة** ceirotÒnhsan لأن هذا هو معنى الشرطونية ceiroton…a، أي وضع اليد، أي الرسامة ordination؛ فيد الإنسان توضع فوق (الشخص) ولكن العمل كله من الله لأن يده (يد الله) هي التي تلمس الذي يُرسم، إن كان يُرسم صحيحاً.][129]

من هذه الآية يتبين أن الرسل وحدهم هم الذين كانوا حائزين على موهبة (خاريزما) وضع اليد لحلول الروح القدس خاصة في الرسامات. وحتى في البداية كان الرسل هم الذين يعمِّدون ويضعون اليد لحلول الروح القدس، ولكن انتقل منهم إجراء المعمودية بعد ذلك إلى الذين حُسبوا أهلاً لهذه النعمة، ومن بعد الرسل استلم هذا العمل الأساسي، أي الرسامة ووضع اليد، الأساقفة فقط.

وضع اليد: ceiroton…a

وتُعرف في العبرية باسم «سامك» Samakh وفعل وضع اليد للرسامة يُعرف بـ «

(128) Chrysost. *Acts. op. cit.*, p. 90 od boc.

(129) Ibid.

سميكا[130] « Semukhahوكان يتضمن سرًّا توصيل قوةٍ أو فعلٍ من واضع اليد إلى الموضوع عليه، إما سلباً

[130] قد يكون اسم ''سميكا'' الذي يُطلق على تسمية إنسان يعني ''المختار'' من أصل عبري.

أو إيجاباً. فالخاطئ يضع يده على رأس الذبيحة قبل أن تُذبح لتنتقل خطاياه إلى الذبيحة، تماماً كما يضع الكاهن يده على رأس الخاطئ ليعطيه البركة أو الصحة أو الشفاء:

+ «فحدث أن أبا بوبليوس كان مضطجعاً مُعترى بحمَّى وسَحْج (دوسنتاريا) فدخل إليه بولس وصلَّى ووضع يديه عليه فشفاه.» (أع 28 : 8)

«وأمَّا نحنُ فنواظبُ على الصلاةِ وخدمةِ الكلمةِ».

«نواظب»:

نقدِّم هنا شرحاً لهذه الكلمة في معناها اليوناني الصحيح كما ذكره القديس يوحنا ذهبي الفم إذ يقول ما معناه:

[أمَّا نحن ـ يقول ق. بطرس ـ فنعطي أنفسنا باستمرار continually للصلاة وخدمة الكلمة. وهكذا فإن الرسل يظهرون كمَنْ يتوسلون في البداية وفي النهاية "نُعطي أنفسنا بصورة مستمرة للصلاة"، لأنه فعلاً يليق بهم ليس مجرد فعل الصلاة أو حينما تحين الفرص(أو المواعيد) إنما بصورة مستمرة ودائمة.][131]

أمَّا تعليق الشعب على هذا التوسل الرسولي من جهة تفرُّغهم كلية للصلاة وخدمة الكلمة فيجيب الشعب:

5:6 **«فحَسُنَ هذا القولُ أمامَ كُلِّ الجمهورِ فاختارُوا استفانُوسَ رَجُلاً مملُوًّا مِنَ الإيمانِ والرُّوحِ القُدُسِ وفيلبُّس وبرُوخورُس ونِيكانُور وتيمون وبَرمِيناس ونيقُولاوُس دَخيلاً أنطاكياً».**

هؤلاء القديسون السبعة اعتدنا أن نسمِّيهم شمامسة. ولكن لم ترد هذه الكلمة بهذا المعنى في سفر الأعمال قط، ولكن التسمية التي سادت في الكنيسة آنئذ هي "السبعة" فقط دون ألقاب، في مقابل "الاثنى عشر" للرسل. أمَّا كلمة "خُدَّام" فهي متعلقة بنوع خدمتهم إذ تعيَّنوا ليخدموا الموائد. فهنا الكلمة لم تعني الشموسية وإنما الخدمة في معناها المنحصر في الأمور المادية غير الكنسية. ولكن كانت درجتهم في وسط الشعب بعد الرسل مباشرة.

وكما يقول القديس يوحنا ذهبي الفم:

[ولكن ما هي درجة ومقام هؤلاء السبعة ~pt£ وما هي وظيفتهم رسمياً التي قبلوها

---

(131) Ibid., p. 90.

من الرسل؟ هذا ما نريد أن نعرفه: هل كانوا شمامسة؟ ولكن هذا اللقب لم يكن موجوداً بعد

في الكنيسة. هل تحسب خدمتهم ما يخص الكهنة؟ ولكن حتى ذلك الوقت لم يكن يوجد أساقفة بل رسلٌ فقط. إذاً، بحسب ظني فإنه واضح أنهم لا هم شمامسة ولا هم كهنة بحسب درجتهم، ولكنهم رُسموا وعُيِّنوا لهذه الخدمة الخاصة فقط، أي خدمة حاجات الكنيسة (المادية والتوزيع وخدمة الأرامل)، ولم تُسلَّم لهم هذه المهمة إلاَّ بعد إقامة صلوات رسمية في الكنيسة لأن الرسل صلُّوا عليهم حتى ينالوا قوة.](132)

[لم يكونوا فقط مجرد رجال روحيين بل كانوا «مملوئين من الروح القدس وحكمة» لأن خدمتهم تحتاج إلى مستوى عالٍ من التصرُّف بتعقُّل filosofi£j حتى يتحمَّلوا شكاوي الأرامل (وينصفوهن). لأن ما الفائدة أن يكون الخادم مجرد رجل أمين لا يسرق ومن ناحية أخرى يبدد الأموال أو يتعامل بفظاظة وتَسهُل إثارته؟](133)

والملاحَظ أن السبعة ذوو أسماء يونانية، فواضح أن السبب أنهم أُقيموا لخدمة المتذمرين اليونانيين بعناية ودراية وتعاطف أكثر، ولكن لم يكن ولا واحدٌ منهم يهودياً بالميلاد أصلاً بل كان أحدهم دخيلاً من أنطاكية وهو نيقولاوس. وربما كان هؤلاء السبعة سابقاً قادة للجماعات اليونانية التي قبلت الإيمان والعماد وظهرت عليهم نعمة الروح القدس والقوة(134).

ومعروف أن الرسل جميعاً عبرانيون، فاختيار السبعة من اليونانيين يُعتبر محاولة للمساواة في الرعاية والمسئولية على مستوى مبدئي.

وبخلاف القديس استفانوس لا نعرف مِنْ السبعة حالياً إلاَّ فيلبس الذي سُمِّي بالإنجيلي أو المبشِّر: «فانحدر فيلبس إلى مدينة من السامرة وكان يكرز لهم بالمسيح» (أع 8:5) وذلك بعد أن أُجبروا للخروج من أورشليم تحت ضربات شاول: «ثم خرجنا في الغد نحن رفقاء بولس وجئنا إلى قيصرية فدخلنا بيت فيلبس المبشِّر eÙaggelistoà إذ كان واحداً من السبعة ˜pt£ وأقمنا عنده وكان لهذا أربع بنات عذارى كُنَّ يتنبَّأنَ» (أع 8:21). وواضح من هذا أن هؤلاء السبعة الخدَّام لم يكونوا في عمر الشبَّان بل كانوا

---

(132) Chrysostom, *op. cit.,* p. 91.
(133) Ibid.
(134) Bruce., I. p. 153.

رجالاً متزوجين، ولهم أولاد وبنات أتقياء ذوو مواهب.

وواضح أنه كان لفيلبُّس رحلات خاصة للكرازة والتبشير سواء في السامرة أو على ساحل

فلسطين. ويبدو أيضاً أن ق. لوقا كان على صلة وثيقة به، ومنه تعرَّف على الكثير جداً مما ورد في روايته التاريخية التي يرويها سواء عن هؤلاء السبعة أو عمَّا ورد بعد ذلك. ويلزم جداً الانتباه للتفريق بين فيلبس الذي من السبعة وفيلبس الرسول. ويقص علينا المؤرِّخ يوسابيوس القيصري[135] نقلاً عن حوار دار بين الكاهن غايس الروماني (200م) وبين الهرطوقي بروكلوس (المونتاني) أنه كان لفيلبس المبشِّر أربع بنات كُنَّ نبيَّات وكُنَّ يتنبأن، عاشوا في هيرابوليس، بأسِيَّا وكان قبرهن يوجد هناك، وكذلك قبر والدهنَّ فيلبس نفسه. وكان بوليكرات أسقف أفسس يعتبر قبرهن بمثابة أنوار مضيئة في هيرابوليس، مما يوضح أن فيلبس جال يبشِّر مع بناته النبيَّات في أسِيَّا حتى رقد هو ونبيَّاته القديسات الأربع في هيرابوليس.

سلام لكِ يا هيرابوليس التاريخ، سلام لأرواح قديسيكِ وقديساتك. ويا لهذا التاريخ المجيد الذي نتنفس منه رائحة القديسين ذكية كرائحة المسيح.

نيقولاوس:

الأخير في السبعة والوحيد الذي ليس من أصل يهودي بل هو أممي دخيلٌ أنطاكيٌ.

واعتناء ق. لوقا بذكر أنه دخيلٌ أنطاكي يوضِّح ضمناً اهتمام ق. لوقا بأنطاكية ومعرفة دخلائها مما يوحي بأن ق. لوقا هو نفسه أصلاً من أنطاكية.

وقد جرت محاولات للتعرُّف على نيقولاوس هذا من هرطقة النيقولاويين الذين ذكرهم سفر الرؤيا (2: 6و15)، ولكن لم يعثر العلماء على دليل واحد للربط بين هذا الاسم لهذا الشخص وبين تلك الهرطقة.

وواضح أن عمل السبعة “pt£~” لم يدُمْ طويلاً، لأن استشهاد استفانوس وما حدث بعد ذلك للكنيسة من الاضطهاد الضاغط من شاول وفئة المتعصبين اليهود معه بغرض القضاء على الكنيسة في أُورشليم شتَّت مَنْ بقي من السبعة، بل والمسيحيين معهم وخاصة الذين من الشتات وهم كانوا الأكثر تحرراً من الناموس والهيكل والعبادة اليهودية، الأمر الذي كان لا يطيقه اليهود ولا حتى المسيحيون من أهل الختان الذين كانوا أكثر تحفظاً من جهة تكريم الناموس والعبادة اليهودية بأعيادها وصلواتها الهيكلية، وهم الذين لم يَنَلْهُم من

---

(135) H.E. III, 31, 4.

الاضطهاد إلاّ القليل.

ومن طقس السبعة "pt£~"، هذا الذي لم نستطع أن نُجَدْوِله تحت اسم الشمامسة ولا اسم

الكهنة بحسب تحقيق ذهبي الفم المذكور سابقاً، فمن هذا الطقس "السبعة" خرج طقسان بالتتابع فيما بعد، طقس الكهنة وطقس الشمامسة؛ وقد ظهرا في رسائل بولس الرسول(136). حيث نجد بداية طقس الكهنة الذي يحمل رسالة الذياكونية التي كانت للسبعة إضافة إلى خدمة الصلاة، كما ظهرت البدايات الأولى لإقامة شمامسة في الكنيسة لهذا الغرض أيضاً.

6:6 **«الذينَ أقامُوهُم أمامَ الرسُل فصلَّوا ووضَعُوا عليهم الأيادِيَ».**

سبق شرح هذه الآية ضمن الآية (3:6) صفحة 306.

7:6 **«وكانت كَلِمَةُ اللهِ تَنمُو وعَدَدُ التلاميذِ يتكاثرُ جدًّا في أُورشليمَ وجُمهُورٌ كثيرٌ من الكَهَنَةِ يُطِيعُونَ الإيمانَ».**

تأتي هذه الجملة دائماً للتعبير عن الوقفة بين حديثين لتعطي فرصة لنقل الفكر من موضوع لموضوع. علماً بأن كل موضوع يطرقه ق. لوقا كان له زمن معيَّن، فإذا انتقل من موضوع لآخر بعده فهذا يكون معناه أن فترة زمنية ليست بالقليلة قد مضت. لأن سفر الأعمال يجمع بين دقتية حوادث تمت في غضون أكثر من ثلاثين سنة. وقد قام بعض العلماء ومنهم العالِم ك. هـ. ترنر(137) بفحص هذه الظاهرة بدقة فوجد أن هذه الوقفات جاءت لتقسيم السفر إلى ستة أقسام:

1- الأصحاح 6 : 7 : كما هو في الآية التي نحن بصددها.

2- الأصحاح 9 :31: «وأمَّا الكنائس في جميع اليهودية والجليل والسامرة فكان لها سلام وكانت تُبنى وتسير في خوف الرب وبتعزية الروح القدس كانت تتكاثر»

3- الأصحاح 24:12: «وأمَّا كلمة الله فكانت تنمو وتزيد»

4- الأصحاح 16: 5: «فكانت الكنائس تتشدَّد في الإيمان وتزداد في العدد كل يوم»

5- الأصحاح 20:19: «هكذا كانت كلمة الرب تنمو وتقوى بشدة»

6- الأصحاح 31:28: «كارزاً بملكوت الله ومعلّماً بأمر الرب يسوع المسيح بكل

(136) Rackham, *Acts,* p. 86.

(137) C.H. Turner in Hasting Dict. 1898.

مجاهرة بلا مانع»

وقد قام المؤرخون بالاهتمام بفحص هذه الحركة، فوجدوا أن القديس لوقا قد جعل من كل وقفة من هذه الوقفات فاصلاً يفصل بها الحوادث لكل خمس سنوات. ونحن نرى أن بهذه الدراسة يمكن للقارئ أن يعيد النظر في القراءة ليوقّع الحوادث على الزمن المناسب لها، فإن ذلك يفيده للغاية. لأن الحادثة إذا عُرِف زمانها، ازدادت الأضواء المسلّطة عليها وارتبطت في الذهن بغيرها، لأن الزمن بُعدٌ أساسي في القياس التصوري الذي يبني الفكر.

وبالنسبة للوقفة التي نحن بصددها، فالزمن الذي يحكمها خطير في مفهومه واتجاهه، فقد جاءت لتوضيح مدى النمو والنهضة التي ازدهرت داخل الهيكل نفسه، ذلك بالنسبة للماضي، أمَّا المستقبل فهو الاضطهاد الشديد جداً الذي شتت الكنيسة، حيث تبدَّد المؤمنون، فخرجت الكنيسة من الهيكل وتوقف عملها فيه!

تجيء هذه الآية مباشرة بعد استحداث طقس السبعة (وقبل كارثة تشتت الكنيسة) لتوضيح أن للطقس الفضل في هذه النهضة الجديدة ذات الدفعة المتميزة بدخول طغمات الكهنة إلى الإيمان المسيحي! لقد تفرَّغ الرسل بالفعل للصلاة وخدمة الكلمة واستطاعوا أن يعطوا كل وقتهم وكل جهدهم وكل اهتمامهم للنفوس المتعطشة من اليهود لمعرفة المسيح والتقرب إليه. كان هذا في عمق أعماق ضمير الرسل لأنهم كانوا واثقين أنهم إذا أكرموا الصلاة والكلمة بإعطائهم كل حياتهم واهتمامهم ووقتهم لهما، فحتماً سوف ترتد هذه النهضة على الكنيسة بانفتاح باب الخلاص متسعاً أمام اليهود، وقد كان. ولكن من الأمور المثيرة للبهجة في النفس سماع خبر دخول أفواج كبيرة من كهنة اليهود، لأن لذلك معناه، على المستوى اللاهوتي، غاية في الأهمية. إن من بين هؤلاء كان هناك فئة الصدُّوقيين الذين لا يؤمنون بالقيامة من الأموات. إذاً، فقد حدثت لهؤلاء قيامة بالفعل، لقد غمرتهم بقوتها وبهجتها ودخلوا في نورها وفرحها، لقد وُلِد هؤلاء اليهود حقاً من جديد ونالوا ما لم يكن يخطر لهم ولا لنا على بال.

كنَّا نقرأ عنهم أيام المسيح، ونشعر بالحزن والأسى، كونهم تأثروا ولكنهم تخلّفوا، آمنوا ولكنهم خافوا:

+ «ولكن مع ذلك آمن به كثيرون من الرؤساء أيضاً غير أنهم لسبب الفريسيين لم يعترفوا به لئلاً يصيروا خارج المجمع، لأنهم أحبُّوا مجد الناس أكثر من مجد الله.» (يو 12: 42و43)

«يطيعون الإيمان»:

هنا التعبير عن إيمان الكهنة يأتي بصيغة مريحة للنفس ومبهجة، وكأنه أتى بدون نقاش أو تردد

أو حوار، ويبدو وكأنه صار بالاستعلان وكان على ميعاد وانتظار مع الروح القدس. وهذا يكشف لنا عن أن مواظبة الرسل على التواجد طول النهار في الهيكل يعلّمون ويعظون ويبشّرون، أعطى فرصة نادرة للكهنة، فرقة وراء فرقة، كلٌّ منها حسب قرعة وقتها وخدمتها لتسمع عن قُرب، وبلا عناءِالجري وراء الرسل في البيوت. وقد كانت هذه إرادة الله الواضحة، نسمعها لمَّا ظهر الملاك لبطرس ويوحنا في السجن وفتح لهما الأبواب بالليل وقال لهما:

+ «اذهبوا **قفوا وكلّموا الشعب في الهيكل** بجميع كلام هذه الحياة!» (أع 5:20)

فعين الله كانت على هؤلاء الكهنة الذين كانوا يئنُّون تحت ثقل معاملة رؤساء الكهنة وجشعهم وسرقاتهم العلنية، ويترجُّون الخلاص الحقيقي الذي لم تكن سيرتهم تمنع من التعرُّف عليه وقبوله.

وبهذا يكون الرسل قد نجحوا في غزو الهيكل من الداخل. ووصْفُ ق. لوقا للكهنة الذين يطيعون الإيمان أنهم "**جمهور كثير**" polÚj te Ôcloj وترجمتها الحرفية "**جماعات عظيمة**" great croud، توضِّح أنه كانت هناك في الحقيقة حركة إيمان كبيرة سرت داخل الهيكل وسط فرق الكهنة! لقد تعرَّفوا على رئيس كهنتهم الأعظم الحقيقي، وعوض تيوس وعجول قدَّموا أنفسهم ذبائح حية ناطقة تنطق بفضل المسيح وجلاله.

يا لفرحة داود النبي ويا لسعادة إشعياء والأنبياء إرميا وحزقيال الذين راهنوا على هذا اليوم. تعالَ يا زكريا، تعالَ إلينا مع فرقتك "**أبيا**"، فاليوم يومك، والرؤيا والبخور والملاك ويوحنا، فهذا عيد الكهنوت الحقيقي، فهذه نوبة النهاية واضربوا بالبوق فقد أشرق يوم الخلاص.

يقول أحد العلماء الألمان وآخَر فرنسي أنه يبدو أن هذه الجماهير من الكهنة صارت لهم خدمة خاصة في الكنيسة وكوَّنوا جماعات متحدة متماسكة مؤمنة بالمسيح، ولكن بسبب العادات المتأصلة فيهم ضعفت حرارتهم ودخلوا في حالة قلق بسبب وقوع اضطهاد مباشر عليهم، وإن الرسالة إلى العبرانيين كانت هي رسالتهم[138]. ونحن نميل إلى هذا التفسير.

---

(138) K. Bornhauser & C. Spicq. cited by Bruce II p. 131.

القديس استفانوس
نقطة التحوَّل الكبرى في حياة الكنيسة

كنيسة أورشليم أكملت رسالتها
وبدأ التوجه نحو الأمم

عرض سريع حتى أصحاح 17:12

بدخول اسم القديس استفانوس، الأول بين السبعة ‎pt£~‎، دخلت الكنيسة عصرها الجديد، ولكن على دمائه الذكية، بعد أن أرسى دستور الكنيسة الجديد للأمم أمام السنهدريم وشاول يستمع.

والقارئ المدقق المنتبه، يجد أنه بعد خطاب ق. استفانوس الذي ألقاه أمام السنهدريم وبحضرة كل شيوخ وفريسيي إسرائيل، والذي انتهى بقتله، لم يبقَ عمل لكنيسة الختان **بأورشليم.** فقد خرجت للتو لتلاحق فلول المؤمنين الذين توجَّهوا إلى البلاد المحيطة:

(أ) «وحدث في ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التي في أورشليم **فتشتت الجميع في كور اليهودية والسامرة ...** فالذين تشتتوا جالوا مبشرين بالكلمة.» (أع 8: 1و4)

(ب) «فانحدر **فيلبس** (الثاني من السبعة ‎pt£~‎) إلى مدينة من **السامرة.**» (أع 8 : 5)

«ولمَّا سمع الرسل الذين في أُورشليم أن السامرة قد قبلت كلمة الله أرسلوا إليهم بطرس ويوحنا.» (أع 8 : 14)

(ج) «وحدث أن بطرس وهو يجتاز بالجميع، نزل أيضاً إلى القديسين (من أهل الختان) **الساكنين في لدّة.**» (أع 9 : 32)

(د) «**ومكث (بطرس) أياماً كثيرة في يافا** عند سمعان رجل دبَّاغ.» (أع 9 : 42)

(هـ) «وبينما بطرس متفكر في الرؤيا قال له الروح ... قُم وانزل واذهب معهم **(إلى قيصرية إلى كرنيليوس).**» (أع 10: 19و20)

«ففتح بطرس فاه وقال بالحق أنا أجد أن الله لا يقبل الوجوه، بل **في كل أمة** الذي يتّقيه ويصنع البر مقبول عنده ... أترى يستطيع أحد أن يمنع الماء حتى لا يعتمد هؤلاء الذين قبلوا الروح القدس كما نحن أيضاً، **وأمر أن يعتمدوا باسم الرب.** »(أع 10: 34و35و47و48)

«فسمع الرسل والإخوة الذين كانوا في اليهودية **أن الأمم** أيضاً قبلوا كلمة الله. »(أع 11 : 1)

«وكانوا يمجدون الله قائلين إذاً **أعطى الله الأمم** أيضاً التوبة للحياة.» (أع 11 : 18)

(و) «أمَّا الذين تشتتوا من جراء الضيق الذي حصل بسبب استفانوس فاجتازوا **إلى فينيقية** (لبنان) **وقبرص، وأنطاكية ...**

كانوا يخاطبون اليونانيين مبشرين بالرب يسوع.» (أع 11: 19و20)

«فسُمع الخبر عنهم في آذان الكنيسة التي في أورشليم (الرسل) **فأرسلوا برنابا** لكي يجتاز إلى أنطاكية.» (أع 11 : 22)

«ودُعي التلاميذ مسيحيين في أنطاكية أولاً.» (أع 11 : 26)

(ز) «وفي ذلك الوقت مدَّ هيرودس الملك يديه ليسِيءَ إلى أُناس في الكنيسة. فقتل يعقوب أخا يوحنا بالسيف ...

وإذ رأى أن ذلك يرضي اليهود عاد فقبض على بطرس أيضاً.» (أع 12: 1و2)

«وإذا ملاك الرب أقبل ونور أضاء في البيت. فضرب جنب بطرس وأيقظه قائلاً قُم عاجلاً فسقطت السلسلتان من يديه ... فقال له البس رداءك واتبعني فخرج يتبعه. »(أع 12: 7-9)

«وقال (بطرس) اخبروا يعقوب (أخا الرب) والإخوة بهذا. ثم خرج. وذهب إلى **موضع آخر.**» (أع 12 : 17)

وإلى هنا نكون قد بلغنا سنة 44م. وبذلك انقطعت أخبار كنيسة أُورشليم من جهة الكرازة وبدأت كنيسة الأمم! ليتولى شاول المدعو بولس رعاية الأمم كرسول معيَّن من السماء.

معنى هذا أنه قد مضى على كنيسة أورشليم 14 سنة إلى لحظة خروج بطرس من السجن واختفائه. علماً بأن دخول شاول الإيمان كان سنة 33م. وأول إرسالية لبولس إلى قبرص مع برنابا سنة 46م.

خدمة استفانوس تستعلن خطوط الإيمان المسيحي النقي بقوة فتفضح اليهودية المتخلّفة والمتقوقعة في ناموسها وهيكلها ويقوم أعنف اضطهاد جازته الكنيسة

8:6 **«وأمَّا استفانوس فإذ كانَ مملوءاً إيماناً وقوَّةً كان يَصْنَعُ عجائِبَ وآياتٍ عظيمةً في الشعبِ».**

حينما يرتاح الروح القدس في إنسان استوفى استيعاب الإيمان بالمسيح استيعاباً صحيحاً، يبدأ الروح القدس في الحال يعمل عمله للشهادة لهذا الإيمان. فالعجائب والآيات العظيمة هي لغة الروح القدس التي يخاطب بها الناس، فالذي له أذن للسمع وعين للنظر يؤمن في الحال، لأن لغة الروح القدس مفهومة لذوي النفوس التي تهيأت منذ أن كانت في البطن للسعي نحو الوطن السمائي المعدِّ: الذين يصفهم الكتاب بقوله: «المعيَّنين للحياة الأبدية»

أمَّا الذين يرفضون الإيمان ويحتقرون الكلمة فهؤلاء يسمعون ولكن يزدرون بما يسمعون، لأن اهتماماتهم وآمالهم ارتبطت بهذا الدهر وهذه الأرض، ويَرْون ولا يجدون فيما يَرَوْن أيًّا مما يسترعي انتباههم، لأن انتباههم ابتلعته أمجاد هذا الزمان فسرقت منهم ذواتهم وقلوبهم.

والشعب هنا هو الشعب اليهودي بكل فئاته. فمنهم من آمن بالذي مات وقام، فأقام النفس من موتها، فصار هو بعينه النسل الموعود المبارك الذي رآه إبراهيم وفرح. ومنهم مَنْ استنفذت الختانة إيمانه، وبقية إيمانه توزَّع بين السبت والتطهير بالماء ولا تمسْ ولا تذُقْ والتهليل للهلال كل شهر وكل عيد في أوانه.

هذا التمييز والتفريق هو الذي عمله الروح القدس بواسطة قديسنا الشهير الشماس، وهو على مستوى رسول بل نبي.

أمَّا الذي قاله استفانوس بالروح القدس فقد ارتفع إلى مستوى كرازة المسيح فنال في الحال ما ناله المسيح!

9:6 «**فَنَهَضَ قومٌ مِن المجمع الذي يُقالُ لهُ مجمعُ الليبرتينيِّين والقيروانيِّينَ والإسكندريِّينَ ومِنَ الذينَ مِنْ كيليكيَّا وأسِيَّا يُحاورُونَ استفانوسَ**».

«**المجمع**»: sunagwgÂ

وبالعبري beth-keneseth أي بيت الاجتماع، وبالأرامي kenishta. وهي البديل للهيكل للعبادة المحلية بدون ذبائح، والتي اقتصرت على قراءة التوراة والشرح والتعليم، وهي نواة الكنيسة المسيحية التي ورثت منها حتى الاسم.

معروف أن المجامع بدأ العمل بها منذ سبي بابل حتى لا يُحرم الشعب من القراءة والسمع في الأسفار المقدَّسة، كذلك شرحها والتعليم بها. وكان عددها منتشراً بكثرة في البلاد، وفي أورشليم وحدها كان كما يقول التلمود 480[139] مجمعاً وذلك قبيل هدم الهيكل وإخلاء أورشليم. وأسماء هذه المجامع تتبع أسماء البلاد التي كوَّن اليهود فيها رابطة تمثلهم في أورشليم ذاتها حيث يجتمعون ليبحثوا في شئونهم ويعيِّدون ويصلُّون بلغتهم التي كانت هي لغة البلاد التي عاشوا فيها، وليس كما يقول العالِم بروس[140] إن مجمع الليبرتينيين يضم القيروانيين والإسكندرانيين إلخ ... فهذا خطأ لأن مجمع الليبرتينيين هو مجمع أهل روما وسُمِّي بالليبرتينيين لأنهم اليهود الذين كانوا قد أُسروا على يد بومبي من أورشليم وما حولها ورُحِّلوا إلى روما، واستُعبِدوا هناك كعبيد تحت السخرة، ثم حررهم الرومان فدُعوا بالأحرار أو المتحررين. وهو أكبر وأهم المجامع، لذلك ذُكر أولاً. وأن يُذكَرَ اسمه باللاتيني ـ دوناً عن الجميع ـ فهذا أكبر برهان على صدق ما نقول.

أمَّا مجمع القيروانيين (شمال إفريقيا) فمعروف أنه كان يشمل رُبْع الأعداد تقريباً. ومجمع الإسكندرية كان يشمل اثنين من الأحياء الخمسة التي تتكون منها الإسكندرية، وقد بُني على نفقتهم. وكانت تُدرَّس فيه اللغة اليونانية وأقوال الفلاسفة والحكماء، وقد تخرَّج منه أبلُّوس الذي تعمَّد على يدي أكيلا وبرسكلا، وكان فيلسوفاً حقاً. ويُظَنُّ أن ق. استفانوس هو ربيب مجمع الإسكندرية بسبب ذِكْر الحكمة التي يتّصف بها حيث ذُكرت هذه الكلمة أربع مرات في سيرته. وحينما يُقال أنهم لم يقدروا أن يقاوموا الحكمة التي يتكلَّم بها، فالمقصود الفلسفة كعلم ومنهج وهي طبعاً في ثقافتها تفوق مستوى جماعة يهود أورشليم

---

(139) Bruce II. p. 133.

(140) Ibid.

المتعصبين ـ الأميين فلسفياً ـ مما جعل يهود أورشليم يضيقون بهم. ولكن الذي أطاح بعقولهم هو استمالة استفانوس اليونانيين اليهود

لأنهم استطاعوا أن يتذوقوا في لغتهم دفاعه ويفهموا عمق حكمته ودرايته باللاهوت ومفهوم الإيمان الحر، وأدركوا صدق دعوته، إذ جعل الإيمان المسيحي على مستوى كل الناس والعالم، الأمر الذي دوَّخ اليهود المتعصبين، خاصة حينما أحسُّوا بالقوة التي فيه والمعجزات التي صنع، فلم يكن في جعبتهم إلاَّ الحكم بأنه جدَّف على هيكلهم وعلى ناموسهم وعلى موسى. وهذا هو نفس الحكم الذي انتهى إليه اليهود بالنسبة للمسيح، حينما أُعيوا في ملاحقة إيجابيته وتكريمه لله أبيه بجوار المعجزات. لذلك فهم لم يجدوا ما يتهمونه به إلاَّ القول بالتجديف على الله والناموس والسبت والهيكل. واضح أنها الظلمة تناطح النور والجهالة تتطاول على الحكمة.

والذي يهمنا هنا هو مجمع الذين من كيليكيَّا، لأن شاول عضو هام وبارز فيه لأنه من كيليكية وعاصمتها طرسوس، التي هي بلده التي نشأ فيها وتربَّى، فكان شاول مُحاوره الأول والأخطر.

أمَّا موضوع التحاور فلا يصعب علينا تحديده، عكس ما يقول به بروس وبقية العلماء، إذ يتضح من خطاب ق. استفانوس خطوطه الأساسية والعريضة. فقد نادى بالإيمان الذي وهبه الله بواسطة يسوع المسيح للعالم كله وليس لليهود فقط. وبالتالي فالناموس استُنفذ زمنه ولم يعد على مستوى إيمان العالم كله لأنه وُضع لشعب واحد لم يأتِ بثماره، وهذا الهيكل بذبائحه الحيوانية لم يَعُدْ يليق بعبادة الله الكلي الوجود والذي لا تَسَعه السموات، فالله لا يسكن هياكل مصنوعة باليد. وبالاختصار نجد أن خطابه يحوي كل النقاط التي ألهبَتْ جنون اليهود وأفقدتهم صوابهم، ولكن في إيجابية وحكمة واتساع ونور مذهل للعقل. فالتحاور الذي دار بين ق. استفانوس وأصحاب هذه المجامع، التي لا بد أنه مرّ عليها جميعاً وأفحم اليهود المتكلمين فيها، هو الذي جمع كلمتهم ضده. فليس مجمع واحد بل كل المجامع استثارها مع أنه أراد أن ينير بصائرهم ويشرح لهم حقيقة إيمان المسيح الذي كان يملأ قلبه ويُلهب روحه ويجعله يتمادى في الحوار ويتمادى في المقارعة ليَهُدَّ تعصبهم الأعمى.

10:6 **«ولَمْ يَقْدِرُوا أن يُقاوِمُوا الحِكمَة والروحَ الذي كانَ يتكلَّمُ بهِ».**

القديس استفانوس كان من طراز آخر غير الرسل، فالرسل التجأوا إلى النبوات وحسب، ووضعوها كما هي أمام السنهدريم، وتمسَّكوا بحقائق سمعوها ورأوها وشهدوا لها

وتمسَّكوا بشهادتهم وبالمعجزات التي عملوها بالروح القدس.

أمَّا القديس استفانوس فهو حكيم بمعنى فيلسوف، زاد فوق درايته العميقة بالفلسفة قوة الروح

القدس فصارت حكمة مسيحية لا تُضارع. ولك أن تتصور عزيزي القارئ فيلسوفاً متعمقاً في حكمته ودرايته بأصول الكلام والحوار وإعطاء البيان والبرهان والتضييق على المقاوم والمكابر حتى يسد أمامه كل طرق المماحكة. ثم أضف على ذلك نعمة الروح القدس وحكمة الروح الوديع الهادئ الذي في نُطْق الكلمة يخرج معها نوراً وسيفاً معاً، نوراً إلهياً يكشف الباطل وسيفاً يخترق النفس المُماحِكَة ويوقعها صريعة أمام الحق تتلوَّى وتختبئ في ضلالها وكذبها، وبعد ذلك "**قوة**" الروح القادر بالآية والمعجزة أن يُخرس المقاوم والمعاند.

وعندما يقول ق. لوقا إنهم لم يقدروا أن يقاوموا الحكمة والروح الذي كان يتكلَّم به فإنه كان يعني أنه صرعهم قبل أن يصرعوه، صرعهم بالحكمة والنعمة والروح، وهم صرعوه بالحجارة. أمَّا هو فمات شهيداً لله والمسيح، وأمَّا هم فماتوا مشهوداً ضدهم من الله الحق.

11:6 «**حينئذٍ دَسُّوا لرجالٍ يقولُونَ إننا سَمِعناهُ يتكلَّمُ بكلامِ تجديفٍ على مُوسى وعلى الله**».

شهادة الزور تلاحق اليهود أينما لاحقهم الحق، وإلاَّ كيف يتخلَّص عابد الحرف من الحق إلاَّ بتحريفه!

أمَّا ناموس الحرف فيقول في أمر الذي يجدِّف وكيف يُحاسَب:

+ «وأمَّا النفس التي تعملُ بيدٍ رفيعةٍ (عن إرادة وقصد) من الوطنيينَ أو مِنَ الغرباءِ فهي تزدري بالرب، فتقطع تلك النفس من بين شعبها لأنها احتقرت كلام الرب ونقضت وصيَّتهُ، قطعاً تُقطع تلك النفس، ذنبها عليها.» (عد 15: 30و31)

أمَّا استفانوس فقال عن الله شاهداً ممجِّداً هكذا بالحرف الواحد:

+ «ظهر إله المجد لأبينا إبراهيم...» (أع 7:2) فكيف يُقال أنه جدَّف؟

وعن موسى النبي والناموس قال:

+ «فتهذَّب موسى بكل حكمة المصريين وكان مقتدراً في الأقوال والأعمال ... هذا أرسله الله رئيساً وفادياً بيد الملاك الذي ظهر له في العليقة، هذا أخرجهم صانعاً عجائب وآيات في أرض مصر وفي البحر الأحمر وفي البرية أربعين سنة ... الذي قبل أقوالاً حيَّة (الناموس) ليعطينا إياها.» (أع 7: 22و35و36و38)

وعلى الهيكل قال:

+ «إلى أيام **داود** الذي وجد نعمة أمام الله **والتمس أن يجد مسكناً لإله يعقوب** (أي أن الله

لم يأمره بل الإنسان طلب لنفسه ذلك). **ولكن سليمان بنى له بيتاً. لكن العلي لا يسكن في هياكل مصنوعات الأيادي كما يقول النبي:** السماء كرسيٌّ لي والأرض موطئ لقدمي. أي بيت تبنون لي يقول الرب وأي هو مكان راحتي. أليست يدي صنعت هذه الأشياء كلها.» (أع 7: 45-50)

فانظر أيها القارئ العزيز كيف حرَّفوا الحرف وصاغوا الحق باطلاً، ومن كلام الله الذي استشهد به قلبوه تحريفاً وأقاموا أنفسهم التي باعت نفسها للكذب والشيطان لتشهد بما لم تسمع، وتتكلَّم بكلام الكذب. ومأساة المسيح التي أتقنوا تمثيلها مثَّلوها هنا أيضاً، ليستقر ذنب دم استفانوس عليهم وعلى أولادهم مع دم المسيح هذه الآلاف من السنين.

لذلك لم يجد ق. لوقا أصدق من كلمة «دسُّوا» ليعبِّر بها عن تمثيلية الغش والتدليس.

«حينئذ "دسَّوا" لرجال يقولون»: طط balon pط

والكلمة باليونانية تعني **وضعوا الكلام بعناد وتحت ضغط وبتدليس أو احتيال** في أفواه هؤلاء الرجال وبإحساس بالتزوير والخيانة للحق. كل هذه المعاني تحملها كلمة «دسُّوا»

«كلام تجديف على موسى وعلى الله»:

هنا استخدم اليهود الذين يتمسكون بالحرف ويقتلون الروح مجرد نطق استفانوس "باسم الله"، في غير ما ذكرته التوراة، أنه تدنيس للاسم بحسب قانون المِشْنَاه والسنهدريم الذي يقول: [أن المجدِّف لا يُعتبر مذنباً حتى ينطق بالاسم](141). وهنا أصبح **"التجديف"** هو **"مجرد ذكر اسم الله"**، إذ كان محرَّماً في التوراة أولاً أن ينطق أحد باسم الله، لا حقًّا ولا باطلاً، وكان ذلك تخريجاً متشدداً من الوصية التي سبق وذكرناها. والقانون التخريجي الذي كان يتعامل به الرؤساء في أيام المسيح لم يكن فقط الاسم بل والتعبير عن الله بأي شكل. فالمسيح اتُّهم بالتجديف لمَّا سأله رئيس الكهنة: «أأنت المسيح ابن المبارك؟ فقال يسوع أنا هو. وسوف تبصرون ابن الإنسان **جالساً عن يمين القوة وآتياً في سحاب السماء.** فمزَّق رئيس الكهنة ثيابه وقال ما حاجتنا بعد إلى شهود. قد سمعتم التجاديف، ما رأيكم، فالجميع حكموا عليه أنه مستوجب الموت.» (مر 14: 61-64)

والآن، لو ينتبه القارئ يجد أن القديس استفانوس رأى بالفعل السماء مفتوحة **«ويسوع**

---

(141) Ibid. 134.

قائماً عن يمين الله» (أع 55:7) وهو النطق الذي حُسب على المسيح أنه تجديف، لأن السنهدريم كان متحيِّراً على أي تهمة يستخرج حكم الموت، إلى أن قالها استفانوس بفمه فانقضُّوا عليه ورجموه

دون تكميل المحاكمة: «فقال ها أنا أنظر السموات مفتوحة وابن الإنسان قائماً عن يمين الله، فصاحوا بصوت عظيم وسدُّوا آذانهم وهجموا عليه بنفسٍ واحدة (المجلس) وأخرجوه خارج المدينة ورجموه.» (أع 7: 56-58)

ولكن قبل أن يعثر السنهدريم على علّة الحكم بالتجديف والقتل بقول استفانوس أنه رأى «ابن الإنسان قائماً عن يمين الله» كان المجلس قد عزم على استخراج حكم القتل بأنه تكلَّم ضد الهيكل وبالتالي ضد موسى والله، بحسب ما أوصى المجلس شهود الزور أن يقولوا، الأمر الذي لم ينجح فيه نفس السنهدريم سابقاً في استخراج القضية على المسيح بسبب هذه العلّة: «ثم قام قوم وشهدوا عليه زوراً قائلين نحن سمعناه يقول إني أنقض هذا الهيكل المصنوع بالأيدي وفي ثلاثة أيام أبني آخر غير مصنوع بأيادٍ، ولا بهذا كانت شهاداتهم تتفق» (مر 14: 57-59). والعجيب حقاً أنهم توقفوا عند هذه التهمة الفاشلة وبدأوا يستجوبون المسيح لعلهم يعثرون من فمه على تهمة علنية يأخذونها عليه «فسأله رئيس الكهنة أيضاً وقال له أأنت المسيح ابن المبارك؟ فقال يسوع أنا هو، وسوف تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً في سحاب السماء فمزّق رئيس الكهنة ثيابه ... إلخ »(مر 14: 61-63)

وهذا الإجراء والترتيب في التحقيق الذي فشل شفوياً عن طريق الشهود، ثم عثروا على العلّة من فم المسيح، هو نفسه الذي تمَّ للقديس استفانوس. وهكذا فإن العقلية اليهودية وخطط القتل لا تتغيَّر فهي متأصلة فيهم.

6:12-14 **«وهيَّجوا الشعبَ والشيوخَ والكتبة فقاموا وخطفُوهُ وأتَوا به إلى المجمع وأقامُوا شُهُوداً كذبةً يقولُونَ هذا الرجُل لا يَفْتُرُ عن أن يتكلَّم كلاماً تجديفاً ضدَّ هذا الموضع المقدَّسِ والنامُوس، لأننا سَمِعناهُ يقُولُ إنَّ يسُوعَ الناصريَّ هذا سينقُضُ هذا المَوضِعَ ويُغيِّرُ العوائدَ التي سلَّمنا إيَّاها مُوسى. فشَخَصَ إليهِ جميعُ الجالسينَ في المجمع ورأوا وجهَهُ كأنهُ وجهُ ملاكٍ».**

نحن في أُورشليم، والهيكل هو مجدها وبهاؤها، والشعب لا يُستثار بقدر ما يعلم أن هناك مَنْ يهدد هيكلهم، فهو رمز الأمة والمعبِّر عن مجدها وتراثها وآبائها وبالأخص موسى والله. لهذا كان الشعب أول مَنْ أُثير، أمَّا الشيوخ فهم شيوخ الشعب ولا يمكن أن يُثار الشعب إلاّ وشيوخه على رأسهم، فشيوخ الشعب يحملون شخصية الشعب وفكره وعوائده

كأمانة، وكل ما كان لموسى هو ما لهم تماماً، فهم الحُفَّاظ على اسم موسى وكل ما قال وعمل. والكتبة هم أصحاب الحَرْف

ينسخونه ويتلونه، ولا وجود ولا قيام لهم بدون الناموس الذي يتعيَّشون عليه، ويعيشون بمقتضاه، ويرتزقون من حروفه. وهكذا زاغ متعصبو هذه المجامع المهزومون أمام حكمة استفانوس وقوة الروح الذي فيه وقد صغرت نفوسهم فيهم إذ أحسُّوا أن لا حياة لهم ولا رجاءَ ولا عبادة طالما هذا الـ"استفانوس " يعيش، فموته هو حياتهم.

وفي حماسة الموتورين وعلى عادة اليهود التي اشتهروا بها حتى اليوم قاموا وخطفوه وأتوا به إلى المجمع كأبطال حرب ومنقذي الأمة من الفساد، وهم كقول كبيرهم غمالائيل إنما يحاربون الله ويُفسدون تاريخهم ويحطّون أمجادهم إلى التراب، ويضعون نهاية لهيكلهم بأيديهم ويلقون بأُورشليم وكل تاريخها ومجدها في البحر.

«هذا الرجل لا يفتر عن أن يتكلّم كلاماً تجديفاً ضد هذا الموضع المقدَّس والناموس»:

نفس الاتهام الذي قُدِّم ضد بولس الرسول كما جاء في سفر الأعمال:

+ «فأهاجوا كل الجمع وألقوا عليه الأيادي صارخين يا أيها الرجال الإسرائيليون أعينوا، هذا هو الرجل الذي يعلّم الجميع في كل مكان ضداً للشعب والناموس وهذا الموضع.» (21: 27و28)

وقفة قصيرة هامة للغاية

هذا الهياج وهذه التهم وقومة الشعب قومة واحدة مع شيوخه وكتبته ليس من فراغ، فهو عن إحساس حقيقي بالخطر عليهم وعلى عبادتهم وعلى هيكلهم وعلى أمتهم، فالذي علّم به استفانوس هو حقاً وبالفعل يُحسب حسبالحق المسيحي أنه هكذا بل وقد صار هكذا بالفعل، وهو الآن هكذا، أين موسى؟ وأين الناموس؟ وأين الهيكل؟ وأين العبادة فيه بذبائحه؟ وأين العوائد؟ والختان؟ والسبت؟ والأهلّة؟ والأعياد؟ أين كل ما كان لإسرائيل في العالم المسيحي الآن؟ وفي أُورشليم المسيحية نفسها؟

استفانوس كان يعلّم بالحق ولكن الذي كشف استفانوس وعرّاه هذه الكشفة والتعرية المفاجئة والخطيرة، وأوقعه هكذا وحيداً دون كافة الرسل فريسة في أيديهم وكأنه المسيحي الوحيد والتلميذ للناصري الذي ينبغي أن يُقتل، هو أن الرسل لم يعلّموا أو يتكلّموا هذه المدة كلها ضد ناموس

موسى بل وقَّروه واحترموه باعتبار أن المسيح هو النبي الذي جاء مثل موسى، فالمسيح بحسب تعبير ق. بطرس هو موسى الجديد! فالرسل لم يعلّموا ضد الناموس بل عاشوه وتعايشوا معه وصلّوا مع المصلّين في الهيكل وعيَّدوا معهم وجاملوهم، ولذلك نسمع أن الشعب اليهودي كان يكرِّمهم ويعظّمهم: «ولهم نعمة لدى جميع الشعب» (أع 2:47). كذلك لم يتكلّموا قط ضد الهيكل، كما قال به المسيح، بل احترموه وعقدوا اجتماعاتهم فيه وحافظوا على مواعيد صلواته واشتركوا فيها جميعاً. كذلك لم يتكلّموا بكلمة واحدة ضد العوايد، فكرَّموا السبت والهلال والعيد والصوم والختانة، وكانوا يختنون أبناءهم. فلماذا يهيج الشعب ضدهم؟ أو كيف يُتَّهمُون أنهم ضد موسى أو الناموس أو الهيكل أو العبادة؟

هنا تتضح معالم رسالة استفانوس وتعاليمه الخطيرة، لتظهر وتتسجَّل في الكنيسة والتاريخ المسيحي أنها أول كرازة بحسب تعاليم المسيح وبالنص، والتي صرخ بها استفانوس في وجه اليهود والسنهدريم: إن هنا مَنْ هو أعظم من موسى، وهنا مَنْ هو أعظم من الهيكل، وهنا مَنْ هو والله الآب واحد، وأن ابن الإنسان هو رب السبت، وأن ابن الإنسان جلس بالفعل عن يمين الله في العظمة والمجد، وأن أُورشليم سوف تُحاط بمترسة و «هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً ... ولن يُترك فيه حجر على حجر إلاَّ ويُنقض»

الرسل أبداً لم يكشفوا الستار عن مثل هذه الحقائق بل لم يتصوَّروا أن المسيحية يمكن أن تصير ديانة بدون الهيكل وصلواته وعوائده. أمَا رأوا المسيح معلّمهم يعلّم في الهيكل ويصلّي ويعيِّد؟ ألم يكن المسيح مختوناً في اليوم الثامن؟ وهكذا وُلدت كنيسة الرسل داخل الهيكل وعاشت وعايشت رؤساءَه وكهنته وفريسييه وكتبته، وظلت الكنيسة تجتمع في أروقة الهيكل كل أيام الرسل، حتى ضاق الله بهم فحطّمه لهم تحطيماً، فلم ينتبهوا لما كان الرب يسوع يرمي إليه حينما قال: «هوذا بيتكم **يُترك لكم خراباً**» (مت 23:38)، حيث لا يعني ذلك إلاَّ أن الهيكل لليهود فقط وسينتهي بنهايتهم. أمَّا أُورشليم فلم ينتبهوا أنها ليست مدينتهم كما قال لهم: «ومتى رأيتم أُورشليم محاطة بجيوش فحينئذ اعلموا **أنه قد اقترب خرابها ... والذين في وسطها فليفرُّوا خارجاً** والذين في الكور **فلا يدخلوها**.» (لو 21: 20و21)

ولم يكن الرسل يعتقدون أنهم سيتخلّصون من عوايد اليهود الثقيلة التي صرخ ق. بطرس من تحتها وهو لا يزال متمسِّكاً بها فيقول: «فالآن لماذا تجربون الله بوضع نير

(الناموس) على عنق التلاميذ (في الأمم) **لم يستطع آباؤُنا ولا نحن أن** نحملهُ» (أع 10:15). وهكذا نرى كيف كان ضمير ق. بطرس يتمزق وهو مثقَّل بعوايد الناموس كنير على ظهره يشتهي أن يلقيه عنه، ولا

يعرف كيف، واليهود أمامه بالمرصاد!!: «ولمَّا صعد بطرس إلى أُورشليم **خاصمه الذين من أهل الختان** قائلين إنك **دخلت إلى رجال ذوي غلفة وأكلت معهم**» (أع 11: 2و3). فبطرس نفسه يقول بهذا: «ثم دخل (بيت كرنيليوس الأُممي) وهو يتكلَّم معه ووجد كثيرين مجتمعين فقال لهم (مشيراً إلى نفسه) أنتم تعلمون كيف **هو محرَّم على رجل يهودي** أن يلتصق بأحد أجنبي أو يأتي إليه، وأمَّا أنا فقد أراني الله أن لا أقول عن إنسان ما إنه دنس أو نجس» (أع 10: 27و28). إذاً، فبطرس يؤمن ويعتقد أنه رجل يهودي يعيش بحسب الناموس وعوايد اليهود تماماً. وبهذه الكيفية عاش يهودياً، وبالرغم من أنه تلقَّى تعليماً من الله أن لا يحجز نفسه عن الأُمم، عاد سريعاً ونسي الدرس:

+ «ولكن لمَّا أتى بطرس إلى أنطاكية قاومته مواجهة (القديس بولس هو الذي يتكلَّم) لأنه **كان ملوماً.** لأنه قبلما أتى قومٌ من عند يعقوب (كنيسة أُورشليم) **كان يأكل مع الأُمم، ولكن لمَّا أتوا كان يؤخِّر ويفرز نفسه خائفاً** من الذين هم من أهل الختان وراءَى معه باقي اليهود أيضاً.» (غل 2: 11-13)

انظر أيها القارئ وافهم لماذا أبرز الله استفانوس في أخطر ميعاد، إذ كانت الكنيسة في أُورشليم بقيادة القديسين يعقوب وبطرس تعيش يهودية مع اليهود وتراعي أنظمة اليهود والهيكل، ولا رجاء إطلاقاً في تحرُّرها وذلك بسبب الخوف!! فكان يتحتَّم ظهور استفانوس ـ لا يخاف ـ لينقذ الكنيسة المسيحية من مستنقع اليهودية. ولقد أنقذها فعلاً بتعاليمه النارية المصوغة بالحكمة والروح القدس التي شملت كل مضمون المسيحية الحقيقي كما قصده المسيح ونادى به، وكما نطق به الروح القدس في قلبه. وبعد أن استراحت روحه أنه **قد سلَّم الرسالة "للقاتل"**، رقد تحت وابل الحجارة تاركاً لشاول قيادة "كنيسة استفانوس" كما رسمها المسيح تماماً!

من أين جاءت هذه المفارقة بين استفانوس والرسل في فهم رسالة المسيح

كون استفانوس ليس من يهود فلسطين بل يهودي يوناني من الشتات، فإن في ذلك تكمن كل الحقيقة. صحيح أننا لا نعرف شيئاً عن عائلة استفانوس، أو في أي بلد من بلاد الشتات عاش وتربَّى، غير أن ذكر كلمة «الحكمة» أربع مرات في سيرته المذكورة هنا توضِّح أنه

الإسكندرية ـ أي مجمعها، وربما كان زميل أبلُّوس أو فيلو، لأنه صاحب حجَّة ومنطق وحكمة لا تُجارَى ولا تُهزم. فهو متضلّع في اليونانية ومتربِّي على السبعينية. وأحكم دراسة التوراة على معناها المتسع وبالفكر اليوناني الذي يتعمق الكلمات وما وراء الكلمات. ومَنْ يدرس الفلسفة اليونانية لا يصبح يونانياً بل يصبح مثقفاً عالمياً والعالم كله يصبح جُزْءاً منه، فالإنسان في عرف اليونان هو العالم الكبير macrocosm والعالم بالنسبة له هو الصغير microcosm. فاليهودية التي تربَّى فيها استفانوس، تقبلت اليونانية بارتياح على السبعينية، ولا بد أنه تخرَّج من تحت يد أعاظم الحكماء الربيين فصارت يهوديته أكثر اتساعاً وأكثر فهماً للمسيح، بل وأكثر قدرة على فهم آفاق المسيح التي تتجاوز الهيكل وأُورشليم والناموس وموسى. فحكمة المسيح حكمة الله، والله لا يُحصر في قطر ولا في هيكل ولا في قانون أو ناموس ولا في سبت ولا في ختان، حتى ولو وُلد تحت الناموس. فالمسيحية التي تَقبَّلها استفانوس ارتاحت على الحكمة وعلى المسيح كمسيح العالم كله وكرب المجد. ومن هنا نشأت أسس المفارقة بين استفانوس ورسل أُورشليم، لا مفارقة إيمان بل مفارقة تطبيق الإيمان. فإيمان الرسل يتسع لأهل الختان من مواطني إسرائيل وأُورشليم، ولكن يضيق بأهل الشتات ذوي ختانةٍ كانوا أو غرلةٍ. إذ كان يتحتَّم عليهم بحسب تعاليم الرسل أن يتهوَّدوا أولاً ويختتنوا ويحفظوا السبت والتقاليد، وهذا كان تعليم اليهود المتنصِّرين الذين كانوا يأتون «من عند يعقوب» ليزعجوا متنصِّري الأمم.

لهذا فإن استفانوس استظهر على الرسل في مجامع الشتات التي كانت بأُورشليم، ولكن أهل الختان من يهود أُورشليم ضاقوا به، حتى رجموه.

وشخصية استفانوس ذات سمات تكشف عن علو قدْره ومقدرته. فبالرغم من الوداعة التي فيه، إلاَّ أنه كان ذا سلطان في حديثه وخطابه. فبينما نسمع ق. بطرس يخاطب السنهدريم وقت محاكمته بقوله: «يا رؤساء الشعب وشيوخ إسرائيل ...» (أع 8:4) وكأنه يطوي نفسه تحت رئاسة الرؤساء ويتصاغر تحت شيوخ إسرائيل! نجد استفانوس وهو عالم بأنه قادم إلى محاكمة ستؤدي إلى قتله فلم يطأطئ الرأس لقتلة المسيح أبداً إذ خاطبهم: «أيها الرجال الإخوة والآباء...» (أع 2:7)، وهي مقولة تُنطق بروح الحرية: «**الإخوة**» لكل مَنْ هم دون رؤساء الكهنة و«**الآباء**» لرؤساء الكهنة الذين يمثّلون الآباء! وقد كان استفانوس كثير الشبه بشاول المدعو بولس، وكأن روحه استقرت فيه. فشاول لم يتعلّم تحت رجليِّ غمالائيل، بل تحت حكمة استفانوس وتتلمذ لروحه. وإشراق وجه استفانوس كوجه

ملاك هو الذي أهَّل شاول لرؤية وجه المسيح من السماء.

ونحن إذا اعتبرنا بطرس رسول الختان لليهود وبولس رسول الغرلة للأُمم، فاستفانوس هو الصلة

التي حملت وسلّمت كل ما لبطرس لبولس. وسوف نرى في خطاب استفانوس كيف انتقلت التوراة إلى الإنجيل ومعها كل التقليد ومدَّخرات أمجاد الآباء والقديسين، بل والتاريخ القديم برمّته. فمركز استفانوس هو خلف المسيح مباشرة يمسك التوراة بيد ومعها العهد القديم، وباليد الأخرى الصليب ومعه العهد الجديد. فكل مبادئ المسيح وأفكاره واستعلان أعمق تعليمه وأهدافه ومحيط رؤياه من الألف إلى الياء كانت مطبوعة على قلب استفانوس وذهنه نطقها في خطاب واحد علني وشفاهي وفي جلسة سنهدريم واحدة كانت هي جلسة الموت. كان كنور البرق الذي ظهر فجأة قوياً شامخاً ممتداً لينحسر بعد لحظة، ولكن شدة هذا النور وومضاته رددتها السماء والتقطتها الأرض لتطبعها على شاول المدعو بولس، وكل مَنْ سمع وتتلمذ على بولس. لقد نُسي استفانوس ولكنه بقي مُخلَّداً في بولس.

15:6 «**فَشَخَصَ إليهِ جميعُ الجالسينَ في المجمع ورأَوا وجهَهُ كأنَّهُ وجهُ ملاكٍ**».

[أيها الحمل الوديع المتقدّم في القطيع (الأول بين السبعة)،
وَقفتَ تحارب بين الذئاب (وأنت لا ظفر لك ولا ناب)،
سِرْ فأنت في ظل القدير وعلى نفس درب الصليب تسير،
وما بقي لك إلاَّ اليسير. وها وجهك كوجه ملاك ينير،
الذئاب حولك (تعوي) وشمس البر فوقك والمجد والتجلّي،
وقفت بين عدو ومنتقم وأنت بريءٌ من غش ومن ظلم.]
(عن القديس أغسطينوس بتصرُّف)

هذه الآية جاءت متقدمة نوعاً عن مكانها، فمكانها: «وأمَّا هو فشخص إلى السماء وهو ممتلئ من الروح القدس فرأى مجد الله ويسوع قائماً عن يمين الله» (أع 55:7). هي هي أشعة المجد الأسنى وجدت لها في وجه استفانوس صفحة ناصعة حساسة لتنعكس عليها! ما أبهى وجه الإنسان حينما تنعكس عليه صورة وجه المسيح! موسى كان أول مَنْ التقط صورة المسيح من وراء الدهور وعكسها على شعبه ففزعوا وطالبوه بلبس البرقع كما طالبوه أن لا يتكلّم الله معهم أبداً. استفانوس نقل صورة وجه المسيح لهم كما نقل كلامه فقتلوه حالاً إذ لم يطيقوا وجه المسيح ولا كلامه. نظر استفانوس إلى السماء فرأى مجد المسيح، فتمَّ فيه قول بولس خليفته: «ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغيَّر

إلى تلك الصورة عينها.» (2كو 3:18)

ويقيناً قالها بولس وصورة استفانوس في ذهنه التي ألهمته الرؤيا والنظر والمجد الذي ينطبع في القلوب فيضيء الوجوه. ومَنْ الذي نقل لنا هذه المقولة إلاَّ شاول نفسه سابقاً وهو في حالة الذئب الجالس في وسط السنهدريم، وها هو هنا يحكي للقديس لوقا أعزَّ وأمرَّ ذكريات حياته. أمَّا كيف قاوم شاول مشاعره فيقتل هذا الملاك، فاسأل عنه الناموس ورئيس الكهنة: «لأن الخطية (القتل) وهي متخذة فرصة بالوصية (الناموس) خدَعتني بها وقتلتني (فتجرأ وقتل حامل النور والشاهد له).» (رو 7:11)

ولماذا لا يشهد الله لشهيده؟ فقبل أن يقتلوه وهبه مجده الأسنى، فلمع وجهه كوجه موسى أو كملاك، هي الدُّكصا التي قدمها استفانوس للمسيح على الأرض، فردَّها له من السماء تحية واعترافاً برضاه! لقد خرج من الجسد بهذه الدُّكصا والنور يلفُّه، تحمله الملائكة إلى حيث المسيح جالس! وكأن الله يقول لهم: «هذا ملاك وليس إنساناً»

ثم عود مرة أخرى للنص لأن فيه عجباً عجاباً. إذ يقول إن الذي شَخَصَ والذي رأى هذا هو **جميع** p£ntej الجالسين، يا للعجب! رئيس الكهنة رأى ذلك؟ وما تحرَّك قلبه! لقد صحَّ فيهم قول المسيح عن قول إشعياء بل عن كل الأنبياء: لهم عيون تبصر ولا يبصرون، وقد أعمى عيونهم حتى لا يبصروا فأعود فأشفيهم!!

الأصحاح السابع

أول خطاب للدفاع عن المسيحية يسمعه السنهدريم واليهود بعد صلب المسيح
وهو يضع أساس الإيمان المسيحي بحسب تعليم المسيح

▪ التاريخ المقدَّس في مقالة!! «فقال...» (7:1-50)

المرحلة الأولى: زمن الآباء البطاركة (7:2-16).

▪ المرحلة الثانية: زمن موسى والناموس (7:17-43).

الفراعنة الذين عاصرهم العبرانيون في مصر.

▪ المرحلة الثالثة: بين الخيمة والهيكل (7:44-50).

(7: 51) الانتقال من الدفاع إلى الهجوم.

(7: 53) الاتهام الأخير الذي مات به وهو على شفتيه!!

(7:54-60) رجم استفانوس أول شماس بوضع اليد وأول مدافع عن الكنيسة وأول شهيد في الكنيسة.

الدفاع عن المسيحية

لم يكن في نيَّة استفانوس على الإطلاق أن يدافع عن نفسه أو يفكر مجرد تفكير في إمكانية إقناع السنهدريم أو استمالته لتبرئته.

لذلك وضع استفانوس في نفسه أن يستخدم هذه الفرصة الفريدة لكي يقدِّم عرضاً منسَّقاً لكيف آل العهد القديم بكل حوادثه العظام وآبائه وقديسيه الأماجد إلى الوضع الحتمي الذي حتَّمت به المسيحية كما يَرَوْنَها أمام عيونهم.

لقد استخرج من رواية العهد القديم برمَّته كل العناصر التي وُضِعَتْ في زمانها لكي تنتهي حتماً إلى ما انتهت إليه في العبادة المسيحية كما هي أمامهم!!

لذلك يُعتبر القديس استفانوس **أبو الدفاع** وواضع أُسسه عند كل الذين جاءوا من بعده ليستخلصوا حق المسيحية في التاريخ المقدَّس ضد استمرار اليهودية.

لأن ملخص دفاع استفانوس ينتهي إلى استحالة استمرار اليهودية بمقتضى الأُسس التي وُضِعَتْ عليها والتي باشرها الله نفسه. وأول نتائج الدفاع التي تظهر مُجْمَلَةً في خطابه تكشف في الحال كيف حرَّفوا وزيَّفوا معظم عناصر الاتهام لكي تتناسب مع العقوبة التي وضعوها أمامهم قبل أن يفحصوا قضيتها. ولكن من الإيجابية والاحترام الذي شهد به استفانوس سواء عن موسى أو الآباء أو الهيكل أو الله، وضحت الاتهامات أنها مقلوبة الصورة.

ولكن لكي تظهر أمام القارئ مدى الصعوبة التي واجهها استفانوس في الرد على الإدعاءات، يلزم أن نفرِّق بين ما قصد أن يقوله وبين ما التقطه المتربِّصون به من أقوال ومزجوا إدعاءاتهم بين ما هو صدق وما هو كذب. فمثلاً كذبوا حين قالوا:

+ «حينئذ دسوُّا لرجال يقولون إننا **سمعناه يتكلَّم بكلام تجديف على موسى وعلى الله.**» (أع 6:11)

هذا كان اتهاماً كاذباً وملفَّقاً! ولكنهم قدَّموا للمجمع شهادة أخرى صادقة مائة بالمائة

وهي:

+ «لأننا سمعناه يقول إن يسوع الناصري هذا سينقض هذا الموضع المقدَّس ويغيِّر العوائد التي سلَّمنا إياها موسى.» (أع 14:6)

وهكذا وقف استفانوس ليدافع عن كذب البند الأول وصدق البند الثاني. ومعروف في المرافعات أن الاتهام الكاذب يَسْهُل نقضه ولكن الاتهام الممزوج بالكذب والصدق معاً يصعب جداً الدفاع ضده.

ولكن العجيب حقاً في رؤية هذا القديس الشهيد أنه وقف وفي ضميره وقلبه وفكره بل وروحه أن لا يدافع فقط عن صدق الأوضاع التي آلت إليها حركات التاريخ المقدَّس منذ إبراهيم وعبر كل الآباء وموسى والأنبياء حتى استقرت في الكنيسة المسيحية كما هي، بل صمَّم أن يتهم الذين يحاكمونه بروح مَنْ يتكلَّم باسم الله كقاضي هذه الأمة باعتباره مندوباً فوق العادة من قِبَل الله بحكم الدم الذي سيسفك على اسمه ومن أجل أمته كشاهد وشهيد. والقارئ ذو الأذن الروحية الحسّاسة يدرك من نبرة كلام استفانوس كيف ينطق استفانوس بروح رئاسي وكأنه موسى يتكلَّم في التوراة! أو في الحقيقة كنبيٍّ للعهد الجديد يراجع الأمة على تصرفاتها السابقة واللاحقة ليصب على رؤوسهم في النهاية جريمة سفك دم المسيح. لأن مَنْ ذا يستطيع أن ينطق بهذا الاتهام في وجه رئيس الكهنة ومعه كل مشيخة إسرائيل وعلماؤها وقضاتها:

+ «يا قساة الرقاب وغير المختونين بالقلوب والآذان. أنتم دائماً تقاومون الروح القدس كما كان آباؤكم!!» (أع 51:7)

وانتبه أيها القارئ، فهنا يراجعهم هذا الشاهد (والشهيد) كيف ضيَّعوا على أنفسهم وأولادهم والتاريخ اليهودي كله موهبة يوم الخمسين، أي حلول الروح القدس أقنومياً، الأمر الذي لم يحدث على مدى تاريخ الأمة. ويتهمهم مواجهة أنهم الآن يقاومونه في أقنومه الذاتي، لأن هذه المحاكمة هي في الحقيقة ضد الروح القدس الذي أقام الكنيسة وأقامه هو فيها ليشهد لها ولإلهها:

+ «أي الأنبياء (الذين كانوا يتكلَّمون بالروح القدس) لم يضطهده آباؤكم وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبأوا بمجيء البـار (المسيح) الذي أنتم الآن صرتم مسلّميه وقاتليه.» (أع 52:7)

ثم عرَّج على الناموس الذي وضعوه له في لائحة الاتهام، ليتهمهم هو بخصوصه، لا بمجرد الكلام عليه، بل بإهانتهم له واحتقاره «الذين أخذتم الناموس بترتيب ملائكة ولم تحفظوه.» (أع 7:53)

أي دفاع هذا؟ إنها محاكمة أمَّة. أرادوا أن يحاصروه كفرد باتهام مزيَّف، فحاصرهم كأمة باتهام قاتل لا يقوون على الإفلات منه.

ظنوا أنه قد سقط بين أيديهم، أمَّا هو فكان يشعر أنه قد ظفر بهم، وحوَّل قضيته إلى مقاضاة علنية للأمة كلها، وقضاتُها صيَّرهم تحت اتهام وقضاء الله. لأنه كان محمولاً على روح الله وكان الله هو المتكلّم في فمه! لقد ردَّ على اتهامهم ردًّا ما كان يخطر لهم على بال، فالذي اتهموه أنه كان يتكلّم بتجاديف على الله، كشف لهم مَنْ هو الله عنده ومَنْ هو الله عندهم، وأسمعهم صوت الله وقضاءه قبل أن يقضوا عليه!!

والله الذي أرادوا أن يحبسوه لأنفسهم فقط وعلى ذمّتهم داخل هيكلهم، رفعه استفانوس بعيداً عن فلسطين برمّتها، فأول ما ظهر وأول ما تكلّم ظهر لإبراهيم وهو بين النهرين. والناموس الذي جعلوه مجد عبادتهم كشف أمام أعينهم كيف أنه أُعطِي للشعب وهم هائمون على وجوههم في البرية تحت لعنة غضب الله وجثثهم ملأت سيناء، وأسْمعهم قول الله على لسان الأنبياء أنه لا يسكن هياكل صنع الأيادي. فشعب الله هو شعبه سواء في مصر أو سيناء أو في أي مكان، فالمكان لا يصنع شعباً ولا الهيكل يصنع إلهاً ولا الناموس أو القانون يصنع قديساً. فخيمة الاجتماع التي كانت من جلود معزى والتي كانت تسير معهم من قفر إلى قفر، ومن جبل إلى سهل، كان يحل الله فيها كما يشاء وعندما يشاء وليس كما كانوا يشاءون.

وإن كانت الخيمة جاءت إلى فلسطين، فالله لم يطلب من داود أن يبني له بيتاً، وعندما بناه سليمان قال عن إحساس ويقين أن الله لا يسكن على الأرض:

+ «لأنه هل يسكن الله حقاً على الأرض، هوذا السموات وسماء السموات لا تسعه فكم بالأقل هذا البيت الذي بنيت.» (1مل 8:27)

وكررها لهم استفانوس على لسان إشعياء النبي: «لكن العلي لا يسكن في هياكل مصنوعات الأيادي كما يقول النبي، السماءُ كرسيٌّ لي والأرض موطئٌ لقدميَّ، أيَّ بيتٍ تبنون لي يقول الرب وأيٌّ هو مكان راحتي» (أع 7: 48و49، إش 66: 1و2). وهكذا

أوضح

استفانوس أن الهيكل الذي يقدِّسونه هو في أصله وواقعه خيمة تُطوى وتُفرد، فإن أُقيمت فيها الصلاة كما يريدها الله فهو بيته لأن بيته «**بيت الصلاة يُدعى**» (مت 13:21)، وإذا توقفت الصلاة الصادقة لقوم غير صادقين فهو ليس بيته بل بيتهم: «**هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً**» (مت 38:23). فاستفانوس لم يجدِّف على الهيكل بل هم الذين جدَّفوا على الهيكل وعلى صاحب الهيكل وقبضوا عليه فيه وحكموا عليه زوراً وقتلوه!! فكيف يبقى. فإن تنبأ استفانوس أنه سوف يُنقض وكل ما فيه فهو تحصيل حاصل، وهو إنما فقط يعيد على مسامعهم ما قاله المسيح لهم!

إن شموخ النظرة التي ينظر بها القديس استفانوس للحادثة التي أحاطت به جعلته يبحث عنها في أصولها الأولى كيف ولماذا انتهى هذا الشعب إلى هذا الوضع الكاذب المخاتل حيث وقف قُضاته يحاكمون الحق بعد أن قتلوه. فابتدأ يقص على قُضاته من أين بدأت جريمتهم وكيف وصلوا إليها، لا ليعيِّرهم بحالهم وماضيهم بل لينعي حالهم وينعي ماضيهم:

+ «يا قساة الرقاب وغير المختونين بالقلوب والآذان، أنتم دائماً تقاومون الروح القدس، كما كان آباؤكم كذلك أنتم. أيُّ الأنبياء لم يضطهده آباؤكم وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبأوا بمجيء البار الذي أنتم الآن صرتم مسلميه وقاتليه.» (أع 7: 51و52)

استفانوس يكشف لهم عمق أعماق الورطة التي تورَّطوا فيها وهي ليست غريبة عليهم، فهي حلقة في مسلسل القتلة والمضطهدين والراجمين والحاكمين بالظلم والتدليس والحقد والحسد الذي عيَّرهم به بيلاطس!!

استفانوس الشهيد يرى نفسه ويرى قضيته ليست غريبة عليهم ولا عليه، فهم متورطون فيها لأنهم تورطوا سابقاً فيما هو أخطر منها. فهو غير مشغول قط بتبرئة نفسه ولكنه مشغول جداً بتسجيل جريمتهم على جبين التاريخ كشاهد عليهم قبل أن يصير شهيداً على أيديهم!

استفانوس تسلَّق التاريخ حتى بلغ قمته فرأى ما رأى وأعظم ما رأى رأى المسيح هو أصل التاريخ وهو نهايته كما قال بالحرف الواحد أنا الألف والياء!! البداية والنهاية!! فهو حينما كان يسرد التاريخ عليهم كان يتابع حركات المسيح من إبراهيم حتى انتهى به إلى الصليب. فلمَّا قتلوه تاه عنهم تاريخهم فأصبح إبراهيم لا معنى له إلاَّ بالختان، وموسى ليس

موسى إلاّ بالناموس، والناموس عندهم: هذا مستوجب الحكم وهذا مستوجب الرجم.

مع أن معنى إبراهيم: هو الإيمان بالمسيح!! وموسى: «سيقيم لكم الرب نبياً مثلي» ! والناموس: «مؤدبنا إلى المسيح» ! والمسيح: هو «حجر الزاوية» في هيكله!!

على مدى حياة وقيام مجمع السنهدريم كان يحكم بالقتل، وبغير حكم القتل لم يكن له أحكام ولا وجود ولا لزوم. فلمَّا جاء ربُّ الحياة، حكموا عليه بالقتل، بحسب القصور الذاتي. ولمَّا وجدوا أن الكنيسة من بعده تحكم بالحياة ـ وليس بالموت ـ وتعطي الحياة، شقَّ عليهم ذلك، بالرغم من أنهم رأوا ذلك وعاينوه. وبالرغم من أنهم لمَّا شخصوا في وجه استفانوس «رأوا وجهه كوجه ملاك» قتلوه!

استفانوس ذكَّرهم بملاك آخر وهو يوسف صاحب الأحلام المحبوب لأبيه، حكموا عليه بالموت أولاً فألقوه في البئر، ثم باعوه لينتفعوا بثمنه، وركَّز على كيف أن إخوته هم الذين حكموا عليه بالموت بالبيع لينبِّه قلوبهم غير المختونة من جهة أحكامهم الخاطئة جداً! ولكن وبعد أن سمعوا هجموا عليه وقتلوه!

دفاع استفانوس من وجهة نظر مسيحية:

نحن الآن في حضن الكنيسة الفتية كنيسة الرسل التي وَجَدَت في الهيكل حضناً لها أميناً ومقرًّا. يصلِّي الرسل فيه ومعهم كل المؤمنين من أهل الختان صلوات الباراخوت (البركات) الثمانية عشرة في مواعيد الصلاة بحسب نظام الهيكل، يقودهم رؤساء الكهنة واللاويون! ويشتركون في الصلوات ورفع البخور. ولا ندري هل في الذبائح أيضاً؟ وهل كانوا يأكلون منها؟

ولكن الذي ظل قائماً حتى لحظة القبض على بولس الرسول في الهيكل كان هكذا بالحرف الواحد:

+ «وفي الغد دخل بولس معنا (ق. لوقا هو الذي يتكلَّم) إلى يعقوب (رئيس كنيسة أورشليم) وحضر جميع المشايخ (اليهود المتنصرين والذين لا يزالون يمارسون مشيختهم في الهيكل) ... وقالوا له (لبولس) أنت تَرى أيها الأخ كم يوجد ربوةً (10 آلاف) من اليهود الذين آمنوا (واعتمدوا) وهم جميعاً **غيورون للناموس**. وقد أُخبروا عنك أنك تعلِّم جميع اليهود الذين بين الأمم الارتداد عن موسى قائلاً أن لا يختِنوا أولادهم ولا يسلكوا حسب العوائد (هذه جريمة في نظر ق. يعقوب) فإذاً ماذا يكون؟ لا بد على كل حال أن يجتمع الجمهور لأنهم سيسمعون أنك قد جئتَ. فافعل هذا الذي

نقول لك: عندنا أربعة رجال عليهم نذر، خُذْ

هؤلاء **وتطهَّر معهم** وأنفق عليهم ليحلقوا رؤوسهم فيعلم الجميع أن ليس شيءٌ مما أُخبروا عنك بل **تسلك أنت أيضاً حافظاً للناموس ...**» (أع 21: 18-24)

وهذا التقرير بحسب تاريخ الكنيسة **وقع في مايو سنة 57م أي بعد قيام الكنيسة في أورشليم بسبع وعشرين سنة!!** فانظر أيها القارئ العزيز كيف كانت الكنيسة في أورشليم غارقة في أنظمة الهيكل وحافظة للناموس وعاملة بكل عوائد اليهود!

ومرَّة أخرى نجد القديس الشهيد استفانوس كيف يجاهر بحتمية نقض الهيكل وتغيير العوائد التي سلّمها موسى لليهود:

+ «لأننا سمعناه يقول (وهذا حق) أن يسوع الناصري هذا سينقض هذا الموضع (الهيكل) ويغيِّر العوائد التي سلّمنا إياها موسى.» (أع 6:14)

إذاً، فهذا هو الفاصل الأول الذي وضع أساسه ق. استفانوس بين كنيسة أورشليم المعروفة بكنيسة الختان وبين كنيسة الأمم. فلا هيكل ولا ناموس ولا عوائد. وكانت هذه المناداة أول مناداة بكنيسة المسيح التي نعيش نحن فيها الآن وفي كل مكان في العالم. هذا الدستور المسيحي الواضح العلني سمعه شاول المدعو بولس وعليه أسَّس كل تعاليمه!

ثم انظر أيها القارئ العزيز، ماذا سيكون أمر كنيسة المسيح لو لم يُلهم الله هذا القديس الشهيد أن يُعلن عن أوصاف الكنيسة الحقيقية التي تقوم بدون ناموس ولا هيكل ولا موسى ولا ختان ولا عوائد، وأنت ترى أن الكنيسة الأم الوحيدة كنيسة أورشليم كانت أسيرة الهيكل ومأسورة تحت نفس الناموس بكل أصوله وصلواته، كما رأينا توًّا في تدبير خطة لإخفاء بولس حتى يظهر أنه يعمل بالناموس ويصلّي ويتطهَّر في الهيكل ـ وهذا معناه أن المسيحية كانت ستبقى ليس أكثر من شيعة يهودية تؤمن بالمسيح يسوع الذي مات وقام من الأموات ويكون مآلها إلى الهزال ثم الزوال.

ومن هذا نستطيع أن نقيِّم الدور الذي قام به القديس الشهيد استفانوس وإعلانه أُسس الإيمان المسيحي في خطابه التاريخي الذي استلمه بولس الرسول وأسَّس به كنيسة الأمم.

والإنسان يكاد يحس أن يسوع المسيح اختار هذا الإنسان الملائكي في آخر وأخطر وقت ليصحِّح مسيرة الكنيسة في العالم وليكمِّل به رسالته ويؤسِّس أساس كنيسته التي سيسلمها لخلفِهِ شاول ليحمل اسمه للشعب وإلى أمم وملوك الأرض.

وكان يتحتَّم على الكنيسة، وبعد أن راءَى بطرس وحجز نفسه عن أن يأكل مع الأمم المتنصّرين لئلاّ يتنجَّس، أن تبحث لها عن رسول لينقذها من ورطة الهيكل والناموس والعوائد والتقاليد. رسول أصلاً له مجد أهل الختان ونور قلب المسيح. وكان هذا مكتوباً في سفر تذكرة أمام المسيح فسبق وأعدَّ لها استفانوس ليعدَّ لبولس أُسس الكرازة بالإنجيل بلا مانع.

ما وراء مساءلة رئيس الكهنة
وما وراء ردود استفانوس

حينما سأل قيافا رئيس الكهنة والسنهدريم ـ الذي حاكم المسيح ـ عن نفس التهمة التي لفَّقوها بشهود زور، تهمة نقض الهيكل لم يستطيعوا «لأن كثيرين شهدوا عليه (على المسيح) زوراً ولم تتفق شهادتهم. ثم قام قومٌ وشهدوا عليه زوراً قائلين: نحن سمعناه يقول إني أنقض هذا الهيكل المصنوع بالأيادي وفي ثلاثة أيامٍ أبني آخر غير مصنوع بأيادٍ. ولا بهذا كانت شهادتهم تتفق. فقام رئيس الكهنة في الوسطِ وسأل يسوع قائلاً أما تجيب بشيءٍ، ماذا يشهد به هؤلاء عليك؟ أمَّا هو فكان ساكتاً ولم يُجب بشيءٍ!» (مر 14: 56-60)

وما لم يفوزوا به من جواب على هذا السؤال من فم المسيح، أرادوا أن يفوزوا به من فم شهيده استفانوس ليكون له أثر رجعي ليطال المسيح أيضاً فيعلنوا أمام الشعب أن ما عملوه بالمسيح كان صحيحاً وواجباً وأن قتلهم لاستفانوس هو عن صحة ووجوب أيضاً دون أن يهيج الشعب. ولكن ارتدَّ الحجر عليهم وسحقهم «ومَنْ سقط هو (الحجر أي المسيح) عليه يسحقه.» (مت 21:44)

ويُلاحَظ أنه حينما ألقى نفس رئيس الكهنة هذا السؤال على المسيح صمت المسيح ولم يرد، لا لأنه تحاشى الرد ولكن كان من عادة المسيح أن لا يرد على أي سؤال إلاَّ بسؤال، ولأن الاتهام نصفه صادق ونصفه مزيَّف ومحرَّف. فنصفه الأول لم يقل إني أنقض بل انقضوا أنتم، لأن المسيح لم يأتِ لينقض بل ليبني ويكمِّل، ولأن الحقيقة أنه كان يقول عن هيكل جسده وهكذا كان لم يبق على تحقيق نقضهم له بالصلب فعلاً إلاَّ ساعات قليلة، فتحقَّق قوله.

ولكن حينما طرح رئيس الكهنة السؤال على استفانوس تماشى مع أفكارهم كونهم يظنون أن الكلام على هيكل أورشليم، ولكي يجيب على ذلك كان يلزم أن يشرح أولاً لهم عدم قيمة هذا الهيكل كمسكن لله كما كانوا يعتقدون، أمَّا هدمه فقد قال به المسيح فعلاً في موضع آخر إذ قال إنه لا يبقى فيه حجر على حجر.

وما قاله المسيح عن نقض الهيكل وتسوية حجارته بالأرض، عاد استفانوس وبيَّن فلسفته من النبوات ومن فم سليمان نفسه الذي بناه مبيناً أن هذا يحتمه تغيير العبادة من أساسها، فالله طلب الساجدين له بالروح والحق. والذبيحة لله هي الروح المنسحق كما قال داود النبي، والذبائح والمحرقات لا يسرّ بها الله ولكنه هيأ لابنه جسداً. أمَّا الروح القدس فلا يقيم في هياكل حجارة بل في هيكل الإنسان المكرَّس لله. كل هذا بلغ إليه المدافعون عن الكنيسة والعبادة المسيحية لمَّا سمعوا استفانوس يضع بدفاعه أساسها من واقع تسلسل تاريخها وأقوال الأنبياء.

فهدم الهيكل مربوط بتغير العبادة الهيكلية وانتهاء أو تكميل زمن الناموس وهدفه. فالهيكل والعبادة والناموس وموسى وكل العوائد المنبثقة من الماضي هي وحدة واحدة بلغت نهايتها وكمال زمانها ومعناها وفائدتها بمجيء المسيح ليقبل الإنسان عبادة جديدة بالروح وليس بالحرف أو المادة وفي كلمة واحدة كاملة شاملة ارتبطت العبادة الجديدة بملكوت السموات أو ملكوت الله، فكل ما لا يليق أو لا يتمشَّى مع طبيعة الله والسماء لا يليق بالعبادة أو الإنسان الجديد. كل هذا المعنى مكدَّس في قول استفانوس: «العلي لا يسكن في هياكل مصنوعات الأيادي كما يقول النبي السماء كرسيٌّ لي والأرض موطئٌ لقدميَّ، أيَّ بيتٍ تبنون لي يقول الرب وأيٌّ هو مكان راحتي؟» (أع 8: 48و49) وحيث الله تكون العبادة، فلا عبادة في هياكل حجرية، فالله روح والعبادة لله يلزم أن تكون بالروح، والعبادة بالروح لا تنحصر في قوانين جسدية أو أطعمة أو ذبائح أو أعمال يعملها الإنسان بالجسد. إذاً فلا ناموس ولا ذبائح ولا عوائد، ففي هذه كلها "لا يستريح الله" «أيٌّ هو مكان راحتي» فالله يستريح فقط في هيكل الإنسان حينما يتقدَّس بالروح في القلب الوديع المتواضع وفي الضمير غير المثقل بالخطايا والفكر المنشغل بالله وحده.

وطبعاً هذا المعيار اللاهوتي أول ما ظهر ظهر بالتجسُّد حيث حلَّ ملء اللاهوت جسدياً ... ثم أول ما استعلن في أعلى وضعه المنظور وغير المنظور بالقيامة من الأموات حيث قام "هيكل الإنسان" مقدساً تقديساً مطلقاً فيه ليس ملء اللاهوت جسدياً وحسب بل ملء رضى الله ومسرته وراحته وأبوته! لذلك أصبح إيماننا بالقيامة من الأموات يهبنا حالة قيامة لملء تبريرنا «الذي أُسلم من أجل خطايانا وأُقيم لأجل تبريرنا.» (رو 4:25)

ويُلاحِظ القارئ أن كل هذه التعبيرات العالية استعلنها الأنبياء بالروح وقالوها بالحرف

الواحد لأنها هي حقيقة الله وطبيعته. ولكن كان هذا القديس الشهيد أول مَنْ جمعها وقدَّمها كإيمان يعيش به ويموت عليه.

علماً بأن الهيكل غير المصنوع بالأيادي الذي قال عنه الرب عوض هيكل أورشليم وعوض هيكل الإنسان العتيق المتعاهد مع هيكل الحجارة، كان هو جسد المسيح القائم من الأموات. هذا هو الهيكل غير المصنوع بالأيادي الذي قال به بولس الرسول: «إنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم» (1كو 16:3) باعتبارهم يؤمنون بالقيامة التي أخذوها في أجسادهم وأرواحهم وصاروا بها هياكل الله الجديدة التي يرتاح فعلاً فيها لأنها به قائمة تحيا وتمجِّد.

التاريخ المقدَّس في مقالة!!

«فقال ...»

[50-1:7]

إن التجاء استفانوس إلى التاريخ ليسرده بالتتابع لم يكن ليظهر درايته بتاريخ أمته ـ ولو أن ذلك يجيء عفوياً ـ ولا ليدافع به أو من خلاله عن نفسه. ولكنه يجيء بقصد إلهي ونبوي معاً، ليواجه الحكام بمدى خروجهم عن طاعة الله منذ البدء وإساءَتِهم لأعماله ووصاياه كميراث عصيان وزيغان ورثوه عن آبائهم. وما هذه المحاكمة في واقعها إلاَّ نتيجة حتمية لعمى بصائرهم وتخبطهم في التعرُّف على الحق وطاعته والحكم بمقتضاه. لأن قتلهم للمسيح الذي سبق الله وأعلن عنه بفم جميع أنبيائه وأولهم موسى الذي تنبأ عن مجيئه وأنه سيكلّمهم بكلام الله أو سيتكلّم الله به، كان نتيجة حتمية لإهمالهم وصايا الله وبعدهم عنه بالقلب والفكر والعمل ... وبالتالي فإن كانوا قد عقدوا هذا الاجتماع لمحاكمته وتبيَّتت النيَّة لقتله، فهو تكميل لمسلسل قتل الأنبياء والمسيح ونتيجة حتمية لاستمرار مقاومتهم لأعمال الله وتدبيره.

ويمكن تقسيم السرد التاريخي الذي قدَّمه استفانوس إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأُولى: زمن الآباء البطاركة (7: 2-16).

المرحلة الثانية: زمن موسى والناموس (7: 17-43).

المرحلة الثالثة: بين الخيمة والهيكل (7: 44-50).

وعلى العموم فيما يختص بالأمانة والدقة التاريخية، ففي اعتبار العلاَّمة الألماني ماير أنه بالنسبة لإنسان يرتجل شفاهاً سرد هذا الكم من التاريخ بحوادثه يُعتبر على جانب كبير من الصواب وربما الدقة أيضاً. كذلك فيما يختص الأصالة من جهة: هل ق. لوقا ينقل ما خرج من فم القديس استفانوس؟ فإن هذا العلاَّمة المدقق وغيره أيضاً من العلماء المدققين يشهدون بعد دراسة وفحص أن أمانة النقل تجيء في الدرجة الأُولى، ويعتقد العلاَّمة ماير أن الكلمات المدونة خرجت بالفعل من فم

القديس بحسب تقديره[142].

المرحلة الأولى: زمن الآباء البطاركة (7: 2-16):

7:1و2 «**فقالَ رئيسُ الكهنةِ أتُرَى هذهِ الأمورُ هكذا هي؟**
فقالَ: أيُّها الرجالُ الإخوةُ والآباءُ اسمعوا:
ظهرَ إلهُ المجدِ لأبينا إبراهيمَ وهو في ما بينَ النهرينِ قبلما سكنَ في حارانَ».

«أيها الرجال الإخوة والآباء اسمعوا»:

القديس استفانوس يخطب في السنهدريم من مستوى الرأس بالرأس. فكل رجال السنهدريم لا يزيدون عن كونهم «إخوة» مع أنهم كلهم رؤساء الشعب، وبطرس الرسول لمَّا خاطبهم خاطبهم قائلاً: «يا رؤساء الشعب وشيوخ إسرائيل» (أع 4:8). أمَّا رؤساء الكهنة فلقَّبهم بغير لقبهم الديني متحاشياً النطق بكهنوتهم كونهم لا يزيدون عن مركز الآباء الذين يستمدُّون منهم وجودهم بالوراثة وليس من الله بالاختيار.

وفي قوله «اسمعوا » ¢koÚsate وترجمتها "اسمعوا أنتم" صيغة آمرة وكأنه يتلو عليهم قولاً من الله. هذا يوضِّح مدى الشجاعة الأدبية الذاتية وقوة الشخصية المتفوقة لاستفانوس الذي يزيده الموقف إحساساً بالمسئولية التاريخية ليلقّن هؤلاء القوم درساً من نفحات النعمة في العهد الجديد باحترام الحرية الشخصية وسمو البشرية الجديدة فوق العتيقة.

«ظهر إله المجد»: Ð QeÕj tÁj dÒxhj

هذا أروع وصف لله، قال به داود النبي في المزمور (29:3، حسب السبعينية) «إله المجد أرعد» والرعد هو الصوت المسموع من أثر البرق، فهو تعبير عن قوة النور أو تعبير عن استعلان النور أو المجد. ويُلاحَظ أن المسيح وصف نفسه بالبرق: «لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب، هكذا يكون أيضاً مجيء ابن الإنسان.» (مت 24:27)

فهنا تعبير ق. استفانوس عن الله «**بإله المجد**» مستعيراً هذه الصفة من هذا المزمور ثم يقارنها بفعل الظهور êfqh يكون قد عبَّر عن استعلان مجد الله لإبراهيم، ويكون بذلك قدَّم

(142) Meyer. *op. cit.*, p. B 5-138

المجد لله، والتكريم لإبراهيم بآن واحد. وهنا دحض غير مقصود للاتهام بأنه يجدِّف على الله.

أمَّا القصد من ذكر ظهوره لإبراهيم وهو لا يزال بين النهرين فهذا إمعان في تقرير عدم التزام الله بالظهور في أماكن يخصصها الإنسان لله ولا في بلاد بعينها، والقصد أن لا أورشليم ولا الهيكل يحددان ظهور الله أو وجوده أو عبادته.

3:7 «**وقالَ لهُ اخرُج مِنْ أرضِكَ ومِنْ عشيرَتِكَ وهلُمَّ إلى الأرضِ التي أُريكَ**».

لقد ارتبك العلماء في هذا النص، إذ اعتبروا أن الله ظهر له في حاران بعد أن عبرت العائلة كلها من أور إلى حاران. ولكن الصحيح هو أن الله ظهر لإبراهيم فعلاً قبل ما يسكن في حاران هو وعائلته، ظهر له في أور الكلدانيين ما بين النهرين في الجنوب، ودليلنا على ذلك ما قاله الرب لأبرآم عندما وعده بميلاد إسحق: «وقال له أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين ليُعطيك هذه الأرض لترثها» (تك 7:15). كذلك ما جاء في سفر نحميا وذلك في منتهى الوضوح: «أنت هو الرب الإله الذي اخترت أبرآم وأخرجته من أور الكلدانيين وجعلت اسمه إبراهيم.» (نح 7:9)

ويتفق مع ق. استفانوس كلٌّ من فيلو الفيلسوف اليهودي ويوسيفوس المؤرِّخ اليهودي أيضاً(143). وتبدو القصة لنا واضحة، أن الله ظهر لأبرآم أولاً في أور فأطاع ولمَّا عزم أبرآم على الانطلاق من أور لم يحتمل أبوه تارح أن يبقى بدونه فأخذ العائلة كلها وانطلق أبرآم مع زوجته ولوط صوب كنعان. وهذا يتضح من النص في سفر التكوين:

+ «وأخذ تارح أبرآم ابنه (بناء على الرؤيا) ولوط ابن هاران (بسبب موت أبيه) ابن ابنه وساراي كنته امرأة أبرآم ابنه، فخرجوا معاً من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان (بحسب أمر الرب) فأتوا إلى حاران وأقاموا هناك.» (تك 11: 31و32)

فقوله هنا أرض كنعان يكون هذا استجابة للرؤيا التي رآها أبرآم. فإذا أخذنا بهذا النص نجد أن تارح أبا أبرآم يتحتَّم أن يكون سنُّه 145 عاماً لمَّا مات، مع أن النص في التوراة (تك 32:11) يقول: «وكانت أيام تارح مئتين وخمسَ سنين» لأن أبرآم «ابن خمسٍ وسبعين سنة لمَّا خرج من حاران» (تك 4:12) وأبوه تارح كان أكبر منه بسبعين سنة « وعاش تارح سبعين سنة وولد أبرآم وناحور وهاران» (تك 26:11). من هنا يتحتم بحسب النص في التوراة العبرية أن يكون تارح قد مات بعد مغادرة أبرآم حاران بستين سنة وهذا

(143) Philo, *on Abraham*. 1. 41, Josep. *Antiq*. i. 4.

خطأ بحسب نص الكتاب المقدَّس نفسه إذ يقول أن

أبرآم ترك حاران بعد موت أبيه تارح (أع 7:4)، لذلك تكون توراة السامريين هي الأصح إذ جعلت عمر تارح 145 سنة وليس مئتين وخمس سنين(144).

أمَّا فيما يختص بقول الله لأبرآم: «أخرج من أرضك ومن عشيرتك وهَلُمَّ إلى الأرض التي أريك» فهذه أول وصية لأول خطوة يتقبلها الإنسان ليتبع الله في تدبير خطة الخلاص العظمى! التي ابتدأت بطاعة إبراهيم الفائقة الوصف وانتهت بطاعة المسيح الفائقة القدر لقبول الموت لفداء الخطاة.

ق. استفانوس هنا عَيْنَاهُ على طاعة إبراهيم، لأن قلبه متَّجه ناحية عدم طاعة إسرائيل التي يمثلها هذا المجلس برؤسائه: «أنتم دائماً تقاومون الروح القدس!!» (أع 7:51)

7:4 «فخرجَ حينئذٍ مِنْ أرضِ الكلدانيِّينَ وسكنَ في حَارَان، ومن هناكَ نَقَلَهُ بعدما ماتَ أَبُوهُ إلى هذهِ الأرضِ التي أنتُم الآنَ ساكنُونَ فيها».

واضحةٌ الدقة الشديدة في سرد الحوادث بعد ضغطها واختصارها لتعطي الانطباع نحو أمرين: اعتناء الله الشديد بمتابعة بدء تحرُّك خطة الخلاص على مستوى إبراهيم، وطاعة إبراهيم المذعنة دون طلب التوضيح أو معرفة قصد الله. فكان إبراهيم كآلة طيِّعة تحت يد الله أدخلها جميع الاختبارات العنيفة فخرجت جديرة باختيارها أن تكون وتوصف بـ**«أب الإيمان»** و**«خليل الله»**.

ويُلاحَظ هنا قول استفانوس لمخاطبيه «الأرض التي أنتم ساكنون فيها» دون إشارة إلى الامتلاك، لأن الذي يملك هو الوريث ولكنهم نُحّوا عن الميراث لمَّا قتلوا ابن صاحب الكرم الوريث الحقيقي والوحيد. وأمَّا الساكن فهو عُرضة للطرد، عندما يشتد عود أبناء الوريث الحقيقيين.

7:5 «ولم يُعطِهِ فيها ميراثاً ولا وطأةَ قدمٍ ولكن وعَدَ أن يُعطيها مُلكاً لهُ ولنسلِهِ مِنْ بعدهِ ولم يكُن له بعد وَلَدٌ».

واضح هنا أن الامتلاك للوراثة يتعلَّق بالأساس على **«وعد»** والوعد ينصبّ على «ابن» والابن يُعطى أيضاً حسب «الوعد» هنا وعد ميراث ووعد نسل وكل منهما يعتمد على

(144) Bruce. II. 146. Rackham *op. cit.*, p 99.

الآخر. والوعد رأيناه يتوقف على أن يجوز الاختبار وقد جازه إبراهيم مرتين، مرَّة **للميراث** «بالإيمان بالله» ومرَّة لثبات النسل بتقديم «النسل محرقة لله»

واضح أن عين ق. استفانوس واقعة على عدم إعطاء الأرض ميراثاً جزافاً بل بوعد يتم بشروط، وعدم الالتزام بميراث النسل جزافاً بل بوعد يتم بشروط، وللحصول على تتميم الوعد يتحتم دخول الاختبار ثم النجاح في الاختبار. وعلى القارئ أن يتأكد من ذلك في قول القديس استفانوس: «وعد أن يعطيها مُلكاً له، **ولنسله**» أمَّا هو ـ أي إبراهيم ـ فملكها بالفعل حسب الوعد «بالإيمان» وأمَّا إعطاء المِلك للنسل، فواضح أن الله أدخل إبراهيم في اختبار معرِّضاً نسله للهلاك ـ إذا لم ينجح النسل في الاختبار ـ وذلك حينما أمره أن يقدم إسحق مُحرقةً له، فقدَّمه. ونال نسل إبراهيم الميراث، بإيمان إبراهيم، وطاعة الولد!!

أمَّا القصد البعيد من هذا، **فإن النسل سيبقى دائماً تحت الاختبار ليبقى وريثاً أو صالحاً للميراث:**

+ «إن شئتم وسمعتم تأكلون خير الأرض، وإن أبيتم وتمردتم تؤكلون بالسيف لأن فم الرب تكلَّم.» (إش 1:20)
+ «والأرض لا تباع بتّة لأن لي الأرض وأنتم غرباء ونزلاء عندي.» (لا 23:25)
+ «**وإن سمعت سمعاً لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه التي أنا أوصيك بها اليوم، يجعلك الرب إلهك مستعلياً على جميع قبائل الأرض وتأتي عليك جميع هذه البركات** وتدركك إذا سمعت لصوت الرب إلهك.» (تث 28: 1و2)
+ «**ولكن إن لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه التي أنا أوصيك بها اليوم تأتي عليك جميع اللعنات وتُدركك ....**» (تث 28:15)
+ **«ويجعلك الرب منهزماً أمام أعدائك ... وتكون قلقاً في جميع ممالك الأرض.»** (25:28)
+ «ومتى أتت عليك كل هذه الأمور البركة واللعنة اللتان جعلتهما قدَّامك فإن رددْتَ (هذا) في قلبك (وأنت) بين جميع الأمم الذين طردَكَ الرب إلهُك إليهم ورجعت إلى الرب إلهك وسمعت لصوته حسب كل ما أنا أوصيك به اليوم أنت وبنوك بكل قلبك وبكل نفسك ... يختّن الرب إلهك قلبك وقلب نسلك لكي تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نسلك لتحيا.» (تث 30: 1و2و6)

وهنا عين استفانوس مسلَّطة على أن الوعد بالميراث للنسل رهن العمل بشروط الوعد.

وسيزيدها تأكيداً بعد ذلك أن شرط الاستيطان في الميراث هو العبور على الغربة وتحمُّل الإساءة. والتأكيد على الاثنين هو ختانة القلب، بمعنى محبة الله من كل القلب والنفس.

6:7 «وتكلَّمَ اللهُ هكذا أن يكونَ نسلُهُ مُتغرِّباً في أرضٍ غريبةٍ فيستعبدُوهُ ويُسِيئُوا إليهِ أربَعَ مئَةِ سَنَةٍ».

أمَّا شرط الاستيطان فهو تحمُّل الغربة واحتمال الإساءة وصلاحية الاستيطان كما جاءت في (تث 25:28) هي «**ختانة القلب» التي عيَّر بها ق. استفانوس السنهدريم** أنهم غير مختونين بالقلوب. باعتبارهم أنهم أصبحوا ليسوا أهلاً للاستيطان ولا لميراث الأرض التي «يسكنون فيها» وهم بذلك أصبح طردهم وشيكاً.

(نحن الآن في سنة 33 وفي سنة 70م تبددوا بالفعل على وجه الأرض)

«أربع مائة سنة»:

تختلف الآراء، فرأي الربيين أن هذا الرقم صحيح لأن الزمن من ميلاد إسحق حتى بدء الخروج[145] **هو 400 سنة.** ولكن بحسب المسجل في التوراة (خر 4:12 حسب السبعينية) هي 430 منذ الوعد الذي أعطاه الله لإبراهيم حتى الخروج: «وأمَّا إقامة بني إسرائيل التي أقاموها في مصر فكانت أربع مئة وثلثين سنة» ولكن تحديد مدة الاستعباد والإساءة حددتها التوراة أيضاً بأربعمئة سنة فقط هكذا: «فقال لأبرآم اعلم يقيناً أن نسلك سيكون غريباً في أرض ليست لهم ويستعبدون لهم فيذلونهم **أربع مئة سنة**» (تك 13:15) فإذاً كانت إقامة بني إسرائيل في مصر بحسب التوراة هي 430 سنة ومدة استعبادهم والإساءة إليهم 400 سنة.

وفي تحديد آخر إنما يقوم بحساب الأجيال يقول: «وأمَّا أنت (أبرآم) فتمضي إلى آبائك بسلام وتُدفن بشيبة صالحة وفي **الجيل الرابع** يرجعون إلى ههنا ...» (تك 15: 15و16)

7:7 «والأُمَّةِ التي يُستعبَدُونَ لها سأَدِينُها أنا يقُولُ الله، وبعدَ ذلك يخرجُونَ ويعبدُونَني في هذا المكان».

واضح أن الإشارة هنا إلى العشر ضربات الآتية على مصر وموت فرعون غرقاً في

(145) Bruce I. p. 163.

مع جيشه وفرسانه وعجلاته. لأن الإشارة إلى الدينونة هنا يأتي بعدها مباشرة القول «وبعد ذلك» يخرجون. بمعنى أن خروجهم سيكون بعد أن تستوفي مصر دينونتها إزاء سوء استعباد بني إسرائيل[146].

«يخرجون ويعبدونني في هذا المكان»:

أردفها مباشرة بقوله: «ويعبدونني في هذا المكان» والإشارة هنا إلى أرض كنعان حيث كان الله يكلّم إبراهيم.

كانت هذه هي حكمة الله في تهذيب هذا النسل لكي يؤهَّل في النهاية إلى هذه الغاية العظمى حقاً: «يعبدونني في هذا المكان» فلو عدَّدنا المنافع التي حصل عليها بنو إسرائيل في نزولهم إلى مصر وإقامتهم هناك، الإقامة الأولى المكرَّمة أيام يوسف السيد النبيل العظيم المحبوب ثم أيام الاستعباد، فهي لا تعد ولا تُحصى، فقد عاشوا أربعة أجيال في وسط أعلى حضارات العالم آنذاك بل وربما لا تدانيها حضارة اليوم، وقد اشتركوا فيها أيام يوسف وموسى اشتراكاً كاملاً، فكان يوسف الثاني بعد الملك، وموسى محسوباً من ضمن العائلة الفرعونية، ابن ابنة فرعون!! وهكذا درسوا العلوم والآداب والحِكَم والاقتصاد والطب والفلك والهندسة واللغة والكتابة وصناعة ورق البردي والاختراعات وكل أسرار الدولة حتى أعماقها وكل حكمة الحكماء. لأن يوسف كان متزوجاً ابنة كبير الكهنة[147] صاحب أنسيكلوبيديا أسرار الموت والحياة الفوقانية وعودة الروح والحياة الأخرى والدينونة أي محاسبة الأرواح.

ولكن اليهود هم آخر جنس بشري يعترف بفضل الآخرين عليهم. والمعروف أنهم لمَّا خرجوا من مصر أخذوا معهم (اللفيف)[148] أي الدخلاء، أي المصريين الذين تهوَّدوا ومعهم ميراثهم وتراثهم في كل مناحي الحياة.

---

(146) ولكن يبقى عليهم أن يدفعوا لنا ثمن أكلهم وشربهم وإيوائهم 430 سنة لعدد تزايد حتى بلغ ستمائة ألف رجل ما عدا النساء والأطفال بالإضافة إلى ما استلفوه من ذهب وفضة أستعاروها من المصريين ولم يردوها حتى الآن، وثمن تعليم موسى في القصر الملكي.

(147) «ودعا فرعون اسم يوسف صفنات فعنيح (مخلِّص العالم) وأعطاه أسنات بنت فوطي فارع كاهن أون زوجة له.» (تك 45:41)

(148) «وصعد معهم لفيف كثير أيضاً من غنم وبقر ومواشي وافرة جداً.» (خر 38:12)

8:7 «**وأعطاهُ عَهْدَ الختانِ وهكذا وَلَدَ إسحقَ وختَّنَهُ في اليومِ الثامنِ وإسحقُ وَلَدَ يعقُوبَ ويعقُوبَ وَلَدَ رؤساءَ الآباءِ الاثنَي عَشَرَ**».

واضح أن الله لم يُعطِ إبراهيم أي عهد للحفظ أو أي وصية للعمل بمقتضاها أو أي تحذيرات يحذر منها ويحذّر نسله أيضاً سوى «الختان» في لحم غرلته.

وهكذا يطوح استفانوس بالناموس إلى ما بعد الختان بأكثر من 430 سنة، ولم يجعل مع الختان في اللحم أي توعية أخرى، "فالسبت" لم يكن قد ظهر بعد، فكانت الأيام كلها سواء عند كل رؤساء الأسباط وكل بنيهم معهم كل سنى حياتهم في كنعان ومصر. وهذا يعني لنا الشيء الكثير ولكن أعظم ما يعني فإنه يعني أن علاقة الله بإبراهيم وإسحق ويعقوب وأولادهم مدى حياتهم كانت أعلى في نظر الله ونظر هؤلاء القديسين من السبت وقوانين العبادة بكل ألوانها وطقوسها: «إذ حيث ليس ناموس ليس أيضاً تعدّ» (رو 15:4). لذلك حسبوا قديسين وأبراراً ومحبوبين ومكرمين جداً عند الله. ويكفي أن دعى الله نفسه بإله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب، شرف ما بعده شرف. ولمَّا ماتوا ظل الله يتسمَّى بأسمائهم لأنهم كانوا عند الله أحياء يُسَبِّحون!! فلا هم عبدوا الله في خيمة ولا في هيكل ولا حُسب عندهم الهيكل شيئاً يُذكر.

«عهد الختان» diaq»khn peritomÁj

هو عهد علاقة حيَّة بين الله والإنسان أقامه الله مع إبراهيم حينما كان سنّه 99 سنة على أساس أن يعيش الإنسان أمام الله بالكمال. والكمال هنا كان يستوحيه الإنسان من الله رأساً:

+ «ولمَّا كان أبرآم ابن تسعة وتسعين سنة ظهر الرب لأبرآم وقال له: أنا الله القدير (شدَّاي) سر أمامي وكُن كاملاً. فأجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيراً جداً ... وقال الله لإبراهيم وأمَّا أنت **فتحفظ عهدي** أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك. يُختَّن منكم كل ذكر. فتُختَنون في لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بيني وبينكم.» (تك 17: 1-11)

وهنا واضح منتهى الوضوح في قول الله لإبراهيم «**وأمَّا أنت فتحفظ عهدي أنت ونسلك من بعدك**». فهنا لا توجد أي وصية تُحفَظ سوى **وصية الختان**، "لذلك سُمِّي بعهد الختان" باعتباره الوصية الوحيدة والأساسية فيه. **فالختان "علامة عهد" بين الإنسان والله.** وكما قال بولس الرسول: حيث لا ناموس ولا وصية لا تكون خطية فاعتُبروا جميعاً قديسين

علامة إيمان بالله وحسب!

وكما قالها ق. بولس الرسول يكاد يقولها استفانوس: أين الافتخار إذاً، أبالناموس وأعمال الناموس؟ أبالسبت وحفظ السبت؟ أبالهيكل والعبادة في الهيكل؟ بل أين التوراة بجملتها وأين الأنبياء وأين الكتبة والفريسيون؟

«اليوم الثامن»:

«ابن ثمانية أيام يُخْتَن منكم كل ذكر في أجيالكم» (تك 17:12) واليوم الثامن عندنا الآن هو **"رمز القيامة"** حيث يكون قد انتهى الزمن الأرضي باليوم السابع حيث بعد السابع ليس زمن في عُرف أهل الزمن. فإن كانت الختانة عهد إيمان بعلامة في اللحم، فالقيامة هي عهد القيامة بالروح. والأولى حسبت بلا خطية والثانية بالأوْلى؛ فكانت الأولى رمزاً محكماً للثانية، حيث سقط الناموس **من الوسط** وسقطت الخطية بأحكام الموت جميعاً. فكأن إبراهيم قبلَ القيامة بعلامة في الجسد برمز اليوم الثامن إلى أن يقبلها بالروح بقيامة الأجساد في انتهاء الزمن.

«رؤساء الآباء الاثنى عشر»: dèdeka patri£rcaj

هنا تنصبُّ هذه التسمية على رؤساء الأسباط الاثني عشر الذين أخذوا هذا الاسم تذكاراً أبدياً، نقرأه في سفر الرؤيا وكأن التاريخ المقدَّس يبتدئ بالاثني عشر وينتهي به، في الأول مشخّصاً برؤساء الأسباط وبالنهاية في الرسل. فكما كان الأوائل هم حجر الأساس لعهد الختان، صار الرسل حجر الأساس لعهد الإيمان في كنيسة الله التي لها الأساسات الاثنا عشر.

ولكن في العهد الجديد ولغة الكنيسة والآباء تنصبُّ كلمة: "**البطاركة** الأوائل" على الثلاثة رؤوس المتوَّجين بنعمة الاختيار والمجد: إبراهيم وإسحق ويعقوب أصحاب الأحضان الأبوية التي ستجمع بني الإيمان في القديم والجديد تمهيداً لتسليمها للحضن الأعظم.

9:7 **«ورؤساءُ الآباءِ حَسَدُوا يُوسُفَ وباعوهُ إلى مِصرَ وكانَ اللهُ معهُ».**

هنا الخطية بدأت ترفع ذنبها **"الحسد"**. الإنسان الأول "مات بحسد إبليس" والموت دخل إلى العالم. يوسف رجل الأحلام المضيئة **من أجل الأحلام** حسده إخوته وباعوه، ومن

أجل الأحلام تلقّاه فرعون بالكرامة ورفعه إلى مستوى مقامه لأن الله كان معه. قالها استفانوس وهو في نفس الموقف، فها هم الرؤساء والآباء لا يجمعهم إلاّ "الحسد" ولكن ذلك كان من أجل أحلام، أمَّا هذا

فمن أجل حياة شعب وأُمة وعالم وكرازة، إمَّا لحياة أبدية وإمَّا لدينونة رهيبة، ولكن التفاهة البشرية واحدة والله بالمرصاد.

فالذين سلَّموا المسيح للموت هم حفدة الذين باعوا أخاهم للعبودية، والحسد كان هو المحرك للموت وللبيع سواء بسواء. ومن هذا صنع الله قيامة وخلاصاً، ومن ذاك صنع الله إنقاذاً وحياة. ولكن الذي يُدهشنا هو أن يوسف الذي باعوه عاد فاستحياهم من جوع وموت، ولكن العمى هنا بلغ مداه لأن الذي جاء ليحييهم من الموت قتلوه! وكأنَّ الكلمة تقول على لسان استفانوس: الله أرسلني لأعطيكم هبة للخلاص والحياة فاقبلوا الحياة، لتحيوا ولا تحكموا بالموت لئلاَّ تموتوا.

ولكن هيهات فقد أقسموا وتعاهدوا أن يحكموا بالموت على أنفسهم وعلى أمتهم.

فقد تمت فيهم كلمة موسى النبي التي أخذها عنه إشعياء والأناجيل: «ولكن لم يعطكم الرب قلباً لتفهموا وأعيناً لتبصروا وآذاناً لتسمعوا إلى هذا اليوم.» (تث 4:29)

10:7 «**وأنقذَهُ مِنْ جميعِ ضِيقاتِهِ وأعطاهُ نعمةً وحِكمةً أمامَ فِرعَونَ ملكِ مِصْرَ**[149] **فأَقامَهُ على مِصْرَ وعلى كُلِّ بيتِهِ**».

كما كان الله مع يعقوب كان مع يوسف، فكما قال يعقوب: «الملاك الذي خلَّصني من كل شر» (تك 16:18). هكذا كان ليوسف: "**فأنقذه الله من جميع ضيقاته**". وهذا هو يوسف الذي نال بركة ضعف ما نال أبوه: «مِنْ يديْ عزيز يعقوب (الله) مِنْ هناك من الراعي صخر إسرائيل (المسيح) من إله أبيك الذي يُعِينُكَ، ومن القادر على كل شيء الذي يُبارِكُكَ، تأتي بركات السماء من فوق وبركات الغمر الرابض تحتُ، بركات الثديين والرَّحِمِ، **بركاتُ أبيكَ (لك) فاقت على بركاتِ أبويَّ**، إلى مُنْيَةِ الآكام الدهرية تكون على رأس يوسف وعلى قمَّة نذير إخوته» (تك 49: 24-27). هذه هي بركات يعقوب ليوسف ابنه، وقد كان فقد استقبله فرعون مصر أعظم ملك في العالم في ذلك الوقت وصاحب أعظم مدنيَّة ظهرت على وجه الأرض في تلك العصور:

+ «فقال فرعون لعبيده، هل نجد مثل هذا رجلاً فيه روح الله.

(149) يرى المؤرخون أنه الفرعون تحتمس الثالث (1501-1404 ق.م) وأنهم عاشوا خلال الأسرة 18و19 في مصر.
The Abingdon Bible Com. p. 109.

ثم قال فرعون ليوسف بعدما أعلمك الله كل هذا ليس بصير وحكيم مثلك.

أنت تكون على بيتي وعلى فمك يقبل جميع شعبي، إلاَّ أن الكرسي أكون فيه أعظم منك.
ثم قال فرعون ليوسف انظر قد جعلتك على كل أرض مصر.
وخلع فرعون خاتمه من يده وجعله في يد يوسف.
وألبسه ثياب بوص (كتان نقي أبيض) ووضع طوق ذهب في عنقه.
وأركبه في مركبته الثانية ونادوا أمامه اركعوا.
وجعله على كل أرض مصر.
وقال فرعون ليوسف: أنا فرعون فبدونك لا يرفع إنسان يده ولا رجله في كل أرض مصر.

ودعا فرعون اسم يوسف صفنات فعنيح ـ (أي مخلّص العالم!) ـ وأعطاه أسنات بنت فوطي فارع كاهن أون (عين شمس) زوجة. فخرج يوسف على أرض مصر، وكان يوسف ابن ثلاثين سنة ...» (تك 41: 38-45)

وهذا التعارض الشنيع بين أن يبيع رؤساء أسباط إسرائيل الأحد عشر أخاهم عبداً في بلاد غريبة، وأن يرفع الله يوسف في عين أعظم ملك في العالم ليُجلسه عن يمينه يحكم بلاد مصر كلها صاحبة أعظم مدنية آنذاك، هو الذي أراد استفانوس أن يُسمعه للسنهدريم الذي هو بمثابة رؤساء الأسباط جميعاً، كيف حكموا على البار بالموت وهو ابن العلي ورب الحياة، وكيف استأمنه الله عزَّ ملكه وجلَّ اسمه على العالم وكل بني الإنسان؛ يجلس عن يمينه ويحكم بالبر ويخلّص بني البشر. هذا الأمر الذي ركّز عليه في نهاية خطابه بقوله: «كما كان آباؤكم كذلك أنتم» (أع 7: 51). وكما ظهر رؤساء الأسباط قديماً في قسوة قلب مُنجَّس يبيعون أخاهم بعد أن تشاوروا ليقتلوه، الذي أسماه فرعون صفنات فعنيح = مخلّص العالم من الجوع، هكذا يظهر رؤساء الأسباط ممثلين في السنهدريم ويخاطبهم استفانوس: «يا قساة الرقاب وغير المختونين بالقلوب» (أع 7: 51). وقد قتلوا مخلّص العالم من الخطية والموت والهلاك.

فاستفانوس يروي لهم من أين وكيف ولماذا قتلوا المسيح ووقفوا يحاكمون الشاهد لآلامه وقيامته.

14-11:7 «ثُمَّ أتى جوعٌ على كُلِّ أرضِ مِصْرَ وكَنْعَانَ وضِيْقٌ عظيمٌ فكانَ آباؤُنا لا يجدُونَ قُوتاً. ولمَّا سَمِعَ يَعقُوبُ أنَّ في مِصْرَ قمحاً أرسَلَ آباءَنَا أوَّلَ مرَّةٍ. وفي المرَّةِ الثانيةِ استعرَفَ يُوسُفُ إلى إخوتِهِ واستعلَنَتْ عَشيرَةُ يُوسُفُ لفرعَونَ. فأرسَلَ يُوسُفُ واستدعَى أبَاهُ يعقوبَ وجميعَ عشيرتِهِ خمسةً وسبعِينَ نفساً».

«وضيقٌ عظيمٌ»: ql‹yij meg£lh

لم تنحصر الأزمة في الجوع فقط، فغياب المطر أثّر على الزرع بكافة المحاصيل وهذا أثّر على المواشي والأغنام، وتوقُّفُ الماشية عن العمل والانتاج زاد الضيق بالنسبة للإنسان فأصبح مسئولاً عن طعامه وطعام ماشيته، ومن الجوع ذهبت العافية فلا إخصاب ولا ولادة. وهكذا حينما يكف الله عن أن يُنزل مطره في الحين الحسن يكف الرخاء ويعظُم الضيق والبلاء.

ولكن ألا ترى معي أيها القارئ العزيز أن بكاء يوسف في البئر ثم طَرْحَه وتقييدَه بالحبال ورفعه مقيداً على جملٍ، ذاهباً جنوباً، بعيداً بعيداً، عن أبيه والوطن، سمعه الرب في السماء!

ثم ألا ترى أن حسدهم له على أحلامه جعل الله يحققها ويذلهم تحت أقدامه، فهو لا يعود إليهم بل هم الذين ينزلون إليه جائعين معدمين صاغرين متذللين، ثم زادها الرب تحقيقاً فسجدوا له إلى الأرض مرتعبين. أمَّا حلم يوسف عن الشمس والقمر والأحد عشر كوكباً له ساجدين فمعروف، أمَّا الحلم الذي رفع ضغينتهم إلى الغليان فكان: «وحلم يوسف حلماً وأخبر إخوته فازدادوا أيضاً بغضاً له. فقال لهم: اسمعوا هذا الحلم الذي حلمت، فها نحن حازمون حزماً في الحقل وإذا حزمتي قامت وانتصبت فاحتاطت حزمكم وسجدت لحزمتي، فقال له إخوته: ألعلك تملك علينا ملكاً أم تتسلّط علينا تسلُّطاً، وازدادوا أيضاً بغضاً له من أجل أحلامه ومن أجل كلامه» (تك 37: 5-8). أمَّا حزمهم فأفرغت من قمحها وذرَّتها الرياح، وأمَّا حزمته فأخرجت قمحاً أشبع مصر وكنعان، وهم استكثروا أن يملك عليهم لكنهم ذهبوا إليه صاغرين ساجدين متوسلين أن يملك عليهم!!

وهذا أمر الله للمتضعين وقضاؤه على الحاسدين والحاقدين. ثم انظر كيف تحركت السماء وقامت بدورها لتضم الأب المكلوم في ابنه إلى عزيز روحه ونفسه، حتى وإن تلاحقت السنين وطال الزمان. وأخيراً رأى يعقوب ـ الذي من البكاء على ابنه كلّت عيناه ـ رأى الذي أكله الذئب، وما كان الذئب إلاّ أخاه! فلمَّا قابله بعد أن كلّت عيناه رآه، ولمَّا سمع صوته انفتحت عيناه. فالقسوة تعمي البصيرة والحب يستعيد الإبصار.

عجبي على استفانوس الحبيب المحبوب، كيف كان يقص قصة يوسف وجحود إخوته وهو واقف وسط مجمع القضاة، وكلهم إخوته وكلهم حقد وكلهم ذئب!

قد كان ذكياً وكان حكيماً أميناً، فقد طابق المثيل على المثيل ولكن ذئب يوسف تاب

وأناب[150]، أمَّا هؤلاء الذئاب فما تابوا وما أنابوا.

«وفي المرة الثانية استعرف يوسف إلى إخوته (تعرَّفوا عليه)»:

قصة يوسف المباع قريبة الشبه من السيد الرب الذي باعه واحد من تلاميذه. فعلى كل حال أولئك كانوا إسرائيليين وهؤلاء هم إسرائيليون أيضاً، فلا أولئك عرفوا الرحمة ولا التلميذ الذي باع تنازل عن القسوة. لذلك في قول ق. استفانوس أن في المرة الثانية تعرَّفوا عليه رأى كثير من الآباء القديسين أنها جاءت في قالب النبوَّة بالنسبة لبني إسرائيل، فإن كانوا باعوه وقتلوه معاً إمعاناً في عماهم كونهم لم يعرفوه فلهم في المرة الثانية رجاء حينما يتعرفون عليه في مجيئه الثاني المرهوب، خاصة والرب رفع العوائق حينما قال على صليب القسوة: «يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون!!» (لو 34:23)

«فأرسل يوسف واستدعى أباه يعقوب وجميع عشيرته خمسة وسبعين نفساً»:

بدا لكثير من المفسرين خطأ استفانوس في هذا الرقم لأن الشواهد الآتية تخالفه:

(تك 26:46):

+ «جميع النفوس ليعقوب التي أتت إلى مصر الخارجة من صلبه ما عدا نساء بني يعقوب النفوس ست وستون نفساً. وابنا يوسف اللذان وُلِدا له في مصر نفسان. جميع نفوس بيت يعقوب التي جاءت إلى مصر سبعون»

(خر 5:1):

+ «وكانت جميع نفوس الخارجين من صلب يعقوب سبعين نفساً»

(تث 22:10):

+ «سبعين نفساً نزل آباؤنا إلى مصر»

بل ويصدّق على هذا المؤرخ يوسيفوس اليهودي.

ولكن في النهاية تتضح دقة استفانوس ومصادره القانونية فهو يستقي معرفته من السبعينية التي في إحدى نسخها يقول سفر التثنية[151] إن عددهم لمَّا انضموا ليوسف بلغ 75 نفساً. وهكذا يصح

(150) أناب الشخص إلى الله: رجع إليه نادماً.

(151) Rackham. p. 100.

كلام العلاّمة ماير الألماني الذي يحذر أن لا نستخف بمصادر استفانوس التي استقى منها معرفته. وقد عالج العلاّمة اليهودي فيلو هذا التضارب وشرحه بطريقته الخاصة(152).

15:7و16 «**فنزَلَ يعقوبُ إلى مِصْرَ وماتَ هو وآباؤُنا ونُقِلُوا إلى شكيم ووُضعُوا في القبرِ الذي اشتراه إبراهيمُ بثمن فِضَّةٍ من بني حَمُورَ أبي شَكيمَ**».

هنا يتجاوز استفانوس حقيقة أن إبراهيم اشترى مغارة المكفيلة بالقرب من حبرون لدفن امرأته سارة وقد اشتراها من عفرون الحثي (تك 23) وجعلها في شكيم من بني حمور (تك 33: 18- 20) وهنا تجاوز للذي أوردته التوراة، ولكن يقول العلاّمة بروس إن من عادة استفانوس أن يجمع كل حقيقتين في رواية واحدة وقد فعل ذلك في مواقع كثيرة بغية الاختصار. لأن إبراهيم اشترى في حبرون مغارة المكفيلة ويعقوب اشترى في شكيم وبعض الآباء دُفنوا هنا وبعضهم هناك.

والمنظر أمامنا الآن عجيب الشكل، فآباء الموعد وآباء الأسباط جميعاً ماتوا ودُفنوا في أرض الميعاد أو الموعد التي لم يرثوا فيها ولا وطأة قدم، أي قدماً مربعاً، ولكنهم احتلُّوها بجثثهم في القبور. وأولاد الموعد أي أبناؤهم جميعاً كانوا خارج الأرض يتربُّون ويكبرون ويتكاثرون في بلد آخر وأرض أخرى ليست بلدهم ولا أرضهم. يرضعون من ثدي مصر وغناها مجَّاناً، ويتكلّمون ويتدربون على إنشاء وطن وأرض ومدنية أخرى بلغتها الجديدة وتخطيطها وقوانينها الجديدة. هذا تخطيط لم يُسمع به قبلاً ولكنه تخطيط القدير الذي لا أحد بقادر أن يفحص أعماق حكمته. ولكن الذي يحزّ في قلوبنا أنهم بعد ذلك يشتمون مصر!

المرحلة الثانية: زمن موسى والناموس (7: 17- 43):

17:7 «**وكما كانَ يَقرُبُ وقتُ الموعِدِ الذي أقسَمَ الله عليهِ لإبراهيمَ (430 سنة = أربعة أجيال) كانَ ينمو الشعبُ ويَكْثُرُ في مِصْرَ**».

المعروف مبدئياً أن رعاة الماشية بقوا في جاسان شرق الدلتا لأن مراعيها كانت جيدة. ومعروف أن فروع نهر النيل كانت في هذه المنطقة متعددة جداً، فكانت الأرض كلها خضراء لتوفُّر المياه بكثرة. أمَّا بقية شعب إسرائيل فانتشروا في مصر كلها من شمالها حتى أسوان، واختلطوا بكل مراكز الأعمال والمهن وأتقنوا كل صنعة وشربوا أسرارها،

(152) Philo, *on Abraham Migration,* 199f.

لأن مركز يوسف في البداية كان

مرموقاً لدى فرعون، فهو الذي خطط لهم لكي يثقفهم ويرفع من قدراتهم الفكرية والفنية والعلمية والروحية أيضاً. فمعروف أن من مصر قامت أول عبادة توحيد لله، وظلّت باقية بأسرارها حتى إلى ما بعد الميلاد بمدة طويلة، وكانت ذات مواهب وأسرار.

وظهرت بوضوح نية يوسف في الاحتفاظ بوحدة الشعب اليهودي في مصر وترابطه بهدف النزوح يوماً إلى أرض كنعان حسب وعد أبيهم يعقوب وجدِّهم إبراهيم. لذلك أوصى بنقل عظامه معهم!!

إذاً، فيلزم أن تتضح لنا الصورة أكثر، أن اليهود نزلوا إلى مصر لا ليتلافوا الجوع وإلاّ لكانوا رجعوا دون أن يسمع بهم أحد وهم لا يزالون نفراً قليلاً، ولكن أطماعهم في مصر نفسها نمت بشدة وكثرت كُلّما زاد عددهم، ونمت قدراتهم، وحَلَتْ خيرات مصر في أفواههم. فقدور اللحم لم ينسوها قط، والبصل والكرات وبالأكثر الذهب والفضة التي جمعوها من المخزون عندهم سرًّا فصنعوا بها عجلاً!! ويُلاحَظ عند خروجهم أنهم كانوا رافضين بشدة وقاوموا موسى لأنهم رأوا مصر وطناً لهم.

ثم لا ينسى القارئ اللبيب أنهم حاولوا الرجوع بالفعل عدة مرات! بل وتآمروا على موسى برجمه ونظّموا الصفوف بقيادة قواد ورتّبوا كل شيء للعودة لولا أن صرخ موسى لدى الله فأبطل مشورتهم (عد 14: 1-11).

ولو يعود القارئ المؤرخ إلى الأسفار يجد أنه عند الضوائق رتّب الشعب نفسه مراراً كثيرة، وبقيادة رؤساء وملوك، للعودة إلى مصر، بل وفي النهاية نفَّذوا المشورة رغماً عن أنف إرميا النبي بل ربطوه وأخذوه معهم إلى مصر ومات هناك مع رؤساء الجيش وقادة الشعب الذين نفَّذوا شهوتهم المبيَّتة منذ أكثر من ألف سنة (إر 43: 1-7).

الفراعنة الذين عاصرهم العبرانيون في مصر

نقدّم هنا أسماء الفراعنة التي ترددت أسماؤهم على ألسنة العلماء[153] باعتبارهم عاصروا العبرانيين في مصر منذ بدء دخولهم حتى خروجهم:

1 ـ الفرعون **أحمس Ahmose الأول:** 1580-1557 ق.م.

وهو الفرعون الذي طرد الهكسوس من مصر.

2 ـ الفرعون **تحتمس Thatmose:** 1501-14ق.م.

وقد وجدت إشارات في النقوش التي تقص عن حروبه في فلسطين التي اكتسحها بجيوشه، وضم فلسطين وفينيقية (لبنان الآن) وسوريا في إمبراطورية مصرية واحدة.

ووجدت أسماء "**آل يعقوب**" و "**آل يوسف**" منقوشة مع أخبار حروبه.

3 ـ الفرعون **أمنحوتب الثالث:** 1411-1375 ق.م.

حيث بلغت مصر في أيامه أعلى وأقوى عزها.

4 ـ الفرعون **أمنحوتب الرابع** Amenhoteb = إخناتون Ikhnaton 1375-1358 ق.م.

وهو صاحب أعظم حركة لتوحيد الأديان في دين توحيدي لله. ويقول عنه العالِم برستد إنه أول رجل مثالي في العالم.

5 ـ **رمسيس الثاني:** 1292-1225 ق.م.

وهو المعروف عامة بأنه فرعون الاضطهاد للعبرانيين.

6 ـ الفرعون **مرنبتاح Mernoptah:** 1225-1215 ق.م.

وهو الذي قمع ثورة بلاد أسِيًّا حينما ثارت ضده، وقد حفر على عمود من الرخام الجرانيت المصقول أنشودة انتصاره وذكر فيها اسم "**إسرائيل**" ويُعتبر هذا هو الشاهد الوحيد في العالم خارج العهد القديم الذي ذكر فيه اسم "**إسرائيل**" وبحسب اتفاق العلماء كان الخروج سنة 1220 ق.م.

والمعروف لدى العلماء أن فرعون الاضطهاد الذي رفع حدَّة السخرة والمذلة على بني

---

(153) *The Abingd. Bible Comm.* p. 109.

إسرائيل

هو الفرعون رمسيس الثاني، ولكن الذي تولّى مفاوضة موسى وهرون أثناء الخروج والذي خرج خلفهم للحرب وغرق هو وجيشه هو مِرنُبتاح. والتوراة تكشف عن ذلك بسهولة: بإعلان أن الفرعون الذي كان يطلب نفس موسى مات وبعدها نبَّه الله موسى لبدء التحرُّك:

+ «وقال الرب لموسى في مديان. اذهب ارجع إلى مصر لأنه قد مات جميع القوم الذين كانوا يطلبون نفسك.» (خر 19:4)

18:7و19 «**إلى أَنْ قامَ ملكٌ آخرُ لم يكُنْ يَعرفُ يُوسُفَ.**

فاحتالَ هذا على جنسنا وأساءَ إلى آبائِنا حتى جَعَلُوا أطفالَهُم منبوذِينَ لكي لا يعيشوا».

لقد أقامه الله خصيصاً حتى يفطمهم عن فَوْهَات قدور اللحم وبقية ملذات وأطياب مصر التي كانوا قد بدأوا ينهبون ثروتها. ولكن الله كان يُعدّ للخلاص وليس لغنى الأرض وشهوتها. وهذا الفرعون كان غرضه الأول من التضييق على بني إسرائيل هو أن يحد من كثرتهم العددية واتساع سلطانهم في البلاد، وهذا أمر يتعلّق بوطنيته وأمانته وشرفه. ولكن من وجهة نظر عبرانية يكون كما رأوه قاسياً محتالاً مسيئاً، نسى فضل يوسف وتنكّر لضيوفه! وهذا الفرعون هو المذكور في سفر الخروج:

+ «هوذا بنو إسرائيل شعب أكثر (؟) وأعظم (؟) منّا. هلمَّ نحتال لهم لئلاّ ينموا فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض. فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم بأثقالهم. فبنوا لفرعون مدينتي مخازن فيثوم ورعمسيس» (خر 1: 8-11).

ومعروف أن الذي بنى هذه المخازن هو رمسيس الثاني. ومن البيان المقدَّم لأسماء الفراعنة نجد أن هناك الفرعون الخاص بالاضطهاد جاء بعده فرعون الخروج.

«جعلوا أطفالهم منبوذين»:

وكان هذا هو الأمر الذي صدر عن الفرعون: «ثم أمر فرعون جميع شعبه قائلاً كل ابن يُولد (للعبرانيات) تطرحونه في النهر لكن كل بنت تستحيونها.» (خر 22:1)

7:20و21 **«وفي ذلك الوقتِ وُلِدَ موسَى وكانَ جميلاً جدًّا. فرُبِّي هذا ثلاثة أشهُرٍ في بيتِ أبيهِ. ولمَّا نُبِذَ اتَّخَذَتهُ ابنةُ فِرعونَ وربَّتهُ لِنفسِها ابناً».**

الأصل اليوناني لا يترجم «جميلاً جداً» بل «جميلاً أمام الله» أو «**بالله**». وأصله تعبير عبراني يفيد أن هيئة الولد كان فيها **مسحة إلهية سرِّية** جعلت أبويه ـ كما يقول سفر العبرانيين ـ لا يخشيان أمر الملك: «أخفاه أبواه ثلاثة أشهر لأنهما رأيا **الصبي جميلاً ولم يخشيا أمر الملك.**» (عب 23:11)

ويصفه المؤرخ اليهودي يوسيفوس[154] هكذا:

pa‹da morfÍ te qe‹on بمعنى «وكان طفلاً شكله إلهياً»

كما يصفه العلاّمة فيلو[155]:

» gennhqe‹j oân Ð pa‹j eÙqÚj Ôyin ™nšfainen ¢steiotšran À kat' „dièthn« = «ولمَّا وُلِدَ الصبي للوقت ظهر بوجه أكثر جمالاً من عامة الناس» كل هذا ينتهي عند أن جماله كان يوحي بأنه جمال روحي أخّاذ. لأن ليس أبواه فقط هما اللذان هالهم منظره بل وابنة فرعون وكل الذين التقطوه من الماء. أي أن جماله كان بحد ذاته رسولاً أو رسالة تحكي شيئاً عن الله، بل ويعمل له أيضاً. ثم أليس الله نفسه أحبَّه وكرَّمه وعامله كما يعامل الواحد صديقه؟ (عد 12 : 7)

«ولمَّا نُبِذَ اتخذته ابنة فرعون وربَّته لنفسها ابناً»:

«ابنة فرعون»:

وقع رأي بعض العلماء المؤرخين على ابنة فرعون هذه هي حتشبسوت Hatshepsut بنت تحتمس Thotmos الأول التي اعتبرها أنها ستكون خليفته في الحكم رسمياً والتي حكمت مصر فعلاً مع ابن أخيها تحتمس الثالث من 1490ـ1468 ق.م.

ويُلاحَظ أننا لو أخذنا بهذا التاريخ نجد أن الخروج حدث ما بين سنة 1450ـ1440 ق.م، ولكن المعروف أنه تأخر عن ذلك بكثير إذ يُقال أنه حدث في القرن الثالث عشر قبل

(154) Joseph. *Antiq.* II. 9.7.
(155) Philo, *Vit. Moys.* i. 9.

الميلاد[156].

[156] Bruce. I. p. 167.

22:7 «**فتهذَّبَ مُوسَى بكُلِّ حكمةِ المصريينَ وكان مقتدراً في الأقوالِ والأعمال».**

هذه الآية لم ترد إلاَّ في التقليد، فليس لها أصل في المنسوخ من التوراة. ولكنها تحصيل حاصل، ومضغوطة ضغطاً شديداً، لأنها تشمل أربعين سنة بكاملها تعلَّم فيها موسى أولاً في صبوته تحت معلمين ملكيين، ثم استلمه الكهنة ليسلِّموه أسرار علم الفراعنة الذي لم يستطِع العالم بعد أن يحيط به، ولكن آياته ظاهرة للعيان. فكل صناعتهم من كل أنواع المعادن والأحجار شيء يُبهر العقل. ولو أردنا أن نسرد فقط رؤوس المواضيع التي عبر عليها موسى متعلّماً مدققاً ما كفانا كتاب بجملته. ولكن علينا أن نلاحظ في الكلمات القليلة التي أوردها استفانوس أعماقاً لا يُستهان بها، **فالحكمة، والاقتدار في الأقوال، والأعمال،** شملت كل علوم الفكر والفلسفة والدين والأدب والسياسة والمنطق والبلاغة والفصاحة واللغة والكتابة. أمَّا الأعمال، فالمصريون كانت علومهم عملية وأعمالهم تشهد لعلومهم.

إذاً، فهذا رئيس دولة بلغ الكمال وصار جاهزاً مجهزاً للقيادة على مستوى أرقى مدنيات العصر، وما بقي له إلاّ أن يتعلَّم ليكون أكثر حِلماً من جميع بني البشر: «وأمَّا الرجل موسى فكان حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض» (عد 3:12)، وبعد ذلك في مدرسة البرية أربعين سنة أخرى، ليقود شعباً كاد الرب ـ في غيظه ـ أن يفنيه! ويقوده بلا ماء ولا غذاء في برية قفر أربعين سنة بتمامها!

وهل استفانوس، وهو يصف جمال موسى الإلهي وحكمته واقتداره في الأقوال والأعمال، كان يجدِّف، كما ألصقوا به التهمة أنه «يجدِّف على موسى» والتي وقف يرد ليس عليها بل على الذين قالوها وكأنه يتحدَّاهم إن قالوا حسناً كما قال هو فيه!!

ولنا في قول ق. استفانوس أن موسى تهذَّب **بكل حكمة المصريين** المصدر الذي يُضاف إلى روح الإلهام، لكي يليق أن يكون موسى أول كاتب لأقوال الله، فهو الذي كتب التوراة بخمسة أسفارها النفيسة والإعجازية حقاً بالنسبة لحقيقتها التاريخية السحيقة (القرن الثالث عشر قبل الميلاد) سواء كان في مادة الورق، أو مادة الحبر، أو لغة الكتابة، ودقة الأوصاف والتعابير، وما تخللها من أدب اللغة البديع، والصيغ الشعرية الفائقة الوصف، وضبط التواريخ وحساباتها، بل وحفظ الورق من التلف.

كما يؤكد علماء كثيرون أن موسى اخترع الخط العبري بقواعده[157]. أمَّا قوته في الأعمال فقد عُرف من مصدر حديث أن موسى قاد لحساب فرعون مصر حملة مصرية ضد أثيوبيا وانتصر انتصاراً باهراً وعاد بالأسرى، ويُظن أنه تزوج من هناك المرأة الحبشية التي جاء ذكرها في التوراة (عد 1:12)، بالإضافة إلى ما ظهر ـ في حياته بطولها ـ من بطولات في الحرب والسلم تجعله مثلاً وأغنية بين الأبطال.

وفوق كل هذا يأتي دور موسى كمشرِّع، فصحيح أن روح الإلهام كان يؤازره، ولكن لا يمكن أن يُغفل حق موسى كأكبر مشرِّع في عصر كانت الأخلاق والسلوك والأفكار والعادات في بدايتها المتدنيَّة بالنسبة لشعب يُبْنَى من الألف أو بالحري من الصفر!

23:7-28 **«ولمَّا كَمَلَتْ لَهُ مُدَّة أربعينَ سنةً خطرَ على بالهِ أن يفتقِدَ إخوتهُ بني إسرائيل. وإذْ رأى واحداً مظلوماً حامى عنهُ وأنصفَ المغلوبَ إذ قتَلَ المصريَّ. فظنَّ أنَّ إخوتهُ يفهَمُونَ أنَّ الله على يديهِ يُعطِيهم نجاةً. وأمَّا هُمْ فلم يفهموا. وفي اليومِ الثاني ظَهَرَ لهم وهُمْ يتخاصَمُونَ فساقهُم إلى السلامةِ قائلاً أَيُّها الرجالُ أنتُمْ إخوةٌ، لماذا تظلِمونَ بعضكم بعضاً. فالذي كانَ يظلِمُ قريبَهُ دَفَعَهُ قائلاً مَنْ أقامَكَ رئيساً وقاضياً علينا، أتُريدُ أنْ تَقتُلَني كما قتلتَ أمسِ المصريَّ».**

«أربعين سنة»:

تذكر التوراة هذا بالتحديد ولكن الربيين هم الذين حسبوا هذا الرقم على أساس أن حياته 120 سنة مقسَّمة على ثلاثة مراحل: ما قبل الخروج، والخروج للهرب الأول، ثم الخروج للعودة مع الشعب[158]. وكل الذي عرفه الكتاب عنه هو ما استقرأه سفر العبرانيين: «بالإيمان موسى لمَّا كبر أبى أن يُدعى ابن ابنة فرعون» (عب 24:11) من سفر الخروج «وحدث في تلك الأيام لمَّا كبر موسى أنه خرج إلى إخوته لينظر في أثقالهم ... فقتل المصري ... فطلب (فرعون) أن يقتل موسى، فهرب موسى من وجه فرعون وسكن في أرض مديان ...» (خر 2: 11-15)

+ «وكان موسى ابن ثمانين سنة وهرون ابن ثلاثٍ وثمانين سنة حين كلَّما فرعون.

(157) Bruce. II. p. 150 n°.45.

(158) Bruce. I. p. 168.

»(خر 7:7)

+ «وكان موسى ابن مِئَةٍ وعشرين سنة حين مات ولم تكل عَيْنَه ولا ذهبت نضارته.»(تث 34:7)

«خطر على باله أن يفتقد إخوته»:

رأى موسى مذلّة الشعب، إخوته، فأحسَّ في نفسه أنه قادر أن **«يفتقدهم».** لقد شبَّ موسى ونضج وأصبح قادراً بالفعل أن يقود شعباً وينقذه، ولكن بمواهبه الشخصية التي اكتسبها من نفس الشعب الذي يضطهد إخوته. وكما سبق وقلنا كانت له حكمة وقوة ومقدرة عالية في كل علم وفن وتدبير، وبالأكثر في الناحية العسكرية. إذ يُظن كما سبق وقلنا أنه قاد حملة ناجحة ضد أثيوبيا!! فالفكرة التي ملأت قَلْبَهُ فكرة عسكرية؛ وأمَّا من جهة الإمكانيات فيبدو أنَّه كان يفكر في إعداد الشعب لها عسكرياً أيضاً. ولكن هل لمجرد المقاومة ضد المصريين لتثبيت حقوق شعبه في الحياة بالقوَّة، واحتلال أرض مصر بالسيف كغزاة، أم لاستخلاص شعبه من مصر والعودة به إلى فلسطين؟ هذا أمر لم يكن قد بتَّ فيه نهائياً، ولكن قوله: «يفتقد إخوته» لا بد يحمل نوعاً من الدفاع بالقوة من نوع الذي عمله هو شخصياً كنموذج يوقظ مشاعرهم لأنه ظنَّ أن إخوته **يفهمون**، فلم يفهموا.

ولكن الأمر لا يحتمل أبداً أن يخاف موسى من فرعون ويترك إمارته ـ فهو أمير قطعاً ـ وذلك لمجرد قتله لأحد المصريين كمعتدٍ في شجار مع أحد الإسرائيليين! فقول استفانوس أنه هرب **لمجرد كلمة سمعها من إسرائيلي** أنه قتل المصري، أو حتى قول الكتاب: «فخاف موسى وقال حقاً قد عُرِف الأمر، فسمع فرعون هذا الأمر فطلب أن يقتل موسى»(خر 2: 14و15). ولكن هذا لا يتناسب مع مجرد قتل شخص مُعْتدٍ. لأن إمساك استفانوس عن التوضيح وإمساك التوراة التي كتبها موسى بنفسه عن التوضيح يُظهر أن هناك سبباً يتناسب مع طلب فرعون قتل موسى. ونعتقد أنه كان قد بدأ بالفعل في تنظيم عمل سرِّي، يتناسب مع فكرة افتقاد شعب مذلول مسخَّر محجور عليه. فنحن أمام موسى، وأخطر مخطط للهروب، وأقوى قائد لعبور الأهوال وأشد بأساً من أي قائد في مصر كلها يَقدُمُ لقيادة عملية تحدٍّ أو مقاومة!

وغير معقول بالمرة أن يهرب من القصر الملكي وهو فيه أمير مدلّل لأنه قتل مصرياً في الشارع، فهذا السبب وحده لا يتناسب حتى مع مجرد أجنبي غريب في حادثة عارضة، إذ هناك محكمة لتحكم. ومثل هذه القصة الصغيرة أن موسى قتل مصرياً، من غير المعقول

أن تصل إلى مسامع فرعون الذي لا يُدْخَل إليه بالأخبار إلاّ أخطرها!!

ويمكن للقارئ المحنَّك أن يجمع أطراف ما سبق وأن قلناه من تعلُّق شعب بني إسرائيل بأرض مصر تعلُّقاً جعله يقاوم موسى محاولاً الرجوع، بل جعله يصنع "عجل" أبيس، معبود مصر، من ذهب توفَّر لديه من نهب المصريين ليعبد إله مصر كأهل مصر، ثم ندمه الشديد لخروجه من مصر الذي أبداه في كل موقف وكل صعوبة وصرَّح به علنياً، مما يوضِّح أن نيَّات شعب بني إسرائيل كانت إمَّا الاستيطان في مصر بالقوة أو الاستيلاء عليها. الأمر الذي وضعوه في فم فرعون ليقوله مع أن القول قولهم والنية نيَّتهم:

+ «ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف،

فقال لشعبه هوذا **بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منَّا!!**

هلمَّ نحتال لهم **لئلاَّ ينموا فيكون إذا حدثتْ حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض.**» (خر 1: 8-10)

في الحقيقة نحن لا نخالف التوراة فيما تقول بل ننسب إليها الصحيح ـ الذي كان لا يمكن أن يُقال ـ ولكن تنص عليه التوراة نصاً في مواضع كثيرة. لأن هذه كلها فكرة شعب إسرائيل نفسه برؤسائه وقادته، وهذه هي فكرة "**الحرب**" بارزة في ذهنهم، و"**الانضمام إلى الأعداء**" هي فكرة مبيَّتة، «**ويحاربوننا**» هي حقيقة ربما بدأوا يستعدّون لها. ولكن آخر كلمة هي أهمها: «**ويصعدون من الأرض**». فهنا نحن أمام فكرتين، الفكرة الأُولى أن تكون إرادتهم ونيتهم ضد الصعود من الأرض للبقاء فيها والاستيطان أو أخذها بالقوة لذلك هم يخشون أن يُخرجهم المصريون بالقوة. والفكرة الثانية عكسها، أن يكونوا هم قد أضمروا الصعود من مصر ـ وأن ظنهم في فرعون أنه كان يخشى خروجهم ويود بقاءَهم ليخدموه. هذه الفكرة الأخيرة لا تزكّيها تصرفاتهم على طول المدى ولكن تزكّيها تصرفات الفرعون معهم في الخروج.

ويلزم أن يُقرأ هذا الفصل في التوراة قراءة واعية، لأن التصريحات التي وردت فيه على لسان موسى كان يتحتم عليه أن يقولها هكذا باختصار وبأسلوب يُخفي الحقيقة[159]، ذلك خوفاً على الشعب بعد أن تُقرأ التوراة وهو في ذلك مُحِقٌّ تماماً، ونحن أيضاً على حق تماماً أن نقرأ ما بين السطور، لأن موسى نفسه هو الذي جعلها صالحة أن تُقرأ هكذا!!

ونحن لو تنازلنا عن كل ما قلناه، واعتبرنا أن ما كتبه موسى كان فعلاً ما قاله فرعون،

---

(159) هذه الحقيقة كانت مبيَّتة ومُضْمَرة في القلب، وهي الحرب والفرار.

وأنه

بحكم مركزه سمع ما ردَّده الفرعون وتأكد منه. فالسؤال الآن لماذا قال الفرعون هذا؟ وهل الفرعون حينما يقول مثل هذه الحقيقة يقولها هكذا دون الأخبار السرِّية التي وافته والأبحاث التي عملها حتى تأكد من القول تماماً فقاله؟ إذاً فما قاله الفرعون وما كتبه عنه موسى صحيح مائة بالمائة وأنه يعبِّر تماماً عن حالة الشعب ونيَّاته واستعدادهم للحرب والخروج عنوة. ذلك لأن السخرة اشتدت، ولكن في مقابلها اشتد عود الشعب وازداد عدداً برجاله وأبطاله المقاتلين، وخرج لهم من بيت الفرعون نفسه موسى الذي يستطيع بقوته، التي أصبحت المثيل لقوة الفرعون وحكمته وعلمه، أن يُخرجَ الشعب وأن يقودهم للخلاص!

ثم وهل قول الله «**أنْزلُ وأفتقدهم**» مجرد فكرة لدى الله أم هي قول على عمل، وأن الافتقاد صار بالفعل حالة يطلبها الشعب ويحسُّها ويحسّ بقوتها آتية من السماء رداً على أنينهم تحت شقاء السخرة، وهي التي أقامت لهم ـ قبل أن يُولدوا ـ مَنْ ينفذها؟ فقصة ميلاد موسى بظروفها كلها تحكي عن ما سيتم في وقته تماماً وأنها مخطَّطة أصلاً على الخروج، والخروج قائم على الحكمة والقوة والاقتدار الذي أجذل الله عطيتها لموسى في الأقوال والأعمال وكافة المواهب التي وُهِبت له.

«مَنْ أقامك رئيساً وقاضياً علينا»:

نعم ونحن أيضاً مع هذا المتبجِّح نسأل: مَنْ أقام موسى رئيساً وقاضياً؟ فالله لم يُعيِّنه بعد للاختيار، فلماذا يسبق الحوادث قبل أن يجيء الزمان المحدد الذي ما زال يتبقَّى منه أربعون سنة بالتمام؟ لقد كان الرد بمثابة صفعة على وجه موسى أيقظته من أحلامه وتصوراته أنه يمكن أن ينقذ شعبه!! الله تكلَّم على فم هذا الإسرائيلي، وهكذا انضم هذا الصوت: «مَنْ أقامك رئيساً وقاضياً علينا» إلى قسوة الفرعون وتسخير المسخرين ليبعد الميعاد أربعين سنة أخرى، فالتمرين تمَّ على مستوى الجسد، ولكن لم يبدأ ولا بخطوة واحدة في مجال الإعداد الروحي، لقيادة تتم بروح الله على يد موسى أكثر بني زمانه حِلْماً.

«أتريد أن تقتلني كما قتلت أمس المصري»:

هذا كلام حق، يا ويل شعب إسرائيل لو كان موسى قد تسرَّع آنئذ وحاول قيادة الشعب للخروج بالقوة دون أن تكون السخرة قد بلغت حدَّها والصراخ علا حتى بلغ السماء وسمعه الله، ونزل وطرح بنفسه خطة الخروج الطويلة العجيبة. أظن لو كان حدث هذا وبدأ موسى

عن العصيان لكان مات من الشعب كل الشعب وما بقي أمل لخروج، ولا اسم لإسرائيل. شتّان هذا الجبرؤوت الذي كان يتفجَّر في قلب موسى في أيامه الأولى هذه وهو ربيب عز القصور وأبَّهة الملوك والقيادات وحكمة الحكماء المتصرفين في شئون الدولة، وهو يتفاخر بقوته التي صرع بها المصري ربما من ضربة كفّ، وبين صوته المتضع الكسير، ونفسه التي ذاقت ذلّ البرية القفرة وعيشة الضنك وهو يخاطب الله لمَّا جاء الوقت وحان الزمان وطلب منه الرب رسمياً النزول إلى مصر وقيادة الشعب للخروج وبقوة الله: اسمعه يجيب:

+ «فالآن هلمَّ فأرسلك إلى فرعون وتُخرج شعبي بني إسرائيل من مصر. فقال موسى لله:

مَنْ أنا حتى أذهب إلى فرعون، وحتى أُخرج بني إسرائيل من مصر. فقال (الله) إني أكون معك ...،

فقال موسى للرب: استمع أيها السيد، لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أول من أمس ولا من حين كلَّمت عبدك، بل أنا ثقيل الفم واللسان!

فقال له الرب مَنْ صنع للإنسان فماً أو مَنْ يصنع أخرسَ أو أصمَّ أو بصيراً أو أعمى، أما هو أنا الرب؟

فالآن اذهب وأنا أكون مع فمك وأُعلّمك ما تتكلّم به.

فقال (موسى) استمع أيها السيد، أَرْسِلْ بيد مَنْ تُرسل.» (خر 3:10-12 و4:10-13)

وبهذه الثقة بالنفس التي بلغت العدم استطاع الله أن يجعل موسى يقود بني إسرائيل كأعظم أبطال التاريخ القديم.

29:7 «**فهَرَبَ موسى بسببِ هذه الكلمةِ وصارَ غريباً في أرضِ مَدْيَانَ حيثُ وَلَدَ ابنين**».

«**وصار غريباً في أرض مديان**»: p£roikoj

يركّز القديس استفانوس على "**الغربة**" إذ سبق وذكرها بنوع من التذكير لإبراهيم أن يكون نسله "**متغرِّباً p£roikon**" في أرضٍ غريبة، وها هو يذكرها مرة أخرى كيف عاش موسى عيشة الغربة التي أثّرت كثيراً في نفسه حتى أنه سمَّى ابنه الذي وُلِدَ له من ابنة كاهن مديان باسم "الغربة":

+ «فارتضى موسى أن يسكن مع الرجل فأعطى موسى صفورة ابنته فولدَت ابناً فدعَى

اسمه جرشوم لأنه قال كنت نزيلاً في أرضٍ غريبة.» (خر 2: 21و22)

أمَّا ابنه الثاني:

+ «واسم الآخر أليعازر لأنه قال إله أبي كان عوني وأنقذني من سيف فرعون.» (خر 4:18)

وللعلم فغربة موسى غربة مضاعفة من أرض كنعان وطنه الأول ومن أرض مصر أرض المنفى والسخرة. وصار معلقاً بين الاثنين. ولكن هذه الغربة الأخيرة في أرض مديان مع رئيس كهنة القبائل هناك أعطته خبرة عالية جداً بطبيعة الأرض والدروب أربعين سنة وهو يرعى في نفس المنطقة التي أخذ فيها الناموس والشريعة، على جبل حوريب. فأرض مديان هي السهول الشرقية لجبال سيناء والدروب الداخلية فيها: «وأمَّا موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان، فساق الغنم إلى وراء البرية وجاء إلى جبل الله حوريب» (خر 1:3) (منطقة دير سانت كاترين الآن).

ثم لا يفوت على القارئ أنه صار بالنهاية هناك لا نزيلاً، بل مواطناً وصاحب أرض ونسيباً للقوم بالمصاهرة. وقد أعانه في البداية حموه هذا يثرون.

30:7 «ولمَّا كَمِلَت أربَعُونَ سنةً ظَهَرَ له ملاكُ الربِّ في برِّية جبل سيناءَ في لهيبِ نارِ عُلَّيقةٍ».

هنا تبدأ قصة الخروج من أرض مصر، وموسى في أضعف حالاته كغريب هارب من وجه فرعون. ولكن أساس الخروج لا يبدأ من موسى ولا من سيناء، بل من حاران حينما كلَّم الله أبرآم قائلاً:

+ «اذهب من أرضك ومن عشيرتك ... فأجعلك أُمة عظيمة وأباركك ...» (تك 12: 1و2)

ثم بعد ذلك يقول له الرب (في أرض كنعان):

+ «اعلم يقيناً أن نسلك سيكون غريباً في أرض ليست لهم، ويُستعبدون لهم فيذلونهم أربع مئة سنة. ثم الأمة التي يُستعبدون لها أنا أُدينها. **وبعد ذلك يخرجون بأملاك جزيلة.**» (تك 15: 13و14)

«ملاك الرب»: ¥ggeloj Kur…ou

ملاك يهوه mal'akh yahweh. وهو الملاك الخاص الذي يمثل الله في كل المعاملات مع الإنسان. ويسمَّى أيضاً ملاك حضرته أي وجهه أي وجوده mal'akh panaw. ونجدها

واضحة في (إش 9:63): «في كل ضيقهم تضايق **وملاك حضرته** خلَّصهُم. بمحبتهوررأفته هو فكَّهم ورفعهم وحملهم كل الأيام القديمة» والكلام هنا عن خروجهم، كيف تضايق الله لمَّا ازدادت السخرة عليهم، ثم كيف أرسل ملاكه مع موسى وفكَّهم من قيود العبودية، وكيف رفعهم من مصر

وحملهم في البرية كل الأيام القديمة (40 سنة)!

والملاك هنا لمَّا كان يتكلّم كان يتكلّم باسم الله كأنه الله. ولكن الاسم يتغير كثيراً، فمن « ملاك» إلى «ملاك الرب» إلى «ملاك حضرته» إلى «الرب» مباشرة وإلى «يهوه» أيضاً.

«في لهيب نار علّيقة»: ™n flog^ purÕj b£tou

كلها مضاف ومضاف إليه، لهيب نار والنار لعلّيقة. حيث تتضح الرؤيا بدقائقها: فالملاك في لهيب النار التي كانت مشتعلة بها العلّيقة. والعلّيقة هي شجرة صغيرة يعلوها الشوك في كل مكان، فهي شجرة شوك متوسطة الطول لا تزيد عن متر طولاً وعرضها لا يزيد عن ذلك أيضاً.

ومعروف بالخبرة أنها سريعة الاحتراق جداً، حتى أن الكتاب المقدَّس نفسه يضرب بها المثل «كنار في شوك» لذلك أصبح احتمال أن تكون ناراً عادية، هو أمر مستحيل. فوجود نار في علّيقة وتبقى كما هي دون أن تحترق العلّيقة، فهذا هو الأمر المذهل للعقل والملفت للنظر. ولكن الذي يلفت نظرنا أيضاً هو أن اسم العلّيقة يأتي في الترجمة السبعينية للعهد القديم بالمذكّر، بينما القديس استفانوس يوردها بصيغة المؤنث[160]. وهذا في الحقيقة أمر أدهش اللغويين ولكن لا يُدهشنا. فقد جاء اسماً وتركيباً وناراً لتتفق مع العذراء القديسة مريم وهي حاملة نار اللاهوت في أحشائها وهي هي فتاة بيت لحم. والله أراد هذا التناقض فعلاً ليُظهر أعجوبته من ناحية، ومن ناحية أخرى ليلقي بسرِّه الأزلي على عقل الإنسان كيف سيأتي اليوم الذي سيتحد لاهوته ببشريتنا، فلا جسم الإنسان يحترق ولا النار تنطفئ. لذلك التقطتها الكنيسة القبطية لترى في العلّيقة المشتعلة سر التجسُّد مُستعلناً والعذراء بيت القصيد ـ العلّيقة التي اختارها الله ليحل فيها بلاهوته ليضيء على الإنسان من داخله بعد أن يلتهم كل شوائبه.

وهكذا من العلّيقة المشتعلة بالنار يبدأ **أولاً** حلول الله على أرض الإنسان فتتقدَّس الأرض بحلوله، وتبدأ **ثانياً** قصة خروج الشعب المستعبد تحت سخرة المصريين، القصة التي ستظل تتسلسل حتى تنتهي إلى العذراء التي تحمل في أحشائها نار اللاهوت، لتبدأ **ثالثاً** قصة خلاص الإنسان من سخرة الشيطان وعبودية الخطية، بقوة وفاعلية هذا الاتحاد الذي تمَّ بين اللاهوت والناسوت في شخص يسوع المسيح ابن الله.

---

(160) Bruce. I. p. 171.

ولا يفوت على القارئ أن استفانوس هنا يؤكد أن الله ظهر لموسى في برية سيناء وليس في

أورشليم، كما ظهر لإبراهيم فيما بين النهرين سابقاً، وأنه قدَّس مكان وجوده على الأرض في العلّيقة على جبل سيناء. ولأول مرة تقدَّست أرض الإنسان بحلول الله، وليس في الهيكل ولا في قدس أقداسه. وأن أول ذبيحة باركها الله كعهد بين الله والإنسان كانت ذبيحة إبراهيم المُعدَّة هناك عند بلوطات ممرا، لا في هيكل ولا في قدس. كل هذا لكي لا يتعصَّب الشعب لنفسه ولا لأرضه ولا لهيكله أو مدينته فهذه كلها تراث الإنسان الزائل وليست أمجاد الله الباقية.

7 : 31-33 **«فلمَّا رأى مُوسَى ذلك تعجَّبَ مِنَ المنظر، وفيما هو يتقدَّمُ ليتَطلَّعَ صَارَ إليهِ صوتُ الرَّبِّ أنا إلهُ آبائِكَ إلهُ إبراهيمَ وإلهُ إسحقَ وإلهُ يعقُوبَ. فارتَعَدَ مُوسَى ولمْ يجسُرْ أنْ يتطلَّعَ. فقالَ لهُ الرَّبُّ اخلع نَعْلَ رجليكَ لأنَّ الموضعَ الذي أنتَ واقفٌ عليهِ أرضٌ مقدَّسةٌ».**

لقد حان موعد تنفيذ عهد الله لكل مِنْ هؤلاء الآباء. صحيح أن الله أمهل ولكنه لم يُهمِل. لقد كانت أول لحظة تعارف بين موسى والله وكانت رهيبة؛ فمن داخل العلّيقة وخارجها نار متقدة، ومنذ ذلك والله يتراءى وحوله النار والنور حتى اعتُقد أن طبيعته نار آكلة: «وكان منظر الرب كنار آكلة على رأس الجبل» (خر 17:24). ولكن موسى قد دخل في زمرة الآباء المحبوبين لدى الله، فقد أحبه الله جداً، فصار إله موسى بلا نزاع!

وحينما قال له أنا إله إبراهيم يكون موسى قد ارتبط مباشرة بالوعد، وأمَّا إله إسحق وإله يعقوب فهو لزيادة التأكيد والمتابعة. ولكن انتبه أيها القارئ، فالواقف "**ملاك**" والمتكلّم «أنا **إله** إبراهيم» !

أمَّا رعدة موسى وإخفاقه في أن يرفع وجهه في الله، فهذا قانون الرؤى حال ظهور الله، حيث يعجز الإنسان مهما أراد ومهما صمَّم أن يرفع عينيه ليرى وجه الرب، ولكن عبثاً يحاول، إذ يستحيل عليه أن يرفع نظره ليتقابل مع وجه الله: «لا تقدر أن ترى وجهي، لأن الإنسان لا يراني ويعيش ... أسترك بيدي حتى أجتاز، ثم أرفع يدي فتنظر ورائي، أمَّا وجهي فلا يُرى» (خر 33: 20و22و23). لأن الحقيقة أن كلمة **«وجه** = وباليونانية تُنطق **بروسبُون»** تعني «شخص» وشخص الله هو الكيان الفائق على كل كيان.

فعند كل رؤيا من ناحية الله يرتعد الإنسان ويسقط على الأرض، وبعدها يرفع الله بقدرته

الخاصة العامل المرهب في شخصه كنوع من الإخلاء حتى يهدأ الإنسان ويعمَّه السلام لكي يسمع

ويفهم ما يُقال له.

«الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدَّسة»:

هنا ولأول مرة يُدرك الإنسان أن الأرض يمكن أن تتقدَّس بحلول الله! فتصير أرضاً مقدَّسة بذاتها كَوْنَها لمسته أو كَوْنَه لامَسَها بحضرته. لذلك حينما قال الله: «السماء كرسيٌّ لي، والأرض موطئ لقدميَّ» فهذا يعني أن الأرض كلها تصلح أن تكون موطئ قدميه وبالتالي تتقدَّس كلها، فلا حاجة إلى هياكل تُقام ولكن الحاجة لأرواح تسجد، لأن «الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا» (يو 24:4). وهنا حينما قال الله: «الأرض التي أنت واقف عليها أرض مقدَّسة» فهو يعني أنها قد صارت للسجود وليس للدَوْس. وحينما قال له «**اخلع نعل رجليك**» فليس القصد خلع النعلين وحسب، بل القصد أن يسجد موسى حيث هو واقف لأن الله أمامه ولو لم يَرَهُ في نار العلّيقة.

34:7 «إني لقد رأيتُ مشقَّة شعبي الذينَ في مِصْرَ وسَمِعْتُ أنينَهُمْ ونزَلْتُ لأنقِذَهُم، فهلمَّ الآن أُرسِلُكَ إلى مِصْرَ».

لقد استوفت السخرة حقها، والمشقَّة صنعت شعباً مجاهداً خليقاً بأن يعبر البراري ويعيش سائراً على قدميه، ويبيت متغرِّباً في العراء، متسانداً معاً إزاء الوحوش والأعداء إلى أن يفنى الجيل الذي عاشر الأصنام ومارس عادات الأمم. لقد ذكر الله إبراهيم وأكرم إيمانه في نسله إذ حمله كما يحمل النسر وحيده على جناحيه ليحطّه من قمة إلى قمة إلى أن يستودعه عشَّه بأمان!

وهذا هو يوم التكليف العظيم لموسى الذي وُلد جميلاً لله ليصنع به جميلاً لأُمَّته وشعبه. هذا الذي تربَّى في أحضان مصر، هذه التي أنجبت أعظم ما أنجب الإنسان من قامات شامخات، وأعظم مَنْ بنى على الأرض بناء يحك بأنفه السماء. وهل يصارع الفرعون إلاَّ مَنْ كان على قامة الفرعون؟

35:7 «هذا موسى الذي أنكَرُوهُ قائلينَ مَنْ أقامَكَ رئيساً وقاضياً هذا أرسلهُ الله رئيساً وفادياً بيدِ الملاكِ الذي ظهَرَ لهُ في العلّيقة».

هنا حطَّ استفانوس ترحاله الطويل عبر الأجيال ليتفرَّس في قضاته الشامتين المتنمِّرين الضامرين القتل على يد المُزوِّرين. وكأني به يقول لهم لقد أنكرتم البار وأبيْتُم أن يكون

بينكم مسيحاً ومعلّماً

وقتلتموه عمداً وحسداً، وها هو قد صار من الله رئيساً وفادياً، والعلّيقة صارت صليباً يضيء على المسكونة كلها ونوره لا تطفئه السنين. وعدتم بعد أن حاربتموه تحاربون صليبه، ولكن كما تحارب الظلمة النور، فنارُهُ سوف تحرق حتماً كل المضادين.

36:7 «هذا أخرجَهُمْ صانِعاً عجائِبَ وآياتٍ في أرضِ مِصْرَ وفي البحر الأحمر وفي البرِّية أربعين سنةً».

عودة مرة أخرى إلى المسيح والتنبير على صنع العجائب والآيات، والخروج خارج أورشليم، والقبر، والهاوية، والصعود في اليوم الأربعين، وسكب روح الحرية والحياة لاستيطان السماء، وهل مَنْ صنع عجائب وآيات على الأرض كالمسيح؟ ولكن كما كافأوا موسى كافأوا المسيح. وما كان الخروج الأول إلاّ نموذجاً مصغَّراً يمهِّد للخروج الأعظم الذي نال به الإنسان الدخول إلى السماء ليجد فيها وطناً ومستقرًّا وراحة أبدية!!

كانت العجائب وراء العجائب، والآياتُ وراء الآياتِ البديلَ الوحيدَ للحرب بالسلاح والعراك بالسيف والرمح والقتل والتشريد.

لقد أدخل الله في قلب فرعون والمصريين الرعب حتى لا يستخدموا طرقهم المألوفة في قمع الثورات والنقمة والانتقام. صحيح أن المداولات أخذت وقتاً طويلاً، ولكن كان الأمر برضى الله ومعرفته فهو الذي قال: «ولكني أعلم أن ملك مصر لا يدعكم تمضون ولا بيد قوية. فأمدُّ يدي وأضرب مصر بكل عجائبي التي أصنع فيها. وبعد ذلك يطلقكم.» (خر 3: 19و20)

ويُلاحَظ أن ق. استفانوس ربط "الخروج" بالعجائب والآيات حتى إلى نهاية الأربعين سنة، ذلك لأن شعب إسرائيل ما حُسبوا أبداً أنهم خرجوا من مصر إلاّ بعد نهاية الأربعين سنة وهم على ضفة الأردن الشرقية والمن في أفواههم بسبب تمردهم المستمر وسوء نيَّتهم التي أضمروها دائماً في العودة إلى مصر. لذلك لم يكف الله عن عمل عجائبه ليردعهم أن ينصاعوا لأوامره حتى آخر لحظة.

37:7 «هذا هو موسى الذي قالَ لبني إسرائيلَ نبيًّا مثلي سيُقِيمُ لكم الربَّ إلهُكُمْ مِنْ إخوتِكُم، لهُ تسمَعُونَ».

نود لو ينتبه القارئ أن هذا السنهدريم بكل هيئته وأعضائه سمع من القديس بطرس

دفاعاً سابقاً، والقديس استفانوس يُعتبر الآن أنه يزيده وضوحاً وقوة، ولكن سكت هؤلاء الربيون والرؤساء والمعلّمون، سكتوا إيذاناً للحجارة لتصرخ، ولينهدم هذا الهيكل على كل مَنْ فيه.

ويُلاحَظ أن ق. استفانوس يكون بهذه الآية قد انتهى بمسلسل الكلام إلى محور القضية، فولادة موسى وتربيته ليصير قائداً على أعلى مستوى للقيادة وعالماً على أعلى مستوى العلم، ثم تكليفه بأكبر عملية في التاريخ وهي إجلاء شعب من وسط شعب، يُخرجه إلى الحرية من تحت أثقل سخرة وعبودية. هذا المسلسل انتهى عند نقطة وكفَّ عن التمادي. فلم يتكلَّم عن دخول أرض كنعان إلى آخر التاريخ، ولكن عند الخروج كفَّ ليعود ويمسك بالخيط الأساسي ويرتكز على المحور المقصودوهو المسيح.

فهذا الذي قاله استفانوس كله عن موسى لم يَقُله عن موسى لأجل موسى أو لأجل أن يُلقي درساً تعليمياً على السنهدريم، بل ليقف عند نقطة تلاقي وانطباق موسى على المسيح.

يقول استفانوس: «هذا هو موسى» ولكن إلى هنا انتهى موسى يا حضرات القضاة، فالقصة هي عن المسيح، لأنه لولا هذا النبي الآتي من بعد موسى ليضع لمساته الأخيرة على الخروج الصحيح والانعتاق من العبودية الأخطر والسخرة المشئومة للشيطان، ما كان قد جاء موسى، وما تغرَّب الشعب في مصر، وما أخذ إبراهيم وعداً بنسل، وما ظهر الله لإبراهيم. لأن المسيح، هذا النبي الذي تكلَّم عنه موسى، هو "النسل" الموعود به لإبراهيم، والذي ظهر في نهاية الدهور لتتبارك فيه وبه كل شعوب الأرض. فهو الغاية من البداية.

ثم معروف تماماً بمائة برهان وبرهان، ومن صلب التوراة والأنبياء والمزامير، أن الشعب لم يسمع لموسى! ولكن الله تجاوز هذا العصيان، بل وموسى نفسه تشفَّع حتى يتجاوز الله هذا العصيان ولا يفنى الشعب فناءً: «اتركني فأبيدهم وأمحو اسمهم من تحت السماء، وأجعلك شعباً أعظم وأكثر منهم» (تث 14:9). فانبرى موسى يتشفع أيضاً في واقعة أخرى عند رجوع الجواسيس عندما قال الرب: «وقال الرب لموسى حتى متى يهينني هذا الشعب. وحتى متى لا يصدقونني بجميع الآيات التي عملت في وسطهم. إني أضربهم بالوبأ وأبيدهم وأصيِّرك شعباً أكبر وأعظم منهم. فقال موسى للرب ... اصفح عن ذنب هذا الشعب كعظمة نعمتك. وكما غفرت لهذا الشعب من مصر إلى ههنا. **فقال الرب: قد صفحت حسب قولك**» (عد 14: 11و12و13و19و20). وتعتبر هذه الآيات الأخيرة وهذا القول من فم الرب أعظم ما قرأت في حياتي عن طبيعة قلب الله!!

في هذا كله يظهر موسى متشفعاً عن الشعب، والرب سمع، كمثال مصغَّر لِمَا صنع

المسيح من أجل كل العالم! لذلك حقَّ له وحقَّ علينا أن نسمع لصوت موسى أن «نبيًّا مثلي سيقيم لكم الرب

إلهكم ولكن له تسمعون» ! ولكن هذه المرة يا كل قضاة الأرض اسمعوا: «ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلّم به باسمي أنا أُطالبه» (تث 19:18) وقد جاءت في السبعينية: «سأقيم نقمتي عليه» وهكذا بالنهاية أوْقف استفانوس قضاته تحت المطالبة أمام الله.

38:7 **«هذا هو الذي كانَ في الكنيسةِ في البريَّةِ مع الملاكِ الذي كانَ يُكلّمه في جبل سيناءَ ومع آبائنا، الذي قبلَ أقوالاً حيَّةً ليُعطينا إياها».**

«في الكنيسة»: ™n tÍ ™kklhs…v ™

وردت كذلك في سفر التثنية في السبعينية تماماً بعد الآية السالفة (37:7). ولكن الترجمة العربية لم تعطها هذه الصيغة. وقد جاءت بالعبرية "quahal" وتعني "الاجتماع". واستفانوس يشير بها إلى الاجتماع الذي صنعه موسى بأمر الله مع جميع الشعب وآباء الأسباط في حوريب يوم ظهر لهم الرب في حوريب وأعطاهم الناموس. وقد جاءت في سفر التثنية هكذا وموسى يكلّم الشعب: «يقيم لك الرب إلهك نبيًّا من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون حسب كل ما طلبت من الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع (حينما ارتعد الشعب من النار والدخان وصوت الله وإنذاراته الشديدة فاستعفى عن السماع وطلب من موسى أن يتكلّم هو مع الله ويعفيهم من سماع صوت الله) قائلاً لا أعود (الشعب) أسمع صوت الرب إلهي ولا أرى هذه النار العظيمة أيضاً لئلاً أموت.» (تث 18: 15و16)

وقصد القديس استفانوس أن هذا هو موسى الذي تقبَّل الناموس في هذا اليوم، ولكن الشعب استعفى من سماع صوت الله، **فموسى يرد على الشعب بعد ذلك بقوله للشعب أنتم طلبتم أن لا تسمعوا صوت الله لئلاً تموتوا، ليكن لكم كما أردتم، فالله سيقيم لكم نبيًّا مثلي له تسمعون كما طلبتم، ولكن الذي لا يسمع له سوف أصبُّ عليه نقمتي** (حسب السبعينية). أمَّا قوله هنا «الملاك الذي يكلّمه ...» فهو تعبير مؤدَّب ـ بمقتضى الأدب العبراني ـ عن الله نفسه.

ولكن تعبير استفانوس عن اجتماع موسى في حوريب لأخذ الناموس (أقوالاً حيَّة) مع الشعب **في هذا الاجتماع التاريخي أنه كان "الكنيسة" تعبير رائع حقاً وفوق التصور. لأن الله كان مجتمعاً مع شعبه فعلاً، فهذه هي الكنيسة الأُولى حقاً، كنيسة على جبل، وإنما بلا عُمُدٍ ولا سقفٍ ولا جدران وأعتاب، ولا أروقة ولا هياكل، كنيسة حرَّة من كل قيد أرضي،**

لا يحدّها إلاّ الله القائم في أعلاها. فإن كانت هذه هي الكنيسة في واقعها الحي الأول، غريبة على أرض

وغريبة من كل أرض، لا يجمعها إلاَّ الله إذا تراءى، فلا حوريب يحسب من تخومها لأنها انسحبت من حوريب وأخذت بعد ذلك شكل خيمة تُطوى مع الأيام وتُفرد للاجتماع أينما حلَّت الجماعة.

ومن **أجمل التعابير** التي حصل عليها موسى عن وجود الله معهم، **وهو بعينه الكنيسة** نصاً: حرفاً وروحاً، قول الله له: «فقال وجهي (شخصي) يسير فأريحك. فقال له إن لم يَسِرْ وجهك فلا تُصعدنا من ههنا. فإنه بماذا يعلم أني وجدت نعمة في عينيك أنا وشعبك. أليس بمسيرك معنا. فنمتاز أنا وشعبك عن جميع الشعوب الذين على وجه الأرض. فقال الرب لموسى هذا الأمر أيضاً الذي تكلَّمت عنه أفعله. لأنك وجدت نعمة في عينيَّ وعرفتك باسمك.» (خر 33: 14-17)

وهكذا سار وجه الله معهم يتقدَّمهم ـ وقد صار موسى وسيطاً بينهم وبين الله ـ يقف (وجه الله = شخص الله) **فيقفون، ويسيرُ فيسيرون. هذه هي حقيقة الكنيسة وجوهرها، متغرِّبة بغربتنا وهي في جوهرها الله معنا، وهي مصدر وجودنا وراحتنا: «وجهي يسير فأريحك».**

والخلاصة أن عين استفانوس على الكنيسة القديمة لتمثل جوهر حضور الله. أمَّا العلاقة التي بين الله وشعب إسرائيل فهي قائمة على أسس فائقة على الأشكال والأبنية والمواضع والأرض والمدن والهيكل.

«أقوالاً حيَّة»:

هي بالضرورة أقوال الله كما عبَّر عنها بولس الرسول:

+ «أمَّا أولاً فلأنهم استؤمنوا على أقوال الله.» (رو 3:2)

هذا هو استفانوس **يعبِّر عن الناموس أقدس تعبير كونه أقوال الله الحيَّة**، هذا الذي أوقفوا قباله شهود الزور يقولون سمعناه يجدِّف على موسى والناموس!!

39:7 **«الذي لم يَشأ آباؤُنا أن يكونوا طائِعِينَ لهُ بل دَفَعُوهُ ورجَعُوا بقُلُوبِهم إلى مِصْرَ».**

اسمع الصيغة الشديدة الوقار والاحترام التي صاغ بها هذا القديس الفريد التعبير عن هؤلاء المَرَدَة الذين عَصَوْا وتمردوا على موسى وطلب الله أن يفنيهم بالوبأ. يقول عنهم **آباؤنا** لم يشاءوا أن يكونوا طائعين! وطبعاً الذي ينقصها هو: يا حضرات **آبائنا!** وهذه

وحدها رواية من أشنع الروايات عن عصيان شعب إسرائيل عن بكرة أبيهم ما عدا اثنين. فقد جلسوا معاً يتسامرون

وأشاعوا إشاعة موضوعها مذمَّة في حق الذين ذهبوا ليعاينوا أو يتجسَّسوا على الأرض التي وعد بها الله أن يعطيها لهم. واختمرت الفكرة فقاموا ونظموا صفوفهم للعودة ولكن ليس في سلام بل صمموا أن يرجموا موسى وهارون بالحجارة لولا أن تدخَّل الله في آخر لحظة وأرعبهم:

+ «فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت وبكى الشعب تلك الليلة وتذمَّر على موسى وهارون جميع بني إسرائيل وقال لهما كل الجماعة: ليتنا متنا في أرض مصر أو ليتنا متنا في هذا القفر. ولماذا أتى بنا الرب إلى هذه الأرض لنسقط بالسيف. تصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة. أليس خيراً لنا أن نرجع إلى مصر. فقال بعضهم لبعض نقيم رئيساً ونرجع إلى مصر!! ... ولكن قال كل الجماعة أن يُرْجَما (موسى وهارون) بالحجارة» (عد 14: 1- 4و10)

وما أشبه هذا القرار الذي اتخذوه،
بالقرار الذي اتخذه السنهدريم بقيادة قيافا:

+ «فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجمعاً وقالوا ماذا نصنع فإن **هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به**، فيأتي الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا. فقال لهم واحد منهم وهو قيافا، كان رئيساً للكهنة في تلك السنة. أنتم لستم تعرفون شيئاً ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب (وفي هذه القصة في الخروج هو **موسى**) ولا تَهلِكَ الأمة كلُّها.» (يو 11: 47-50)

أولئك أرادوا أن يرجموا موسى وينجو الشعب ويعود إلى مصر. وهذا (قيافا) أراد أن يقتل المسيح، بل قتله، لينجو الشعب من احتلال الرومان وهم محتلُّون!!! ومن الهلاك وقد هلكوا.

40:7 **«قائلينَ لهارونَ اعمل لنا آلهةً تتقدَّم أمامنا، لأن هذا موسى الذي أخرَجَنَا مِنْ أرضِ مِصْرَ لا نعلَمُ ماذا أصابَهُ».**

وما أشبه هذه العملة السوداء بالعملة التي عملها قيافا مع رؤساء الكهنة أمام بيلاطس، إذ لمَّا رأوا بيلاطس قد كشف الحقيقة إذ وضع يده على حسدهم للمسيح الذي قدموه للقتل. ولمَّا سمعوا بيلاطس يقرر، بل يقضي بأن المسيح لم يفعل أمراً واحداً يستحق الموت، وأعلن براءته ثلاث مرات، أخرجوا آلهتهم الحقيقية التي يعبدونها إذ قالوا في أنفسهم لا نعلم ماذا

أصاب إلهنا حتى تركنا هكذا لعبة في يد يسوع هذا. فجاهروا بأعلى صوتهم إن أفرجت عنه تكون غير محب لقيصر (لإلهنا)، فراجعهم في أمر إلههم وملكهم، فأصرُّوا على مسمع من الله، ليس لنا ملك إلاّ قيصر! هو

يتقدَّم أمامنا ويخلِّصنا من يد يسوع هذا (المدَّعي أنه المسيا).

41:7 **«فعمِلُوا عِجلاً في تلكَ الأيامِ وأصعدوا ذبيحة للصنمِ وفرِحُوا بأعمَالِ أيدِيهم».**

هذه هي الرجعة الحقيقية إلى مصر، وهذا هو عجل أبيس معبود مصر المحبوب. وهذه هي ذبيحة الصنم ختم العبادة للشيطان التي أكلوا منها ودخلوا معه في شركة ومسرة وزنا.

هؤلاء هم الآباء بحسب قول استفانوس، وهذه هي علاقتهم الحقيقية بيهوه الإله العظيم الذي أخرجهم من مصر بيد عزيزة وآيات ومعجزات لم يُسمع بها من قبل.

وإلى هنا يكون قد بلغ استفانوس وصف أقصى حدود التمرُّد على الله في علاقة "آبائنا" هؤلاء كقوله. ففي الوقت الذي تراءى هو لهم عياناً بمجده وجبروته وجلاله وأعطاهم الأقوال الحية كعلاقة مسجَّلة بين الله وشعب كأقصى غاية الافتخار لأمة في ذلك الزمان السحيق، أعطوه القفا دون الوجه وعملوا الأصنام وعبدوها وأكلوا ذبائحها وزنوا روحاً وجسداً في وضح النهار وأمام عيني الله.

فرأى الرب وكتب أمامه سفر تذكرة
ليعدَّه سنين كثيرة آتية:

«فأنقلكم إلى ما وراء بابل»

42:7و43 **«فرَجَعَ اللهُ وأسلَمَهُمْ ليعبدُوا جُنْدَ السماءِ كما هو مكتُوبٌ في كتابِ الأنبياءِ، هل قرَّبتُم لي ذبائحَ وقرابينَ أربَعينَ سنةً في البرِّيةِ يا بيتَ إسرائيلَ. بل حَمَلتُم خَيمَةَ مولُوكَ ونَجْمِ إلهكُم رَمفَانَ التماثيلَ التي صنعتُمُوهَا لتسجدوا لها. فأنقلُكُمْ إلى ما ورَاءَ بَابلَ».**

هو قانون حتمي اكتشفه بولس الرسول: «وكما لم يستحسنوا أن يبقوا الله في معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق» (رو 28:1). لأنه إمَّا أن ننشغل بالله ويكون هو مصدر معرفتنا وغاية ما نريد أن نعرفه فينفتح ذهننا ويرتقي في معارف الله للبر والقداسة علماً وعملاً، وإمَّا نستكثر معرفتنا على الله ونجري وراء معارف غريبة عن الله بل ولا تليق به وحينئذ ينحط ذهننا ويتلاشى النور الذي فيه وتصير لذته فيما هو مرفوض فكراً وعملاً.

وهكذا لمَّا رفض بنو إسرائيل الطاعة لصوت الله وقالوا بالحرف الواحد: «لا أعود

الرب إلهي» (تث 16:18). ثم عملوا العجل الذهب وقالوا: «هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعَدَتْك من أرض مصر.» (خر 4:32)، أسلمهم الله ليعبدوا جند السماء.

«فرجع الله وأسلمهم ليعبدوا جند السماء»:

وفي هذا يقول هوشع النبي: «أفرايم موثق بالأصنام اتركوه. متى انتهت منادمتهم (بالخمر) زنوا، زنى، أحبَّ مجانُّها أحبُّوا الهوانَ» (هو 4: 17و18). وتاريخ إسرائيل في جريهم وراء جميع آلهة الأمم وأصنامهم بدأ من برية سيناء بعد خروجهم من مصر محمَّلين بالأصنام في أمتعتهم حتى إلى بابل في السبي! لقد أكرموا الأصنام فأكرمتهم حتى أبلغتهم السبي وهوان الهوان.

واستفانوس في هذه الآية يستشهد بما قاله عاموس النبي فيهم:

+ «هل قدَّمتم لي ذبائح وتقدمات في البرية أربعين سنة يا بيت إسرائيل. بل حملتم خيمة ملكومكم وتمثال أصنامكم نجم إلهكم الذي صنعتم لنفوسكم فأسبيكم إلى ما وراء دمشق قال الرب إله الجنود اسمه.» (عا 5: 25-27)

وطبعاً معروف أن عبادة عجل أبيس لها علاقة بعبادة الشمس المعبَّر عنها ضمن جنود السماء، واستمرت عبادة الشمس والنجوم والأقمار حتى استشرت في إسرائيل في زمان الملوك.

والرب حذَّرهم من هذه العبادات وهم في سيناء بعد خروجهم من مصر:

+ «لئلاَّ ترفع عينيك إلى السماء وتنظر الشمس والقمر والنجوم كل جند السماء التي قسمها الرب إلهك لجميع الشعوب التي تحت كل السماء فتغتر وتسجد لها وتعبدها.» (تث 19:4)

وقول استفانوس إن الرب أسلمهم ليعبدوا جند السماء هي في حقيقتها لعنة وتخلية عن الشعب أفقدتهم محبة الله وطمست حكمتهم.

أمَّا الأسماء الواردة لهذه الآلهة فقد كثر القول فيها وتعددت الأسماء ومصدرها من مصر وأشور. أمَّا الفرق **بين ما وراء دمشق كما جاءت بلسان عاموس النبي، وما وراء بابل بلسان استفانوس** فعاموس النبي قال هذه النبوة والأشوريون مرابطون في الشمال، الذين نهبوا إسرائيل في الشمال وسَبَوْها فعلاً. ولكن بعد مائة سنة أيضاً حدث نفس الشيء

وسُبُوا إلى ما وراء بابل[161].

والقصد من هذا هو تركيز استفانوس على خيانة "الآباء" منذ الخروج حتى السبي في عبادة

(161) Burce. II. pp. 155,156.

الأصنام بالرغم من وجود خيمة الاجتماع والعبادات الرسمية اليومية والموسمية، وبالرغم من وجود الهيكل وعبادته الفخمة الرسمية ورفع البخور صباحاً ومساءً ووقت الظهر.

كل هذا الكلام موجَّه لرؤساء الكهنة وكل المسئولين عن العبادة، الذين اجتمعوا ليحققوا في شهادات زور ضد استفانوس الذي نسبوا إليه «أنه يتكلّم كلاماً تجديفاً» ضد موسى والناموس، بينما كانت خيانتهم لله سارية من تحت ممارستهم للطقوس!

المرحلة الثالثة: بين الخيمة والهيكل (7: 44-50):

7:44و45 **«وأمَّا خَيمَةُ الشهادةِ فكانت معَ آبائِنَا في البرِّيةِ كما أمرَ الذي كلَّمَ موسَى أن يعملَهَا على المِثَالِ الذي كانَ قد رآهُ.**

التي أدخلها أيضاً آباؤُنا إذ تخلَّفوا عليها معَ يشوعَ في مُلْكِ الأممِ الذين طردَهُم اللهُ مِنْ وجهِ آبائِنَا إلى أيامِ داوُدَ».

وبعد أن أفرغ استفانوس خبايا عبادة الشعب وفضح ما كان سارياً تحت خيمة مولوك وصنم رمفان، بدأ يتكلّم عن العبادات الرسمية، خيمة إسرائيل التي كان اسمها «خيمة "الاجتماع"» وطبعاً الاجتماع معاً بالله، لذلك دُعيت كنيسة البرية وكان اسمها أيضاً « خيمة الشهادة» لأن فيها تابوت العهد: «تابوت الله الذي يُدعى عليه "بالاسم" اسم رب الجنود الجالس على الكاروبيم» (2صم 6:2)، الذي يحمل التوراة وقسط المن وعصى هارون، هذه كلها تحمل شهادات دهرية على تدليل الله لإسرائيل لمَّا أخرجها من مصر. وهو يتكلّم عن كونها كانت في البرية محمولة على أكتاف اللاويين من محط إلى محط ومن وادٍ إلى جبل. فكانت الخيمة تسير شهادة على مرافقة الله لشعبه: «إن لم يَسِرْ وجهك فلا تُصعدنا من ههنا» (خر 15:33)، **بمعنى أن العبادة بدأت وتأسَّست عبادة لا مكانية ولا زمانية، صالحة لكل مكان وزمان، كما كانت في سيرها تحمل معنى التقدّم. فهي عبادة ترقى بالشعب طالما كان يسير وراء الله طائعاً سامعاً، وهذا في عُرْفنا هام جداً.**

ويقول أيضاً عن **أصل مثالها أنها مأخوذة في رؤيا سماوية ذات معايير فائقة، ولكن موسى طبَّقها على الواقع الأرضي وصُنْع اليدين، ولكن المثال أصلاً غير مصنوع بيد، سماوي لا أرضي** وهذا أيضاً أمر جد خطير.

وهذه بعد أن أكملت غربتها في برية التيه مع الشعب، كشاهد على عقوقه ونكوصه وأصنامه التي كان يخفيها في أمتعته وملابسه، والتي أدخلها معه في الأرض التي امتلكها

قطعة وراء قطعة وفي

بلد وراء بلد، حتى استوطنت الخيمة "كنعان" حيث استوطن الشعب. ولكنها ظلت تحمل غربتها في جلودها وأخشابها وتاريخها الطويل عبر الأكتاف وعبر السنين والأجيال، إلى أن استقرت في ذمة داود (التابوت فقط)، الذي فرح بأن يصير خادمها فرقص أمامها رقصاً، وهو يزفُّها إلى مكان استقرارها في بيدر أرونة اليبوسي، الذي تبرَّع ببهائمه ذبيحة سلامة لوصولها حتى بيدره وبخشب نَوْرَجه أقام المحرقة: «وكان داود يرقص بكل قوته أمام الرب وكان دواد مُتنطّقاً بأفود من كتان. فأصعد داود وجميع بيت إسرائيل تابوت الرب بالهتاف وبصوت البوق» (2صم 6: 14و15). وهكذا أسكنها في مدينة داود، أي جبل صهيون.

كل هذا واستفانوس يتكلّم من أعمق مشاعره ليحرّك مشاعر سامعيه، وهيهات. لأنه كان يتكلّم شاهداً عن خيمة الشهادة، أمَّا هم فكانت عقولهم وأفكارهم في خيمة مولوك الذي كانوا يعبدونه ويضحُّون له بأن يجيزوا أولادهم في النار. هذا الفجور الذي أهّلتهم بالنهاية أن يحكموا بالصلب على مَنْ وطأت أقدامه الأرض وعرشه قائم في السماء، أو بالرجم على إنسان ينادي بالخلاص ويصنع الآيات والمعجزات.

هما خيمتان متلازمتان سارتا معاً واستوطنتا معاً، ولهذه شهود ولهذه شهود، وابن الجارية يضطهد ابن الحرّة!!

7: 46و47 «**الذي وَجَدَ نعمةً أمامَ الله والتمسَ أن يَجِدَ مسكناً لإلهِ يعقوبَ. ولكن سليمان بنى له بيتاً**».

القصة تبدأ عندما بنى داود لنفسه بيتاً:

+ «وكان داود يتزايدُ متعظماً والربُّ إله الجنودِ معه. وأرسل حيرامُ ملك صور رُسلاً إلى داود وخشبَ أرزٍ ونجّارينَ وبنّائينَ فبنوا لداودَ بيتاً.» (2صم 5: 10و11)

وبدأ ضمير داود يثقل عليه، كيف يسكن بيتاً من أرز وتهيأ له أن الله يسكن في خيمة من جلود وشقق. فالمسألة واضحة أنها محاولة تغطية لضميره، فلا الله قال له ابْن لي بيتاً ولا هو فكّر في هذا إلاَّ بعد أن بنى لنفسه بيتاً!!

+ «وأن الملك قال لناثان النبي انظر، إني ساكنٌ في بيتٍ مِنْ أرزٍ وتابوت الله ساكنٌ داخل الشُّقق (ألواح). فقال ناثان (النبي) للملك اذهب افعل كُلَّ ما بقلبكَ لأن الرب

معك.» (2صم 7: 2و3)

+ «وفي تلك الليلة كان كلام الرب إلى ناثان (النبي) قائلاً: اذهب وقُلْ لعبدي دواد هكذا قال الرب، أأنت تبني لي بيتاً لسُكناي، لأني لم أسكن في بيتٍ منذ يومِ أصعدتُ بني إسرائيل مِنْ مصر إلى هذا اليوم، بل كنتُ أسيرُ في خيمةٍ وفي مسكنٍ ... أُقيم بعدك نسلك الذي يخرج من أحشائك وأثبّت مملكته **هو يبني بيتاً لاسمي.**» (2صم 7: 4-6و12و13)

واضح كل الوضوح أن مبدأ الله أنه: من غير المقبول أن يكون له بيتٌ، وكأنه يسكن في بيوت كالناس. ولكن لأن داود وجد نعمة في عينيه لم يشأ أن يردَّه وأخبره أن ابناً له يبني هذا البيت "**لاسم**" الله. حيث يجتمع الشعب ويعبد الاسم الكريم. فالهيكل صار يحمل "**الاسم**" للصلاة «بيتي (الذي لاسمي) **بيت الصلاة يُدعى**» (مت 21:13). فهو بيت الله حقاً إن كانت فيه الصلاة حقاً وإلاَّ «هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً.» (مت 23:38)

إن عين استفانوس على حقيقة علاقة هيكل الله بالصلاة الحقَّة، وباسم الله الذي يُعبد فيه.

وسيان إن كانت خيمة تطوى وتُحمل على الأكتاف، أو هيكل من رخام وتُحف مذهَّبة. فالعبرة الأولى والوحيدة هي "**اسم الله**" الذي يُعبد فيه بالحق فهو الذي يعطيه صفته ونسبته لله!!

7:48-50 «**لكِنَّ العليَّ لا يسكُنُ في هياكِلَ مصنُوعاتِ الأيادي، كما يقولُ النبيَّ: السماءُ كُرسيَّ لي والأرضُ مَوطِئٌ لقدميَّ، أيَّ بيتٍ تبنُونَ لي يقولُ الربَّ وأيَّ هوَ مكانُ راحتي، أليست يَدِي صَنَعَتْ هذهِ الأشياءَ كُلَّها».**

«لكن العليَّ لا يسكن في هياكل»:

«لكن»: هنا تفيد الاستثناء الحتمي، ولكن ممَّ يكون الاستثناء؟ واضح أنه من آلهة الأمم الكاذبة! فأصنامها تسكن داخل الهياكل المشيَّدة بالرخام والمرمر والمذهَّبة بالذهب والفضة، ذلك قبل أن يشيِّد سليمان هيكله بأزمنة كثيرة وسحيقة.

«العلي»

لذلك يقول أيضاً «العلي» وبالعبرية Elyon = yistojغ = The Most High. والمعنى هو **العلي** عن كل الآلهة الكاذبة، كنايةً عن الله مباشرة. وأول ما جاءت جاءت في (تك 14:18)، (تث 32:8) ثم في (دا 3:26).

وبولس الرسول يُعيد تأكيدها ويعطيها الأسباب: «الإله الذي خلق العالم وكل ما فيه هذا إذ

هو ربُّ السماءِ والأرض لا يسكن في هياكل مصنوعةٍ بالأيادي» (أع 17 : 24). وهذا هو أول صدى لكلام استفانوس الذي رسخ في ذهن بولس الرسول وتمعَّن فيه مليًّا وعاد إلى أصوله في الأسفار وكوَّن عليه لاهوته. ولاحظ هنا قوله: «الإله الذي خلق العالم وكل ما فيه» بمعنى أن أي شيء في العالم حتماً هو مخلوق، ويستحيل أنَّ الخالق يسكن أو يحتويه المخلوق. ثم عاد وأكَّد: «هو رب السماء والأرض» فهو حتماً لا يسكن في واحدة ويترك الأخرى، «لا يسكن في هياكل مصنوعة بالأيادي» علماً بأن هذه بديهية جبرية ودرس الأولاد الصغار في مدرسة الكتبة، ولكن ق. بولس يقوله هنا لأعظم حكماء العالم لذلك يقول: «اختار الله جهَّال العالم ليخزي الحكماء.» (1كو 1 : 27)

فاستفانوس هنا يقول حقائق أساسية في العقيدة والإيمان والعبادة، وينزِّه الله عن أن يكون على مستوى الأصنام والآلهة الميتة التي تحويها الهياكل، بل ويكمِّل ق. بولس الكلام لهؤلاء الحكماء بأن الله «لا يُخدم بأيادي الناس كأنه محتاج إلى شيء إذ هو يعطي الجميع حياة ونفساً وكل شيء» (أع 17 : 25) بمعنى أن الذي خلق الأيدي كيف يُخدَم بالأيدي؟ والذي خلق الجبال كيف يسكن في الهياكل المبنية بالحجارة؟ وأغلى وأعز وأعظم ما يحاول الإنسان تقديمه إلى الله في غِنَى عنه، لأنه هو خالقه. هنا ق. بولس يحصر عقل الحكماء في الروح والحياة: «لأننا به نحيا ونتحرَّك ونُوجد» (أع 17 : 28). وهذا كله انبثق في قلب ق. بولس وأخذ وعيه الإلهي الكامل بعد أن سمع خطاب ق. استفانوس.

والعجيب حقاً أن هذا سمعه الربيون وعلماء اليهود ورؤساء الكهنة والفريسيون أيضاً فصرُّوا على أسنانهم؛ والعجيب أيضاً أنهم صاروا وكأنهم يسمعون تجديفاً، بل وسدُّوا آذانهم لئلاً تتلوث باسم البار، وهكذا انقلبت الموازين، ولكن «إذا انقلبت الأعمدة فالصدِّيق ماذا يفعل.» (مز 11 : 3)

والذي بنى الهيكل ـ (سليمان) ـ وأخذ منظره الجميل بفكره وسلب لبَّه عاد ونظر إلى فوق معتذراً أن هذا لا يليق بالله بل وكأنه عملٌ لا ينبغي أن يُعمَل، فقال لله في صلاته:

+ «لأنه هل يسكن الله حقاً على الأرض؟ هوذا السموات وسماء السموات لا تَسَعُك فكم بالأقل هذا البيت الذي بَنَيتُ.» (1مل 8 : 27)

ثم عاد سليمان واكتفى من الله أن يسمع، مجرد سمع، الصلاة التي يصلِّي بها فيه لاسمه وتكون عيناه تنظران من علٍ إلى **مَن فيه:**

+ «فالتفِتْ إلى صلاة عبدك وإلى تضرعه أيها الرب إلهي، واسمع الصراخ والصلاة التي يصليها عبدك أمامك اليوم. لتكن عيناك مفتوحتين على هذا البيت (بالعبري thêbay) ليلاً ونهاراً على **الموضع** الذي قُلتَ أن اسمي يكون فيه ... واسمع تضرُّع عبدك وشعبك إسرائيل الذين يصلُّون في هذا الموضع **واسمع أنت في موضع سكناك في السماء**. وإذا سمعتَ فاغفر.» (1مل 8: 28-30)

أمَّا الهيكل أو البيت أو البناء الذي يمكن أن يسكن فيه الله حقاً فهو «لأننا نعلم أنه إن نُقض بيت خيمتنا الأرضي فلنا في السموات بناء من الله غير مصنوع بيدٍ أبديٌّ» (2كو 5 : 1)، «أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم» (1كو 3 : 16) حيث تُقدَّم الذبائح العقلية!

ولكن يلزمنا أن نؤكد أن دفاع استفانوس بالنسبة للهياكل المصنوعة بالأيادي وعدم لياقتها لسُكنى الله التي استشهد بالأنبياء بخصوصها، فالقصد الأساسي من ذلك هو أن يلومهم على ترك العبادة بالروح والالتفات للعبادة بالعين واليد والجسد، الأمر الذي ركز ودقق وشدَّد عليه المسيح نفسه: «الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا!» (يو 4 : 24)

ولا يضير بعد ذلك السجود بالروح والحق أن يكون لله في خيمة أو في هيكل مشيَّد باليد. ولكن الخطر أن يفلت ذهن الإنسان ويحسب أنه استطاع أن يحصر الله في هيكل بأن يجمِّله بالذهب والفضة والتحف، حتى يدخل الله إلى عمل يديه حاسباً أنه عمل مكاناً لراحة الله. مع أن الأصل والأساس هو أن الله طالب الساجدين له بالروح ليريحهم هم، لذلك يعاتب وينفي أن يكون له مكان راحة على الأرض «وأيٌّ هو مكان راحتي» وهذا واضح غاية الوضوح في قول إشعياء نفسه: «لأنه هكذا قال **العلي المرتفع ساكن الأبد القدوس اسمه**، في الموضع المرتفع المقدَّس أسكن ومع المنسحق والمتواضع الروح لأحيي روح المتواضعين ولأحيي قلب المنسحقين» (إش 57 : 15). بمعنى أن الهياكل ليست لله ولكن للمتواضعين والمنسحقين لينالوا الحياة من الله! فهو ساكن الأبد القدوس اسمه، ولكن لا يمانع أن يساكن الإنسان ليريحه ويحييه!

كذلك نحذِّر القارئ من أي فكر **يستنقص من قيمة الطقس** الذي أملاه الله لموسى بخصوص الذبائح، فالذبائح كانت دائماً مرفوضة ومكروهة من أيدي المستهترين الذين يكسرون نواميس الله عن عمد أو يستغلونها لأنفسهم، لذلك امتلأت النبوات **بجحد الذبائح**

بالنسبة للكهنة المفسدين وللشعب الذي يخاتل الله، فالكهنة يسرقون الشعب ويقدمون لله الذبائح، والشعب يعبد آلهة

غريبة ويقدِّم لله الذبائح، فصارت الذبائح إهانة لله مرفوضة مائة بالمائة. ولكن الطقس نفسه حذار أن يعيبه إنسان وهو من صنع الله وترتيبه، ولقد جانب ذهبي الفم الصواب عندما قال إن الذبائح فرضها الله للوقاية من عبادة الأصنام(162).

ولكن إذا فهمنا لاهوت الصليب عن صحة وعمق ونبوة، نجد أن الذبائح كلها وخاصة الفصح والمحرقة كانت في طقسها ومفهومها الإلهي نبوَّة عملية على ذبح المسيح على الصليب. فالخاطئ كان يتقرَّب بالذبيحة إلى الله فعلاً فيُرضَى عنه، ولكن لا تزول خطاياه إلى أن جاءت الذبيحة الحقيقية التي تجمع الرضى (السلامة) مع الغفران الكلي والصفح. فلو رفعنا طقس الذبائح تاه عنَّا معنى الصليب وعمقه في التاريخ.

القديس استفانوس حصر نفسه في المقارنة بين الهيكل والخيمة وبين الغُربة على الأرض والحركة والثبوت في مكان واحد كأنه استيطان لله في المكان والزمان!! ولم يتعرَّض للذبائح قط!

واضح الآن لدى القارئ من مجمل هذا الدفاع أنه ظلَّ يسوق الأدلة والبراهين الواحد تلو الآخر ليوقظ ضمير الذين يحاكمونه، محوِّلاً الاتهامات التي قدمتها المحكمة إلى قضايا عامة تمس الأمة كلها في ماضيها وحاضرها، وبالتالي تمسُّهم هم أكثر مما تمسُّه هو، بحكم مركزهم ومسئوليتهم عن كل تاريخ عقوق الأمة.

أمَّا فيما يخص الاتهام بقلب نظام موسى وانتهاكه الموجَّه إليه، فالأمة كلها مسئولة عن ذلك، ممثلةً في السنهدريم الموقَّر الذي وقف أمامه ليدافع عن الاتهام الموجَّه إليه، وهو بالأساس موجَّه للأمة ولهم على وجه الخصوص، وهذه التهمة قد أقامها جميع الأنبياء وركَّزوا عليها وأفاضوا واستفاضوا وليس مجال لمزيد. فالأسفار المقدَّسة مليئة بالسخط على الأمة من أيام موسى نفسه الذي قال في آخر يوم في حياته وبالحرف الواحد:

+ «أفسد له الذين ليسوا أولاده ... جيل أعوج ملتوٍ. ألربّ تكافئون بهذا يا شعباً غبياً غير حكيم؟ ... إنهم أمة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم ... لولا أن صخرهم باعهم والرب سلَّمهم.» (تث 32: 5و6و28و30)

أمَّا فيما يخص التجديف على الله على أساس أنه قال إن المسيح يقول بهدم الهيكل وكأنَّ

---

(162) Chrysost. *Homilies against The Jews* IV. 6. cited by Bruce, II, p. 160. n. 78.

597

الهيكل هو الله، فهو لم ينكر قوله ولكنه أرجع القصة للآباء البطاركة والأنبياء الذين أفادوا بهذا

الوضع وأفاضوا في شرحه بتوسع ووضوح، وصار هذا من أساسيات تعليم الأسفار والأنبياء بنوع خاص من جهة مجيء المسيح وانتهاء عصر الهيكل في الأيام الأخيرة .

والخطأ ليس عند استفانوس في ذلك، ولكن عند القضاة وكل السنهدريم الذين أخلوا ذهنهم تماماً كون هذه القضية هي محور التعليم في الأسفار وليست أمراً مستجداً يتحدث فيه.

ولسان حال استفانوس في دفاعه: "أنا واقف هنا لأحاكم لا لأني أُجدّف على ناموس موسى أو الله أو على الهيكل، ولكن أنا أرفع هذه التهمة وأردّها إلى أصلها الذي بدأها الشعب وتمادى فيها فأصبحت جزءاً لا يتجزأ من تاريخ الأمة. فهذه هي روح الشعب منذ أيام موسى في مقاومة الله ومعاندته «طول النهار (والزمن) بسطت يديَّ إلى شعب معاند ومقاوم» (رو 10 : 31). ثم معاندتهم لأنبيائه ومقاومتهم واضطهادهم وقتلهم، هذه الروح التي استلموها بالميراث من هؤلاء الآباء عينهم. فأين خطأي في هذا والخطأ خطأ الأمة وأنتم الآن ممثلوها".

قال استفانوس هذا بكل هدوء في الأول وبكل عمق وتأصل وتسلسل بفكر صاحٍ وضمير مرتاح هادئ حتى خطف عقولهم من عمقه البليغ وصدقه الهادف.

وقد بدأ بالبطاركة الأوائل ليرفع القضية إلى بدء التاريخ، ولكنه لم يتركهم أبرياء بل حمَّلهم نفس هذه الروح المتمردة الكارهة لله والمستهينة بكل نعمة إذ حسدوا يوسف أخاهم الموهوب من الله وأرادوا قتله، وفعلاً باعوه وأخبروا أباهم بأنه قُتل!! ثم باعوه غريباً في أرض غريبة. هذه بداية الروح المتمردة على الله وعلى تدبيره وأعماله ورحمته على بني البشر. فبينما الله يخطط لخلاصهم خططوا هم ضدَّه.

ثم دخل استفانوس في تاريخ موسى فانكشف روح التذمر والتمرد على الله بل وإهانة الله حسب تعبير الله نفسه "لقد أهانوني" لا مرة ولا اثنتين بل على مدى الأربعين سنة في سيناء. وبينما قد جعل الله موسى وسيطاً بينه وبين الشعب وكان أحلم بني الإنسان، إلاَّ أنهم رفضوه ورتبوا لرجمه هو وهارون، مع أنه كان قد أعطاهم الناموس والأقوال الحية.

ثم انتقل أخيراً ونهائياً من الهيكل من صورته الأولى، وهي الخيمة، باعتباره أصلاً كان للتواجد مع الله "خيمة الاجتماع" أثناء مسيرة الشعب. فالهيكل في أصله رحَّالة راحل مع الله في رحيله إلى الأبد. فأوضح أن ما قاله الأنبياء: كونه لا يصلح أن يكون مقاماً ومقراً لله

المسيح بهدمه فهذا لا يضير الله بل يرفع العبادة من ضيق الحرف والجسد والمادة الميتة إلى رحب الروح والحق والسماء.

وكان استفانوس في كل نقلة من نقلات التاريخ يكشف هذه الروح المعاندة والمقاومة لله وللروح، وكان يزداد حرارة وانفعالاً وهو يسرد التاريخ من البدء نازلاً نزولاً سريعاً في هذا المنحدر الأخلاقي التجديفي، من الفَعَلَة الأصليين إلى مَنْ جاءوا بعدهم حتى بلغ إلى الجالسين حوله، يجترُّون نفس الروح العصيَّة ونفس الداء في مقاومة روح الله، حتى انفجر فيهم باعتبارهم وحدهم المسئولين الآن عن تطبيق هذه الروح نفسها في قتل المسيح. فاستمد من روح الله روح قضاء، وروح نقمة ليصبها كنبي على رؤوسهم قبل أن يُسلم الروح لله.

ثم عجبي على أعاظم علماء الغرب المحدثين الذين استهانوا بهذا الدفاع وقالوا عنه دون رويَّة أنه خارج عن موضوع التهمة. مع أنه وللحق، هو ـ كما قال "بنجل Bengel" أحد العلماء القدامى ـ إنه "وثيقة روحية ثمينة documentum spiritus preciosum"[163].

---

(163) Meyer. *op. cit.* p. 140.

الانتقال من الدفاع إلى الهجوم
[51:7]
استفانوس يكشف أن السنهدريم الذي حكم على المسيح بالصلب يحمل نفس روح التمرُّد التي كانت في الشعب منذ خروجه من مصر

51:7 **«يا قُساةَ الرِّقابِ وغيرَ المختونينَ بالقلوبِ والآذانِ أنتُم دائماً تُقاوِمونَ الروحَ القُدسَ، كما كان آباؤُكُمْ كذلِكَ أنتُمْ».**

لقد أيَّده الله بروح نبي، والروح القدس يتكلَّم في فمه بلغة العهد القديم لأنه يخاطب قوماً يعيشون في القديم بل في الظلام، تمسكوا بالظلمة فعميت عيونهم ولعنوا الشمس، فارتدت اللعنة عليهم ظلاماً لن تشرق عليه شمس.

«يا قُساة الرقاب»: sklhrotr£chloi

+ «وقال الرب لموسى رأيت هذا الشعب وإذا هو شعبٌ **صُلبُ الرقبة** فالآن اتركني **ليحمَى غضبي عليهم** وأُفنيهم.» (خر 32: 9و10)
+ «فإني لا أصعد في وسطك لأنك شعبٌ **صُلبُ الرقبة** لئلاَّ أُفنيك في الطريق.» (خر 3:33)
+ «وكان الرب قد قال لموسى: قُل لبني إسرائيل أنتم شعبٌ **صُلبُ الرقبة**، إن صعدت لحظة واحدة في وسطكم أُفْنيتُكم.» (خر 5:33)
+ «فأسرع موسى وخرَّ إلى الأرض وسجد. وقال إن وجدتُ نعمة في عينيك أيها السيد فَلْيَسِرْ السيد في وسطنا فإنه شعب **صُلبُ الرقبة** واغفر إثمنا وخطيتنا واتخذنا ملكاً. »(خر 34: 8و9)
+ «فاعلم أنه ليس لأجل برِّك يُعطيك الرب إلهُك هذه الأرض الجيدة لتمتلكها لأنك شعبٌ **صُلبُ الرقبة.**» (تث 6:9)

والمفهوم من وصف صُلبُ الرقبة أنه شعب غير مطيع لأن الطاعة يُكنى عنها بإحناء الرأس أو

إحناء الرقبة تحت النعم والأمين. والعكس صحيح فالصُلب الرقبة لا يحني رأسه للحق أو رقبته للطاعة وحمل نير الله، وكأنها قُدَّت من حديد أو عصيان ونمت على الكبرياء والتمرُّد وتقلَّصت من غياب النعمة ومن المقاومة والعناد. وعلاجها عند الرب معروف. ويُلاحِظ القارئ أن الكلمة اليونانية التي تعبِّر عن ذلك تتكون من جزئين: "سكِلروزُس" وهو مرض التصلُّب (مثل الذي يصيب الشرايين فتصبح مهددة بفقدان الحياة)، والثانية "تراخيلوس" ومعناه رقبة.

«وغير المختونين بالقلوب والآذان ¢per…tmhtoi kard…aij ka^ to‹j çs…n**»:**

+ «وإني أيضاً سلكت معهم بالخلاف وأتيت بهم إلى أرض أعدائهم إلاَّ أن تخضعَ حينئذٍ **قلوبهم الغُلفْ (غير المختونة)** ويستوفوا حينئذٍ عن ذنوبهم.» (لا 41:26)
+ «**فاختتنوا غرلة قلوبكم ولا تصلِّبوا رقابكم** بعد.» (تث 16:10)
+ «اختتنوا للرب وانزعوا **غُرلَ قلوبكم** يا رجال يهوذا وسكان أورشليم لئلاَّ يخرج كنار غيظي فيُحرقُ وليس مَنْ يُطفئُ بسبب شر أعمالكم.» (إر 4:4)
+ «لأن كل الأمم غُلف، **وكل بيت إسرائيل غُلفُ القلوب.**» (إر 26:9)

المعنى واضح من الآية الأخيرة التي لإرميا النبي هنا، فإن كانت الأمم غُلفاً بالجسد، فإسرائيل غُلف القلوب. والمعنى أن إسرائيل فقد الطاعة ونقض العهد مع الله من داخل قلبه، لأن غُلف الأمم معناه أنهم لم يدخلوا في عهد مع الله، أمَّا إسرائيل فعن إبراهيم أبيهم أخذوا الختان علامة إيمان لعهد مع الله فغُلفة القلوب أسوأ ما يمكن أن يُنعتَ به إسرائيلي، **لأن الإسرائيلي هو إسرائيلي بالختانة فقط**، فإن كان قد فقد قيمتها بالقلب لا يكون إسرائيليًّا بعد، بل هو كالأممي بالنسبة لله، بل ألعن، لأن الأممي لا يزال باب محبة الله مفتوحاً أمامه لكي يُدخله عهده، ولكن إسرائيل بعد أن دخلت العهد وخانته فقد حلَّ عليها غضب الله.

فإذا وضعنا صلابة الرقبة مع غلافة القلب كصفة لإسرائيل، فالمعنى أنهم لمَّا فقدوا الطاعة لوصايا الله تنجَّست قلوبهم وراء آلهة غريبة وسجدوا لها. هنا المعنى أن إسرائيل أخذ موقفاً عدائيًّا للناموس (وصايا الله) بعدم الطاعة، وموقفاً عدائيًّا تجاه الله نفسه. وعبدوا آلهة غريبة ففقدوا العهد.

«**والآذان**» + «مَنْ أُكلّمهم وأُنذرهم فيسمعوا؟ ها إن أُذُنهم غلفاءُ فلا يقدِرونَ أن يصغوا،
ها إن كلمة

الرب صارت لهم عاراً، لا يُسرُّونَ بها.» (إر 6:10)

وحتى الأذن!! وهي آخر أمل للإنسان لكي يسمع بها إنذارات الرب فيرجع ويتوب. هكذا يراها الله بفم إرميا النبي، فإذا تنجَّست الأذن بسماع أغاني ومدائح الآلهة الغريبة وسرَّت بأناشيدها وأوصافها وزاغت وراء معارف شيطانية، فيكون الإنسان قد قفل على نفسه باب الرجاء. فإن تقسَّت الرقبة بعدم الطاعة فربما ختانة القلب تردُّها بالأمانة للعهد والتمسُّك به، وإن تقسَّت بعدم الطاعة، وتنجَّس القلب بفقدان الأمانة للعهد بقيت الأذن تسمع إنذارات الله وكلامه فيضيق الإنسان ويعود. ولكن إن صارت الأذن إلى غلفتها بالصمم تجاه كلام الله وصار لها ثقيلاً وكأنه "عار" ولا سرور فيه، فهذا هو شعب إسرائيل الذي صلب إلهه!! واستفانوس يخاطب السنهدريم هذا الذي صلب إلهه!! فهل تجنَّى استفانوس أو خرج عن حدود حكم الله العادل؟ لقد أسمعهم صوت الله الآب نفسه!!

يقول العلماء إنه بهذا فقد قضيته، ولكن هل كل الذي قاله يخص قضيته، إنها قضية الله والمسيح، وهم الذين أوقفوه موقف المدعي العام عليهم وعلى الأمة كلها لما قدَّموه للمحاكمة باتهام هم متلبِّسون فيه أبًّا عن جد. وهو كان يحامي عن نفسه، نعم ومائة بالمائة، لأنه كان يحامي عن قول الله وقضائه. والدليل القاطع على ذلك أنهم قتلوه تماماً كما قتلوا ابن الله. فقضية استفانوس متخلِّفة عن قضية المسيح ومبنية عليها، فإذا كان الحكم واحداً كان دفاع استفانوس على مستوى المسيح والله حقاً!!!

إن دفاع استفانوس هو بالحق دفاع الكنيسة الجديدة ودستورها الذي انتهجته بعد استفانوس.

«أنتم دائماً تقاومون الروح القدس»:

+ «في كل ضيقهم تضايق وملاكُ حضرتِهِ خلَّصَهُم، بمحبته ورأفته هو فكَّهم ورفعَهُم وحَمَلَهُم كل الأيام القديمة **ولكنهم تمرَّدوا وأحزنوا روح قدسه، فتحوَّل لهم عدواً وهو حاربهم.**» (إش 63: 9و10)

الأمر الجديد فعلاً على السنهدريم الذي سمعه من استفانوس من جهة تاريخ آبائهم الذين يحملونه رضوا بذلك أم لم يرضوا، هو أن عدم طاعة آبائهم لله ومقاومتهم لوصاياه وإنحرافهم بالعبادة نحو آلهة أخرى وعدم سماعهم لإنذاراته المتوالية لم يكن واضحاً لهم أنه مقاومة صريحة لله!! ولكنهم كانوا كأنهم يجرِّبون الله ظانين أنه لا يُحسب عليهم:

+ « إن جميع الرجال الذين رأوا مجدي وآياتي التي عملتها في مصر وفي البرية **وجرَّبوني الآن عشر مراتٍ**، ولم يسمعوا لقولي، لن يروا الأرض التي حلفتُ لآبائهم، **وجميع الذين أهانوني لا يرونها.**» (عد 14: 22و23)

هنا استطاع إشعياء النبي بروحه النبوية التي ما أسهل عليها أن تخترق الأزمنة والقلوب لتكشف ما خبأه الزمن وما انطوت عليه القلوب، استطاع أن يرى ويُدرك أنهم كانوا قد أحزنوا روح الله القدوس بالفعل، وكانوا يقاومون الروح القدس كما قالها استفانوس صراحة. ومعروف أن الخطية ضد الروح القدس لا تُغفر لأنه الوحيد الذي يقدمنا للغفران كمحامي البشرية، لذلك تقول آية إشعياء النبي: «وهو حاربهم» علماً بأن الشعب نشروا إشعياء النبي بمنشار الخشب نصفين!! أيام مَنسَّى الملك.

أمَّا قوله «دائماً» فالمقاومة هنا شملت كل الذين كان فيهم روح الله، أي الأنبياء والقديسين الذين كانوا يتكلّمون بروح الله. فعداوة رؤساء الشعب وقادته وحكامه وكهنته للأنبياء عموماً بلا استثناء كانت لا تطاق، أمَّا العداوة للأنبياء فهي عداوة لروح الله الذي يتكلّم به النبي ـ والذي لم يكونوا يطيقون سماعه ـ وهو ينتقد خيانتهم لله وللوصايا وللأمانة في العبادة والسلوك ومعاملة الشعب والاستهتار بقيم الله والناموس.

كان يتحتم لاستفانوس أن يسترسل في اقتفاء هذه الروح عينها التي انتهت بهم إلى قتل المسيح، فإن كانوا قد قتلوا الذين أنبأوا بمجيئه لأنهم لم يكونوا يطيقون أن يكون الآتي في خصومة علنية معهم وضد سلوكهم، فلمَّا أتى قالوا: «هلمُّوا نقتله فيكون لنا الميراث.» (مر 12:7)

لذلك عاد وأوضح هذا بعد ذلك بقوله: «أي الأنبياء لم يضطهده آباؤكم "وأنتم أكملتم الكيل" وقتلتم البار» !! قتلوه بعد أن قاوموا الروح الذي كان يتكلّم به ويقنع ويعمل الآيات والقوات والمعجزات ويقيم الأموات ولكن بلغت المقاومة أقصاها بصلبه ووقفوا شامتين!!

52:7 **«أيَّ الأنبياءِ لم يضطهدهُ آباؤكُمْ وقد قتلُوا الذينَ سَبَقُوا فأنبأُوا بمجيءِ البارِّ الذي أنتم الآنَ صِرتُمْ مُسلِّميهِ وقاتليهِ».**

لا يوجد تعليق على هذه الحقيقة لنوضِّحها ونثبِّتها ونؤكّدها أكثر من قول المسيح نفسه لهم مواجهة:

+ «ويلٌ لكم أيها الكتبةُ والفريسيُّونَ المراؤُونَ لأنكم تبنونَ قبور الأنبياءِ وتزينون مدافن الصديقين، وتقولون لو كنَّا في أيامِ آبائِنا لمَا شاركناهم في دمِ الأنبياءِ. فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناءُ قتَلةِ الأنبياءِ. فاملأوا أنتم مكيال آبائكم. أيها الحيَّات أولاد الأفاعي، كيف تهربون من دينونة جهنم. لذلك ها أنا أُرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة، فمنهم تقتلون وتصلِبُون ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينةٍ إلى مدينةٍ.» (مت 23: 29-34)

هنا نتعجَّب حقاً، فالروح واحد والكلمات النارية الصريحة الجريئة بالمواجهة واحدة. والعجب أن المخاطبين أيضاً هم بأنفسهم: فالذين سمعوا اتهام المسيح بآذانهم سمعوه بآذانهم من استفانوس فجاء قول استفانوس على قول المسيح مثيلاً على مثيل، وبرز استفانوس واحداً من الحكماء الذين أرسلهم المسيح لهم ليقتلوه.

لم يخشَ استفانوس كونهم سيقتلونه لا محالة، ولكن هذا حسبه تكريماً فائقاً أن يُعامَل من هؤلاء كما عاملوا المسيح. فهذه وثيقة مجد تؤهله للقيامة، ولكنه كان يخشى أن يَرجِمُوه قبل أن يشهد للمسيح ويصب عقوق الأجيال السالفة كلها على رؤوسهم، وبنفس روح المسيح: « املأوا أنتم مكيال آبائكم» !

الاتهام الأخير الذي مات به وهو على شفتيه!!
[53:7]

53:7 **«الذينَ أخذتُم الناموسَ بترتيبِ ملائكةٍ ولم تحفظُوهُ».**

لم يرد في العهد القديم وخاصة في سفر الخروج أن الناموس أُعطي أو ترتَّب بواسطة ملائكة، لكن هذا التقليد ظهر في أواخر العهد القديم وأوائل الجديد، وذلك لتجنُّب وضع الله كمتكلِّم ومُوصٍ، وقد أُخذ هذا التقليد من إشارة واضحة تفيد ذلك وردت على لسان الله لموسى: «ها أنا مُرسل ملاكاً أمام وجهكَ ليحفظكَ في الطريق وليجيئَ بكَ إلى المكان الذي أعددتُهُ. احترز منه

واسمع لصوته ولا تتمرَّد عليه لأنه لا يصفح عن ذنوبكم لأن اسمي فيه. ولكن إن سَمِعتَ لصوته وفعَلتَ كل ما أتكلّم به، أُعادي أعداءك وأُضايق مضايقيكَ. فإن ملاكي يسير أمامكَ ...» (خر 23: 20-23)

واضح هنا أن هذا «**الملاك**» له اسم الله وسلطان الله: «لا يصفح عن ذنوبكم» و «اسمي فيه» ثم أن "الله هو المتكلّم فيه". من هذا نفهم أنه هو الذي سبق وتكلّم بكلام الله على جبل حوريب، وهو الذي أعطى الناموس، وهو الذي تكلّم في نار العليقة. كذلك نقرأ تلميحاً عن ذلك في سفر التثنية ولكن عن السبعينية يُترجم هكذا:

+ «وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته، فقال: جاء الرب من سيناء وأشرق لنا من سعير وتلألأ سريعاً من جبل فاران مع عشرة ربوات قديسين عن يمينه **وكانت ملائكته معه ...** واستلم الشعب من كلماته الناموس الذي سلمنا ميراثاً لجماعة يعقوب.» (تث 33: 1-4)

ويبدو أن هذا التقليد جاء تحاشياً كي لا يظهر الله في هيئة ملموسة أو بصوت مسموع، ولم يعلن ذلك الله في البداية حتى لا يقلل هذا من هيبة الله، ولكن قليلاً قليلاً كان من اللائق أن يتعلّم الإنسان أكثر فأكثر أموراً أدق عن اللاهوت. لذلك نجد أن هذا أصبح تقليد العهد الجديد: فبولس الرسول يقول ذلك:

+ «فلماذا الناموس؟ قد زيد بسببِ التعديات إلى أن يأتي النسل الذي قد وُعِدَ له **مرتَّباً بملائكةٍ** في يَدِ وسيطٍ.» (غل 3:19)

ووضع الناموس هنا في نظر بولس الرسول أنه إضافة على العهد الذي أبرمه الله مع إبراهيم، كذلك:

+ «لأنه إن كانت ال**كلمة التي تكلّم بها ملائكة** قد صارت ثابتة وكل تعدٍّ ومعصية نال مجازاة عادلة.» (عب 2:2)

كذلك لكي ندرك أيضاً أن هذا التقليد استلمته الكنيسة من الربيين في العهد القديم نجده مذكوراً في كتابات يوسيفوس المؤرخ اليهودي(164) المعاصر للرسل وفيلو الفيلسوف اليهودي(165)

---

(164) Jos. *Antiq*. XV. 5.3.

(165) Philo. *De Somniis* 1. 141. ff.

المعاصر لبولس الرسول، وكتاب عهد البطاركة الاثني عشر[166] وهو أبوكريفا عهد قديم، وكتاب اليوبيل[167] وهو أيضاً أبوكريفا عهد قديم.

أمَّا موقع هذه الآية بعد أن ذكر كيف أنهم أسلموا البار وقتلوه، فلكي يوضِّح السر في عمى قلوبهم كيف لم يتعرَّفوا على المسيح وهو المسيَّا الموعود الذي أُعطي أن يكمِّل كل شيء وبالأخص الناموس نفسه كما أوصى موسى بفم الله أن نبيًّا مثلي يقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم واسمي فيه وله تسمعون. فلو كانوا قد حفظوا الناموس باستقامة قلب وطاعة لصوت الله وطهارة سيرة، فكان حتماً سيُستعلن لهم المسيح. وبهذا يكون استفانوس قد وضع السبب في عثرتهم في المسيح، بمعنى أنه رفع عنهم أيضاً أي عذر في قتلهم للمسيح.

وبهذا يكون أيضاً قد أكمل هذه الوثيقة الروحية التاريخية التي صارت إلهاماً للكنيسة ولكل المدافعين عن المسيحية ضد تهجُّم اليهود.

رجم استفانوس

أول شماس بوضع اليد وأول مدافع عن المسيحية وأول شهيد في الكنيسة

[60-54:7]

كان استفانوس وهو يلقي خطابه أمام السنهدريم في حالة روحية فائقة ووجهه كان كوجه ملاك. وخطابه كان على أعلى وعي بتاريخ الآباء والظروف الحقيقية التي عاشها الشعب أثناء وبعد الخروج وحياة العصيان التي عاشها مع الله فرُفِضَ منه أول جيل بأكمله. وكان حديثه عن ظروف استلام الناموس والعبادة وخيمة الاجتماع ثم تحولها إلى هيكل سليمان. هذا كله كان في عُرف الفريسيين والناموسيين والكهنة بكل طبقاتهم كشفاً فاضحاً وتعرية للروح التي تقوم عليها العبادة اليهودية بأكملها. فكلامه ـ منذ البداية ـ عن بيع يوسف وتعرية أخلاق وسلوك آباء

(166) *Test. Pan.* VI, 2.

(167) *Jubilees.* 1. 29.

الأسباط حُسب كلامهُ هنا هجوماً على اليهودية كلها. ولكن ما أن جاء إلى الهيكل حاسباً إياه وريث خيمة تُطوى، وأنه لا يليق بسكنى يهوه الإله العظيم، حتى مسَّت المهاجمة كل الشعب المنتمي للهيكل والمتمسِّك به كأعظم فخر للأمة كلها. وهنا تحولت الأسماع والأبصار عنه فعميت عيونهم عن وجهه الملائكي أو بالحري شخصه الملائكي، والآذان سدُّوها عمداً بأصابعهم حتى لا تدخل كلمة واحدة أخرى في مسامعهم. والمعنى: انتهى الوقت لسماع القضية وعدم قبول الدفاع، فوجب الرجم. ولم تجد المحكمة وقتاً للنطق بالحكم، فالكل اندفعوا للتنفيذ، ويبدو أن الشعب أيضاً وضع على أهبة الاستعداد، فانقضُّوا عليه وخطفوه. واليهود أمهر شعوب العالم في اختطاف المطلوب القضاء عليهم حتى لو كانوا في آخر الدنيا.

54:7 **«فلمَّا سَمِعُوا هذا حَنِقُوا بقلوبهم وصرُّوا بأسنانِهم عليهِ».**

«هذا»: يُقصد به الجزء الأخير من الدفاع الذي يشمل عدم لياقة الهيكل لسكنى العلي، واتهامهم بقتل الأنبياء والمسيح.

«حنقوا بقلوبهم»:

بمعنى بدأت النقمة عليه خفيّة من الداخل ولكن لم يستطيعوا كتمها، فتحوَّلت فيهم إلى الضغط على أسنانهم، تعبيراً عن أنهم لو طالوه لقضموه بأسنانهم وهم ناظرون إليه وقد طار صوابهم.

55:7 **«وأمَّا هو فشَخَصَ إلى السماءِ وهو ممتلئٌ مِنَ الرُّوح القُدسِ فرأى مَجْدَ الله ويسوعَ قائِماً عن يمينِ اللهِ».**

يقول العالِم باريت إن الإنسان المسيحي الشهيد أُعطي أن يرى المسيح آتياً إليه عند انتقاله(168). ولهذا يسمَّى شهيداً، أي صار شاهداً لله عياناً، بجوار الشهادة له.

56:7 **«فقالَ ها أنا أنظرُ السَّمواتِ مفتوحةً وابنَ الإنسانِ قائِماً عن يمينِ اللهِ».**

استفانوس لمَّا سلَّم وديعة الإيمان الصادق للذين أرسلهم الله في هذا الاجتماع الخطير الهام، واطمئن أنه قد انتهى عمله على الأرض تماماً، رفع عينيه نحو السماء بشخوص

(168) R.K. Barett, *Stephen & the Son of Man.*

ثابت، حيث رأوا وجهه قد تثبَّت وعينيه تثبتتا في التحديق في اتجاه واحد وحالته فائقة عن الطبيعة في الهدوء والسلام،

والوجه الملائكي يشع نوراً سماوياً، فعرفوا أن مجد الله قد انعكس على وجهه. والأتقياء من الناظرين رأوا معه يسوع قائماً عن يمين الله. فحسبها استفانوس فرصة آخر العمر أن يشهد بقيامة المسيح من الأموات وصعوده إلى السموات وجلوسه عن يمين العظمة في السموات. فكانت الشهادة بأعلى صوته، لا كمن يؤمن وحسب، ولكن كمَنْ يرى ويشهد بما يرى، فكانت هذه الشهادة ختام هذا الدفاع المسيحي الإيماني المنقطع النظير الذي ساهم به هذا "الشماس" في خزانة إيمان الكنيسة ولاهوتها ليبقى ذخيرة إيمان واعٍ راءٍ لكل من أعوزه الإيمان والوعي والرؤيا.

وبهذا يكون القديس الشهيد استفانوس أول مَنْ نطق بقانون الإيمان برؤيا عن واقع منظور مبرهناً بتاريخ يبدأ من إبراهيم عابراً بكافة مراحل الإيمان والعبادة والانتقال الهادئ الجميل من عهد الناموس والختان لعهد الصليب والملء من الروح القدس!! إلى مجيء المسيح من السموات.

«ابن الإنسان قائماً عن يمين الله»:

كان ذكر استفانوس للمسيح بأنه «ابن الإنسان» هو آخر مرة في العهد الجديد يُذكر هذا اللقب، والمرة الوحيدة التي ذُكر فيها هذا اللقب خارج الأناجيل[169]. وتُنطق بالعبرية كما نطقها المسيح هكذا nashaêbar ونطقها دانيال بالأرامي nashé. bar'êk الذي رآه هكذا: « كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سُحب السماء مثل "ابن إنسان" أتى وجاء إلى القديم الأيام فقرّبوه قدامه. فأُعطِيَ سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض» (دا 7: 13و14) (سنة 553 - 539 ق.م أيام حكم بلشاصر).

وهذا الذي رآه دانيال القديس الطاهر المفتوح العينين بالنبوَّة، رآه أيضاً هذا القديس الطاهر المفتوح العينين أيضاً على الواقع الحي المنظور. وبين الاثنين أكثر من خمسمائة عام.

ومن هذا تصبح شهادة ومشاهدة استفانوس ونطقه العلني بأن المسيح هو ابن الإنسان القائم عن يمين الله، تحقيقاً ما بعده تحقيق **للعهد الماسياني**، الذي من أخص خصائصه أن المسيح جلس على عرشه في السماء ليحكم ويسود في مُلكه أو ملكوته الأبدي، كقول

(169) Bruce, I. p. 179.

دانيال، لا على إسرائيل وحسب، بل على كل الشعوب والأمم والألسنة!!

استفانوس بهذا افتتح العهد الماسياني، لا كما كان ينتظره المتحمسون والغيورون لوطنهم إسرائيل، بل بنظرة مسكونية كبرى كواقع نبوة دانيال. مسيًّا كل الشعوب، مسيًّا العالم بأسره.

ذلك في الوقت الذي كان فيه الرسل بنوع خاص وجميع اليهود الذين آمنوا بالمسيح واعتمدوا لا يزالون تحت فكر وعقيدة وممارسة الماسيانية من داخل الهيكل باعتبار أن المسيح لا يزال منحصراً في أُمة اليهود.

فذهاب الرسل للصلاة في الهيكل وفي كل مواسمه طلباً لوجه الله، كان معناه أنهم كانوا ما يزالون يعتقدون أن الله لا يزال منحصراً في الهيكل ويُطلب من هناك، وأن المسيح يُطلب من داخل الهيكل. هذا المبدأ وهذه العقيدة كانت كفيلة بأن تطمس معالم العصر الماسياني الذي بزغ وأنار على المسكونة آنئذ، ولو لم يعلم الرسل، والذي لمَّا علموه أخذوه باحتراس شديد «ولمَّا صعد بطرس إلى أورشليم، خاصمه الذين من أهل الختان (المسيحيون) قائلين إنك دخلت إلى رجال ذوي غلفة وأكلت معهم. فابتدأ بطرس يشرح ... فلمَّا سمعوا ذلك سكتوا (مستغربين) وكانوا يمجدون الله قائلين إذاً أعطى الله الأمم أيضاً التوبة للحياة» (أع 11: 2و3و18). فرق شاسع بل هوة سحيقة تفصل بين أن يُطلب المسيح في هيكل سليمان من داخل طقوس اليهود، وأن يُطلب ويُدخل إليه بلا عائق في عرشه في السماء مع الله بالروح في القلب.

وعلى القارئ أن يتفحَّص ويتعمَّق الكلام، فإن قول نبوَّة دانيال أنه بمجرد أن قدموا ابن الإنسان أمام عتيق الأيام أُعطي في الحال سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبَّد له كل الشعوب، يعني أن هذه هي القيامة وهذا هو الصعود، وهذا هو الجلوس عن يمين الله.

هنا لا يوجد أي فاصل زمني لعبادة وسيطة على الإطلاق بين الهيكل والعرش السمائي. فالرب شدَّد على التلاميذ أن لا يبرحوا من أورشليم ـ للخدمة والبشارة ـ إلى أن ينالوا قوة متى حلَّ الروح القدس عليهم ليبدأوا الخدمة، لا في الهيكل ولا من الهيكل، بل من أورشليم واليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض. هنا شهادة استفانوس تفيد أن ابن الإنسان نال كل سلطان، الأمر الذي صرَّح به المسيح نفسه بعد ظهوره بعد القيامة «دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ...» (مت 28: 18و19). استفانوس أعلن حالة تسلُّم المسيح سلطانه وملكوته الأبدي.

«قائماً عن يمين الله»:

كثيرون راودتهم أفكار، كيف رآه استفانوس قائماً وبينما الرب نفسه يقول إنه يكون جالساً. فمنهم مَنْ قال إنه كان في الأول قائماً ثم بعد ذلك جلس، وهذا فكر بشري متحرِّك

مع الزمن،

والسماويات تخلو من الحركة الزمانية والتغيير. وآخرون فكروا أنه ربما قام لتحية أول شاهد شهيد له، وهذا أيضاً يخلو من رزانة اللاهوت. والحقيقة أن يكون جالساً لا يعني أبداً الجلوس على الكرسي بل المساواة في الكرامة، فـ «جلس عن يمين» تعني أنه ذو كرامة مساوية، لأن الجلوس لدى العظماء معناه الكرامة والتكريم، والوقوف أو الجلوس عن اليمين معناه التساوي في الكرامة. فالجلوس هو حالة قائمة بالروح وليست حالة قائمة بالجسد وبذلك يكون الوقوف كالجلوس(170).

وحينما انفتح بصر استفانوس الروحي على المسيح في مجده ابتُلع استفانوس بالرؤيا واختُطف عقله من واقع الرؤيا التي أعطته وجوداً حقيقياً في الحضرة الإلهية. وهكذا انتهى من فكره ومن نظره أمر حقد الحاقدين وعداوة القضاة ونية الرجم التي بيَّتوها قبل أن يبحثوا عن شهود زور. وبهذا دخل القديس الشهيد استفانوس في الحالة الخاصة بالمستشهدين وهي مشاهدة واقعية لله تنزع عن الشهيد كل إحساس بالعالم والجسد والأحقاد البشرية. ودخل استفانوس في حالة ملائكية وهي التي كانت قد بدأت تحل عليه منذ بدء المحاكمة.

ويمدنا القديس هجسيبوس Hegesippos (القرن الثاني) وهو مؤرِّخ كنسي قديس، في كتابه المسمَّى "ذكريات Øpomn»mata" وهو ضد الغنوسيين (شيعة العارفين)، أخباراً عن القديس يعقوب البار لمَّا حاكموه وقتلوه، أنه قال ما قاله ق. استفانوس، ولكن ليس عن رؤيا، وذلك وقت استشهاده هو الآخر. وقد حَفِظَ لنا كتابه يوسابيوس القيصري في كتابه عن التاريخ الكنسي(171).

وهنا ينبغي جداً أن نستعيد ذكرى واقعة مبدعة حدثت مع نفس رئيس الكهنة المخادع قيافا ومع المسيح نفسه بخصوص «ابن الإنسان» وتسير القصة كالآتي:

«فسأله رئيس الكهنة (قيافا) أيضاً وقال له: **أأنت المسيح ابن المبارك؟ فقال يسوع أنا هو!!**» ثم شرحها المسيح شرحاً نبوياً جديراً بالاهتمام بقوله: «وسوف تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً في سحاب السماء» (مر 14: 61و62). وهنا يكون المسيح قد شرح نبوَّة دانيال مُعلناً وكاشفاً لأول مرة أنه هو هو "**ابن الإنسان**" في نبوة

(170) C.H. Dodd, *Accord. to the Script.* p. 35.
(171) *Eccles. Hist.* ii. 23.

دانيال، ثم زادها وضوحاً أنه شرحها بمقولة رئيس الكهنة أنه هو «**ابن المبارك**». إذاً **"فـ"ابن الإنسان" هو "ابن المبارك"**. وهو أيضاً كما قال دانيال «أعطوه سلطاناً ومجداً وملكوتاً» بقوله: «**جالساً عن يمين "القوة"**» أي له نفس

قوة وسيادة وسلطان الله!! والمسيح نفسه سبق في حديثه وحواره مع الفريسيين أن صرَّح بطريق غير مباشر أنه هو الرب. فالمعروف **في النبوات أن المسيح هو ابن داود وكانوا في ذات الوقت يخاطبونه بهذا اللقب.** فسألهم: كيف إذاً يقول داود عن المسيح وهو ابنه « قال الرب لربي» إن كان ابنه فكيف يكون ربَّه إلاَّ أن يكون ابن داود هو الرب المساوي للرب يهوه؟ والجميل حقاً أنه بمجرد أن قال المسيح ذلك لرئيس الكهنة المنافق **مزَّق ملابسه الرسمية** علامة على حدوث تجديف علني في وجوده كشهادة تكفي للقتل!! ولأنه كان رئيس كهنة في هذا الوقت فإن هذا التصرُّف (تمزيق ملابسه الكهنوتية) تُحسب له نبوَّة، لأن المسيح بجلوسه عن يمين القوة، يكون قد صار رئيس الكهنة الأعظم الخادم للأقداس السماوية، فينبغي أن تمزّق أثواب رؤساء الكهنة جميعاً وتنتهي خدمتهم على الأرض.

ثم إن رئيس الكهنة الذي مزَّق ملابسه شهادة على تجديف المسيح لمَّا قال عن نفسه إنه ابن الإنسان، أصبح مجبراً أن يحكم على استفانوس بنفس الحكم، لأنه أعلن شاهداً نفس إعلان المسيح، وإلاَّ يكون قد أوقع نفسه في مناقضة قانونية لا يفلت منها. لذلك أيضاً ستكون له دينونة مضاعفة.

7:57و58 «**فصاحُوا بصوتٍ عظيمٍ وسدُّوا آذانَهُم وهجمُوا عليهِ بنفسٍ واحدةٍ، وأخرجوهُ خارجَ المدينةِ ورجمُوهُ. والشهُودُ خَلَعُوا ثيابَهُم عندَ رجلَي شابٍّ يُقَالُ لهُ شاوُل**».

واضح أنه لم يَصْدر حكم.

وواضح أن قانون الحكم بالرجم بسبب التجديف يَسري حينما ينطق المجدِّف "بالاسم" أي باسم المسيح. فلا هذا ولا ذاك حدث.

إذاً، فالنظام القضائي في السنهدريم قد يواجه أحوال هياج مثل هذه يساير فيها رأي الجماهير. لأن الشعب في حكم الرجم لابد أن يكون حاضراً وله كلمة، وهو الذي يقوم مع القضاة بالرجم. ولكن يبدو هنا أن هياج السنهدريم أولاً على استفانوس بسبب عنف اتهاماته لهم، ثم أخيراً بسبب إعلانه عن المسيح أنه صار بالفعل عن يمين الله بالتحقيق، أحرجهم أشد إحراج وجعلهم يكفُّون عن أن يكونوا محكَّمين بل صاروا منفذين للحكم دون إدانة رسمية، ولكي يُحْكِموا هذه التمثيلية سدوا آذانهم لكي لا يسمعوا بقية شهادته، وبهذا أعطوا

إشارة للجمهور ليسرع بالتنفيذ.

أين بيلاطس؟ «لا يجوز لنا أن نقتل أحداً» (أمر الحكومة الرومانية) (يو 8:31)

معروف أن رئيس الكهنة حنَّان انتهز فرصة خلوِّ مركز الحاكم بسبب الفترة بين ذهاب حاكم ومجيء آخر وذلك سنة (61- 62)، وقبض على يعقوب البار أخي الرب وقتله. فلمَّا جاء الحاكم خلع رئيس الكهنة بسبب تعدِّيه على أوامر الحكومة الرومانية(172).

يُقال إن بيلاطس كان في غيبة عن البلاد وقت محاكمة استفانوس انتهزها السنهدريم ربما سنة 36 أو 37م، ولكن يُقال إن استفانوس استشهد مبكراً عن هذا التاريخ. ويُقال إنه كان على اتفاق مع قيافا مكَّن السنهدريم أن ينفِّذ أحكامه في غيابه وهو في قيصرية.

ويقول العلماء بقضاء اليهود إن هذه القضية يستحيل أن يحكم فيها الفريسيون بالإدانة على الإطلاق بالرجم، ولكن أقصى حكم يمكن أن يسمحوا به هو الجلد 39 جلدة لأن التهمة بمثابة جنحة وليست جريمة، وتعتبر عندهم "إهانة" للسنهدريم وليس تجديفاً على الله(173).

«وأخرجوه خارج المدينة»:

+ «فكلَّم الرب موسى قائلاً: **أخرج الذي سبَّ (الاسم) إلى خارج المحلَّة** فيضع جميع السامعين أيديهم على رأسه ويرجمه كل الجماعة.» (لا 24: 13و14)
+ «مَنْ جدَّف على اسم الرب فإنه يُقتل. يرجمه كل الجماعة رجماً. الغريب كالوطني. عندما يجدِّف على الاسم يُقتل.» (لا 24:16)

«ورجموه»:

+ «على فم شاهدين أو ثلاثة شهود يُقتل. لا يُقتل على فم شاهد واحد، أيدي الشهود تكون عليه أولاً لقتله ثم **أيدي جميع الشعب** أخيراً، فتنزع الشر من وسطك.» (تث 17: 6و7)

ولكي يثبتوا أنهم مسئولون عن أول رجم بالحجر يخلعون ثيابهم ويضعونها تحت أرجل شهود. وكان بترتيب الله الفائق الحكمة والتدبير أن ساق روح الله شاول المدعو بولس أحد المتحمسين الغيورين على الهيكل والناموس و"الاسم" أن يسمع الدفاع ويشهد مع الشهود!! وشاول كان له مع استفانوس جولات وجولات وتحديات أحرجت هذا العاتي وأخرجته عن صوابه. فقد كان أحد أعضاء مجمع الكيليكيين الذي دخله استفانوس عشرات المرات ليحاجج اليهود هناك. فشاول المدعو بولس كان أقدر مَنْ يعرف ما كان يدافع به استفانوس،

---

(172) Rackham, *op. cit.* p. 108.

(173) Klausner, cited by Bruce, II p. 169.

لأنه كان دائم الحوار معه. وربما

كان أقصى ما يتمناه شاول أن يختفي استفانوس ويزيحه من الوجود بأي ثمن لأنه أفحم الكثيرين، بل ونصَّر الكثيرين، بل وتحدَّى أقوى الفريسيين، فكان قرار شاول هو الذي حرَّك هذه المحاكمة ـ حسب قول كونبير[174]. ولكنه قتله ليحمل عوضه نقل رسالته عشرات الأضعاف!! ولقسوة شاول في هذه العملية التي حطّمت جسد هذا الشاهد الأمين ومزّقت الكنيسة، تأوه المسيح في السماء مخاطباً شاول بعد ذلك: «لماذا تضطهدني» وقرر المسيح أن يذيقه الآلام التي حمَّلها لاستفانوس «سأريه كم ينبغي أن يتألم من أجل اسمي» (أع 6:9). فأذاقه من الموت أشكالاً وألواناً ومن الاضطهاد طول حياته!!

وظلَّ شاول حزيناً على ما اقترفت يداه فيما صنعه باستفانوس. وصورة وجهه الملائكي وهو يدافع، وهو يموت لم تفارق ذهنه، وكل كلمات دفاعه تحولت إلى مناهج لاهوت. اسمعه وهو يتأسف لله:

+ «وحين سفك دم استفانوس شهيدك، كنت أنا واقفاً **وراضياً** بقتله وحافظاً ثياب الذين قتلوه.» (أع 20:22)

وكلمة "راضياً" تعني شريكاً في الحكم عليه ومسروراً لكل ما حدث.

7:59و60 **«فكانوا يرجمُونَ استفانوس وهو يَدْعو ويقولُ أَيُّها الربَّ يسوع اقبل روحي. ثم جَثا على ركبتيهِ وصَرَخَ بصوتٍ عظيمٍ يا ربَّ لا تُقِمْ لهُم هذه الخطية. وإذ قال هذا رقد».**

«أيها الرب يسوع اقبل روحي»:

هنا يقدم لنا القديس استفانوس دون أن يقصد شهادة مبكرة على لاهوت المسيح، أو على أن المسيح والله واحد. لذلك يتضح لنا إذا وضعنا هذا النداء لإنسان يواجه الموت رافعاً قلبه وحياته لله ـ حين يكون إيمانه أصدق إيمان ـ يقول من أعماق أعماقه في المقارنة مع ما قاله المسيح في نفس الموضع حيث كان المسيح يخاطب الله الآب:

+ «ونادى يسوع بصوت عظيم وقال: **يا أبتاه في يديك أستودع روحي.**» (لو 46:23)

وبهذا يقدم استفانوس البرهان العملي الهادئ والذي لا يحتاج إلى شرح أن المسيح هو والله واحد.

---

(174) F.C. Conybeare, cited by Bruce, II. p. 172. N.

أمَّا لماذا الرب، ولماذا استفانوس، كل منهما كان يتكلَّم «**بصوت عظيم**» وهو يلفظ الروح،

فهذا إعلان من الله أن الناطق هنا هو نُطق بالروح حين كان الجسد لا يقوى على النطق!!

ولا يفوت على القارئ أن هذا القول «في يديك أستودع روحي» هو دعاء مأخوذ من مزامير داود: «أخرجني من الشبكة التي خبأوها لي لأنك أنت حصني. في يدك أستودع روحي.» (مز 5:31)

«ثم جثا على ركبتيه وصرخ بصوت عظيم يا رب لا تُقِمْ لهم هذه الخطية»:

لقد ألهمه الروح أن يستقبل الموت وهو في حالة ركوع وصلاة وكانت صلاته، لغفران خطية أعدائه، مكمِّلاً الوصية في آخر لحظة من حياته وهو يكاد لا يتحرك: «اغفروا يُغفر لكم» (لو 37:6). قدَّمها للمسيح حتى لا يحسبها عليهم خطية ويحسبها له محبة للأعداء، تمثُّلاً بالمسيح في حبه لكل الناس. لأن الذي يشهد للمسيح إن لم يشهد لمحبته للأعداء فهو لم يشهد بعد.

وبهذه الصلاة الأخيرة يكون استفانوس قد أكمل شهادته للمسيح متشبِّهاً به، وهكذا شهد استفانوس للمسيح في حياته وفي موته.

«ولما قال هذا رقد»:

هذا هو الاسم الحقيقي الجديد للموت عند المسيح: «لعازر حبيبنا قد نام، لكني أذهب لأوقظه» (يو 11:11). نعم لقد استيقظ استفانوس من ليل العالم المزعج إلى نور نهار الله ومُسحت كل دموعه ودخل إلى فرح سيده وعلى رأسه ابتهاج أبدي.

المرحلة الثانية من مراحل نمو الكنيسة

الأصحاح الثامن

بدء الاتجاه نحو الأمم

(8: 1 ـ 3) الاضطهاد الشديد على الكنيسة وتشتُّتها خارج أورشليم.

دراسات متأنية فيما آلت إليه أمور الكنيسة بعد موت استفانوس.

- **(8: 4ـ40) المسار الأول لانتشار الكنيسة.**

أعمال القديس فيلبُّس :1ـ في السامرة.

أورشليم تنفتح على السامرة

2ـ في الطريق المنحدرة من أورشليم إلى غزة.

3ـ في أشدود وجميع المدن حتى قيصرية.

الاضطهاد الشديد على الكنيسة وتشتُّتها خارج أورشليم
[8:1- 3]

لقد ظلت الكنيسة المسيحية الأولى وهي في حضن الهيكل محبوبة من اليهود ومقبولة حتى لدى المتعصبين منهم، لأن إيمانها كان مخفياً تحت مكيال العبادة داخل الهيكل والتماشي مع كل طقوس وعادات اليهود ووصايا الناموس كما قيل عنهم:

+ «وكان الجميع بنفس واحدة في رواق سليمان ... لكن كان الشعب يُعظِّمُهُم ...» (أع 5: 12و13)

ولكن بعد أن مزَّق استفانوس الحجاب الذي كان يستر حقيقة الكنيسة عن أعين الرؤساء والسنهدريم، بتصريحه أن المسيح قال وأصرَّ على القول وهم يصرُّون على ما قال، إن الهيكل ستُهدم عظمته وإن المسيح سيغيِّر العوايد والناموس، بعد ذلك انتهى دور الكنيسة في أورشليم، وفقدت مركزها في الهيكل وبدأ الاضطهاد رسمياً بعد قتل استفانوس من قِبَل رؤساء الكهنة بأعوان مقتدرين وتنظيم سرِّي يهاجم البيوت بأمر السنهدريم، ويجرُّ الرجال والنساء إلى المحاكمة والسجن والرجم قتلاً دون أي مبالاة بالحاكم الروماني.

وهكذا دخلت الكنيسة في نور الصليب وبدا جسدها يقطر دماً، وأُلقيت خارج أسوار أورشليم كسيدها، فبدأت تلتجئ إلى مدن اليهودية ثم ساحل البحر: يافا وصور وصيدا. وبعد ذلك إلى قبرص ثم أنطاكية.

ولكن المهم في هذا الاضطهاد الذي بدأ في يوم رجم استفانوس، أنه بدأ على يد شاول حارس ملابس الذين رجموا استفانوس وكان راضياً بقتله. وهكذا تمت أمنيته الوحيدة التي دبَّر لها كثيراً أن يزيح من أمامه شخصية استفانوس التي بدت خطرة جداً على منهجه الفريسي وفهمه المُقفل للديانة اليهودية التي أخذها مأخذ السباق والتفوُّق على زملائه من المعلمين. وكان مخلصاً للناموس والعوايد ونظام الهيكل، ومطيعاً للمعلمين الذين تربى تحت أيديهم بدرجة حارة وشديدة للغاية.

لذلك حينما هزّ استفانوس هذا البناء الشامخ هزًّا عنيفاً من الأساس، مبرهناً بما لم يقوَ على نقضه أن هذا كله زمني وآيل للسقوط والزوال، طار صواب شاول، واعتبر أن موت استفانوس هنا، هو بالنسبة له بمثابة حياته. وقد كان، وبالفعل، إذ بموت استفانوس كُتبت الحياة الحقيقية والأبدية لهذا الفريسي العنيف، «ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح »(أف 5:2). وهكذا بموت استفانوس بدأت سيرة شاول.

1:8 «وكانَ شاولُ راضياً بقتلهِ. وحدثَ في ذلكَ اليومِ اضطهادٌ عظيمٌ على الكنيسةِ التي في أُورشليمَ فتَشتَّت الجميعُ في كُوَرِ اليهوديَّةِ والسَّامرةِ ما عدا الرَّسُلَ».

ق. لوقا حريص هنا جداً أن ينبّه ذهن القارئ في مبدأ هذه الآية وفي الآية كلها أن يربط بين قتل استفانوس ودخول شاول في قصة الكنيسة في البداية كأقوى مضطهد للكنيسة، والسبب المباشر لخروجها مكانياً من أورشليم ـ أمَّا في النهاية وبعد ذلك فكان سبباً لخروجها روحياً ولاهوتياً من ربقة الهيكل ومن الناموس وكل عوايد اليهود. فصار أقوى مؤسس وبانٍ لفكرها اللاهوتي القويم، ودفع هو بدوره ثمن ذلك مضافاً إلى ثمن دم استفانوس، نفس الاضطهاد مضروباً في ألف ونفس الموت ولكن تحت السيف.

ويُلاحَظ من القول «ما عدا الرسل» أن هذا يشير إلى أن سيرة الرسل كانت قد استقرت في ثقة وهدوء مع الهيكل والسنهدريم بنوع خاص، وأن الاضطهاد تركّز بشدة على الذين تنصَّروا من المجامع المحلية وهم اليهود اليونانيون المتنصِّرون.

2:8 «وحَمَلَ رجَالٌ أتقياءُ استفانوسَ وعَمِلُوا عليه مَنَاحَةً عظيمةً».

مناحة استفانوس: kopetÒn من kÒptw

الـ«مناحة»: الكلمة اليونانية مشتقة من "كوبتو"، وتعني "الضرب على الصدر" في اليونانية أصلاً. فهل يا تُرى أصل الكلمة يعني على طريقة مصر "إجِبتو"؟ وهي عادة المصريين في النواح على الميت بالدق على الصدر. لأن أول ما سمعنا أن اليهود تعلّموها من المصريين في دفن يعقوب أبي يوسف بفلسطين: «فصعد يوسف ليدفن أباه وصعد معه جميع عبيد فرعون ... وناحوا هناك نوحاً (ضرب الصدور) عظيماً وشديداً جداً، وصنع لأبيه مناحة (الضرب على الصدور) سبعة أيام. فلمّا رأى أهل البلاد الكنعانيون المناحة في بيدر أطاد قالوا هذه مناحة (ضرب على الصدور) ثقيلة **للمصريين.**» (تك 50: 7و10و11)

القانون اليهودي بحسب الناموس يحتّم دفن الذين يموتون تحت حكم القضاء بسبب خروجهم على الناموس[175]، ولكن جاء في المشناه[176]، وهي تعاليم خاصة بالناموس، أن لا تُعمل لهم مناحة. ولكن لم يكن كل الشعب راضياً عن موت هذا الشهيد، فالشعب له حساسية شديدة لمعرفة ما هو حق وما هو ظلم في أحكام السنهدريم. **بل والفريسيون العلماء رأوا في رجم استفانوس خروجاً عن القانون، ولذلك كانت مناحة غير عادية اشترك فيها كثير من اليهود** شعوراً منهم بالظلم الواقع عليه وبالأكثر بسبب كلامه وسيرته الملائكية ونور وجهه الذي لم يفارقه. وعملوا المناحة العظيمة نهاراً وجهاراً. ويُلاحِظ القارئ أن الذين قاموا بها هم جماعة من "الأتقياء eÙlabe‹j" وطبعاً هذه الكلمة خاصة باليهود المسيحيين ذوي السيرة الصالحة[177].

3:8 **«وأمَّا شاولُ فكانَ يَسْطُو على الكنيسةِ وهو يَدخُلُ البيوتَ ويَجُرَّ رجالاً ونِساءً ويُسلِّمهم إلى السِّجن».**

«يسطو على الكنيسةِ»: ™luma…neto

كلمة «يسطو» تأتي في أصلها اليوناني لتصف الوحوش التي تسطو على جسم الإنسان لتمزقه، وقد استعارها ق. لوقا بالحرف من مزمور 13:80، (وجاءت الكلمة في العربية بمعنى "الفساد"). ولكن هي تعني "التمزيق والهرس": «كرمة من مِصر نقلت، طردت أمماً وغرستها ... فلماذا هدمت جدرانها فيقطفها كل عابري الطريق، **يفسدها** ™lumÇnato aÙt»n الخنزير (البري) من الوعر (الغابة) ويرعاها وحش البرية» (مز 80: 8و12و13). وتأتي هنا بمعنى "خرَّبها"[178] و"دمَّرها".

وهي قريبة من الكلمة التي استخدمها هو نفسه أي شاول في اعترافه: «كنتُ **أضطهد** كنيسة الله بإفراط **وأتلفها**.» (غل 13:1)

وسفر الأعمال يصف شاول كمنظر وحش ينفخ فاتحاً فمه ومكشِّراً عن أنيابه هكذا: «وأمَّا شاول فكان لم يزل ينفث تهدُّداً وقتلاً» (أع 1:9). وهذا كله يكشف عن كيف استولى

---

(175) تث 21: 22و23.

(176) Mishna: Senh. vi, 6.

(177) Bruce, II, p. 174.

(178) ويبدو أنها هي نفس الكلمة التي أطلقها اليهود على الفلسطينيين "**بالمخربين**".

عليه الشيطان بصورة مخيفة.

وقد استُخدمت هذه الكلمة في لغة يهود أهل الإسكندرية بمعنى تجاوز الإسكندرانيين وتعدِّيهم على اليهود(179).

«الكنيسة ... والبيوت»:

«يسطو على الكنيسة» هي نفسها «يدخل البيوت» لأن الكنيسة كانت عبارة عن بيوت المؤمنين يجتمعون فيها للعبادة: صلاة وترنيم وتناول، وعماد أيضاً.

وكان يستحيل على شاول أن يدخل البيوت إلاَّ بتصريح رسمي من السنهدريم، وطبعاً كان يجرُّهم مقيَّدين ليسلّمهم للسنهدريم، ثم إلى السجن فالتحقيق فالتعذيب.

اعتراف مجرم قديس!!!

+ «فأنا ارتأيت في نفسي أنه ينبغي أن أصنع أموراً كثيرة مضادة لاسم يسوع الناصري. وفعلتُ ذلك أيضاً في أُورشليم فحَبَستُ في سجونٍ كثيرين من القديسين آخذاً السلطان من قِبَلِ رؤساء الكهنة. ولمَّا كانوا يُقتَلُونَ (بالجملة) ألقيتُ قُرعَةً بذلك. وفي كل المجامع كنت أعاقبهم مراراً كثيرة وأضطرُّهم إلى التجديف. وإذ أفْرَطَ حَنَقِي عليهم كنت أطردهم إلى المدن التي في الخارج.» (أع 26: 9-11)

ولم يكن شاول مجرد مضطهد للكنيسة ولكن باعترافه هو «حتى الموت» !

+ «واضطهدت هذا الطريق حتى الموت مقيِّداً ومسلّماً إلى السجون رجالاً ونساءً، كما يشهد لي أيضاً رئيس الكهنة وجميع المشيخة.» (أع 22: 4و5)

ومن هذا الاعتراف تظهر الخلفية التي كانت تشجعه وتزيده حماساً على حماسه « رؤساء الكهنة وجميع المشيخة» إذاً فكان اضطهاداً مدروساً وبصورة رسمية وممَوَّلاً.

كذلك يعترف شاول مخاطباً الله نفسه: «فقلت يا رب هم يعلمون أني كنت **أحبس وأضرب في كل مجمع** الذين يؤمنون بك.» (أع 22:19)

وهذا الاعتراف عجيب وخطير للغاية، لأنه يقول هذا الكلام أمام الشعب اليهودي وأمام رجال

Bruce, II, p. 174. (179)

السنهدريم وشيوخه أنفسهم، فهو هنا يواجه الذين كانوا يحرضونه ويموّلونه!!

وهو لمَّا يعود بالذاكرة إلى ما اقترفه، يستصغر نفسه بشدة إذ يرى نفسه بنفسه كيف كان لا يُطاق: «أنا الذي كنت قبلاً **مجدِّفاً ومضطهداً** ومفترياً.» (1تي 1:13)

ويلزم أن نضيف على مصنفات شاول في مأساة اضطهاده للكنيسة، أن السنهدريم كان يصادر ممتلكات المسيحيين وكان اليهود ينهبون ثرواتهم، فقد عاملوهم كما كانوا يعاملون الأمم الغريبة التي احتلوا أراضيها. نسمع ذلك بوضوح في الرسالة إلى العبرانيين:

+ «ولكن تذكروا الأيام السالفة التي فيها بعدما أُنرتم (المعمودية) صبرتم على مجاهدة آلام كثيرة، من جهة مشهورين بتعييرات وضيقات، ومن جهة صائرين شركاء الذين تُصُرِّف فيهم هكذا (الأمميين الذين تنصَّروا وذاقوا المرار من المتعصبين اليهود) ... وقبِلتُم سَلْب أموالكم بفرح عالمين في أنفسكم أن لكم مالاً أفضل في السموات وباقياً.» (عب 10: 32-34)

وهكذا صار شاول عبئاً لا يُطاق على الكنيسة، خاصة في معاملته للنساء بلا رحمة. وحق لبولس أن يقول بعد ذلك في قلب كسير وحزين مرير: «قد اضطهدتُ كنيسة الله.» (غل 1:13)

دراسة متأنية فيما آلت إليه أمور الكنيسة بعد موت استفانوس وبدء اضطهاد شاول للكنيسة

كان استشهاد استفانوس حادثة حاسمة في تاريخ الكنيسة بدأت تحدد معالم جديدة لانتشارها خارج منطقة الاضطهاد.

والآن سيبدأ القديس لوقا كاتب سفر الأعمال في تحديد نتائج هذا الاضطهاد في أربعة مسارات أساسية، تلتحم كلها في الأصحاح الثالث عشر لتبدأ منه عملها الأعظم.

وواضح أن هذا الانتشار السريع والمتسع نشأ بعد سفك دم أول شهيد، فصدق القول أن دماء الشهداء هي البذار الروحية غير المنظورة التي تنشأ منها الكنائس. على أساس أن دم الشهيد يجدد فعالية الدم الأساسي الذي سُفك على الأرض ليحوّل الأرض إلى سماء: دم ربنا يسوع المسيح الذي هو بروح أزلي خلق للإنسان طبيعة جديدة سماوية. ويحوي هذا المعنى بصورة سرية الآية التي سنبدأ بها هذا الفصل: «فالذين تشتتوا جالوا مبشرين بالكلمة.» (أع 8:4)

هنا كلمة «تشتتوا» في أصل معناها اليوناني « diasparšntej »المأخوذ من أصل الكلمة diaspor£ « = الشتات» وهي أصلاً من معنى **نثر البذور للزراعة حيث "**spÒroj**" تعني "بذرة".**

فهنا تشتُّت التلاميذ بمعنى انتثروا بصفتهم بذاراً روحية، و «تشتتوا مبشرين بالكلمة »أي مقدّمين الإنجيل. فالزراعة هنا زراعة روحية، ودم التلاميذ بذور فيها قوة الحياة، والإنبات هو الإنجيل. فأينما حل التلاميذ طرح الإنجيل على القلوب، فسقطت الكلمة في التربة الجيدة ونبتت الكنيسة.

والآن سنتتبع مسارات انتشار الكنيسة أي الإنجيل والكلمة والحياة:

النقلة الأولى:

المسار الأول: ويشمل أعمال فيلبس في الأصحاح الثامن من الآية 4 حتى الآية 40.

المسار الثاني: ويشمل أعمال شاول الأصحاح التاسع من الآية 1 حتى الآية 30.

المسار الثالث: ويشمل أعمال بطرس لفتح باب الأمم رسمياً الأصحاح 32:9 حتى أصحاح 18:11.

المسار الرابع: ويشمل أعمال الإخوة اليونانيين الكارزين وتأسيس كنيسة أنطاكية الأصحاح 11: 19-26.

النقلة الثانية:

انتهاء أعمال ق. بطرس، والانتقال العام من أورشليم إلى أنطاكية، ويشمل الأصحاح الحادي عشر من الآية 27 حتى الأصحاح الثاني عشر.

النقلة الأُولى لانتشار الكنيسة من أُورشليم إلى الأُمم

المسار الأول لانتشار الكنيسة

[8: 4-40]

أعمال القديس فيلبس

1 ـ في السامرة

8: 4و5 «فالذينَ تَشتَّتُوا جَالُوا مبشِّرينَ بالكلمةِ.
فانحدرَ فيلُبُّسُ إلى مدينةٍ مِنَ السَّامرةِ وكان يَكْرِزُ لهُمْ بالمسيحِ».

«تشتتوا جالوا»: diasparšntej diÁlqon

كما سبق وشرحناها هنا «التشتُّت» كلمة يونانية تصوِّر نثر البذور في كل الأنحاء. وهذا الاصطلاح الجميل يصوِّره القاموس الفرنسي (لاروس) بصورة مبدعة، يصوِّر المعرفة أو الحكمة بامرأة ماسكة بيدها حاملاً ثمرياً به الثمار، كل ثمرة محمولة على ريشة شعرية لاصقة بها، وهي ثمر القرطم أو ما شاكل ذلك، وهي تنفخ فيها وتقول: "أنا أبذر في كل ريح Je sème à tout vent". والحكمة هنا هو المسيح، والثمار هي الكلمة المحمولة على التلاميذ، والنفخة هي الروح القدس، وأينما سقطت الكلمة أخرجت شجرة حياة التي هي الكنيسة والتي هي جسد المسيح الكثير الثمار.

والجَوَلان أول مَنْ احترفه هي عين الآب «لأن عيني الرب تجولان في كل الأرض ليتشدد مع الذين قلوبهم كاملة نحوه» (2أي 16: 9). أمَّا الرب يسوع فهو عين الله الذي «جال يصنع خيراً» (أع 10: 38)، وهوذا قد أرسل تلاميذه كعيون الله التي تجول تغرس الإنجيل في القلوب ذات التربة الجيدة.

«فانحدر فيلبُّس»: F…lippoj

هذا هو الثاني بعد القديس استفانوس من السبعة المختارين ept£ الذين كانوا مملوئين من

الروح القدس ثم أخذوا الروح كمسحة للخدمة من يد الرسل. فكما رأينا ق. استفانوس وقد قام بمهمة "رسول" ونال كرامة رسول كأول شهيد، هكذا نجد فيلبس يبادر بحماس الروح لينطلق للخدمة الإنجيلية خارج أورشليم كأول رسول بل مُرسل حاملاً إنجيل البشارة لأهل السامرة الذين سبقوا واعترفوا بإيمانهم للمسيح: «نحن قد سمعنا ونعلم أن هذا هو بالحقيقة المسيح مخلّص العالم» (يو 4 : 42). وقد أحبهم المسيح وأحبوه ومكث عندهم يومين، واستأهلوا بعد ذلك أن تنشأ لديهم أول كنيسة خارج أورشليم (اليهودية) كقول الرب: « اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض.» (أع 1 : 8)

أمَّا السامريون ومَنْ هُم، فنرجو الرجوع إلى كتاب شرح إنجيل القديس يوحنا صفحة 263-267.

أمَّا كلمة «**انحدر**» فهي اصطلاح يُفيد كل مَنْ نزل من أورشليم (على الجبل) ليكرز أو يبشّر.

«مدينة من السامرة»:

ربما هي نفسها مدينة السامرة وكانت تُدعى أيام الرسل "سبسطية Sebaste"، والذي بناها من جديد هو هيرودس الكبير على شرف الامبراطور الروماني أغسطس قيصر - (حيث أغسطس باللاتينية يقابلها سبستوس Sebastòj باليونانية) - وكان هذا هو اسمها أيام الرسل، لكننا نشك أن تكون هي سبسطية لأن القديس الشهيد يوستين[180] مولود سنة 100م في مدينة بجوارها اسمها نيابوليس (نابلس حالياً)، ويقول عن سمعان الساحر أنه من مدينة جت Gitta، فربما تكون هذه هي المدينة المقصودة.

ومعروف مدى العداوة بين اليهود (وأصلاً مملكة يهوذا) وبين السامرة، علماً بأن إسرائيل وهي مملكة اليهود الشمالية كانت تشمل السامرة والجليل. والعداوة القديمة هي أصلاً بين مملكة يهوذا ومملكة إسرائيل. وبدأت منذ تقسيم أرض كنعان بين الأسباط: أسباط الجنوب وأسباط الشمال. ثم تجددت بعد سليمان الملك حينما استقلت اليهودية بعد ضعف الحكم الملكي والانشقاق بين الشمال والجنوب[181]. ومعروف أن العداوة اشتدت

(180) Just. *Apol.* I, 26.

(181) Bruce, II, N. 14.

جداً بين اليهودية والسامرة بعد أن أقام السامريون هيكلاً للعبادة كهيكل سليمان[182].

(182) الرجاء الرجوع إلى شرح إنجيل القديس يوحنا صفحة 263 ـ 267.

ولكن مواطني السامرة اختلطوا بالنازحين الأجانب الأشوريي الأصل لامتلاك الأرض عوض اليهود أيام السبي وبعده، ذلك بعد سقوط إسرائيل مملكة الشمال. انظر 2مل 17:24 وبعده، كذلك سفر عزرا 4: 2و9 وبعده. والمعروف في التاريخ أن الملك الأشوري سرجون الثاني (721-705 ق.م) رحّل من السامرة وحدها إلى السبي 27290 نسمة. وقد غزا الملك الحشموني (في عصر المكابيين) يوحنا هركانوس الأول (135 ـ 104 ق.م) السامرة وحطّم هيكلهم الذي كانوا يتفاخرون به على هيكل سليمان. وكانت السامرة تحت حكم اليهودية إلى أن غزا الرومان فلسطين وحرروا السامرة من يد اليهودية، ولكن بقيت العداوة قائمة.

لذلك حُسب للقديس فيلبس ذهابه إلى السامرة لتبشيرها عملاً شجاعاً جريئاً، فكان متسامحاً ومملوءاً حبًّا مسيحيًّا حقيقياً وغيرةً على اسم المسيح. علماً ـ كما سبق وقلنا وكما نقرأ في إنجيل ق. يوحنا ـ أن السامريين وحتى المرأة السامرية كان عندهم انتظار ولهفة لظهور المسيا، فهم شركاء الوعد بالإيمان حقاً: «قالت له المرأةُ أنا أعلم أن مسيًّا الذي يُقال له المسيح يأتي (فعل مضارع دائم توكيدي)، فمتى جاءَ ذاك يُخبرنا بكل شيء. قال لها يسوع: **أنا** الذي أُكلّمُكِ **هو.**» (يو 4: 25و26)

والملاحَظ أن بشارة فيلبُّس الذي دُعي بالإنجيلي أو المبشّر أخذت سمات خاصة شبيهة بأعمال الأنبياء قديماً في القوة والفعالية. فحين نقرأ كيف انتقل من غزة إلى أشدود محمولاً بروح الله على ملاك نشعر كأننا نقرأ فصلاً مثيراً من دانيال النبي أو إيليا أو أليشع أو إشعياء. ففيلبُّس نبي مسيحي بأكمل معنى، ليس ممتلئاً فقط من الروح القدس بل ومحمولاً عليه. وهو المذكور حتماً في قول بولس الرسول كأحد الأنبياء «مبنيين على أساس الرسل **والأنبياء** ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية» (أف 20:2). وكذلك عند قوله «فوضع الله أُناساً في الكنيسة أولاً رسلاً ثانياً **أنبياء** ثالثاً معلمين ...» (1كو 28:12). ولكن لعل أعظم وأوضح أعمال النبوة التي قام بها هو كسره للقيود الرسولية المضروبة حول أورشليم وأن لا خروج للإنجيل خارجها بالنسبة للأمم. فهو يُحسب تلميذاً لاستفانوس من جهة رفع الغطاء عن جوهر المسيحية وأباً لبولس في الذهاب للأمم، والمُلهم لبطرس لكي يخضع للرؤيا لكرازة الأمم. فيلبس إذاً يُحسب الحلقة الماسكة والرابطة مع استفانوس بين بطرس وبولس، بين كنيسة أورشليم وكنيسة الأمم، بين مسيح الختان ومسيح الغرلة.

ثم وهو نبي كان صاحب إلهام لتحقيق وعد الله الأعظم بإتيان ملكوته. فهو أول مَنْ نادى بملكوت الله في الكنيسة الأولى: «يبشِّر بالأمور المختصة بملكوت الله باسم يسوع المسيح»(أع

12:8). وهذا النداء بملكوت الله لن نسمعه مرة أخرى إلاَّ عند بولس الذي حتماً التقطه من فيلبس حينما تزاملا في المناداة بمجيء ملكوت الله بين الأمم (في الأصحاح 12)

8-6:8 «وكانَ الجمُوعُ يُصغُونَ بنَفْسٍ واحدةٍ إلى ما يَقُولهُ فيلُبّس عندَ استِماعِهِمْ ونَظَرِهِم الآياتِ التي صَنَعَها. لأن كثيرينَ مِنَ الذينَ بهِم أرواحٌ نَجِسَةٌ كانت تَخرجُ صارخةً بصوتٍ عظيمٍ، وكثيرونَ مِنَ المفلوجينَ والعُرج شُفُوا. فكانَ فَرَحٌ عظيمٌ في تلك المدينةِ».

هنا واضح جداً، أيها القارئ العزيز، أن وضع يد الرسل على هؤلاء السبعة القديسين كان ذا دفعة رسولية فائقة الوصف. فالاختيار للسبعة كان صحيحاً موفّقاً إذ كانوا فعلاً أتقياء وأنقياء فارتاح الروح القدس فيهم وأخذوه بقوة رسولية عجيبة قولاً وعملاً. فالحكمة التي ظهرت في كرازتهم بالمسيح كانت فعّالة في **السامعين** نبَّهتْ قلوبهم وأرواحهم للإيمان الفوري، والآيات والمعجزات كانت على طابع الرسل كيوم الخمسين أخذت بأنظارهم وإيمانهم فألهبتهم.

ولكن عندما كنَّا نتتبع هؤلاء السامرين في إنجيل ق. يوحنا لمحنا سرعة تصديق وإيمان هذا الشعب الذي كان بالفعل متلهِّفاً للمسيا، فلمَّا جاء أحسوا به وأسرعوا للإيمان به. فقصة السامرة لم توضع جزافاً في الكتاب المقدَّس بل قصدها الروح القدس لكي نستطيع أن ندرك مقدار تأثير انتظار الرب في القلب بشغف كيف أنه يسهِّل الإيمان به والجري وراءه والشهادة له. كذلك كيف أن الله يعطف على المكروهين والمنبوذين ظلماً من إخوتهم في البشرية. وكيف تتحقق الآية التي وُضعت بالنبوَّة لكي تكشف عن مجئ المسيح وفعله في القلوب، التي تقول «سأدعو الذي ليس شعبي شعبي والتي ليست محبوبة محبوبة، ويكون في الموضع (السامرة) الذي قيل لهم فيه لستم شعبي أنه هناك يُدعَوْن أبناء الله الحي.» (رو 9: 25و26)

وأولى المعجزات التي تمّتْ بكثرة في هذه المدينة هي إخراج الشياطين الذي يُدعى "اكسورسزم Exorcism" وهو اصطلاح يعني "التعزيم على الشيطان وإلزامه بالخروج باسم الرب ويتبع ذلك إيمان الجموع". وطبعاً واضح السبب في ذلك لأن هذه المدينة كان بها رجل ساحر. والسحر اشتغال رسمي مع الشياطين وبواسطتهم، فالسحر هو معجزات الشيطان، وكلُّه للضرر والإيذاء حتى ولو كان في ظاهره عمل منفعة. كذلك واضح لماذا

اشتد الروح القدس في عمل الآيات الكثيرة ومعجزات الشفاء المتعددة، فذلك لكي يلغي تأثير أعمال السحر الشيطانية. وقد نجح فيلبس في ذلك أيّما نجاح، فالشعب امتلأ بهجة وفرحاً بالأشفية والتخلُّص من الأرواح الشريرة، وأقبلوا على الإيمان بسرور وانفعال وثقة. وهكذا طارت الأخبار السارة المفرحة حتى وصلت

أورشليم والرسل، فتحركوا لكي يرعوا هذه الحركة الناشطة الرسولية لأنها كانت فعلاً على مستواهم حجماً وقوة.

ويليق بنا هنا أن نذكر للقارئ أن اختبار المؤمن لأي عمل يعمله الله له في حياته يُدخله في الحال في إحساس القرب من الله والمسيح. وهذا بحدّ ذاته يرفعه إلى مستوى روحي عالٍ جداً ويجعله في حالة نشوة ودالة مع الله وفرح دائم. ثم هذا الوضع بالتالي يصبح شهادة للمسيح قوية، فتغيير السيرة والظهور في حياة جديدة أكبر شهادة للإيمان المسيحي. وتغيير حياة المرأة السامرية أعظم برهان على ذلك، فقد جذبت وراءها مدينة.

8:9-11 «وكانَ قبلاً في المدينةِ رَجُلٌ اسمُهُ سِيمُون يَستعمِلُ السِّحرَ ويُدهِشُ شعبَ السَّامرةِ قائلاً إنَّهُ شيءٌ عظيمٌ، وكانَ الجميعُ يَتبعُونه مِنَ الصغيرِ إلى الكبيرِ قائلينَ هذا هو قوَّةُ اللهِ العظيمةُ. وكانوا يتبَعُونَهُ لكونِهم قد اندهشُوا زماناً طويلاً بسِحْرِهِ».

«سيمون»: S...mwn[183]

وهو المعروف في الأوساط التاريخية والعلمية باسم "سيمون ماجوس" وتُترجم "سمعان الساحر" وهو شخصية خطيرة للغاية متعددة المواهب الشيطانية، فهو يدَّعي الربوبية عن أعمال خارقة، ويدَّعي العلم الغيبي والفلسفة عن تركيب السماوات والخلائق والتوسط بين الله والخليقة، فهو المعروف أنه أبو جماعة الغنوسيين في البداية، الذي وضع لهم أسس فلسفة "العلم الكاذب الاسم tÁj yeudwnÚmou gnèsewj" كما أطلقه ق. بولس على الغنوسية (1تي 20:6).

والقديس إيرينيئوس في كتابه (ضد الهراطقة 23:1) هو الذي أعطى تاريخ هذا الرجل المذكور أعلاه، ويضيف أنه كان يجول بامرأة تُدعى هيلانة تدَّعي أنها من تجسدات سابقة من المدعو إله العقل المسمَّى "Ennoj" والكلمة تعني "فكر الإدراك الإلهي الذي خرجت منه كل القوى الملائكية والعالم المادي".

ويُعطي القديس هيبوليتس في كتابه (دحض كل الهرطقات 6: 2-5) تقريراً شاملاً لكل منهج سيمون المذكور القائم على أساس غنوسي، وأسمَى منهجه هذا "بالكشف الأعظم".

ويحكي القديس يوستينوس الشهيد في كتابه المدعو (الدفاع 26:1)، كيف استطاع هذا

(183) Bruce, I. p. 185., II, pp. 173,179.

الساحر أن يجتذب مكرَّسين لنظامه بواسطة قواه السحرية ليس في السامرة فقط بل أنطاكية أيضاً

وروما نفسها، التي عاش فيها في أيام الامبراطور كلوديوس، وقد أكرموه في روما بعمل تمثال حُفِرَ عليه [تذكار لسمعان الإله المقدّس]. ولكن يُقال أن القراءة مغلوطة. وقد لوّث المسيحية في روما بتعليمه الفاسد وأوغر صدر الحكّام ضد المسيحيين. ويُقال أنه دخل مع القديس بطرس هناك في صراع انتهى بدحره بعد أن أنهك قوى القديس بطرس. وظلت جماعة السيمونيين تعمل وتخرّب حتى منتصف القرن الثالث بتقرير من العلاّمة أوريجانوس المصري (ضد كلسس 57:1).

ولكن المكتوب هنا في هذه الآيات أنه أدهش بالفعل أهل السامرة بأعماله حتى أقنعهم أنه «شيء عظيم» وتعني إله المرتفعات «بعل زبول» وأنه «قوة الله العظيمة» ويعني بذلك أنه «الله القوي = جبُّوراه» وهو أصلاً لقب عبراني لـ «يهوه = الجبار = » ha-geburah

ومكتوب في كتاب اليوبيل[184] (يهودي) أن يوسف وهو في مصر كان الشعب يخرج وارءه يصيحون: El' El wa abir El وتعني "الله الله والقوّى الذي من الله". وكان هذا لقب أكبر السحرة[185]!! كذلك هو سمَّى نفسه هكذا "قوَّة الله العظيمة"، وبولس الرسول يرد على ذلك: «بالمسيح قوة الله.» (1كو 24:1)

«قوة الله العظيمة»: kaloumšnh meg£lh ¹، والترجمة الصحيحة **"المدعوة عظيمة"**.

يقول العالِم بروس إن كلمة "meg£lh" هنا من المحتمل أن لا تكون أصلاً من mšgaj ولكنها منقولة إلى الكلمة اليونانية بنطقها **الأرامي:** megalle وتعني الكاشف، وطبعاً منها "التجلّي". ولأنها كلمة ليست يونانية أصيلة وضع قبلها كلمة "المدعوة" إفادة أن الصفة هنا بلغة أخرى.

وقد أرجع العالِم ك.ك. توريّ الجملة إلى أصلها العبري فجاءت ترجمتها الدقيقة كالآتي: (هذا هو قوة الله الإله الذي يُدعى العظيم).

وقد تسبب هذا الساحر الخطير في حادثة انتهت بعزل بيلاطس البنطي من ولايته.

(184) كتاب اليوبيل، هو أبوكريفا يهودي يشرح من أول سفر التكوين حتى خروج 12، وهو موجود باللغة الحبشية. ووُجدت حديثاً مقتطفات منه في مخطوطات وادي القمران. ويُحتمل أن يكون تاريخ كتابته سنة 140 ق.م.

(انظر *Oxford Dict. of Christ. Church*).

(185) Bruce, I, 185.

فقد أعلن سيمون الساحر أنه سيذهب إلى جبل جرزيم ويستخرج من تحت أنقاض هيكل جرزيم الآنية التي كان يستخدمها موسى نفسه. فانطلقت الجماهير خلفه، مما اضطر بيلاطس لإرسال حملة من الجنود بدَّدت شملهم، ولكن بمذابح رهيبة، مما أدى إلى شكوى السامريين للحاكم

الروماني في سوريا، الذي رفع المظلمة لروما فاستُدعي بيلاطس ولم يَعُدْ[186].

نهاية حياة سيمون الساحر:

أثناء وجوده في روما قام بعملية استعراض بأن أمر بأن يدفنوه حيًّا على أنه سيقوم بعد ثلاثة أيام فلما دفنوه لم يقم[187]. وذلك عن هيبوليتس في كتابه المذكور أعلاه.

واضح من التاريخ الذي جمعناه من عدة مصادر أن سيرة هذا الساحر ليست بالأمر الهيِّن. ولكن في رواية سفر الأعمال اختُزلت على أنها عبرت على زمن تقبَّل فيه سيمون الإيمان المسيحي واعتمد، ولكنه فقد قوة المعمودية بمحاولة استخدام الموهبة لأعماله السحرية وحلَّ عليه اللعن من فم بطرس الرسول. وصارت خطية سيمون الساحر في محاولة اقتناء مواهب الله بدراهم هي التي سمِّيت في الكنيسة "بالسيمونية"، وهي خطية مميتة.

ولكن نودّ لو ننبِّه ذهن القارئ أن الغنوسية المعروفة الآن لدى العلماء لا يبدو أن لها علاقة بسيمون الساحر، وقد تقلَّبت هذه التسمية على غنوسية يهودية وغنوسية مسيحية وغنوسية يونانية، وتلوَّنت واختلطت بجماعة "ماني" المانيين (ببلاد فارس في القرن الثالث)، وجماعة الكاثاري Cathari الذين ظهروا في فرنسا وألمانيا وإيطاليا، والمانديين ـ في ما بين النهرين حتى اليوم ـ والدوسيتيين، وجماعة إيزيس المترسبة من اخناتون ... إلخ، وهكذا أصبح من العسير جمعها تحت فكر أو أصل ومحتوى واحد، ولكن تضمها صفة واحدة وهي التي خلع عليها بولس الرسول اسم "العلم الكاذب الاسم"، أي أنه ليس من العلم في شيء[188].

12:8 «ولكن لمَّا صدَّقوا فيلبُّس وهو يُبشِّرُ بالأمور المُختصَّةِ بملكوتِ الله وباسمِ يسُوعَ المسيح اعتمدُوا رجالاً ونِساءً».

لغة لم نسمعها من قبل منذ أن قال بها يوحنا المعمدان في بداية كرازته: «توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات» (مت 2:3). وهي نفس البداية التي بدأ بها الرب يسوع نفسه كرازته: «مِنْ ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات.

(186) Rackham, p. 115.

(187) Bruce, II, p. 178, N. 23.

(188) *Dict. of Christ. Church*. p. 574.

»(مت 4:17)

والمُلاحَظ في منهج فيلبُّس الكرازي أنه يُقرن ملكوت السموات باسم الرب يسوع. فهنا يجمع

في كرازته بين بداية المعمدان وبداية المسيح معاً. وهذا نسمعه محقَّقاً في المنهج النهائي لبولس الرسول في آخر آية في سفر الأعمال:

+ «كارزاً بملكوت الله ومعلّماً بأمر الرب يسوع المسيح بكل مجاهرة بلا مانع.» (أع 31:28)

لذلك يُلاحَظ في نبرة كرازة فيلبس روح العهد القديم مفتوحة على اسم المسيح على أساس الإيمان بالصليب، ثم حتماً المعمودية. أمَّا حلول الروح القدس فتمَّ على أيدي الرسل.

من هذا نستشف مستوى ومعنى وعمق **النبوَّة في العهد الجديد.** ثم من هذا المسلسل الكرازي نسمع صدى وصية المسيح بعد القيامة وتوصية التلاميذ: «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم» (مت 19:28)، وهو مضمون ما لخَّصه القديس بولس الرسول باسم «لأشهد ببشارة نعمة الله.» (أع 24:20)

يُلاحِظ القارئ أن الآية بدأت «ولكن لمَّا **صدَّقوا** فيلبُّس وهو يبشّر بالأمور المختصة بملكوت الله» هنا في الحقيقة تظهر المقارنة صارخة بين تصديق فلسفة سيمون الساحر وأعماله المبهرة للعقل وبين تصديق فيلبس الناطق والعامل بالروح القدس. وهكذا صار تصديق الحق هو الباب الذي انفتح لهم لقبول الإيمان؛ الذي يصدِّق الحق بفرح يقبل الروح القدس بفرح، والذي يقبل الروح القدس يقبل المسيح والإيمان.

انظر أيها القارئ العزيز وتمعَّن: البداية هي **تصديق الحق** والسعي وراءه، والحق يوصِّل **لروح الحق،** فإذا قبلنا الروح القدس فإنه في الحال يوصِّلنا إلى المسيح «لأنه يأخذ مما لي ويُخبركم» (يو 15:16). فإذا امتلأنا بالروح القدس **وآمنا بالمسيح وقبلناه نصير أولاد الله:** «أمَّا كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله» (يو 12:1). فإن صرنا أولاد الله والروح نفسه يصدِّق على ذلك في قلوبنا أننا أولاد الله فنحن حقاً **ورثة لله في المسيح:** «فإن كنا أولاداً فإننا ورثةٌ أيضاً ورثةُ الله ووارثونَ مع المسيح» (رو 17:8). فإن صرنا ورثة فنحن ورثة لمواهب المسيح الابن: حب الآب والنعمة ووداعة المسيح واتضاعه ومعرفة محبته الفائقة المعرفة التي تؤهلنا إلى **كل ملء الله بالوعي،** أي نعي بالمسيح وفيه ملء بركات ونِعَم الأبوة بحسب القوة ـ الروح القدس ـ الذي يعمل فينا.

وباختصار إذا أخذنا روح الابن والآب، صارت لنا حياة جديدة في الابن والآب، وصارت **هذه الحياة الجديدة الفائقة تشهد للمسيح والآب.** ويستحيل أن نشهد للآب بالفم،

والحياة فينا

تنكر حقيقة ما نقول.

13:8 **«وسِيمونُ أيضاً نفسُهُ آمنَ، ولمَّا اعتمدَ كانَ يُلازمُ فيلبّسَ، وإذ رأى آياتٍ وقوَّاتٍ عظيمةً تُجرَى اندهشَ».**

قلّما نجد هذا المشهد الأشد من العجب.

فسيمون كان نبيًّا كاذباً ضليعاً في السحر واللعب بالشيطان أو العكس هو الصحيح. ولكن كان في هذا الخاطيء العاتي عنصر التمييز لأنه كان فيلسوفاً، وأقوى ما عند الفيلسوف حاسة التمييز!

سيمون ميَّز بقوة وصدق بين الزيف والكذب الذي يعمله ويقوله ويعيش به وعليه وبين هذا الحق الواضح المقول والمعمول بروح الله أمامه. إنها شهادة عظيمة للحق ولروح الله!

ولكن للأسف لم يكن سيمون حرًّا تماماً ليؤمن كما يشاء ويعتقد كما يشاء، فليؤمن كما يشتهي، ولكن فوق إيمانه وفوق اقتناعه كانت القوة الغاشة المخادعة التي امتلكت ميزان الإرادة وتوجيهها. كان سيمون عبداً غير محرَّر، أو حراً من داخل مَنْ تعبَّد له سابقاً.

«كان يلازم فيلبَّس»:

من ناحية لم يكن كفؤاً أن يترك فيلبُّس بعد العماد، لأن مَنْ يريد أن يبتلعه يجول حوله، كان يشعر أنه ليس حرًّا فأراد أن يتحصَّن في فيلبُّس. ولكن كان الأوجب عليه أن يتحصَّن في الإيمان. لم يكن على مستوى مَنْ باع السحر تماماً أو على مستوى من اشترى اللؤلؤة وسجَّل. كان ينظر إلى مستقبله مع فيلبُّس بارتياب فلم يستطع فيلبُّس أن يحتضنه تماماً.

كان يرى الآيات والقوات العظيمة ويصدِّقها ويندهش، ولكنه يا ليته ما اندهش، كان أجدر به أن يمجِّد الله صانعها ويهلل باسم المسيح الذي أجراها. ولكن اندهاشه حوَّل الإيمان بصاحب المعجزة إلى مجرد إيمان بالمعجزة. نظر إلى المعجزة فأعجبته فاشتهاها وصمَّم على شرائها!

17-14:8 «ولمَّا سَمِعَ الرَّسُل الذينَ في أورشليمَ أنَّ السامرةَ قد قبلَت كلمة الله أرسلُوا إليهم بُطرُسَ ويوحنَّا. اللّذينِ لمَّا نَزَلا صلَّيَا لأجلهم لكي يقبلوا الروحَ القُدسَ. لأنَّه لم يكُن قد حلَّ بعدُ على أحدٍ منهُمْ، غير أنَّهم كانوا مُعتمدينَ باسم الربِّ يسوع. حينئذٍ وضعَا الأياديَ عليهم فقبلوا الروح القدس».

«بُطرُس ويوحنَّا»:

دائماً ترسلهما الكنيسة ليُمثِّلاها معاً: الصخرة التي يُبنى عليها والروح الذي يرعد مِنْ فوقها.

ويا للأسف فهذه آخر مرة يظهر فيها القديس يوحنا، ولكن يُذكر اسمه فقط هناك في الأصحاح 2:12 ليختفي نهائياً. وآخر علاقة نسمعها عن ق. يوحنا ذكرها بولس الرسول في رسالته إلى غلاطية 9:2: «فإذ علم بالنعمة المعطاة لي يعقوب وصفا ويوحنا المعتَبَرون أنهم أعمدة أعطوني وبرنابا يمين الشركة»

وهذا يوحنا نفسه بعينه يذهب برجليه إلى السامرة التي اقترح على الرب أن تنزل نار من السماء وتحرقهم أو تبتلعهم أحياءً، ذهب ليطلب لهم ناراً من السماء تشعل قلوبهم حبًّا للمسيح والكنيسة واليهود والأعداء أينما كانوا، نار الروح القدس التي يريد المسيح اضطرامها على كل الأرض:

+ «فلمَّا رأى ذلك تلميذاه يعقوب ويوحنا قالا يا رب أتريد أن نقول أن تنزل نار من السماء فتُفنيهم كما فعل إيليا أيضاً؟» (لو 54:9)

وها هما مندوبا الاثني عشر يذهبان بروح الجماعة وسلطانها ليدخلا السامرة التي سبق أن مُنِعوا من دخولها أو الكرازة فيها: «هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً: إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا» (مت 5:10). ولكن الرب فك الحصار عن السامرة يوم صعوده المبارك إذ رأى أن زمان توبتها قد حضر:

+ «لكنكم ستنالون قوة متى حلَّ الروح القدس عليكم وتكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض.» (أع 8:1)

«صلَّيا لأجلهم لكي يقبلوا الروح القدس»:

بالرغم من أن أهل السامرة اعتمدوا باسم المسيح إلاَّ أن الروح القدس لم يكن حلَّ على أحد منهم؛ هذه حالة فريدة لأن وضع اليد وحلول الروح القدس لم يكن شرطاً أن يكون على

أيدي الرسل، خاصة وأن فيلبس نفسه وضع يده على رأس الخصي وزير كنداكة ملكة الحبشة وصلّى

وحلَّ عليه الروح القدس بعد أن عمَّده. فالمسألة هنا لا تختص بصلاحية فيلبُّس ولا علو مرتبة الرسل في طقس المعمودية أو إعطاء الروح القدس، ولكن يبدو أن الحقيقة تاريخية، فالعداوة بين اليهود والسامرة والبُغضة الشديدة بين الهيكل في أورشليم والهيكل في جرزيم والعبادتين، كان من الأوفق حسب رأي الروح القدس أن تأتي الكنيسة ممثَّلةً في الرسولين ليهبا السامرة الروح القدس على أنه روح المصالحة، لكي ترتبط السامرة بالكنيسة بالروح الواحد، وحتى يشعر السامريون أنهم صاروا محبوبين وشعباً لله: «سأدعو الذي ليس شعبي شعبي والتي ليست محبوبة محبوبة. ويكون في الموضع الذي قِيلَ لهم فيه لستم شعبي أنه هناك يُدعون أبناء الله الحي» (رو 9: 25و26). كذلك وكأن الروح القدس يصمِّم أن الذي قال أن تنزل نار من السماء لتفني السامرة أن يحضر بنفسه ليستحضرها ليقدِّسها وينيرها ويقودها إلى الحياة الأبدية.

علماً بأن بولس الرسول كان رسولاً ولكنه لم يكن يعمِّد عادة وقد أنشأ كنائس برمَّتها، إذ كان يقيم قسوساً ويعطيهم موهبة الروح القدس بوضع اليد ليقوموا هم بالتعميد. هذا خط الأمم، أمَّا خط كنيسة أورشليم المدعوة كنيسة الختان، فالرسل كانوا هم الذين يضطلعون بالعماد ومن بعدهم استلم ذلك الأساقفة وأخيراً جداً استلمها الكهنة. أمَّا السامرة فكانت أول حالة للخروج خارج أورشليم.

أمَّا حلول الروح القدس ففي سفر الأعمال نرى له في كل حالة وضعاً. فهنا يواجهنا وضع استثنائي عجيب لم يتكرر قط، أن شخصاً مباركاً ومملوءاً من الروح القدس، نبيًّا في أحسن أوضاعه ومارس التعميد ووضع اليد وأعطى الروح القدس لكثيرين، إذ يتوقَّف حلول الروح القدس على شعب بأكمله إلى أن يسعفه حضور رسولين حضوراً رسمياً من أورشليم خصيصاً لذلك. ولكن في وضع آخر كوضع تعميد كرنيليوس نجد أن الروح القدس يحلّ قبل التعميد وبمجرد وعظ بطرس مع أنهم أمميون!! ولكن العادة التي جرى عليها هذا الطقس المقدَّس منذ البدء حتى إلى عشرات السنين كان يحلُّ الروح القدس بعد العماد بوضع اليد مباشرة وتظهر العلامات بالتكلُّم بالألسن والتنبؤ وإتيان المعجزات. ولكن أهم ما يُلاحَظ في هذه المعموديات كلها حتى الآن سواء لليهود أو السامريين أنها **باسم يسوع فقط**، وهي حالة خاصة باليهود إذا آمنوا بالمسيح. بعكس الأمم إذ كان يتحتَّم أن يعتمدوا باسم الثالوث كاملاً الآب والابن والروح القدس حتى يؤمنوا بالله إيماناً كاملاً

متعرفين على طبيعته كآب وابن وروح قدس لتشمل كل أعمال الله مع الإنسان على مدى العصور كلها عصر الآب المؤدِّب والابن الشافي والروح القدس المعزِّي إله واحد بذات واحدة، كما أوصى المسيح بعد القيامة الرسل الاثني عشر المجتمعين من جهة الأمم خاصة!

21-18:8 «ولمَّا رأى سيمون أنَّهُ بوضع أيدِي الرَّسلِ يُعطى الروحُ القُدس قدَّمَ لهما دراهمَ قائلاً أعطياني أنا أيضاً هذا السَّلطانَ حتى أيَّ مَنْ وَضَعَتُ عليهِ يديَّ يَقْبَلُ الروحَ القُدُسَ. فقال له بُطرُسُ لتكُنْ فِضَّتُكَ معكَ للهلاكِ لأنكَ ظننتَ أن تقتَني موهبةَ الله بدراهِمَ. ليس لكَ نصيبٌ ولا قُرعَةٌ في هذا الأمر لأنَّ قلبَك ليسَ مُستقيماً أمامَ اللهِ».

هذه هي السيمونية: شراء المواهب أو بيعها سيَّان. كلُّ مَنْ يُتَّهم بها يصبح سيمونيًّا. والذي أغرى سيمون على هذا العمل هي المواهب التي رآها تحلّ على المعمَّدين بمجرد وضع اليد. لأن هذه كانت هي نعمة الروح القدس ليشهد للإيمان الذي نطق به المعمَّد وقت العماد. فالروح هنا يشهد للمسيح بالآية أو التكلُّم بالألسن أو القدرة على النبوَّة أو الشفاء أو أي من المواهب التي كان الروح القدس يعلنها جهاراً، ليملأ قلوب المؤمنين بالثقة واليقين بالرب يسوع وبالحياة الفُضلى الفائقة الجديدة التي حصلوا عليها.

فسيمون أراد أن يتاجر بالمواهب لحساب غروره الشخصي، فقدَّم المال ليشتري النعمة، وكأنه أراد بالسيد المنحط (المال) أن يشتري السيد العالي الفائق المجد (الروح القدس). فالمال سيد الشرور والأوجاع، أمَّا المسيح فهو سيد الخلاص والنِعَم والبركات.

لذلك صدَقَ بطرس تماماً حينما قال له دعْ سيدك في جيبك للهلاك، فدراهمك أصلٌ لكل الشرور يمكن أن تشتري بها كل ما هو زائل وبائد. أمَّا المواهب التي تراها فهي للذين باعوا الدنيا وصلبوا الذات مع الشهوات لنوال المجد السمائي. فنصيبك ليس في السماء، تكفيك الأرض بلعنتها وشقائها ومرارتها. فقلبك لا يطلب الله ولكنه ينظر إلى مجد الأرض الفاني.

22:8و23 «فتُبْ مِنْ شرِّكَ هذا واطلُب إلى الله عسَى أن يُغفَرَ لك فِكرُ قلبِكَ. لأني أراكَ في مرارةِ المُرِّ ورباطِ الظُّلم».

القضية لا يراها بطرس الرسول أنها منتهية بحكم حتمي للهلاك، ولكن الهلاك رابض على الباب ولسيمون القدرة والإرادة أن يتحاشاه لو تاب وأناب وعفَّر وجهه في التراب. فالغفران ليس بعيداً قط عن خاطئ اعتمد باسم المسيح!

بطرس هنا يراه بالرؤيا وليس بالواقع الحاضر، يراه محاطاً بشياطين الهلاك ولكنه لم

يسلّم لهم بعد. فالأمر لا يزال في يده لقطع قيود الشر الذي أحاط بتفكيره وضميره وشهوات قلبه أن يصير عظيماً كالرسل بمال يدفعه. بطرس يرى في قلبه عِرْقَ مرارة ينبض وغُصْنَ فساد يحاول أن ينبت

ليطرح علقماً وأفسنتيناً. ويا ليت الأمر لمرارة نفسه ولكن لتمرير حياة الكنيسة وضعفاء النفوس الذين سيسقطون في أحابيله وشباكه. فسيمون أفسد أجيالاً من المؤمنين وهزّ أعتاب الإيمان عند كثيرين حتى من المفتدين.

رؤية بطرس كانت مضيئة وقادرة أن تكشف ثلاثة قرون من الزمن دوّخ فيها سيمون الكنيسة في كل الشرق وحتى الغرب حتى روما بل فرنسا وألمانيا وإيطاليا(189).

الشيطان استطاع أن يُدخل سيمون داخل الكنيسة حتى العمق حتى إلى المعمودية ليستغل معرفته بأسرارها ليراهن عليها بأسراره النجسة وبها كانت قتلاه بالآلاف.

«مرارة المر»: col¾n pikr…aj

اصطلاح نجده واضحاً في سفر التثنية الذي أخذته منه بقية الأسفار:

+ «لئلاّ يكون فيكم رجل أو امرأة أو عشيرة أو سبطٌ قلبُه اليوم منصرف عن الرب إلهنا لكي يذهب ليعبد آلهة تلك الأمم. لئلاّ يكون فيكم **أصل يثمر علقماً وأفسنتيناً** colÍ ka˜ pikr…v = Gall & Bitterness.» (تث 29:18)

وتُفهم هذه الكلمة بأنها مرارة (من حوصلة المرارة). هنا الترجمة العربية كان يلزم أن تكون: "مرارة وأفسنتيناً". لأن كلمة colÁ هي عصير حوصلة المرارة التي توجد في الكبد.

أمّا حوصلة المرارة نفسها فتُسمّى cola….

أمّا كلمة pikr…a فهي المادة المعروفة بشدة مرارتها وهي إمّا حمض بكريك أو منقوع الخشب الشديد المرارة. وهي التي تسمّى بالأفسنتين ويُستخرج منها ملح يُعتبر شديد السميَّة.

لذلك كان يفضّل أن تكون الترجمة "مُرًّا وأفسنتيناً"، وليس علقماً لأن العلقم هو منقوع خشب المرارة نفسه.

وفي سفر العبرانيين وسفر مراثي إرميا يأتي نفس الاصطلاح:

+ «لئلاّ يطلع أصل مرارة ويصنع انزعاجاً فيتنجَّس به كثيرون.» (عب 12: 15)

+ «ذِكْرُ مذلتي وتيهاني أفسنتينٌ وعلقم. ذِكْراً تذكرُ نفسي وتنحني فيَّ.» (مرا 3:

(189) انظر صفحة 409.

(19و20)

وهو أصلاً تعبير عبري وأصله تحديد المرارة "بمرارة المر". وهو إمعان في تحديد المرّ، كأن

نقول: "مرٌّ أصلي".

ولعل أشد تعبير عن مفهوم المرارة وطعمها الحقيقي وفعلها في النفس هو ما قاله النبي إرميا في مراثيه في الآية أعلاه، أني حينما أتذكر مذلتي أو زلتي وأتفكَّر في سنين تيهي أو تيهاني أشعر في حلقي بأفسنتين وعلقم!! هذا هو الأثر المرّ في النفس الأشد من المرارة!! لذلك فإنهم يتبارون في إعطاء أوصافٍ مرَّة للمرارة!

والمُلاحَظ في كل هذه المباحث عن المر والمرارة أنها كلها مُنصبَّة في أثر الابتعاد عن الله الحقيقي. فالبعد عن الله بالقلب أو الفكر أو السلوك هو المرارة وهو الأفسنتين!

«رباط الظلم»: sÚndesmon ¢dik…aj

الأصل اليوناني يفيد **"قيود الشر"** وليس الظلم. فكلمة "¢dik…aj أذيكياس" هي عكس "البر" تماماً. فالرجل البار هو الذيكيئوس والشرير أذيكيئوس. وقد قالها إشعياء النبي بوضوح في معنى حل قيود الشر أي التوبة هكذا:

+ «أليس هذا صوماً أختاره **حلَّ قيود** الشر ¢dik…aj sÚndesmon lÚe.» (إش 6:58)

إذاً يتضح الآن معنى قول القديس بطرس أنه يراه في قيود الشر أي بالرغم من قوله «تُبْ عن شرِّك» إلاَّ أنه رآه لا توبة له!! أي في قيود الشر مربوطاً.

24:8 **«فأجابَ سيمونُ وقالَ اطلُبا أنتُما إلى الربِّ مِنْ أجلي لكي لا يأتيَ عليَّ شيءٌ ممَّا ذكرتُما».**

كانت صدمة ولا بد لنفسية هذا الإنسان المتقلقل، ولابد أنه توسَّل ببكاء أن تُرفع عنه هذه اللعنة، لأن طَلِبةُ الذي قدَّمه يبيِّن أن نفسيته كانت منزعجة للغاية، وأنه يودّ بالفعل الخروج من هذا المأزق الذي جلبه على نفسه.

وصدق قول الرسول بولس: «لأن الإيمان ليس للجميع» (2تس 2:3)، والخلاص لا يستقر إلاَّ في القلوب الباذلة المضحية. فالصليب هو محك الإيمان المسيحي، بمعنى أنه أغلى معيار لبذل النفس، ولا يمكن أن يُؤمن به إيماناً قلبياً صادقاً إلاَّ مَنْ كان لديه استعداد الشركة الحقيقية في آلامه. وهذا القانون الإيجابي الذي وضعه ق. بولس بالروح هو صادق للغاية: «إن كنَّا نتألم معه لكي نتمجد أيضاً معه» (رو 17:8)؛ الذي هو صدى قانون

المسيح في الإنجيل: « مَنْ لا يحمل صليبه ويأتي ورائي فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً (مسيحياً).» (لو 27:14)، «اثبتوا فيَّ وأنا فيكم» (يو

4:15)، بمعنى أن الذي يثبت في صليبي أنا أثبت بقوتي فيه.

ولكن إن كنَّا مشغولين في «دفن أبي» (مت 21:8) فما لنا والذي قام من الأموات؟ والذي قد انشغل بأمور كثيرة ضاع عليه الإنجيل والجلوس تحت أقدام المخلّص.

والذي أخذ الموهبة واستثمرها في التراب تؤخذ منه ويعود هو إلى التراب.

والذي ملأ مخازنه من خيرات الدنيا ونفسه من الداخل فارغة من غِنَى الإنجيل ينتهي عمره في ليلة فلا يرى صباحاً وتؤول أتعابه إلى الظلام ويؤاخي بني الظلمة.

والذي بدَّد أيامه وسني عمره في رفع الأرصدة والأوسمة والألقاب ولم يملأ وعيه الروحي بمعرفة نور الإنجيل يخرج من الدنيا أعمى فارغاً وتُقفل دونه الأبواب في السماء فلا يرى النور.

ـ أورشليم تنفتح على السامرة ـ

25:8 **«ثم إنهُما بعدَ ما شَهِدَا وتكلَّمَا بكلمةِ الربِّ رَجَعَا إلى أُورشليمَ وبشَّرا قُرى كثيرةً للسَّامريِّينَ».**

تمَّت المهمة الأزلية التي قيلت فيها النبوات، وتم قول الرب للتلاميذ في يوم السامرية المُشرق:

+ « ها أنا أقول لكم ارفعوا أعينكم (الرؤيا عبر السنين القليلة القادمة: 6سنوات)، وانظروا الحقول إنها قد ابيضَّت (القلوب بالإيمان) للحصادِ، والحاصد يأخذ أُجرةً ويجمع ثمراً للحياة الأبدية لكي يفرح الزارع والحاصد معاً. لأنه في هذا يَصدُقُ القولُ إن واحداً يزرعُ (فيلبس) وآخر يحصِدُ (بطرس ويوحنا). أنا أرسلتُكم لتحصدوا ما لم تتعبوا فيه (نحن قد سمعنا ونعلمُ أن هذا هو بالحقيقة المسيح مخلّصُ العالم ـ يو 42:4) آخرون تعبوا (المسيح والروح القدس) وأنتم قد دخلتُم على تعبهم.» (يو 4: 35-38)

الرب وهو جالس على بئر سوخار وقد أتى تلاميذه بالطعام وقالوا له «يا معلّم كُلْ» كان المعلّم مشغولاً بالرؤيا، إذ كان يرى فيلبس يجاهد ليقنع السامريين، وإذا ببطرس ويوحنا قادمان يجمعان الثمار. كان هذا هو بمثابة طعام المعلّم اغتذى به في ذلك اليوم، والماء الذي كان يقول عنه للسامرية «أنا عطشان» شرب منه أول جرعة من يد السامريين

واليوم أكمل فرحه!!

السامرة والسامرية والسامريون وعبادة جرزيم كانت **كلها تعيش في الحرام** تحت خمسة آلهة

مكروهة، وإلهها الذي كانت تعبده آنذاك لم يكن هو زوجها، ولكنها كانت **صادقة** في قلبها تطلب الحق، فلمَّا جاء قبلته: «بالصدق قد أجبتِ» (راجع يو 14: 17و18). وكأني بالسامرية تمثل روح الأمم جميعاً. تقابلت مع الله بعيداً عن أورشليم في بلد معادية، كانت تعيش آنئذ في الزنا تحت آلهة غريبة، ولكن لمَّا تقابلت مع الله لم تُخفِ عنه شيئاً. تكلَّمت بالصدق ولم تكذب ـ كعدوّتها أورشليم ـ واعترفت في جرأة الألم وصدق الحزن والقلب المجروح أن الذي معي ليس زوجي، فهل عندك من زوج يصلح لي لأعيش معه في الحلال؟ فقال لها «أنا هو ™gè e„mi» !!

في ذلك اليوم أعطاها الرب خاتم الخطبة وأوصاها أن الذي سأرسله ويأتي إليكِ باسمي هو هو الذي سيزفك ليوم زفافك الأبدي فاقبليه!

«رجعا إلى أورشليم»:

صحيح القول هنا عن بطرس ويوحنا لأنه جاء بالمثنَّى، ولكن في اللغة العربية فقط، لأن في اليونانية ليس مثنَّى. إلاَّ أن فيلبس رجع **معهما** حتماً لأن بمجرد أن استقر في أورشليم خاطبه الروح بخصوص مهمة نبوية أخرى شيِّقة للغاية، إذ سلَّمه أجنحة الصبح، أخذها وطار بعيداً في طريق غزة.

2 ـ في الطريق المنحدرة من أورشليم إلى غزة

26:8و27 **«ثم إنَّ ملاكَ الربِّ كلَّمَ فيلبُّس قائلاً: قُمْ واذهب نحو الجنوبِ على الطريق المنحَدرَةِ مِنْ أُورشليمَ إلى غزَّةَ التي هي بريِّـةٌ. فقامَ وذهَبَ، وإذا رجُلٌ حبشيٌّ خصيٌّ وزيرٌ لكَنْداكَة ملكةِ الحبشةِ كانَ على جميع خزائنها، فهذا كان قد جاءَ إلى أُورشليمَ ليسجُدَ».**

أمَّا الخصي فكان راكباً عربة تجرّها الخيول، والخيول سريعة لا يلاحقها إلاَّ فرس قد تدرَّبت على السباق، وأنى لفيلبس ذلك؟ فإمَّا أن أعاره إيليا مركبته ليلحق بمركبة الخصي، وإمَّا أعاره الملاك جناحه، وإمَّا أخذ هو «جناحي الصبح وطار» وحطَّ أمام الخصيّ وهو يهذّ في توراته. وليس أمامي حلٌّ آخر!! أمَّا الذي يشجعني على هذه الحلول هو وسيلة طريق العودة!

«غزَّة التي هي برية»: G£zan aÛth ™st^n œrhmoj
هنا المعنى مختفي لأنه في الحقيقة توجد غزة قديمة بعيدة عن البحر، وهي إحدى مدن فلسطين

الخمسة، وكان يُطلق عليها **كاديتس** kadytis (بحسب هيرودوت)(190). وقد استولى عليها الإسكندر الأكبر بعد حصار دام خمسة أشهر وذلك سنة 332 ق.م. ولكن استطاع اسكندر حناؤس (المكابي) أن يغزوها ويستولي عليها من يد الرومان وخرَّبها عن آخرها وذلك سنة 93 ق.م. وأعيد بناؤها في أيام جابينيوس Gabinius سنة 57 ق.م، ولكن على البحر على مسافة قريبة من المدينة القديمة. وهنا الملاك يعيِّن لفيلبُّس الموقع الذي سيمرّ عليه الخصي، وهو غزة القديمة التي في البرية، وهي التي يمر منها الطريق إلى مصر ومنها إلى أثيوبيا. وغزة القديمة التي هي برية بعيدة عن غزة الجديدة مسافة 2,5 ميل للداخل(191).

ولكن المُلاحَظ جداً في هذه القصة أن استخدام كلمة «ملاك الرب» غريبة على العهد الجديد، فهي من اختصاص العهد القديم للتعبير عن ملاك حضرة الله، وتفيد حضور الله متكلّماً بواسطة الملاك على مستوى العهد القديم تماماً. وهذا يشير ليس إلى مجرَّد كلام ولكن إلى قيادة أيضاً كملاك حضرة الله الذي كان يقود موسى. والأمر واضح لأنه من أين وكيف لفيلبس أن يعرف الخصي ومكانه على طريق ممتد.

كذلك يصعب على القارئ أن يفرِّق بين ملاك حضرة الله هذا وبين الروح القدس الذي حمله بعد ذلك.

وهكذا تبدو لنا شخصية فيلبُّس عجيبة حقاً في تصرفه الرسولي الجريء في الذهاب بمفرده وبدون مشورة الكنيسة إلى السامرة ليبشرها بملكوت الله والمسيح كطبيعة الأنبياء الحرة؛ ثم بظهور ملاك حضرة الله له على مستوى أعمال موسى لقيادته، ثم بعد ذلك كيف يحمله الروح القدس الأمر الذي لم يُسمع به إلاَّ في العهد القديم، وفي سيرة إيليا بالذات:

+ «ويكون إذا انطلقتُ من عندك أن روح الرب يحملك إلى حيث لا أعلم، فإذا أتيتُ وأخبرتُ آخاب ولم يجدك فإنه يقتلني.» (1مل 18:12)

وهكذا نرى فيلبس الإنجيلي يفتتح عصر أنبياء العهد الجديد بلا نزاع. وقد صارت طغمةً قائمةً بذاتها بعد الرسل وكتبت عنهما الديداخي ووصفت أنبياء العهد الجديد وقنَّنت أسفارهم وترحالهم وراحتهم داخل البيوت كطقس رسمي في الكنيسة. وهذه بعض الأقوال

(190) Herodotus, II, 159, III, 5.

(191) Joseph. B.J. i, 20,3; ii, 6,3; 18, 1; *Ant.* XIV, 5.3; XV, 7.3; XVII, 11.4. cited by Bruce I. p. 190.

منها:

[لا تنتقدوا ولا تجرّبوا نبيًّا يتكلّم بالروح، كل خطية تُغفر إلاّ هذه الخطية، ليس كل مَنْ يتكلّم بالروح نبيًّا، بل الذي يسلك مسلك الرب. المسلك بيِّنٌ بين النبي الحقيقي والنبي الكاذب ... كل نبي يعلّم الحقيقة ولا يطبِّق ما يعلّمه هو نبي كاذب ... كل نبي حقيقي يريد أن يقيم معكم «يستحق طعامه» ... فليكن باكورة عصيرك (عنبك) وبيدرك (جرنك) ومواليد أبقارك وأغنامك للأنبياء لأنهم رؤساء كهنتكم. إذا لم يكن عندكم أنبياء اعطوا للفقراء.] (الديداخي 7:11و8، 13:1و3و4)

من هذا نفهم أن الأنبياء في العهد الجديد انتشروا في البلاد وفي الكنائس وكانت لهم صلة رسمية بالكهنة. ولكن يبدو أنه بعد أن رتبت الكنيسة طقس الأساقفة توقف عمل الأنبياء.

27:8و28 **«فقامَ وذهَبَ، وإذا رجُلٌ حبشيٌّ خصيٌّ وزيرٌ لكَنْداكَة ملكةِ الحبشةِ كانَ على جميع خزائنها، فهذا كان قد جاءَ إلى أُورشليمَ ليسجُدَ**

وكان راجعاً وجالِساً على مركَبَتِهِ وهو يقرأُ النبيَّ إشعياءَ»

هنا ليستعد القارئ العزيز أن يسمع معرفة جديدة عن الحبشة التي تُدعى أثيوبيا، سواء عن ملوكها أو ملكتها أو أرضها وموقعها الجغرافي ومدنها الكبرى:

وهذه دراسة يقدِّمها العالِم بروس عن سترابو[192] (عالم يوناني كتب في الجغرافية وعاش ما بين سنة 58 ق.م و25م)، وبليني[193] وهو حاكم أقليم بيثينية في شمال أسِيَّا الصغرى، توفِّى سنة 112م، في خطابه لتراجان، وديوكاسيو[194] المؤرِّخ (155-235م)، حيث يقول إن الحبشة كان هو الأقليم الذي نعرفه الآن ببلاد النوبة وموقعه من الشلال الأول بأسوان في مصر حتى الخرطوم. وإن مدنها الكبرى كانت مروى Meroe وهي العاصمة، ونباتا Napata. وأن ملك أثيوبيا كان يُقدَّس كإله "ابن الشمس" وشخصيته مرهوبة دينياً حتى إنه لا يصح أن يهتم بأمور الدولة المدنية، فهو شخصية روحية، والذي كان يحكم البلاد الملكة الأم، وكان لقبها الدائم لكل الملكات هو «كنداكة Candace = Candake »

(192) Strabo, *Geograph,* XVII. 1.54.

(193) Pliny, (C.112), *Natural Hist.* VI. 186.

(194) Dio Cassio: *Hist.* 1 iv, 5-4, cited by Euseb., *Eccl. Hist.* ii. 1.13.

وكانت بلاداً قوية عسكرياً، وقد قامت بالهجوم على حدود مصر سنة 22 ق.م. ومصر تحت حكم الرومان آنئذ. وهوذا وزير ماليتها هذا الخصيّ المتدين المتعلّم الذي وهب حياته لله كخصيّ،

وأعطى نفسه لدراسة التوراة باهتمام. وزيارته لأورشليم، وتجشُّمه هذه المشقة الهائلة في السفر ليسجد في الهيكل توضح مدى تعلُّقه بالله والأرض المقدَّسة وبالهيكل المقدَّس. وغالباً كان موسم عيد الخمسين.

ولكن كون وزير الحبشة على هذا المستوى الديني اليهودي يوضح أن اليهودية كانت متأصلة في بلاد الحبشة (النوبة) منذ زمن لعله منذ أيام ملكة سبأ وزيارتها لسليمان الملك.

وبمتابعتي للتاريخ القبطي بدقة وعلاقاتنا بالحبشة وبالنوبة تأكدت من مصادر كثيرة أن بلاد النوبة بقيت مسيحية حتى القرن الخامس عشر. أمَّا أثيوبيا التي في جنوب السودان وشرقه فلبُعدها عن غزوات العرب بقيت مسيحية حتى الآن، ولكن الأقسام المتاخمة منها للسودان أغلبيتها تدين بالديانة الإسلامية. وللأسف الشديد أعلم عن دراية أن المسيحيين الأحباش هناك كانوا يذيقون المسلمين الظلم والاضطهاد والخسف، وكانوا بينهم كالمنبوذين، ولست أدري أي دين كان يعطيهم هذه الأخلاق وهذا السلوك المشين.

أمَّا هذا الوزير التقي المبارك فقد كان ضليعاً في قراءة السبعينية باليونانية، وهذا أمر ليس بالقليل في ذلك الزمان، وكان يطالع في سفر إشعياء أكثر الأسفار تعزية ورجاء.

ثم انظر قارئي العزيز وتمعَّن كيف ومتى يتدخَّل الروح القدس هنا وهناك بآن واحد: فالوزير المبارك أُلهم من الله أن يقرأ إشعياء ويقف ويقرأ ثم يعود يقف ويتمعَّن، ثم يقرأ إشعياء عن العبد المتألم ويسأل ويتساءل ويرفع عينيه إلى السماء: مَنْ هذا يا رب الذي يتأوه مذبوحاً وحاملاً خطايا الناس وهو بارٌّ؟ وهنا، يصل الجواب بيد مخصوص محمول بقوة السماء.

35-29:8 **«فقالَ الروحُ لفيلبُّسَ تقدَّمْ ورافق هذهِ المركبة. فبادرَ إليهِ فيلبُّس وسَمِعَهُ يقرأُ النبيَّ إشعياءَ فقالَ ألعلَّكَ تفهمُ ما أنتَ تقرأ؟ فقالَ كيفَ يُمكنُني إنْ لَمْ يُرشِدني أحدٌ، وطلَبَ إلىَ فيلبُّسَ أن يَصْعَدَ ويَجلِسَ مَعَهُ. وأمَّا فصلُ الكِتابِ الذي كانَ يقرأهُ فكانَ هذا: مِثْلَ شاةٍ سِيقَ إلىَ الذَّبح ومِثلَ خرُوفٍ صامتٍ أمامَ الذي يجُزُّهُ هكذا لم يفتح فاهُ، في تواضُعِهِ انتُزِعَ قضاؤُهُ وجيلهُ من يُخبرُ بهِ لأنَّ حياتَهُ تُنتَزَعُ مِنَ الأرض. فأجابَ الخصيَّ فيلبُّسَ وقالَ أطلُبُ إليكَ، عَنْ مَنْ يقولُ النبيَّ هذا، عَنْ نفسِهِ أمْ عن واحدٍ آخَرَ. ففَتَحَ فيلبُّسُ فاهُ وابتدأ مِنْ هذا الكتابِ فبشَّرَهُ بيسُوعَ».**

أشياءٌ تفوق تصوُّرنا. ولكنها تحكي بقوة ودقة متناهية مبادرات الله وتسخيره للأوقات

والأزمنة والملائكة والناس والأرض واختيار القراءات ليوصِّل رسالة الخلاص لإنسان ثم لشعب: لإنسان طلب من الله أن يعرف سرّ كتابه وسرّ أنبيائه وسرّه الخاص، وشعب بعيد، فيه من يعبده بإخلاص ولكنه يعوزه الخلاص. عجيب هو الرب جداً وحميد، فليشكروه على رحمته على بني آدم! هكذا يسخِّر الله السماء والأرض والملائكة والناس ليردَّ على إنسان يقرأ إشعياء النبي ويريد أن يعرف سر الخروف المذبوح.

يقيناً يا إخوة لو كان رئيس الكهنة قيافا جالساً جلسة هذا الخصي وسفر إشعياء في يده وقرأ ثم رفع رأسه إلى السماء وسأل ما سأل الخصي، لجاءه ليس فيلبُّس بل إشعياء بنفسه ليفسِّر له الرؤيا ويعلن له الحق ويكشف له السرّ!

ثم هل يمكن يا إخوة أن نعمل ما عمل هذا الخصي التقي وكلنا نعرف القراءة لنقف عند مواقف الأسرار ونسأل بإخلاص ونطلب بإلحاح ليكشف لنا الرب عن مقاصده بيد مَنْ يكشف، والروح القدس روح مسحة الحق مُعدٌّ ومستعد لأن يعرِّفنا كل الحق!؟

«وسمعه يقول»:

كانت القراءة قديماً بالصوت المسموع دائماً حتى ولو كان الإنسان يقرأ في غرفته الخاصة. والسبب أن القراءة في المخطوطات القديمة تحتّم ذلك، إذ لم تكن الكلمات مفصولة عن بعضها، فالسطر كله يكاد يكون كلمة واحدة، وهنا الاعتماد على المهارة والدراية. لذلك لابد أن يقرأ الإنسان متهجِّياً الحروف حتى يشعر بانتهاء الكلمات وبدايتها. وقد بدرت في اعترافات القديس أغسطينوس كلمة تفيد أنه كان يتعجب من القديس امبروسيوس كيف كان يقرأ وهو صامت(195)!

لذلك سهل على فيلبُّس أن يعرف في أي موضع كان يقرأ الخصي وبادره بالسؤال ثم الحوار ثم الإيمان ثم العماد!

«ألعلَّك تفهم ما أنت تقرأ؟»: «r£ ge ginèskeij § ¢naginèskeij

واضح في اليوناني هنا اللعب على الألفاظ. فكلمة «تفهم» هي نفسها تأتي "تقرأ" مع إضافة «r£ . وهي نوع من المداعبة افتتح بها فيلبُّس الحديث مع الخصي.

ويا لسعد ذلك الخصي التقي الموعود، فهوذا أول شخص في العهد الجديد يُدعى

---

(195) *Confess*. VI. 3.

رسميًّا بالإنجيلي، فيلبُّس المبشِّر أو فيلبُّس الإنجيلي يبدأ يشرح سرّ الخروف المذبوح!
السرُّ الأزلي

المخفي منذ الدهور الذي أعلن هذه الأيام فقط لرسله **وأنبيائه** بالروح!! إن الأمم شركاء في الميراث والجسد **والإنجيل!!**

إن ما حيَّر الخصي المبارك حيَّر جميع الأنبياء من قبله وتساءلوا بإلحاح وبلا ردٍّ وبقي الردُّ ليُستعلن فقط بالصليب:

+ «الخلاص الذي فتشَ وبحثَ عنه أنبياءٌ الذين تنبأوا عن النعمة التي لأجلكم باحثين أي وقتٍ أو ما (حال) الوقتُ الذي كان يَدِلُّ عليه روح المسيح الذي فيهم، إذ سبق فشهد بالآلام (الخروف المذبوح) التي للمسيح والأمجاد التي بعدها.» (1بط 1: 10و11)

وهكذا توقَّف هذا الخصي المبارك الساعي لمعرفة سرّ الآلام، الذي توقف عنده جميع الأنبياء بلا استثناء وما وجدوه. ولكن الآن عُرِف كما صار وتحقق وذبحوه على الصليب وأصبحت معرفته خلاصاً!! وأول مَنْ شرحها وقبل وقوعها هو المسيح نفسه: «لأن ابن الإنسان أيضاً لم يأتِ ليُخدَم بل ليخدم ويبذل نفسه **فدية عن كثيرين**» (مر 10:45). كما قالها إشعياء: «إن جعل نفسه ذبيحة إثم ... بمعرفته **يبرِّر كثيرين** وآثامهم هو يحملها.» (إش 53: 10و11)

يا لصعوبة معرفة سرِّ ما قاله إشعياء قبل أن يتحقق على الصليب.

ويا لسهولة معرفة السرِّ بعد أن تمَّ وقام من بين الأموات!

ويقول العالِم بروس[196] إن الشيوخ العلماء السبعين وجدوا صعوبة كبيرة في ترجمة أقوال إشعياء المذكورة هنا من العبراني إلى اليوناني لأنهم لم يفهموا الكلام، وكان كألغاز محيِّرة لهم. والقديس لوقا هنا في سفر الأعمال وضَّحها أكثر كثيراً مما جاء في السبعينية:

+ «**مثل شاة سيق إلى الذبح،**
ومثل خروف صامت أمام الذي يجزّه هكذا لم يفتح فاه!
في تواضعه انتُزع قضاؤه،
وجيله مَنْ يخبر به،
لأن حياته تُنتزع من الأرض!!» (إش 53: 7و8)

(196) Bruce, II, p. 188.

وقد قام العالِم ك. ر. نورث[197] بترجمة الثلاثة السطور الأخيرة من العبرانية مباشرة فجاءت:

(197) C.R. North (*The Suffering Servant in Deutero Isaia*) (Oxford 1948, p. 122).

+ **«بعد أن مسكوه وسألوه، أُخذ**
وعن نصيبه مَنْ يستطيع أن يتنبأ
لأنه قُطع من أرض الأحياء»!!

والعجيب حقاً أن أصعب نبوَّة في العهد القديم كله والتي توقَّف عندها جميع الأنبياء بالاستفهام، تكون هي سر الخلاص الكامل وبأوضح صورة وأوضح تفسير وأوضح نهاية. وإليك المفردات إذا جمعناها: (مسكوه ـ سألوه ـ سيق إلى الذبح ـ صامت لم يفتح فاه ـ تواضع ولم يدافع ـ انتزع قضاؤه "خسر القضية" ـ قُطع من أرض الأحياء ـ مَنْ يستطيع أن يتنبأ عن نصيبه ماذا يكون!!) إنها روعة النبوَّة عندما تتحقق بحذافيرها!!

«أطلبُ إليك عَنْ مَنْ يقول النبي هذا، عن نفسه أم عن واحد آخر؟»:

أقول لك الصدق يا وزير كنداكة إن إشعياء نفسه لم يكن يعرف!! بل ولا أي نبي ولا ملاك ولا رئيس ملائكة كان يعرف مَنْ هذا الخروف الذي سيق إلى الذبح وهو صامت لم يفتح فاه. إلاَّ نبيّ واحد لا يمتّ للعهد القديم إلاَّ بالاسم ولم يعرفه حتى رآه فقال: «هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم» (يو 1:29). وقالها وهو لا يستطيع أن يفسِّرها!!

لم يجد فيلبُّس صعوبة، فالذي أملى على إشعياء النبوَّة أخذ على عُهدته تفسيرها، وفيلبُّس يسمع ويتكلَّم بلا مانع. فابتدأ يقص قصة الرب يسوع بانفتاح وعي بالروح القدس ويسهب له في الشرح والتوضيح ويسلّم الحبشي كنز الحياة الأبدية، فلم يَعُدْ بعد وزير خزانة (كنز = Treasury) كنداكة بل وزير كنوز الروح والحياة الأبدية ليسلّمها كما هي لملكته المحبوبة وكل شعبها.

وكان في الشمال الشرقي "لغزة برية" نبع في وادي يُدعى وادي الحسِّي Wadi El Hessi وفجأة وقعت عين الخصي على الماء فتهللت أساريره إذ عرف أن الشيء الوحيد الذي ينقصه بعد الإيمان بالرب يسوع هو المعمودية المقدَّسة لنوال روح الحياة الأبدية:

36:8و37 **«وفيما هُما سائرانِ في الطريقِ أقبلا على ماءٍ، فقالَ الخصيُّ هوذا ماءٌ، ماذا يمنَعُ أن أعتمدَ. فقالَ فيلبُّس إن كُنتَ تُؤمِنُ مِنْ كُلِّ قلبكَ يَجُوزُ. فأجابَ وقالَ أنا أُومِنُ أن يسوعَ المسيحَ هو ابنُ اللهِ».**

«هوذا ماء!! ماذا يمنع أن أعتمد»؟

فكان ردّ فيلبُّس يشمل حتماً توضيح علاقة المعمودية بالإيمان وضرورة النداء بالإيمان علناً

بالرب يسوع من كل القلب فقالها متهلّلاً:

+ «أنا أُومن أن يسوع المسيح **هو ابن الله**»

واضح أن القصة تجري في آخرها بسرعة ملفتة للنظر، لأن لهفة الخصي جعلت الروح يلهب قلبه، فكان يشعر وكأن لابد أن يحصل على الكنز الذي انفتحت أسراره أمامه.

32:8و39 «**فأمرَ أن تقفَ المركَبَةُ فنزَلا كلاهُما إلى الماءِ فيلبُّس والخصي فعمَّدهُ. ولمَّا صَعِدا مِنَ الماءِ خَطِفَ رُوحُ الربِّ فيلبُّسَ فلم يُبصِرهُ الخصيَّ أيضاً. وذهبَ في طريقِهِ فَرِحاً**»

وكان عماد الخصي بهذا التدبير المحكم من قِبَل الله كأنه عماد شعب، إذ المعروف أن الحبشة أو أثيوبيا قبلتْ الإيمان مبكّراً جداً، ولكن لم يُعيَّن عليها أُسقف رسمي إلاّ في أيام القديس أثناسيوس الرسولي.

والقصة كما ابتدأت بداية مثيرة للغاية هكذا تنتهي، إذ لمَّا نظر الخصيّ حواليه بعد أن خرج من الماء لم يجد أحداً. وكان ذلك تأكيداً شديداً لنفسه أن عماده أُجري له بقوة إلهية فائقة وبصفة خاصة جداً. إذ لم يقبل الإيمان المسيحي أي إنسان آخر على هذا المستوى من الاهتمام الإلهي والتدبير والتسخير لكل القوى المحيطة حتى ينال هذا الخصي كنز الإيمان المسيحي كسفير دولة والمؤتمن على مخازن ذخائر نعمة الله.

أمَّا ذهابه فرحاً، فهذا هو فرح الروح القدس، الثمر المبُهج لفعل قيامة المسيح التي نالها بالمعمودية كخليقة جديدة.

3 ـ في أشدود وجميع المدن حتى قيصرية

40:8 «**وأمَّا فيلبُّس فَوُجِدَ في أشدُودَ، وبينما هو مُجتازٌ كان يُبشِّرُ جميعَ المُدُنِ حتى جاءَ إلى قيصريَّة**».

عشرون ميلاً شمالاً من غزة، في لحظة زمان هكذا ينتقل الأنبياء محمولين على الأثير عديمي الوزن، إذ أصبح الروح له السيادة، والجسد لم يَعُدْ يشكّل عائقاً، فهو يوجد أينما يشاء الروح بلا مانع.

هذا هو سبق تجلّي الطبيعة البشرية حينما يصير الله لها الكل في الكل ونصير مملوئين

وليس من فراغ ولا هو تحدٍّ لعقولنا أن يذكر لنا الإنجيل ذلك، فهو يدرِّب عقولنا وحواسنا لنقبل مستقبل طبيعتنا فيه ويُسعد نفوسنا كيف ستنتهي منا صعاب الحياة ومشقة الجسد وأتعاب الزمان والمكان، إذ يصير الكل مخضَعاً له، أليست هذه هي حقيقة القيامة؟ فيلبُّس كان يحيا حقيقة القيامة على الواقع المنظور كعيِّنة فاخرة من عمل نعمة الله.

رجع فيلبُّس إلى وظيفته يبشِّر المدن بعد أن بشَّر مملكة. وكأنه مرسل أمام وجه الرسل أينما ذهب فتح باباً للإيمان وعمَّد وترك لهم أن يضمُّوا الثمر ويحصدوا ما لم يتعبوا فيه كقول الرب في يوم السامرية. ذهب إلى يافا ليعدَّ مكاناً لبطرس عند طابيثا. وذهب إلى لدَّة ليرتِّب لبطرس شفاءً لإينياس. وهكذا يجد لدَّة ويافا متلهِّفتين لأخذ البركة الرسولية بعد أن بنى لهم فيلبُّس مدماك الأساس. وانطلق صوب قيصرية ونادى بالخلاص وأوصى ملاكه أن يفتح قلب كرنيليوس وكل بيته. وهكذا كان فيلبُّس يبشِّر وملاكه يساعده ويكمِّل.

وأخيراً استقر فيلبُّس في قيصرية إذ وجد قلوباً كثيرة مستعدة، ومكث وأطال مكوثه وزار البيوت وتأهل[198] هناك ورزقه الله بأربع بنات على شاكلته خرجن كلهُّن نبيات، شيء لم يُسمع قط. وهكذا أتحفنا فيلبس بأعجب أخبار الإنجيل والبشارة وأعاد لنا رائحة العهد القديم معطَّرةً برائحة المسيح الزكية. وكأننا في أرض الطوبانيين. ونستودعه الآن لنقابله بعد عشرين سنة في الأصحاح 8:21.

ما أقدس هؤلاء السبعة pt£~ فما سمعنا أعظم من استفانوس شهادة للمسيح، وما رأينا أقدس من فيلبُّس سيرة بين الخادمين.

---

(198) تزوج.

خريطة رحلات القديس فيلبُّس المبشِّر

الأصحاح التاسع

- **(9: 1-31) المسار الثاني لانتشار الكنيسة:**
  أعمال شاول الأولى.
- **(9: 32- 43) المسار الثالث لانتشار الكنيسة:**
  أعمال القديس بطرس خارج أورشليم:
  أولاً: القديس بطرس الرسول في لدة وشفاء إينياس (9:32-35).
  ثانياً: القديس بطرس الرسول في يافا وشفاء طابيثا (9:36-43).

المسار الثاني لانتشار الكنيسة
[9: 1-31]

1 ـ أعمال شاول الأولى

(أ) تحوَّل شاول على طريق دمشق 9: 1-9
(ب) حنانيا يُرسَل إلى شاول 9: 10-19
(ج) بولس يبشِّر في دمشق 9: 19-22
(د) بولس يهرب من دمشق 9: 23-25
(هـ) بولس يعود إلى أورشليم ثم يُرسَل إلى طرسوس 9:29-30
(و) الكنائس تُبنَى في اليهودية بسلام 9:31

(أ) تحوَّل شاول على طريق دمشق (9: 1-9):

مَن هو شاول:

من طرسوس مدينة مشهورة في سهول كيليكية جنوب شرق أسِيَّا الصغرى، كانت تحت الحكم الروماني. «عبراني من العبرانيين» كان أبواه من اليهود المحافظين على كل ميراث اليهود من عادات ناموسية وغير ناموسية ولغة وتهذيب حتى وهما في الشتات. ولكن الوالد كان ذا شخصية ممتازة وأتى بأعمال باهرة فكافأته الدولة الرومانية بالرعوية الرومانية، بمعنى أن يكون له كل امتيازات المواطن الروماني هو وكل أسرته. لذلك أتقن شاول اليونانية علماً وفلسفة.

فرِّيسي ابن فرِّيسي:

كان أبوه من فئة الفريسيين، بمعنى أنه في أيامه كان يُحتسب كأنه حاصل على "دكتوراه في اللاهوت" بلغة اليوم. والفرِّيسية تمثل آنئذ أرقى طبقات اليهود، التي تحيا حياة مدققة للغاية: «طريق عبادتنا الأضيق» (أع 26:5). وكان ذا مُثُل عليا يحياها عملياً وسط شعب مستهتر فاسد نَسِيَ كل تراثه إلاَّ الافتخار الكاذب بإبراهيم. تعوَّد على طاعة الناموس طاعة عمياء لا تعرف

المناقشة. لذلك قيَّم نفسه أنه كان بلا لوم من جهة وصايا الناموس والبر المتحصِّل من حفظه. يصوم مرتين في الأسبوع الاثنين والخميس ويعشّر كل ما يملك.

طبيعته:

كان ملتهباً ثقةً بعبادة يهوه العظيم وأمانةً واستعداداً للبذل حتى الموت.

ولكن في ذات الوقت كانت طبيعته بحسب رسائله تفيض رقةً ولطفاً وتودُّداً، ودموعه سهلة يذرفها محبةً وشفقةً على الصديق والزميل والابن والقريب والبعيد، باستعداد أن ينفق كل ماله وصحته في حقل خدمته كرامة للاسم يهوه العظيم.

كان أكثر غيرة على يهوديته من جميع أقربائه وأقرانه حتى معلميه.

مهنته:

تعلَّم بحسب أمر الناموس صنعة فاختار غزل شعر الماعز ونسجه لعمل الخيام بإتقان تجاري، فكان يعمل بلا توقف ويبيع عمل يديه ليستقل بمهنته وسيرته ومبادئه وعبادته. ويبدو أنها كانت صنعة أسرته منذ زمن طويل، لأن سهول كيليكية ذات مراع غنية وفي موقع جغرافي لملتقى قوافل الجنوب الآتية من فلسطين وسوريا وفينيقية مع خطوط الاتصالات مع أسِيَّا الصغرى واليونان. وكانت بلدة طرسوس مشهورة بنوع خاص من قماش الخيام الثمين يُدعى اسمه كيليكيوم باسم المنطقة (كيليكيا).

الأخلاق:

أوضح ما فيه التمييز الدقيق بعد الفحص والدراسة لاستخراج المعاني والحقائق التي تفوت على الجميع! وبعد التأكُّد من الحق حسب البراهين الدامغة ينحاز إلى الحق انحيازاً شديداً وعنيفاً لا يعرف المهادنة. لذلك يعتبر أعظم وأكثر إنسان عانى في الانتقال من الحق اليهودي إلى الحق المسيحي!! ولكن لأنه عاش الحقَّين استطاع أن يكشف، بعد أن ارتقى إلى الحق الأعلى، كل ضعف الحق الأقل دون أن يهينه. ولذلك استطاع أن يقول معاً وبآن واحد:

+ «مبطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض ...» (أف 15:2)

+ «لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة.» (رو 14:6)

+ «إذاً، الناموس مقدَّس والوصية مقدَّسة وعادلة وصالحة ...» (رو 12:7)

لذلك كان منهجه تطبيقاً واقعياً عميقاً نظرياً وعملياً على رسالة المسيح: «ما جئت لأنقض بل لأكمل» (مت 5:17).

كانت له شخصية حرَّة غير مقيَّدة بأحد على الإطلاق، لا بأب ولا معلّم ولا بلد ولا حتى بتعليم، لذلك بمجرد أن عرف الحق ترك في الحال كل ما كان يملك وكل ما كان يعرف وكل ما كان قد دخل حياته من عادات وتدقيقات لا حصر لها، خرج منها كلها كمولود جديد لحساب الحق الجديد.

ولك أن تتصوَّر مثلاً أن الدرس الأول للفريسي الذي يتلقنه من فم معلّمه عن الأمم والأمميين والعلاقة بين اليهودي والأممي هو هذا: "إذا سقط أمامك أممي في البحر فلا يليق باليهودي انتشاله". هذا هو شاول، وبعد ذلك الرسول الذي قال:

+ «يا إخوتي الأحباء والمشتاق إليهم يا سروري وإكليلي.» (في 1:4)
+ «وأمَّا أنا فبكل سرور أُنفِق وأُنفَق لأجل أنفسكم ...» (2كو 15:12)
+ «مَنْ يضعف وأنا لا أضعف، مَنْ يعثر وأنا لا ألتهب.» (2كو 29:11)

وربما لهذا كله اختاره المسيح ليكون إناءً مختاراً ليحمل اسمه إلى أمم وملوك!! نعم وحَمَّلهُ أحسن حمل وأبلغه أحسن بلاغ. خاصة في الوقت الذي ظل جميع الرسل متخبّطين حتى آخر حياتهم لا يتعاملون مع الأمم إلاَّ باستثناءات فردية لم يدوموا فيها. ولم يستطيعوا أبداً تحطيم سياج التعصُّب والبُغضة والاحتراس الشديد من نحو الأمم. فبطرس الرسول بعد مدة طويلة من السنين وبعد أن أعلمه الله بالرؤيا أن لا يخشى من الذهاب للأمم لتبشيرهم نجده سريعاً عاد إلى قوقعته اليهودية، فلمَّا أتى قوم من عند يعقوب (كنيسة أورشليم) تنحَّى عن المائدة التي كان يأكل عليها مع الأمم واعتزل خائفاً من أهل الختان (المسيحيين اليهود) (غل 2: 11و12)!! وهذا هو بطرس المكني عنه باسم الصخرة التي أراد المسيح أن يبني عليها كنيسته، نعم بناها ولكن في داخل أورشليم فقط كما سجَّل لنا سفر الأعمال. لهذا تحتَّم أن يكون ما كان على طريق دمشق!

يا لحكمة الله ويا لعظمة تدبيره في توعية وبناء مختاريه:

كان لابد لشاول أن يأخذ صورة صحيحة عن مَنْ هو المسيح لأنه لم يسمعه ولم يره قبل أن يفاجئه بالرؤيا من السماء. فأوعز لملائكته أن يدبروا له مقابلة مع أصدق إنسان في إيمانه بالمسيح وأقوى شخصية تشهد له بالمنطق اليهودي الذي يتقنه شاول، على أن تكون المقابلة على أعلى مستوى من الشهادة، أي لابد أن تبلغ حدّ الشهادة في قوتها النارية، على أن يرافقها صورة تذكارية تنطبع في ذهن شاول فلا تُمحى منه!

ونجحت الملائكة في إقناع شاول أن يكون سامعاً في السنهدريم لقضية استفانوس وشاهداً لمقتله

وعن أقصى قرب، إذ جعلوه يقف في مقابل الرجم تماماً كحافظ لثياب القتلة. فرأى وسمع وشاهد والتقط صورة الوجه الملائكي وهو يشهد لمشاهدته **الرب يسوع في السماء**، حيث سيظهر لشاول تماماً من السماء لتنطبق الحقيقة على الأوصاف التي سمعها. وهكذا سلّم استفانوس شهادته ومشاهدته ودفاعه وإيمانه وحرارته وبذله وحياته وروحه لشاول ليسير على هداها.

هذا بالإضافة إلى ما اختزنه شاول في الوعي واللاوعي من محاجاة استفانوس في مجمع الكيليكيين الذي كان يرأسه شاول على أغلب الظن، وهي التعاليم التي كانت بالنسبة لشاول ـ بعد أن أدرك صحتها ـ البذار الكثيرة التي استنبتها في تربته الخاصة لتخرج لنا مناهج لاهوتية تغطّي مساحة الصليب الذي انفرش على كل الأرض والسماء.

وهكذا مِنْ شهيد لشهيد انتقلت كنيسة البرية إلى مُلك الأمم لتضرب أوتادها في أرض العالم لتخرج أعظم كاتدرائيات لا في فخامة المباني بل في قوة ومجد اللاهوت، ومن شعلة وهّاجة أضاءت ما حولها إلى شعلة ملتهبة أضاءت المسكونة كلها ولا تزال، "وصداها"(199) أضاء وجه السماء!!

9: 1و2 **«أمَّا شاولُ فكانَ لم يَزل يَنفُثُ تهدُّداً وقتلاً على تلاميذ الربِّ ، فتقدَّمَ إلى رئيس الكهنةِ وطلبَ منه رسائلَ إلى دِمشقَ إلى الجماعاتِ حتى إذا وَجَدَ أُناساً مِنَ الطريق رجالاً أو نِساءً يسوقُهُم مُوثَقِينَ إلى أُورشليمَ».**

لم يكتف شاول بما عمله في الكنيسة في أورشليم وما حولها في اليهودية، بل وسَّع خططه لتشمل كل المدن المحيطة:

+ «وإذ أفرط حنقي عليهم كنت أطردهم إلى المدن التي في الخارج.» (أع 26: 11)

ولكن هذه المرة أراد تعقّبهم حتى في المدن خارجاً. واستطاع بواسطة رئيس الكهنة أن يدبِّر حركة التفاف على المسيحيين الذين هربوا نحو دمشق:

+ «واضطهدت هذا الطريق حتى الموت مقيِّداً ومسلِّماً إلى السجون رجالاً ونساءً، كما يشهد لي أيضاً رئيس الكهنة وجميع المشيخة الذين إذ أخذت أيضاً منهم رسائل

(199) «لكي يعرَّف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا.» (أف 3: 10و11)

للإخوة إلى دمشق ذهبت لآتي بالذين هناك إلى أُورشليم مقيَّدين لكي يُعاقبوا.» (أع 22: 4و5)

وهكذا يوضّح مدى سلطة رئيس الكهنة على كل اليهود داخل محيط أرضه وخارجها بحجة سلامة الدولة، طالما كان اليهود في بلاد تحت حكم الرومان يحكمون أورشليم وفلسطين، وذلك بمقتضى معاهدة أُبرمت سنة 138ق.م[200]. ودمشق آنذاك كانت عاصمة دولة الأراميين التي كانت قد أُسقطت بيد الآشوريين سنة 732 ق.م. ومنذ سنة 64 ق.م. دخلت تحت الحكم الروماني كمقاطعة باسم سوريا. ولكن دمشق أخذت بنوع خاص امتيازاً مدنياً مع عشر مدن في سوريا وعبر الأردن المعروفة بالعشر المدن (انظر مر 20:5، 21:7). غير أن ملك النباطيين العرب الذي كان يملك من خليج العقبة حتى إلى ما حول دمشق كانت له بعض السلطة في دمشق نظراً لكثرة رعاياه في المدينة[201].

والمعروف أنه كان يوجد آنذاك في دمشق عدد كبير من اليهود، وذلك على ضوء الحقيقة التي تسجَّلت بعد ذلك أن ما بين عشرة آلاف إلى عشرين ألف يهودي ذُبحوا في دمشق سنة 66 م، والذي سجَّل ذلك هو يوسيفوس المؤرِّخ. فقد سجَّل عشرة آلاف في مناسبة، وفي أخرى قال إنهم كانوا 18 ألفاً[202]، وذلك في بداية الحرب السبعينية. ومن هذا يستفاد أنه كان لهم هناك عدة مجامع يهودية وسلطات عالية غير عادية.

والمُلاحَظ أن بولس الرسول يصف اسم المسيحيين في ذلك الحين «بالطريق» وذلك في مواضع عديدة كما في هذه الأيات 9:19و23؛ 4:22؛ 14:24و22؛ 17:16؛ 25:18. وكان هذا الاسم من تسمية المسيحيين أنفسهم تعبيراً عن انتمائهم للمسيح «**الطريق** والحق والحياة»

ولكن يبدو أن المسيحيين في دمشق كانوا مستوطنين وليسوا من الهاربين، لأن حنانيا الرجل القديس الذي عمَّد بولس هو مواطن دمشقي وله علاقة وثيقة بالرب. ويبدو أنه كان أحد التلاميذ الذين تبعوا يسوع[203]، ولا بد أنه كان له عمل في تبشير تلك النواحي. وبولس اعتمد في بيت أحدهم، وبعد ذلك انضم إلى جماعتهم وخدم معهم. فالمسيحيون في دمشق لم يكونوا قلّة، لأن أثر يوم الخمسين قد بلغ حتى إلى كل تلك النواحي المحيطة.

---

(200) Bruce, II, p. 193, N.9., 194.

(201) Ibid.

(202) Josephus, *Jewish War*, ii. 20. 2 - vii. 8.7.

(203) Rackham *op. cit., p.* 129.

علماً بأن مسيحيي دمشق كانوا كلهم أصلاً يهوداً، وكانوا لا يزالون ملتصقين بالمجامع. وحتى حنانيا نسمع أنه كان مشهوداً له من اليهود أنفسهم (أع 12:22). ويبدو أن تأثير تبشير هؤلاء

اليهود المتنصرين كان شديداً للغاية، وهذا هو الذي بلغت أخباره إلى شاول والسنهدريم. ورأوا أنه كما نجح شاول في تشتيت الكنيسة في أورشليم أرسلوه ليكمِّل المهمة في دمشق، بخطابات توصية لرؤساء هذه المجامع.

حادثة طريق دمشق التاريخي[204]
"الرب من السماء"
نور أشد لمعاناً من الشمس

- كانت آخر علاقة للقديس الشهيد استفانوس مع المسيح أن رآه في السماء!
- وصارت أول علاقة لشاول (المدعو بولس) مع المسيح هو حينما رآه "الرب من السماء".
- وكأنها تسليم وتسلُّم!

5-3:9 «**وفي ذهابهِ حَدَثَ أنَّهُ اقتربَ إلى دِمِشقَ فبغتَةً أبرقَ حولهُ نُورٌ مِنَ السماء. فسقط على الأرضِ وسَمِعَ صوتاً قائلاً لهُ شاولُ شاولُ لِماذا تَضطهِدُني. فقالَ مَنْ أنتَ يا سيِّدُ، فقالَ الربَّ أنا يسُوعُ الذي أنتَ تضطهِدُه، صَعْبٌ عليكَ أن ترفُسَ مَنَاخِسَ**».

كانت رحلة أعدَّ لها شاول كل ما في قدراته من خطط ليُسكت صوت الكنيسة في كل مكان، فنجاحه في أورشليم وسَّع دائرة طموحاته. خرج من أورشليم وهو لا يعلم أنه لن يعود إليها يهودياً فرِّيسياً مرة أخرى، وأن كل خططه ستتبخَّر في الهواء وتتلاشى كالدخان.

كان اليوم من أيام الصيف الشديد القيظ والشمس محرقة وضوءها يعمي الأبصار.

والرحلة كانت مضنية وقد قاربت النهاية وأسوار دمشق في الأفق، وقد انتصف النهار. ولكن كان ضميره متعباً للغاية، فكل الأرواح التي أزهقها كانت تلاحقه بوجوهها الملائكية. ولكن ما كان يقلقه بالأكثر ولم يستطع أن يهرب من إزعاجها هو اعترافات هؤلاء القديسين وحبهم الطاغي للمسيح وأمانتهم التي كلفتهم حياتهم دون تفريط في عبادته تحت أقسى

(204) هذا الحادث الهام في تاريخ المسيحية، قمنا بشرحه على مستوى شامل لجميع البيانات التي توفرت له في سفر الأعمال والرسائل وذلك في كتاب "*القديس بولس الرسول: حياته، لاهوته، أعماله*" (انظر صفحة 71).

العقوبات.   وهذا   الغريم

الخطر استفانوس، أين يهرب شاول من وجهه الملائكي واعترافه برؤية المسيح عياناً في السماء!

كانت هذه هي المناخس التي ما فتئت تنخس في ضميره نخساً وهو يرفضها ويشيح بوجهه عنها، ويكاد يرفسها رفساً ...

وفجأة وفي لحظة أزاحت السماء الستار عن ناظريه وبرز وجه الرب ببهاء نوره الطاغي، فانحسر نور الشمس واستظهر نور وجه الرب عليها بعينيه الملتهبتين اللتين اخترقتا كل كيانه، فوقع على الأرض هو وكل الركْب معه. والقديس يوحنا اللاهوتي يقص نفس الاختبار: «ووجهه كالشمس وهي تضيء في قوتها. فلمَّا رأيته **سقطت عند رجليه كميت.** فوضع يده اليمنى عليَّ قائلاً لا تخف ...» (رؤ 1:17). أمَّا هو فسمع الصوت الذي يخاطب ضميره المعذَّب: «شاول شاول لماذا تضطهدني» (بلغته العبرانية (أو الأرامية) التي ترجمها د.هـ. دالمان[205] هكذا: "شاول شاول ما إتْ راديفيني = Sha'ul Sha'ul ma att radephinni ".

فردَّ شاول: «مَنْ أنت يا سيد» لأنه ظنَّ أن الصوت صوت إنسان فإذا به يُصدَم الصدمة التي أفاقته: **«أنا يسوع الذي أنت تضطهده»!** وهكذا انقشعت كل الشكوك التي راودته عن يسوع وظهرت الحقيقة كالشمس في منتصف النهار. ثم صوت التأنيب الذي يزكي صراخ ضميره ويزكي صراخ قتلاه والذين عذَّبهم: **«صعب عليك أن ترفس مناخس».** أنا أنا الذي كنت أوقظ ضميرك بلا جدوى وأوبِّخك بلا طائل وأحذِّرك بلا فائدة، وأنت سادر في غَيِّك ومنساقٌ في جهالتك.

«شاول شاول لماذا تضطهدني»:

هذا أسلوب الله في النداء «إبراهيم إبراهيم» «موسى موسى» «صموئيل صموئيل» « مرثا مرثا» «سمعان سمعان» «شاول شاول» وراء النداء المزدوج دائماً رسالة تشجيع أو تحذير أو استعلان أو رثاء.

ويُقال إن قديس الهند المسيحي المشهور صادهو ساندر سنغ Sadhu Sundar Singh وهو من ديانة السيخ، ظهر له المسيح وخاطبه نفس الخطاب بلغتة: [إلى متى تضطهدني][206]

(205) Bruce, II, p. 194.

(206) Bruce, I, p. 198.

بعد أن تمادى في معاداته للإنجيل بكل قوة، فبينما كان يصلّي في الصباح إذا نور أضاء وفي وسط النور ـ كما يقول هو بفمه ـ «رأيت الرب يسوع نفسه وحدَّثني» !

«مَنْ أنت يا سيد»:

هذا السؤال بوضعه هذا يفيد تماماً أن شاول لم يصل بعد إلى حقيقة المتكلّم، فالرب لا يقال له «**أنت**» في الأدب العبري. ولكن المتكلّم وافق في وداعة على أنه على مستوى «**أنت**»، وأجاب الإجابة التي فتحت بصيرته في الحال وردَّت على آلاف الأسئلة المحيِّرة التي أقلقت روحه كل الأيام السالفة: لعله يكون هو المسيَّا؟ لا يمكن، إنه لا يحفظ الناموس؛ لعله يكون هو المسيَّا؟ لا يمكن إنه لا يحفظ السبت؛ لعله يكون هو المسيَّا؟ لا يمكن، إنه يتعالى على إبراهيم وموسى. لا يمكن، لا يمكن.

«أنا هو يسوع الذي أنت تضطهده»:

إذاً، فقد قتلتُ استفانوس! وآذيتُ قديسي العلي! وأتلفتُ الكنيسة وعاديتُ المسيَّا وأحزنت قلب الله!! يا ويحي أنا الإنسان الشقي مَنْ ينقذني من هذا الموت الذي هو أشد من الموت!

«صعبٌ عليك أن ترفس مناخس»:

إذاً، هو الذي كان يكلّمني ويحذرني ويلومني وصوته هو الذي عذّب ضميري!

6:9 «**فقالَ وهو مُرتَعِدٌ ومُتحيِّرٌ يا ربَّ ماذا تُريدُ أن أفعَلَ. فقالَ لهُ الربَّ قُم وادخُل المدينة فيُقالَ لكَ ماذا ينبغي أن تفعلَ**».

الملفت للنظر بصورة شديدة للغاية، أن شاول دخل في حوار علني مع الرب في السماء يسمع ويُجيب، ويسأل ويُجاب. المسألة ليست وهماً ولا حالة صرع كما يقول العلماء، ولا هي حالة داخلية تهيأ له فيها ما تهيأ، بل نور من السماء أوقعه أرضاً وصوت يتحدَّث عن ماضٍ يتقطّر دماً ومؤاخذة، وتحذير ثم قيادة وتدبير. هذا هو الوعي الكامل فوق الوعي المنحصر بالعقل، وعي ذهني وفكري، وحواس ووعي بالسماء المفتوحة والرب من السماء يتكلّم. نحن هنا أمام أقوى التحام تمَّ بين إنسان خاطئ معاند مُفْترٍ وبين السماء وقلب الله، والمسيح يختار ويقدّس لنفسه إناءً أهان نفسه وأهان الكنيسة وأهان الرحمة والتعقُّل، ليجعله إناءً مختاراً له.

وبالمقابل نقول من جهة ق. بطرس، بالألغاز تكلّم مع «الله» وليس المسيح المستعلن، في لغز ملاءة مدلاّة ووحوش وطيور تُرفع وتُدلّى، وصوت من ورائها يتكلّم باللغز. ولكن هنا نحن أمام وجه لوجه وحوار مفتوح وتدبير ووعد بأن كل شيء قد ترتب وسيُعلن الواحد

بعد الآخر.

كل هذا وبولس منطرح على الأرض غير قادر على الحركة، وفاقد البصر من شدة النور الإلهي الذي اصطدم بالظلمة التي فيه ممثّلةً في عينيه!

7:9و8 «وأمَّا الرجالُ المسافرونَ معهُ فوقفوا صامتينَ يسمعُونَ الصَّوتَ ولا ينظرُونَ أحداً. فنَهَضَ شاولُ عنِ الأرضِ وكانَ وهوَ مفتوحُ العينينِ لا يُبصِرُ أحداً، فاقتادوهُ بيدِهِ وأدخلُوهُ إلى دمشقَ».

في البداية عند ظهور النور السمائي فجأة وقعوا جميعهم على الأرض، ولكن هؤلاء قاموا بعد زوال الصدمة. وهذه أيضاً تضاف على مدى شدة تأثير الحادث على أجسامهم وحواسهم جميعاً. إذاً، فهي ليست حادثة داخلية دخل فيها بولس وحده، بل حادث اهتزت له كل الأجسام والحواس، بل اهتزت له الكنيسة على مدى العصور!

بولس وقع مثلهم فاقد البصر، أمَّا هم فسمعوا الصوت، وأمَّا المسيح فلم يروه، لأن ظهوره هو ظهور استعلاني يظهر لمَنْ يريد المسيح أن يعلن له نفسه، فهو ظهور في حالة قيامة تكملةً للظهورات التي بدأها بعد القيامة من الأموات في اليوم الثالث. فهو ظهور خاص ببولس وحده: «وآخر الكل كأنه للسقط ظهر لي أنا» (1كو 8:15). لذلك أصبح بولس في الحال:

1 ـ مُعتبَراً شاهداً لقيامة الرب من بين الأموات.

2 ـ ومكلَّفاً بالشهادة للقيامة التي رآها.

3 ـ ومحسوباً من الأخصاء الذين اختارهم الرب ليُظهر لهم ذاته.

4 ـ كما دخل في علاقة شخصية مع الرب الذي ظهر له من السماء.

5 ـ وظهور الرب له في حالة القيامة كان بادرة تعني أن الله سيعلن له كل ما فات من قصة حياته السابقة على الأرض حتماً وبالضرورة:

(أ) الولادة من امرأة تحت الناموس. (ب) بحلول ملء اللاهوت جسدياً.
(ج) والظهور في هيئة عبد. (د) والطاعة حتى الصليب.
(هـ) وآلام وشدائد الرب بالجسد. (و) والموت.
(ز) والدفن في القبر. (ح) والقيامة بقوة الله.
(ط) واستعلان بنوة الله.

«يسمعون الصوت»:

صوت مجرَّد غير واضح المعالم والكلمات، لأنه مُرسل لبولس وحده، تماماً كمثل ما حدث حينما قال الرب: «أيها الآب مجِّد اسمك، فجاء صوت من السماء مجَّدتُ وأُمجِّد

أيضاً. فالجمع الذي كان واقفاً وسمع قال قد حدث رعد. وآخرون قالوا قد كلّمه ملاك» (يو 12: 28و29). فهنا الكلام من السماء كلام حقيقي ولكن ليس لأحد أن يُفسِّر إلاّ المرسَل له.

8:9 «**فَنهَضَ شاوُلُ عِنِ الأرضِ وكانَ وهوَ مفتُوحُ العينينِ لا يُبصِرُ أحداً، فاقتادوه بيدهِ وأدخلوهُ إلى دمشقَ.**»

ما أصدق هذا الوصف، فهو طِبْق الأصل نقرأه في كل حادث تكلم فيه الله أو ملاك إلى إنسان. فلكي ينفتح الوعي الروحي العالي ليتقبَّل الكلام الفائق عن الكلام الطبيعي، **لابد** أن يفقد الإنسان حواسه الجسدية وانتباهه الجسدي حتى يستقبل ما هو فوق الطبيعي، ففقدُ البصر الوقتي الذي حدث لبولس كان حتميًّا لكي يستطيع البصر الروحي بالوعي الفائق للطبيعة أن يطّلع على وجه المسيح بكل دقائقه الإلهية ويتعرَّف عليه تعرُّف الحق للحق والنور للنور «بنورك يا رب نعاين النور» (مز 9:26 حسب السبعينية). أمَّا الكلام فلا يحتاج لفقدان السمع الطبيعي لأنه كلام يختص بالجسد والحركة على الأرض وعليه أن يسمعه كما هو لينفّذه كما هو. ولكن من الجهة الأخرى نسمع من بولس أنه فقد وعيه بالجسد نهائياً بحواسه كلها «أفي الجسد لست أعلم أم خارج الجسد لست أعلم» (2كو 2:12)، لكي تستطيع الروح أن تُرفع إلى السماء لترى **وتسمع** كلاماً لا يسوغ أن يُنطق به لأنه كلام لا يختص بالجسد أو الأرض.

كل هذه الوثائق المختبرة والمعروفة لدى الروحيين توثّق بصورةتلقائية صدق كل هذه الرواية صدقاً لا يشوبه أي تأليف أو إدعاء كما يهذي العلماء. وبولس نفسه يعترف بذلك بعدئذ قائلاً:

+ «وإذ كنت لا أبصر من أجل بهاء ذلك النور اقتادني بيدي الذين كانوا معي فجئت إلى دمشق.» (أع 11:22)

واقتادوا ذلك الجبَّار الذي زلزل الكنيسة هنا وهناك وأينما حلَّ، اقتادوه وهو يتلمَّس بعصاه الطريق صامتاً لا يتكلّم بل لا يأكل ولا يشرب، حتى أدخلوه بيت يهوذا في الطريق الذي يُدعى المستقيم (درب المستقيم الآن)، والذي لا تزال آثاره باقية ومدخله تحت قوس كبير. وانزوى شاول في ركن الغرفة التي نزل فيها ثلاثة أيام متوالية يستعيد ويستعيد، يستعيد كل شيء، كل يوم، كل حادثة في الماضي البعيد والقريب: مِنْ ذلك الذي رآه وسمعه على الطريق، والوجه المضيء المتلألىء بالمجد، يسوع ...، ثم استفانوس وكل ضحاياه الأخر، ثمَّ فرّيسيته التي انتهت إلى مقاومة الحق من أجل الحق، وكيف أن الحق الذي حارب عنه كان هو الضلالة الحقيقية عن الحق، ثم غمالائيل، والناموس، وموسى،

والأنبياء، وإبراهيم، وكأن لسانُ حاله يقول:

"ما هذا الذي حدث؟؟ لابد أن أعيد كل ما عرفت وأعيد كل ما آمنت به على ضوء هذا الوجه الأمين الصادق الرب من السماء!! أكان هذا هو المسيا ونحن صلبناه؟ يا للهول، أهذا هو الفادي ونحن دفنّاه؟ فرحنا بموته وانزعجنا من قيامته فقلبنا على رؤوسنا الوعد وحوّلنااه إلى لعنة؟

وزدنا على لعنتنا كل هذه الدماء البريئة؟ حملناه على رؤوسنا فزادتنا بعداً على بعد حتى تأوه المسيح من السماء لما آذينا جسده في هؤلاء القديسين.

إلى هنا!! وهل بقيتْ لي توبة؟ هل يرضى بي الرب مؤمناً؟؟"

(ب) إرسال حنانيا إلى شاول (9: 10-19):

السماء تتحرَّك على جبهتين لتحاصر الإناء المختار لحمل رسالة الأمم:

كان هذا من ناحية يحدث على طريق دمشق، وحلقته الثانية في بيت يهوذا ذلك الإنسان اليهودي المتنصِّر في حارة اليهود حيث شاول يدعو ويصلّي حتى يغفر الله ما حدث ويقبله المسيح مؤمناً وينير قلبه ليفهم ما جرى. وهو صائم لا يريد أن يزدرد طعاماً، ولا شراباً. والنفس مُرَّة، والروح جفَّتْ تطلب إصبع إبراهيم (انظر لو 24:16). وما كاد يفرغ من صلاته حتى أحس برؤيا غير عينية بالوجه المنير يطمئنه، وبرجُلٍ اسمه حنانيا يدخل عليه ويضع يده على عينيه ليُشفى. وهكذا بدأت السماء مرة أخرى تُضِيء قلبه بمستقبل العلاقات التي لن تنقطع بين الرب من السماء وعمله الجديد.

ومن الناحية الأخرى في المقابل، حنانيا يبشر باسم المسيح من بيت إلى بيت. وإذا السماء تنفتح أيضاً والصوت الذي كلَّم شاول على الطريق يفتح الخط على حنانيا.

9:10-16 **«وكانَ في دمِشْقَ تلميذٌ اسمُهُ حنانيَّا، فقالَ لهُ الربَّ في رؤْيا: يا حنَانيَّا. فقالَ: هأنذا يا رَبّ. فقالَ لهُ الربَّ قُمْ واذهبْ إلى الزَّقاق الذي يُقالُ لهُ المُستَقِيمُ واطلُبْ في بيتِ يهُوذا رجُلاً طرسُوسيًّا اسمُهُ شاوُلُ، لأنَّه هوذا يُصلِّي وقد رأى في رؤيَا رجُلاً اسمُهُ حنانيَّا داخلاً وواضعاً يَدَهُ عليهِ لكي يُبصِرَ. فأَجَابَ حنانيَّا يا ربَّ قد سَمِعتُ مِنْ كثيرينَ عن هذا الرَّجُلِ كَمْ مِنَ الشَّرور فَعَلَ بقدِّيسيكَ في أُورشليمَ. وهَهُنَا لهُ سُلطَانٌ مِنْ قِبَلِ رؤُساءِ الكَهَنَةِ أن يُوثِقَ جميعَ الذينَ يَدعُونَ باسمِكَ. فقالَ لهُ الربَّ اذهبْ، لأن هذا لي إناءٌ مختارٌ ليحملَ اسمي أمامَ أُممٍ وملوكٍ وبني إسرائيلَ. لأني سأُريهِ كَمْ ينبغي أن يتألَّمَ مِنْ أجل اسمي».**

هكذا كانت السماء تتخاطب على الخطين لتوصِّل هذا بذاك بطرق لا تخطر على قلب بشر.

منذ استشهاد استفانوس ونحن نسمع الأعاجيب. لقد دخلنا بالفعل في أجمل وأحلى أيام

العهد القديم حين كانت السماء تُفتح بكلمة وبكلمة تُغلق. تمطر أو تكفّ عن المطر برأي وفكر وكلمة إنسان! وحين كان إذا عزّ على الإنسان أن ينتقل على رجليه، فالروح يحمله إلى حيث يريد. حين

كان الخشب يلتقط الحديد من قاع النهر، والسم يلغي سطوته حفنة دقيق، وحين يطلب الإنسان ناراً من السماء لتبتلع أُورُطة من جنود الجيش وتتكرر الحادثة إذا لزم الأمر.

وباختصار كانت السماء قد فرَّطت في قوانينها الحتمية وسلّمتها ليد الإنسان ليستخدمها كما يشاء بلا مانع. فبعد ما رأينا أعاجيب فيلبُّس وهي لا زالت تُجرى، نجيء إلى شاول فنراه يتعقَّب القديسين ليقتلهم، وإذا بالرب يتعقَّبه ليختاره رسولاً خاصاً له.

ثم نراه وهو سائر على طريق دمشق يدبِّر خطط القبض لإيداع فرائسه السجن، اصطاده الرب وقبض عليه ليودعه ملكوته ليدبِّر معه خطط خلاص أمم وملوك وشعب إسرائيل.

وإذ فقد بصره وصار في ظلام كان ذلك إعداداً له ليُخرج الأمم من الظلمات إلى النور.

وبينما شاول يرى في رؤيا رجلاً اسمه حنانيَّا آتياً وواضعاً يده على عينيه ليُشفى، مجرَّد رؤيا، كان الرب يقول لحنانيا اذهب إلى شاول لأنه الآن يرى رؤيا: يراك داخلاً وواضعاً يدك على عينيه للشفاء، فدخل حنانيا على شاول، وشاول رآه داخلاً قبل أن يدخل!! وحنانيَّا عازم على وضع يده، وشاول رآها موضوعة قبل أن توضع!! فشُفي شاول، وكان قد رأى أنه قد شُفي!! كل هذه الأعاجيب كانت بالنسبة لشاول مناهج تعليم جديدة ليُخرجه من حبس وقيود الناموس إلى عمل الروح الحرّ البديع الذي لا يخضع لناموس ولا قانون ولا نظام ولا معقول. لأن الروح يخدم الروح، والروح حرّ تماماً كالله.

أمَّا لماذا ظهر الرب لشاول من السماء، فذلك لكي يَعْلم بولس ويُعلّم أن مصدر تعليم العهد الجديد ليس من سيناء بل من السماء.

أمَّا لماذا ظهر له وجه الرب أكثر لمعاناً من الشمس وفي وقت الظهيرة، فذلك ليعلم أن لمعان وجه موسى حينما تلقَّى الشريعة غطّاه ظِلُّ شمس البر من السماء ليظهر الإنجيل في ملء بهاء مجد الله وشعاع نور لاهوته.

«فأجاب حنانيا:

يا ربَّ قد سمعت من كثيرين عن هذا الرجل كم من الشرور فعل بقديسيك...»:

إذاً، فحنانيا لم يكن هارباً مع المسيحيين الذين هربوا من أورشليم، بل وأنه ليس مواطناً من أورشليم، وغالباً هو يهودي من دمشق تنصَّر بفاعلية يوم الخمسين حينما كان في العيد ورأى وسمع بطرس وتاب واعتمد وذهب يبشِّر في دمشق.

ويصفه بولس الرسول قائلاً:

+ «ثم إن حنانيا رجلاً تقيًّا حسب الناموس ومشهوداً له من جميع اليهود السكّان، أتى إليَّ ووقف وقال لي: أيها الأخ شاول أبصر. ففي تلك الساعة نظرت إليه. فقال: إله آبائنا انتخبك لتعلم مشيئته وتُبصر البار (يسوع المسيح) وتسمع صوتاً من فمه. لأنك ستكون له شاهداً لجميع الناس بما رأيت وسمعت. والآن لماذا تتوانى. قُم واعتمد واغسل خطاياك داعياً باسم الرب.» (أع 22: 12-16)

«لأن هذا لي إناءٌ مختارٌ»: skeàoj ™klogÁj، وباللاتينية vas electiones

ولقد فهم بولس الرسول هذا الاصطلاح فهماً عميقاً: فعبَّر عنه هكذا:

+ «ولكن لمَّا سَرَّ الله الذي أفرزني من بطن أمِّي ودعاني بنعمته ...» (غل 1: 15)

وهنا نحن مرَّة أخرى داخلون في سِمات العهد القديم، فالكلام هنا مرادف لما قاله الله عن إرميا النبي:

+ «فكانت كلمة الربِّ إليَّ قائلاً: قبلمَا صوَّرتُك في البطن عرفتُك (مختار) وقبلما خرجتَ من الرحم قدَّستك (أفرزتك) جعلتك نبيًّا للشعوب (الأمم) ... لا تخف من وجوههم لأني أنا معك لأُنقذك يقول الرب. ومدَّ الرب يده ولمس فمي وقال الرب لي ها قد جعلتُ كلامي في فمك.» (إر 1: 4و5و8و9)

وظل بولس متمسِّكاً بهذه الكلمة التي قالها لحنانيا: «هذا إناءٌ مختارٌ ليحمل اسمي أمام أمم وملوك وبني إسرائيل» كسمة ولقب ووظيفة ورسالة و"كارت" (بطاقة) مرور لكل الشعوب: «بولس عبد ليسوع المسيح **المدعو رسولاً** المفرز لإنجيل الله ... لإطاعة الإيمان في جميع الأمم!!» (رو 1: 1و5)

«سأُريه كم ينبغي أن يتألَّم من أجل اسمي»:

وهذه الآلام التي لم يكن لها مثيل قط في كل مَنْ أرسله الله ليكرز باسمه، وإن كانت كما علم بولس وتأكد تخليص ذنب ومذاقة مختارة تتناسب مع ما أذاقه من مرارة لمئات وربما ألوف من قديسي الله وقديساته!! إلاَّ أنه بمهارة الكارز وبحذق فهم معنى حمل الصليب حوَّلها كلها لحساب امتيازه!! عن الجميع!! بل وعن باقي الرسل أجمعين اسمعه يقارن بينه وبين الرسل:

+ «أهُم عبرانيون فأنا أيضاً ... أهُم خدام المسيح، أقول كمختل العقل، **فأنا أفضل.** في الأتعاب **أكثر**، في الضربات **أوْفر**، في السجون **أكثر**، في الميتات **مراراً كثيرة ...**

»(2كو 11: 22و23)

بل عاد واتخذ آلامه الكثيرة فرصة للافتخار جاعلاً آلامه منسوبة إلى الكنيسة، لأنه فعلاً تألَّم لتنمو هي واضطُهد لتنتعش وسُحق لتتحرَّرَ، وتمرَّرت حياته من الداخل والخارج لتفرح الكنيسة بلاهوتها وعلمها واستعلاناتها، وتتهلَّل. فلمَّا وجد أن آلامه آلت إلى مجد الكنيسة اجترأ وقال:

+ «الذي الآن أفرح في آلامي لأجلكم وأكمِّل نقائص شدائد المسيح في جسمي لأجل جسده الذي هو الكنيسة.» (كو 1:24)

ولكن كان الرب بقدر ما يكيل له الآلام بقدر ما كان يحوِّلها في قلبه وفكره إلى عزاء يتحوَّل إلى إنجيل وبالنهاية صارت آلام بولس مصدر عزاء العالم وجزءاً لا يتجزأ من إنجيل الخلاص.

يا له من مجدا! فمَنْ ذا يتألم ويلتفت إلى بولس، ثم يعود ليذكر آلامه. أو مَنْ ذا يتعذَّب ويُسجن ويُضرب ويُهان من أجل الإيمان ويتذكر بولس ثم لا يتهلل! لقد تقدَّم بولس وصار سابقة يُقاس عليها أقسى الآلام من أجل الإنجيل فتهون على أصحابها.

لقد كان بولس كعرق نَبَتَ من جذر الصليب حاملاً سِماته أيضاً في جسده!!

وقفة قصيرة

ما رأيك أيها القارئ العزيز في "**المسيح**" هذا بعد "**معاملته**" هذه في "**شاول**" هذا؟؟

شاول ينكِّل بأولاده ويُذيق قديسيه العذاب، ويرجم شهيده حتى الموت، ويجرّ النساء القديسات مع الرجال إلى السجن، ويعاقبهم حتى الموت، ويجدِّف على اسمه ألف مرة في اليوم، ثم يدعوه المسيح بكل لطف ويختاره إناءً مكرَّماً يحمل اسمه إلى أمم وملوك!! نعم ما رأيك أيها القارئ العزيز في هذا المسيح؟ ما رأيك الخاص في شخصيته؟ وفي أسلوبه في التعامل مع خصومه؟

ماذا تتصوَّر في قياس قامته وعمقه واتساعه، هل يمكن أن يدانيه بشر؟ هل يمكن أن يكون له قلب إنسان؟ أو فكر إنسان؟ خاصة وأنه في السماء ومن السماء يتكلَّم ويعمل؟

إذاً، إن قرأتَ لبولس ما كتبه عن المسيح ولاهوته وربوبيته ومجده فاعلم أنه يكتب عن

رؤيا صافية جداً وأمانة دقيقة. إذ لم يحدث في عالم الإنسان قاطبة أن إنساناً أساء بأشنع الإساءات وعادى بأقسى العداوات وحارب بأضرى المحاربات إنساناً حسبه إنساناً فإذا هو الإله وابن الله،

فجازاه هذا أعظم المجازاة وقرَّبه إلى نفسه أقصى القربى بل جعله واحداً مع نفسه وأقامه رسولاً على كل ملكه وأغدق عليه من النعم والمواهب ما لم يُعطِ لآخر ... وهكذا أثبت المسيح لبولس وفي بولس وللعالم كله مَنْ هو المسيح!! بل مَنْ هو الله!! لأنه لم يظهر في العالم على مدى تاريخه شخصية أرضية أو سماوية أعطتنا صورة حقيقية عن الله إلاَّ المسيح!

17:9 **«فمضَى حنانيَّا ودخَلَ البيتَ ووضعَ عليهِ يديهِ وقالَ أيُّها الأخُ شاولُ قد أرسلني الربَّ يسوُعُ الذي ظَهَرَ لك في الطريق الذي جئتَ فيه لكي تُبصِرَ وتمتلِئَ من الروح القُدُس».**

يُلاحِظ القارئ هنا أن هذا كان بأمر الرب من السماء، فهذا طقس رسمي في الكنيسة يحمل سرّ إعطاء الروح القدس. وهنا حدث أمران في وقت واحد: امتلأ شاول من الروح القدس وانفتحت عيناه. ويُلاحَظ أيضاً أن حنانيا ليس رسولاً، ولكن يُقال إنه تلميذ، ربما من تلاميذ الرب الكثيرين الذين تبعوه أيام كان يكرز على الأرض. فهنا لم يكلّف الله رسولاً من الرسل في هذه المهمة الخطيرة. إذاً، اختيار شاول ثم وضع اليد عليه وتعيينه رسولاً أمر خطير في الطقس والقانون الكنسي. فتعيين شاول رسولاً بأمر الرب كباقي الرسل ولخدمة جديدة تختص بكافة الشعوب والأمم يعادل في مستواها الكرازي الكنسي يوم الخمسين، فهو تكميل رسمي لأمر الرب بالذهاب والكرازة إلى أقصى الأرض. فالرسل اختُصُّوا بأورشليم واليهودية والسامرة وبولس اختُصَّ بالعالم وإلى أقصى الأرض.

«الرب يسوع»: Ð KÚrioj ¢pšstalkšn me, 'Ihsoàj Ð Ñfqe…j soi

لم تأتِ هكذا باليوناني ولكن جاءت بمعنى الرب الذي هو يسوع هكذا: «الرب أرسلني (الذي هو) يسوع الذي ظهر لك ...» فهنا توجيه لذهن شاول وفي نفس الوقت اعتراف وشهادة من حنانيا بأن «الرب» هو «يسوع» وليس العكس، وذلك تأكيداً لاستعلان شخص يسوع الرب، بمعنى أن الرب الذي نعبده ظهر أنه هو يسوع.

«قد أرسلني الرب يسوع الذي ظهر لك في الطريق»:

انتبه أيها القارئ: هنا عملية تأكيد للرؤيا خارجة عن نطاق فكر بولس وشهادته، هنا شهادة صادرة من رجل عاش في دمشق أُعلم بواسطة الرب ما حدث لشاول في الطريق، كما حدث تماماً بشهادة الرب يسوع نفسه. فهنا إعادة رواية حادث دمشق من شاهدين الأول

هو الرب يسوع نفسه من السماء لحنانيا، والثاني حنانيا الذي تقبَّل شهادة الرب يسوع برؤيا ليقولها لشاول ليتأكد شاول أن ما حدث له هو صحيح وهو من الرب يسوع، ولنا أيضاً لنتأكد نحن من صدق شاول في

روايته ومن كل ما حدث لشاول من الرب نفسه عن طريق حنانيا. فهنا شهادة ثلاثة شهود لذلك تحتَّم التصديق. ولكن العلماء لا يصدِّقون ويقولون إن شاول كان مصاباً بالصرع!!

هنا حدثت "رسامة رسول" بطريق مباشر من السماء إنما منقولاً على فم وعلى يد تلميذ. وواضح غاية الوضوح اعتناء الرب يسوع أن تكون رسامة شاول رسولاً من فمه مباشرة، لأنه رسوله مباشرة وليس عن طريق رسول، **حتى لا يكون شاول أقل من رسول،** وحتى تكون خدمة بولس فيما بعد تحت عناية وتدبير الرب مباشرة وليس عن طريق وسيط. فيد حنانيا ونُطق فمه تُحسب أنها وضع يد المسيح ونُطق من فمه لأنها بتكليف مباشر منه. وحنانيا يبرِّئ ذمته من أنه ليس وسيطاً ولكنه مُبلِّغٌ أمراً وناقل تكليفاً بقوله: «قد أرسلني الرب يسوع الذي ظهر لك في الطريق الذي جئت فيه لكي تبصر وتمتلئ من الروح القدس»

وعلى أساس هذا الذي تمَّ كما شرحناه تماماً، يؤكد بولس أنه رُسِم رسولاً لا من الناس ولا بواسطة إنسان ما بل بالمسيح رأساً: «بولس رسولٌ **لا من الناس ولا بإنسان،** بل بيسوع المسيح والله الآب الذي أقامه من الأموات» (غل 1:1)، كذلك لم يتقبَّل الإنجيل بكل ما فيه من إنسان!! «وأُعرِّفكم أيها الإخوة الإنجيل الذي بشَّرت به **أنه ليس بحسب إنسان،** لأني لم أقبله من عند إنسان ولا عُلِّمتُهُ، بل بإعلان يسوع المسيح.» (غل 1:11و12)

بل ويزيد أنه بالنسبة لكنيسة أُورشليم فهو لم يكن عضواً فيها ولا صديقاً لأعضائها بل بالعكس تماماً اضطهدها واضطهد رسلها أجمعين وبدَّد وشتَّت رعيتها. ورغماً عن ذلك اختاره الرب ليس منذ وقت الرؤيا بل وحتى وهو في بطن أمّه:

+ «فإنكم سمعتم بسيرتي قبلاً في الديانة اليهودية أني كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأُتلفها، ... ولكن لمَّا سَرَّ الله الذي أفرزني من بطن أمي ودعاني بنعمته أن يعلن **ابنه** فيَّ لأُبشِّر به بين الأمم، للوقت لم استشر لحماً ودماً، ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلي، بل انطلقت إلى العربية ثم رجعت أيضاً إلى دمشق. ثم بعد ثلاث سنين صعدت إلى أورشليم لأتعرَّف ببطرس فمكثت عنده خمسة عشر يوماً. ولكنني لم أرَ غيره من الرسل إلاَّ يعقوب أخا الرب.» (غل 1: 13-19)

هذه هي سيرة شاول المدعو بولس وكيف صار رسولاً من المسيح والله رأساً فيما يختص بالأمم. كما قال هو نفسه: «فإن الذي عمل في بطرس لرسالة الختان عمل فيَّ أيضاً

للأمم» (غل 2:8). ليس لأن بولس يقود كنيسة أخرى أو إنجيلاً آخر، إذ هو نفسه الإنجيل ونفس الكنيسة،

ولكن لبشارة الأمم:

+ «فإذ علم بالنعمة المعطاة لي يعقوب وصفا ويوحنا المعتبرون أنهم أعمدة، أعطوني وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم وأمَّا هم فللختان.» (غل 2:9)

ولكن قد يسأل سائل، فأي طقس كنسي يتبعه بولس الرسول رسمياً، أي مِنْ يد مَنْ استلم سلطان الكنيسة والتعليم الذي سلَّمه المسيح للاثني عشر؟ للجواب على هذا مهَّد القديس لوقا بالمعلومات المتوفرة لديه في قصة فيلبس وحنانيا، بإظهار بروز طقس **"النبوَّة"** في الكنيسة المرافق والموازي والمعادل للرسولية، باعتباره مُسَلَّماً من الله وليس بوضع يد الرسولية. فرأينا في القديس فيلبُّس طقس كرازة حرَّة كاملة وناجحة وممتدَّة اعترف بها الرسل، ووضعوا ختمهم عليها في السامرة. كذلك رأينا في حنانيا طقس كرازة حرَّة وناجحة بعيدة عن مركز أُورشليم ومنفصلة عنها.

من هنا كان عمل حنانيا بالنسبة لبولس كونه ينقل رسالة سماوية من المسيح رأساً وبالفم إلى شاول باعتباره نبيًّا رسميًّا، هنا يأخذ طقس رسامة بولس للرسولية صفة فائقة ورسمية طقسيًّا! علماً بأن حنانيا لم يُزِد ولم يُنقص عمَّا أعطاه المسيح في فمه لينطقه. وبذلك لا يُعتبر بولس ولا يُحسب أنه يتبع حنانيا في شيء، بل ولا يُقال إن حنانيا قدَّمه للرسولية أو حتى قام برسامته. لذلك وبكل يقين قال بولس: **«لا من الناس ولا بإنسان»**، لأن حنانيا لم يُعطِه الإنجيل، ولم يعطه الروح القدس من عنده، بل بمجرد أن وضع يده حلَّ الروح القدس بملئه من قِبَل الرب، بل ولا حتى علَّمه أو أعلمه بشئ مما للمسيح.

والذي أعطاه قوة الرسولية لقوة الكرازة ظل يعطيه وينمِّيه:

+ «وأمَّا شاول فكان يزداد قوة ويحيِّر اليهود الساكنين في دمشق محقِّقاً أن هذا هو المسيح (المسيَّا).» (أع 9:22)

وكم تدين الكنيسة لهذا النبي الهادئ الوديع المشهود له من اليهود والمسيحيين على حد سواء، المحسوب أنه صاحب أكبر دور في حياة أعظم رسول، الذي أحيا نفسه المنكسرة بعزاء صوته المملوء محبة ولطفاً وتكريماً، وشاول في أسوأ حالات بؤسه ينتظر تعليمات السماء فاقد البصر، صائماً عطشاناً مصلِّياً تائباً حزيناً: «أيها الأخ شاول قد أرسلني الرب يسوع الذي ظهر لك في الطريق ...» يا لها من بشارة فتحت كُوى السماء على بولس وعلى الكنيسة في بولس.

ولكن بقدر ما ظهر حنانيا هكذا فجأة عظيماً متألّقاً بدوره المميَّز، بقدر ما انحسر دوره بأسرع مما ظهر ليختفي ضمن جيش الأتقياء والأخصاء المقدَّسين الذين لا تعلم الكنيسة عنهم شيئاً:

+ «ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص.» (يو 3:30)

(ج) بولس يكرز في دمشق (9: 19-22):

18:9-20 «**فللوقتِ وقعَ مِنْ عينيهِ شيءٌ كأنَّه قشورٌ فأبصرَ في الحالِ وقامَ واعتمدَ، وتناولَ طعاماً فتقوَّى. وكانَ شاولُ مع التلاميذِ الذينَ في دِمشقَ أياماً. وللوقتِ جعَلَ يَكرزُ في المجامِعِ بالمسيحِ أنْ هذا هو ابن اللهِ**».

وكأني بهذه القشور توافه الناموس وقشور المعارف التي حجزت عن عينيه رؤية المسيح متجلّياً.

اللص عرفه على الصليب آتياً في ملكوته؛ والفرِّيسي المتمرِّس تحت رجلي غمالائيل أنكره بل جحده بل أهانه بل عذَّب أولاده حتى الموت.

هذه هي قشور عمى إسرائيل، فبمجرَّد أن وُضِعَتْ اليد حلَّ الروح فسقطت قشور الظلمة، ودخل النور، فأبصر بولس نور العهد الجديد، والنفس الجائعة شبعت من الخيرات المذخّرة، وتقوَّى وتشدَّد بالروح ودخل في عهد البنوَّة ودُعي بالاسم الذي جدَّف عليه، فحلّتْ عليه بركات البنين، والذئب صار حملاً وديعاً وأطعموه طعام الحملان بعد أن كانت شهوته الجيف، وقام وتبع القطيع بعد أن غيَّر رقطه، ودخل المجامع مبشّراً بالاسم محقّقاً أن هذا هو ابن الله!!

آه لو سمعه ـ شاول ذاك الزمان ـ شاول أمس، لخنقه بكلتا يديه. لذلك كم نادى بعد ذلك وكم توسَّل وكم حذَّر مما لم يَحْذَرْ منه هو «لا تحكموا في شيء قبل الوقت ...» (1كو 5:4). لقد حكم سابقاً ونفَّذ، وأفرط في الحكم وفي التنفيذ، وما فتئ حتى وقع الحكم عليه، ولولا لطف المسيح ووداعته لنفَّذ فيه ما حكم هو به، ولكن هيهات بين أحكام الناس وأحكام ابن الإنسان، ولهذا تعرَّفنا على المسيح أنه هو حقاً ابن الله.

«**وللوقت جعل يكرز في المجامع أن هذا هو ابن الله**»: Ð ufÕj toà Qeoà

يا للعجب أن ينطق بولس أول ما ينطق واصفاً "**المسيح ابن الله**". فكانت هذه أول مرَّة

يُذْكَرُ هذا اللقب في سفر الأعمال منذ أن حلَّ الروح القدس يوم الخمسين حتى اليوم الذي نطق فيه بولس أول ما نطق فوصف المسيح بأنه ابن الله بتحقيق! ثم العجب مرة أخرى، وهذا أعجب، أن تكون تسمية بولس للمسيح بأنه ابن الله هي أيضاً المرة الوحيدة التي وردت في سفر الأعمال!!

وهكذا يأتي التعليم الاهوتي لبولس الرسول عاجلاً صافياً عميقاً فائقاً. لقد عملت فيه الرؤيا ووجه المسيح المضيء من السماء عملاً استعلانياً كاشفاً ليس له نظير. وبهذا وبحسب تحقيق وعد إنجيل يوحنا، إذ قبل بولس المسيح ابناً لله نال هو بالتالي سلطاناً أن يصير واحداً من أولاد الله، فكيف لا يتعرَّف عليه في أبيه!

والغريب حقاً أن بولس يضع يده بل عينيه على حقيقة المسيح الأُولى لحظة دعاه المسيح وتحقق هو من الدعوة، إذ يقول عن نفسه، وفي قوله اعتراف وشهادة ببنوَّة المسيح لله أتاها عفواً:

+ «ولكن لمَّا سَرَّ الله الذي أفرزني من بطن أُمي ودعاني بنعمته أن **يُعْلَن ابنه** فيَّ لأبشِّر به ...» (غل 1: 15و16)

والحقيقة، يا عزيزي القارئ، أن المسيح في حياته كانت له سيماء العظمة المحتجبة وشكل الإله المخفى «حقاً أنت إله محتجبٌ يا إله إسرائيل المخلّص» (إش 15:45)، وله صورة مهيبة ولكن مستورة، وكأنه يسترها بيده حتى لا تُرى؛ كان تارة تفلت منه كلمات تنمُّ عن مِنْ أين أتى وإلى أين يذهب، وتارة يطرح نور حضرته على الواقفين فتأخذهم القشعريرة، وتارة يحسر نوره فلا يُرى إلاَّ عبداً متألِّماً باكياً فيعثر فيه المتكبرون. لقد ضاق به ذرعاً رئيس الكهنة فكانت هيبته ترعبه، وفي يوم باح بسرِّه الذي يخفيه فصارحه وطارحه بحذر وتوسُّلٍ: «أأنت المسيح ابن المبارك؟ فقال يسوع أنا هو» (مر 61:14و62). نعم، فمهما أخفى المسيح حقيقة نفسه كانت حقيقة بنوَّته لله تسبق كلماته بل تسبق خطواته، ولم يستطع هو أن ينكرها أحياناً. ولكن كانت قشور الناموس والمال والسيرة الردية والسلطان الذي يغرِّر بالنفس يحجب حقيقة المسيح عن كل الذين لم يحبُّوا الحق.

«ابن الله»:

وابن الله لقب جاء في العهد القديم متواعداً مع عدة شخصيات كلها معنوية:

1ـ فهو أُطلق من فم الله على شعب إسرائيل جملة:

+ «فتقول لفرعون هكذا يقول الرب: **إسرائيل ابني البكر.**» (خر 22:4)

+ «لمَّا كان إسرائيل غلاماً أحببتُه **ومن مصر دعوت ابني.**» (هو 1:11)

2ـ وكان يُطلَق على ملك إسرائيل إذ يُمسح بقرن الدهن:

+ عن سليمان «**أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً.**» (2صم 7:14)

3ـ وكان يُطلق على المسيَّا:

+ «هو يدعوني **أبي أنت، إلهي** وصخرة خلاصي. أنا أيضاً **أجعله بكراً أعلى من ملوك**

الأرض.» (مز 89: 26و27)

+ «أأنت المسيح **ابن المبارك؟**» (مر 14:61)
+ «أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا **هل أنت المسيح ابن الله.**» (مت 26:63)
+ «فقال الجميع **أفأنت ابن الله؟** فقال لهم أنتم تقولون إني أنا هو.» (لو 22:70)

وهكذا يصبح لقب ابن الله بعد أن استعلنه المسيح مؤكداً أنه ليس لقباً بل حقيقة علاقته بالله. وبذلك أصبحت كل التعبيرات السابقة ذات صفات حتمية تُضاف إلى المسيح:

- فهو **الممثّل الحقيقي لشعب إسرائيل أمام الله!** = إسرائيل الجديد.
- وهو **ملك إسرائيل** حقاً الممسوح مِنْ قِبَل الله! «أفأنت إذاً ملك؟ أجاب يسوع أنت تقول إني ملك.» (يو 18:37)
- وهو المسيَّا **«الكائن والذي كان والذي يأتي.»** (رؤ 1:8)
- وكونه ابن الله، فهذه حقيقة جوهرية من صميم طبيعة الله. فالله آب وابن وروحٌ قُدْسٌ، الثالوث المبارك. وعمله كان بحسب الطبيعة هو لاستعلان أبوة الله الفريدة بالنسبة لنا في شخص المسيح الابن: «**ليس أحد يعرف الابن إلاَّ الآب، ولا أحد يعرف الآب إلاَّ الابن** ومَنْ أراد الابن أن يعلن له.» (مت 11:27)

تَذْكِرَة:

وعلى القارئ أن يهتم في قراءة كل رسائل بولس الرسول، لأن التركيز المباشر على بنوَّة المسيح لله يأخذ أقصى اهتماماته اللاهوتية. فهو نطقها في البداية كأول هجاء في منهج لاهوته، ولكنَّها تَصح أن توضع عنواناً لكل منهجه اللاهوتي.

21:9 **«فبُهِتَ جميعُ الذين كانوا يسمعُونَ وقالوا أليسَ هذا هو الذي أَهلَكَ في أُورشليمَ الذين يدعُونَ بهذا الاسمِ وقد جاء إلى هنا لهذا ليسوقهُم مُوثقِينَ إلى رُؤَساءِ الكهنةِ».**

كان مقدَّراً أن يدخل شاول المجمع ليعلن قرار السنهدريم في أُورشليم بالقبض على كل الذين ينادون باسم المسيح. هكذا كان الهمس يدور في البيوت قبل وصوله، والكل ذهب إلى المجمع وهو منتظر هذه المفاجأة التي بلبلت عقول يهود دمشق، لأن معظمهم كان قد سمع الكثير عن أعمال المسيح وأتباعه وهم قلقون يتمنَّون أن يعرفوا أكثر عن هذا الطريق. ولكنهم بُهتوا حقًّا لمَّا رأوا

شاول واقفاً وقفة استفانوس يُقنع الحاضرين بتحقيق وآيات ونبوَّات من موسى والمزامير أن يسوع هو مسيَّا الذي ينتظرونه، لم يكن هذا بالأمر الهيِّن على مسامع اليهود عموماً خاصة وأن المتكلّم معروف أنه إسرائيلي فرِّيسي متمكن ومتعصِّب:

+ «ولمَّا رآه جميع الذين عرفوه منذ أمس وما قبله أنه يتنبأ مع الأنبياء (يعظ) قال الشعب الواحد لصاحبه، ماذا صار لابن قيس؟ أشاول أيضاً بين الأنبياء؟» (1صم 11:10)

ولكن لم يتجه فكر المجمع إلى الديانة اليهودية عامة إذ كانت في قلوبهم قد رسخت ومن الصعب زحزحتها، ولكن الأمر انصبَّ على شاول نفسه، فهو الذي تركزت عليه الأنظار، لأنه كان المفروض أن يتكلّم عكس هذا تماماً. لذلك كان ظهور شاول بعد خدمة حنانيا والتلاميذ تنبيهاً عنيفاً للأخصاء الذين كانوا ينتظرون الخلاص كسمعان الشيخ وحنَّة النبيَّة، فهؤلاء في الحال قبلوا الكلمة واعتمدوا. أمَّا اليهود المتمسكون بالناموس والتقاليد فهؤلاء رتَّبوا أنفسهم لقتله.

22:9 «**وأمَّا شاول فكانَ يزدادُ قوَّةً ويحيِّرُ اليهودَ الساكنينَ في دمشقَ محقِّقاً أن هذا هو المسيحُ».**

وهكذا أخذ شاول موقف استفانوس، من مجمع إلى مجمع، يحاجج اليهود أن هذا هو المسيح الذي صلبتموه وقد قام من الأموات ونحن شهود له. نعم فقد صار شاول شاهداً بقيامة المسيح الذي كلَّمه من السماء عياناً:

+ «لأني لهذا ظهرت لك لأنتخبك خادماً وشاهداً بما رأيت وبما سأظهَر لك به.» (أع 16:26)

هنا ترادف وتوازن بديع: «وأمَّا شاول فكان **يزداد قوة ...**» في مقابل «شاهداً بما رأيت **وبما سأظهر لك به**» فـ «يزداد قوة» متوازنة مع «سأظهر لك به» فكأن شاول ظل يتلقَّى من المسيح ظهورات جديدة يتعلَّم فيها علم معرفة المسيح بإطراد بديع، فعَلى قدْر نمو قامته بالروح كان يُسكَب عليه المزيد من الاستعلان. لأن معرفة المسيح دائماً أبداً تزداد عند الذين يطلبون:

+ «طوبى للإنسان الذي يسمع لي **ساهراً كل يوم.**» (أم 34:8)

+ «والذين يُبكّرون إليَّ يجدونني.» (أم 17:8)

«محقّقاً»: sumbib£zwn

معنى الكلمة اليونانية "جامعاً معاً"، والمعنى: جامعاً الشواهد من النبوات معاً، وبهذا يحقّق الموضوع. فهي الطريقة المفضلة عند المسيح: «ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسِّر لهما

الأمور المختصة به في جميع الكتب.» (لو 24 : 27)

وها هو بولس يختط نفس الطريق ليصل إلى أن كل الكتب تحقق أن يسوع هو المسيح!!

(د) بولس يهرب من دمشق مدلَّى في سلٍّ (9: 23-25):

9:23-25 **«ولمَّا تمَّت أيامٌ كثيرةٌ تشاورَ اليهودُ ليقتلوه. فعَلِمَ شاول بمكيدتهم، وكانوا يراقبونَ الأبواب أيضاً نهاراً وليلاً ليقتلوه. فأخذه التلاميذ ليلاً وأنزلوه من السور مدلِّين إيَّاه في سلٍّ».**

«ولمَّا تمَّت أيامٌ كثيرةٌ»:

هي في الحقيقة ثلاث سنوات قضاها شاول في العربية وعاد إلى أورشليم، ولكن لم يأتِ القديس لوقا هنا في سفر الأعمال على ذكرها. ولكن بولس الرسول ذكرها لنا في رسالته إلى غلاطية 1:18.

والقصة رواها ق. بولس بالتفصيل في رسالته الثانية إلى كورنثوس:

+ «في دمشق والي الحارث (أريتاس) الملك كان يحرس مدينة الدمشقيين يريد أن يمسكني، فتدلَّيت من طاقة في زنبيل من السور ونجوت من يديه.» (2كو 11:32و33)

هذا الحارث الملك يُدعى أريتاس الرابع (9 ق.م ـ 40 م) كان يحكم بلاد النباطيين وعاصمتها بترا التي أمضى فيها بولس عزلته، وهي تُدعى العربية وتخومها من حول دمشق حتى خليج العقبة.

وطبعاً لم يتوقف بولس عن التبشير بالمسيح الأمر الذي أغضب الحارث (أريتاس) هذا، بالإضافة إلى أن يهود دمشق كانوا يريدون قتله أيضاً. وهكذا اتفق هذا الوالي مع اليهود وأمر بحراسة الأبواب حتى يقبض عليه.

والملاحَظ هنا أن النص يقول: **«والي الحارث»** هذا يعني أن هناك والياً كان قد عيَّنه الحارث من طرفه على رعاياه النباطيين الذين كانوا يعيشون في مدينة دمشق، وكانوا جالية عربية كبيرة، ولم يُذكر اسم هذا الوالي.

«سلً»: sfur…j

وهي باليونانية تعني "شبكة"[207]، وقد وردت هكذا في رواية إشباع السبعة آلاف في (مر 8:8)

(207) Bruce, II, p. 204, n. 42.

وهي تعني عندنا الشبكة التي يوضع فيها التبن وتسمَّى "**شنف**"، وهي مجدولة بحبال من الليف ولها قدرة أن تسع رجلاً كاملاً، ومتينة الصنع جداً وتحتمل أن يجلس فيها رجل بسهولة ويُدلَّى من السور بسهولة أيضاً.

وقد اعتبر بولس هروبه من السور بهذا الوضع المهين أسوأ حالة مهانة احتملها من أجل المسيح، وظل يذكرها كل أيام حياته كنوع من الإذلال قبِلَهُ عن رضى من يد الرب حتى ذكره مع مجموعة آلامه في رسالته الثانية إلى كورنثوس (11:32).

(هـ) بولس يعود إلى أُورشليم ثم يرحَّل إلى طرسوس (9: 26-30):

9:26-30 «**ولمَّا جاءَ شاولُ إلى أُورشليمَ حاولَ أن يلتصِقَ بالتلاميذ، وكان الجميعُ يخافُونَه غير مصدِّقينَ أنه تلميذٌ. فأخذَهُ برنابا وأحضرهُ إلى الرُّسلِ وحدَّثهم كيفَ أبصَرَ الربَّ في الطريق وأنهُ كلَّمه وكيفَ جاهرَ في دمشقَ باسمِ يسوعَ. فكانَ معهُم يدخُلُ ويخرُجُ في أُورشليمَ ويُجاهِرُ باسمِ الربِّ يسوعَ وكانَ يخاطبُ ويُباحِثُ اليونانيينَ فحاولوا أن يقتلوهُ. فلمَّا عَلِمَ الإخوةُ أحدرُوهُ إلى قيصريَّة وأرسلُوهُ إلى طَرسُوسَ**».

صار موقف بولس واسمه مصدراً لرعب الباقين المتبقين بعد الاضطهاد، الذين عانوا الاضطهاد منه في أورشليم. فلمَّا حاول الالتصاق بهم للعمل معهم لم يصدقوه، إذ حسبوه جاسوساً يتجسَّس على حريتهم في المسيح لينكِّل بهم أكثر. وفي هذه المدة خدم بين كنائس اليهودية التي قال عنها فيما بعد:

+ «ولكنَّني كنت غير معروف بالوجه عند كنائس اليهودية التي في المسيح. غير أنهم كانوا يسمعون أن الذي كان يضطهدنا قبلاً يبشِّر الآن بالإيمان الذي كان قبلاً يتلفه، فكانوا يمجدون الله فيَّ.» (غل 1: 22-24)

وهكذا سعدت اليهودية على مدى عشر سنوات بخدمة المعمدان ثم المسيح نفسه في بداية كرازته وختامها، ثم بولس أيضاً.

وفي الحقيقة يقول هو في رسالته إلى غلاطية (1: 18-24) إنه لم يمكث في أورشليم إلاَّ 15 يوماً ليتعرَّف على بطرس الرسول ويسائله، الذي أخذه إلى بيته. وكم تحادثا معاً عن

كل ما قاله وعمله يسوع بينهم، وبهذا توطدت العلاقات بين بطرس وبولس[208].

(208) C.H. Dodd: *The Apost. Preaching*, London 1939. p. 26.

ولكن بولس في رسالته إلى غلاطية أورد هذه المعلومة ليبرهن أنه ذهب لا ليتلقَّى رسوليةً أو إنجيلاً وإنما لزيارة فقط وسؤال عن بطرس.

«فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل وحدَّثهم كيف أبصر الرب في الطريق وأنه كلَّمه»:

«برنابا»: المكني عنه ابن الوعظ أو ابن العزاء Barnab©j

ونذكِّر القارئ به، فهو الذي ذُكر في الأصحاح الرابع: «ويوسف الذي يُدعى من الرُسل برنابا الذي يُترجم ابن الوعظ ufÕj parakl»sewj (أو ابن العزاء) وهو لاوي قبرسي الجنس، إذ كان له حقل باعه وأتى بالدراهم ووضعها عند أرجل الرسل» (أع 4:36و37). لاحِظ أن الرسل أعطوه اسماً جديداً وهذا يعني بوضوح حلول الروح القدس عليه ودخوله كشخصية مرموقة في الكنيسة كمسئول. وهو الذي سيرسله الرسل في الأصحاح (11:22) إلى أنطاكية لكي يرعى حالة المسيحية الجديدة التي دخلت هناك على يد اليونانيين الذين تشتتوا من أورشليم في الاضطهاد الذي وقع بعد استشهاد استفانوس، وأنشأوا كنيسة للأمميين هناك:

+ «فأرسلوا برنابا لكي يجتاز إلى أنطاكية، الذي لمَّا أتى ورأى نعمة الله فرح ووعظ الجميع أن يثبتوا في الرب بعزم القلب، لأنه كان رجلاً صالحاً وممتلئاً من الروح القدس والإيمان.» (أع 11: 22- 24)

وكان دائماً يدافع عن حقوق الأمميين في الكنيسة، وقد ذكره بولس الرسول في رسالته إلى غلاطية لأنه كان معروفاً لديهم، مما يفيد أنه وسع رحلاته بمفرده إلى هناك (غل 2:1و13)؛ وكذلك عند أهل كورنثوس (1كو 9:6)؛ وكذلك في كولوسي (4:10). والمعروف تاريخياً أنه هو مؤسس كنيسة قبرس. ويُقال إنه استشهد في سلاميس سنة 61م. كذلك يُحسب أنه واحد من السبعين. ويقول التقليد إنه هو الذي أنشأ كنيسة ميلان بإيطاليا وكان أول أُسقف عليها ويعيِّدون له في 11 يونيه(209).

لذلك أصبح الفضل لبرنابا في تعرُّف الرسل على بولس، والتأكد من اختيار الله له وظهور الرب له على طريق دمشق وحديثه إليه. ولكن من الملاحَظ أن برنابا كان قد تعرَّف على شاول ربما قبل تحوُّله، وذلك حسب العالم روبنسون(210)، فقد كانت تربط

---

(209) *Dict. of Christ. Church* p. 134.

(210) J.A. Robinson, *The Hidden Romance of N.T.* London. 1929.

723

برنابا بشاول علاقات قديمة ربما في اليهودية، علماً بأن هذا كان لاويًّا وذلك فرِّيسيًّا، بحكم وجود قبرس في مواجهة طرسوس

وعلى خط ملاحة دائم.

وإذا كان شاول قد تحوَّل سنة 33م يكون وصوله إلى أورشليم في أواخر سنة 35م(211). وهكذا كما قيَّض الله لبولس في محنته في دمشق الأخ التقي حنانيا ليعزيه، قيَّض له في أورشليم برنابا ابن العزاء! «لا أهملك ولا أتركك» (يش 5:1، عب 5:13) «عيني عليك »(مز 8:32). ولولا برنابا في أورشليم لما اطمأن الرسل لبولس ولمَا قبلوه بهذه السهولة ليخدم بينهم، لأن الرعبة التي أثارها حوله كانت شديدة للغاية.

ولكن يلاحَظ أنه ولو أن الآية تنعت الرسل بالجمع «أحضره إلى الرسل» إلاَّ أن بولس في الرسالة إلى غلاطية (18:1) يقول إنه لم يقابل آنئذ إلاَّ بطرس ويعقوب أخا الرب فقط. لذلك لزم التوعية هنا لأن اليونانية تخلو من المثنَّى. وهنا يُنعت **يعقوب** أنه رسول، لأنه فقط رأى قيامة الرب(212)، ولكنه لم يكن يؤمن بالرب طيلة حياته حتى الصليب.

«وكان يخاطب ويباحث اليونانيين فحاولوا أن يقتلوه»:

بولس لم يطقْ أن يمكث 15 يوماً في أورشليم دون أن يمر على المجامع يبشِّر ويجاهر باسم المسيح والقيامة. كانت له فرصة العمر ليمسح عن ضميره العثرة التي وقع فيها تجاه المسيح وتجاه هؤلاء اليهود، لذلك كانت لهفته في التأكيد على أن يسوع هو المسيح شديدة للغاية كمن يريد أن ينتقم من نفسه.

هؤلاء اليهود اليونانيون الذين كان يخاطبهم بولس الرسول هم أنفسهم الذين كان استفانوس نفسه واحداً منهم، وكان شاول أيضاً يُحسب أنه منهم إلاَّ أنه كان يُنسب إلى العبرانيين أكثر، كونه كان يتكلَّم العبرانية؛ لكن هؤلاء اليهود كانوا لا يتكلَّمون إلاَّ اليونانية بحكم مولدهم في الشتات.

وعليك أن تلاحِظ الدهشة والحيرة والتعجب الذي أصابهم لمَّا رأوا وسمعوا شاول يحاججهم مجاهرة أن يسوع هو المسيح، بعد أن كان يحاجج استفانوس بالعكس ويلعن ويجدِّف. لذلك لم يحتملوه على الإطلاق لأنه كان يحطِّم نفوسهم بمقاومته للناموس وموسى دون أن يستطيعوا أن يردوا عليه، فحاولوا أن يقتلوه بصورة جدِّية مما حدا بالإخوة

---

(211) Bruce, II, p. 205.

(212) Lightfoot, *On Galat.* ad. loc.

وبرنابا[213] بالذات أن يرحِّلوه سرًّا إلى قيصرية ثم إلى طرسوس بيد برنابا.

(213) Rackham, *op. cit.,* p. 139.

وفي الحقيقة لم ينتشله من وسط هؤلاء اليونانيين المتعصبين المتربصين لقتله إلاَّ ظهور المسيح له في الرؤيا وهو قائم في الهيكل يصلّي كما شهد هو في الأصحاح 22:17-21: « وحدث لي بعد ما رجعت **إلى أورشليم** وكنت أصلّي في الهيكل أني حصلت في غيبة، فرأيته قائلاً لي **أسرع واخرج عاجلاً من أورشليم** لأنهم لا يقبلون شهادتك عني. فقلتُ يا رب هم يعلمون أني كنت أحبس وأضرب في كل مجمع الذين يؤمنون بك. وحين سُفك دم استفانوس شهيدك كنت واقفاً وراضياً بقتله وحافظاً ثياب الذين قتلوه. فقال لي **اذهب** فإني سأرسلك إلى الأمم بعيداً»

ويُلاحَظ أن شاول يحاول أن يقنع المسيح أنه شاهد ممتاز لأنه كان يضطهده سابقاً، فالآن شهادته هامة وضرورية، مُلِحًّا أن يبقى في أورشليم فكرر له المسيح الأمر **«اذهب»! ...**

«إلى طرسوس»:

طرسوس مرة أخرى مدينة الوطن، المدينة الحرة عاصمة إقليم كيليكية، المدينة المفتخرة بجامعاتها، فقد اعتبرها استرابو المدينة الجامعية حيث كانت تُدرَّس الفلسفة واللغات والعلوم الثقافية الأخرى من طب وفلك ورياضــة ... إلخ. ولكن يقطع كل من العالِم و.م. رامزي والعالِم و.ل. لوكس أن بولس الرسول لم يتلوَّث بأي فلسفة منها، ولم يتثقَّف إلاَّ بما كانت متثقّفة به توراته وعلومه الفرّيسية[214].

وإلى هنا يتركنا شاول لينشغل بالكرازة في وطنه إلى عدة سنين حيث نتقابل معه في الأصحاح (25:11)

(و) الكنائس تُبْنَي في اليهودية بسلام (31:9):

31:9 **«وأمَّا الكنائسُ في جميع اليهوديةِ والجليلِ والسَّامرةِ فكانَ لها سلامٌ وكانت تُبنَى وتسيرُ في خوفِ الربِّ وبتعزيةِ الروح القدس كانت تتكاثرُ».**

بتحوُّل شاول إلى الإيمان بالمسيح انتهى الاضطهاد الذي وُضعَ على الكنيسة بضغط زائد. وببداية خدمته هدأت العاصفة نهائياً، بل وتحوَّلت إلى تزكية للإيمان المسيحي بين اليونانيين واليهود على السواء. وهكذا بدأت الكنيسة تنمو في هدوء وسلام لا يعكّرها

(214) Cited by Bruce, II p. 208.

هزات أو اضطهادات أخرى. وهكذا نسمع عن الكنيسة التي في الجليل، وهذه أول مرة يُذكر فيها الجليل في سفر الأعمال. وكان من المهم أن تبدأ الكنيسة هناك نشاطها، خاصة وأن بالجليل كان يوجد رسل للمسيح لم

يغادروه منذ البدء، وهو كان مركز خدمة المسيح المفضَّل.

والقارئ المدقّق يستطيع أن يشعر بخطة القديس لوقا في تقديمه الحوادث التي حدثت في أورشليم منذ أيام الخمسين سواء نشاط ق. بطرس ويوحنا المتزايد في المنطقة، أو نشاط السبعة وأخصهم استفانوس وفيلبس، ثم الاضطهاد الذي أفزع الكنيسة وشتتها، ثم ظهور المسيح وتعيين شاول المُضطهد رسولاً للأمم، فهو بذلك يكون قد أعطى الخلفية التي عليها يتبيَّن كيف بدأت الكنائس في اليهودية وأورشليم والسامرة تُبنى في سلام. وذلك تمهيداً للدخول في خدمة الأمم أي ما خارج أورشليم وإلى أقصى الأرض.

المسار الثالث لانتشار الكنيسة
[32:9 - 18:11]

بقية نشاط القديس بطرس وفتح باب خدمة الكنيسة في الأمم رسمياً

أولاً: بطرس في لُدَّة وشفاء إينياس (9: 32-35).
ثانياً: بطرس في يافا وإقامة طابيثا (9: 36-43).
ثالثاً: بطرس في قيصرية وتعميد كرنيليوس وعائلته:
1 ـ كرنيليوس يرى رؤيا أثناء صلاته (10: 1-8).
2 ـ بطرس يرى رؤيا وهو يصلّي (10: 9-16).
3 ـ رسُل من طرف كرنيليوس يصلون إلى قيصرية (10: 17-23).
4 ـ بطرس يدخل بيت كرنيليوس (10: 24-33).
5 ـ الأمم يسمعون بشارة الإنجيل (10: 34-43).
6 ـ الأمم يقبلون الروح القدس (10: 44-48).
7 ـ بطرس يدافع عن دخوله بيت الأممي (11: 1-18).

أولاً: بطرس الرسول في لدة وشفاء إينياس (9: 32-35):

9:32-35 **«وحَدَثَ أن بُطرسَ وهو يجتازُ بالجميع نزَلَ أيضاً إلى القدِّيسينَ الساكنينَ في لُدَّة. فوَجَدَ هناك إنساناً اسمهُ إينياسُ مُضطجِعاً على سريرٍ منذُ ثماني سنينَ وكان مفلوجاً. فقال لهُ بطرسُ يا إينياسُ يشفيكَ يسُوعُ المسيحُ، قُمْ وافرُشْ لنفسِكَ. فقامَ للوقتِ. ورآهُ جميعُ الساكنينَ في لُدَّةَ وسارُونَ الذينَ رَجَعُوا إلى الربِّ».**

تذكير للقارئ:

نحن الآن نكمّل رواية نشاط ق. بطرس الذي انقطع عنّا بسبب دخول فيلبُّس في سياق السرد وتكليف الملاك له بتعميد الخصيِّ وزير كنداكة (25:8).

فبعد أن رجع ق. بطرس وق. يوحنا من السامرة، يبدو أن روحه ارتاحت في التجوال خارج أُورشليم فابتدأ يمرّ على ما حول أُورشليم من البلاد، وانتهي به الأمر نحو الساحل

في لُدَّة، فسأل

على المسيحيين من أهل الختان الساكنين هناك.

وهنا يلزمنا أن نتذكَّر أن فيلبُّس مرَّ على مدن الساحل هذه (40:8) وبشَّر فيها باسم المسيح من مدينة إلى مدينة، حتى استقر به المقام في قيصرية. وها القديس بطرس يتبع نفس الخط خاصة وأنه تبع فيلبُّس في ذهابه إلى السامرة. فحينما ذهب فيلبُّس وبشَّر هناك ذهب بطرس ليجمع الثمر:

+ «آخرون تعبوا وأنتم دخلتم على تعبهم.» (يو 38:4)

«لُدَّة»: LÚdda

مدينة قديمة مذكورة في أخبار الأيام الأولى 12:8، وسفر عزرا 33:2، وسفر نحميا 35:11. وقد دعاها البيزنطيون "ديوس بوليس Dios polis".

ويقول العالِم بروس إن في لُدَّة ـ كما يقول التقليد المسيحي ـ صرع القديس مارجرجس St. George التنين: dragon. ويشيع في مدينة لُدَّة أن المسيح سوف يأتي في هذه المدينة ويصرع الضد للمسيح أو الدجال.

وبعد سنة 70م، أي بعد خراب الهيكل وهروب اليهود العلماء والربيين، كوَّنوا في لُدَّة مركزاً خاصاً للتعليم. وفي القرون الوسطى صارت لُدَّة مركز أسقفية مشهور.

ولُدَّة مركز تجارة الأقمشة المصبوغة بالأحمر الملوكي "الأرجوان".

وهناك قدَّموا لبطرس هذا الإنسان المريض بالفالج أي الشلل paralelumšnoj. ومعروف قطعاً في الطب أن لا شفاء من هذا المرض بأي عقار أو بأي وسيلة، بل ولا يستطيع الطب أن يقدِّم له أي علاج، لأن هذا المرض منشأه تدمير جزء من خلايا المخ التي لا إصلاح ولا شفاء لها. هذا الإنسان أقامه ق. بطرس بكلمة صحيحاً معافىً.

«يا إينياس يشفيك يسوع المسيح»: „©ta… se 'Ihsoàj CristÒj

وكلمة «يشفيك» تأتي هنا باليونانية في حالة المضارع، بمعنى "الآن تدخل في حالة شفاء". وأردفها بأمر ليقوم ويفرش لنفسه. فقام للوقت. وهذا معناه أن الشلل تحوَّل إلى حركة وقوة وصحة.

لاحِظ دائماً بعد المعجزة أن الروح القدس يعطي إلهاماً لعمل شيء لصاحب المعجزة وللواقفين أيضاً ليخفّض من درجة الانفعال. «حِلُّوه ودعوه يذهب» «أعطوها طعاماً لتأكل

» «قم واحمل سريرك وامش» «اذهب واغتسل في بركة سلوام» «أر نفسك للكاهن» «
قم وافرش لنفسك»

«لُدَّة وسارون»: Sarîna

«سارونه» مدينة ليست يهودية تماماً، وهي تُدعى "شارونه" ويتاخمها سهل شارون، وهي أرض خصبة ممتدة حتى جبل الكرمل. والمُلاحَظ أن عندنا في الصعيد بلاداً تُسمَّى بأسماء المدن في فلسطين. فعندنا مدينة شارونه ونطقها العبري هو "شارونه"، مثل شالوم.

وواضح أن اليهود الذين قبلوا الدعوة وآمنوا غالباً على يد فيلبُّس، وربما من النازحين من أورشليم أيضاً بسبب الاضطهاد، هؤلاء رأوا آية إينياس للشفاء فازدادوا فرحاً في الرب.

ثانياً: بطرس الرسول في يافا وإقامة طابيثا (9: 36-43):

42-36:9 **«وكان في يافا تلميذةٌ اسمُها طابيثا الذي ترجمَتُهُ غزالةٌ، هذهِ كانت مُمتَلِئةً أعمالاً صالحَةً وإحساناتٍ كانت تعمَلُهَا. وحَدَثَ في تلكَ الأيَّامِ أنها مَرِضَتْ وماتَتْ، فغسَّلُوها ووضعُوها في عِلِيَّةٍ. وإذ كانت لُدَّةُ قريبةً مِنْ يافا وسَمِعَ التلاميذُ أن بُطرُسَ فيها أرسَلُوا رَجُلَيْنِ يَطْلُبانِ إليهِ أن لا يتوَانَى عن أن يجتازَ إليهم. فقامَ بُطرُسُ وجاءَ معهُمَا. فلمَّا وصلَ صَعِدُوا بهِ إلى العِلِيَّةِ فوَقَفَتْ لديهِ جميعُ الأرامِلِ يبكينَ ويُرِينَ أقمصةً وثياباً ممَّا كانت تعملُ غزالةُ وهي معهُنَّ. فأخرجَ بُطرُسُ الجميعَ خارجاً وجَثَا على ركبتيهِ وصلَّى ثم التفتَ إلى الجسدِ وقالَ يا طابيثا قومي، ففَتَحَتْ عينيها، ولمَّا أبصَرَتْ بُطرُسَ جلَسَتْ. فناوَلَهَا يَدَهُ وأقامَهَا، ثُمَّ نادى القدِّيسينَ والأرامِلَ وأحضرَها حيَّةً. فصارَ ذلكَ معلوماً في يافا كلِّها فآمنَ كثيرونَ بالربِّ».**

«يافا»: 'IÒppV

وهي على بُعد عشرة أميال في الشمال الغربي للدَّة.

مدينة قديمة جداً ذُكر اسمها في نقوش تحتمس الثالث (1490-1436 ق.م). في المدن التي وقَّع عليها ضرائب. وهي مذكورة في سفر يشوع 46:19، أثناء دخول الشعب الأرض. ولكنها ظلَّت تابعة للفلسطينيين. ويوناثان المكابي استطاع أن يغزوها ويستولي عليها من ملوك سوريا سنة 148 ق.م. ولكن بومبي الروماني استعادها للسوريين سنة 47 ق.م. ثم أُعطيت لهركانوس الثاني المكابي وهو الملك والكاهن اليهودي. وكان مواطنوها معظمهم من اليونان، وقد حطَّمها فسبسيان سنة 68 م. وهي كانت ولا تزال أهم مدن

الجنوب باعتراف يوسيفوس[215].

Antiq., XIV, 4.4. 10:6. (215)

«تلميذة اسمُها طابيثا»: maq»tria

هنا «تلميذة» ترد لأول مرة كسيِّدة ذات عمل في الكنيسة وخدمة، ومعلوم أنها تلميذة للمسيح، ولكن ليس على مستوى التلاميذ الكارزين. وكلمة تلميذة تُستخدم فيها الكلمة اليونانية maq»tria أو maq»trij ولكن أمامها ¹ أداة التعريف "ألـ" للمؤنث. أمَّا طابيثا فتعني غزالة واسمها اليوناني Dork£j وبالعبري ظبية = zibiah = sibyah كما ذُكرت في 2مل 1:12.

«غسَّلوها»: loÚsantej

وتعني عند اليهود تطهير الميت ـ فالماء هنا عنصر تطهير وليس مجرد غسل ـ كما يطهِّر الإنسان أيَّ شيء بالماء. وذلك بحسب الطقس اليهودي.

«أقمصة»: ƒm£tia

القميص عندنا يُستخدم تحت الملابس، ولكن في الطقس العام اليوناني والعبراني يُلبس فوق الملابس، بعكس استخدامه عندنا. فللسيدات يُلبس فوق الفستان. لذلك نسمع أنهم فرشوا القمصان أمام المسيح وهو داخلٌ أُورشليم، أي خلعوا القميص الخارجي. أمَّا الرداء citîn فهو للسيدات الفستان وللرجال الجلباب (قديماً).

قصة طابيثا تكشف لنا عن تلمذة بين السيدات لخدمة الكنيسة. وطابيثا كانت قد كرَّست حياتها لخدمة الأرامل، وكانت خيَّاطة تحيك الملابس والقمصان الخارجية المزركشة للسيدات.

والذي يستهوينا في هذه القصة هو روح المحبة الشديدة لطابيثا، إذ تألَّمن لمرضها وموتها. كل اللائي خدمتهن والعمل الذي قمن به يدل على إيمان فائق في الحقيقة، كونهن يستدعين بطرس للسفر عشرة أميال، أي سفر يوم كامل، ليحضر ويصلِّي ليقيمها من الموت. هذا شيء فائق للعقل، فهو يعني أولاً ثقة مطلقة في قوة بطرس والمسيح، وبالمقابل استهتار بالموت بالنسبة للإيمان بالمسيح والقيامة.

وقد استخدم بطرس أسلوب المسيح وكلماته تماماً. فكما خاطب المسيح ابنة يايرس بالقول عبريًّا: «طاليثا قومي » Talitha Kumy هكذا قالها بطرس عبريًّا أيضاً « Tabetha Kumy » وتم قول الرب تمجَّد وتبارك:

+ «الحق الحق أقول لكم مَنْ يؤمن بي فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضاً ويعمل

أعظم منها!!» (يو 14 : 12)

أمَّا بالنسبة لمغزى آية إقامة طابيثا من الموت بالنسبة لخدمة الأمم، فإن كانت إقامة إينياس من

الشلل يكني عن خروج الأمة اليهودية من جمودها الطويل جداً، فإقامة طابيثا من الموت تعني إعطاء روح الحياة للعبادة اليهودية التي كانت شبه مائتة. وصحَّ قول الرب لبطرس: «وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي.» (مت 18:16)

وطبعاً واضح أن هاتين الآيتين صُنعتا بين أهل الختان وليس الأمم.

ويلذ لنا هنا أن نمعن النظر في كيفية صلاة بطرس: «فأخرج بطرس الجميع خارجاً، وجثا على ركبتيه وصلَّى ...» واضح هنا عزم بطرس على مواجهة الموت منفرداً كجبَّار يصارع جباراً بقوة الصليب والدم. «وهم غلبوه بدم الخروف وبكلمة شهادتهم!» (رؤ 11:12)

أمَّا جثو بطرس فهو استدعاء للحضرة الإلهية، استعدَّ لها قبل أن يدعوها، وكونه لم يدْعُ باسم الرب، فهو نَطَق منطوقه حرفيًّا، وكأنه استدعاه لينطق، فجاء ونَطَق ـ تمجد وتبارك. «لأن لستم أنتم المتكلّمين بل روح أبيكم الذي يتكلّم فيكم» (مت 20:10)؛ «أين شوكتك يا موت أين غَلَبَتُكِ يا هاوية.» (1كو 55:15)

ويُلاحَظ هنا أن خدمة بطرس الرسول وكرازته قامت أساساً على عمل المعجزات أكثر منها على التعليم والوعظ، وكان هذا الأسلوب مناسباً جداً لليهود لأنهم لا يؤمنون إن لم يروا آيات حسب قول الرب. شعب لا يُقاد بالروح ولا بالكلام لأن آذانهم ثقيلة للغاية وقلوبهم غليظة أو قاسية كقول استفانوس، فلا يبقى إلاَّ الآية والمعجزة، وقلَّ أن نفعت، وإن نفعت قلّ أن بقي نفعها.

والرسالة إلى العبرانيين تكشف مدى استعداد اليهود بعد أن آمنوا واعتمدوا وذاقوا مواهب الله، لأن تحدثهم قلوبهم ويميلوا أشدَّ الميل للرجوع إلى اليهودية وعبادة الناموس والحرف، لأن الروح صار كبيراً عليهم بل وغريباً. واستفانوس لمَّا برَّح به الضيق من ضيق عقولهم صرخ فيهم «يا قساة الرقاب وغير المختونين بالقلوب والآذان، أنتم دائماً تقاومون الروح القدس، كما كان آباؤكم كذلك أنتم.» (أع 51:7)

في حين أننا سوف نجد أن خدمة بولس الرسول بين الأمم لم تقم قط على الآية والمعجزة ولكن على الوعظ بالكلمة والروح. لأن اليونانيين شعب مستنير، شعب حكمة أي فلسفة، وله وعي تأملي عالٍ، أمضى كل حياته في البحث عن الله وكيف خلق العالم. وفلاسفته عاشوا وماتوا يتكلّمون عن الأصول والغايات والحق في أعمق أوضاعه

وإعلاناته.

43:9 **«ومكثَ أياماً كثيرةً في يافا عند سمعان رجل دبَّاغ».**

لا نعرف مدى الأيام الكثيرة التي قضاها بطرس عند سمعان على البحر. ولكن الأمر الغريب جداً أنه نزل عند **«رجل دبَّاغ».** وليس جزافاً أن يذكر ق. لوقا مهنة هذا الرجل صاحب الضيافة الطويلة الأمد. ولكن ذكرها ق. لوقا لأن وراءها أمراً جديداً في حياة ق. بطرس. لأن الدباغة مهنة غير طاهرة، وكل ما في البيت يُعتبر نجساً. فهذا يُعتَبر خطوة جديدة على ق. بطرس نحو التحرر من التدقيق في الناموس. لأن الدباغة هي دباغة جلود لحيوانات مائتة، وأحياناً تكون الجلود عفنة أيضاً.

ويقول العالِم هارناك(216) إن الذي استهوى بطرس للمكوث طويلاً عند سمعان هو وجود بيته على البحر، وبطرس أصلاً صياد سمك على بحيرة، هنا البحر الأبيض بجماله الخلاَّب استهواه حقًّا. ولكن على علم من الله ورضاً، فالرب أرشد إلى مكان وجوده، كما سنرى في الأصحاح القادم.

---

(216) Harnak, *The Acts of Apostles* p. 85.

خريطة رحلات القديس بطرس الرسول المبكِّرة

الأصحاح العاشر

▪ **(10:1ـ48) المسار الثالث لانتشار الكنيسة (تابع):**

نشاط القديس بطرس وفتح باب الخدمة للأمم

ثالثاً: القديس بطرس في قيصرية وتعميد كرنيليوس وعائلته:

(10: 9 ـ16) السماء تتحرَّك من الجهتين لتحاصر القديس بطرس المختار لفتح باب الأمم

(10:17ـ23) المرسلون على الباب يطلبون القديس بطرس

(10:24ـ27) بطرس يدخل بيت رجل أممي ويبيت

(10:28ـ33) بطرس يتكلَّم مع كرنيليوس ومَنْ معه مفسِّراً الرؤيا التي رآها

(10:34ـ43) أول صفحة مِنْ بشرى الخلاص

(10:44ـ48) الروح ينسكب على الأمم مباشرة صورة ليوم الخمسين.

المسار الثالث لانتشار الكنيسة (تابع)
[10: 1-48]

نشاط القديس بطرس وفتح باب الخدمة للأمم (تابع)

ثالثاً: القديس بطرس في قيصرية وتعميد كرنيليوس وعائلته:

واضح لمَنْ ترسَّم خُطى القديس لوقا في تنسيق سفر الأعمال الذي يقدمه للكنيسة أنه يتتبع اتساع رقعة الكرازة للكنيسة من أورشليم ثم اليهودية ثم السامرة، ثم خرج عن الدائرة اليهودية نحو الساحل إلى مدن الأمم لُدَّة ثم يافا، ولكن الخدمة كانت في دائرة أهل الختان. أمَّا الآن فقد أمر الرب ق. بطرس أمراً وأكَّده له تأكيداً أنه آن الأوان لفتح باب الأمم لقبول الإيمان المبارك والخلاص الذي رُسم لكافة شعوب الأرض، وأخْذ وضع يد الرسولية وحلول الروح القدس، كما حدث لأهل الختان يوم الخمسين كذلك للأمم بالسوية وبالمواهب المرافقة للروح، تأكيداً من السماء لرفع الحاجز المتوسط، ليجلس الاثنان على مائدة الرب الواحدة سواء بسواء، ليشتركا معاً في ذبيحة الخلاص الواحدة لعهد جديد يجمع كل الشعوب والأمم بلا تفريق أو تمييز: بين ختان وغرلة، أو رجل وامرأة، أو عبد وحر. بل ويعيشان معاً (اليهود والأمم) ويختلطان معاً، بالروح الواحد في الجسد الواحد الذي اشترك فيه كلاهما، ككنيسة واحدة وحيدة جامعة رسولية!

وكان هذا العمل الذي دبَّره الله بعد أن أبعد ق. بطرس عن أورشليم ليتقبَّل الدعوة دون تأثير معاكس، فرصة نادرة ليضع الله سابقة مؤيَّدة بالروح القدس يستخدمها ق. بطرس بشجاعة في مجمع الرسل المزمع أن ينعقد بعد ذلك من أجل هذا الأمر بالذات (أع 15)، ويأخذ فيه ق. بطرس فرصة المبادرة ويعلن إيمانه الذي تلقَّاه بتشجيع السماء، ويجرّ وراءه ق. يعقوب المحافظ الحذر الشديد التعصُّب لليهودية. وهكذا تقول الكنيسة رأيها رسمياً بحتمية قبول **الأمم** دون رجعة إلى ناموس أو ختان أو سبت أو أي عوايد يهودية سابقة.

وكانت عين الله على ق. بطرس، مخافة التراجع عند اللحظة الحاسمة، ففي الأصحاح (11) لاحقه في موقفه ليجعله يشرح علناً هذا الإيمان ويدافع عنه بحماس شديد لدى الرسل والإخوة من

أهل الختان. وهكذا تسجَّل موقفه تسجيلاً عملياً قبل أن يحين موعد المجمع ليأخذ فيه مبادرته الشجاعة ويطوّع رأي الأغلبية لصالح دخول الأمم ورفع نير الناموس عن الكنيسة الذي ستذكره له كل الأجيال بالمدح والكرامة.

🕯 ✞ 🕯

1:10 «وكانَ في قيصريَّة رجلٌ اسمُه كرنيليُوس قائِدُ مئةٍ مِنَ الكتيبةِ التي تُدعَى الإيطالية».

«رجلٌ اسمه كرنيليوس قائد مائة»:

أي ضابط في الجيش الروماني وتحت إمرته مائة جندي. وهنا يحضرنا في الحال قائد المائة أيام الرب يسوع الذي جاء يطلب شفاء ابنه وهو على حافة الموت (مت 8: 5-11) صاحب القول الإيماني الأمثل: «لكن قُل كلمة فقط فيبرأ غلامي» فكان ردّ المسيح عليه وعلى إيمانه: «الحق أقول لكم لم أجد ولا في إسرائيل إيماناً بمقدار هذا، وأقول لكم: إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب في ملكوت السموات، وأمَّا بنو الملكوت فيُطرحون إلى ا لظلمة الخارجية ...» (مت 8: 11و12)

وها هوذا القائد الثاني الذي سيتكئ في حضن إبراهيم!! ولكن لا ينبغي أن ننسى في هذه المناسبة قائد المائة الآخر الذي شهد للمسيح عند موته شهادة عظمى:

+ «وأمَّا قائد المائة والذين معه يحرسون يسوع فلمَّا رأوا الزلزلة وما كان خافوا جداً وقالوا حقاً كان هذا ابن الله.» (مت 54:27)

كذلك قائد المائة الذي كُلّف بقيادة بولس الرسول في الأسر لتوصيله إلى روما وكيف عامله معاملة كريمة وأنقذ حياة بولس من الموت:

+ «فكان رأي العسكر أن يقتلوا الأسرى لئلاَّ يسبح أحد منهم فيهرب. ولكن قائد المائة إذ كان يريد أن يخلّص بولس منعهم من هذا الرأي.» (أع 42:27و43)

ولكن لماذا قواد المئات يكونون على هذا المستوى؟ يردّ على ذلك تقرير من المؤرِّخ بوليبيوس(217) ويقول إن قواد المئات في الجيش الروماني كانوا معتبرين ملح الجيش الروماني، ويصف أخلاقهم التي يصرّ الجيش على توفرها لتعيينهم في هذا المنصب:

(217) Polybius, *Hist.* VI. 24.

[المطلوب منهم أن لا يستخدموا الصرامة والمغامرة بل كقواد صالحين عليهم أن يكونوا ذوي عقل يقظ ومستقيم، ذوي حكمة ورزانة، لا يميلون إلى المهاجمة أو العراك بتهوُّر بل ويكونوا قادرين على ضبط أنفسهم إذا ضُيِّق أو ضُغِط عليهم، ويتمسَّكوا بموقفهم حتى الموت].

«من الكتيبة الإيطالية»: spe…rhj

وقوامها 600 جندي وتبلغ أحياناً ألف جندي. ولكن لم تكن مثل هذه القوات الكبيرة موجودة في فلسطين حتى سنة 41 م. ولكن في أيام أغريباس الأول (أع 1:12) وجدت عدة قوات مثل هذه(218).

2:10 **«وهو تقيٌّ وخائفُ اللهِ معَ جميع بيتهِ يصنَعُ حسناتٍ كثيرةً للشعبِ ويُصلِّي إلى الله في كُلِّ حينْ».**

«تقيٌّ وخائفُ اللهِ»: eÙseb¾j ka^ foboÚmenoj

التقوى مع مخافة الله صفة ظهرت في الأمميين يونانيين ورومانيين حتى ومن الجيش بسبب مخالطتهم لليهود الخائفين الله حقاً والأتقياء. العِشرة الجيِّدة هي بحدّ ذاتها شهادة وكرازة. علماً بأن عبادة "الله الواحد" تسلب القلب والفكر لإنسان محب للحق والحكمة. وعدم تصوير الله بصورة وتماثيل ترفع من قيمة الله جداً في نظر العابد الصادق. كذلك التدقيق في الأكل والامتناع عن المحرمات حينما يتحقق الإنسان من منفعتها فإنها تُضفي على الديانة وقاراً وترغيباً.

وفي الحقيقة فإن أمثال كرنيليوس هذا كانوا بالفعل نواة لكنيسة الأمم في كل مدينة.

3:10-6 **«فرأى ظاهِراً في رُؤيَا نحوَ الساعةِ التاسعةِ مِنَ النهار ملاكاً مِنَ اللهِ داخِلاً إليهِ وقائلاً له يا كرنيليوس، فلمَّا شَخَصَ إليهِ ودَخَلَهُ الخوفُ قالَ ماذا يا سيِّدُ، فقالَ لهُ، صلواتُكَ وصَدَقاتُكَ صَعِدَتْ تذكاراً أمامَ اللهِ. والآن أرسِل إلى يافا رجَالاً واستدع سِمعانَ المُلقَّبَ بُطرسَ، إنه نازلٌ عندَ سِمعان رَجُلٍ دبَّاغ بيتُهُ عندَ البحر، هو يقولُ لكَ ماذا ينبغي أن تفعلَ».**

(218) Jos., *Antiq*. XIX, 9.1 f.

«**نحو الساعةِ التاسعةِ**»**:** الساعة الثالثة بعد الظهر
وهي إحدى السواعي الهامة عند اليهود التي فيها تُرفع ذبيحة المساء.

وسواعي الصلاة عند اليهود هي (خر 29:39 إلخ؛ لا 20:6 إلخ):

(أ) الصباح الباكر: وهي ساعة ذبيحة الصباح.

(ب) الساعة التاسعة من النهار (3 بعد الظهر): ذبيحة المساء.

(ج) ساعة الغروب: بدون ذبيحة.

«صلواتك وصدقاتك صعدت»:

هنا كلمة «صعدت» ¢nšbhsan اصطلاح يُقال على صعود دخان الذبيحة أو البخور.

«تذكاراً أمام الله»: e„j mnhmÒsunon

كلمة «تذكاراً» باليونانية تفيد ما يقدَّم إلى الله من "تقدمة القربان". وتُشرح كالآتي:

+ « وإذا قرَّب أحد قربان تقدمة للرب يكون قربانه من دقيق، ويسكب عليها زيتاً ويجعل عليها لباناً. ويأتي بها إلى بني هارون الكهنة ويقبض منها ملء قبضته من دقيقها وزيتها مع كل لبانها ويوقد الكاهن **تذكارها** على المذبح وقود رائحة سرور للرب، والباقي من التقدمة هو لهارون وبنيه قدس أقداس من وقائد الرب. » (لا 2: 1-3)

وكررها السفر بوضوح أكثر:

+ « ويأخذ الكاهن من التقدمة **تذكارها** ويوقد على المذبح وقودَ رائحة سرور للرب.» (لا 2 : 9)

أي أنه يوجد في تقدمة القربان جزء خاص بالله اسمه "التذكار" يوقد رائحة سرور للرب. وتسمَّى بالعبرية: "مينهاه = minhah".

وبهذا يكون كلام الملاك مملوءاً أسراراً وعجباً. فجزء من عبادته "بالصلاة" حُسب ذبيحة محرقة، والجزء الذي هو الصدقة حُسِب تقدمة قربان تذكاراً للرب. علماً بأن كرنيليوس هو رجل ضابط أممي!!

وهذه اللغة التي تحوِّل مفاعيل الذبيحة الدموية إلى مفاعيل روحية خالصة نسمعها بوضوح في سفر العبرانيين 13: 15و16: «فلنُقدِّم به (بالمسيح) في كل حين لله **ذبيحة التسبيح**، أي **ثمر شفاه** معترفة باسمه! ولكن لا تنسوا فعل الخير والتوزيع لأنه **بذبائح** مثل هذه يُسر الله»

فالصلاة بالتسبيح اعتبرها ذبائح، والصدقة اعتبرها ذبائح سرور.

وبهذا نلمح في الذبائح الحيوانية العنصر الفعَّال روحياً الذي هو العنصر الأساسي والجوهري

الذي يمكن عمله والوصول إليه بدون ذبائح حيوانية.

هذا قد سبقنا إليه داود النبي بالروح حينما قال: « لتستقم صلاتي كالبخور قدامك، ليكن رفع يديَّ كذبيحة مسائية (الساعة التاسعة).» (مز 141: 2)

«بيته عند البحر»: par¦ Q£lassan

« عند البحر » باللغة اليونانية تفيد "على البحر" بمعنى خارج المدينة وعلى البحر. لأن سمعان كانت صناعته دباغة الجلود، وهذه الصنعة تحتاج لمزيد من المياه لنقع وغسيل الجلود، بالإضافة إلى أن ماء البحر يُعتبر مفضَّلاً في عمليات الدباغة، وبالأكثر جداً ـ وهذا ما يهم ق. لوقا ـ أن هذه الصنعة نجسة تحتِّم على صاحبها أن لا يجاور البيوت الأخرى. ولكن ق. بطرس وجد عنده مكاناً يحبه لأنه يذكّره بصنعته الأُولى كصياد. ولكن ق. لوقا يغمز ضمناً أن ق. بطرس بدأ ينفتح قليلاً خارج تحذيرات الناموس. وذلك تمهيداً لوضع اليد على رؤوس الأمميين.

كانت استجابة صلوات وصدقات كرنيليوس أمام الله هي بإرسال هذا الملاك الطاهر ليبشِّره بأن صلواته وصدقاته قد قُبلت والرب استجاب، فعليه أن يستدعي ق. بطرس لينال الجزاء الذي لا يدانيه جزاء.

10: 7و8 **«فلمَّا انطلقَ الملاكُ الذي كان يُكلِّمُ كرنيليوسَ نادَى اثنينِ مِنْ خُدَّامهِ وعسكريًّا تقيًّا مِنَ الذين كانوا يُلازِمُونَه وأخبرهُمْ بكلِّ شيءٍ وأرسلهم إلى يافا».**

ولا نزال يا عزيزي القارئ ـ وكأننا في صميم العهد القديم، رؤى وراء رؤى وأحلام وراء أحلام، وصَدَق يوئيل النبى؛ فها أمامنا سفر الأعمال وبعد حلول الروح القدس يوم الخمسين والرؤى والأحلام هي العنصر المتحرِّك الذي يحرِّك المشاهد ويفتح فصولاً ويختم فصولاً، والذي يصعب على الرؤيا يحمله الروح، والذي لا يحتمل الروح يكلّمه ملاك.

والإنسان يتعجَّب من المفارقات الصارخة، وكأن الإنسان وهو يقرأ هذا الكلام يراجع عينيه على الكلام مرة ومرة، وكأننا نحن الذين نحلم وليس من نقرأ عنه وله:

ضابط في جيش روماني يرى رؤيا ويتكلّم مع ملاك، ثم في الحال يصدر أوامره وكأنه تلقَّى إشارة عاجلة من رئيس عمليات، فيرسل عسكريًّا ومعه "مخصوص" (أي خادم خاص لهذه المهمة) ليقوم بمهمة استدعاء إنسان لا يعرفه ولم يسمع عنه ولا يعرف أين مقرُّه

إلاّ من الرؤيا، فينفّذ الذي رآه في الرؤيا وكأنه حقيقة مكتوبة وموقَّعة من الرئاسة العليا. ونحن نتعجَّب أي إيمان هذا؟ الذي يعتبر ما

سمعه في الرؤيا حقاً وأمراً يُطاع، ويتحرَّك بمقتضاه ويحرِّك عساكره على هداه؟ أي ضابط هذا بل أي قديس؟

فإن حلَّ الروح القدس عليه قبل أن يضع ق. بطرس يده عليه، فهذا لا يُستغرب له بتاتاً! وإن قبلَ الروح القدس وامتلأ منه قبل أن يعتمد فهذا استثناء واجب الحدوث!

وإن كان هو أول أممي ينال الروح وباكورة الأمم في قبول المعمودية المقدَّسة، فالباكورة مقدَّسة حقاً.

فإن حُسب في الكنيسة المقدَّسة للختان ـ ق. بطرس هو الأول فيها عن تجاوز من طرفنا ـ فكرنيليوس هو أول كنيسة الغرلة بلا نزاع. وهكذا يتلاقى الأول بالأول تحت يد المسيح الذي يجمع الاثنين في نفسه.

السماء تتحرك من الجهتين
لتحاصر ق. بطرس المختار لفتح باب الأمم

14-9:10 **«ثمَّ في الغدِ فيما هُم يسافِرُونَ ويقترِبُونَ إلى المدينةِ صَعِدَ بطرُس على السَّطحِ ليُصلِّي نحو الساعةِ السادسةِ. فجاعَ كثيراً واشتهىَ أن يأكل، وبينما هُمْ يهيئُونَ له وقعَتْ عليه غيبَةٌ، فرأى السماءَ مفتوحةً وإناءً نازلاً عليهِ مِثْلَ ملاءةٍ عظيمةٍ مربوطةٍ بأربعَةِ أطرافٍ ومُدلاَّةٍ على الأرض، وكانَ فيها كُلُّ دوابِ الأرضِ والوحوشِ والزَّحَّافاتِ وطيورِ السماءِ. وصارَ إليهِ صوتٌ قُمْ يا بطرُس اذبح وكُلْ. فقالَ بطرُس كلاَّ يا ربَّ لأنِّي لم آكُلْ قطَّ شيئاً دنِساً أو نجساً».**

كان بين مدينة يافا وقيصرية نحو 30 ميلاً، وقد أنيط بالملاك ترتيب وقت المقابلة بالدقة. فنظر الملاك من السماء ورأى أن المسافة يمكن أن يقطعها الخيل المدرَّب في مسافة ست ساعات تماماً. وهكذا أعطى الملاك المشورة لكرنيليوس أن يتحرَّك الرَكْب تمام الساعة السادسة صباحاً. وهكذا، وعند بلوغ الظهر تماماً كان الروح قد حثَّ ق. بطرس على الصلاة ورتَّب الرؤيا والملاءة ووحوش الأرض ودوابها وجمعها في ملاءة محمولة على الريح، ولمس عيني ق. بطرس فوقع في الغيبة ورأى ما رأى. وكان الرَكْب على الباب يسألون عن ق. بطرس! والرب يكلِّم بطرس أن قُم عمِّدْ الأمم واقبلهم معك في شركة المائدة، فقال حاشا يا رب. ق. بطرس أراد أن يأكل وحده كل خيرات

الوعد والمواعيد وبركات الآباء والأنبياء، ويقطن الملكوت وحده، لأنه رجل ورث الختان والسبت ونسب الدم لإبراهيم ووصايا موسى بكل تطهيراتها، أمَّا الأمم فأنجاس بلا إله في العالم وغرباء عن رعوية إسرائيل!

«صلاة الساعة السادسة»:

لم تكن هناك صلاة جماعية في الساعة السادسة، وهي ليست من سواعي الهيكل. ولكنها ساعة الأكل عموماً.

«غيبة»: œkstasij

ومعناها باليونانية "حالة إنسان خارج عن نفسه"! والتي تُعرف بالإكستاسيس، وهي الذهول الصحي الذي يدخل فيه الإنسان إلى عالم آخر روحي يرى ويسمع ويتكلَّم دون أن يستيقظ أو يشعر. وهي درجة رسمية من درجات التصوُّف وتسمَّى بالإنجليزية Trance، على أنها حالة معروفة في الطب يمكن أن يدخلها المريض تحت تأثير عقاقير معيَّنة حتى يمكن علاجه بدون إحساس بالألم.

«فرأى السماء مفتوحة»: qewre‹

هنا الرؤية ليست عينية ولكن تسمَّى بالرؤيا المعقولة، أي رؤية الإدراك الروحي وليست رؤية الإدراك الحسي. وفيها يرى الذي دخل في الغيبة العالم الروحي بكل أعاجيبه، رؤية حقيقية واعية صادقة شديدة الوضوح والأثر.

الدنس والنجس: koinÕn ka˜ ¢k£qarton

هي قوانين التفريق بين ما هو طاهر يؤكل وما هو دنس أو نجس لا يؤكل.

أمَّا **الدنس** فهو المحسوب أنه ليس لله سواء كان حيواناً يُقدَّم أو يُؤكَل. والدنس في الإنسان هو إنسان في وضعه العبادي إن كان لا يعبد الله بحسب ناموس موسى، أي إذا كان يعبد آلهة أخرى، فهو دنس، لا يُتعامل معه ولا يؤكل معه. فهنا الإسرائيلي يقف في صف الطاهر وكل الناس **عموماً** في صف الدنس. لذلك هنا كلمة «الدنس» في أصلها اليوناني تعني "عمومي" أو "عام".

أمَّا **النجس** فهو كل ما لم يتطهَّر. فاليهودي إذا لمس ميتاً يصبح نجساً إلى المساء، فيستحم ويصير طاهراً. والأوزة إذا لم يذبحها حاخام ذبحاً حلالاً فهي نجسة لا تؤكل، أمَّا إذا ذُبحت بيد حاخام وصفَّى دمها فهي حلال وطاهرة تؤكل.

15:10و16 « فصارَ إليه أيضاً صوتٌ ثانيةً ما طهَّرهُ الله لا تُدنِّسه أنتَ. وكانَ هذا على ثلاثِ مرَّاتٍ ثُمَّ ارتفعَ الإِنـاءُ أيضاً إلى السماء».

«ما طهَّره الله لا تدنِّسه أنت»: § Ð QeÕj ™kaq£risen sÝ m¾ ko…nou

هنا الوضع مقلوب، فهنا الله **طهَّر الأمم** وكأنهم **يهودٌ تنجَّسوا فقط**، فغسلهم (بالمعمودية) وبذلك **صاروا أطهاراً**؛ أي كأنهم يهودٌ لمسوا ميِّتاً أو كلباً ثم استحموا. هذا إبداع حقاً في تنازل الله.

ولكن ق. بطرس لا يريد أن يعتبرهم أبداً أنهم كانوا أنجاساً وتطهروا بل يريد أن يعتبرهم أدناساً يستحيل تطهيرهم بأي حال. وهنا تظهر قوة الكلام وإبداع إحكامه إبداعاً يأخذ بالألباب.

كذلك كان المثل بتصويره على هيئة وحوش ودبابات نجسة في عين ق. بطرس وطهّرها الله، بمعنى جعلها حيوانات تؤكل، وهذا مستحيل في نظر ق. بطرس بأي حال من الأحوال. فهذا تصوير بديع!! ولكن الله مُصرٌّ على رأيه ثلاثاً، وكأنه يقسم بذاته آباً وابناً وروحاً قدوساً أنه قد جعل الأمم الأنجاس أطهاراً بالمعمودية وقديسين، وعلى ق. بطرس أن يلتزم بهذا الأمر، والمطلوب لا أن يأكلهم بل يأكل معهم ... ولكنه بعد أن قال "نعم" وأكل معهم، عاد وأخَّر نفسه وقام عن المائدة لمَّا رأى قوماً من عند يعقوب داخلين عليهم ... فصار ملوماً (غل 11:2).

«ارتفع الإناء أيضاً إلى السماء»:

ما لم يَقبَله بطرس قبلته السماء، وهكذا صارت التي ليست محبوبة عند الناس محبوبة لدى الله، والذي ليس شعبي في عيون الشعب صار شعباً لله وفي عينيه. وهكذا أصرّ ق. بطرس أيضاً على رأيه ولم يعرف أن ذلك أمرٌ صدر مِنْ قِبَلِ الرب وليس له أن يبدي فيه رأيه، فالرجال على الباب.

المُرسَلون على الباب يطلبون القديس بطرس

10: 17-20 «وإذْ كان بُطرُسُ يَرْتَابُ في نفسهِ ماذا عسَى أن تكونَ الرؤيَا التي رآها إذا الرجالُ الذينَ أُرسِلُوا مِنْ قِبَلِ كرنيليوس، وكانوا قد سألوا عن بيتِ سِمعانَ وقد وقفُوا على البابِ ونـادوا يستخبرُونَ هل سِمعانُ المُلقَّبُ بُطرُسَ نـازلٌ هناكَ.

وبينما بُطرُسُ متفكِّرٌ في الرؤيا قال له الروحُ هوذا ثلاثة رجالٍ يطلبُونكَ. لكن قمْ وانزل واذهب معهُم غير مرتابٍ في شيءٍ لأنّي أنا قد أرسلتُهُمْ».

واضح أن الذي يخاطب كرنيليوس هو ملاك، والذي يخاطب بطرس هو الروح. وهنا يظهر

تنوع وسيط تسليم الرسالة على قدر المرسَل إليهم، وبقدر ما يتسع وعيهم الروحي من إدراك. فالممتلئ من الروح القدس يخاطبه الروح حتماً، والذي ليس على مستوى الروح القدس فملاك. والذي يخاطبه الروح في القلب في الداخل يخاطبه الرب أيضاً في العَلَن وبالسمع.

وبينما بطرس منشغل بالرؤيا ومعناها ومحتواها، وهو مرتاب في الأمر، وفي النجس والدنس الذي يملأ تصوُّره، وكيف يتعامل مع ما لا يحلُّ الناموس التعامل معه، وكأن الله يتعامل معه لأنه طاهر ولأنه يتمم أوامر الناموس؛ إذ بالروح يقطع عليه ارتيابه ويعطيه أمر اليقين أن يتحرك بغير إرادته وينزل بغير إرادته ويذهب بغير إرادته «لأني أنا قد أرسلتُهم» وهكذا يمنطق الروح القدس قلبه وعقله وفكره ويسير به حيث لا يشاء المسير (يو 21 : 18) ـ والمُرسَلون على الباب سيقودونه كما يريد الله أن يكون وليس كما يريد.

10 : 21-23 **«فنزلَ بُطرُسُ إلى الرِّجالِ الذين أُرسِلُوا إليهِ مِنْ قِبَلِ كرنيليوس وقالَ ها أنا الذي تطلبونَهُ، ما هو السببُ الذي حضرتُمْ لأجلِهِ. فقالوا إنَّ كرنيليُوسَ قائِدَ مئةٍ رَجُلاً بارًّا وخائِفَ الله ومشهوُداً له مِنْ كُلِّ أُمَّةِ اليهودِ أُوحيَ إليهِ بملاكٍ مُقدَّسٍ أن يستدعيكَ إلى بيتهِ ويسمعَ مِنكَ كلاماً. فدعاهُم إلى داخلٍ وأضافَهُم، ثُمَّ في الغدِ خرجَ بُطرُسُ معهُم وأُناسٌ مِنَ الإخوةِ الذينَ مِنْ يافا رافقُوهُ».**

كان بُطرس وهو في العلية يستطيع أن يرى ويسمع الذين على الباب مباشرة، لذلك نزل إليهم بالسلّم الخارجي الذي يربط السطح بالشارع، واستفسر منهم عن الغاية التي من أجلها جاءوا. حينئذ انحل اللغز الذي حيَّره وفهم أنه مدعوٌّ لرسالة من الله خارج حدود يهوديته بل خارج حدود ما هو طاهر وما هو حلال أيضاً.

وإذ رأى أن وقت النهار يدعو للضيافة الحتمية، فقد وصلوا في ميعاد الغذاء، رأى أنه من اللائق والواجب أن يدعوهم باسم صاحب البيت للدخول والبقاء حتى الغد لبدء الرحلة من الصباح. فدخل الرجال الثلاثة. وضيافة مفاجئة لرجالٍ ثلاثة أمر ليس هيِّناً على المضيف، أكلاً وشرباً ومبيتاً، ولكن هذا هو الشرق المضياف الذي يتغنَّى بإكرام الضيف حتى إلى عمل اللامعقول[219].

(219) جاء حاتمَ الطائي ضيفٌ ولم يكن لديه من لحم إلاَّ حصانه، فذبحه. غير أن المضياف هنا يهودي.

ومن واقع الكلام نفهم أنهم صاروا في ركبٍ من عشرة رجال، لأن ستةً من يافا انضموا إلى بطرس (أع 12:11) والثلاثة. فساروا الهُوَيْنَى لأن الدواب لا تفي بعدد الراحلين فترجَّل معظمهم.

بطرس يدخل بيت رجل أممي ويبيت

27-24:10 **«وفي الغدِ دخلُوا قيصريَّة. وأَما كرنيليوسُ فكانَ ينتظِرُهُمْ وقد دعا أنسِباءَهُ وأصدِقاءَهُ الأقربينَ. ولمَّا دخَلَ بُطرُسُ استقبلَهُ كرنيليوسُ وسجَدَ واقعاً على قدميهِ. فأقامَهُ بُطرُسُ قائِلاً قُمْ أَنا أَيضاً إنسانٌ. ثم دخلَ وهو يتكلَّمُ معهُ ووجَدَ كثيرينَ مُجتَمِعِينَ».**

حينما يشعر الإنسان ببركات السماء تنفتح عليه، لا يطيق قط أن يكون وحده في تلقّي مراحم الله وإنعاماته، هذه صفة الروح في الإنسان، هذا سمعناه في السامرية: «هلموا انظروا إنساناً قال لي كلَّ ما فعلت، ألعل هذا هو المسيح» (يو 29:4). ونسمعه متواتراً في بداية اختيار التلاميذ: «وهذا وجد أولاً أخاه سمعان فقال له قد وجدنا مسيَّا ...» (يو 41:1)، « فيلبُّس وجد نثنائيل وقال له وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء يسوع ... »(يو 45:1)، «تعال وانظر» (يو 46:1) دعوة حتمية: «الروح والعروس يقولان تعالَ، ومَنْ يسمع فليقل تعالَ.» (رؤ 17:22)

هذا الإحساس الروحي المبارك يكشف عن طبيعة الروح في علاقته بالإنسان، فالروح يختار مَنْ يختار، لكي ينادي الذي يختارُه غيره. والروح ينسكب على مَنْ ينسكب لكي من ملئه يعطي الذي يطلب الملء. فالروح لا ينحصر في واحد. كل هذا يشهد أن الإنسان في أصله واحد، وإن تفتت فهو ينزع إلى الاتحاد أي إلى التوحُّد، والتوحُّد أو الاتحاد لا يتم إلاَّ بالواحد الذي منه انحدر، والذي يجعل الاثنين واحداً!! فالكنيسة وإن كان عددها بالألوف والملايين فهي كنيسة واحدة، والإنسان بالنهاية سيصل إلى «إنسان واحد» إلى ملء قامة المسيح. وهذا الشعور نفسه يستقيه الإنسان بتقواه من الله، لأن الله نفسه «يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يُقبلون.» (1تي 4:2)

كرنيليوس وهو ضابط، وأقصى ما عند الضابط من تحية أن ينحني برأسه وليس أكثر وإلاَّ يهين كرامة الجندية بل كرامة الملك الذي جُنِّد ليحمل لواء كرامته! ولكن كرنيليوس تجنَّد حديثاً على نفقة ملك آخر موطنه السماء والأرض موطئ قدميه؛ كرنيليوس انحنى حتى السجود إلى الأرض لذلك الملك الذي ـ مِنْ قِبَلِهِ ـ جاء بطرس ودخل بيته ليُعلِنه له، ولكن كرنيليوس خلط بين السيد والعبد، فأسرع بطرس ليحمي اتضاعه ويرفع من كرامة سيِّده فأقامه من أمامه ليسجد بالروح لله أبي الأرواح كلها إن في السموات أو على الأرض «

اسجدوا لله يا جميع ملائكته.» (مز 7:97 حسب السبعينية)

بطرس يتكلّم مع كرنيليوس ومَنْ معه مفسِّراً الرؤيا التي رآها
ليعطي انطباعاً لدى السامعين من الأمم والشاهدين من الختان
أن الله افتتح ببطرس عهداً جديداً يرفع فيه ومنه كلمة الدنس والنجس
عن الأمم وعن كل إنسان، توطئة لجمع اليهود والأمم بالروح في المسيح يسوع!
في كنيسة واحدة هي جسده

28:10و29 « **فقالَ لهُم أنتم تعلمونَ كيفَ هو مُحرَّمٌ على رجُلٍ يهوديٍ أن يلتَصِقَ بأحدٍ أجنبي أو يأتي إليهِ. وأمَّا أنا فقد أراني الله أن لا أقولَ عن إنسانٍ ما إنَّهُ دَنِسٌ أو نَجِسٌ. فلذلكَ جئتُ مِنْ دُونَ مُنَاقضَةٍ إذ استدعيتُمُوني، فأستخبرُكُم لأيِّ سببٍ استدعيتُمُوني».**

لم تكن التدقيقات التي وضعها الناموس من جهة التعامل مع الأمم هي على سبيل ضيق العقل أو ضيق الصدر؛ وحتى ما أضافه اليهود الربيون والمعلمون من بعدهم من إضافات تبدو سخيفة بحدِّ ذاتها، فكل هذه لها أصول راسخة في الواقع، لأن حياة الأمم بلا استثناء كانت غارقة في الشر سواء من جهة العبادات وما يجري فيها من ممارسات مخلّة بالشرف والآداب، أو من جهة سلوكهم وعاداتهم وأكلهم وشربهم، فهذه كلها بعد أن تلقَّى الشعب في سيناء شريعته الخاصة أصبحت خطرة على الشعب من كل النواحي. هذه الحقيقة نسمعها من القديس بطرس نفسه وهو يعيِّر بها اليهود الذين تهاونوا سابقاً وعاشروا الأمم وأخذوا عنهم مساوئهم، فهو يكتب لليهود المسيحيين في الشتات العائشين بين الأمم يذكرهم ويحذرهم، كمن يسعى بالكمال المسيحي الذي يطلبه الله «لكي لا نعيش أيضاً الزمان الباقي في الجسد لشهوات الناس بل لإرادة الله. لأن زمان الحياة الذي مضى (كيهود) يكفينا **لنكون قد عملنا إرادة الأمم** سالكين في الدعارة والشهوات وإدمان الخمر والبطر والمنادمات وعبادة الأوثان المحرَّمة. الأمر الذي فيه يستغربون أنكم (المسيحيين) لستم تركضون معهم إلى فيض هذه الخلاعة عينها مجدِّفين.» (1بط 4: 2-4)

إذاً، معنى هذا في الأسلوب الإيجابي أن الله أبقى لنفسه بواسطة اليهود والشريعة وتعاليم الأنبياء عيِّنة من إنسان يصلح أن يصنع منها جسده وبالتالي الكنيسة، ثم سيَّج حول هذا النموذج ليبقى وسط تقلبات العالم حافظاً لسمات يمكن أن تُبنى عليها الكنيسة. ولمَّا حلَّ زمان الخلط تجسَّد

الابن الوحيد، ليستطيع أن يصنع من جسده وبواسطته، إنسان العهد الجديد الذي تتجمع فيه صفات الإنسان الجديد خلواً من تلوثات العصور والأجناس والعبادات المخلّة. وما الملاءة النازلة من السماء إلاّ الكنيسة في صورتها الرمزية، وما الذي تحمله من النجس والطاهر والدنس والصالح من الحيوانات إلاّ عيّنات رمزية من المطلوب جَمْعهُم في حضن واسع للمسيح من البشرية النازعة للعودة إلى صورتها الأولى، ولا قوة ولا فرصة إلاّ بالحضن الإلهي ينزل من السماء متجسّداً. أمّا الأطراف الأربعة فهي أطراف السماء التي التحمت بأطراف الأرض، والتي كما أُنزلت الكنيسة في صورتها الرمزية المستعلنة بالمسيح وفيه، فهي بعينها التي سترفعها إلى السماء لتكون مع الله كل حين في ابنه يسوع المسيح الذي جمع القريبين والبعيدين بصليبه ووحّدهم بجسده وقدّمهم إلى أبيه مصالحَين وبلا لوم مُطهَّرين.

وهوذا الدرس الأعظم قد استوعبه بطرس الرسول أيّما استيعاب، وحوّله إلى منطوقه الإلهي الذي يتقطّر حكمة ونعمة وسلاماً: **«وأمّا أنا فقد أراني الله أن لا أقول عن إنسان ما إنه دنس أو نجس».** هذه هي بعينها قاعدة الكنيسة وأساسها الإلهي، الصخرة التي لا تفرق بين يهودي وأممي بعد الآن، كمبدأ إلهي سلّمه (القديس بطرس) ليد غيره، لأنه صعبٌ عليه أن يحتفظ به وسط اليهود بأورشليم كما أراده الله أن يكون.

وفي تواضعٍ وروح إذعانٍ للذي علّمه وأراه أن يسير وراء معلّمه السمائي كما سار معه على الأرض تابعاً خاضعاً، يعترف بطرس الرسول أن مجيئه اليوم ودخوله بيت كرنيليوس هو يوم افتتاح الطريق والباب لدخول الأمم بيت الله.

ثم طلب منهم أن يُعْلِموه برؤيتهم كما أعلمهم برؤيته، حتى يسجِّل للكنيسة محضر التلاقي تحت رأي الله وختمه، ليكون بدءاً لتاريخ الكنيسة الخالدة.

33-30:10 **«فقالَ كرنيليُوس منذُ أربعةِ أيامٍ إلى هذهِ الساعةِ كُنتُ صائماً. وفي الساعةِ التاسعةِ كُنتُ أُصلّي في بيتي وإذا رَجُلٌ قد وقفَ أمامي بلباسٍ لامعٍ وقالَ يا كرنيليُوس سُمِعَتْ صلاتُكَ وذُكِرَتْ صدقاتُكَ أمامَ الله. فأرسِلْ إلى يافا واستدع سِمعانَ الملقَّب بطرُس. إنّـه نازلٌ في بيتِ سمِعَانَ رجُلٍ دبّاغ عند البحر، فهو متى جاءَ يُكلّمكَ. فأرسلتُ إليكَ حالاً، وأنتَ فعلتَ حسناً إذ جِئتَ. والآن نحنُ جمِيعاً حاضرونَ أمامَ الله لنسمعَ جميعَ ما أُمرَكَ به الله».**

أول اجتماع انعقد لكنيسة الأمم في قيصرية كان بقيادة ضابط روماني رئيس مائة مع

وأنسبائه وأصدقائه الأقربين، يجتمعون معاً برجاء وصول مَنْ يلقّن الإيمان ويعمِّد لتظهر أول كنيسة للأمم في العالم.

وهكذا يشاء الله أن يعلن مدى عمل الروح القدس في الخفاء في هذه القلوب الصالحة والتقية فعلاً. لأن بهذا المنظر تكون كنيسة الأمم قد اقتحمت الطريق إلى الرسل وليس الرسل هم الذين اقتحموها. الأمم أرسلت تطلب مَنْ يُعَمِّدها من أحد الرسل الذين كانوا قد أخذوا أمراً من المسيح للذهاب للعالم كله للكرازة والتعميد. ولكن لمَّا توانى الرسول عنها خرجت تطلبه بإلحاح بحراسة عسكري، ولمَّا حضر شكروه وهم الذين اعتبروا مجيئه عملاً حسناً!!

وللعجب أنهم هم الذين طالبوه أن يقول لهم ما أمره الله به أن يقوله. إن هذه الآية تُحسب مؤاخذة شديدة مهذَّبة من الأمم للكنيسة التي أغفلت حقهم عند الله، وأغفلت أمر الله بخصوصهم.

أول صفحة من بشرى الخلاص
يقرأها ق. بطرس على الأمم عن الكنيسة وباسمها إيذاناً بحلول الروح القدس واشتعال نار النعمة في معسكرهم لبدء النداء باسم الرب

34:10و35 «**فَفتحَ بُطرسُ فاهُ وقالَ، بالحقِّ أنا أجِدُ أن الله لا يقبلُ الوجُوهَ، بل في كُلِّ أُمَّةٍ الذي يتقيه ويصنعُ البرَّ مقبُولٌ عندهُ**».

القديس لوقا إنجيليٌّ هو، كتب لنا سيرة الرب كيف كان يتكلَّم ويعلِّم، وهو هنا دون أن يشعر يتخذ نفس أسلوبه الإنجيلي في الرواية: «ففتح فاهُ وقال» نفس ما كان يصف به المسيح عندما كان يعلِّم.

«**الله لا يقبل الوجوه**»: proswpol»mpthj

الكلمة اليونانية تعني حرفياً ما يقابل بالعبرانية "برفع الوجوه" nasaponim، وهو الاصطلاح السائد في العهد القديم الذي يجعل من "رفع الوجه" معنى"يميز أو يصنع فضلاً أو نعمةً للإنسان"، وبذلك يكون نَفْي هذا الاصطلاح معناه أن الله لا يميِّز الأشخاص باستحقاقهم، كما جاءت في إنجيل ق. لوقا: «فسألوه يا معلّم نعلم أنك بالاستقامة تتكلّم وتعلّم

ولا تقبل الوجوه prÒswpon lamb£nein بل بالحق تعلّم طريق الله » (لو 20 : 21). وهو نفس الاصطلاح الذي أورده لوقا هنا في سفر الأعمال، بمعنى المحاباة لمجرد الوجه أو الشخص في حدّ ذاته. وأول ما جاءت جاءت في سفر التثنية 10 : 17.

وطبعاً هذا تعلّمه ق. بطرس جيداً من درس الملاءة المدلاَّة من السماء وانكشاف سرِّها أنه لا يدعو إنساناً قط أنه دنس أو نجس. وبالتالي مباشرة أن لا امتياز لليهودي على اليوناني، وأن الله لا يحابي اليهودي على حساب الأممي! وهذا قول حق أشد الحق.

وفي هذا المعنى يقول عاموس النبي:

+ «ألستم لي كبني الكوشيِّين يا بني إسرائيل يقول الرب؟ ألم أُصعد إسرائيل مِن أرض مصر والفلسطينيين مِن كفتور، والآراميين مِن قِير؟» (عا 9 : 7)

ويسأل النبي ميخا: ما الذي يجعل الله يَرْضَى عن الإنسان؟

+ «بِمَ أتقدَّمُ إلى الربِّ وأنحني للإله العليِّ؟ هل أتقدَّمُ بمحرقاتٍ؟ ... هل يُسرُّ الربُّ بألوفِ الكباش بربواتِ أنهارِ زيتٍ؟ ... قد أخبَرَكَ أيها الإنسانُ ما هو صالحٌ وماذا يطلبه منك الرب إلاَّ أن تصنع الحق وتحبَّ الرحمة وتسلك متواضعاً ...» (مي 6: 6-8)

والعجيب أن ميخا هنا يصف كرنيليوس العجيب: «رجلٌ بارٌ وخائف الله» «وهو تقي وخائف الله مع جميع بيته يصنع حسنات كثيرة للشعب ويصلّي إلى الله في كل حين» وهو أممي وضابط في جيش روماني مستعمر!! هنا قول ق. بطرس جاء مناسباً للمقام، ومطابقاً للحال، ناطقاً بلسان الواقع، وكأنه يريد أن يقول: «أنت أبرُّ مني»

ولكن لو يلاحِظ القارئ اللبيب يرى أن القديس لوقا وهو يدقق للغاية ويطنب إطناباً من الواقع على موقف كرنيليوس المزكَّى، ثم من الموقف المقابل للقديس بطرس في تزكيته لموقف كرنيليوس، إنما يميل أن يرسم دخول الأمم بصورة جدّ جميلة وشهية للروح. أليس هو (لوقا) أمميًّا؟ وقد جاز النعمة بكل يقين!! ويبدو أيضاً أن دخوله إلى الإيمان كان وراءه مثل هذه التحركات السماوية التي تقطر حبًّا، فأراد أن يبث أحاسيسه الشخصية إلينا وكأنه يعترف بفضل الله ورحمته عليه مرسومة باسم كرنيليوس!

«يصنع البر»: dikaiosÚnhn

ولكن البر هنا ليس بمعنى "برُّ الله"؛ بل هو برٌّ مصنوعٌ؛ فهو لا يعني إلاَّ صُنْع

غير العبادة لله. وقد ذكرها القديس متى على لسان المسيح «احترزوا من أن تصنعوا **صدقتكم** dikaiosÚnhn قدام الناس» (مت 1:6)، والتي تُنطق في العبرانية Sedaqah أي صدقة. ومعروف أن معنى "الصدّيق" هو الكثير الصنع للصدقات. ولكن في معنى العبادة تأخذ كلمة "صدّيق" معنى المحسوب أمام الله أنه بار أي خاشع بقلبه وروحه ويخشى اللوم والملامة. ومنها يأتي المفهوم المشترك بمعنى الذي يعمل أعمالاً حسنة كالصدقات يصير مقبولاً عند الله، أي صدّيقاً على مستوى الأعمال وليس على مستوى تبرير الله، الذي اقتُصر على التبرير بالإيمان بالمسيح في المسيحية.

36:10 «**الكلمة التي أرسلها الله إلى بني إسرائيل يُبشِّرُ بالسَّلام بيسُوعَ المسيح، هذا هو ربَّ الكُلِّ**»

وضع الكلام باليونانية يُقرأ أفضل بحسب العالِم بروس هكذا: «أرسل الكلمة إلى بني إسرائيل ليُخْبر ببشارة السلام (التي نطق بها الملائكة في بيت لحم) بواسطة يسوع المسيح رب الكل»

(أ) وإلى هنا تكون **بشرى الملائكة** بميلاد الرب في بيت لحم اليهودية هي التي أعطى القديس لوقا صورتها الملخَّصة جداً في إنجيل القديس لوقا «وظهر بغتةً مع الملاك جُمهورٌ مِنَ الجندِ السماوي مسبِّحينَ الله وقائلين: المجدُ لله في الأعالي، وعلى الأرض السلامُ، وبالناس المسرَّة.» (لو 2: 13و14)

37:10 «**أنتُمْ تعلمُونَ الأمرَ الذي صارَ في كُلِّ اليهوديَّةِ مُبتَدِئاً مِنَ الجليلِ بعدَ المعموديَّةِ التي كَرَزَ بها يوحنَّا**».

(ب) وهنا ابتدأ ق. بطرس يسرد قصة المسيح عندما ظهر أول **ما ظهر في اليهودية** وذلك بحسب إنجيل يوحنا بصورة خاصة، الذي ابتدأ مع **المعمودية مباشرة**، وكرازة يوحنا بالشهادة له أنه ابن الله بحسب إنجيل يوحنا أيضاً ثم **انتقل إلى الجليل** ليختار الرسل وذلك بحسب الأناجيل الثلاثة ليبدأ عمله.

38:10 «**يسوعُ الذي من الناصِرةِ كيف مسحَهُ الله بالروح القدُسِ والقوَّةِ الذي جالَ يصنعُ خيراً ويشفي جميع المتسلِّطِ عليهم إبليسُ لأن الله كانَ معهُ**».

(ج) يُعطي ق. بطرس صورة خاطفة **لنجَّار الناصرة** وحياته قبل العماد مباشرة توطئة

للمسحة.

(د) ثم كيف **مسحه الله بالروح القدس** في المعمودية. والمعنى الواضح أنه "أعلنه المسيَّا" مؤيَّداً بالروح والقوة. الأمر الذي أعلنه المسيح بدوره علناً عندما دخل المجمع وأُعطِيَ السفر ليقرأ، وكان الروح القدس قد حدَّد السطر الذي يقرأه « **روح السيد الرب عليَّ** لأن الرب مَسَحَني لأبشِّر المساكين، أرسلني لأعصب منكسري القلبِ لأنادي للمسبيِّين بالعتق وللمأسورينَ بالإطلاق، لأناديَ بسنةٍ مقبولةٍ للرب ...» (إش 61: 1و2)، هذه النبوَّة التي سجَّلها القديس لوقا في إنجيله على فم المسيح مباشرة (لو 4: 18و19). ويكمِّل: «ثم طوى السفر وسلَّمه إلى الخادم وجلس وجميع الذين في المجمع كانت عيونهم شاخصة إليه. فابتدأ يقول لهم إنه **اليوم قد تمَّ هذا المكتوب في مسامعكم.**» (لو 4: 20و21)

والملاحَظ أن سرعة السرد والاختصار الشديد والنقلات السريعة والأسلوب هو طبق الأصل من أسلوب القديس مرقس في إنجيله.

(هـ) ثم أعطى ق. بطرس صورة للمسيح وهو **يجول في الشوارع والقرى والبلاد يكرز ويصنع الخير لكل مَنْ يطلبه ويشفي المتسلِّط عليهم إبليس**، معطياً السر في ذلك بذكره مسحة الروح القدس والقوة التي كان يعمل بها، وظهورها علانية إزاء أعمال الشيطان.

وبذلك يكون القديس بطرس قد أعطى الجزء الأول من سيرة المسيح بدءاً من كرازة المعمدان بإعداد الطريق أمامه، إلى المعمودية، إلى عمله في اليهودية أولاً ثم الجليل ثم سكنه في الناصرة وسِرّ لقبه بالناصري، وأعماله التي كانت بمسحة الروح والقوة، وسلطانه على مملكة الشيطان الذي كان يستمده من الله الآب. فأعماله كانت بالآب معمولة، وهذا هو تعليم الرسل عامة في بدء ظهور الكنيسة الذي كان يسمَّى بالكريجما، أي الكرازة بالإنجيل k»rugma، أي الشرح التعليمي للإنجيل في بداية العصر الرسولي.

كما يُلاحَظ في شرح القديس بطرس هنا أنه كان مؤسساً على حقيقة أن كرنيليوس لم يكن مجرد أممي ساذج، ولكنه كان تقيًّا خائف الله يصنع البر ومقبولاً عند الله، مما يعطي الانطباع أنه كان عارفاً بكل ما كان يجري في إسرائيل من جهة المسيَّا وظهوره وأعماله والطريق الجديد الذي كان يطلب الانضمام إليه. كذلك نجد شرحه للإنجيل هنا يختلف عن شرحه لليهود يوم الخمسين ليناسب قوماً لا يعرفون الكتب وليست لهم خلفية من جهة المسيَّا.

10: 39-43 **«ونحنُ شهُودٌ بكلِّ ما فعلَ في كورةِ اليهوديةِ وفي أُورشليمَ، الذي أيضاً قتلوهُ معلّقينَ إيَّاهُ على خشبةٍ. هذا أقامه الله في اليومِ الثالثِ وأعطى أن يصيرَ ظاهراً ليس لجميعِ الشعبِ بل لشهودٍ سبقَ الله فانتخبهم، لنا نحن الذين أكلنا وشَرِبنَا معهُ بعدَ قيامتهِ مِنَ الأمواتِ، وأوصانا أن نكرزَ للشعبِ ونشهدَ بأن هذا هو المُعيَّنُ مِنَ الله ديَّاناً للأحياءِ والأمواتِ. له يشهَدُ جميعُ الأنبياءِ أن كُلَّ مَنْ يؤمنُ به ينالُ باسمهِ غُفرانَ الخطايا».**

(و) ويقدِّم ق. بطرس ما يثبت صدق قصة المسيح **بشهادة الرسل** في كل ما عمله في اليهودية وأورشليم والجيل.

(ز) ولكن كل ما عمله المسيح من الخير والشفاء للشعب لم يمنع الرؤساء من أن **يحكموا عليه بالموت على الصليب كمَنْ يحمل لعنة الناموس** الواقعة على كل مَنْ خالف الناموس، والكل خالفوه.

(ح) ثم يكمِّل السيرة **بالقيامة من الأموات** في اليوم الثالث وظهوره علناً لكل مَنْ اختارهم ليكونوا شهوداً له.

(ط) ويقدِّم ق. بطرس نفسه مع الرسل **كشهود قيامة أكلوا وشربوا معه** بعد قيامته من الأموات.

(ي) مؤكّداً بذلك صدق وحقيقة قيامته بالجسد الذي له، **ليكرزوا للشعب ببشارة القيامة من الأموات.**

(ك) حتى يؤمن كل المدعوين للخلاص بخبر البشارة، أمَّا الذين لا يؤمنون فتكون الدينونة باقية عليهم مع حكم اللعنة والموت.

(ل) ثم يؤيِّد **بشهادة الأنبياء جميعاً حقيقة غفران الخطايا لكل مَنْ يؤمن باسم المسيح.**

وبذلك يكون ق. بطرس قد أكمل كل العناصر الأولى المبشَّر بها في الإنجيل، وإنما باختصار شديد وتتابع متقن.

وهذا يُعتبر أول شرح رسولي مفصَّل للإنجيل كعناصر أساسية مقدَّمة للأمم لقبول الخلاص. والملاحَظ على هذا الشرح أنه يتبع نفس خطوات بشارة بولس الرسول. فالإنجيل المبشَّر به والشرح واحد في عناصره الأساسية.

كذلك يُلاحَظ تشديد ق. بطرس على القيامة في اليوم الثالث لا من جهة دقة وحقيقة القيامة بحدِّ ذاتها كفعلٍ تم ومشهود له، بل يقولها ق. بطرس من جهة التوقيع النبوي على حادثة القيامة. وهذا التعبير هو الذي أخذت به الكنيسة في قانون الإيمان: «**وقام من الأموات في اليوم الثالث كما في الكتب».** هنا إضافة «كما في الكتب» هي لبطرس الرسول كتعبير رسولي مشهود له من الأنبياء. وهنا يتم ربط العهد القديم بالجديد في نقطة ارتكاز عظمي وأساسية في الإيمان المسيحي وهي القيامة من الأموات. وطبعاً النبوَّة المعتمدة هنا من الرسل هي نبوة هوشع النبي التي قالها بفم الشعب شعب إسرائيل، لأن قيامة المسيح في اليوم الثالث هي أصلاً وبالأساس تعبير خلاصي عن قيامة الشعب من لعنة الموت والهلاك. فالمسيح هو إسرائيل الجديد: «هلم نرجع إلى الرب لأنه هو افترُس فيشفينا، ضُرب فيجبرنا، يحيينا بعد يومين، في اليوم الثالث يقيمنا فنحيا أمامه.» (هو 6: 1و2)

والقارئ المدقق يرى أن هذه النبوة هي أدق وأصدق وصف لزمن موت المسيح وقيامته، لأنه فعلاً بحساب الساعات والأيام تم هكذا: «**يحيينا بعد يومين ـ في اليوم الثالث يقيمنا** فنحيا أمامه» فبين اليومين والثلاثة قام المسيح حيًّا!! فبدل أن نقول في قانون الإيمان هذا بالتفصيل، نقول: «وقام في اليوم الثالث **كما في الكتب**» هذا هو التقليد الرسولي المأخوذ به منذ البدء والذي اتَّبعه بولس الرسول أيضاً: «وأنه دُفن وأنه قام في اليوم الثالث **حسب الكتب.**» (1كو 15: 4)

ولم يَغِبْ عن الرسل ولا يغيب عن بالنا نحن أيضاً الأصل النبوي من الكتب المأخوذ به هنا أيضا، باعتبار أن المسيح هو "**حبَّة الحنطة التي ماتت وقامت**" كما جاء في سفر اللاويين، حيث جاءت فيه بإحكام بديع، إذ يقول إن في غد السبت أي الأحد بعد الفصح تقدمون باكورة حصاد القمح، مهما كان يوم الفصح سواء الاثنين أو الثلاثاء ... إلخ أو **الجمعة.** ففي فصح المسيح نرى أنه جاء بالفعل يوم الجمعة، أي قُدِّم المسيح مذبوحاً على الصليب يوم الجمعة، **وبهذا يكون الأحد الذي قام فيه المسيح هو ثالث يوم من يوم الذبح على الصليب!!**

+ «كلِّم بني إسرائيل وقُلْ لهم متى جئتم إلى الأرض التي أنا أعطيكم (الأرض الجديدة)، وحصدتم حصيدها (القيامة العامة) تأتون بحزمة أول حصيدكم (باكورة الراقدين) إلى الكاهن فيردد الحزمة أمام الرب للرضى عنكم (المصالحة) **في غد السبت** (باكر الأحد) يرددها الكاهن (يتراءى المسيح أمام الآب)!» (لا 23:

(10و11)

هنا الفصح الحقيقي هو ذبح المسيح على الصليب، والحصيد العام هو القيامة المزمعة، وحزمة الباكورة للحصيد هي قيامة المسيح بكل يقين وترديدها أمام الله هو ترائي الرب أمام الآب: «لا

تلمسيني **لأني لم أصعد بعد إلى أبي.** ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم **إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم.**» (يو 20 : 17) **"وغد السبت هو الأحد"** وهو ثالث يوم من الفصح الواحد الوحيد الحقيقي.

«نحن الذين أكلنا وشربنا معه بعد قيامته من الأموات»:

نص شهادي غاية في الأهمية، إذ يُعطي القناعة الحسِّية لتوثيق قيامة المسيح من الأموات بجسده هو هو. فهنا تحقيق للقيامة كما نؤمن بها أنها قيامة حقيقية وليست خيالية، وقيامة منظورة ومحسوسة على مستوى النظر والسمع والأكل والشرب، مما ينعكس على حقيقة الأسرار المقدَّسة من جهة أكل الجسد وشرب الدم على مستوى الخبرة المقدَّسة. فهنا المسيح قائم **بالإيمان** على أساس الإيمان بالقيامة المحققة حسيًّا من التلاميذ. ففي القيامة التي رآها وأحسَّها وباشر وجودها الحسي كل التلاميذ آكلين وشاربين معه، وهو الإله غير المنظور ولا المحسوس ولا المأكول ولا المشروب، فهنا في السر نأكل جسده ونشرب دمه غير المنظور وغير المحسوس لاهوتياً، والمحسوس والمنظور إيمانياً على مستوى الإيمان بقيامته التي باشر تحقيقها الرسل واشتركوا معها آكلين وشاربين بكل حواسهم.

وحينما أكل التلاميذ وشربوا معه بعد قيامته من الأموات، فالجسد الذي عاينوه وشاركوه بحواسهم كان هو بعينه الجسد حامل الموت والدفن والقيامة، جروحه عليه وهو في ملء الحياة. فصار إيمانهم بموت الرب وحياته أي قيامته من الأموات فعلاً محققاً تحقيقاً إيمانياً وحسيًّا بآن واحد. وهذا ما نباشره في أكلنا من السر المقدَّس الجسد والدم الذي نأكل فيه المسيح ميِّتاً ومقاماً بالإيمان على مستوى التلاميذ في شركتهم مع المسيح ميتاً ومقاماً.

وبذلك نرى أن تصميم الرسل على الشهادة بأنهم أكلوا وشربوا معه بعد قيامته من الأموات، قد أدخَل في اللاهوت المسيحي مفهوماً خطيراً للقيامة من الأموات:

أولاً: أنها قيامة حقيقية وليست خيالية أو فكرية.

ثانياً: أنها قيامة بجسده وذاته وصفاته وحياته تماماً كالأولى، بإضافة أنها دخلت في صميم الحياة الأخرى والوجود الروحي الفائق مع الآب.

ثالثاً: يكون قد تحقق بذلك كل ما علَّم به المسيح سابقاً من جهة موته وقيامته وبالأخص من جهة الوجود الفعلي لحياة أخرى فائقة عن هذه الحياة الحاضرة، ولكن ليست منفصلة عنها بل مكمِّلة لكل نقائصها.

رابعاً: إن بالقيامة من الأموات يحتفظ **الإنسان** بكل ملكاته وقواته وعواطفه وتصوراته، ولكن في غير حاجة إلى تحقيقها مادياً أو الخضوع لمتطلباتها الحسية، فهو يستطيع أن يأكل ولكنه لا يحتاج أن يأكل لأنه يحيا بمصادر أخرى تسمو عن مصادر أعواز الجسد، وهو يستطيع أن يفكر ويعقل ويتكلَّم ويسمع ويُقنع ويقتنع دون أي حاجة لكل هذه الظواهر فهو يمارسها في الحياة الأخرى بطريقة أسمى وأكثر رقيًّا وروحانيةً وامتداداً وخلوداً. يسترجع الماضي في غير اتصال أو تأثُّر به، فهو حرٌّ من كل حياته السالفة، إذ لا يتركب ولا يترتب عليها من مناقصها وذلك للذين اجتازوا اختبار العبور دون دينونة: «لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح.» (رو 8 : 1)

خامساً: ويكونون قد أثبتوا إمكانية الاتصال الحقيقي والمباشر مع العائشين على الأرض يعطون ولا يأخذون، يعلّمون ولا يتعلّمون، يؤازرون وينبِّهون ويرشدون ويثبتون الإيمان في القلوب.

سادساً: ويكونون قد أثبتوا أيضاً أن الحياة الأخرى لها عملها ورسالتها بالنسبة للحياة على الأرض: «نعمًّا أيها العبد الصالح والأمين، لأنك كنت أميناً في القليل (الأرض) فليكن لك سلطان على عشر مدن ...» (لو 19 : 17)

إذاً، فالحياة الأخرى حياة مؤثرة في هذه الحياة على الأرض، تؤثر فيها ولا تتأثر بها. ترقّيها ولا تترقّى بها.

إذاً، فهي نِعْمَ الحياة ونِعْمَ الأفضل ونِعْمَ الكامل!! «الآن أعرف بعض المعرفة لكن حينئذ سأعرف كما عُرفت.» (1كو 13 : 12)

ســابعاً: وهذا ما يهمنا للغاية أن الرب المقام من الأموات لا يزال بعد القيامة مع تلاميذه ورسله القديسين حسب وعده تماماً: «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت 28 : 20). وهذا هو الأساس الحي الإلهي الذي بُنيت عليه الكنيسة: «مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية» (أف 2 : 20)، وعليه نقوم إلى قيام الساعة. وبهذا وعلى هذا الأساس يشهد الآن القديس بطرس لكرنيليوس وكل بيته كباكورة الأمم.

«ديَّاناً للأحياء والأموات»:

إن رسالة المسيح تبلغ غايتها في الدينونة، والدينونة تسري على الأحياء والأموات جميعاً، وهذه الدينونة كقضاء الله الحتمي إنما أُعطيت كلها للابن، والله لم يشأ أن تقع تحت قضاء الملائكة أو جنس آخر بل حدَّده وحصره أن يكون كله في يد ابن الإنسان. وهكذا بحكم الجنس والقُرْبى

ووحدة الألم والمعاناة يستطيع أن يرحم ويتراءف، فهو ابن الله وابن الإنسان بآنٍ، يحكم باسم الله بعدله وبرِّه، وكونه هو هو ابن الإنسان الشريك في اللحم والدم يستطيع أن يقيس القياس الحقيقي والصادق والأمين فيما يستحقه الإنسان من قضاء ورحمة بآن واحد:

+ «لأنه فيما هو قد تألَّم مجرَّباً يقدر أن يعين المجرَّبين» (عب 2 : 18)
+ «وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً لأنه ابن الإنسان.» (يو 5 : 27)
+ «لأن الآب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن (ابن الله).» (يو 5 : 22)
+ «مَنْ هو الذي يدين. المسيح هو الذي مات بل بالحري قام أيضاً الذي هو أيضاً عن يمين الله الذي أيضاً يشفع فينا.» (رو 8 : 34)

لذلك يقولها المسيح واضحة صريحة كقانون قد تحدَّد:

+ «الحق الحق أقول لكم إن **مَنْ يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة** بل قد انتقل من الموت إلى الحياة.» (يو 5 : 24)

«له يشهد جميع الأنبياء أن كل مَنْ يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا»:

لقد رفع بطرس الرسول الامتياز الذي طوَّق به نفسه هو وكل بني إسرائيل معه من جهة تخصُّص الله لهم وتخصصهم لله بإبراهيم وإسحق وإسرائيل، وبيد مرتعشة استند على الأنبياء ليسلِّم الأمم غفران الخطايا والإيمان بالله والمسيَّا!

وكأن الروح القدس كان بانتظار نُطق ق. بطرس بأحقية الأمم في الخلاص عن قناعة، واستشهاده بالأنبياء لكي ينسكب عن رضى بني يعقوب وخضوع ذوي الرقاب الصلبة. لأن غاية الروح القدس في الانسكاب أن يجمع الشعب مع الشعوب ويجعل من الاثنين واحداً ويصنع على الأرض كنيسة واحدة تجمع كل الشعوب معاً لتسبِّح الخالق بنفس واحدة وإيمان واحد!

فإن كان المسيح هو الذي يدين العالم فحتماً هو الذي يغفر خطايا العالم. فهو نفسه الذي قال: «ولكن لكي تعلموا أن **لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا.**» (مر 2 : 10)

أمَّا خلاصة أقوال الأنبياء في حقيقة غفران الخطايا التي كان الله مزمعاً أن يضعها في يد ابنه فقد تنبأ عنها إشعياء النبي بمنتهى العلانية والوضوح: «أمَّا الرب فسُرَّ بأن يسحقه بالحزن، إن جعل **نفسه** "ذبيحة إثم"، يرى نسلاً تطول أيامه ومسرة الرب بيده تنجح، ...

وآثامهم هو يحملها ... وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين.» (إش 53: 10و11)

ـ الروح القدس ينسكب على الأمم مباشرة ـ
صورة ليوم الخمسين

[انظروا كيف يعالج الله الأمور بعنايته،
لم ينتظر حتى يفرغ ق. بطرس من كلامه،
ولا حتى انتظر أن تُجرى المعمودية بأمر من ق. بطرس،
ولكن الله لمَّا وثق أن قلوبهم بلغت حدّ الفطنة،
وأدركوا من التعليم أن خطاياهم بالمعمودية ستصير مغفورة حتماً،
للوقت حلَّ الروح القدس بفعل عظيم
قاصداً الرب أن يعطي ق. بطرس أساساً متيناً لتبرئته ...
أمَّا لسان حال ق. بطرس فهو إني جئت لأتعلّم.]
(القديس يوحنا ذهبي الفم)
(العظة 24)

44:10 **«فبينما بُطرُس يتكلَّمُ بهذهِ الأمورِ حلَّ الرَّوحُ القُدسُ على جميع الذينَ كانوا يسمَعُونَ الكلِمَة».**

لقد طرح القديس بطرس الإنجيل بأكمله مختصراً ولكن بارز المعالم، مقدِّماً المسيح لهم مصلوباً ومُقاماً من الموت، ديَّاناً للأحياء والأموات، وغافراً للخطايا والذنوب الذي هو محور الإيمان الكامل بالمسيحية. القديس بطرس سلَّمهم المسيح فقبلوه، آمنوا به بل كانوا قد آمنوا به قبل أن ينطق ق. بطرس بقواعد الإيمان الأساسية التي تؤهلهم لعمل نعمته.

لقد اغتصب كرنيليوس ملكوت السموات بما قدَّمه من عبادة وتقوى ومخافة ثم بذل وعطاء فائق الوصف مع صلاة وترقُّب قاده إلى الإيمان، كرنيليوس كان على ميعاد مع نعمة المسيح واتصال بلا وسيط بروحه القدوس. ولكن تحتَّم لدى الله والمسيح أن يختم إيمانه بسماع الخبر بالكلمة وقبولها علناً من فم الكنيسة التي أرساها المسيح على أساس الرسل «مبنيين على أساس الرسل»

وإن ما حدث لكرنيليوس وأهل بيته وحتى أنسبائه وأصدقائه المقرَّبين لهو أمرٌ عجيب بالنسبة لمسار الإيمان والاستحقاق والمعمودية ثم انسكاب الروح القدس. كرنيليوس كان

ترقباً بالغ اللهفة، وقد أعدَّ له وعاء قلبه بأجمل الإعداد والاستعداد، لم يطق الروح صبراً على تمهُّل بطرس الشديد ليُوفي حق الشهادة لتبرئ ذمته. ومن هذه السابقة التي لم يحدث لها نظير ـ أي قبول الأمم علناً ورسمياً باسم الكنيسة والمسيح ـ أعفاه الروح القدس من تسديد كل الأركان التي يودّ أن يتذرع بها أن الله هو الذي اختار وعيَّن وأرسل، فحلَّ الروح القدس مباشرة على كل المجتمعين، كدأب الروح القدس دائماً دون تفريق، وقبل أن يُجري ق. بطرس العماد أو النطق بالإيمان أو وضع اليد للمسحة!! نعم حلَّ الروح القدس من تلقاء ذاته لأنه رأى أن إناءه الذي سيرتاح فيه قد أُحسن إعداده بل تزيينه بكل ما يشتهي الروح أن يكون لهيكله الذي يسكن فيه.

وهكذا وبهذا العمل الفريد أراد الروح القدس أن يحتفظ بارتفاعه فوق الإجراءات والطقوس، لأنه يرى في نفسه أنه إنما هو الذي يسبق ويعدُّ ويسبق ويجُري كل ما ينبغي أن يُعدَّ.

وصدق الرب ـ المبارك اسمه ـ حين قال:

+ «فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحري الآب الذي من السماء يعطي الروح القدس للذين يسألونه.» (لو 11:13)

لقد سأل كرنيليوس فأعطاه الله، لأنه تقدَّم إليه كعبد خائف يطلب رضاه، فقبله الله كابن، وكأب أعطاه الروح ليحيا أمامه إلى الأبد. فالله روح ويطلب الساجدين له بالروح ليعطيهم الروح. لقد سأل كرنيليوس عطية الله فكيف لا يعطيه الله عطيته الحسنة. كل هذه المشاعر المكدَّسة في قلب كرنيليوس أحسَّها الله وأجاب عليها بصورة فريدة ليعبِّر الله أيضاً عن المشاعر المفرطة لحبه لكرنيليوس، فأرسل له الروح القدس مباشرة من السماء، بصورة تحاكي صورة حلوله يوم الخمسين على أهل الختان. على أن حلوله على الأمم بهذه الصورة الفريدة إنما كان امتداداً حتميًّا ليوم الخمسين وليس تفرُّداً عنه، لأن حلول الروح القدس يوم الخمسين كان يشمل بالضرورة كل الأمم وإن كان لم يكن قد أتى ميعادهم بعد!

والقديس بطرس هو الذي ينبِّه ذهننا إلى العلاقة الصميمية بين حلول الروح القدس يوم الخمسين على أهل الختان وحلوله على الأمم هكذا:

+ «فلما ابتدأت أتكلَّم **حلَّ الروح القدس عليهم كما علينا أيضاً في البداية ... فإن كان الله قد أعطاهم الموهبة كما لنا أيضاً بالسوية** مؤمنين بالرب يسوع، فمَنْ أنا؟ أقادر أن أمنع الله.» (أع 11: 15-17)

وفي موضع آخر قال:

+ «والله العارف القلوب شهد لهم معطياً لهم الروح القدس **كما لنا أيضاً**.» (أع 8:15)

والملاحَظ هنا ـ وهذا عجيب حقاً ـ أن ق. بطرس لا يقارن حلول الروح القدس وتأثيره على الأمم مع حلوله وشروطه على الثلاثة آلاف، بل يقارنه مع حلوله على التلاميذ أنفسهم: **«كما علينا أيضاً في البداية»، «كما لنا أيضاً بالسوية».**

كذلك نجد المفارقة شديدة بين أهل الختان الذين طلبوا أن يرشدهم ق. بطرس نفسه: « ماذا نعمل؟» فكان رده: «توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس» (أع 38:2)، وبين الأمم، حيث نجد أن الروح القدس حلَّ بدون مطالبة بتوبة ولا إجراء عماد!!

بل يزيد الله من المقارنة إذ يجعل حلول الروح القدس على كرنيليوس وأهل بيته يصاحبه آيات ومعجزات وتكلُّم بألسن كما حدث للتلاميذ وليس عامة الشعب.

إن كنيسة الختان لم تقدم ما تستحق به حلول الروح القدس إلاَّ الصلاة بنفس واحدة مع الصوم والطلبة في العلّية، هذا تمَّمه كرنيليوس مع أهل بيته وأصدقائه، فحسن جداً في عين الله.

وهكذا يفتتح الله عهده الجديد مع الأمم بحادثين غير عاديين: **الأول:** حلول الروح القدس على كرنيليوس وأهل بيته وأصدقائه قبل إجراء العماد وقبل وضع اليد، **والثاني:** ظهوره لشاول واختياره له رسولاً وإعطاؤه مؤهلات الإناء المختار الذي يحمل اسمه إلى الشعوب والملوك وبني إسرائيل أنفسهم، كل ذلك قبل أن يعتمد بل وقبل ان يحلَّ عليه الروح القدس بوضع اليد. هذه المعجزات التي اخترق بها الله حصار أهل الختان حول الأمم كانت لازمة، ليس للأمم بقدر ما كانت لازمة لأهل الختان، لكي يدركوا أن دخول الأمم للإيمان والخلاص هو من قِبَلِه رأساً وليس امتداداً لختانهم وناموسهم.

ولكن بالأولى ومن جهة أخرى، فإن عماد شاول وحلول الروح القدس عليه مع وضع اليد عليه، ثم عماد كرنيليوس وكل بيته وأصدقائه وقبول وضع اليد، كل ذلك بعد حلول الروح القدس وامتلائهم بشهادة الآيات والمعجزات التي حدثت لهم، هذا وذاك يثبت ضرورة المعمودية ووضع اليد مهما كان قد سبق ذلك الملء من الروح القدس، ومهما كانت الآيات والمعجزات وحتى رؤية المسيح والتحدُّث معه.

أي أن حلول الروح القدس وحدوث المعجزات، ورؤية المسيح في السماء وتقبُّل

الرسولية منه،

كل ذلك لا يغني عن المعمودية ولا يغني عن حتمية وضع اليد!! وبالتالي الخضوع الكامل لتدبير الكنيسة كما استلمته من المسيح وتدبيره.

10: 45و46 **«فاندهَشَ المؤمنُونَ الذين مِنْ أهلِ الختانِ كُلَّ مَنْ جاءَ معَ بُطرُسَ لأن موهبة الرّوح القُدُسِ قد انسكبت على الأممِ أيضاً. لأنهم كانوا يسمعونَهُمْ يتكلّمونَ بألسِنَةٍ ويعُظّمونَ الله».**

لم يشأ الله أن يجعل حلول الروح القدس بدون علامات وبرهان صادق على صحة وقوة وفاعلية حلوله. بمعنى تقبُّل الأمم موهبة الخليقة الجديدة بالروح، أي نوال الإنسان الجديد بفاعلية قيامة الرب يسوع من الأموات، الأمر الذي أدهش أهل الختان خاصة أنه قد أُعطي لهم أن يتكلّموا بألسنة: **«ويعظّمون الله»**، التي هي أخص خصائص شعب الله، والذي كان يفرّقه عن باقي الأمم!! وكان هذا طبق الأصل مما عمل الروح القدس يوم الخمسين مع التلاميذ. لذلك يعتبر حلول الروح القدس على الأمم ممثّلين بكرنيليوس وأهل بيته هو استمرار ليوم الخمسين يوم استعلان الخليقة الجديدة لا فرق بين يهودي وأممي.

وهنا يقول بطرس الرسول أيضاً بعد ذلك: «**فتذكرت كلام الرب كيف قال إن يوحنا عمَّد بماء وأمَّا أنتم فستُعمَّدون بالروح القدس**» (أع 11:16). وهذا القول من ق. بطرس خطير للغاية لأن الرب قال هذا القول **خاصة للتلاميذ** المجتمعين في العلية. إذاً، فبطرس يعني أن الأمم هنا **تعمَّدوا بالروح القدس** قبل أن يعتمدوا بماء المعمودية بعد ذلك.

من هنا فيلفهم القارئ من أين جاءت حيرة ق. بطرس حينما قال: «فإن كان الله قد أعطاهم الموهبة كما لنا أيضاً بالسوية مؤمنين بالرب يسوع المسيح فمَنْ أنا. أقادر أن أمنع الله» (أع 11:17)، بمعنى أن الله تجاوز الكنيسة وتجاوز سلطان ق. بطرس وأعطاهم كل مؤهلات المسيحية التي أعطاها لليهود قبل المعمودية وقبل وضع يد الرسولية!! وهذا أيضاً ما عبَّر عنه في الآية القادمة هكذا:

10:46و47 **«حينئذٍ أجابَ بُطرُسُ أتُرَى يستطيعُ أحدٌ أن يمنَعَ الماءَ حتى لا يعتَمِدَ هؤلاءِ الذينَ قبلُوا الرّوحَ القُدُسَ كما نحنُ أيضاً».**

أي أن بطرس الرسول حينما رأى بعينيه وسمع بأذنيه أن الروح القدس حلَّ عليهم حلولاً مُبَرْهَناً بالتكلّم بالألسن وبإعطاء التمجيد وتعظيم الله باللسان بلا أي سلطان رسولي، وقف منذهلاً أمام

عمل الروح القدس الذي أخذ المبادرة من الكنيسة وتجاوز عمل الرسولية وعمّدهم بنفسه صائراً أشبيناً لهم بنفسه!! إذاً، أصبح ق. بطرس مجبراً أن يعمِّدهم بالماء صاغراً طائعاً منذهلاً!

يُلاحِظ القارئ أن ق. بطرس هنا يخاطب نفسه ويكلّم أهل الختان الذين برفقته: أتُرى يستطيع أحد الآن ـ كان مَنْ كان ـ أن يمنع الماء عن هؤلاء بعد أن عمَّدهم الروح القدس بنفسه؟

ويُلاحِظ القارئ أيضاً أن ما عمله الروح القدس سبق ونبَّه الروح عليه: «**ما طهَّره الله لا تدنِّسه أنتَ**». نعم هكذا طهَّر الله الأمم، فما عاد اليهود بقادرين أن يقولوا عنهم أنهم أنجاس أو أدناس بعد! وهذا ما آمن به ق. بطرس وأعلنه لكنيسة أُورشليم حينما انعقد مجمع الرسل في أورشليم للتشاور في موضوع دخول الأمم، وطلب رفع الناموس عنهم: «والله العارف القلوب شهد لهم معطياً لهم الروح القدس كما لنا أيضاً، **ولم يميِّز بيننا وبينهم بشيء إذ طهَّر بالإيمان قلوبهم.**» (أع 15: 8و9)

ولكن الحق يُقال أنه لولا حلول الروح القدس هكذا ظاهراً وبدلائل قوية وببرهان التكلُّم بألسنة وعمل الآيات وتمجيد الله وتعظيمه أمام أعين ق. بطرس والذين معه من أهل الختان، ما كان ق. بطرس وبقية اليهود بقادرين أن يؤمنوا وأن يعترفوا وأن يعلنوا أن الأمم صاروا من جهة الاختيار والتطهير والإيمان بالله والامتيازات على مستوى الرسل أنفسهم بلا أي استثناء! «**ولم يميِّز بيننا وبينهم بشيء**». بل ويمعن ق. بطرس في ذكر التساوي الحاصل بين الرسل وبين باكورة الأمم حتى وضع مستوى الخلاص واحداً متساوياً «لكن بنعمة الرب يسوع المسيح نؤمن أن نخلص **كما أولئك أيضاً**» (أع 15:11). ولينتبه القارئ في التشبيه إذ شبَّه خلاص الرسل بخلاص الأمم معطياً الأمم الأسبقية في التشبُّه، وهذا أيضاً يلفت النظر.

فانظر، أيها القارئ العزيز، وتمعَّن جيداً كيف خطط الله ودبَّر لدخول الأمم الإيمان، لأن هذا يعنينا جداً، إذ يكشف عن تصميم الله لأن يلغي الفوارق نهائياً التي كان يفتخر بها اليهود، ويرفع من علاقة الأمم أمامه وعنده وكيفية دخولهم الإيمان إلى مستوى الرسل أنفسهم: «هؤلاء الذين قبلوا الروح القدس كما نحن أيضاً» ! إن هذا أمر يذهل العقل. ولكن هذا وإن كان يرفع من شأن الأمم في اعتبار الله واليهود، إلاَّ أنه لا يقلّل من شأن الرسل عنده وعند الأمم، فهم أساس الكنيسة وأعمدتها بالدرجة الأولى، ونحن على هذا الأساس

مبنيون.

48:10 **«وأمرَ أن يعتَمِدُوا باسمِ الربِّ. حينئذٍ سألوُهُ أن يمكُثَ أياماً».**

نعم. ولو لم يكن القديس بطرس قد رأى الروح القدس والآيات شاهدة لعمله فيهم، ما جرؤ قط على تعميدهم. فالروح القدس سبق ووضع ق. بطرس في موقف مَنْ يلتزم بالتعميد التزاماً. إن هذا هو حذق الروح الحكيم الذي يقنع الإنسان بأولويته على كل فكر ومشورة.

ولا شك، عزيزي القارئ، أننا منذهلون من هذه الحوادث المتتابعة التي أخذ فيها الروح القدس زمام المبادرة والحركة والعمل بصورة طاغية منذ يوم الخمسين، وبالأكثر جداً في عملية دخول الأمم. والذي يجعلنا نهتف لحكمة الروح ونمدح تدبيره أنه بعدما أوقع ق. بطرس في طاعته صاغراً، عاد وأقنع ق. بطرس أن يفتخر بما عمله الروح أمامه وكأنه شريك فيما عمل، فتسمع ق. بطرس يفتخر بقوله: «فاجتمع الرسل والمشايخ لينظروا في هذا الأمر. فبعدما حصلت مباحثة كثيرة (نقاش حاد، نعم ولا)، قام ق. بطرس وقال لهم: أيها الرجال الإخوة أنتم تعلمون أنه منذ أيام قديمة **اختار الله بيننا أنه بفمي يسمع الأمم كلمة الإنجيل ويؤمنون.**» (أع 15: 6و7)

«يعتمد باسم الرب»:

ليس هذا نقصاً في مقولة التعميد الإيمانية: «عمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » ولكن لم يكن قد حان بعد وقت التعريف بعمق طبيعة الله التي تحتاج إلى استعلان خاص. فهنا اسم الرب ينوب عن الثالوث بكل تأكيد، لأن "الاسم" واحد: «أنا هو » ™gè e„mi

وهنا لا يغيب عن بالنا أن أحداً قط ما اقترح بلزومية الختان، فحلول الروح القدس غطّى على كل مماحكات الفكر معطياً ختم الإيمان النهائي على صحة الإيمان والقبول والتبعية وبالتالي الخلاص. وهكذا قطع الروح القدس خط الرجعة على الرجعيين بحركة واحدة أتاها بحكمته الفائقة إذ فقط قدَّم الحلول على العماد!! يا لغنى حكمة الروح وإبداع فكره وتدبيره!

وكان من الضروري للغاية أن يمكث ق. بطرس في قيصرية أياماً ليلقّنهم علم معرفة الرب وحياة المسيح وأُسس الإيمان وواجبات السلوك المسيحي، ويسلمهم ذخائر العهد القديم وشروحه على نور الصليب؛ ويحكي عن مسيَّا اليهود الذي سرقه الأمم من أيديهم؛ وأمجاد إبراهيم وإسحق ويعقوب التي حلّت عليهم بحلول الروح القدس، والوعد والموعد القدوس وفصح الدهور «والعهد الجديد بدمي»

الأصحاح الحادي عشر

(11: 1 - 18) دخول بطرس بيت رجال ذوي غلفة تصبح قضية ضدَّه وبطرس يدافع عن نفسه لدى كنيسة أُورشليم

- **(11:19-30) المسار الرابع لانتشار الكنيسة:**

أعمال الإخوة اليونانيين الكارزين لتأسيس أول كنيسة أممية.

دخول بطرس بيت رجال ذوي غلفة تصبح قضية ضدَّه
بطرس يدافع عن نفسه لدى كنيسة أُورشليم
[11: 1-18]

1:11-3 «فسَمِعَ الرُّسُلُ والإخوةُ الذين كانوا في اليهوديَّةِ أن الأُممَ أيضاً قبلُوا كلمة الله. ولمَّا صَعِدَ بُطرُسُ إلى أُورشليم خاصَمَهُ الذين مِنْ أهلِ الختانِ قائلينَ إنَّكَ دخلتَ إلى رجَالٍ ذَوي غُلفَةٍ وأكلتَ معهم».

يُفهم من النصوص لنسخة أخرى من سفر أعمال الرسل محفوظة في الغرب أن بطرس مكث وقتاً طويلاً يبشِّر في نواحي قيصرية حتى إلى أُورشليم، فلمَّا تأخر وكانت قد شاعت أخبار حلول الروح القدس على الأمم وقبولهم المعمودية بواسطة بطرس الرسول؛ فقبل أن يصل بطرس إلى أُورشليم كانت قد تهيَّجت نفوس المتعصبين للناموس واليهودية من المسيحيين في كنيسة أُورشليم. فقابلوه أسوأ مقابلة، بل خاصموه.

«خاصمه»: diekr…nonto

وتعني الكلمة باليونانية فُرقة فكرية في الرأي تنشئ نزاعاً أو منازعة.

على كل حال فالقديس لوقا أراد بكل وضوح وصراحة أن يُطلِّعنا على حالة ضعف كانت تعانيها الكنيسة في أُورشليم وهي تشقُّ طريقها المسيحي عبر الجو المحيط بها من يهود أعداء ومسيحيين غيورين على الناموس والعبادة اليهودية في الهيكل.

إذ كيف يُعقل أنَّ قوماً كالمؤمنين المسيحيين في أُورشليم وقد امتلأوا من الروح القدس هكذا يُستثارون وتنزعج نفوسهم لأن الأمم قبلوا الروح القدس مثلهم؟ وهذا بالتالي يكشف عن مدى تغلغل الروح اليهودية القديمة التقليدية في عداوة الأمم من جهة، ومن جهة أخرى التمسُّك بتعليم الناموس فوق وصايا المسيح! وسيادة روح التحزب فوق مطلب الروح القدس الأساسي وهو وحدانية القلب التي للمحبة المسيحية. كان هذا الخصام يشكِّل لطمة للوحدة الإلهية للكنيسة من الداخل. أمَّا العنصر المشاكس لاتجاه الوحدة والمحبة والمصالحة وقبول عمل الروح القدس في دخول الأمم فقد كان يُمثله الكهنة المسيحيون الغيورون على الهيكل والفريسيون المسيحيون الغيورون

على الناموس. هؤلاء كوَّنوا عنصراً مناوئاً لقبول الأمم. وهؤلاء هم الذين أقاموا الخصومة مع بطرس. لأن شرطهم الذي لا يمكن أن يتخلوا عنه لدخول الأمم في الإيمان المسيحي وقبول المعمودية هو أن يختتنوا ويتعلّموا الناموس ويخضعوا لكل العوايد اليهودية. وفي اعتبارهم أن قبول الروح القدس لا يعفيهم من الاختتان والخضوع للناموس! لذلك يلزم جداً للقارئ أن ينتبه أن دفاع ق. بطرس ولو أنه يبدو مقنعاً والبعض قبل به ولكنّه ظلَّ مرفوضاً عند كل المتعصبين والغيورين. والدليل القاطع على ذلك أننا سوف نطالع في كل صفحات سفر الأعمال بعد ذلك عن عنف الأعمال المناوئة (للكرازة الرسولية) مِنْ قِبَلِ هذه الفئة اليهودية المسيحية وتربُّصهم بكل بعثة تبشيرية وتعقُّبهم للقديس بولس الرسول في كل مكان في أسِيَّا واليونان منادين بحتمية الختان والناموس، هؤلاء هم المذكورون في كل مكان بـ «أهل الختان» أي الذين التزموا بالختان فوق المسيحية وقبل المعمودية. فالختان كان عندهم أهم من الصليب! أمَّا المُتعامِل مع أقدس المسيحيين (من الأمم) فهو مستوجب الشجب والقطع من "**الكنيسة**" طالما كانوا ذوي غلفة!

والملاحَظ هنا أن المنازعين من أهل الختان لم يتعرضوا لا للمعمودية ولا لحلول الروح القدس، لأن هاتين الظاهرتين كانتا تجريان في العهد القديم. ولكن الذي أخرجهم عن وعيهم هو التعدّي على قانون التمييز بين النجس والطاهر وعدم التعامل مع الأغلف. فهذه هي أخص خصائص قوانين الناموس اليهودي وقد كسرها ق. بطرس عن وعي وعن عمد.

وهناك في الأصحاح الخامس عشر نسمع عن هذه الجماعة المناوئة لتبشير الأمم والتي أزعجت بولس وبرنابا وقلبت ضدهما الخدمة مما اضطرهما للذهاب إلى أُورشليم للتحكيم وذلك بعد حادثة كرنيليوس بأربع عشرة سنة!

+ «وانحدر قومٌ من اليهودية وجعلوا يعلّمون الإخوة أنه إن لم تختتنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم أن تخلصوا. فلمَّا حصلت لبولس وبرنابا منازعة ومباحثة ليست بقليلة معهم رتَّبوا أن يصعد بولس وبرنابا وأُناس آخرون منهم إلى الرسل والمشايخ إلى أُورشليم من أجل هذه المسألة.» (أع 15: 1و2)

ولكننا بكل حزن وألم لا نستطيع أن نعيب على هؤلاء اليهود المتنصِّرين الذين لا يقبلون الأمم المتنصِّرين مثلهم، والروح القدس واحد والمسيح واحد. فلا يزال حتى اليوم في جنوب أفريقيا توجد كنائس للإنجليز البيض وكنائس للسود ولا يجسر أسود أن يدخل عند

البيض، تماماً كما كان يتصرف اليهود مع الأمم.

وقفـة قصيرة

يجدر بنا هنا أن نكشف الغطاء عن تحرُّك اليهود الذين كانوا يراقبون الكنيسة المسيحية من بُعدٍ ويخططون للحدّ من قوتها وتشتيتها إن أمكن. ففي هذه السنة بالذات، وبطرس في نزاع مع أهل الختان من المسيحيين، انتهز اليهود الفرصة للإيقاع بأعمدتها المعتمدين يعقوب ابن زبدي وبطرس كبيرهم، عند أغريباس الأول الذي كان قد تعيَّن لتوّه ملكاً على اليهودية سنة 41م. أيام كلوديوس الامبراطور الروماني، منتهزين حالة النزاع الداخلي في الكنيسة وتزعزع مركز بطرس بالذات المحسوب الأول بينهم، فوشَوْا بيعقوب أولاً، ونجحت الوشاية عند أغريباس فقبض على يعقوب وقتله. ولمَّا رأى أن ذلك يُرضي اليهود عاد فقبض على بطرس مزمعاً أن يقدّمه لهم هدية في العيد كما قدَّموا المسيح في الفصح (أع 12:1).

وبهذا استطاع العدو أن يستخدم النزاع الداخلي في ضرب الكنيسة في أعز خدامها.

أمَّا قضية أكل بطرس مع رجال غلف التي أقاموها عليه، فهي كانت قضيته أصلاً بين نفسه والله، والتي أجازها له الله بإعلان أن يذهب غير مرتاب في شيء ويأكل أيضاً غير مرتاب في شيء لأن الكل "طهَّره الله" و «كل شيء طاهر للطاهرين» (تي 1:15) «وليس ما يدخل الفم ينجّس الإنسان بل ما يخرج من الفم هذا ينجّس الإنسان ... أمَّا ما يخرج من الفم فمن القلب يصدر، وذاك ينجّس الإنسان. لأن من القلب تخرج أفكار شريرة قتل زنى فسق سرقة شهادة زور تجديف هذه هي التي تنجّس الإنسان.» (مت 15: 11و18و19)

11:4-18 «فابتدأ بُطرُسُ يشرحُ لهُم بالتتابع قائلاً: أنا كنتُ في مدينةِ يافا أُصلّي فرأيتُ في غيبةٍ رؤيا إناءً نازلاً مِثْلَ مُلاءَةٍ عظيمةٍ مُدلاَّةٍ بأربعةِ أطرافٍ من السماءِ فأتَى إليَّ. فتفرَّست فيه متأمِّلاً فرأيتُ دوابَّ الأرضِ والوحُوشَ والزحافاتِ وطيورَ السماءِ. وسَمِعْتُ صوتاً قائلاً لي قُم يا بطرُس اذبح وكُل. فقُلتُ كلاَّ يا ربُّ لأنَّه لم يدخُلْ فمي قط دَنِسٌ أو نَجِسٌ. فأجابني صوتٌ ثانيةً مِنَ السماءِ ما طهَّرهُ الله لا تنجِّسهُ أنتَ. وكان هذا على ثلاثِ مرَّاتٍ ثم انتُشِلَ الجميعُ إلى السماءِ أيضاً. وإذ ثلاثة رجالٍ قد وقفوا للوقتِ عِندَ البيتِ الذي كُنتُ فيهِ مُرسَلينَ إليَّ مِنْ قيصرية. فقال لي الروحُ أن أذهبَ معهُم غيرَ مرتابٍ في شيءٍ وذَهَبَ معي أيضاً هؤلاءِ

الإخوة السِّتَّةَ، فدخلنا بيتَ الرَّجُلِ

فأخبرنا كيفَ رأى الملاكَ في بيتهِ قائِماً وقائلاً له أرسِلِ إلى يافا رجالاً واستدع سِمعانَ الملقَّبَ بُطرُسَ، وهو يكلِّمُكَ كلاماً به تخلُص أنتَ وكُلِّ بيتِكَ. فلمَّا ابتدأت أتكلَّمُ حلَّ الرَّوح القُدُسُ عليهم كما علينا أيضاً في البداءَةِ. فتذكَّرتُ كلامَ الربِّ كيف قالَ إنَّ يوحنَّا عمَّد بماءٍ وأمَّا أنتم فستُعَمَّدُونَ بالرَّوح القُدُس. فإن كان الله قد أعطاهُم الموهِبَة كما لنا أيضاً بالسويَّةِ مؤمنينَ بالربِّ يسوع المسيح فمَنْ أنا، أقادرٌ أن أمنعَ الله. فلمَّا سَمِعُوا ذلك سكتوا وكانوا يمجِّدون الله قائلينَ إذاً أعطى الله الأمم أيضاً التوبة للحياة».

نلاحِظ هنا أن القديس لوقا يصرُّ على إعادة سرد ما حدث لكرنيليوس ثلاث مرات: مرَّةً كما حدثت لكرنيليوس، ومرَّة من فم كرنيليوس واصفاً ما حدث له، والثالثة إعادة ق. بطرس سرد ما حدث لكرنيليوس أمام كنيسة أُورشليم والإخوة. هذا التكرار يقصده القديس لوقا قصداً لكي تسجِّله الكنيسة في وعيها على مدى الأجيال كيف رتَّب الله دخول الأمم بذراع رفيعة وباهتمام بالغ، معطياً الروح القدس من السماء مباشرة كما لكنيسة الختان يوم الخمسين كذلك لكنيسة الأمم بدخول كرنيليوس كباكورة الأمم.

كما نلاحِظ نفس التكرار ولثلاث مرات أيضاً كيف دعا الله شاول وعيَّنه رسولاً لخدمة الأمم بعيداً عن تدخُّل كنيسة الختان وجميع الرسل، بل وكما عرفنا من ق. بولس نفسه أنه علَّمه الإنجيل بإعلان خاص وليس عن طريق الرسل! وتراءى له من السماء مُعلناً له بذلك حقيقة قيامته عياناً مما دعا ق. بولس أن يقول بافتخار:

+ «وآخر الكل كأنه للسقط ظهر لي أنا.» (1كو 8:15)

+ «أما رأيت يسوع المسيح ربنا.» (1كو 1:9)!

وهذا التكرار وذاك كان يهم القديس لوقا كما كان يهم الله والروح القدس نفسه لكي يدرك العالم بعد ذلك "**أن الأمم**" كما قال ق. بولس: «شركاء في الميراث والجسد ونوال موعده بالإنجيل.» (أف 6:3)

لذلك ليت القارئ لا يملّ حينما يواجه الإنجيل يستخدم التكرار، لأن وراء ذلك حكمة سماوية ذات وزن عالٍ في خلاص العالم وفي تكوين عمق لإيماننا يتناسب مع عظم المجد الموهوب للإنسان.

ثم على القارئ اللبيب أن ينتبه لماذا يذكر القديس لوقا موضوع الأكل مع أهل الغرلة

وكأنه خطية كبرى يُدانُ عليها رسولٌ مثل بطرس المحسوب أنه الأول بينهم والمسئول رسمياً عن الكنيسة

في أُورشليم؟ ذلك لأن أمر الأكل من أطعمة نجسة مع رجال ذوي غلفة سيصير قضية كبرى في الكنيسة من جهة الطاهر والنجس، بل وستُرفع مرة أخرى ضدَّ ق. بطرس نفسه ومن ق. بولس الرسول، حينما عاد بطرس الرسول وكرَّر اعتزاله عن الأكل مع جماعة الأمم في أنطاكية ـ بعد كل الذي رآه في الرؤيا، ومارسه في بيت كرنيليوس ـ وذلك خوفاً من رجال أتوا من عند يعقوب أي من كنيسة أُورشليم حاملين لواء التحزُّب والغيرة للناموس وهم أصحاب مبدأالاعتزال عن أهل الغرلة من ذوي الإيمان المسيحي.

ثم سوف يرى القارئ أن أهم ما كان يشغل بال يعقوب الرسول المحسوب رئيساً في المجمع الذي أُقيم في كنيسة أُورشليم كان قضية الأكل من النجس والدنس في أمر دخول الأمم إلى الإيمان. حتى أنه تنازل عن الختان والسبت والأعياد، وتمسَّك فقط بعدم الأكل من المخنوق والدم ومعهما الزنا. كل هذا ولوقا يؤرِّخ، بدقة الإنجيلي المؤتمن على رسالة الكنيسة وتاريخها، كيف تعثرت الكنيسة في البداية عن قبول وصية الرب من جهة كرازة الإنجيل لكل الأمم، بل منادية بضرورة التهوُّد أولاً قبل العماد وحفظ عهد الختان والسبت وحفظ عوايد الأعياد والمواسم والتطهيرات التي لا تُحصى ولا تُعَدُّ. وبذلك كشف لوقا السرّ وراء اختيار الله لشاول الفرِّيسي المتمرِّس في يهوديته التعصبية وعلى أعلى وأخطر بل وأجرم مستوى، اختاره ليكون رسولاً خاصاً متخصصاً في الكرازة لإنجيل المسيح للأمم، بل واختاره بشخصيته المحاربة ليواجه أهل التعصب والحرب من أهل الختان فيستطيع أن يقاوم قُبالة مقاومتهم، ويردَّ عليهم الحجة بالحجة، حتى حيَّد الناموس نفسه وخفَّض من عليائهم وألغى السبت والختان عياناً بياناً عن قناعة واقتناع، وحجج إلهية دحض بها غلواءهم وكسر شوكتهم، وبالنهاية أخلاهم نهائياً من طريق الخلاص للأمم. وهكذا نعمت الكنيسة بالمسيح خُلواً من ناموس، وتحررت حقاً بالابن حسب الوعد: «فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً.» (يو 36:8)

لذلك كم نود أن يكون القارئ على وعي عند سرد كل حوادث كرنيليوس ومن بعده شاول، لأن من وراء الحوادث والسطور هذه يحكي الروح كيف استخلص الرب حق الإنجيل وحرية العبادة بالروح من بين براثن الناموس وعُبَّاد الناموس والحرف وقاتلي الروح.

ولو فطن القارئ لعَلِمَ أن سفر الأعمال كله يقوم على ركيزتين: **الأولى** بيد بطرس كيف

استخلص حق المسيح وكنيسة الختان من سلطة السنهدريم، **والثانية** كيف استخلص ق. بولس الإنجيل وكنيسة الأمم من براثن الهيكل وأظافر أهل الختان وأصحاب الغيرة على الناموس.

وهكذا فإن الجوهرتين النفيستين اللتين وُضِعَتا كتاج فوق سفر أعمال الرسل، وهما دعوة شاول لخدمة كنيسة الأمم وعماده، ودعوة بطرس لعماد كرنيليوس كباكورة الأمم هو وأهل بيته، كأنها أثمن جواهر العهد الجديد طرًّا، تحتلان أمجد صفحتين في سفر الأعمال.

المسار الرابع لانتشار الكنيسة
[30-19:11]

أعمال الإخوة اليونانيين الكارزين لتأسيس أول كنيسة أممية
ـ كنيسة أنطاكية ـ

أول كنيسة للأمم: أنطاكية سوريا (11:19-26):

القديس لوقا يعود بنا إلى حادثة رجم استفانوس، حيث تشتت اليونانيون المتنصِّرون من اليهود في بداية (8:4). وكما وجدنا هناك القديس فيلبس أحد السبعة المملوئين من الروح القدس يقتحم ستار الرسل الذي ضربوه حول أُورشليم وينطلق يبشِّر بدفع الروح القدس دون مشاورة الرسل، نجد هنا ق. لوقا يبرز لنا **برنابا** ولكن بمشورة الروح القدس. أمَّا فيلبُّس فكان جناحاً لبطرس يسبقه ليعدَّ له مكاناً للكرازة، وأمَّا برنابا هنا فهو جناح لشاول رفيق تلمذة حسب التقليد(220)، ورفيق سفر ورحلات وكرازة ومعاناة. ونجد هنا ق. لوقا يترسم خطوات برنابا باهتمام بالغ لأنه الحلقة التي ستصلنا بمستقبل الخدمة في كل الأمم.

وتحت هذه الأعداد (19ـ26) يقابلنا أربعة ارتكازات أساسية في الخدمة:

(أ) تأسيس كنيسة أنطاكية لتكون الكنيسة الأم الثانية بعد أُورشليم التي خرجت منها أعظم البعثات التبشيرية في الامبراطورية الرومانية.

(ب) كانت أنطاكية أول مسرح كرازة رسمية عامة للأمم بعد كرازة بطرس لكرنيليوس في قيصرية. وهي الكرازة التي اقتبلت من أُورشليم الأم ختم الموافقة والتعضيد.

(ج) ظهور شاول مرة أخرى فيها مُباشِراً الخدمة لصنع التاريخ العام للكنيسة.

(د) ابتداء ظهور الكنيسة المسيحية على مستوى الامبراطورية ولفت انتباهها بشدة.

---

(220) يُقال أن برنابا كان رفيقاً وصديقاً لشاول أثناء التعليم تحت رجلي غمالائيل.

19:11 **«أمَّا الذين تشتَّتُوا مِنْ جراءِ الضيق الذي حَصَلَ بسبب استفانوس فاجتازوا إلى فينيقية وقُبرُسَ وأنطاكية وهم لا يكلّمونَ أحداً بالكلمةِ إلاَّ اليهودَ فقط».**

«أمَّا الذين تشتَّتوا»: oί mὲn oân diasparšntej

استهلال مرحلة جديدة من الحديث التاريخي، وهي نفس العبارة التي بدأت بها المرحلة السابقة في 4:8 «فالذين تشتتوا جالوا مبشرين بالكلمة»

ومن هذه الحروف الدقيقة المتماثلة في الرواية اليونانية يستطيع القارئ أن يقرأ فكر القديس لوقا كيف يبوِّب الحوادث في وعيه قبل أن يكتب «على **التوالي**»

«فينيقية»:

وهو الشريط الساحلي الذي يشمل عكا وصور وصيدا، هذه المدن التي سوف نسمع بعد عشرين سنة عن **كنائس مسيحية تأسست فيها** (أع 7:21، 3:27)، ويبلغ طوله 120 ميلاً بعرض 15 ميلاً. فالذين انطلقوا من أُورشليم اتجهوا ناحية البحر وساروا شمالاً وأبحروا غرباً: **شمالاً** مارّين بمدائن الساحل الكبرى: بيروت Berytus، وأرادوس ولاوديكية Leodicea وهي غير لاوديكية أسيَّا الصغرى، ومنها سلوقية ميناء أنطاكية، حتى بلغوا أنطاكية في سوريا، **غرباً** أبحروا حتى وصلوا إلى قبرص حيث كانت قد تباركت بتلميذ المسيح المحبوب برنابا الرجل الصالح. وكلا البلدين نقطة اتصال كبرى عبر القارات والبحار، والسفر إليهما ومنهما سهل آمن في كل الاتجاهات.

«أنطاكية»:

وتقع على نهر الأورنتس، وتعتبر من حيث المساحة والأهمية المدينة الثالثة في الإمبراطورية الرومانية وذلك بعد مدينتي روما والإسكندرية. وقد توطّنت فيها المسيحية مع أُورشليم في زمن واحد بسبب يوم الخمسين البذرة المشتركة، وذلك من جهة الحركة الشعبية والعبادة والتمركز اليهودي. ومن أنطاكية ذاع أول اسم صفة لتلاميذ المسيح وهو «المسيحيين» (أع 20:11). ومن أقوال المؤرِّخ جوفينال الساخرة من نحو المسيحية المتمركزة في أنطاكية على نهر الأورنتس ووفود أفواج المسيحيين المرتحلة منها بكثرة إلى روما، قوله: "إن مراحيض نهر الأورنتس نزحت على نهر التيبر في روما!"[221]

وبحسب التقليد يُعتبر القديس بطرس أول أسقف عليها. وفي بداية القرن الثاني تربَّع

---

(221) Satire iii 62.

القديس الشهيد أغناطيوس على عرش الكنيسة كأسقفٍ لها. وبحلول القرن الرابع، صارت أسقفية أنطاكية

كبطريركية وأخذت المركز الثالث في الإمبراطورية بعد بطريركيتي روما والإسكندرية. وبلغت أقصى شهرتها ومجدها في نهاية القرن الرابع أيام القديس يوحنا ذهبي الفم. ولكن مدينة القسطنطينية بظهورها كحاضرة الإمبراطورية الشرقية، وظهور قسطنطين وتمركزه فيها، خطفت الشهرة من أنطاكية وسرقت الأنظار واستأثرت بالأهمية. ثم بظهور أُورشليم مرة أخرى كبطريركية كبرى، ضعفت بطريركية أنطاكية. وفي سنة 1100م. وانسحب أسقفها الأرثوذكسي وتمركز في القسطنطينية واحتلها الصليبيون وعيَّنوا عليها أسقفاً لاتينياً من عندهم! ولكن بدءاً من القرن الرابع عشر انكمش الأسقف اللاتيني واكتفى بالاسم دون الفعل[222].

وتبعد أنطاكية مسافة 15 ميلاً من البحر الأبيض المتوسط. وميناؤها هو سلوقية (أع 4:13) والذي أقامها هو سلوكيوس نيكانور سنة 300ق.م. وقد منح الإمبراطور بومبي سنة 64م. أنطاكية الحرية كمدينة تابعة لروما مباشرة، فصارت هي العاصمة لكل سوريا. وبسبب شهرتها التجارية وتمركزها على خطوط المواصلات بين البلاد أصبحت مدينة خلاعة وثنية ومجون، وثقافة يونانية ووجاهة رومانية ومجامع يهودية. وقد منح سلوقيوس نيكانور اليهود فيها الرعوية الرومانية فزاد بأسهم وأقاموا لأنفسهم حاكماً خاصاً لهم. وأقاموا في أحياء خاصة بهم مثل الإسكندرية. واستطاعوا أن يكسبوا دخلاء كثيرين للديانة اليهودية بحسب تاريخ يوسيفوس[223]. وهي على بعد خمسة أميال من مدينة دافنا Daphna قاعدة العبادة الوثنية المشهورة أرطاميس وأبولُّو (الاسم اليوناني لعشتروت السورية)[224] (أع 35:19).

ويُلاحَظ على مسار خط التاريخ الذي اختطّه ق. لوقا أنه لم يحاول قط أن يذهب بعيداً عن فلسطين شرقاً أو جنوباً بل كان كل نظره متجهاً باستقامة نحو قلب الإمبراطورية الرومانية.

20:11و21 «ولكن كانَ منهُمْ قومٌ وهُمْ رجَالٌ قُبرُسيُّونَ وقيروانيُّونَ الذين لمَّا دخلوا أنطاكية كانوا يُخاطِبونَ اليونانيِّينَ مُبشِّرينَ بالربِّ يسوعَ. وكانت يَدُ الربِّ معهُم فآمنَ عَدَدٌ

(222) *Oxford Dict. of the Christ. Church*, p. 65.

(223) Joseph., B. J. vii 3.3.

(224) Bruce., I, 235.

كثيرٌ ورَجَعُوا إلى الربِّ».

أمَّا القبرسيون فأولهم، ويبدو أنه أهمهم، كان برنابا الذي نذكر أنه أول مَنْ انضم للشركة المسيحية التي ضمت التلاميذ مع أسرهم، الذي باع حقلاً كان يملكه وأعطى ثمنه للرسل (أع 4: 36و37).

وأمَّا القيروانيون وأهمهم سمعان القيرواني والذي نقرأ عنه جيداً في إنجيل مرقس، أنه هو الذي حمَّلوه صليب الرب فتبارك ببركة إسحق في حمل الحطب، وأول مَنْ اشترك في حمل الآلام مع المسيح، وأولاده كانوا ذوي حيثية، وبواسطتهم انتشرت المسيحية في نواحي أنطاكية: اسكندر وروفس (مر 21:15) اللذان سنقرأ عنهما في رسائل ق. بولس (رو 13:16). وهؤلاء كلهم كانوا يتكلَّمون اليونانية دون سواها فدُعُوا باليونانيين المسيحيين مثل فيلبُّس واستفانوس. وسمعان وكان يلقَّب بالنيجر (1:13) أي النجرو (الأسود)، ولوقيوس أيضاً ولكنه غير القديس لوقا الإنجيلي، ولو أن القديس أفرام السرياني في عظاته خلط بين الاثنين باعتبارهما واحداً.

أمَّا كرازتهم فقد تركزت مع الذين يتكلَّمون اليونانية بالطبع، وهم يونانيون أصلاً أي أمميون. ويلزم أن نفرِّق بين يهود يتكلَّمون اليونانية ويسمَّون يونانيين تجاوزاً لأنهم يهود أصلاً مثل استفانوس، ومنهم مَنْ كانوا أمميين ودخلوا اليهودية فصاروا دخلاء ثم تنصَّروا، وبين مَنْ تنصَّروا مباشرة دون أن يكونوا يهوداً قط، وكانوا يُدعَوْن أيضاً يونانيين (هيلينيين). ولكن كل هذه الفوارق تلاشت بعد قرنين أو ثلاثة من بدء المسيحية.

وكذلك يلزم أن نفرِّق بين يهودٍ يتكلَّمون اليونانية دون سواها، وهؤلاء يُدعون يهوداً يونانيين، ويهودٍ يتكلَّمون اليونانية مع اللغة العبرانية الأصيلة مثل ق. بولس وكانوا يُدعون عبرانيين يونانيين.

كذلك يلزم أن نفرِّق بين يونانيين أمميين عاديين، وهؤلاء كانت الكرازة لهم تتخذ خطوات مبدئية في التعليم تحتاج إلى وقت، وبين أمميين ملتحقين بالمجامع والهيكل ويحضرون الصلوات، وكانوا يُدعون أمميين "**أتقياء**" يخافون الله فقط، ولكن لا يُحسبون مؤمنين بالله ـ "إلوهيم" أو "يهوه" ـ وهؤلاء كان قبولهم للمسيحية أسرع وأسهل لأن شوقهم للخلاص كان قويًّا مثل كرنيليوس. هؤلاء كانوا البذرة الأُولى المهيأة لقيام الكنائس من قلب المجامع نفسها. وهذا الصنف من السامعين لكلمة الخلاص من الأمم كانوا أكثر عدداً في أنطاكية بصورة ملحوظة جداً، في الوقت الذي كانوا فيه قلة قليلة في أُورشليم. لهذا كان تطور المسيحية ونموها في أنطاكية أقوى وأسرع منها في أُورشليم أو أي مدينة أخرى. وهذا هو السرّ في دعوتهم «مسيحيين» في أنطاكية أولاً، عدداً ومخافة لله وتأصُّلاً في العبادة. وبدأت هذه التسمية من خارجهم شهادة لهم، ليس من اليهود الذين يحتقرون اسم

المسيح وكانوا يسمُّون المسيحيين بالناصريين (5:24) Nazarenes، ولكن الوثنيين هم الذين سمُّوهم مسيحيين. ولهذا نسمع أنهم في قبرص بينما كانوا لا يخاطبون أحداً بالكلمة إلاَّ اليهود فقط، ونجد القديس لوقا في أنطاكية يقول: «ولمَّا دخلوا أنطاكية كانوا يخاطبون اليونانيين (خائفي الله الأتقياء)، مبشرين بالرب يسوع» لأنهم كانوا مهيَّئين للغاية، كما تقول

الآية أن يد الرب كانت معهم، وهو اصطلاح يعني أن الروح القدس كان يعمل معهم وفيهم ـ وهذا الاصطلاح استخدمه ق. لوقا في إنجيله بالنسبة للمعمدان وهو صبي: «أترى ماذا يكون هذا الصبي؟ **وكانت يد الرب معه**» (لو 1: 66). لأن هؤلاء المسيحيين كانوا هم أولاً مسيحيين عن تقوى وكانوا يبشرون أشخاصاً أتقياء يخافون الله، لذلك كان عمل الروح القدس ملتهباً في قلوب الكارزين والمكروز لهم، كما رأيناه تماماً في كرنيليوس وأنسبائه وأصدقائه.

بالنسبة للكرازة كان كل هذا قبل تطوُّر الخدمة مع القديس بولس، لأن كرازة القديس بولس تخصَّصت فيما بعد مع الأمميين اليونانيين من آخر درجة، أي عبَّاد الأصنام والآلهة الكاذبة.

لذلك يلزم للقارئ أن يتفهَّم موقف كنيسة أنطاكية، فهي تقف وسطاً بين كنيسة أُورشليم التي من أصل يهودي صرف وسُمِّيت بكنيسة الختان، وبين كنيسة الأمم وكانت تسمَّى بكنيسة الغرلة بقيادة ق. بولس الرسول. فكنيسة أنطاكية كانت تسمَّى كنيسة اليونانيين الأتقياء الخائفين الله. وكان لها طابعها التَّقوي شبه التقليدي، لذلك كانت المحاولات لتهويد المسيحيين فيها محاولات مستميتة أتت ببعض النتائج بسبب أنهم أصلاً كانوا يترددون على الهيكل والمجامع وكانوا عارفين بالناموس وعوايد اليهود. إلى أن بلغت حركة التهوُّد في صراعها أقصاها مع بولس وبرنابا اللذين أخذا أئمة القياديين في هذه الحركة وصعدوا جميعاً إلى أُورشليم للاحتكام عند الرسل. ومن هنا بدأ تدخُّل الرسل رسميًّا في كنيسة أنطاكية، والذي انتهى بإقامة بطرس الرسول فيها، حيث كان منحازاً لليهود المسيحيين ظاهرياً ولليهود الأمميين قلباً وقالباً، الأمر الذي اضرَّ بسمعته وقاومه ق. بولس الرسول في هذا الأمر.

22:11 **«فسُمِعَ الخبرُ عنهُم في آذان الكنيسةِ التي في أُورشليم فأرسلوا برنابا لكي يجتازَ إلى أنطاكية»**

واضح أن كنيسة أُورشليم بدأت تشعر بمسئوليتها بالنسبة لأخبار الكرازة حول أُورشليم وتتبعتها باهتمام. أمَّا إرسال برنابا دون أي رسول آخر فكانت حكمة ظهرت في تدبير الرسل، لأن الذين قبلوا الإيمان كانوا أمميين يحتاجون إلى مَنْ يخطو بهم خطوات وئيدة سهلة نحو اكتمال الإيمان دون الدخول في منازعات الختان والناموس، وبرنابا معروف

أنه قبرصي وهو ـ كما تصفه الآية القادمة (24). كان صالحاً وممتلئاً من الروح القدس والإيمان وسبق له الخدمة بين الأمم، فهو أقدر مَنْ يقوم بهذه المهمة.

ويُلاحِظ القارئ أن الذين قاموا ببشارة الإنجيل لأهل أنطاكية كانوا من اليونانيين المتنصرين، لذلك فإن اختيار برنابا وهو يوناني قبرصي كان موفّقاً للغاية. أمَّا الغرض من إرسال البعثة بقيادة

برنابا إلى أنطاكية فهو لكي يضمنوا وحدة الإيمان والصلة، لأن الرسل مع كنيسة أُورشليم بدأوا يشعرون بنمو التيار الأممي، الذي معه خافوا من أن تُفقد الصلات العرقية والعرفية والعبادية مع الهيكل واليهود عموماً.

23:11و24 «الذي لمَّا أتى ورأى نعمة الله فَرِحَ وَوَعَظَ الجميعَ أن يثبُتُوا في الربِّ بعزمِ القلب. لأنَّهُ كانَ رجُلاً صالِحاً ومُمتلِئاً مِنَ الرُّوح القُدُس والإيمان، فانضمَّ إلى الربِّ جمعٌ غفيرٌ».

«... ورأى نعمة الله فَرِحَ»: ka^ „dën t¾n c£rin toà Qeoà ™c£rh

ولو أن الكلمتين **«النعمة»** و **«الفرح»** يبدوان في العربية من أجمل الكلمات إلاَّ أن رنينهما في الأذن في اللغة اليونانية مبدع، فهو لعب بالألفاظ لاجتذاب الروح، ولوقا مشهور به، فنطلق الكلمتين كالآتي: "خارين = نعمة، إخاري = فَرِحَ". وقد استخدم أيضاً هذا الأسلوب في إنجيله (لو 28:1): «فدخل إليها الملاك وقال **سلام** لك أيتها **الممتلئة نعمة** "شيري كيخاريتوميني"»

هكذا كل مَنْ هو ممتلئ من الروح، أينما رأى عمل الروح فهو يتهلل ويصير قادراً على التأثير على الآخرين بقوة الروح والفرح الذي فيه. لأنه معروف قطعاً أن فرح الله هو مصدر قوة لا تُبارى «لأن فرح الرب هو قوتكم» (نح 10:8). وكل مَنْ يعرف هذه الحقيقة الإلهية فهو يكاد يكرز بالفرح: «افرحوا في الرب كل حين وأقول أيضاً افرحوا» (في 4:4)، «افرحوا كل حين» (1تس 16:5)، «فرحين في الرجاء» (رو 12:12)، «الآن أفرح في آلامي لأجلكم» (كو 24:1)، «قبِلتُم سلب أموالكم بفرح» (عب 34:10)، « احسبوه كل فرح يا إخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة» (يع 2:1)، «كحزانى ونحن دائماً فرحون» (2كو 10:6). وباختصار، إن علامة عمل الروح القدس الصادقة في الإنسان هو وجوده في حالة فرح[225] لا يهتز ولا يُنْزَع منه!! أينما كان ومهما كان، هذا هو الميزان الإلهي الذي يثبت أن نصيبنا في الرب كفيل أن يجعلنا نغلب به العالم: «ثقوا أنا قد غلبتُ العالم.» (يو 33:16)

(225) وهنا يتحتم عليَّ أن أشهد لقديس معاصر عاش في الفرح المسيحي وبشَّر بالفرح المسيحي ومارس الطب والعلاج بالفرح المسيحي وانتقل منذ أيام (يوم 23 مايو 1992) وهو في حالة الفرح المسيحي: المغبوط طيب الذكر وبديع الذكرى الدكتور فاروق مرقس مدير مستشفى الحميات بطنطا.

«وَعَظَ الجميع أن يثبتوا في الرب»:

لاحِظ أن معنى اسم برنابا هو «ابن الوعظ» ويبدو أن هذا الاسم أُعطي له كحالة تحصيل حاصل. فيبدو أنه كان يفيض فرحاً وعزاء أينما حلَّ وكلما تكلَّم. والثابت في الرب هو وحده

الذي يستطيع أن يُثبِّت الآخرين في الرب. وسبق أن قلنا أن من ثَبَت فيه فرح المسيح فهو وحده الذي يُثبِّت الفرح بالمسيح في قلوب الآخرين. والفرح الدائم معناه فرح بعزم القلب، أي بشدة ويقين صادر من القلب، أي فرح صادق وبالحق.

وهكذا، عزيزي القارئ، من ملئه نحن جميعاً أخذنا نعمة فوق نعمة، ومن ملئه نستطيع أن نُبلّغ الملء للآخرين. برنابا كان ممتلئاً عزاءً وفرحاً وصلاحاً وإيماناً، والنتيجة الحتمية لذلك أن انضم إلى الرب جمع غفير!! فإن أردت أن تعرف سرَّ الخدمة الناجحة فابحث عنها في قلب الكارز. نجاح الخدمة لا يُبحث عنه في الوسائل ولا في اقتدار الواعظ ولا في علمه، ولكن في صلاح الخادم وتقواه واختباره وحبه وفرحه ومقدار انطباق صورة المسيح على صورته: «فإننا لسنا نكرز بأنفسنا بل بالمسيح يسوع ربًّا ولكن بأنفسنا عبيداً لكم من أجل يسوع.» (2كو 4:5)

25:11و26 **«ثمَّ خرجَ برنابا إلى طرسُوسَ ليطلُبَ شاولَ، ولمَّا وجَدَهُ جاءَ بهِ إلى أنطاكيةَ. فحدثَ أنَّهُمَا اجتمعا في الكنيسةِ سنةً كامِلةً وعلّما جمعاً غفيراً. ودُعيَ التلاميذ مسيحيينَ في أنطاكية أولاً».**

كلمة «خرج برنابا» تفيد عبوره أبواب كيليكية التي تفصل بين الإقليم شمالاً وسوريا جنوباً. وعرفنا سابقاً أن هناك علاقة وثيقة بين برنابا تلميذ قبرص اللاوي وبين شاول الفرّيسي الطرسوسي. وبهذه العلاقة العميقة الحميمة، التي لم يُذكر أصلها ولا سببها، قدَّم برنابا شاول إلى الرسل الخائفين من اسمه معرّفاً إياهم بأن الرب كلّمه في الطريق وأنه كان يجاهر باسم المسيح في دمشق، فقبله الرسل بناء على هذه التوصية والشهادة، وكان شاول بعد ذلك يخرج ويدخل مع الرسل في أُورشليم على مدى أسبوعين يستقي أخبار الرب من الذين عاينوا (أع 9: 27و28).

والآن، وإذ دخل الإيمان جمعٌ غفير من اليونانيين الأمميين الذين كانوا على قسط من التقوى ومخافة الله، وكانوا يترددون على المجامع وحضور القراءات والصلوات والتسابيح، وكان دخولهم مجموعات كبيرة «جمعاً غفيراً» شعر برنابا أن العمل فوق طاقته من جهة ضخامة الخدمة، ومن جهة مشاكل التعميد وطلب الختان وأسئلة عن الناموس وخلاف ذلك مما أوقع برنابا في حيرة. فهو يعرف تماماً من شاول أنه لا يجوز بعد قبول المسيح العودة مرة أخرى للناموس أو الختان أو عوايد الناموس، ولكنه في ذات

الوقت هو مندوب كنيسة أُورشليم ويعلم سطوة جناح المتشددين ـ أتباع يعقوب من التلاميذ الذين من جماعة الكهنة والفرِّيسيين. لذلك انطلق مباشرة يطلب شاول، وذلك عن قناعة أن الأمر أخطر من أن يصعد إلى أُورشليم ويُدخل نفسه تحت سطوة المتشددين، فكان

اختياره صائباً وكان بدءاً حقيقياً لانفتاح باب الأمم على المسيحية دون ناموس.

ولا يغيب عن بالنا أن بذرة الإيمان المسيحي انتقلت إلى أنطاكية مبكّرة مع يوم الخمسين والحجاج اليهود العائدين من أُورشليم ومعهم بشارة الإنجيل ومعمَّدين باسم المسيح. ثم بعد ذلك دَفْعة الكرازة الحارة التي انطلقت في أنطاكية بعد تشتُّت الكنيسة من جراء اضطهاد شاول وذهاب جماعة اليونانيين المسيحيين للكرازة هناك. أي أن العنصر اليوناني كان هو السائد في كنيسة أنطاكية، وكأنها كانت ممهّدة لخدمة شاول. وكان عندهم ميل واضح أن لا يتهوَّدوا ولا يقبلوا الإلحاح الذي كان يغريهم به اليهود المتنصرون المتعصبون في كل مكان.

وكذلك لا نستطيع أن نغفل لماذا دُعي التلاميذ في أنطاكية بالمسيحيين أولاً؟ فواضح أن ذلك كان من واقع استقلالهم استقلالاً تاماً مكشوفاً ومجاهراً به أنهم غير راغبين إطلاقاً في قبول عوايد اليهود أو ناموسهم من ناحية، ومن الناحية الأخرى شدة تعلّقهم بالمسيح رأساً وعدم خضوعهم لتأثير موسى وناموسه. لذلك أشهروا أنفسهم كشيعة أو طريق جديد، لذلك أطلقوا عليهم لقب مسيحيين تخلُّصاً من اليهود واليهودية إطلاقاً ونهائياً. **لذلك فأنطاكية تُعتبر بذلك أنها مهد الأممية المسيحية الأصيل** وقاعدة التخلُّص من الآثار اليهودية الأُولى. بل وسوف نرى كيف أنه من أنطاكية انطلقت أول بعثة تبشيرية بقيادة الروح القدس نفسه شمالاً نحو أُوروبا!!

«سنة كاملة»:

هذه هي السنة المقبولة ضمن سنة الرب التي بدأت ولن تنتهي، سنة الروح القدس، على الكارزين لانتشار الإنجيل في كل أنحاء العالم. وقد رأى وعاين القديس برنابا بداية هذه السنة وتباشيرها المفرحة «الذي لمَّا أتى ورأى نعمة الله فرح ...»

كانت ساعة تقابل برنابا مع شاول والاتفاق على الخدمة معاً في أنطاكية نقطة بداية الكرازة بالإنجيل في العالم أجمع، والتي ذكرها الرب ثم انطلق إلى السماء يدبِّر لحظة البدء ومكان الاشتعال، فاستقر رأي السماء أن تبدأ الشعلة بيد برنابا وشاول، وأن يبدأ الالتهاب في أنطاكية، وعلى مدى سنة كاملة يتبينون فيها كيفية البدء لإشعال العالم كله بنار الإنجيل ونور البشارة. وما أقدسها ساعة في تاريخ الكنيسة، وما أمجده بدءاً مقدَّساً لكرازة العالم.

«فحدث»: ™gšneto

هذا هو الحدث الذي مهَّد له ق. لوقا بذهاب برنابا إلى طرسوس للبحث عن شاول وإحضاره على جانب السرعة. ففِكْر ق. لوقا متجه نحو عمل من الأعمال العظمى التي تمت في الكنيسة من

أجل الكرازة في العالم بالتقاء برنابا بشاول، لأن باجتماعهما وبدء الكرازة العامة العلنية للأمم، تحرَّك الروح بوضوح لرسم خريطة الكرازة في أسِيًّا وأوروبا على يدي هذين القديسَيْن المختارين. فهنا كلمة «حدث» تبعها في الجملة "فعلان" و"مصدر": الفعل الأول: **«اجتمعا معاً»**، الفعل الثاني **«علَّما»**، والمصدر هو النتيجة التمهيدية لتسمية **المسيحية** في العالم «ودُعي التلاميذ "مسيحيين" في أنطاكية أولاً» هذا هو الحدث التاريخي.

«اجتمعا معاً سنة كاملة»:

هذان الرسولان الاثنان اجتمعا معاً ليكون المسيح وروحه ثالثاً لهما. وبالتالي صارت كنيسة في أنطاكية. ما أمجدها ذكرى لنا نحن المؤمنين الذين بلغهم هذا الحدث، بعد ألفي سنة، حيًّا ليغطي حياتنا ومستقبلنا في المسيح وفي الأبدية. ولك يا عزيزي القارئ أن تتأمل في منتهى بساطة هذا الحدث الذي أنشأ هذا الاجتماع والذي انبثقت منه أول رحلة كرازية ظلَّت تمتد حتى بلغت أقطار المسكونة.

كان اجتماعٌ وصلاة، وتكرر الاجتماع وتكررت الصلاة سنة كاملة، وارتاح الروح القدس في الاجتماع وفي الصلاة. ومنذ ذلك الحين وهو يعمل بلا توقُّف، لذلك يستحيل أن ننسى ذلك الاجتماع البسيط بين برنابا اللاوي القبرسي وبولس الفرِّيسي الطرسوسي والروح القدس!

«وعلَّما جمعاً غفيراً»:

يمكننا جداً أن نتصور ماذا علَّما معاً وبالتبادل. لقد اتفق برنابا وبولس، برنابا اضطلع بالآباء والأنبياء والنبوات الناطقة بما كان يدلُّ عليه روح المسيح الذي كان يعمل في الأنبياء عن مَنْ هو المسيا وأين يولد وكيف يجمع خراف إسرائيل الضالة والخراف الأُخر لتكون واحدة.

برنابا رأس التسبيح، وعلَّم المزامير والأناشيد، وألهب بالروح قلوب الجدد، ولقَّن بنود الإيمان والاعتراف، وعمَّد ووضع اليد، ونفخ الروح ونطق به، وسلَّمه للموعودين بالحياة الأبدية، ونظَّم الخوارس، وخدم السواعي، ورتَّب القراءات وانتخب القرَّائين. وأعطى دروساً في السلوك المسيحي والأخلاق: «أحبوا أعداءكم» (مت 5:44)، «لا يغلبنك الشر بل اغلب الشرَّ بالخير.» (رو 12:21)

أمَّا ق. بولس **فرسم** المسيح بينهم مصلوباً، والخطية مسمَّرة على ذراعي الصليب، والشيطان مضروباً بالحربة التي ضُرب بها جنب المسيح، ذلك بين هتاف الخطاة الذين تابوا وتهليل الأموات بالذنوب لمَّا أحسُّوا بالخلاص، **ورَفَع** الحجاب القديم مشقوقاً أمامهم من أعلى إلى أسفل لتظهر

القيامة بجلال القائم من بين الأموات، منصوراً ومنتصراً، منصوراً من الله، ومنتصراً على أعداء الإنسان الثلاثة: الشيطان والخطية والموت!! **وأضاء** عيون قلوبهم ليروا المسيح مرتفعاً ومرفوعاً، مرتفعاً بلاهوته وبرّه وقداسته، ومرفوعاً متجسِّداً بيد العلي، ليجعله أبوه بكراً أعلى من ملوك الأرض، وباكورة لكل الراقدين على الإيمان، ليعطي القيامة لكل مَنْ قبلوا الموت مع المسيح عن سيرة الأرض والجسد ليكتبوا بأعمالهم سيرةً لهم في السموات. فكان ق. بولس بينهم كمرضعة، يغذيهم من ثدي السماء لتستنير عيونهم بنور معرفة الله والمسيح، وتنفتح عقولهم لمعرفة أسرار الله والإنجيل ليمتلئوا بملء الروح، وتفيض النعمة من قلوبهم فرحاً ونعيماً وسروراً، ويصيروا آيةً، كل مَنْ يراهم يعطي المجد لله، ويؤمن بالذي فداهم.

«دُعُوا مسيحيين أولاً»:

دُعُوا: crhmat…sai[226] أصلها باليونانية لا تحمل معنى مجرد إعطاء اسم، ولكن تحمل معنى القيام بعمل أو التزام بمسئولية أو وظيفة، كمَنْ يخدم القضاء، فيُدعى قاضياً أو يعمل أميناً وخادماً لقيصر فيُدعى قيصرياً. وهكذا فاسم "المسيحيين" هو لقب انتماء بمقتضى التزام خدمة وأمانة وتبعية لشخص المسيح، كمهنة أكثر منه اسماً. وهذا التصوير من واقع الكلمة اليونانية هو بديع حقاً، فهو ليس مجرد اسم بل لقب تبعية والتزام بما يتطلبه اتّباع شخص المسيح!!

Bruce., I, p. 238. (226)

النقلة الثانية لانتشار الكنيسة من أُورشليم إلى الأُمم

مجاعة وشيكة على المسكونة كلها باستعلان النبوَّة
وإعانة لليهودية من مؤمني أنطاكية (11: 27-30):

فكانت هذه الحركة بدءاً لحركة مرتَّبة من السماء، أدركها ق. لوقا كاتب السفر في موضعها التاريخي الإلهي كسبب أفضى بالنهاية إلى انتقال الكنيسة من أُورشليم مركز الختان إلى أنطاكية مركز الأمم، وتسليم يد الكرازة من رسول الختان إلى رسول الغرلة لانطلاق الكنيسة تكرز بالمسيح لكل الأمم تحت موانع من صنع اليهود والعالم ذلَّلها الله واحدة تلو الأخرى.

والآن ننتقل من واقع العمق التاريخي الكرازي من الجزء الأول لسفر الأعمال إلى الجزء الثاني منه تدريجياً، من بطرس العظيم في الرسل إلى بولس العظيم في الكرازة.

27:11 **«وفي تلكَ الأيامِ انحدَرَ أنبياءُ مِنْ أُورشليم إلى أنطاكية»**

«وفي تلك الأيام»:

ق. لوقا يستخدم هذه البادئة في أول الاستطراد للحديث لتوضيح بداية جديدة لحوادث جديدة تدخل في صميم الخط التاريخي المشغول به والذي يطرحه لكشف أمور هامة؛ وقد استخدمها سابقاً في (أع 1:15): «وفي تلك الأيام قام بطرس في وسط التلاميذ ...» وذلك عند سرد موضوع اختيار الرسول الثاني عشر عوض الذي غاب إلى الأبد، كذلك في (أع 1:6): «وفي تلك الأيام إذ تكاثر التلاميذ حدث تذمُّر من اليونانيين على العبرانيين ...» والتي فيها حدث نظام الشركة والتوزيع ثم استشهاد استفانوس وظهور عنصر الكرازة للأمم ...

أمَّا هنا فالقديس لوقا يبدأ موضوع اتصال كنيسة أنطاكية بكنيسة أُورشليم على أثر المجاعة، حيث بدأ التحوُّل الهام والأساسي في سفر الأعمال كله من تسجيل كرازة بطرس إلى تسجيل كرازة ق. بولس، ومن أخبار كنيسة أُورشليم إلى أخبار كنيسة أنطاكية.

«انحدر أنبياء من أُورشليم»:

هنا يطلعنا ق. لوقا على ظهور النبوَّة في العهد الجديد كتقليد كنسي إلهي مباشر من الله. ففي

مواضع أخرى من سفر الأعمال يقول بالإضافة إلى ما يقوله هنا في (11: 27و28):

(أ) «وكان في أنطاكية **في الكنيسة** هناك **أنبياء ومعلّمون**، برنابا وسمعان الذي يُدعَى نيجر ولوكيوس القيرواني ومناين الذي تربَّى مع هيرودس ...» (أع 1:13)

(ب) «**ويهوذا وسيلا** إذ كانا هما أيضاً **نبيِّين** وعظا الإخوة بكلام كثير وشدَّداهم.» (أع 32:15)

(ج) «فدخلنا بيت فيلبُّس **المبشِّر** إذ كان واحداً من السبعة وأقمنا عنده. وكان لهذا **أربع بنات عذارى كُنَّ يتنبأن.**» (أع 21: 8و9)

(د) «وبينما نحن مقيمون أياماً كثيرة انحدر من اليهودية **نبي اسمه أغابوس ...**»(أع 10:21)

ولينتبه القارئ أن هذه الروح النبوية لا تُحسب امتداداً لروح النبوَّة في العهد القديم، بل هي من عمل الروح القدس الذي حلَّ يوم الخمسين. فهي موهبة جديدة من الروح القدس كموهبة التكلُّم بالألسن يمارسها المؤمنون تحت إرشاد الله المباشر، وقد تكلَّم عنها القديس بولس بإسهاب (1كو 28:12)، (29:14 إلخ)، (أف 11:4)، وقد قنَّنتها الكنيسة بعد ذلك ورتَّبت ممارستها في الكنيسة كما نقرأ في الديداخي وتعاليم الرسل، الأمر الذي تنبأ عنه يوئيل نبي العهد القديم عن أيام المسيا: «ويكون بعد ذلك (أيام السبي والحزن والهجران) أني **أسكب روحي على كل بشر، فيتنبأ بنوكم وبناتكم ...**» (يؤ 29:2). وها هي تتحقق بدقة هنا في هذا السفر "الأعمال" فنسمع عن أنبياء رجال يتنبأون وبنات عذارى يتنبأن، فما أصدق الروح وما أصدق ق. لوقا في سرده لتاريخ الكنيسة المملوء تحقيقاً لكل الوعود والنبوات!

ثم لا يفوت على القارئ أن النبوَّة كانت قد انقطعت من إسرائيل بعد سبي بابل، وذلك من واقع النصوص التاريخية المسجَّلة «فوضعوا الحجارة (حجارة مذبح المحرقة المهدم) في موضع لائق به **إلى أن يأتي نبي ويجيب عنها**» (1مك 46:1)؛ «فحلَّ بإسرائيل ضيق عظيم لم يحدث مثله **منذ لم يظهر فيهم نبي.**» (1مك 27:9)، «وإن اليهود وكهنتهم قد حسن لديهم أن يكون سمعان رئيساً "وكاهناً" أعظم، مدى الدهر إلى أن **يقوم نبي** أمين »(1مك 41:14). كذلك يشهد يوسيفوس في تاريخه بانقطاع النبوَّة من إسرائيل منذ

السبي[227].

ولكن ظهرت النبوَّة بروحها مجدَّداً لتعدَّ لمَنْ قامت من أجله، فخدمت استعلان مجيئه وبحثت

(227) Joseph., *Ant.*, 1.8.

وفتشت بروح المسيح الذي كان فيها عن زمان مجيئه. وذلك في شخص يوحنا بن زكريا الذي أُعطي أن يعرفه حين يضع عليه يده ويعمِّده، حيث أكمل بذلك كل برِّ العهد القديم ونبواته جميعاً بظهور البار الذي سيبرر الكثيرين، حينما انحدر الروح القدس من السماء مشيراً إلى المسيح ومُعلناً ظهوره وشاهداً له.

أمَّا أنبياء العهد الجديد فعملهم أن يشهدوا للمسيح بالروح القدس الذي فيهم، ويعلِّموا الحق بروح الحق الناطق بهم، ويخبروا بأمور آتية بنطق الروح المباشر لتوعية الكنيسة وبنائها وثباتها.

ويلاحظ أن ترتيب الشهادة للمسيح كما قالها وحدَّدها هي «الروح القدس يشهد لي وتشهدون أنتم أيضاً» (يو 15: 26و27). وهنا يظهر الروح القدس شاهداً بمفرده غير شهادة الرسل التي يشهدون بها بروح الله نفسه. شهادة الروح القدس تجيء هنا مستقلة في أشخاص غير الرسل تستقر عليهم: «ويتنبأ بنوكم وبناتكم» وكان كلام الرب صادقاً، وتحقق في الكنيسة المرتشدة بالروح بقيام طغمة الأنبياء الأحرار المتجوِّلين العاملين مع الرسل باتفاق الروح الواحد:

+ «فوضع الله أُناساً في الكنيسة أولاً رسلاً **ثانياً أنبياء ثالثاً معلِّمين ...**» (1كو 12:28)
+ «وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً **والبعض أنبياء** والبعض **مبشرين** والبعض **رعاة ومعلِّمين.**» (أف 4:11)

28:11 «وقامَ واحِدٌ منهُم اسمهُ أغابُوسُ وأشارَ بالرُّوح أن جوعاً عظيماً كان عتيداً أن يصيرَ على جميع المسكونةِ، الذي صارَ أيضاً في أيَّام كلُوديُوس قيصرَ».

تشكِّل هذه الآية محوراً من محاور سفر الأعمال الهامة للغاية عند العلماء، لأن النسخة الغربية لسفر الأعمال المسمَّاه نسخة بيزا جاءت فيها هذه الآية بالصورة المطوَّلة هكذا: "وأن أغابوس نطق بنبوته هذه **ونحن** مجتمعون"[228]. ولكن ليست هذه المرة الوحيدة التي يتكلَّم بها ق. لوقا بلغة "نحن" في سرد حوادث أنطاكية. ففي الأصحاح الحادي والعشرين يأتي هذا الحديث بضمير **"نحن"** هكذا:

+ «فجاء **إلينا** (واحدٌ من الأنبياء الآتين من أُورشليم وهو أغابوس نفسه) وأخذ منطقة

(228) The Bezae Text, cited by R. B. Rackham, the *Acts* p. 171.

ق. بولس وربط يدي نفسه ورجليه وقال هذا يقوله الروح القدس، الرجل الذي له هذه المنطقة هكذا سيربطه اليهود في أورشليم ويسلّمونه إلى أيدي الأمم. فلمَّا **سمعنا** (هنا ضمير «نحن»

وارد) هذا **طلبنا** إليه نحن والذين من المكان أن لا يصعد إلى أُورشليم.» (أع 21: 11و12).

وحديث ق. لوقا بضمير "نحن" هنا أيضاً وبوضوح يشرح التقليد القائم في الكنيسة أن ق. لوقا كان مواطناً أنطاكيًّا. وهذا التحقيق القائم بالتقليد ورد مرة أخرى بصورة قاطعة في التقليد الموازي والمستقل في الوثيقة المعروفة المضادة للهرطوقي ماركيون عن مقدمة تفسير إنجيل لوقا من القرن الثاني سنة 170م. التي تبتدئ بقولها: "إن لوقا كان مواطناً أنطاكياً من سوريا"[229]. ويزيد من صدق هذا التحقيق التقليدي أن يوسابيوس المؤرِّخ يقولها أيضاً على عهدته في تاريخه الكنسي[230]. بل والقديس جيروم[231] يكرر هذا التحقيق التقليدي المسلَّم للكنيسة إن لوقا كان أمميًّا من أنطاكية. وهذا التقليد المسجَّل هكذا يعطينا فهما واضحاً كيف أن القديس لوقا اضطلع بتحقيق مؤكد من مركزه كأحد كبار أعضاء الكنيسة هناك أن يكتب لنا بدقة تاريخية منقطعة النظير عن حقبة من أهم الحقبات في نمو الكنيسة وتمركزها في أنطاكية، ويتذكر حرفيًّا ما قاله النبي أغابوس بشأن المجاعة هنا في 11:28، وبشأن ق. بولس الرسول في الأصحاح 21: 11و12، بل ويتذكر السنة والقيصر المعاصر، الذي من المصادر المدنية الموازية ندرك أن ذلك تم فعلاً في أيام حكم قلوديوس قيصر (سنة 41-54م) حيث كانت أيامه مليئة بالقلاقل والمحن التي رافقتها أيام قحط وجوع ربما بسبب اضطهاده[232].

«أن جوعاً عظيماً كان عتيداً أن يصير على المسكونة»:

ولو أن التاريخ المدني لا يذكر هذه المجاعة العالمية، إلاَّ أن من الثابت تاريخياً أن أيام هذا القيصر كانت مليئة بالحوادث والكوارث المفزعة. فربما كان التعبير عن جوع المسكونة هو تعبير عن نتيجة أعماله واضطهاداته التي أخلَّت بالنظام والأمن. وهكذا كان جوع بسبب فساد الحكم وما يجلبه على اقتصاديات البلاد. ولكن يخبرنا يوسيفوس في تاريخه[233] أن مجاعة حدثت في اليهودية بالفعل في نفس هذا الوقت المحدد تحت حكم

(229) Ibid.

(230) Euseb., *Eccl. Hist.* iii, 4.

(231) Jerome, *On Illustr. Men* 7; Preface in *Comment. on Matthew*.

(232) Bruce, II., p. 243.

(233) *Ant.* iii, 15, 3; xx, 2, 5; 5, 2.

القادة كسبيوس فيدوس Cuspius Fadus، وطبيروس ألكسندرس بين سنة 44 و سنة 48م.
ويحكي كيف أن الملكة هيلانة التي كانت على الأديابين

Adiabene، وهي من اليهود الدخلاء، أحضرت قمحاً من مصر وتيناً من قبرص ووزعت على البلاد وعلى أُورشليم أيام هذه المحنة[234].

ومن التاريخ المدني المعاصر لهذه السنين يمدّنا المؤرخون الرومانيون المعتمدون بهذه الحقائق أن في حكم كلوديوس في السنين 41-45 تمَّ غزو إنجلترا وأصبحت مقاطعة رومانية، وقامت مجاعة في بداية أيام حكمه في روما نفسها. يحقق ذلك المؤرخ ديوكاسيو (11:60). وفي السنة الثامنة لحكمه أو ربما التاسعة يقص يوسابيوس في كتابه (الأيام والقانون) أنه قامت مجاعة في اليونان؛ ومجاعة أخرى يحكي عنها المؤرِّخ تاسيتوس في تاريخه للسنين Annal (43:12)؛ والمؤرِّخ أوراسيوس 6:7و17. وقد سجَّل القديس لوقا أحد الأحداث التي تنم عن الاضطراب والقلاقل التي كانت أُس الفوضى والمجاعة، وذلك في قوله في الأصحاح الثامن عشر: «وبعد هذا مضى بولس من أثينا وجاء إلى كورنثوس، فوجد يهودياً اسمه أكيلا بنطي الجنس كان **قد جاء حديثاً من إيطالية، وبريسكلا امرأته. لأن كلوديوس كان قد أمر أن يمضي جميع اليهود من رومية.**» (أع 18: 1و2). وهذا معناه أنه قد انقطع فجأة سيل الأموال التي كانت تُرسل باستمرار من إيطاليا إلى اليهودية، بل وزاد الاضطراب والفوضى والجوع نزوح مئات الألوف من اليهود لليهودية دون أموالهم، وانقطاع أرزاقهم، ومسلوبة كل رؤوس أموالهم ومدخراتهم. وهكذا تحقق صدق نبوَّة أغابوس على أساس التحقيق التاريخي المدني. وهو ما يشير إليه القديس لوقا بقوله: «الذي صار (أي تحقق) أيضاً في أيام كلوديوس قيصر»

29:11 «فحَتَمَ التلاميذُ حسبَمَا تيسَّرَ لكُلٍّ منهم أن يُرسِلَ كُلٌّ واحدٍ شيئاً خدمةً إلى الإخوةِ الساكنينَ في اليهوديةِ».

جميل حقاً أن يأخذ الإخوة المؤمنون نبوَّة أغابوس مأخذ الجد، وكأنه حكم صدر من الله، للقيام فوراً بعملية تدبير اقتصادية متقدمة في مستواها، وذلك واضح من القول «فحَتَمَ ... حسبما تيسَّر» أي وضعوا نظاماً محدَّداً بالأرقام والنسب بحسب دخول وممتلكات المؤمنين كشركة حقيقية في تحديد نوع وحجم المعونة المراد إرسالها بحسب غنى ومقدرة المؤمنين. والعجيب أن هذا الأسلوب الكنسي لا يزال قائماً حتى اليوم في البلاد المتيسرة، فنسمع عن

---

(234) Bruce., I. p. 240.

Fund (اعتماد مالي للمعونات) أمريكي وآخر ألماني وآخر فرنسي وآخر كندي تقوم به هيئة إتحاد الكنائس في كل من هذه البلاد التي لا تزال روح الشركة المسيحية فعَّالة في قلوبهم وأرواحهم لخدمة الكنائس الفقيرة

في العالم. وكنائس مصر تتلقى بعضاً من هذه المعونات. وهكذا لا تزال بركات أجدادنا تسري في أرواح الأبناء من كل لسان وشعب وأمة. وأول مَنْ أثار هذه الروح في مثل هذه الكنائس الغنية بالنسبة لكنائس مصر هو القديس المعاصر الأنبا صموئيل نيَّح الله روحه، الذي لا تزال آثار خدماته قائمة في كنائس مصر ومؤسساتها. لأنه وإن كانت الشركة المقدَّسة التي يدعو إليها المسيح هي في الروح وبالروح، إلاَّ أن الجسد وسدَّ أعوازه هو مظهرها الحامل للجوهر الإلهي: «الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح. فإننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لأننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد.» (1كو 10: 16و17)

30:11 «**ففعلوا ذلك مُرسِلِينَ إلى المشايخ بيدِ برنابا وشاوُلَ**».

أمَّا لماذا لم يُذكر اسم الرسل، فواضح أنه لا يزال مبدأ خدمة الموائد وحاجات الشعب بيد المشايخ أي العلمانيين رؤساء الشعب، بعد أن تشتت شمل السبعة الشمامسة الذين تعيَّنوا لخدمة الموائد. أمَّا الرسل فاحتفظوا بخدمة الكلمة (أع 6:2). أمَّا كلمة «بيد» التي جاءت باليونانية: di¦ ceirÕj، فهي ترجمة للكلمة العبرية التي هي في صميم الاستخدام باللغة العربية "Beyad".

ويُفهم من مضمون الكلام أن هذه البعثة من برنابا وشاول قامت بمهمتها قبل حادث المجاعة طاعة لصوت النبوَّة الذي سمعوه من أغابوس النبي الكنسي.

والمُلاحَظ أن حالة الكنيسة في أُورشليم واليهودية كانت مُتَدنِّية جداً من جهة الأعواز المادية، فقد عانت الكنيسة والرسل والمسيحيون عموماً حالة من الفقر والحرمان الشديد حتى في الأيام العادية، مما حدا بالقديس يعقوب الرسول المسئول عن الكنيسة أن يشترط لدخول الأمم في الإيمان بواسطة ق. بولس أن يذكر الفقراء في أُورشليم بمعنى جمع الأموال للصرف على الكنيسة الأم (غل 10:2). وهذا ما اعتنى جداً القديس بولس الرسول أن يقوم به. بل إن القديسَيْن بولس وبرنابا قد حضرا بالفعل في ذلك الوقت من كنيسة أنطاكية حاملين عطايا المؤمنين في كنيسة أنطاكية قبل أن يطلب ذلك القديس يعقوب من بولس، بل ولعل مجيء ق. بولس بعطايا سخية هو الذي نبَّه ذهن يعقوب الرسول بطلب المتابعة في ذلك الأمر. وقد نوَّه ق. بولس إلى هذا الأمر في الأصحاح الرابع والعشرين وهو يخاطب فيلكس الوالي «وبعد سنين كثيرة جئت **أصنع صدقات لأمتي وقرابين.**» (أع

(17:24)

وإليك كلام ق. بولس في كل المناسبات التي اهتم كل الاهتمام بجمع الأموال لحساب الصرف

على كنيسة أُورشليم وفقراء اليهودية:

+ «وأمَّا من جهة الجمع لأجل القديسين فكما أوصيت كنائس غلاطية هكذا افعلوا أنتم أيضاً. في كل أول أسبوع (الأحد) ليضع كل واحد منكم عنده، خازناً ما تيسَّر حتى إذا جئتُ لا يكون جمع حينئذ. ومتى حضرت فالذين تستحسنونهم أرسلهم برسائل ليحملوا إحسانكم إلى أُورشليم. وإن كان يستحق أن أذهب أنا أيضاً فسيذهبون معي.» (1كو 16: 1-4)

ومرة أخرى يخاطب أيضاً أهل كورنثوس، وهم من الأغنياء، ويلمِّح في كلامه على بخلهم بالنسبة لأهل مكدونية هكذا:

+ «ثم نعرِّفكم أيها الإخوة نعمة الله المعطاة في كنائس مكدونية، أنه في اختبار ضيقة شديدة (أي أن حالتهم كانت صعبة مادياً ويعانون ضيقة مالية شديدة) فاض وفور فرحهم وفقرهم العميق لغنى سخائهم **لأنهم أعطوا حسب الطاقة، أنا أشهد، وفوق الطاقة، من تلقاء أنفسهم** (مع أنه هنا هو يستحثهم مراراً) ملتمسين منَّا بطلبة كثيرة أن نقبل النعمة وشركة الخدمة التي للقديسين. وليس كما رجونا بل أعطوا أنفسهم أولاً للرب ولنا بمشيئة الله، حتى إننا طلبنا من تيطس أنه كما سبق فابتدأ كذلك يتمم لكم هذه النعمة أيضاً. لكن كما تزدادون في كل شيء في الإيمان والكلام والعلم وكل اجتهاد ومحبتكم لنا، **ليتكم تزدادون** في هذه النعمة أيضاً. لست أقول على سبيل الأمر بل باجتهاد آخرين مختبراً إخلاص محبتكم أيضا. فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح أنه من أجلكم افتقر وهو غني لكي تستغنوا أنتم بفقره. أُعطي رأياً في هذا أيضاً، لأن هذا ينفعكم أنتم الذين سبقتم فابتدأتم منذ العام الماضي ليس أن تفعلوا فقط بل أن تريدوا أيضاً. ولكن الآن تمموا العمل أيضاً حتى إنه كما أن النشاط للإرادة كذلك يكون التتميم أيضاً حسب ما لكم ... ليس لكي يكون للآخرين راحة ولكم ضيق، بل بحسب المساواة، لكي تكون في هذا الوقت فضالتكم لإعوازهم كي تصير فضالتهم لإعوازكم حتى تحصل المساواة. كما هو مكتوب الذي جمع كثيراً لم يُفضِل والذي جمع قليلاً لم يُنقِص.» (2كو 8: 1-15)

من هذا العرض نفهم قلق ق. بولس الشديد من جهة الفقراء في أُورشليم واليهودية. وقد أعطى بولس في هذا مبادئ كثيرة وهامة للكنيسة من جهة الاشتراك في إعواز الفقراء

ورفعها من حالة خدمة إلى حالة نعمة، لمَّا جعلها في ميزان حساس مع ثقل دعوات الفقراء. فبقدر زيادة العطية تزداد لهم الرحمة بصلوات الفقراء المقبولة أمام الله. وأيضاً يزيد من نصائح العطاء للفقراء في رسالته

إلى رومية هكذا:

+ «والآن أنا ذاهب إلى أُورشليم **لأخدم القديسين لأن أهل مكدونية وأخائية استحسنوا أن يصنعوا توزيعاً لفقراء القديسين الذين في أُورشليم**، استحسنوا ذلك وإنهم لهم مديونون. لأنه إن كان الأمم قد اشتركوا في روحياتهم يجب عليهم أن يخدموهم في الجسديات أيضاً.» (رو 15: 25-27)

وهنا يجعلها ق. بولس الرسول ديناً في رقبة الأغنياء من جهة حاجة الفقراء إلى المساعدات.

ويحدِّد المؤرخون صعود البعثة المكوَّنة من القديسين برنابا وبولس إلى أُورشليم بموجب إعلان النبي أغابوس لتقديم إحسانات جمعت من كنيسة أنطاكية إلى فقراء اليهودية بالرحلة الثانية إلى أُورشليم التي نوَّه عنها ق. بولس في رسالته إلى غلاطية:

+ «ثم بعد أربع عشرة سنة صعدت أيضاً إلى أُورشليم مع برنابا آخذاً معي تيطس أيضاً. وإنما صعدت **بموجب إعلان** (نبوَّة أغابوس) وعرضتُ عليهم الإنجيل الذي أكرز به ...» (غل 2: 1و2)

وقد حدَّدها المؤرخون بالسنة 46م، وذلك بحساب أربع عشرة سنة من تجدُّده. وهذا يتفق تماماً مع المجاعة التي حدثت في اليهودية (وكل المسكونة)، والتي يحدِّدها التاريخ بين 44-48م. وهذا يقرره أيضاً المؤرِّخ يوسيفوس[235].

والآن إذ نكون قد بلغنا في سفر الأعمال إلى المرحلة التي اعتُبر فيها شاول المدعو ق. بولس رسولاً مع الرسل إذ أخذ يمين الشركة من الرسل الاثني عشر، يلزم أن نقدِّم هنا تاريخاً مختصراً على الأزمنة التي تنقَّل فيها ق. بولس الرسول والحركات والأسفار التي قام بها عبر هذا السفر حتى يلمّ بها القارئ، وذلك حسب جدول العالِم دافيد تاوماس في كتابه "أعمال الرسل" سنة 1870م:

الحدث	التاريخ	المرجع من السفر
تجدُّد شاول على طريق دمشق	37م	1:9

(235) Joseph., *Antiq.* iii, 15, 3; Bruce, I, p. 241.

الحدث	التاريخ	المرجع من السفر
الانطلاق إلى صحراء العربية	38-39	9:22، (غل 1:17)
زيارة أورشليم للمرة الأولى	39	9:26-29

زيارة طرسوس	39	30:9
بقاؤه في طرسوس	42 -40	25:11
في أنطاكية أول إقامة له	44 -42	
نبوَّة أغابوس	43	28:11
زيارة أورشليم لثاني مرة مع برنابا	44	25:12-30:11
أول رحلة رسولية قام بها	47 -45	26:14-2:13
إقامته الثانية في أنطاكية	51 -47	28:14
زيارته لأورشليم لثالث مرة مع برنابا وتيطس		30:11
زيارته الرابعة لأورشليم للمجمع	50	6:15
العودة لأنطاكية وبقاؤه فيها لثالث مرة		35:15
الرحلة الرسولية الثانية	54 -51	41:15
في كورنثوس	53 -52	18-1:18
خامس زيارة لأورشليم		21:18و22
رابع إقامة في أنطاكية		22:18و23
ثالث رحلة رسولية		23:18
بقاؤه في أفسس	57-55	10-1:19
في مقدونية وكورنثوس	58-57	3-1:20
سادس زيارة لأورشليم	58	15:21
السجن في قيصرية		
تحطُّم السفينة به	60	27
في روما	63-61	28

وعظيم حقاً أن ينبِّه الروح القدس على فم النبي أغابوس عن حدوث مجاعة وشيكاً حتى تتنبَّه الكنيسة إلى واجبها من نحو الفقراء من شعبها. وهنا يتضح قيمة ما قاله الرب عن الروح القدس أنه «يخبركم بأمور آتية» (يو 13:16) لحساب الفقراء والمعوزين. ويُلاحَظ أنه وإن كان الله قد حسم أمر الفقراء في العهد القديم بتقديم العشور من كل شيء «**ليكون في بيتي طعام**» (ملا 10:3) لحساب الفقير والمعوز والعريان والغريب واليتيم والأرملة فقد زاد عليه في عهده الجديد «هذه من إعوازها ألقت كل ما عندها كل معيشتها» (مر 44:12)!!

وقد انتبهت الكنيسة إلى هذا بروح الرب: «وكان عندهم كل شيء مشتركاً، والأملاك والمقتنيات كانوا يبيعونها ويقسمونها بين الجميع كما يكون لكل واحد احتياج.» (أع 44:2و45)

وهكذا بقدر ما ينسكب الروح القدس في الكنيسة والفرد، بقدر ما كان يغيب الفقر والعوَز!؟ وكأن الله يسكب غناه المادي على البعض لكي يكف أنين الفقراء والمعوزين. فإذا عمَّ الفقر وزاد العوَز كان هذا معناه أن الروح القدس كفَّ عن أن ينسكب، وأن الغني بَلَعَ العطية ليهدم مخازنه ويبني أكبر منها لسنين كثيرة آتية، ولن تأتي:

\+ «... سلبتموني ... هاتوا جميع العشور إلى الخزانة ليكون في بيتي طعام وجرِّبوني، بهذا قال رب الجنود. إن كنت لا أفتح لكم كُوى السموات وأفيض عليكم بركة حتى لا تُوسَع.» (مل 3: 8و10)

الأصحاح الثاني عشر

(12: 1-19) هيرودس أغريباس الأول واضطهاد الكنيسة.

(أ) قتل القديس يعقوب أخي يوحنا بحد السيف.

(ب) سجن القديس بطرس الرسول، ومعجزة بواسطة الملاك لإخراجه سالماً.

(ج) اختفاء القديس بطرس الرسول.

(12:20-23) موت هيرودس أغريباس الأول.

(12:24-25) امتداد الكنيسة وعودة بعثة المجاعة.

هيرودس أغريباس الأول واضطهاد الكنيسة
[19-1:12]

1:12 **«وفي ذلك الوقتِ مَدَّ هيرودُس المَلِكُ يَدَيهِ لِيُسِيءَ إلى أُناسٍ مِنَ الكنيسةِ».**

مَنْ هو هيرودس أغريباس الأول في هذا الأصحاح؟

هو الحفيد الأكبر (أكبر أبناء الابن) لهيرودس الكبير من المدعوة مريمن Mariamne وهي إحدى الأميرات الحشمونيات(236).

وقد وُلِدَ في سنة 11 ق.م. وذهب مع أمه ليكبر ويتعلّم في روما بعد إعدام أبيه أرستوبولوس في سنة 7 ق.م. حيث نشأ وتعارف على قوم روما وصار على صلات صداقة مع أفراد عائلة الإمبراطور وخاصة مع غايس كاليجولا ابن أخت الإمبراطور طيباريوس. فلمَّا خلف غايس الإمبراطور طيباريوس في الحكم سنة 37م. منح أغريباس هذا المدعو بالأول المناطق (الأرباع) التي كانت تحت حكم فيلبُّس وليسانيوس الأمراء في شمال سوريا (انظر إنجيل لوقا 1:3)، كما منحه لقب ملك. ثم بعد سنتين أضاف إليه أعمال مناطق الجليل وبيريه. والتي كانت سابقاً تحت حكم عمه أنتيباس الذي أسقطه غايس من سلطته ونفاه.

ولمَّا صار كلوديوس قيصر إمبراطوراً في سنة 41 بعد اغتيال غايس كاليجولا عاد فأضاف إلى الملك أغريباس هذا منطقة اليهودية التي كانت تحت سلطان الإمبراطور الروماني منذ سنة 6 ميلادية وكذلك أراضي باتانيا Batania وتراخونيتس Trachonitis، والجليل والسامرة. وقد صار هذا في السنة الرابعة عشر لقيامة الرب من بين الأموات، وقد صار أغريباس صديقاً لليهود أكثر من كل عائلات هيرودس المتتابعة، وبالأكثر بسبب انحداره من عرق يهودي أي من عائلة حشمونية.

وتقول المِشْناه إنه اجتذب مشاعر اليهود لمَّا قام في أحد الأعياد اليهودية ومسك التوراة وقرأ قانون تدبير المملكة (تث 17: 14 ـ 20)، وكان العيد هو عيد المظال وكانت

(236) الحشمونيون: هو الاسم العائلي لجماعة المكابيين عن أحد شخصياتهم البارزة.

سبتية[237] في سنة 40م. فلمَّا جاء إلى نص الآية التي تقول: «لا يحلُّ لكَ أن تجعَلَ عليك رجُلاً أجنبياً ليس هو أخاك» (تث: 15:17)، بكى بكاءً مسموعاً أمام الشعب إذ تذكر أنه ينتسب إلى عائلة أدومية وهي عائلة الهيروديين. ولكن الشعب تأثر إذ تذكروا أنه أيضاً من عائلة حشمونية يهودية مكابية فصرخوا بصوت عالٍ: "لا تجزع، أنت أخونا أيضاً". وهكذا اتسع مُلكه ليشمل جميع الأراضي التي كان يحكمها هيرودس الكبير جده، والمعروف أن أرخيلاوس المذكور في مت 22:2، وهيرودس أنتيباس الذي أخذ رأس يوحنا المعمدان بالسيف هم أعمامه كما جاء في (مت 14: 1-12)، كما أن هيروديا الراقصة هي أخته. كذلك ولمزيد من العلم، فإن أغريباس الملك المذكور في (سفر الأعمال 13:25) وكذلك برنيكي هما من أولاده. وقد حكم أغريباس هذه البلاد سبع سنوات من سنة 37-44م.

وهو طبعاً قاتل يعقوب أخي يوحنا بالسيف.

والواقع أن في ذلك الوقت ـ وهو الوقت الواقع بين الآية 27-30 في الأصحاح السابق، أي وقت نزوح أنبياء من أُورشليم ليعلنوا عن المجاعة الوشيكة وتكوين لجنة متابعة للسَفَر إلى اليهودية بقيادة برنابا وبولس وهم يحملون تبرعات للفقراء في أُورشليم واليهودية، قد حدث أمر غريب وجديد في سلوك يهود أُورشليم تجاه الرسل في الكنيسة الذين كانوا يعيشون في وفاق مع اليهود دون أي مناوأة أو اضطهاد منذ قتل استفانوس إلى ذلك الحين دون أن تصيبَهم أي مقاومة؛ ولكن ها هو أغريباس، وتودُّداً لليهود، يبدأ باضطهاد الكنيسة جاعلاً الرسل بالذات هدفاً عنيفاً لأعماله الوحشية.

2:12 **«فقتَلَ يعقُوبَ أخا يُوحنَّا بالسَّيفِ».**

فكان القديس يعقوب الرسول أول شهيد بين الرسل، الذي صعدت دماؤه ترعد مدوية بالشهادة للمسيح النور الحقيقي. وما الرعد إلاَّ الرَجْعُ لنور البرق وهكذا أتم نبوة الاسم الذي أخذه من فم الرب يوم تكريسه للرسولية هو ويوحنا "كابني الرعد".

أمَّا ترتيب يعقوب أخي يوحنا في الدعوة فكان الرابع، لأن الاثنين اللذين تركا يوحنا المعمدان وتبعا يسوع كانا أندراوس أخا بطرس ويوحنا أخا يعقوب، أمَّا أندراوس فوجد

(237) أي السنة السابعة التي حتَّم ناموس موسى فيها إراحة الأرض من الزراعة وتحرير العبيد ... (لا 25:1-7).

أخاه سمعان بطرس أولاً، أي قبل أن يجد يوحنا أخاه يعقوب فصار يعقوب الرابع بين التلاميذ.

ويخبرنا المؤرخ الكنسي يوسابيوس أن حياة يعقوب أثناء سجنه تحت قيادة رئيس السجن كانت حياة تَقويَّة ونموذجاً حيًّا للمسيحي مما أثر في رئيس السجن الذي اقترب بروحه من الرب واعترف بمسيحيته ليعقوب وأعلن مسيحيته وأُخذت رأسه مع رأس يعقوب[238]. ويوسابيوس ينقل لنا هذا الخبر عن اكليمندس الإسكندري كما دوَّنه في كتابه السابع هيبوتيبوسيس.

أمَّا رواية العلماء[239] التي تقول أن بعض المخطوطات تقول بقتل يعقوب ويوحنا أخيه معاً فهي رواية يلزمها الإثبات[240] وتدحضها بقية المخطوطات وبرهاننا على ذلك ليس فقط أن المسيح قال ببقاء يوحنا، بل وقالها بعد أن قال لبطرس واصفاً له كيف وبأي ميتة كان مزمعاً أن يمجد الله بها فلما غار سمعان وأراد أن يعرف مصير يوحنا «يا رب وهذا (أي يوحنا) ما لهُ؟ قال له يسوع إن كنتُ أشاءُ أنه يبقى حتى أجيءَ فماذا لك اتبعني أنتَ »(يو 21: 21و22). وواضح من ترتيب ملابسات الحديث أن بطرس سيموت أولاً أمَّا يوحنا فموته سيتأخر إلى ما يشاء الله.

وهكذا شرب يعقوب مبكراً من الكأس التي شرب منها الرب (مت 22:20)، فكان أول مَنْ شرب من بعده، وذلك بما كان يتناسب مع لهفته على أن يجلس عن يمين الرب في ملكه فجلس. وأمَّا أمه فزفَّته في موكب الصليب يوم أن خرجت تودع الرب، وما دريت أن طلبتها استجيبت بأسرع مما كانت تظن.

ولقد كان في طلبتها لغز موته أو زفافه إلى المجد قبل أخيه حينما عينت له اليمين وتركت ليوحنا الشمال. واليمين بالنسبة للرب هو من نصيب الأكبر سنًّا والشمال بالنسبة للرب هو نصيب أصغر التلاميذ سنًّا وأكثرهم حبًّا، ولهذا جلس يوحنا ليل عشاء الخميس على شمال الرب ولذلك أيضاً سمع سر الرب حينما انحنى على صدره[241]. ولهذا كان يوحنا آخر مَنْ مات من تلاميذ الرب جميعاً، وهكذا مات يعقوب أول التلاميذ ويوحنا آخرهم، وواضح من سيرة التلاميذ مع الرب أنه كان ضمن الثلاثة تلاميذ الأكثر ثقة عند الرب ولم يكن يُذكر إلاَّ مع أخيه.

---

(238) Euseb., *H.E.* ii 9.

(239) E. Schwartz (ZNW xi 1910 pp. 89, 99. cited by Bruce II., p. 247 N. 6).

(240) Bruce II., p. 247.

(241) انظر شرح إنجيل يوحنا صفحة 795.

3:12 «وإذ رأى أنَّ ذلك يُرضي اليهودَ عادَ فقبَضَ على بُطرُسَ أيضاً. وكانت أيامُ الفطِير».

واضح أن هناك مهادنة ظلت قائمة بين اليهود تجاه الرسل والتلاميذ ودامت حتى هذه الحادثة أربعة عشرة سنة لأن هيرودس تولّى المُلك سنة 37م. ومَلَكَ سبع سنوات حتى هذا الحادث، فتكون سنة موت القديس يعقوب أخي يوحنا سنة 44م. وهي نفس سنة موت هيرودس.

ولكن لماذا انقطع حبل الود والمجاملة بين اليهود والكنيسة الجديدة في أُورشليم؟ إلاَّ بسبب النشاط المفاجئ الذي قام به بطرس بدعوة رؤيوية صريحة من الرب لفتح مجال الخدمة بين الأمم وكان أثره بالغ القوة والتنبيه، فالروح القدس حلَّ على الأمم بشخصه كما حل على الاثني عشر، ولازم هذا الحلول تكلُّم بألسنة ومعجزات تماماً كما حدث يوم الخمسين للتلاميذ وبنفس الأسلوب المفاجئ وقبل إجراء العماد!!

+ «فلمَّا ابتدأت أتكلَّم حلَّ الروح القدس عليهم كما علينا أيضاً في البداءة، ... فإن كان الله قد أعطاهم الموهبة كما لنا أيضاً بالسوية مؤمنين بالرب يسوع المسيح فمَنْ أنا. أقادرٌ أن أمنع الله!!» (أع 11: 15و17)

وطار الخبر لليهود وقيَّموا الحادث على مستوى ما قيَّموه يوم الخمسين وهنا طار صوابهم، فالباب انفتح على مصراعيه لدخول الأمم في الإيمان بالمسيح بقوة مع آيات ومعجزات. وأصبح الأمر يختص بوجودهم كيهود بعد ذلك أو عدم وجودهم، فالإنذار الإلهي بالرفض قد بدأ بالتنفيذ: «لذلك أقول لكم إن ملكوت الله يُنزع منكم ويُعطى لأمة تعمل أثماره.» (مت 43:21)

والآن إن كان اليهود قد استحسنوا قتل يعقوب الرسول، وجسَّ هيرودس نبض الشعب فسمع همس الرضى، ففي الحال رأى أنه كان يريد أن يُثبِّت دعائم مُلكه على اليهود، فليس بأقل من أن يمد يده إلى كبيرهم بنفس الميتة ليفوز باستحسان يؤمِّن له انحياز الشعب، فاختار لحبس بطرس أيام الفطير وكأنه يطهر الأمة اليهودية من خمير الشر، ليَفصحوا وهم أطهار سعداء بخروجهم. ولكن انبرى له ملاك الهلاك لقلب حساباته ووَضْع خاتمة لملكه الذي اشتراه بدم بار، وأنقذ القديس بطرس من موت منكر كان قد تحتم على يد ذلك السفَّاح. وتم وعد الدهور:

+ «فلم يَدَع إنساناً يظلِمَهُم، بل وبَّخ ملوكاً من أجلِهم قائلاً لا تمسُّوا مُسحائي ولا تُسيئوا

إلى أنبيائي.» (مز 105: 14و15، 1أي 16: 21).

ولكن إن كان هذا هو معيار العهد القديم من جهة خدَّام الرب، فبعد أن ظُلم الرب نفسه ولم

يفتح فاه، وصُلب وكان صليبه قوة وموته خلاصاً، فقد أصبح كل ظلم من أجله ومعه إكليلاً ووساماً وكل تعذيب وموت هو ربح. ولكنه «حتَّم بالأوقات والمواعيد وحدود مساكنهم وزمان استشهادهم». إنما ليس على يد هيرودس لكن على يد نيرون.

«أيام الفطير»:

وهي سبعة أيام العيد التي تبتدئ في 14 نيسان في عشية عيد الفصح وتنتهي في 21 من نيسان (خر 8:12) وهنا يقول العلماء أن المعنى ينصبُّ على أوسع التقاليد المتوارثة[242].

4:12 «ولمَّا أمسكَهُ وضَعَهُ في السجنِ مُسلِّماً إيَّاهُ إلى أربعَةِ أرابعَ مِنَ العسكرِ ليحرُسوه ناوياً أن يقدِّمهُ بعدَ الفصحِ إلى الشَّعبِ».

«أربعة أرابع من العسكر ليحرسوه»:

واضح أنها مناوبة حراسة على مدى الأربعة الأقسام من الليل: الهزيع الأول، والثاني، والثالث والرابع الذي ينتهي بالفجر عند صياح الديك حيث يستلمه حرَّاس النهار.

أمَّا الأربعة العساكر في النَوْبَة الواحدة، فكان تقسيمهم هكذا عسكري يمسك بكل يد بسلسلة، وعسكريان على باب الزنزانة حيث يرقد بطرس.

أمَّا الحرص الشديد في الحراسة بهذا الوصف فكان بسبب الحيطة من الأعوان المسيحيين المتعاطفين مع الرسل المحبوبين من الشعب. ولكن أية قوة وأية حيطة إزاء عمل ملاك الله الذي هزأ بالأربعة الأرابع والسلاسل والأبواب المغلَّقة والأقفال المُحكَمة وثقل الأبواب الحديدية، التي صيَّرها وكأنها متحركة من كرتون في لعبة صندوق الدنيا يحركها اللاعب بيده ليسرَّ أطفال العيد.

---

(242) N. Gelderhuys, *Comment. on the Gospel of Luke,* London, 1950, pp. 548, 661.

ـ الكنيسة تصلّي ـ
ـ وزائر الليل المضيء ـ

7-5:12 **«فكان بُطرُس محرُوساً في السِجنِ،**
وأمَّا الكنيسة فكانت تَصيرُ منها صلاةٌ بلجاجةٍ إلى اللهِ مِنْ أجلهِ.
ولمَّا كان هيرودُس مُزمِعاً أن يُقدِّمهُ كان بُطرُس في تلكَ اللَّيلَةِ نائماً بينَ عسكريَّينِ مربوطاً بسلسلتينِ!
وكان قُدَّامَ البابِ حُرَّاسٌ يحرسونَ السجنَ!
وإذا ملاكُ الربِّ أَقبَلَ ونُورٌ أضاءَ في البيتِ،
فضَرَبَ جنبَ بُطرُسَ وأيقظهُ قائلاً قُم عاجلاً!!
فسقطتِ السلسلتانِ مِنْ يديهِ»!!

سَرَت الأخبار كالبرق أن اليوم هو الأخير في حياة بطرس. وكان موت يعقوب أخي يوحنا على يد هذا السفَّاح ينذر بجدية عزم هيرودس، مما ألهب قلب الكنيسة وجعلها على أشد حالات التوسُّل واللجاجة لأن بطرس كان محسوباً الأول فيها، وليس في الكرامة، بل في عراكه ضد قوات الجحيم « أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها» (مت 18:16). فكانت لجاجة موسومة بالقوة وأمل النصرة المستمدة من قول الرب! وكم دخلت الكنيسة في عراك مرعب ضد قوات الجحيم وكم خرجت منتصرة كخروج بطرس في ذلك الليل المشهود.

فهيرودس صادفها في كل زمن، وكل زمن كان له صنف من مصنفات الشيطان التي أذاق الكنيسة منها ألواناً وأهوالاً.

ولكن أجمل مصادفات هذه الليلة البديعة أن الكنيسة كانت وظلت تصلّي وهي لا تدري أن صلاتها قُبلت، وخرج بطرس خروجاً كالفجر الهادئ من بعد ليل شنيع ووقف يقرع الباب بينما كانوا لا يزالون يُصلُّون!!

لقد أضاء الملاك ظلمة بيت السجن ـ ربما قلعة أنطونيا ـ ولكن لم يستضيء بنوره إلاَّ بطرس النائم الذي أفاق على ضربة الملاك في جنبه، فالليل كان سادراً وقد أرخى سدوله الكثيفة على

أعين الحرّاس وقلوبهم فلم يفيقوا من غفلتهم إلاَّ على فزعة أول حارس أفاق صارخاً: قد هرب السجين!! والسجن تتقاذف أبوابه ريح صرصر نكباء تعوي، وتنعي حذق هيرودس الجبار وتسخر من السلاسل والأقفال وحرّاسه الأبطال الصناديد. وكان الباب الأخير مفتوحاً على مصراعيه. هي معارك هامشية على الدوام بين ملائكة الله والشيطان دفاعاً عن أولاد الله، بانتظار المعركة الأخيرة التي سيسقطه فيها ميخائيل رئيس جند الرب من السماء إثر معركة يصيبه فيها في مقتل، فيُفقده تفوُّقه لينحطَّ إلى التراب.

«قم عاجلاً»:

كان الملاك على عجلة، وقلَّما كانت الملائكة تتعجَّل الأمور، فالزمن عندها غير ذي وجود، ولكن كانت الصلاة بلجاجة، وصلاة اللجاجة لدى الأبرار تقتدر كثيراً في فعلها!

\+ «أفلا يُنصِفُ الله مختاريه الصارخين إليه نهاراً وليلاً وهو متمهلٌ عليهم؟ أقول لكم إنه ينصفهم **سريعاً**.» (لو 18: 7و8)

«فسقطت السلسلتان من يديه»:

حيث السلسلتان مربوطتان واحدة في كف الحارس والأخرى في رسغ السجين بأسورةٍ من الصُلب (كلبش) مُحكَم الإغلاق، ولكن أي إغلاق وأي حديد وصُلب والأمر صدر من الله بالإطلاق والذي أطلق أسرى الرجاء في القبور أحياءً كيف لا يطلق أسير القيود والسلاسل حرًّا من سجن وقيود؟ والذي فك عنّا قيود الخطية الأشد من الحديد والأصلب من الصلب ألا يفك سلاسل هيرودس فلا تعود تطبق إلاَّ على أيدي حرّاسه؟

إن عالم الروح لا تحكمه قيود وحديد وفولاذ، وحينما ينفتح علينا أو ننفتح عليه تنتهي المحدودات والمحصورات وتتداعى المغاليق والحواجز فلا تعود أماكن ولا أركان، ويذوق الإنسان الحرية من الأبعاد والمسافات والأطوال والزمن، ويتعرف على الخلود والمُطْلَق، ويحيا ما فوق الطبيعة! لقد تذوق بطرس لحظة من لحظات الخروج من الواقع المادي الكئيب تمهيداً للخروج الكلي الذي دخله على يد نيرون.

8:12 **«وقالَ له الملاكُ تمنطقْ والبَسْ نعليكَ، ففعَلَ هكذا. فقال لهُ البَسْ ردَاءَكَ واتبعني».**

كان بطرس قد خلع نعليه وفك منطقته وخلع عنه رداءه الذي يلفه حول كتفيه ويتدثَّر به، ونام بجواره حارساه واحد عن يمينه والآخر عن يساره وهما مربوطان بنفس السلسلتين،

كل العجب أن يختلط أمامنا وبصورة فريدة نادرة وشبه مستحيلة الواقع والخيال معاً: النوم واليقظة والظلمة والنور، القيود والحركة الحرة، اليدان المغلولتان ولبس النعلين والحزام ولف الرداء بكل حرية الحركة، والسلاسل تتهاوى لترقد بجوار الراقدين، ويفلت بطرس من انحصار المادة والظلم والقسوة في مجد الرسولية ورفقة الملاك.

«اتبعني»:

الكلمة التي سمعها من فم الرب قبل ذلك فيما بعد القيامة حينما تعدَّى ما له ليسأل عمَّا ليوحنا، فردَّه المخلّص: «فماذا لكَ اتبعني أنت» (يو 22:21)، يا للطوبى التي صارت لبطرس الذي نال التبعية للرب في معناها المُطْلَق، وفي الزمني للملاك! كان لابد أن يقتحم الملاك السجن ليرفع عن بطرس كثافة الحيطان والأبواب والأقفال ويمرق بطرس من خلالها خلف الملاك وكأنه هو أيضاً ملاك لا يعيقه عائق!! ... «ويكونون كملائكة الله.» (مت 30:22)

9:12 **«فخرجَ يتبعَهُ، وكان لا يعلمُ أنَّ الذي جرى بواسطةِ الملاكِ هو حقيقيٌّ بل يظنُّ أنَّهُ ينظرُ رُؤيا».**

منظر بديع وفريد، وسط الظلمة المحيطة: كتلة من نور يتحدد في وسطها شكل ملاك يسير، وعلى ضوء النور وهداه يسير بطرس وكأنه ممسك بالنور لا يحيد، والظلمة تتعقبه خطوة بخطوة لتغمر السجن خلفه في الظلمة الكثيفة. تعبير أروع تعبير عن مسيرة أولاد النور وسط ظلمة العالم المحيطة يقودهم نور الذي يضيء كل إنسان للمسيح آتٍ إلى العالم!

بطرس اختلط عليه الأمر وكان يتحتَّم أن يختلط عليه أشد اختلاط، هل هو في يقظة أم لا يزال يسبح في عالم الرؤى؟ والحقيقة الصادقة أن بطرس كان يمسك باليقظة ويمسك بالرؤيا بآن واحد. كان يعيش الحقيقة التي لا تمتّ إلى الحقائق المنظورة بشيء: فأي حقيقة هذه التي تجمع بين القيود والحركة الحرة لليدين والرجلين. وأية حقيقة هذه التي تجعل الأبواب الحديدية تنفتح من ذاتها؟ وكأنها الأبواب الدهرية تنفتح لقدوم رب المجد!

لقد مارس بطرس كل ملامح القيامة العتيدة قبل أن يذوق الموت:

فقد ذاق مجد الرسولية، ورأى مُسْبَقاً أُبَّهة العرش المُعدّ:

+ «أنتم الذين تبعتموني، في التجديد، متى جلس ابن الإنسان على كرسي (عرش)

مجده

تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً (عرشاً) تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر.» (مت 28:19)

10:12 **«فجازا المحرَسَ الأولَ والثاني وأتيا إلى بابِ الحديدِ الذي يؤَدِّي إلى المدينةِ فانفتح لهما مِنْ ذاتهِ فخرجا وتقدَّما زُقاقاً واحداً وللوقتِ فارقهُ الملاكُ».**

الأصل اليوناني يوضح قسم السجن الأول وليس مجرد «محرس» وبعده السجن الثاني مما يفيد أن السجن كان مقسماً إلى قسمين القسم الأول وهو الداخلي والخاص بالحبس المُشَدد للذين يُخْشَى هروبهم، وهم ـ في أغلب الظن ـ المحروسون إعداداً للإعدام.

والخروج من السجن الأول يحتسب هروباً بحد ذاته لذلك كان السجين يُرْبَط بسلسلتين في يدي جنديين يلازمانه طيلة بقائه داخل السجن: أثناء أكله وشربه ونومه أيضاً. أمَّا خروجه من المحرس الثاني فمعناه أنه خرج من السجن تماماً وما بقي إلاَّ الرَدْهَة (الفَسَحَة) المؤدية إلى باب السجن العام المؤدي إلى المدينة. وهذا الوصف وهو ـ عن الثقاة ـ يطابق قلعة أنطونيا. أمَّا الزقاق الأول فهو الذي يفصل القلعة عن الهيكل والذي يؤدي من جانبه الغربي إلى بقية طرق المدينة.

والوصف المذكور هنا يكشف عن شاهد عيان دارس لموقع القلعة من الهيكل والمدينة فيما قبل سنة 70، أي قبل خراب أُورشليم والهيكل، مما يضيف إلى رواية سفر الأعمال أصالة ودقة برؤية عينية.

«وانفتح لهما من ذاته»: aÙtom£th

وهي نفس الكلمة التي نستخدمها "أوتوماتيكياً"، أي من ذاته بدون واسطة محركة. والأصح هنا أن تكون "ثيئوماتي" أي بقوة الله. فالباب مُحكم ومصنوع لكي لا يُفتح قط من ذاته، ولكن مفتاحه بيد الذي له سلطان أن يُغلِق ولا أحد يفتح ويفتح ولا أحد يُغلِق. وطوبى للذي يتبع!! «ولكن ملاك الرب في الليل فتح أبواب السجن وأخرجهم» (أع 19:5). والملائكة دائماً تعبث بأقفال الإنسان الحديدية لتُخْرِج أسرى الرجاء ليتنسموا حرية أولاد الله.

«وتقدما زقاقاً واحداً وللوقت فارقه الملاك»:

يا لعناية الله الفائقة الحد! لم يَدَعْ بطرس يفيق بمجرد أن خرج من السجن، ولكن لازمه

الملاك على طول الزقاق أمام السجن، حتى خرج بطرس من محيط الخطر ثم عاودته اليقظة ليرى ويدرك أنه أُنقذ تماماً وصار بمأمن من حرَّاس السجن.

«وكل آلة صُوِّرت ضدك لا تنجح!» (إش 17:54)، وقد صرنا أعظم من منتصرين بالذي أحبنا (رو 37:8)! وعندما أكمل الملاك مهمته العظمى ولم يعد سبب لوجوده المنظور سحب كيانه المرئي من محيط رؤيا الإنسان ليمارس الإنسان إيمانه من داخل العيان.

11:12 «فقالَ بُطرُس وهو قد رَجَعَ إلى نفسهِ: الآن عَلِمتُ يقيناً أن الربَّ أرسَلَ ملاكَهُ وأنقذني مِنْ يَدِ هيرُودُس ومِنْ كُلِّ انتظار شَعبِ اليهودِ».

«قد رَجَعَ إلى نفسهِ»: genÒmenoj ™n ˜autù

وصحتها حرفياً «رجع **في** = **™n** نفسه» مما يعني أنه لم يكن في نفسه، بل خارج نفسه، يعني مختطف خارجاً عن نفسه، التي تفيد الاكستاسي ™n ™kst£sei مثل الحالة التي دخلها وهو على سطح بيت سمعان الدباغ في يافا. حيث جرى الحديث ورأى رؤيا الملاءة المدلاّة من السماء. فالآن ليس ملاك بعد ولا رؤيا ولا سجن معاً!

«علمت يقيناً»:

هل كان بطرس وهو مع الملاك وسقوط السلاسل والخروج من الباب الحديد عندما انفتح من ذاته في غير يقين؟ بل كان هو اليقين فوق اليقين، والحقيقة أنه الآن وهو بعد أن فارقه الملاك وفارقته القوة الإلهية الإعجازية دخل في غير اليقين. ولكن هذا هو خداع العقل المادي الذي يعيش في الصورة وليس الحقائق، يعيش في شبه السماويات حيث السماويات هي الحق واليقين وغيرها هو الصور والخيالات لا تحمل أي يقين!! يا إخوة « نحن الآن نعرف بعض المعرفة» (1كو 12:13) وليس المعرفة في كمالها لأن المعرفة الكاملة التي هي ملء اليقين هي مع الرب وملائكته المذخرة لنا هناك في السماويات. وهل حينما تدب أرجلنا على أرض النفاق يكون هو اليقين؟ وحينما تسقط السلاسل والقيود وتنفتح الأبواب من ذاتها وتخرج من السجن المغلق يكون خيالاً؟؟ أو غير يقين؟ هذا هو خداع العالم والعقل الواعي المادي الذي لا يعي إلاّ الصور والخيالات والكثافة المادية ولا يعي ما لله من الأعمال الباهرة حيث لا ينبهر العقل المطلق للإنسان منها في شيء بل تكون هي هي طبيعته السماوية يراها ويدركها كما يرى الله أو يرى نفسه في الله:

+ «ليس لنا هنا مدينة باقية لكننا نطلب العتيدة.» (عب 14:13)،

+ «فقوله مرة أيضاً يدل على تغيير **الأشياء المتزعزعة كمصنوعة لكي تبقى التي لا**

تتزعزع. لذلك ونحن قابلون **ملكوتاً لا يتزعزع** ليكن عندنا شكر ...» (عب 12: 27و28)

«من كل انتظار شعب اليهود»:

كان اليهود في عيد الفصح هذا مجتمعين من كل أنحاء البلاد والعالم وكانوا منتظرين تقديم هيرودس هدية العيد لهم برجم بطرس كما تقبلوا هدية فصحهم على يد بيلاطس: «هذا هو الرجل خذوه اصلبوه» وهكذا نُكب هذا الشعب في آماله وتنكّب عن خلاصه فسقط دائماً في شر أعماله.

وبهذا الحادث الذي هز كيان القديس بطرس انتهت أيام الود الكاذب بينه وبين اليهود الذين كان يعاشرهم في الهيكل ويصلّي معهم مع باقي الرسل، وإلى هنا انتهت قصة الكنيسة في أُورشليم من حيث نشاطها الرسولي وبدأت تأخذ سيرتها في أنطاكية، وإن بقي وجودها في أُورشليم إلى حين.

ـ اختفاء بطرس سنة 44 م ـ

17-12:12 **«ثم جاءَ وهو منتبهٌ إلى بيتِ مريمَ أُمِّ يوحنَّا الملقَّبِ مَرقُسَ حيثُ كان كثيرونَ مجتمعينَ وهُم يصلّونَ.**
فلمَّا قرَعَ بُطرُس بابَ الدِّهليزِ جاءَتْ جاريةٌ اسمُها رودا لتَسمَعَ،
فلمَّا عَرَفَت صوتَ بُطرُسَ لم تفتح البابَ مِنَ الفرح بل ركضَتْ إلى داخلٍ وأخبَرت أنَّ بُطرُسَ واقِفٌ قدَّامَ البابِ.
فقالوا لها أنتِ تهذينَ. وأمَّا هي فكانت تُؤَكِّدُ أنَّ هكذا هو. فقالوا إنَّهُ ملاكُهُ.
وأمَّا بُطرُس فلَبثَ يقرعُ، فلمَّا فتحوا ورأوهُ اندهشوا.
فأشارَ إليهم بيدِهِ ليسكتوا وحدَّثهُم كيفَ أخرجَهُ الربُّ مِنَ السجنِ، وقالَ أخبرُوا يعقوبَ والإخوةَ بهذا، ثمَّ خرجَ وذهبَ إلى موضعٍ آخر»!

اتجه القديس بطرس مباشرة إلى المركز الأول لاجتماع الكنيسة في أُورشليم ليُعلِمَهُم بعمل الله العظيم والفائق القوة والعناية والرعاية للكنيسة الفتية:

+ «أُعلّمك وأُرشدك الطريقَ التي تسلكها أنصحُك عيني عليكَ.» (مز 8:32)
+ «إذا سِرْتُ في وادي ظلِّ الموتِ لا أخافُ شرًّا لأنك أنت معي.» (مز 4:23)
+ «لأنه هو الإله الحيُّ القيُّوم إلى الأبدِ وملكوته لن يزول وسلطانه إلى المنتهى. هو ينجِّي ويُنقِذُ

ويعملُ الآياتِ والعجائب في السموات وفي الأرض. هو الذي نجَّى دانيال من يَدِ الأسُودِ.» (دا 6: 26و27)

+ «يعلم الرب أن يُنقذ الأتقياء من التجربة.» (2بط 9:2)

وهكذا تغنّى بطرس برحمته.

ثم هذا بطرس الذي انفتحت أقفال وأبواب السجن أمامه بلا يد وقف يقرع طويلاً باب الكنيسة، والكنيسة تشك وتقول: «إنه ملاكه» ومن هذا التعبير اللطيف «إنه ملاكه» ندرك عقيدة الكنيسة الأولى بأن كل مؤمن تعيّن له ملاك حارس. ونفس قصة الملاك المنقذ مع بطرس تزكي هذه العقيدة، غير أن هذا الملاك صاحب المعجزة دُعي هنا ملاك الرب. فهو رسول رب الجنود وهو ذو شأن كبير. وعلى أي حال نجد في سفر أعمال الرسل، الذي هو سفر أعمال الكنيسة أو بالحري أعمال الله في كنيسته التي اقتناها بدمه، حركة جديدة ذات قوة وشأن عظيم للملائكة في خدمة الكنيسة «لخدمة العتيدين أن يرثوا الخلاص» (عب 14:1). وهكذا عيَّن الله دروعاً نارية لأولاد الله لحماية الكنيسة من سطوة الذي يجول ملتمساً أن يبتلعها «وأبواب الجحيم لن تقوى عليها» فيا لعظم مراحم الرب ويا لعظم الخلاص المعدّ!

لقد صارت ضجة عظيمة بين المجتمعين في العلية وكلمات الصلاة لا تزال على شفاههم إذ رأوا عظم الخلاص عياناً بياناً والشاهد أمامهم في السماء يقول آمين.

بطرس أمامهم بقامته المديدة يقص كيف أخرجه الرب من السجن عائداً وعلى رأسه فرح وابتهاج:

+ «فقال لي: هؤلاءِ هُم الذين أتوا مِنَ الضيقةِ العظيمةِ وقد غسَّلوا ثيابهم وبيَّضوا ثيابهم في دم الخروفِ، مِنْ أجل ذلك هُم أمامَ عرش اللهِ ويخدمونه نهاراً وليلاً في هيكلهِ والجالسُ على العرش يحلُّ فوقهم.» (رؤ 7: 14و15)

+ «لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي وتجلسوا على كراسي تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر.» (لو 30:22)

أمَّا السؤال الذي حيَّر كل الدارسين والشارحين والمتأملين: لماذا سمح الله أن تؤخذ رأس يعقوب أخي يوحنا بالسيف دون أي اهتمام من السماء ويُنقذ بطرس بقوة سمائية واقتدار وإعجاز بالغ العناية؟ أمَّا الجواب في اعتقادنا فهو أن بطرس كانت لا تزال أمامه أعمال

بامتداد الكنيسة وبناء إيمانها وإدراك سر المسيح، تشهد بذلك رسالتاه البليغتان الممتلئتان بنصوص الإيمان الثمين المصفَّى كالذهب.

وأمَّا يعقوب فكان يعوزه جداً شهادة الدم ليغتسل بها من بقايا الناموس التي ظلت عالقة به بقوة.

18:12و19 «**فلمَّا صارَ النهارُ حصَلَ اضطرابٌ ليس بقليلٍ بينَ العسكر تُرَى ماذا جرى لبُطرُس. وأمَّا هيرودُس فلمَّا طلَبَهُ ولم يجِدهُ فحَصَ الحُرَّاسَ وأمرَ أن ينقادوا إلى القتل. ثمَّ نزلَ مِنَ اليهودية إلى قيصريَّة وأقامَ هناكَ**».

«يعلم الرب أن ينقذ الأتقياء من التجربة» (2بط 9:2)، وتدخُّل القوة الإلهية لا يقف أمامها أي قوة بشرية مهما بلغت من العنف والحذر.

لقد خيَّب الله آمال اليهود الذين راهنوا على رأس بطرس وبالتالي على كيان الكنيسة. ولكن الذي ولدها من جسده ضمن لها الخلاص والبقاء قبالة أبواب الجحيم: «كُلُّ آلةٍ صوِّرَتْ ضِدَّكِ لا تنجح» (إش 17:54). وعوض أن تفقد الكنيسة صخرتها التي تُبنى عليها بغير يد، فقدت الذي نصب نفسه عدواً لها إذ وقع هيرودس من فوق كرسي سلطانه وأكله الدود ومات. ومن بعده كل أباطرة الظلم وملوك الاضطهاد الدموي واحداً تلو الآخر وبقيت صخرة الكنيسة تناطح الزمن وتطوي جهالات تاريخه تحت قدميها قرناً بعد قرن. أمَّا صفحاتها الحزينة على الأرض فقد ترجمتها يد الساهر القدوس إلى أطوال وأعراض في المدينة التي لها الأساسات من أفراح ومسرات حيث لا حزن ولا كآبة ولا تنهد.

موت هيرودس أغريباس الأول
[12: 20-23]

12: 20-23 «**وكانَ هيرودُس ساخِطاً على الصُّوريِّينَ والصيدَاويِّينَ فحضَرُوا إليهِ بنفسٍ واحِدةٍ واستعطفوا بلاستُسَ الناظِرَ على مضجع الملكِ ثُمَّ صاروا يلتمِسُونَ المُصالحة لأن كُورَتَهُم تقتَاتُ مِنْ كُورَةِ الملكِ.**
ففي يومٍ معيَّنٍ لَبِسَ هيرودُس الحُلَّة الملُوكيَّةِ وجَلَسَ على كُرسيِّ المُلكِ وجعَلَ يخاطِبِهُم.
فصَرَخَ الشَّعبُ هذا صَوتُ إلهٍ لا صَوتُ إنسانٍ.
ففي الحالِ ضَرَبَهُ ملاكُ الربِّ لأنَّهُ لم يُعطِ المجدَ للهِ. فصارَ يأكُلهُ الدَّودُ وماتَ».

لم يمهله الله كثيراً فبعدما هدد الكنيسة في شخص بطرس، وما أن استقر في مقر كرسي ملوكيته في قيصرية حتى داهمه الموت بغير انتظار. ويقص علينا هنا القديس لوقا قصة موته المباغت التي ألبسها ثوب النقمة، ويقول: إن مدن فينيقية (لبنان الآن) وأهمها صور وصيدا كانت تعتمد في معيشتها سواء من محصولات الأرض أو مجلوبات البضائع من الجليل، تماماً كما كان في أيام سليمان حينما كان يمد حيرام ملك تلك البلاد بكل أنواع الأطعمة والخيرات في مقابل الأخشاب التي كانت تدرها الغابات الكثيفة من شجر الأرز المشهور (1مل 5:9)، ولكن كانت هذه المدن قد أساءت إلى الملك أغريباس وأغضبته لأسباب لم يذكرها ق. لوقا وبذلك صارت مهددة بقطع إمدادات الطعام وبقية الخيرات. وخوفاً من العواقب جاءوا إليه يطلبون المصالحة، ويبدو أنه كانت لهم علاقة طيبة مع بلاستس القائم على مخدع الملك وهو أقرب الناس إلى قلبه فوسَّطوه ليسترضي وجهه عليهم.

ويشاء الله أن يعي التاريخ هذه الحادثة بالذات في سجلات المؤرِّخ يوسيفوس اليهودي الذي يقص هو الآخر علينا القصة بالتفصيل. وهذا من نوادر الأمثلة التي يتقابل فيها التاريخ المدني ليصادق الكتاب المقدَّس ويؤكِّد صحة روايته.

يقول يوسيفوس: إن في قيصرية أقام أغريباس الملك حفلات تكريم على شرف الإمبراطور كلوديوس قيصر وتقاطر رؤساء المقاطعات وعِلِيَة القوم من كل البلاد المجاورة تكريماً لقيصر ويقول:

[إن في اليوم الثاني للاحتفال لبِسَ أغريباس حلّة الملوكية وهي مصنوعة من خيوط الفضة بحياكة نادرة المثال، ودخل المسرح في بداية النهار، فلمعت الفضة ببريق يخطف الأبصار عندما وقع عليها ضوء الشمس، مما أثار لا الدهشة فقط بل والرعب في قلوب الرعية عندما شاهدوا هذا المجد الملوكي. وانتهزها فرصة أولئك الذين صناعتهم التملُّق والإطراء، الذين يسيرون في حاشية الملوك، وبدأوا يهتفون له باعتباره الإله قائلين: "ارحمنا، نحن نرفعك فوق البشر"، أمَّا هو فارتاح للإطراء ولم يردعهم على تملقهم المزيَّف. وتصادف أن رفع بصره فرأى "بومة" حطت فوقه، فللحال تذكر ما كان قد سبق وأنذره به زميل له جرماني الجنس في السجن عندما كان مقيداً ومُلقى في الحبس بأمر الإمبراطور طيباريوس. إذ فجأة رأى حينذاك "بومة" تحط على شجرة أمامه فأنبأه زميله وكان جرمانياً بأن هذا الطائر يكون ظهوره في أول مرة علامة فرج وانفراج، لذلك فإن حَبْسه وشيك الانتهاء وهنأه بخروج عاجل أمَّا إذا رأى البومة مرة ثانية فهذا يكون شؤماً عليه وأنه سيموت بعد ذلك بخمسة أيام[243]. وقد كان. فقد داهمه ألم شديد في جوفه، حملوه على أثره إلى القصر ومات بعد خمسة أيام عن عُمر ناهز 54 سنة، ومُلك دام سبع سنين.][244]

ويقول يوسيفوس هنا أنه تملَّك سبع سنين هذا بوجه عام ولكن كان له ثلاث سنوات فقط ملكاً على اليهودية بحسب تحقيقات العالم بروس.

ويتبارى هنا العلماء في تقدير صحة رواية القديس لوقا على ضوء تاريخ يوسيفوس وبعضهم يطري على أسلوب ق. لوقا التاريخي واختصاره ودقته عن ما جاء في يوسيفوس[245].

هذا هو أغريباس الذي نسمع بعد ذلك عن أولاده في سفر الأعمال كما جاء عن

(243) Joseph., *Antiq*. XVIII: 6,7. cit. by Bruce II p. 255.

(244) Ibid., XIX: 8,2.

(245) Ibid., XIX: 8,2. p. cit., by Bruce II, p. 256.

دروسيلا (أع 24:24)، وأغريباس الصغير وبرنيكي (أع 13:25).

«فصار يأكله الدود ومات»:

هذا اصطلاح اعتاد الكتّاب الإنجيليون والتوراة عموماً أن يصفوا به نهاية الذين باغتهم الموت بنوع من النقمة. ونقرأه في موت أنطيوخس الرابع (2مك 9:9)، هيرودس الكبير (يوسيفوس التاريخ القديم 5:6:7)، يهوذا الإسخريوطي (بابياس وأخذ عنه أبوليناريوس)، جالريوس (يوسابيوس التاريخ الكنسي 16:8)، يوليانس الكافر (ثيئودوريتوس التاريخ الكنسي 9:3).

امتداد الكنيسة وعودة بعثة المجاعة
ـ وفي وسط الضيق تنمو كلمة الله وتزيد ـ
[12: 24-25]

وبينما كان أغريباس يسهر مدبراً كيف يسيء إلى الكنيسة، كان الله ساهراً على كلمته وسط السنين يحييها (حب 2:3). هكذا يهتم الروح القدس في رواية الإنجيل أن يجعل وسط محطات المحن ذكرى عمل نعمته وانسكاب قوته على أولاده الذين حمّلهم الرسالة ليعبروا بالكلمة من ضيق إلى ضيق فتتقوى بالصبر وتتعزز بالشهادة.

24:12 **«وأمَّا كلمةُ اللهِ فكانت تنمُو وتزيدُ.».**

هي معادلة سماوية. فدماء الشهداء بذار الكنيسة وفي وسط الضيقات تُستعلن ذراع الرب وتزدهر أعمال نعمته. فإن كانت الكنيسة في أُورشليم قد ثكلت في يعقوب الرسول الذي أخذ هيرودس رأسه بحد السيف، وجُرِّبت في بطرس الرسول أيضاً الذي اختفى من مسرح الأحداث وانسحب من الهيكل، فتوقفت الاجتماعات داخل الهيكل، وبدأت الكنيسة تبحث عن مكان أكثر أماناً، يظهر في الحال شاول وكأنه ينقل مركز ثقل الكنيسة من أُورشليم إلى أنطاكية، ومن الأمل المعقود على بطرس إلى رجاء ينعقد على بولس ليكمِّل مسيرة الكنيسة في أهم وأخطر مراحلها، وهو زمن انسلاخها من الهيكل واليهود، والانطلاق بمسيحها من شوارع أُورشليم الضيقة التي ضاقت بالاسم العظيم وجحدته وصدق عليها القول: «إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله» (يو 11:1)، واستحقت الحكم في وقته:

+ «فلمَّا رأى اليهود الجموع امتلأوا غيرة وجعلوا يقاومون ما قاله بولس مناقضين ومجدِّفين. فجاهر بولس وبرنابا وقالا: كان يجب أن تُكَلَّمُوا أنتم أولاً بكلمة الله ولكن إذ دفعتموها عنكم وحكمتم أنكم غير مستحقين للحياة الأبدية هوذا نتوجه إلى الأمم.» (أع 13: 45و46)

وإن كانت الآية التالية 25:12 تبدو وكأنها مجرد تصوير لرحلة بولس ومعه برنابا كعودة إلى أنطاكية ومعهما مرقس ...، إلاَّ أنها تحسب ذات شأن كبير في سفر الأعمال لأنها تنبئ ببدء عبور الكنيسة من اليهودية والهيكل وأُورشليم والعلية التي يمثلها يوحنا مرقس إلى كل الأمم وإلى كل مكان وزمان ومدينة بل وكل إنسان طلب بالروح وجه الله:

+ «يا امرأة صدقيني إنه تأتي ساعةٌ لا في هذا الجبل ولا في أُورشليم تسجدون للآب. أنتم تسجدون لِمَا لستم تعلمون ... ولكن تأتي ساعةٌ وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآبِ بالروح والحقِّ.» (يو 4: 21-23)

وهكذا تأتي الآية (24) لتعبِّر عن استمرار نمو الكنيسة بنمو كلمة الله في صميم حالة الضيق وهي تعبر أخطر مراحل وجودها، من حالة التصاق غريب ومصطنع بالهيكل والعبادة اليهودية إلى انطراح مكشوف بين شعوب وأمم غريبة كل الغربة عن مسارها التاريخي عبر الدهور السالفة.

25:12 **«ورَجَعَ برنابا وشاوُلُ مِنْ أُورشليم بعدَ ما كمَّلا الخدمة وأخذا معهما يوحنَّا الملقَّبَ مَرقُسَ».**

وهكذا تأتي هذه الآية مزدحمة بالمعاني والرموز لتعبِّر عن تكميل خدمة الرسل في اليهودية وأُورشليم والانطلاق نحو أنطاكية، كأول مركز تجمُّع، وإعداداً للخروج الكبير نحو أمم العالم وشعوبه.

لأول وهلة قد يظن القارئ أن ذكر عودة برنابا وشاول المذكورة هنا في الآية (25) حدثت بعد موت هيرودس أغريباس (سنة 44م.) كونها ذكرت بعد موته مباشرة. ولكن بحسب التحقيقات التاريخية معروف أن قيام رحلة الإنقاذ من أنطاكية محمَّلة بالعطايا إلى أُورشليم حدثت سنة 46م. أي بعد موت هيرودس أغريباس بسنتين. فهنا واضح كما يقول العالِم ماير أن ق. لوقا انتقل نقلة تاريخية كبيرة وهي سنتان لم يدوِّن فيها شيئاً. ويستند

العالم بروس في تأكيده على زمن

الرحلة إنها كانت سنة 46 بحتمية بقاء برنابا وشاول في أنطاكية بعد نبوة أغابوس مدة كافية لجمع عطايا وأموال تكفي لسد حاجة الآلاف من الأسر والفقراء. كذلك فإن هيرودس ومعه كل اليهود كانوا في لهفة لسفك دم بولس في أول فرصة يتواجد فيها في أُورشليم مما دفعه هو الآخر للبقاء في أنطاكية هذه المدة بعيداً عن أُورشليم هاتين السنتين لم يظهر فيهما على مرأى من اليهود لذلك سقطت هاتان السنتان من التاريخ. كما يتأكد تحديد زمن رحلة بولس الثانية سنة 46 بحسب التاريخ المعروف Chronicon Paschale كما هو مدوَّن في جدول تواريخ العالِم الألماني ماير(246).

كذلك أيضاً فإنه بحسب تاريخ يوسيفوس يُذكر أن المجاعة حدثت في زمن انتقال الحكم في اليهودية من يد "كوسبيوس فادوس Cuspius Fadus" إلى طيباريوس يوليوس الإسكندر وذلك يوافق سنة 46م أيضاً(247).

«وأخذا معهما يوحنا الملقَّب مرقس»:

معروف بحسب الرسالة إلى كولوسي 10:4 أن القديس مرقس هو ابن أخت القديس برنابا، فمريم أم مرقس هي أخت برنابا ذلك القبرصي الصالح، وهي صاحبة دار العليَّة. بل ومعروف في التقليد أن برنابا هو زميل تلمذة ودراسة مع شاول تحت رجلي المعلّم الواحد غمالائيل في ذلك الزمن. وكان برنابا هو الوسيط بين بولس وبطرس في أُورشليم.

ولكي يطمئن القارئ أن زمن الكرازة للرسل في أُورشليم كان قد انتهى في عرف الله وأخذت الملائكة تستعد للرحيل بعيداً عن كل مقدساتها، فالعد التنازلي لسنة 70م قد بدأ في الحال والتو عند قول الرب: «هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً» (مت 38:23). ولمَّا حاول بولس أن يتجاوز المكتوب لها ويتلكأ في أُورشليم بغية مزيد من كرازة وتوعية للشعب الذي سد أُذنيه وأغلق عينيه، ناداه الرب نفسه من السماء: «وحدث لي بعدما رجعت إلى أُورشليم وكنت أُصلّي في الهيكل أني حصلت في غيبة فرأيته قائلاً لي أسرع وأخرج عاجلاً من أُورشليم لأنهم لا يقبلون شهادتك عني ... اذهب فإني سأرسلك إلى الأمم بعيداً!! »(أع 22: 17-21)، «وبكى عليها.» (لو 41:19)

وكون برنابا وبولس يأخذان معهما يوحنا مرقس، يشير بوضوح أن إقامتهما أثناء

(246) Meyer. *op. cit.,* p. 20.
(247) Joseph., *Antiq.* XX. 5. 2.

أورشليم كانت في العلية فوق بيت يوحنا مرقس وهو مركز الكنيسة في أُورشليم حيث كان يجتمع الرب مع تلاميذه. فخروج يوحنا مرقس مع برنابا وشاول باتجاه الأمم يوحي أن هذا تلميح لانتهاء زمن العليَّة كمركز تجمع لتحتل أنطاكية محلها. ومعروف أن في الرحلة التالية عرض بولس الرسول على الرسل الإنجيل الذي يكرز به للأمم كما جاء في الرسالة إلى غلاطية:

+ «ثم بعد أربع عشرة سنة صعدت أيضاً إلى أُورشليم مع برنابا آخذاً معي تيطس أيضاً ... وعرضت عليهم الإنجيل الذي أكرز به بين الأمم ... فإذ علم بالنعمة المعطاة لي يعقوب وصفا ويوحنا المعتبرون أنهم أعمدة أعطوني وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم وأمَّا هم فللختان. غير أن نذكر الفقراء وهذا عينه كنت اعتنيت أن أفعله.» (2: 1-10)

إذاً، فنحن هنا أيضاً بصدد كرازة جديدة بإنجيل خاص بالأمم يأخذ ختم التصديق عليه رسمياً من الثلاثة أعمدة المعتمدين في كنيسة أُورشليم. وهكذا تكمل الكنيسة كل مؤهلاتها لانطلاقها نحو الأمم.

المرحلة الثالثة لنمو الكنيسة

انتقال الكنيسة من أورشليم لترسي قواعدها في كافة أنحاء أمم الأرض

[28-13]

[وهنا ينتهي القسم الأول من تاريخ الكنيسة
الذي يختص بأعمال القديس بطرس الرسول، وقد استغرق من الأصحاحات (1-12).

ويبدأ القسم الثاني من تاريخ الكنيسة
الذي يختص بأعمال القديس بولس الرسول، ويستغرق بقية السفر كله من الأصحاحات (13-28).]

الأصحاح الثالث عشر

(أ) أول ظهور أنبياء العهد الجديد في الكنيسة (1:13).
(ب) أول ظهور المعلمين (1:13).
(ج) أول طقس رسامة بالروح القدس ـ بدون قرعة ـ في الكنيسة.

تكريس برنابا وبولس للخدمة الرسولية بدعوة من الروح القدس مباشرة بالصوم والصلاة ووضع اليد، وبهذا تأسس سر الرسامة الكهنوتية لأول مرة في الكنيسة بشروطه التقليدية (13: 2و3).

(د) أول رحلة كرازية يقوم بها القديس بولس الرسول (13:4-14:28).

خط سير الرحلة:

- من أنطاكية سوريا إلى سلوكية التي هي ميناء لها على البحر (4:13).
- من سلوكية إلى قبرص في ميناء سلاميس، المسافة 125 ميلاً (13: 4و5).
- من سلاميس اجتازا قبرص إلى بافوس العاصمة، المسافة 90 ميلاً (13: 6-12).
- من بافوس بقبرص عبرا البحر إلى أسِيَّا الصغرى إلى برجة بمفيلية، المسافة 175 ميلاً (13:13).
- من برجة إلى أنطاكية بيسيدية (أسِيَّا الصغرى) المسافة 125 ميلاً (13: 14-50).
- من أنطاكية بيسيدية "مطرودين" إلى أيقونية، المسافة 110 ميلاً (13: 51و52).

وبقية الرحلة تأتي في الأصحاح الرابع عشر، حتى الآية (28) منه.

يعود هنا في مستهل الأصحاح (13) ويقول: «وكان في أنطاكية في الكنيسة هناك أنبياء ومعلمون برنابا وسمعان الذي يُدعى نيجر ولوكيوس القيرواني ومناين الذي تربَّى مع هيرودس رئيس الربع وشاول»

وواضح أمام القارئ الانتقال الذي سنلمحه بسهولة في سرد القديس لوقا لأخبار الرسل والكنيسة من انتقاله بالأخذ من الوثائق الأورشليمية التي كانت بين يديه، إلى وثائق جديدة حصل عليها من أنطاكية وهي مدينته الخاصة. لذلك سنلمح في تسجيله هنا كثيراً من الدقة لمؤرِّخ يعرف ما يكتبه معرفة الذي عاين ورأى.

كذلك نود لو نوجِّه نظر القارئ إلى **الهدف الأساسي** الذي سيتحرك نحوه ق. لوقا في تدوينه لكل الأصحاحات القادمة وهي: **الرحلات التبشيرية للقديس بولس التي كان هو** ـ أي لوقا ـ **شريكاً في معظمها**، والتي سيبدأ بها من الآية الرابعة من هذا الأصحاح مباشرة ولن يفرغ منها حتى وبعد أن فرغت كل صفحات هذا السفر الثمين.

1:13 **«وكانَ في أنطاكية في الكنيسةِ هُناكَ أنبياءُ ومعلِّمُونَ بَرْنَابَا وسِمعانُ الذي يُدعَى نيجَر ولُوكيُوس القيروانيُّ ومَنَاينُ الذي تربَّى مع هيرودُسَ رئيسِ الرَّبع وشاوُلُ».**

يُلاحَظ أن في (أع 27:11) يقول: «انحدر أنبياء من أُورشليم إلى أنطاكية» فكان هؤلاء الأنبياء بمثابة زائرين يجولون لخدمة اسم الرب وأمَّا هؤلاء المذكورون هنا فهم أعضاء ثابتون في الكنيسة.

الأنبياء في العهد الجديد:

النبوَّة في العهد الجديد لا صلة لها بالتي كانت في العهد القديم، من حيث عملها وهدفها. فالنبوَّة في القديم كانت تعمل لحساب تحديد زمن المسيح، هذا من وجهة نظر الإنجيل كما حددها ق. بطرس الرسول: «الخلاص الذي فتَّش وبحث عنه أنبياء. الذين تنبأوا عن النعمة التي لأجلكم. باحثين أيُّ وقتٍ أو ما (حال) الوقت الذي كان يدلُّ عليه روح المسيح الذي فيهم إذ سبق فشهد بالآلام التي للمسيح والأمجاد التي بعدها. الذين أُعلن لهم أنهم **ليس لأنفسهم بل لنا** كانوا يخدمون بهذه الأمور التي أُخبرتم بها أنتم الآن بواسطة الذين بشروكم في الروح القدس المُرسل من السماء»

الاضطهاد وإقامة الصلوات والتشكرات في البيوت لحلول الروح القدس. وتوعية المؤمنين بما هو صالح ونافع لحياتهم وتحديد ما هو خير وما هو شر بحسب روح الله والإنجيل.

وقد استخلصت للقارئ مجمل ما كُتب في كتاب الديداخي أي تعليم الرسل القديسين عن الأنبياء وعملهم ومعاملتهم هكذا:

الكتاب: الديداكية طبع رابطة الدراسات اللاهوتية في الشرق الأوسط A.T.E.N.E سنة 1975 الكسليك، لبنان:

- **في الصلوات القربانية أي صلاة الشكر أي الإفخارستية:**

7:10 [ليشكر الأنبياء ما طاب لهم الشكر] (صفحة 21).

التعليق من عندنا:

كانت صلوات القداس غير مُحددة في البداية فكان الرسل والأنبياء الملهمون يصلون بالروح على القربان فيتقدَّس، ولكن من المقرر أن الرب يسوع صلّى صلاة الشكر على القربان، وأُخذت عنه أخذاً محدداً ولكن ليس بالكلام ولكن بالعمل وهو المدوَّن في صلاة تقديم الحمل، عملاً وقولاً إنما بدون شرح[248].

إرشادات تنظيمية (صفحة 21):

10-3:11 [وبخصوص الرسل والأنبياء:

تصرفوا وفق تعليم الإنجيل بالكيفية الآتية:

استقبلوا كل رسول (ونبي) يأتيكم كاستقبالكم للرب

يمكث لديكم يوماً واحداً أو يومين إذا دعت الحاجة ولكن إذا أقام ثلاثة أيام بينكم فهو نبي كاذب.

إذا طلب نقوداً فهو نبي كاذب.

---

[248] انظر كتاب الإفخارستيا والقداس صفحة 555 و613-623.

هام للغاية:

1:15 [وهكذا **انتخبوا لكم أساقفة وشمامسة** (الذين يحلون محل الرسل والأنبياء) رجالاً مختبرين جديرين بالرب ودعاء سالكين في نزاهة واستقامة لأنهم يؤدون لكم خدمة الأنبياء والمعلمين].

واضح هنا أن الذين حلُّوا في الكنيسة محل الرسل والأنبياء هم الأساقفة والشمامسة. فعصر الرسل والأنبياء انتهى ببدء اختيار الأساقفة والشمامسة وإن كان الرسل والأنبياء هم من تعيين واختيار الله والروح القدس. فالأساقفة والشمامسة **هم من اختيار الشعب وتعيين الروح القدس.** أي أن الكنيسة لم تفقد شيئاً من قوة نظامها الإلهي بانتهاء عصر الرسل والأنبياء. فالله والروح القدس هو العامل في القائمين فيها طالما كانوا وفق مشيئته.

أنبياء ومعلمون:

إن كان النبي صنعته النطق بالروح القدس فالمعلّم كانت صنعته التفسير لما قيل في الإنجيل بالروح القدس وما ينطقه النبي بالروح. والاثنان النبي والمعلّم كان يناط بهما استعلان المسيح، يُدخلان المؤمنين في حضرة المسيح المعلّم: «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت 28:19و20)، «الذي يسمع منكم يسمع مني. والذي يرذلكم يرذلني والذي يرذلني يرذل الذي أرسلني.» (لو 16:10)

فجهاز الكنيسة المدبِّر والعامل والمعلّم، لا ينبغي بأن يكون أقل من حضرة كاملة للمسيح، لأنه يستحيل على المسيح أن يغيب عن كنيسته كما يستحيل أن تكون الكنيسة إلاّ المسيح نفسه عاملاً ومعلّماً. ونحن بحسب الإنجيل مسئولون عن وجود المسيح فينا.

فهنا حينما سجل ق. لوقا للكنيسة أنه كان بها أنبياء ومعلمون فهذا يعني أن أنطاكية كانت تعيش المسيح والمسيح كان يعيش في مؤمنيها، لذلك شُهد لهم أول من شُهد أنهم مسيحيون!! عن

المدعو بالعبرية ابن الوعظ واسمه أصلاً يوسف. شُهِدَ له أنه رجل صالح، لاوي قبرصي الجنس، أول ما سُمِعَ عنه في الإنجيل أنه باع حقله، ويبدو أنه كان ذا قيمة، ووضع كل ثمنه عند أرجل الرسل. فاشتهر صلاحه وشُهد لصدق مسيحيته وبيعه للعالم. وصحّ أن يكون مثلاً يدين حنانيا وسفّيرة دون دينونة منه ـ ومِنْ الناس مَنْ سيدينون ملائكة دون قصد منهم وإنما عن سيرة ومثال.

عجيب هو برنابا هذا، ففي الوقت الذي ارتاب فيه الجميع من شاول وتحاشوه خوفاً منه بعد أن آمن واعتمد، نجد أن برنابا يقبله «فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل وحدَّثهم كيف أبصر الرب في الطريق وأنه كلَّمه وكيف جاهر في دمشق باسم يسوع.» (أع 9:27)

يقول التقليد إن برنابا كان صديقاً لشاول منذ الصِّبا وأنهما تعلَّما معاً على يدي غمالائيل، ولكن ليس عندنا ما يؤكد هذا. وإنما لا بد أن يقين برنابا بصدق إيمان شاول وقبول مجاهرته بالرب ثم الدفاع عنه لا يأتي من فراغ. فإمَّا أن نؤمن بالتقليد المذكور وإمَّا أن نؤمن بصدق ويقين برنابا الذي إذ كان نبيًّا استُعلن له فعلا صدق إيمان شاول. حينما تحقق الرسل من ذلك وثقوا به فلم يجدوا أفضل منه ليرسلوه لافتقاد كنيسة أنطاكية عندما سمعوا عن نهضة فيها وإيمان وعماد ونعمة من قبل الأمم (أع 11:22)، فكانت فرحة برنابا بنهضة كنيسة أنطاكية في محيط الأمميين فوق ما كان يظن مما حدا به إلى الإسراع في إثر شاول ـ يطلبه للحصاد الكثير ـ فسافر يبحث عنه في مسقط رأسه طرسوس التي كان قد هرب إليها بمعرفة التلاميذ، ويُظن أن برنابا كان واحداً من الذين رافقوه عندما ضيَّق عليه اليهود في أُورشليم طلباً لقتله:

+ «فكان (شاول) معهم يدخل ويخرج في أورشليم ويجاهر باسم الرب يسوع. وكان يخاطب ويباحث اليونانيين فحاولوا أن يقتلوه. فلمَّا علم الإخوة أحدروه إلى قيصرية وأرسلوه إلى طرسوس.» (أع 9: 28ـ30)

واضح هنا للقارئ حركة برنابا الناشطة بين أورشليم وأنطاكية أولاً لمَّا سمع بنجاح الخدمة بوجه عام، ولكنه عندما تيقن أنها بين الأمم من اليونانيين تحاشى العودة إلى أورشليم لطلب نجدة

الشفاهية والمدونة عن حال الكنائس اليهودية التي كانت تعاني الفقر والجوع الجسدي فيذكر بارتياح ولكن بمنتهى الاختصار: «وأمَّا الكنائس في جميع اليهودية والجليل والسامرة فكان لها سلام وكانت تُبنى وتسير في خوف الرب وبتعزية الروح القدس كانت تتكاثر.» (أع 31:9)

على أن برنابا ظلّ يخدم مع شاول في كنيسة أنطاكية «سنة كاملة وعلّما جمعاً غفيراً »(أع 26:11). كما رأيناه أيضاً مع شاول في بعثة الإنقاذ يقوم بخدمة كنائس اليهودية على مستوى أعواز الجسد خلال المجاعة المذكورة، وبذلك يكون برنابا قد أثبت أنه كان كارزاً مسكونياً نبيًّا ومعلّماً، فوق أنه كان قد أخذ يمين الشركة مع ق. بولس من المعتبرين أعمدة الكنيسة، الرسل الثلاثة يعقوب وصفا ويوحنا: «فإذ علم بالنعمة المعطاة لي يعقوب وصفا ويوحنا المعتبرون أنهم أعمدة أعطوني وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم وأمَّا هم فللختان» (غل 9:2) أي كان رسولاً رسمياً للأمم.

«وسمعان الذي يُدعى نيجر»:

الاسم الأول يهودي أمَّا اللقب الذي يُدعى به فهو لاتيني، وقد يفيد إنحداره من مدن أفريقيا أو كونه أسمر اللون (نجرو). وإن كان هناك دافع أن نعتبره هو الذي حمل صليب الرب وبالتالي يكون هو أبا ألكسَنْدَرُس وروفُس (مر 21:15)، ولكن ليس لدينا ما يحقق هذا. غير أن رتبته في كنيسة أنطاكية كان نبياً أو معلّماً، أي واحداً من أخص أعضائها الذين يُعْزَى إليهم النهضة الروحية الكبرى التي بلغت أخبارها أورشليم وخارجها أيضاً. فكان أحد الشخصيات التي انسكب عليها الروح القدس للشهادة للمسيح وخدمة الكلمة.

«ولوكيوس القيرواني»:

القيروان[249] هي مدينة في شمال أفريقيا وكان بها مجمع كبير من اليهود. وقد يكون لوكيوس هذا

(249) وهي مدينة قيرين أو سيرين (الواقعة قديماً في ليبيا) وهي غير "القيروان" التي بناها العرب في تونس في القرن السابع الميلادي.

كاتب الإنجيل.

ولكن من المؤكد أنه واحد من المدعوين باليونانيين المتنصرين الذين قاموا بنهضة الكنيسة في أنطاكية مع الرجال الذين في قبرص.

«ومناين الذي تربَّى مع هيرودُس رئيس الربع»:

مناين هو النطق المخفَّف للاسم العبري "مناحم Manahem = Mana»n" وتعني "المعزِّي". أمَّا هيرودس هذا فهو أنتيباس بن هيرودس الكبير الذي أرسل بيلاطس إليه المسيح لمحاكمته: «قامت ملوك الأرض، واجتمع الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه. لأنه بالحقيقة اجتمع على فتاك القدوس يسوع، الذي مسحته، هيرودس وبيلاطس البنطي مع أمم وشعوب إسرائيل» (أع 4: 26و27)، الذي تولَّى على الجليل وبيريه كرئيس ربع سنة 4ق.م حتى سنة 39م. انظر أصحاح 27:4.

والمعروف أن مناحم الكبير هو جد هذا المناحم على ما كان يُظن والمعروف أيضاً أنه كان من الأسينيين العارفين بالروح وكان قد تنبأ لهيرودس الكبير بأنه سيصير ملكاً كما كتب يوسيفوس في تاريخه 5:10:15 لذلك كان يوقّره هيرودس الكبير. وتُعزى معرفة ق. لوقا بهيرودس وكل عائلته كذلك بهذه الجماعة من الأنبياء والمعلمين، وأخبار الكنيسة في أنطاكية إلى مناحم هذا.

كما نلاحظ بسهولة أن مناحم نبي أنطاكية هذا ـ هو قد تربَّى في قصر هيرودس الكبير مع ابنه أنتيباس ـ كان أكبر سناً من ق. بولس.

ولكن العجيب حقاً أن ابن هيرودس ـ وهو قاتل القديس يوحنا المعمدان والذي هزأ بالرب وألبسه ثوب الأرجوان إمعاناً في التحقير من ملوكيته ـ كان زميل تربية وتعليم ونشأة مع مناحم هذا النبي التقي والمعلّم.

ويُلاحِظ القارئ أن ق. لوقا يأتي باسم شاول في آخر جماعة الأنبياء والمعلمين مما يكشف عن مدى الدقة التاريخية والحكمة عنده في وزن الشخصيات. فشاول إلى ذلك الحين لم يكن بقامة هؤلاء الأنبياء ولا من درجتهم، وذلك حسب الأقدمية في الكنيسة.

أنطاكية التي كان يبشِّر فيها ويخدمها.

ولماذا قال الروح القدس أفرزوا لي، وليس للرب؟ هذا لكي يبيِّن أنـَّه (الروح) ذو السلطان والقوة. وعندما صاموا انظروا ماذا تمَّ؟ (الروح القدس نطق وعيَّن) وهكذا أُرسلوا من الروح القدس وهكذا اتضح أن الروح عمل كل شيء.

إنه شيء عظيم أن نصوم، إنه صلاح عظيم وصلاحه لا يحد.

حينما كانت هناك حاجة للرسامة صاموا. ولهم الذين صاموا تكلَّم الروح.]

(القديس يوحنا ذهبي الفم على سفر الأعمال)

«وبينما هم يخدمون»: leitourgoÚntwn

جاءت باليونانية كلمة واحدة في صيغة الحال. ولكن المعنى أعظم من معنى الخدمة العادية بمفهومها في اللغة العربية؛ لأن كلمة "ليتورجونتون" وهي أصلاً في اللهجة العتيقة اليونانية تفيد الخدمة العامة غير المدفوعة الأجر كرامة للملك، وطبعاً تأتي هنا لتدل على **خدمة الصلاة في الكنيسة بتقديم الشكر والتسبيح على الذبيحة الإلهية.**

«قال الروح القدس»:

القول هنا استعلاني بالروح، ويتحتم أن يكون قد قبله أحد الأنبياء المجتمعين أثناء الصوم والصلاة. وعلى القارئ أن يهتم جداً بالجمع بين قول الروح، والنبوَّة، والصوم والصلاة، كذلك روح الجماعة المجتمعة المتلهفة لسماع صوت الله.

شخصياً فهو الانطلاق للكرازة باسم المسيح وهذا معناه فتح أول طريق نحو بشارة العالم.

أمَّا كلمة «دعوتهما إليه» فهنا التخصيص الشخصي.

وواضح أن إعلان الله بالروح بالصوت الداخلي الذي نطق به النبي عالياً في الكنيسة انصب على النبيين برنابا وبولس. والمقطوع به أن الاختيار واقع على الأكثر والأكمل استعداداً وعملاً وأمانة على أساس التكليف الذي ارتضى الرب أن يقوم بتوجيهه شخصياً والعناية بكل ظروفه، الأمر الذي وضح في كل أسفار المبشرين وعملهم.

وهذا يتأكد من قول الروح أفرزوا «لي» الأمر الذي نسمع رد فعله في نفس ق. بولس الرسول كل أيام حياته بقوله عن نفسه «"عبد" يسوع المسيح» (رو 1:1) "والمُرْسَل" (أع 21:22)، «لي أنا أصغر جميع القديسين أعطِيت هذه النعمة أن أبشِّر بين الأمم بغنى المسيح الذي لا يُستقصى» (أف 8:3)، «ولكن لمَّا سر الله الذي أفرزني من بطن أمي ودعاني بنعمته.» (غل 15:1)

ومرَّة ثانية نود أن نلفت نظر القارئ على المدخل الرسمي الذي أعطاه الله لنا في هذه الآية كيف ندخل إلى الله ونتكلَّم إليه ونحصل على معونة عاجلة ومباشرة من السماء لخدمة الكنيسة والكرازة باسمه في القول: «وبينما هم يخدمون الرب ويصومون» (أع 2:13)، فهي ليست مجرد وقفة للصلاة أو تعيين فترة صوم بل هي تخصيص أيام وأسابيع للصلاة والخدمة الليتورجية بكل معناها مع صوم متواصل ووجود من هو مشهود له بالأذن والقلب الذي يسمع الصوت الإلهي وينطقه. بهذا تُدْعى الكنيسة كنيسة وتصبح الكنيسة مدخلاً لله وفماً يتوسَّل وروحاً يسمع ويطيع، «بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً.» (يو 15:15)، « وأنتخبا لهم قسوساً في كل كنيسة ثم صليا بأصوام واستودعاهم للرب الذي كانوا قد آمنوا به.» (أع 24:14)

3:13 **«فصاموا حينئذٍ وصلّوا ووضعوا عليهما الأيادي ثم أطلقوهما».**

إن أخطر ما في هذه الآية هو أن وضع يد الكنيسة، وطبعاً في حدود الأنبياء والمعلمين، يأتي تلبية لدعوة من الروح القدس وتعيين الأسماء، وهذه حالة خاصة جداً وفريدة من نوعها. فوضع اليد لا يعني هنا إعطاء مواهب أو منح عطية الروح القدس ولكن يعني تأييداً وشركة وحمل مسئولية من جهة الكنيسة. فالكنيسة هنا استودعتهم للعمل بانتظار النتيجة(250).

فالصوم والصلاة هنا لا يقعان موقع الطلب والتوسُّل بل للشكر والتأييد. فالكنيسة كلها أفرزت نفسها للصوم والصلاة بعد الرسامة عرفاناً بالجميل وطلباً منها لتأييد الذين اختارهما الروح لعمل الخدمة الجسيم، وشركة منها في المسئولية. وهذا في الواقع أجمل طقس سمعنا به أنه بعد الدعوة والإفراز من الروح القدس ثم بعد وضع اليد للتأييد، تصوم الكنيسة وتصلّي مرة أخرى بعد الرسامة لمزيد من التأييد في مهام الخدمة وصعوباتها. فهنا تفتح هذه الآية وعينا الروحي لنفهم أن الكنيسة لا ينتهي دورها بعد الرسامة بل تظل ساهرة تصوم وتصلّي من أجل رسامتهم.

وعلى ما نسمع أن الكنيسة الكاثوليكية تقيم بعد الرسامة خدمة خاصة بالليتورجية وتقديم الذبيحة تأييداً لمَنْ اختارهم الرب. أمَّا الكنيسة البروتستانتية فتقيم الترانيم والتسابيح كثمار شفاة معترفة بفضل الله الذي دعا، وما أجمل وأصدق أن يُمارس الاثنان أي ليتورجيات وتسابيح معاً مع الصوم لرفع قلوب الشعب لإعطائهم مسئولية الشركة ليؤازروا المدعوين للخدمة بصلواتهم وأصوامهم:

+ «وأرسلنا معه الأخ الذي مَدْحُهُ في الإنجيل في جميع الكنائس (القديس لوقا) وليس ذلك فقط بل هو منتخبٌ أيضاً من الكنائس رفيقاً لنا في السفر مع هذه النعمة المخدومة منّا لمجد ذات الرب الواحد **ولنشاطكم**، متجنبين هذا أن يلومنا أحدٌ في جسامة هذه (الخدمة) المخدومة منّا معتنين بأمورٍ حسنةٍ ليس قدام الرب فقط بل قدام الناس أيضاً.» (2كو 8: 18-21)

---

(250) Bruce, II, p. 261.

بالدموع ويعودون وعلى رؤوسهم فرح أبدي وابتهاج:

+ «ومن هناك سافرا في البحر إلى أنطاكية (مرة أخرى) حيث كانا قد أُسْلِمَا إلى نعمة الله للعمل الذي أكملاهُ. ولمَّا حضرا وجمعا الكنيسة أخبرا بكل ما صنع الله معهما وأنه فتح للأمم باب الإيمان.» (أع 14: 26و27)
+ «فسكت الجمهور كله وكانوا يسمعون برنابا وبولس يحدِّثان بجميع ما صنع الله من الآيات والعجائب في الأمم بواسطتهم.» (أع 15:12)

اول كنيسة في قبرص
[13: 4-12]

النقلة الأولى للرحلة الأولى لبرنابا وبولس:

4:13 **«فهذانِ إذ أُرسِلا مِنَ الرَّوح القُدُس انحدَرَا إلى سَلُوكيَة ومِنْ هناكَ سافرَا في البحرِ إلى قبرص».**

«قبرص»:

هي جزيرة من أهم مناطق الشرق الأوسط لأنها محور مواصلات بين القارات وعدة بلاد وذلك من أقدم العصور، واسمها في التوراة هو «كتّيم » Kittim(تك 4:10)، وصار ضمها إلى روما سنة 57 ق.م. وفي سنة 55 ق.م. أُضيفت إلى مقاطعة كيليكية بأسِيَّا الصغرى، وفي سنة 27 ق.م صارت مقاطعة منفصلة يحكمها حاكم من قبل أوغسطس لحساب الإمبراطورية الرومانية، وفي سنة 22م سلَّمها أوغسطس ليد مجلس الشيوخ Senate لإدارتها، وهكذا من ذلك الزمان ومثل بقية المقاطعات التي يحكمها مجلس الشيوخ صار يديرها بروقنصل (والٍ) كما ذكره ق. بولس وذكر اسمه صحيحاً وبتأكيد « سرجيوس بولس.» (أع 7:13)

وشهرة قبرص منذ قديم الزمن هي في تجارة النحاس واستيراده وتصديره، ويُلاحَظ أن النحاس اسمه Copper ومن هنا جاء اسمها كوبرس أو قبرص وهو اسمها الصحيح[251].

ولا يغيب عن بالنا أنها بلد برنابا: «ويوسف الذي دُعي من الرسل برنابا الذي يُترجَم ابن الوعظ وهو لاوي قبرصي الجنس.» (أع 36:4)

---

(251) Bruce., I, p. 254.

الشرقي وهي مدينة سلاميس.

«سلاميس»:

هي مدينة **يونانية** على الساحل الشرقي القبرصي ويرقى تاريخها إلى القرن السادس ق.م. وكانت المدينة الكبرى لقبرص وقاعدة الحكم لنصفها الشرقي، مع أن المدينة العاصمة والأكثر حداثة وأهمية هي بافوس عاصمة الغرب. وكانت سلاميس مقصد اليهود حتى أنه كان بها أكثر من مجمع. وطبعاً كانت مجامع اليهود هي المقصد الأول لبولس الرسول في كرازته ورحلاته حيث كان قد وضع في قلبه أن يخاطبهم هم أولاً بالبشارة المفرحة. ولكن عينه باستمرار كانت مركّزة على المترددين من الأمم داخل المجامع وكانوا معروفين بخائفي الله أو الأتقياء، وكان صيده منهم ـ دائماً ـ وفيراً جداً جداً فكان يعوضه عن مقاومة اليهود وصدهم وعنادهم الذي كلّفه كثيراً.

وسلاميس كانت مركز التجارة الأول في قبرص الشرق.

«وكان يوحنا معهما خادماً»:

هو يوحنا مرقس ابن أخت برنابا وصاحب بيت الضيافة «العلّية» في أُورشليم.

«خادماً» Øphrěthn:

يقول كثيرٌ من العلماء إن هذه الكلمة ـ وبالنسبة ليوحنا مرقس ـ تفيد أنه كان عليه وظيفة التعميد. ولكن يؤكد العلاّمة أ. رايت(253) أنه كان مرافقاً لهم كمعلّم الكاتشزم (تعليم الموعوظين) بصفته التلميذ الأثيل والمتمرن على يدي ق. بطرس الرسول الذي كان يسمع ويرى تعاليمه الطقسية للمبتدئين Dogma وكان يتقنها، بل ويؤكد أن يوحنا كان في بكور حياته يكتب كل ما يقع عليه من شروحات بطرس الرسول Kerygma التي ضمها في النهاية إلى إنجيله. ولا ننسى أنه كان هو المقيم الدائم في العلية التي كانت مركز تعليم وعظات تبشير بطرس الرسول في أُورشليم، بل والوحيد الذي كان يتلقى كل أخبار القيامة المجيدة ساعة بساعة طوال الأسبوع ورؤية الرب

---

(252) Ramsay, *St. Paul the Traveller* p. 72.
(253) A. Wright: *Composit of the Four Gospels,* Cited by Bruce, I. p. 255.

تسجيل ق. لوقا لحوادث بطرس الرسول:

+ «ثم جاء (بطرس) وهو منتبه (بعد خروجه من السجن بواسطة الملاك) إلى بيت مريم أم يوحنا الملقَّب مرقس حيث كان كثيرون مجتمعين وهم يصلون.» (أع 12:12)

6:13و7 **«ولمَّا اجتازا الجزيرة[254] إلى بافُوسَ وجدَا رَجُلاً ساحِراً نبيًّا كذَّاباً يهُوديًّا اسمُه بارْيشُوع، كان مع الوالي سَرجيُوسَ بولُسَ وهو رجُلٌ فَهيمٌ، فهذا دعا برنابا وشاوُلَ والتَمَسَ أن يسمَعَ كَلِمةَ اللهِ».**

«بافوس»:

ويُقال لها بافوس الجديدة في القسم الغربي كعاصمة وكانت مركز تجمُّع اليونانيين.

أمَّا بافوس العتيقة في ذلك الوقت فكانت تبعد عنها سبعة أميال في اتجاه الجنوب الشرقي.

وفي كلتا المدينتين كانت العبادة الأساسية مقصورة على الإلهة السريانية المدعوة بافيان Paphian وهي المعروفة عند اليونان بـ"أفروديت Aphrodite وفينوس Venus آلهة الجمال والشهوة".

«باريشوع»: Barihsoàj

وصفاته التي يقدِّمها ق. لوقا أنه كان: **«رجلاً ساحراً، نبيًّا كذَّاباً يهوديًّا».**

ومن هذه الصفات ومما يليها ـ ترجمة اسمه «عليم الساحر» يستفاد أنه يهودي يدَّعي علم الغيب، وبذلك دُعي نبيًّا كاذباً. وبما أن اسمه كان يُدعى "عليماً" فهو على الأرجح يهودي عربي يحتفظ بصفته كعليم بالغيب كاسم[255] له.

وكلمة ساحر جاءت باليونانية m£gon لتفيد صناعة الغش والتلفيق وليس صناعة السحرة

---

(254) ولكي يجتازا الجزيرة من أقصى الشرق لأقصى الغرب كان عليهما أن يقطعا 400 ميلاً.

(255) Meyer, *op. cit.* p. 240.

لقد استرجع العلماء هذا الاسم في سجلات الشيوخ بروما ذوي الوظائف فوجدوه مذكوراً أنه كان أحد الأمناء باسم «حارس التيبر» (نهر في إيطاليا). وبالتدقيق في حصر زمان ولايته جاء مطابقاً لزمان ولاية قبرص في زمن حكم كلوديوس ومن ذلك استنتجوا أنه بعد قضاء ولايته في التيبر نُقل إلى ولاية قبرص، فهو روماني أصيل.

«سرجيوس بولس هو رجل "فهيمٌ"»: ¢ndr^ sunetù

ويقصد أنه كان متعلّماً يبحث عن الأفكار والمعاني والحقائق شأن فلاسفة روما، لأن شيوخ روما كانوا يُختارون من بين العلماء والفلاسفة. ولوجوده في عاصمة قبرص المزدحمة بالمجامع اليهودية الطامحين في التقرُّب من الرؤساء، كانوا يتداولون معه في شأن الدين اليهودي ومعرفة الله. ومن هذا المنطلق تصادق «عليم» الساحر مع الوالي وأدهشه طبعاً بأعماله السحرية التي لا تخرج عن شعوذة الشياطين:

«فهذا دعا برنابا وشاول والتمس أن يسمع كلمة الله»:

واضح أن بكرازة برنابا وشاول في المجامع طار الخبر إلى الوالي أن هناك تعليماً أعلى وأرقى من اليهودية جاء به هذان النبيان، فأرسل واستدعاهما ليسمع منهما كلمة الله التي تخاطب القلب لا التصوُّر وتؤثر على الضمير والروح وليس الفكر والخيال.

وهكذا طار صواب عليم الساحر وبذل قصارى جهده ليشوش على تعاليم الإنجيل، لأن معيشته كساحر لحساب الوالي تهددت بالقطع.

8:13 **«فقاومهُمَا عَلِيمٌ السَّاحِرُ، لأن هكذا يُترجَمُ اسمُه، طالباً أن يُفسِدَ الوالي عَن الإيمان».**

مرَّة أخرى نأتي على اسم هذا المشعوذ، فأولاً ذُكِرَ أنه "ماجوس" التي تترجم مجرد ساحر ولكن ليس منتمياً إلى مهنة "المجوس"، لأن هؤلاء علماء نجوم وفلك ولهم دراسات وعبادة ولهم كهنة

---

(256) Ibid.

أمَّا هذا المشعوذ فيكفي أن يُقال عنه أنه يطلب أن يُفسد قلب الوالي عن قبول الإيمان بالمسيح الذي جاء المجوس الحقيقيون ليسجدوا له، وسجدوا فعلاً وقدَّموا هداياهم. وكذلك فإن ق. لوقا ينعته بأنه نبي كذَّاب بمعنى أنه يدَّعي كذباً أن له علاقة بالله.

11-9:13 **«وأمَّا شاوُل الذي هو بُولُس أيضاً، فامتلأ مِنَ الرُّوح القدُسِ وشخَصَ إليه وقال: أيُّها الممتلئُ كُلَّ غشٍّ وكُلَّ خُبْثٍ! يا ابن إبليسَ! يا عدوَّ كُلِّ برٍّ! ألاَ تَزالُ تُفسِدُ سُبُلَ الله المستقيمة؟ فالآنَ هوذا يَدُ الربِّ عليكَ، فتكونُ أعمَى لا تُبصِرُ الشمسَ إلى حينٍ. ففي الحالِ سقط عليهِ ضبابٌ وظُلمَةٌ، فجعَلَ يدُورُ مُلتمِساً مَنْ يقودُهُ بيدِهِ».**

«شاول الذي هو بولس أيضاً»:

باليوناني "Saàloj, Ð kaˆ Paàloj". باللاتيني "Saulus qui et- Paulus". في العالم الروماني القديم كان للإنسان ثلاثة أسماء يتكون منها الاسم الكامل للإنسان. الاسم الأول ويسمَّى "Praenomen" ثم الاسم الثاني "Nomen" ثم الاسم الثالث ويسمَّى "Cognomen" وبالإنجليزية أو الفرنسية "Surname" وهو الاسم الذي يميز الشخص أي "distinguishing name" ويسمَّى "Nickname" وبالعربي "اللقب" أو "الكُنْيَة"، وهذه كانت عادة الرومان، فالوالي سرجيوس مثلاً اسمه الكامل: "لوسيوس سرجيوس بولس".

أمَّا قوله: «الذي هو شاول أيضاً» فـ «أيضاً» هنا هو اصطلاح يوناني جاء ترجمة للحرف ...ka الأصلي في الاسم تعبيراً عن الاسم المضاف للاسم فقال: «أيضاً» وهي تفيد المعنى بالإنجليزي ـ البديل ـ alternative أي الاسم البديل. فهنا اسم «شاول» أصلي والبديل هو «بولس» وقد اقترح ذهبي الفم أن اسم «بولس» أُعطي له بوضع اليد، ومن ذلك الوقت دُعي «بولس» ولكن الحقيقة أنه بعد أن أخذ وضع اليد نودي بشاول وليس «بولس» وفي الرسامة لم

(257) Herodotus, *Hist.* p. 101, 141; J.H.Moulton = *Early Zoroastranism,* London 1913, pp. 182 ff. Cited by Bruce II, p. 264.

المستوطنين بين الأمم إذ يعطونهم اسماً أممياً يسري بين الأمم ويحتفظ باسمه العبراني مع العبرانيين[260].

«يا ابن إبليس»:

بولس يَردُّ اسمَه إلى حقيقته فهو ليس «باريشوع» أي ابن يسوع بل هو ابن إبليس حيث يستخدم بولس هنا لفظ «إبليس » ue diabÒlou وتفيد معنى الافتراء والوشاية وتقابل لفظة الشيطان Satan بالعبري التي تعني خصم أو عدو أو مقاوم.

وبولس الرسول هنا كما أعطاه اسماً حقيقياً في مقابل اسمه المزيف الغاش الذي يختبئ وراءه الشيطان، كذلك إزاء إخفائه النور الحقيقي عن قلب الوالي الفهيم الذي يطلب كلمة الله طلب له ما يستحقه جزاءً وفاقاً، فلأنه أخفى النور فقد استحق أن الظلمة تغشاه. ولأنه لم يستطع أن يخفي النور تماماً بل هي محاولة منه، لذلك قصر بولس طلب الظلمة له أن تكون إلى حين حتى يعطيه فرصة هو أيضاً أن يطلب النور الحقيقي. وهو هنا يعطي فكرة منيرة عن كيف يكون العقاب عند الإنسان المسيحي، إذا وجب عليه أن يعاقب، فهو ملتزم أن يعطي العقاب مساوياً تماماً للتعدي ثم يكون قابلاً للرفع إن هو ندم وطلب الرفع. لأن العقوبة في المسيحية هي للربح وليست للخسارة، هي للتعليم وليست للتعتيم، هي لمجد الله أولاً وأخيراً مع قياس الرحمة والترفق بالجهال. لأجل هذا سمع الله لبولس في دعائه ونزل عليه ضباب فلم يَرَ الشمس وهي ساطعة تماماً لأنه تجاهل نور المسيح الحقيقي وهو أكثر نوراً وبهاءً من الشمس!! وكما يزول الضباب من شدة سطوع الشمس زالت الغشاوة عن عيني عليم لمَّا علم أنه عبثاً يسد نور الشمس بجهالته.

ويتبارى بعض العلماء[261] في استخراج حذق ق. لوقا كطبيب في وصف كيف يُصاب

---

(258)Meyer *op. cit.,* p. 248.

259) (Meyer, *op, cit.,* p. 248

260) (Ibid.

261) (Hobart quotes Hippocrates, cit. by Bruce, I, 258.

12:13 **«فالوالي حينئذٍ لمَّا رأى ما جَرَى آمَنَ مُندَهِشاً مِنْ تعليمِ الرَّبِّ».**

الأمر واضح غاية الوضوح ولا يحتاج إلى محاجاة العلماء بين مَنْ يقول هل بسبب المعجزة آمن وهل لمَّا آمن اعتمد. أم أنه مجرَّد اندهاش من تعاليم المسيحية وإيمان بصحتها. وعلى هذا يرد العلماء المدققون جداً إذ استخرجوا من السجلات التاريخية ما يؤكد أن الوالي سرجيوس بولس اعتمد، وأن عائلته صارت مسيحية، وفي الجيل التالي له مباشرة صار بعض أفراد من أسرته مسيحيين ومنهم ابنته وابنها وكان يُدعى كايوس كاريستانيوس فرونتو وكان عضواً في عائلة ذات شهرة ومجد كانت تقيم في أنطاكية بيسيدية(262).

في أنطاكية بيسيدية
[13: 13-52]

13:13 **«ثم أقلَعَ مِنْ بَافوسَ بُولُس ومَنْ مَعَهُ وأتَوْا إلى بَرْجَةِ بَمفِيلِيَّة. وأمَّا يُوحنَّا ففارَقَهُم ورجَعَ إلى أورشليمَ».**

بمعنى أنهم ركبوا البحر باتجاه الشمال نحو سواحل أسِيَّا الصغرى ودخلوا أول مقاطعة على الساحل التي في مقابل شمال قبرص وهي مقاطعة بمفيلية.

ويُلاحَظ هنا في قول ق. لوقا أن بولس: «أقلع ... ومَنْ معه» أن هذا كان أول تلميح إلى أن برنابا ارتضى بأن يصير بعد ق. بولس بالرغم من أقدميته في السن والنبوَّة. وهذا يعطينا صورة

262) (See: *The Bearing of Recent Discovery* p. 150 under Title [Sergius Paulus, his relation to Christian faith], Cited by Bruce II. p. 2.

أعبر عنها حينما أخذ أو أعطى المتكأ الأخير.

«وأتوا إلى برجة»: Pšrghn

كانت برجة عاصمة مقاطعة بمفيلية ولم تكن ميناءً، وهذا يعني أنهم نزلوا بالضرورة في أتالية وهي ميناء برجة وتسمَّى الآن أنتاليا، لذلك في العودة نقرأ هكذا في الأصحاح الرابع عشر «ولمَّا اجتازا في بيسيدية (نحو الجنوب) أتيا إلى بمفيلية وتكلَّما بالكلمة في برجة ثم نزلا إلى أتالية ومن هناك سافرا في البحر إلى أنطاكية حيث كانا قد أُسلما إلى نعمة الله للعمل الذي أكملاه» (أع 14: 24-26). فالمسافة بين برجة وأتالية 12 ميلاً.

«بمفيلية»: Pamful…aj

هو الإقليم الواقع بين طرسوس مدينة بولس الرسول وساحل البحر في أسِيَّا الصغرى، يتاخمها من جهة الغرب والشرق على التوالي ليكية Lycia وكيليكية Cilicia. ومنذ سنة 43 ق.م إلى سنة 68 م كان هذا الإقليم أو المقاطعة يُدعى "بمفيلية كيليكية".

وهنا يلذ لنا أن نأتي بأبحاث العالِم الجغرافي و.م. رمزاي وتصوراته إذ يقول أن في هذا الإقليم أصيب ق. بولس بالملاريا (شوكة الجسد) وأنه ذهب إلى أعالي الجبال في منطقة أنطاكية بيسيدية ليستشفى (غل 4 : 13)[263].

ويقول الخطيب شيشرون في تدويناته عن برجة أنها تحوي أقدم عمارة وأقدم هيكل مكرَّس للإلهة "ديانا" إلاهة الصيد.

ويبدو أن إقامة بولس وبرنابا ويوحنا مرقس كانت قصيرة جداً في برجة ولم يُذْكَر عن ذلك إلاَّ الحادث المؤسف وهو عودة يوحنا مرقس إلى أورشليم، ويبدو أن ذلك كان لضعف التشجيع الذي يتناسب مع مشقة الأسفار والأمراض.

---

263) (Ramsay, *St. Paul the Traveller,* pp. 94 ff.

القويم، فقد انطلق من القيروان على ساحل البحر قاصداً الإسكندرية فوصلها بعد أن تورمت قدماه وتهرأ صندله الذي أصلحه له إنيانوس الإسكافي على الطريق، هذا الذي صار أول بطريرك بعده على كرسي الإسكندرية. سلام لك يا مَنْ أتانا بنور الإنجيل يا شفيع كل مؤمني مصر.

13 :14-16 **«وأمَّا هُمْ فجازُوا مِنْ بَرجَة وأتَوا إلىَ أنطاكيةِ بيسيديَّة ودخَلُوا المجمعَ يومَ السَّبتِ وجلَسُوا. وبعدَ قِراءَةِ النَّاموسِ والأنبياءِ أرسلَ إليهم رُؤَساءُ المجمع قائلينَ أيَّهَا الرِّجالُ الإخوَةُ إن كانت عندَكُم كلِمَةُ وعظٍ للشَّعبِ فقُولوا. فقامَ بوُلس وأشارَ بيدِهِ وقالَ».**

«وأمَّا هما فاجتازا من برجة وأتوا إلى أنطاكية»:

يُلاحَظ أن في اللغة اليونانية ليس للمثنّى قواعد منطوقة أو مكتوبة فيلزم هنا التنبيه أن لا يجب أن يغفل ذلك المترجم العربي لأن المعروف أن المسافرين هما بولس وبرنابا فقط.

«فاجتازا»: dielqÒntej

هنا الاجتياز أي عبور سلسلة جبال طوروس التي تفصل برجة عن أنطاكية وأتالية إلى **أنطاكية بيسيدية** AntiÒceian **t»n** Pisid…an، (t»n وليست t»j). يُلاحظ هنا في التركيب اللغوي أن أنطاكية كانت أصلاً مضافة إلى بيسيدية وهي المقاطعة التي كانت موجودة فيها في ذلك الزمان، ولكن بعد ذلك سُميت أنطاكية بيسيدية حيث بيسيدية تأتي صفة لأنها اندمجت فيها وصارت واحدة معها. ولزم التنبيه لفهم ذلك في المعنى العربي.

«وبيسيدية»:

هي إحدى المناطق التي انقسم إليها إقليم غلاطية أيام الرومان، لذلك فإن أنطاكية بيسيدية كانت في الحقيقة، ومعها بيسيدية، داخل المنطقة التي كان يُطلق عليها فريجية غلاطية[264]. وكانت

---

(264) نلاحظ هنا أن تصوُّر العالم رامزاي بأن بولس أصيب بالملاريا في هذا الاقليم بالذات الذي هو تابع لغلاطية استقاه من رسالة ق. بولس إلى أهل غلاطية، وهو يحكي لهم عن هذا الحادث الذي أثَّر في نفس بولس كثيراً: «ولكنكم تعلمون أني بضعف الجسد بشَّرتكم في الأول، وتجربتي التي في جسدي لم تزدروا بها ولا كرهتموها بل كملاك من الله قبلتموني كالمسيح يسوع» (غل 4: 13و14). Bruce, I, p. 266.

اليونان[265].ويذكر القديس لوقا ذلك بوضوح: «ومن هناك إلى فيلبي التي هي أول مدينة في مقاطعة مكدونية وهي كولونية (مستعمرة) فأقمنا في هذه المدينة أياماً» (أع 16 : 12). وفي سنة 295 م. صارت أنطاكية عاصمة بيسيدية الكبرى وحينئذ صح أن تُدعى أنطاكية بيسيدية (بمعنى عاصمتها).

وكما سبق وقلنا أن هذه المناطق كان يقطنها كثرة من اليهود وبالتالي كانت بها مجامع كثيرة لهم. بل وقد استطاع اليهود في أنطاكية بيسيدية أن يكوّنوا مهجراً مستقلاً لهم واعتبروا أنهم كولونية (مستعمرة) مستقلة وهكذا:

دخلوا المجمع يوم السبت وجلسوا. وكعادة الربيين وفي وسط صفوفهم، جلسوا. وبذلك نبهوا الرؤساء والقائمين على نظام المجمع والصلاة أنهم قادرون على الوعظ: «وبعد قراءة الناموس والأنبياء أرسل إليهم رؤساء المجمع قائلين أيها الرجال الإخوة إن كانت عندكم كلمة وعظ للشعب فقولوا.» (أع 13 : 15)

وكان نظام الصلاة في مجمع اليهود في القرن الأول المسيحي كما يلي:

1 - قراءة "الشِمَع": [اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد].
2 - تبدأ صلاة من فم رئيس المجمع.
3 - قراءة من الناموس يضاف إليها في يوم السبت وأيام الأعياد قراءة من الأنبياء.
4 - عظة يلقيها أحد الأعضاء المقتدرين في المجمع (لوقا 4:16).

على أن القراءة من الأنبياء في المجامع الحديثة آنذاك لم تكن دورية ولكن كانت تُختار في يومها.

وهذا يتضح من الذي حدث في مجمع الناصرة حينما دُفع للمسيح دَرْجُ الناموس مُعَيَّناً على الفصل 61 من إشعياء النبي دون معرفة مسبقة من المسيح. لذلك كانت العظة التي تلت القراءة ذات نفس طابع المقروء.

(265) ويُلاحَظ أيضاً أن هذا الوضع كانت تعيشه كورنثوس في اليونان فقد كانت مستعمرة رومانية.

16:13و17 «فقامَ بولُس وأشارَ بيدِهِ وقالَ: أيُّها الرجالُ الإسرائيليُّونَ والذينَ يتَّقونَ الله اسمعُوا».

ولكن هنا يحضرنا موقف **المسيح الذي وعظ وهو جالس:**

+ «ثم طوى السفر وسلَّمه إلى الخادم **وجلس.** وجميع الذين في المجمع كانت عيونهم شاخصة إليه. فابتدأ يقول لهم أنه اليوم قد تمَّ هذا المكتوب في مسامعكم ...» (لو 4: 20و21)

+ «كل يوم كنت **أجلس** معكم في الهيكل ولم تمسكوني ...» (مت 26 : 55)

«وأشار بيده»

كانت بادرة يبتدر بها الواعظ السامعين للهدوء والإصغاء.

وقد سُجِّلت هنا عظة ق. بولس كما سُجِّلت عظة ق. بطرس وق. استفانوس ولو أن بعض العلماء يتقولون بأنها مأخوذة من كلام ق. بطرس أو على نمط عظة ق. استفانوس. ولكن قام علماء وحققوا كل ما جاء في هذه العظة فوجدوه لا يخرج عن تعاليم ق. بولس وعلى مستوى منهجه اللاهوتي، إذ استوفى فيها **عقيدة التبرير**، وأنها تحوي انطباعات نابعة من نفسه وحكمته(266). أمَّا استخدام ق. بولس للمزمور السادس والعشرين للتدليل على قيامة الرب كما استخدمه كل من ق. استفانوس وق. بطرس فهذا هو الإيمان الرسولي العام القائل بأن المسيح قام من الأموات في اليوم الثالث **حسب الكتب!**

ونلاحِظ ملاحظة جديرة بالانتباه بأن عظة المسيح على إشعياء لم تكن عظة ولا شرحاً ولا تفسيراً ولكنها كانت تحقيق المقول، لأن إشعياء كان ينطق بالروح قول الرب نفسه، وبذلك فإن المسيح بقوله: «"اليوم" قد تمَّ هذا المكتوب في مسامعكم» يكون المسيح قد استعلن نفسه!! وهذا في الحقيقة جوهر الحق، فالتوراة إن قرأها الرب فهو كمن يقول «أنا هو»

---

266) (Meyer, *op. cit.,* p. 251.

كيف عثر في المسيح سكان أورشليم ورؤساؤهم ولم يتعرفوا عليه وحكموا عليه بالموت دون أن ينتبهوا أن كل الأنبياء سبق أن حذروهم أنهم مزمعون أن يسفكوا دمه وبالفعل طلبوا من بيلاطس أن يُقتل.

العناصر الفكرية المضيئة التي ركَّز عليها بولس الرسول في عظته أمام مجمع أنطاكية بيسيدية

1 ـ العظة كلها مبنية على أساس واحد: إن الله اختار إسرائيل من بين الأمم وأحبهم ورفعهم لكي يقيم من نسلهم مَنْ يخلّص إسرائيل.

أولاً: بدأ يشرح لهم ذلك من واقع الأسفار المقدَّسة كيف تمَّ اختيار إسرائيل من دون كافة شعوب الأرض. ثم في صميم كل الأسفار كيف أعطى وعداً بمجيء المسيَّا. فمن الآية 17 حتى الآية 21 أعطاهم الحقائق الناطقة في التاريخ المقدَّس كيف سار الله مع إسرائيل بقوة وعجائب ومحبة ورحمة فائقة، حاصراً ذهنهم في الحقيقة النبوية الواحدة التي تقوم عليها كل الأسفار وهي أن جميع الحركات كانت تزحف من وراء الدهور مشيرة إلى المسيَّا القادم.

ثانياً: كشف عن وظيفة أكبر وآخر نبي وهو من صميم جيلهم ومعاصرٌ لهم وهو يوحنا المعمدان، كيف أقامه الله ليكون سابقاً لمجيء المسيَّا منادياً بمعمودية التوبة ليعد شعب إسرائيل لمجيء المسيَّا، موضحاً أنه ليس هو ولكن الآتي بعده والذي، يشهد له يوحنا قائلاً: «لستُ مستحقاً أن أحُلَّ سيور حذائه.» (يو 1: 27).

2 ـ ثم أعلن فجأة مثيراً انتباههم أن المسيَّا الموعود به والمتنبأ عنه منذ الدهور وفي كافة الأسفار المقدَّسة ـ مُبْتَدَأً من إبراهيم أبيهم ـ قد ظهر على الأرض وفي وسط شعبه إسرائيل وبين أتقيائه،

وهكذا حمَّلهم ق. بولس بركة الخلاص بعد أن وُضِعَ على رؤوسهم تاج الاختيار منذ البدء كأمة أراد الله أن يستعلن فيها ذاته، وهكذا حمَّلهم حمل المسئولية لئلاَّ يفوتهم هذا المجد:

أولاً: كاشفاً عن المأساة التي أكملها رؤساؤهم في أورشليم إذ رفضوا المسيح وأنكروه وقدموه لبيلاطس ليموت، ومع أنهم لم يجدوا عليه عِلَّة واحدة تستوجب حكم الموت صلبوه ودفنوه في قبر (27-29) ولم ينتبهوا أن كل ما عملوه فيه سبق الله وأنبأ به في الأسفار المقدَّسة التي يقرأونها كل سبت.

ثانياً: وأن الله أقامه من الأموات فعلاً ـ وذلك أيضاً بحسب المكتوب في الأسفار ـ ورأوه رؤى العين وظهر أياماً كثيرة لكل الذين صعدوا معه من الجليل الذين هم شهود أحياء عند الشعب، والأسفار كلها تشهد لما تمَّ على أيديهم ولقيامته من الأموات. (30و31).

وهكذا بشرهم ق. بولس بالأخبار السارة عينها كما تقبلها هو وكل خاصة المسيح الذين رأوه وآمنوا به: «ونحن نبشركم بالموعد الذي صار لآبائنا. إن الله قد أكمل هذا لنا نحن أولادهم إذ أقام يسوع كما هو مكتوب أيضاً في المزمور الثاني: أنت ابني أنا اليوم ولدتك (انظر مز 2: 7) إنه أقامه من الأموات غير عتيد أن يعود أيضاً إلى فساد. فهكذا قال إني سأعطيكم مراحم داود الصادقة.» (13: 32-34)

ولئلاَّ يظن أحد أن الكلام كان عن داود فإن ق. بولس أوضح قائلاً:

+ «ولذلك قال أيضاً في مزمور آخر: لن تدع قدُّوسك يرى فساداً. لأن داود بعد ما خدم جيله بمشورة الله رقد وانضم إلى آبائه ورأى فساداً. وأمَّا (المسيح) الذي أقامه الله فلم يرَ فساداً.» (35-37)

3 - ثم أعلن ق. بولس أن المسيح هذا الذي ينادي به هو غافر الخطايا الوسيط الذي جاء ليخلّص العالم:

أولاً: أن الإيمان به كفيل بأن يبرر **كل إنسان،** «من كل ما لم تقدروا أن تتبرَّروا منه بناموس موسى.» (39)

هنا يقدِّم لهم ق. بولس الرسول سابقة رفض الشعب لكلمة الله التي كان عقابها أن سحق الكلدانيون الأمة اليهودية ونهبوها وأذلوها وأفنوها كما جاء في حبقوق النبي. ويؤكّد ق. بولس أن عدم الإيمان بكلمة الله كان دائماً ثمنه عقوبة للسحق والهلاك.

ثانياً: أوضح ق. بولس أن صورة قضاء الله الذي كان يتبع عدم الإيمان به في القديم يلزم أن تكون تحذيراً وإنذاراً لما سيحدث عند رفض كلمة الله في شخص المسيَّا في الحاضر. وهنا أخذ ق. بولس النبوَّة من النسخة السبعينية التي تعبِّر عن الرعبة التي تتبع حكم الله على الرافض. فقول النبوَّة: «انظروا أيها المتهاونون وتعجبوا وأهلكوا» قرأها ق. بولس في اليونانية كما جاءت بمفهوم:

(أ) إن قضاء الله حينما يصيب المتهاونين المزدرين بكلمة الله يأتي عليهم "دهشة" بمعنى فقدان الوعي والصحو والاتزان كما أصاب شعب سدوم وعمورة ليتمادوا في إثمهم.

(ب) ونهاية قضاء الله هلاك.

(ج) ولكنه هلاك يُتعجَّب له لأن فيه نقمة لا ترحم ولا يصدقها أحد حتى ولو نادى بها منادٍ.

وهكذا إذ نُعقّب نحن على عظة ق. بولس لليهود في أنطاكية لا نجد لها من بين كل العظات مثيلاً. فكأني ببولس بعد أن حيَّا الشعب اليهودي المختار وألبسه إكليل الفخار كشعب باركه الرب، ورفعه وأعانه واستنصره على أعدائه وأخرجه من مصر خروج الفجر والشمس وراءه تسحق ظلمات السحرة وفرعونها، عاد يخاطبهم كفرِّيسي متضلّع في الأسفار يوعِّيهم ويحذِّرهم من رفض كلمة الله، وككاتب حكيم أخرج لهم من خزانة أسفارهم درَّة من درر حبقوق عن قضاء جاء عليهم يوماً بسبب عدم إيمانهم وهو عليهم وشيك:

+ «فها أنذا مُقيمٌ الكلدانيين الأمَّة المرَّة القاحمة (المرّة المسرعة) السالكة في رحاب الأرض لتملك مساكن ليست لها، هي هائلةٌ ومخوفةٌ. من قِبَلِ نفسها يخرج حكمها وجلالها. وخيلُها أسرعُ من النمورِ وأحدُّ من ذئابِ المساءِ وفرسانها ينتشرون وفرسانها يأتون من بعيدٍ

قارئُها لأن الرؤيا بعد إلى الميعاد وفي النهاية تتكلّم ولا تكذب. إن توانت فانتظرها لأنها ستأتي أتياناً ولا تتأخر.» (حب 2: 1-3)

وكان قد بقي لها من الزمان في ذلك اليوم عشرون سنة وكان يراها بالروح، ليس أمة الكلدانيين بل روما بنسورها وفرسانها، كما رآها الرب نفسه تحيط بها كمترسة لتدك أسوارها وأمجادها حتى التراب، مَنْ يصدّق. فالرب نفسه بكى عليها لمَّا رآها هكذا محروقة من وراء الزمن وتيطس القائد الروماني ظل يصرخ بأعلى صوته في عسكره أن لا يحرقوها لأنه حنَّ إلى مجدها وعظَّم فخرها. ولكن مَنْ يكون تيطس والساهر القدوس قال دكوا دكوا حتى الأساس منها. فيا ويل كل رافضي كلمة الله: «رفضوني أنا الحبيب مثل ميت مرذول» (مز 37 : 21 في النسخ القبطية). وكأني ببولس ينادي في مجمع أنطاكية: يا إخوتي اليهود هذا مسيًّا خلاصكم جاءكم كما انتظرتموه ليفك أسركم ويغفر خطاياكم، فهو سر اختياركم وسبب مجدكم وأساس عزكم وفخاركم وتعاليكم على العالمين، لا ترفضوه لأنه كلمة الله لئلاَّ يصيبكم الذهول فتعيشوا تائهين بين أمم الأرض، فاقدين وعيكم مرفوضين رافضين، مذلين مسحوقين كيوم الكلدانيين أو يوم تيطس الذي سيأتي عليكم.

وهكذا لم تأتِ عظة قط لصالح اليهود وتوعيتهم بصدق إعلانها ورعبة وعيدها كما جاءت على فم ق. بولس، بل ولم تُرسل كلمات مثل سهام النور والنار تضيء وتحرق بآن كما أرسلها الروح على هذا اللسان الناري.

ثم اعجب معي أيها القارئ العزيز حينما تقرأ للعلماء المتخصصين النقَّاد وهم يقولون عن هذه العظة أنها مأخوذة من عظة بطرس أو منقولة من التي لاستفانوس، مع أنها في قراءتها وبلاغتها لا تدانيها عظة إلاَّ عظة المسيح حينما دفعوا له سفر إشعياء النبي ليقرأ ثم جلس يعظ، فكانت كلمته التي جمعت الأسفار جمعاً وضمَّت الأناجيل معاً وجاءت بالياء على الألف والآخر انطبق على الأول وانتهى التاريخ فيها إلى حدث حينما قالها عظة عن كلمة «اليوم تمَّ هذا المكتوب في مسامعكم» (لو 4 : 21) وكأنه قال: «أنا هو» !

13 : 17 **«إلهُ شعبِ إسرائيلَ هذا اختارَ آباءَنا ورفعَ الشعبَ في الغربةِ في أرضِ مصرَ وبذراعٍ مُرتَفِعةٍ أخرَجَهُمْ مِنها».**

في هذه الآيات يشرح ق. بولس كيف حضّر الله في القديم بكل حكمة وفطنة الجزء الأول من الأساس الذي عليه أرسل ابنه ليبني الخلاص للعالم كله، مستخدماً في شرحه نفس أسلوب العهد القديم الذي سنّه الروح القدس في أفواه الأنبياء جميعاً، وعلى نفس النمط الفكري التاريخي فهو:

(أ) يبدأ بعملية اختيار الآباء (طبعاً إبراهيم وإسحق ويعقوب).

(ب) منتقلاً نقلة كبيرة وسريعة إلى مؤازرة الشعب في مصر بأن رفعه = ywsenغ أي استعلاه ورفع رأسه بالرغم من كونه كان في حالة غربة.

(ج) كيف أخرجه من تحت العبودية والسخرة بذراع مرتفعة، وهنا يستخدم ق. بولس نفس الاصطلاح الذي استخدمته التوراة (خر 6 : 1) والمزامير أيضاً (136 : 11): «أخرج إسرائيل من وسطهم لأن إلى الأبد رحمته، بيد شديدة وذراع ممدودة لأن إلى الأبد رحمته...»

13 : 18 **«ونحوَ مدَّةِ أربَعِينَ سنةً احتَمَلَ عوائِدَهُم في البرِّيةِ».**

«احتمل عوائدهم»: tropofÒrhsen™

التعبير هنا أبوي بصورة عاطفية بديعة، فهو يصوِّر تمرد شعب إسرائيل بطفل مشاكس محمول على كتف أبيه، وهو مأخوذ من سفر التثنية «وفي البرية حيث رأيت كيف **حملك** الرب إلهك كما **يحمل** trofofor»sai الإنسان ابنه في كل الطريق التي سلكتموها حتى جئتم إلى هذا المكان» (تث 1 : 31). وهنا تظهر قوة الحفظ والذاكرة لدى بولس الفرِّيسي الذي كان عليه أن يتلو التوراة عن ظهر قلب!

إليها لتمتلكها وطرد شعوباً كثيرة من أمامك، الحثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحوّيين واليبوسيين، سبع شعوب أكثر وأعظم منك.» (تث 7 : 1)

ولقد استغرقت عملية إخضاع هذه الشعوب وأخذ أراضيهم واحتلالها، الفترة الزمنية منذ بدء عبورهم الأردن حتى السنة السابعة من ملك داود النبي، وهي السنة التي أخضع داود فيها نهائياً آخر هذه الشعوب السبعة وهم اليبوسيون الذين كانوا يمتلكون أورشليم وما حواليها.

وهكذا طوى ق. بولس هذه السنين بأهوالها وحروبها وانتصاراتها وانكساراتها لينهي مآسيها جميعاً في غاية نهائية وُضعت منذ الدهور لتخدم قضية الغصن الخارج من جذر يسَّى.

13 : 20 **«وبعد ذلكَ في نحوِ أربَعمائةٍ وخمسينَ سنة أعطاهُم قُضاةً حتى صموئيل النبي».**

هنا يتبارى العلماء في تحقيق هذا الرقم وعلينا الآن أن نفحص آراءهم. وعندنا قراءات موازية لعدد هذه السنين يتحتم أن ندخلها في الاعتبار.

فالقراءة الأولى تجيء في صميم التوراة من سفر الملوك الأول 6 : 1 وتجيء هكذا:

+ «وكان في السنة **الأربعمائة والثمانين لخروج بني إسرائيل من مصر في السنة الرابعة لملك سليمان على إسرائيل** في شهر زيو وهو الشهر الثاني أنه بنى البيت للرب.» (1مل 6 : 1)

وهنا يدخل في الاعتبار بصورة قاطعة مدة حكم الملك شاول وهي 40 سنة بعد آخر زمن القضاة الذين انتهوا بصموئيل النبي، وكذلك من بعده مدة حكم داود وهي 40 سنة أيضاً وأربع سنوات من حكم سليمان أي 84 سنة.

القراءة الثانية ويعطيها المؤرخ اليهودي يوسيفوس في تاريخه [267] ـ **فيعطي** 592 سنة من خروج شعب إسرائيل من مصر إلى بناء الهيكل.

---

(267)Joseph. *Ant.*, VIII. 8.1, X 8.5.

ثم الأربع سنوات لسليمان يكون المجموع 599 سنة. وبهذا يكون الفرق بين تقدير ق. بولس الرسول وتقدير يوسيفوس سبع سنوات وهي التي عبَّر عنها ق. بولس الرسول بكلمة «نحو وز»

ولكن هنا تبدو قراءتا يوسيفوس وبولس مخالفتين تماماً لقراءة سفر ملوك الأول (6 : 1). وقد حاول كل العلماء إعطاء حلول لهذا الاختلاف. ويبدو أن قراءة سفر الملوك هي صحيحة تماماً إذا أخذنا في الاعتبار أن (أع 13 : 20) تحدد المدة من الوعود لإبراهيم إلى بدء زمن القضاة التي هي مدة البقاء في مصر تحت السخرة، مضافاً إليها المدة التي انقضت في عبور الأردن وحكم يشوع[269].

ولكن تطابق قراءتي يوسيفوس وبولس الرسول إلى حد ما يعطينا تأكيداً أن القديس بولس يتبع خطأً رسمياً في حسابات السنين كما كان معمولاً به لدى الفريسيين وعلماء اليهود في أيامه في حسابات الأيام والسنين في التوراة.

13 : 21 **«ومِنْ ثمَّ طلبوا مَلِكاً فأعطاهُم الله شاوُلَ بْنَ قيْسٍ رَجُلاً مِنْ سِبْطِ بنيامين أربعينَ سنةً».**

يعطي ق. بولس هنا لشاول أربعين سنة دون أن يشير إشارة واضحة أنها مدة حكمه، وهو يتفق في ذلك مع يوسيفوس المؤرِّخ في قراءته الأولى التي جاءت في كتابه السادس[270]، ولكن يعود يوسيفوس ويحدِّد زمن حكم شاول بعد ذلك في كتابه العاشر[271] بعشرين سنة فقط. ويعلّل ذلك العالم بنجل[272] بأن يوسيفوس في قراءته الأولى أجمل خدمة صموئيل النبي مع حكم شاول معاً. ومن هذا نفهم أن بولس الرسول يكتب عن دراية فائقة متفق عليها لدى الربيين الكبار وكانت تدرَّس في مدارسهم.

---

(268)Joseph. *Ant.,* VI. 2.9.
(269)Thomas, *op. cit.,* p. 206.
(270)Joseph. Ant., VI. 14.9.
(271)Ibid., X. 8.4.
(272)J.A. Bengel, *Gnomon Novi Testamenti,* Tübingen 1742 cited by Bruce, II, p. 273.

ابتدأ عصر الرسولية المسيحية للأمم كافة.

13 : 22 **«ثمَّ عزلهُ وأقامَ لهُمْ داوُدَ مَلِكاً الذي شهدَ لهُ أيضاً إذ قالَ وجَدْتُ داودَ بنَ يسَّى رَجُلاً حَسَبَ قلبي الذي سيصنَعُ كلَّ مشيئَتي».**

لم يدم حكم شاول لأن شاول لم يكن حسب قلب الله، بل كان حسب شهوة عين الشعب، والإنسان دائماً ينظر إلى العينين أمَّا الرب فينظر إلى القلب (1صم 16 : 7). وأن أعظم ما قيل عن إنسان قاطبة قيل عن داود أنه كان حسب قلب الله. ولكن أبدع ما قيل عن داود قيل بالروح القدس في المزمور الخالد 89: 19-37، الذي فيه ينتقل الروح حالاً من داود وملكه إلى ابن داود وملكوته في الأعالي، وارتفع الله له بالدعاء إلى ما فوق أعلى السموات والشمس والقمر وفوق الأزمنة والدهور كلها ليستقر على هامة المسيا:

+ «حينئذٍ كلمتَ برؤيا تقيك، وقلتَ جعلتُ عوناً على قويٍّ،

رفعتُ مختاراً من بين الشعب، وجدتُ داود عبدي!
بدهن قدسي مسحتهُ، الذي تثبت يدي معه،
أيضاً ذراعي تشدده، لا يرغمه عدوٌ وابن الإثم لا يذلِلهُ.
وأسحق أعداءه أمام وجهه، وأضرب مبغضيه،
أمَّا أمانتي ورحمتي فمعه، وباسمي ينتصب قرنه،
وأجعل على البحر يده، وعلى الأنهار يمينه،
هو يدعوني أبي أنت، إلهي وصخرة خلاصي،
أنا أيضاً أجعله بكراً، أعلى من ملوك الأرض،
إلى الدهر أحفظ له رحمتي، وعهدي يثبت له،
وأجعل إلى الأبد نسله، وكرسيه مثل أيام السموات ...»



في يوم بليته يوم خرج من قصر ملكه حافياً ورأسه معرّى عن تاجه:

+ «لكنك رفضت ورذلت، غضبت على مسيحك،
نقضت عهد عبدك، نجَّست تاجه في التراب،
رفعت يمين مضايقيه، فرَّحت جميع أعدائه،
أبطلت بهاءهُ، وألقيت كرسيَّهُ إلى الأرض،
أين مراحمك الأُولُ يا رب، التي حلفت بها لداود بأمانتك،
مبارك الرب إلى الدهر آمين فآمين»

وهكذا ينتقل بنا الروح القدس في المزمور من داود في ملكه كأبهى صورة، إلى ابن داود «المسيَّا» في مجده، ثم يعود مرَّة أخرى إلى داود في محنته المرَّة كصورة حزينة أقرب صورة للمسيَّا يوم صلبوته، ثم في هذا وفي ذاك ينتهي بأن يبارك الله لأنه مبارك في كل شيء وكريم.

"مجيء المسيح ورفض اليهود له" (13: 23- 29):

13 : 23 **«مِنْ نسلِ هذا حسبَ الوَعْدِ أقامَ الله لإسرائيلَ مُخلِّصاً يسوعَ».**

إذاً، فبولس الرسول يقدِّم لنا داود إنساناً حسب قلب الله لكي ينتقل بنا بسهولة إلى «نسل هذا» أي المسيح تماماً تماماً كما فعل الوحي في المزمور 89، فبولس يتكلَّم بنفس الروح، وينتقل على نفس النمط، مشيراً إلى أن كل ما كان هو «حسب الوعد» أي حسب ترتيب أزلي أُعلن عنه لذوي القلوب المفتوحة منذ الدهور. فخلاص إسرائيل جاء مصغَّراً ومصوَّراً في شخص داود ليعد أذهان الشعب للمخلّص الحقيقي مخلّص العالم كله، ولكنه إلى خاصته جاء وخاصته لم تعرفه، وبولس الرسول هنا يوعِّي أهل أنطاكية فيما عثر فيه أهل أورشليم.

ويُعتبر حزقيال النبي أوضح مَنْ عمل الصلة بين داود الملك والنبي الممسوح على يدي صموئيل النبي سنة 1085 ق.م، وبين مسيح الله داود الحقيقي الممسوح بالروح القدس. علماً بأن حزقيال

24و23)

فما داود هنا إلاّ المسيح نفسه الذي قال عن نفسه: «أنا هو الراعي الصالح.» (يو 11:10)

لذلك ينبغي للقارئ هنا أن ينتبه لقوة الربط والحبك في كلام ق. بولس، فبأقل الكلمات يكشف أعماق التاريخ ومدى ارتباط الألف بالياء فيه، ويسلّط ضوء الواقع على حوادث وأسماء الماضي البعيد فإذا هي بعينها أسماء وحوادث اليوم بل الأزل!!! فداود راعي الغنم ما قبل الميلاد 1085 يصير هو داود مزود بيت لحم الراعي الصالح من يوم الميلاد بل من يوم الأزل. ومسيح صموئيل مسيح قرن الدهن في ذلك اليوم هو هنا المسيح الحقيقي مسيح الروح القدس مسيح الدهور. هذا كان يراه الأنبياء وكأنه واقع أمام أعينهم:

+ «ها أيام تأتي يقول الرب وأقيم لداود غصن برٍّ فيملك ملكٌ وينجح ويجري حقاً وعدلاً في الأرض. في أيامه يخلص يهوذا ويسكن إسرائيل آمناً وهذا هو اسمه الذي يدعونه به: الرب برنا.» (إر 23: 5و6)

+ «ويخدمون الرب إلههم وداود ملكهم الذي أُقيمه لهم.» (إر 30: 9)

وإذا أحسن القارئ الانتباه يجد آية إرميا هنا هي بعينها تترجمها آية بولس الرسول التي نحن بصددها (أع 13: 23).

13: 24و25 **«إذْ سَبَقَ يوحنَّا فكَرَزَ قبلَ مجيئِهِ بمعموديَّةِ التَّوبَةِ لجميع شَعْبِ إسرائيلَ. ولمَّا صارَ يوحنَّا يُكَمِّلُ سَعْيَهُ جعلَ يقُولُ مَنْ تَظُنُّونَ أنِّي أنا، لستُ أنا إيَّاهُ لكن هوذا يأتي بعدي الذي لستُ مُستحقًّا أنَ أحُلَّ حذاءَ قدميهِ».**

كل كرازة إنجيلية وكل مناداة بمجيء المخلّص على مستوى الرسل والتلاميذ جميعاً ابتدأت بيوحنا الصابغ السابق وبالمعمودية للتوبة لجميع الشعب كعلامة عودة إلى الله ورد قلوب الأبناء على الآباء.

هكذا نقرأ لبطرس الرسول: «أنتم تعلمون الأمر الذي صار في كل اليهودية مبتدئاً من الجليل

هو المسيَّا الموعود به والآتي: «وإذ كان الشعب ينتظر والجميع يفكرون في قلوبهم عن يوحنا لعله المسيح» (لو 3 :15) لكنه صحح ظنهم معلناً: «أنا أعمدكم بماء للتوبة ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن أحمل حذاءه هو سيعمدكم بالروح القدس ونار» (مت 3 :12). وإنجيل يوحنا يوضح وضعها والمناسبة هكذا: «وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه مَنْ أنت؟ فاعترف ولم ينكر وأقرَّ أني لست أنا المسيح!!» (يو 1: 19و20)، ولينتبه القارئ لأهمية رواية القديس يوحنا الرسول لأنه كان تلميذاً للمعمدان وسمع بأذنيه شهادة المعمدان للمسيح مما حدا به أن ينقل تلمذته من المعمدان للمسيح.

ومن هذه الشهادات مجتمعة للقديسين متى ومرقس ولوقا ويوحنا أيضاً، وبمقارنتها بما قاله ق. بولس الرسول في عظته أمام أهل أنطاكية، نلمح مدى الدقة والانطباع الذي كان في ذهن ق. بولس عن وحدة شهادة الرسل إزاء مناداة المعمدان **كجزء حتمي من الكرازة بظهور المسيح**، اهتم كل إنجيل بأن يورده باعتباره وعداً إلهياً نبوياً، وقد تحقق في صميم ميعاده كتأكيد ما بعده تأكيد لصدق ظهور المسيح بحسب الكتب والأنبياء جميعاً.

ثم على القارئ أن ينتبه لتشدد المعمدان في نفي أي ظن أنه المسيح، وهذا نلمحه من لغة المعمدان كما أوردتها الأناجيل وضغط عليها ق. بولس الرسول بدوره: «مَنْ تظنون **أني أنا** لست أنا إيَّاه» (أع 13 :25). وأبرزها ق. يوحنا في إنجيله بصورة مكشوفة: « فاعترف **ولم ينكر**، **وأقرَّ** إني لست أنا المسيح» (يو 1 :20). كل هذا التأكيد في النفي اهتم به جميع الرسل لأن بعض اليهود آمنوا بيوحنا فعلاً أنه المسيَّا الآتي وبقيت شيعتهم باقية إلى أزمنة كثيرة(273).

وسوف نقابل في سفر الأعمال (أصحاح 18) بعد ذلك كيف أن أبُلُّوس الإسكندري الفيلسوف كان يؤمن بيوحنا المعمدان فقط ولم يقبل بعد معمودية الروح القدس. كذلك في سفر الأعمال أيضاً (أصحاح 19: 1-5) نجد أن ق. بولس وجد في أفسس تلاميذ لم يقبلوا الروح

---

(273) انظر المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا صفحة 385.

26:13 **«أيَّها الرِّجالُ الإخوةُ بني جنسِ إبراهيمَ والذينَ بينكم يتَّقونَ اللهَ إليكم أُرسِلتْ كلمة هذا الخلاص».**

وهنا لا يزال ق. بولس واضعاً نصب عينيه كلاً من اليهود وأفراد الأمم الذين يواظبون على حضور الصلوات في المجامع كل سبت، وسنسمع كيف صاروا الأغلبية التي آمنت بالمسيح وعلى أساسها قامت كنيسة الأمم، إذ كانوا بالفعل يتقون الله بقلوب مفتوحة.

«إليكم أُرسلت كلمة هذا الخلاص»:

وقد جاءت في النسخ الأكثر تدقيقاً (274): "**إلينا** ¹m‹ n أُرسلت كلمة هذا الخلاص".

لاحِظ هنا أن ق. بولس يثير مشاعر اليهود الأتقياء فعلاً بقولهم أيُّها **«الإخوة»**، **«بني جنس إبراهيم»**، فهنا يربط ربطاً بديعاً عاطفياً بين إبراهيم والوعد وتحقيق الوعد؛ فهم بصفتهم بني إبراهيم فلهم حتماً وبالضرورة أُرسلت كلمة الخلاص أي كلمة الوعد بالمخلّص. ويضيف إضافة ذات عمق بقوله أيُّها **«الإخوة»** باعتبار أن الذي يبشرهم بكلمة الخلاص هو واحد منهم من بني جنس إبراهيم الذي له معهم حق الوعد.

ثم ليس كما جاءت في الترجمة العربية: «إليكم» بل هي بصورة محققة جاءت **«إلينا»**، وهذا ينسجم تماماً مع قوله بني جنس إبراهيم، فهو حق له أن يقول: **«إلينا»**.

وحينما يقول «أيُّها الإخوة بني جنس إبراهيم إلينا أُرسلت كلمة هذا الخلاص» فهو يستودع كلمة الخلاص في بيتها الرسمي، فالوعد بالخلاص كان لإبراهيم في نسله.

ولا يغيب عن بالنا أن ق. بولس هنا يثير عواطف اليهود الأتقياء أن يهبّوا ليدافعوا عن حقهم الأبدي في الخلاص، وذلك في مقابل الخطر الذي أحاط بهذا الخلاص عينه بسبب رفضه على أيدي المدَّعين بأنهم حفظة العهد والوعد بالخلاص، ورؤساء الشعب والكهنة، الذين رفضوا الخلاص وقتلوا المخلّص. فالآن أنتم مسئولون عن هذا الخلاص بصفتكم بني جنس إبراهيم وإليكم أُرسلت

---

(274) مثل النسخة السينائية والإسكندرانية والفاتيكانية.

باعتباره أنه هو الحامل «لكلمة هذا الخلاص» والذي أرسله الله إليهم ليبشرهم بهذا الخلاص.

أمَّا الأمميون الحاضرون فقد اعتبرهم ق. بولس الرسول أن الله دعاهم ليسمعوا كلمة هذا الخلاص وبهذا أعتبروا على مستوى بني إبراهيم كون كلمة الخلاص جاءتهم تطرق أسماعهم وقلوبهم فهي أُرسلت إليهم خصيصاً إن قبلوها.

13 : 27 «**لأن السَّاكنينَ في أُورشليمَ ورُؤَساءَهُم لَمْ يعرِفُوا هذا. وأقوالُ الأنبياءِ التي تُقرأُ كُلَّ سبتٍ تمَّموها إذ حكمُوا عليه**».

يحقّق العالِم بروس هذا النص على نسخ أكثر وضوحاً فيقرأها كالآتي:

+ «لأن الساكنين في أُورشليم ورؤساءهم أخفقوا في معرفة هذا الإنسان فتمموا أقوال الأنبياء التي تُقرأ كل سبت إذ حكموا عليه»

هنا «رؤساءهم» تعود على الساكنين في أورشليم، وحكمهم على المسيح جاء نتيجة لعدم تعرفهم عليه وهكذا تمموا أقوال الأنبياء دون أن يدروا لمَّا حكموا عليه.

أمَّا كونهم لم يتعرَّفوا عليه فهنا يُفهم من كلام ق. بولس الرسول أن هذا يُحسب عليهم مقاومة لله لأن الله سبق وأنبأ عن مجيئه بيوحنا المعمدان وكل الأنبياء في الكتب. بل ولا عذر لهم في عدم تعرّفهم عليه بالأكثر لأنه هو أعلن عن نفسه بكل الطرق أنه ابن الله وأنه الراعي الصالح والطريق المؤدي إلى الآب، بل وأنه هو الحق والحياة. ولمَّا حكموا عليه كانت أسباب الحكم الأساسية نفسها هي حقيقته بعينها إذ قالوا أنه يدَّعي أنه «**ابن الله**» و«**أنه ملك**»**!**

13 : 28 «**ومع أنَّهم لم يَجِدُوا عِلَّةً واحِدَةً للموتِ طَلَبُوا مِنْ بيلاطُسَ أنْ يُقتَلَ**».

هذا كان في الحقيقة من واقع تحقيقات بيلاطس نفسه:

+ «ولمَّا قال هذا خرج أيضاً إلى اليهود وقال لهم **أنا لست أجد فيه علة واحدة.**» (يو 18 : 38)

ورؤساء الكهنة يردُّون عليه «**اصلبه اصلبه**». وكانت العلة الوحيدة التي أصروا عليها حتى النهاية التي يرون أنه يتحتَّم أن يُصلب من أجلها هكذا: «لنا ناموس **وحسب ناموسنا يجب أن يموت، لأنه جعل نفسه ابن الله!!**» (يو 19 : 7)

ثم العلَّة الأخرى التي أوجبت الصلب عندهم هي: «فقال لليهود **هوذا ملككم فصرخوا خذه خذه اصلبه!**» (يو 19: 14و15)، وأخيراً جحدوا الله أن يكون ملكاً لإسرائيل واحتموا في قيصر ليفوزوا بحكم الصلب. «قال لهم بيلاطس أأصلب ملككم أجاب رؤساء الكهنة **ليس لنا ملك إلاَّ قيصر حينئذ أسلمه إليهم ليُصلب!**» (يو 19: 15و16)

هنا يُجمل ق. بولس القضية أنه بالرغم من أنهم لم يجدوا فيه علَّة واحدة توجب الموت بحسب قضاء روما لكنهم رأوا أن العلَّة الواحدة التي توجب الموت هي أنه قال: إنَّه ابن الله!! والتي بسببها طلبوا بإلحاح وصراخ أن يُقتل!!

ويطيب لنا هنا أن نرى كون القانون الروماني آنئذ يقرر أن **المسيح لا توجد فيه علَّة واحدة ثم أمر بيلاطس بذبحه**، فهذا تماماً ما يفعل اليهود في خروف الفصح إذ يفحصونه جيداً حتى لا يكون فيه علَّة واحدة، ثم يذبحوه فيصير فصحاً لليهود. هكذا صنعت الأمم على يد بيلاطس إذ فحصوا المسيح ولم يجدوا فيه علَّة واحدة، ثم ذبحوه على ذمة اليهود فصار وتحتَّم أن يكون فصحاً للأمم كافة، الذين يمثلهم بيلاطس الروماني وجنوده، وجريمة قتل بآن واحد في ذمة اليهود ودمه على رؤوسهم.

13 : 29 **«ولمَّا تمَّموا كلَّ ما كُتِبَ عنهُ أنزَلُوهُ عَنِ الخشبَةِ ووَضَعُوهُ في قبْرٍ».**

لأول وهلة يظن القارئ أن اللذين أنزلاه عن الصليب (الخشبة) هما يوسف الرامي ونيقوديموس حسب نص الواقعة، ولكن يقول بعض الشرَّاح أن الذين أنزلوه عن الخشبة هم نفس اليهود الأعداء الذين أكملوا سعيهم ضده بصلبه كما جاء في الرواية: «سأل بيلاطس أن تُكسر سيقانهم ويُرفعوا

الأرض ببقاء الملعون معلقاً لليوم التالي: «وإذا كان على إنسان خطية حقها الموت فقتل وعلّقته على خشبة فلا تبت جثته على الخشبة بل تدفنه في ذلك اليوم، لأن المعلّق ملعون من الله فلا تنجّس أرضك التي يعطيك الرب إلهك نصيباً.» (تث 21: 22و23)

«وضعوه في قبر»:

هذه الواقعة يعتبرها ق. بولس الرسول هنا في غاية الأهمية، لأنها تثبت بصورة قاطعة أنه مات موتاً حقيقياً استلزم الدفن - وفي نفس الوقت إن التأكيد على الدفن فوق أنه تأكيد للموت فهو تمهيد لصحة القول بالقيامة من الموت أو من بين الأموات.

فعلى القارئ أن يُلاحِظ أن ق. بولس الرسول في تأكيده على الصلب والموت والدفن إنما يتبع الخط التعليمي الرسولي المدقق والمحفوظ كتقليد رسولي، ونسمع ق. بولس الرسول يتلوه عن ظهر قلب في سرده لأركان الإيمان وذلك في رسالته الأولى لأهل كورنثوس هكذا:

+ «فإني سلّمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح **مات** من أجل خطايانا حسب الكتب وأنه **دُفن** وأنه **قام في اليوم الثالث** حسب الكتب.» (1كو 15: 3)

"آية المسيَّا العظمى" (13: 30- 37):

13: 30 **«ولكِنَّ اللهَ أَقامَهُ مِنَ الأمواتِ».**

اليهود قتلوه والله أقامه من الأموات!!

«ولكن الله»:

هنا يشدِّد الرسول في المقابلة في المعنى بين أن «الله أقامه من الأموات» (أع 13: 30) في مقابل «حكموا عليه وطلبوا أن يُقتل» (أع 13: 27و28). ليلاحِظ القارئ أن **القيامة من الأموات** عند ق. بولس بالنسبة للمسيح هي القول الفصل والآية الأولى والعظمى والشهادة الإلهية أن المسيح **ابن الله!!**

التقليدية التي استلمها كأساس للإيمان المسيحي، والآن يلقنها لأهل أنطاكية بيسيدية.

ثم ماذا لنا أيها القارئ السعيد في هذا المنطوق الإيماني الرسولي؛

أن ق. بولس يلقي على أهل أنطاكية وعلينا الضوء الذي ألقاه الله على القبر المظلم على الجسد المسجَّى لكي يلبس النور الذي له، ليقوم من ظلمة الموت والموتى، ليضيء بقيامته على موتنا وظلمتنا فنستضيء بنور قيامته ونصير بني النور، لا يسود علينا الموت بعد ولا ظلمة الموتى. يا أحبَّة إن مصابيحنا امتلأت بزيت قيامته ونحن باستعداد الصراخ: المسيح قد أقبل!

13 : 31 **«وظهَرَ أيَّاماً كثيرةً للذَّينَ صَعِدُوا معهُ مِنَ الجليلِ إلى أُورشليم الذَّينَ هُمْ شُهُودُه عِندَ الشَّعبِ».**

الظهور هنا يأتي لتأكيد القيامة، لذلك اعتبر ق. بولس أن الذين رأوه صاروا شهوداً لدى الشعب. والشهادة هنا تبلغ غايتها العظمى بحسب الوعد، فهم رأوه قائماً من الموت ورأوه أياماً كثيرة تأكيداً للرؤيا وتأكيداً للقيامة. وهم أنفسهم الذين رأوه مصلوباً وميتاً ومدفوناً في قبر فأصبحت شهادتهم أن يسوع المسيح ابن الله هو المسيَّا حسب الوعد.

«الذين صعدوا معه من الجليل إلى أورشليم»:

هنا في الحقيقة يلمِّح ق. بولس الرسول أن الذين رأوه قائماً من الأموات هم هم أنفسهم الذين رأوه وعاشروه كتلاميذ وأحباء كل أيام وسنيّ الحياة في الجليل.

فالقديس بولس يؤكد على صدق الشهادة وصدق الرؤيا. كذلك يربط هنا ربطاً مكيناً بين حوادث الرب وبين العظة على الجبل، وبئر سوخار وحديث السامرية، والخمس خبزات والسمكتين، والسير على الماء، وتفتيح عين الأعمى، وإقامة لعازر، ودخول أورشليم راكباً على أتان، والصلب والموت والقيامة والظهور بعد القيامة. فالذين كانوا معه في الجليل شاهدوا كل هذا ويشهدون بكل هذا لنشترك معهم في المشاهدة والشهادة:

هنا انتقل ق. بولس من الرواية إلى البشارة، من التاريخ إلى الواقع الحي، مما حدث إلى ما لابدَّ أن يحدث، من الذين رأوا المسيح قائماً من الأموات إلى أنا وأنتم لنستوعب الرؤيا عينها، ونعيش في صميمها كل يوم وإلى الأبد، فالمسيح الذي قام هو الآن قائم لتراه كل عين بالروح، فالقيامة خرجت من حيز التاريخ والماضي لتملأ الوجود والخلود وتحتوي كل مَنْ آمن ورأى!

فالإنجيل يا عزيزي القارئ يُقرأ على خلفية التاريخ فيُعاش على أساس الواقع الحي الآن وكل آن. فالإنجيل يُقرأ ويُسمع ويُوعَظ به كقصة لتتحوَّل قصة إنجيل المسيح إلى قصة إنجيلنا وبشارتنا وحياتنا، ويصير المسيح مسيحنا وقيامته قيامتنا وظهوره يملأ كياننا ووعينا.

ولكن إنجيلنا اليوم الذي بُشّرنا به سبق الله أن رسمه بحروفه الأُولى لآبائنا ورفعه إلى مستوى الوعد، والوعد ظلَّ يتثبت لكل جيل من فم كل نبي ويزداد وضوحاً وتزداد حروفه نوراً كلما قرب ميعاد الوعد حتى تمَّ الزمان وكمُلَ الوعد.

33:13 **«إنَّ الله قد أكملَ هذا لنا نحنُ أولادَهُمْ إذ أقامَ يسُوعَ كمَا هُوَ مكتُوبٌ أيضاً في المزمُورِ الثاني أنتَ ابني أنا اليومَ ولَدْتُكَ».**

الوعد أول ما صار صار لإبراهيم الذي سمع أول نُطق للوعد من فم القدير واطلع على رسم صورته بعين الإيمان هناك هناك وراء الدهور، وانتهى زمان الوعد عند المعمدان الذي له أُكمِلتْ الحروف وأكملت الصورة ورفع عينه فجأة وقال:

+ «هذا هو الذي قلت عنه يأتي بعدي رجلٌ صار قدَّامي لأنه كان قبلي ... هذا هو حمل الله الذي يرفع خطية العالم ... إذ نظر يسوع مقبلاً إليه!!» (يو 1: 29و30)

وانتهى المعمدان وانتهت به كل النبوات والإشارات وظهر يسوع ونادى بنفسه: «أنا هو نور العالم» (يو 8: 12)، وهكذا دخل المسيح علناً في صميم العالم وفي صميم الإنسان والزمن وأنار

أن يلد الله ابناً **في الزمن** أمر محال، فالله لا يلد والله لا يُولَدْ لأن ابن الله هو الله، ولكن أن يقوم ابن الله المتجسِّد من الموت بجسده حيًّا منظوراً وفي عمق الزمن فهذا هو ميلاد حقيقي للمسيح «ابن الإنسان» وبالتالي ميلاد للإنسان!!

فيوم أقام الله المسيح من بين الأموات انتهى الزمن وانتهى الموت بالنسبة للإنسان فقد قام لحياة أبدية لا يسود عليها الموت ولا يفنيها الزمن. لأجل هذا تجسَّد المسيح مولوداً في الزمن ومات لينهي على الإنسان القديم وينهي على الموت وعلى الزمن.

+ «إني أخبر من جهة قضاء الرب. قال أنت ابني أنا اليومَ ولدْتُكَ ...» (مز 2 : 7)

هذا المزمور يستشهد به ق. بولس في عظته وقد كان دائماً هذا المزمور مصدر إلهام لكل المتكلمين عن قضاء الرب فيما يخص بنوَّة المسيح للآب، وقد ذكره أيضاً في الرسالة إلى العبرانيين:

+ «لأنه لمَنْ مِنْ الملائكة قال قط أنتَ ابني أنا اليومَ ولدتُكَ وأيضاً أكون له أباً وهو يكون لي ابناً.» (عب 1 : 5)

وأيضاً في موضع آخر في نفس الرسالة مؤكداً أن هذه الشهادة هي من الله بمثابة إعطائه ما يخصه من المجد:

+ «كذلك المسيح أيضاً لم يمجِّد نفسه ليصير رئيس كهنة بل الذي قال له أنت ابني أنا اليوم ولدتُكَ.» (عب 5 : 5)

وبولس الرسول أول مَنْ نادى جهاراً كارزاً ومعلّماً بأن المسيح ابن الله عن أصالة بالتقليد الرسولي والتعرف الشخصي على المسيح والاستعلان معاً.

وبولس الرسول عندما انفتحت عيناه بعد أن أعماه الضوء الفائق بظهور المسيح له في السماء وقت الظهيرة كرز أول ما كرز بأن **المسيح هو ابن الله:**

+ «فللوقت وقع من عينيه شيء كأنه قشور فأبصر في الحال وقام واعتمد وتناول طعاماً فتقوَّى ... وللوقت جعل يكرز في المجامع **بالمسيح أن هذا هو ابن الله.**» (أع 9: 18-20)

وفي الرسالة إلى كولوسي يوضِّح بأبلغ بيان أن الآب جعل للمسيح كابن الله ملكوتاً خاصاً به معادلاً للآب:

+ «شاكرين **الآب** الذي أهلنا لشركة ميراث القديسين في النور الذي أنقذنا من سلطان الظلمة **ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته.**» (كو 1: 12و13)

وكون الابن له ملكوت خاص به هذا نسمعه من فم المسيح نفسه:

+ «أنتم الذين ثبتوا معي في تجاربي وأنا أجعل لكم **كما جعل لي أبي ملكوتاً** لتأكلوا وتشربوا **على مائدتي في ملكوتي.**» (لو 22: 28-30)

فيوم وُلِدَ المسيح في بيت لحم تهللت الملائكة في السماء «بابن الإنسان» وابتهجت البشرية في شخص العذراء لأن الله صنع بها عظائم!! فقد دخل ابن الله حجال الخليقة ليصير أعلى من في الخليقة كلها التي كانت آنئذ تمثلها الملائكة كأعلى من فيها حتى ذاك اليوم الذي فيه وُلِدَ المسيح فصار هو رأساً لها كلها.

ويوم مُسح المسيح بالروح القدس وتقدَّس الجسد تهلل الروح القدس، فقد أعطى لابن الله وهو بالجسد أن يصير كما هو في الثالوث كما كان، فكان شرفاً للبشرية التي يمثلها أعلى شرف، فقد جلس بها عن يمين العظمة، ويومها أرسل الروح القدس من عند الآب ليحلَّ على البشرية فيقدِّسها ويصيِّرها هيكلاً لله بعد طرد من الفردوس وتشريد وإهانة.

ويوم قام المسيح من بين الأموات فرح الآب بابنه متجسِّداً ممثِّلاً للبشرية الجديدة، لأن الله كانت لذَّته في بني آدم ـ أي البشرية ـ وها قد عادت إليه ـ إلى الله ـ في أقدس صورتها، في ابنه الذي أحبه، لأنه هكذا أحب الله العالم لمَّا دخله ابنه متجسِّداً، ولمَّا قام بعد أن فدى العالم قدَّمه للآب مصالحاً فيه.

* ويلاحِظ القارئ أن يوم وُلِدَ المسيح في بيت لحم «**دُعي ابن الله**»:

عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة وكان صوت من السماء قائلاً أنت ابني الحبيب بك سررت.» (لو 3: 21و22)

بل أن ق. بطرس الرسول يقول إن الله مسحه بالروح القدس: «يسوع الذي من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة» (أع 10 : 38). وهنا يأتي صدى المزمور الثاني بقوة ووضوح: «أمَّا أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي. إني أخبر من جهة قضاء الرب. قال لي أنت ابني أنا اليوم ولدتُك» (مز 2: 6و7). إن يوم أن مُسِحَ داود ملكاً دخلت الأمة كلها في عهد بنوَّة مع الله لأن الله صار في شخص داود ملكاً على الأمة. هذا تحقق على مستوى الروح يوم اعتمد المسيح، أي مُسح بالروح القدس، ففي الحال صار اعتراف من السماء واستعلان لبنوَّة المسيح.

* وفي قيامته من بين الأموات يقول ق. بولس الرسول:

+ «تعيَّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات.» (رو 1 : 4)

كذلك يقول ق. بولس الرسول صراحة أن الروح القدس هو الذي أقام يسوع المسيح من الأموات:

+ «وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم.» (رو 8:11)

هكذا نرى أنه حدث استعلان فائق في الميلاد والعماد والقيامة لبنوَّة المسيح للآب، وكلها رافقها الروح القدس. ولكن في القيامة بنوع خصوصي وامتياز «تعيَّن» بصورة فائقة جداً أنه ابن الله بصفته قاهر الموت ومعطي الحياة الأبدية وواهب «بنوَّة الله» للبشرية.

36-34:13 «إنَّهُ أقامَهُ مِنَ الأمواتِ غيرَ عتيدٍ أن يعودَ أيضاً إلى فسادٍ فهكذا قالَ إنِّي سأُعطِيكُم مراحِمَ داوُدَ الصَّادقة. ولذلك قالَ أيضاً في مزمورٍ آخر لَنْ تَدَعَ قدُّوسَكَ يرى

بالفساد ثم الزوال ثم العدم. لقد تخطّى الجسد حدود الفساد والزوال ودخل إلى ملء الخلود والأبدية، وهكذا أعطى البشرية ملء الحياة الجديدة التي اكتسبها لنا بالقيامة من الأموات، فقمنا، بعد أن كنّا «أمواتاً بالخطايا أحيانا مع المسيح.» (أف 5:2)

«مراحم داود الصادقة»:

هذا وعد وعده الله بفم إشعياء النبي عن أيام تأتي يسكب فيها مراحمه الأمينة الصادقة عوض الذل والهجران وأيام الغضب: «أميلوا آذانكم وهلموا إليَّ. اسمعوا فتحيا أنفسكم. وأقطع لكم عهداً أبدياً مراحم داود الصادقة» (إش 3:55). وقد جاءت في النسخة المعاد تصحيحها هكذا: « محبتي الصادقة والثابتة لداود» ولكنها تأتي في اللغة العبرية بالجمع « محبات » hasdeوليست محبة مفردة (hased) = hasde Dawid ha-né emanim.

وواضح المعنى أن كل ما وعد به الله داود سيعطيه في أوانه، وقد بدأ وصار بقيامة يسوع المسيح من الأموات. ولعل أقوى وأعظم ما وعد به الله داود هو عن المسيَّا الذي أكرم الله به داود، أن جعله يرث اسمه ويأتي من نسله، وعن هذا نطق داود بالروح متنبئاً عن قيامة المسيَّا من الأموات هكذا:

+ «لأن داود يقول فيه كنت أرى الرب أمامي في كل حين أنه عن يميني لكي لا أتزعزع. لذلك سُرَّ قلبي وتهلّل لساني حتى جسدي أيضاً سيسكُنُ على رجاءٍ. لأنك لن تتركَ نفسي في الهاويةِ ولا تدعُ قدُّوسك يرى فساداً. عرَّفتني سُبُلَ الحياةِ وستملأُني سروراً مع وجهك أيُّها الرجال الإخوة يسوغُ أن يُقالَ لكم جهاراً عن رئيس الآباءِ داوُدَ إنه ماتَ ودُفِنَ وقبرُهُ عندنا حتى هذا اليومِ. فإذ كان نبيًّا وعَلِمَ أن الله حَلَفَ لهُ بقَسَمٍ إنه مِنْ ثمرة صُلْبِهِ يُقيمُ المسيحَ حسبَ الجسدِ ليجلسَ على كُرسيِّهِ، سبق فرأى وتكلَّم عَنْ قيامةِ المسيحِ أنَّهُ لم تُترَك نفسهُ في الهاويةِ ولا رأى جسدُهُ فساداً. فيسوعُ هذا أقامَهُ اللهُ ونحنُ جميعاً شُهُودٌ لذلكَ.» (أع 2: 25-32)
+ «لذلك فَرِحَ قلبي وابتهجت روحي. جسدي أيضاً يسكُنُ مطمئنًّا (في القبر) لأنك لن تترك

هكذا:

+ «فإذ كان نبيًّا وعَلِمَ أن الله حَلَفَ له بقسَمٍ أنه من ثمرة صُلْبهِ يُقيم المسيح حسب الجسد ليجلس على كرسيِّه سبق فرأى وتكلَّم عن قيامة المسيح أنه لن تترك نفسه في الهاوية ولا رأى جسده فساداً. فيسوع هذا أقامه الله ونحن جميعاً شهود لذلك.» (أع 2: 30-32)

ولابد أن يلحظ القارئ مقدار المشابهة عند المطابقة بين ما قاله القديس بطرس يوم الخمسين في شرحه للقيامة على ضوء المزمور السادس عشر، وكذلك القديس بولس وبنفس المعاني والألفاظ. ولكن هذا يرجع بالأساس إلى أن القديس لوقا يسرد تعليماً رسولياً واحداً استقاه ق. بولس بحسب اعترافه من الرسل الذين تعرَّف عليهم واستلم منهم ما استلم من أقوال الرب وأسراره. فنحن أمام شرح رسولي أصيل ومؤكَّد لسر القيامة على أساس النبوات والمزامير. ثم أليس الرب نفسه سبق وشرح لتلميذي عمواس سرّ موته وقيامته كما جاءت في الأنبياء والمزامير؟ وفي اعتقادي أن شرح القديسين بطرس وبولس عن القيامة هو مأخوذ أصلاً عن الرب نفسه عبر تلميذي عمواس (لو 24: 26و27)، وما أصدقه شرح وما أعظمها مراحم وأمانة فاقت كل تصوُّر داود نفسه. كذلك فإن القول: «عن مراحم داود الصادقة» يمتد به الشرح بحسب النص العبري الذي يعبِّر عن المراحم بالجمع بمعنى: "**أمور أو أشياء** hasde Dawid ha-né emanim". التي ترجمتها: "الأمور الصادقة والمقدَّسة = The holy and sure **things** of David". والمعنى يتسحب على ما أبرزته القيامة وأحدثته من خلاص وغفران وبنوَّة وشركة ـ وذلك بحسب العالِمين ماير[275] وألسهوزن ـ وهذا يطابق قول ق. بولس الرسول هنا: «**غير عتيد أن يعود أيضاً إلى فساد**» (أع 37:13). أي قام حيًّا ويبقى في ملء الحياة لكي يهبها خلاصاً لكل مَنْ يؤمن به، كما عبَّر عنه في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس: «الذي نجَّانا من موتٍ مثل هذا وهو يُنجِّي. الذي لنا رجاءٌ فيه أنه سينجِّي أيضاً فيما بعد.» (2كو 10:1)

---

(275) Meyer's Comm. On Acts., p. 259.

مُوسَى».

ق. بولس الرسول ينقضّ مرَّة واحدة بحذق ودقة ليصيب الهدف في وقته وموضعه. فإن كانت المراحم الموعود بها لداود عن صدق وأمانة من لدن الله، وأهمها ومركز قوتها وفعلها عدم الفساد لجسده في القبر، إلاَّ أن جسد داود احتواه القبر وأصابه الفساد والزوال، ولكن الوحيد الذي قام بجسده حيًّا من الأموات ولم يمسه فساد أو تغيير هو المسيح الرب:

+ «وفيما هم يتكلَّمون بهذا وقف يسوع نفسه في وسطهم وقال لهم سلام لكم. فجزعوا وخافوا وظنوا أنهم نظروا روحاً. فقال لهم ما بالكم مضطربين ولماذا تخطر أفكار في قلوبكم، انظروا يدي ورجليَّ إني أنا هو. جسُّوني وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي. وحين قال هذا أراهم يديه ورجليه.» (لو 24: 36-40)

ولأول مرة وكأثر مباشر للقيامة وقوتها وفعلها انهزمت الخطية ومعها الموت. كما قال الرب ليلة ظهوره لهم بعد قيامته:

+ «ولمَّا قال هذا أراهم يديه وجنبه. ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب. فقال لهم يسوع أيضاً سلام لكم كما أرسلني الآب أرسلكم أنا. ولمَّا قال هذا نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس **مَنْ غفرتم خطاياه تُغفر له** ومَنْ أمسكتم خطاياه أُمسكت» (يو 20: 20-23).

وليلاحِظ القارئ أن الغفران أُعطي على أساسين، **الأول: المسيح** القائم من الأموات بعد أن وطأ الموت الذي هو أقصى عقوبة للخطية. **والثاني: الروح القدس** الذي نفخه الرب، وهو العامل الأساسي الذي يسكن فيحيي ويقدِّس فلا يكون للخطية مكان ولا قضاء.

أمَّا «**غفران الخطايا**» بحد ذاته، فهو مشكلة الناموس العظمى التي كانت بلا حلّ. لأن كل خطية كان لها ذبيحة تحلّ قوتها، أمَّا "خطايا الضمير" فليس لها ذبائح وليس لها حلّ. وهذا ما ألمح له ق. بولس في الآية الثانية. لأن ناموس موسى مَنْ يَعْلَمُهُ ويَعْمَلُ به يتبرر، بمعنى يتبرأ، من كل ما يعمله ما عدا **خطايا العمد** التي يقف أمامها الناموس بلا قوة ولا عمل. هذا ما يكشفه ق. بولس الرسول كعجز كامن في الناموس، لأن الخطية التي لها ذبيحة لها في الناموس حلّ، أمَّا الخطية التي بلا ذبيحة فاسمها **"الخطية المميتة": أي التي ليس لها قيامة من الموت،** والتي يقصدها ق. بولس

بها الإنسان ـ أن تغفر وتبرر «من كل ما لم تقدروا أن تتبرروا منه بناموس موسى» أي **خطايا العمد!!**

وواضح أمام القارئ أن **قيامة المسيح من الأموات بجسده ـ الذبيحة** التي قدمها كفارة لخطايانا ـ جعلت هذه الذبيحة **حيَّة، فعَّالة، قادرة** وبأقصى حدود القدرة إزاء الموت وأقصى حدود الخطايا، بأن تحيي وتغفر وتطهِّر وتقدِّس. فالمسيح الحي القائم من الأموات جعل صليبه مذبحاً للغفران لكل مَنْ قدَّم عليه خطاياه. وحينما استودع المسيح روحه في يد الآب استودع أرواحنا. ولمَّا أسند جسده في قبر، شاركنا في قبر خطايانا حيث توسدت أجسادنا وليس مَنْ يحيي أو يقيم من موت. ولمَّا استعاد روحه استعاد لنا أرواحنا من يد الآب لنقوم معه من الموت ولا يسود علينا، فلا موت بعد ولا ناموس. وهكذا كان الناموس قادراً أن يميت ولا يحيي، أمَّا صليب المسيح فإنه يحيي ولا أحد يميت. هذا هو التدبير **الكلي** الذي يصغر أمامه برّ الناموس. وق. بولس ينادي بأعلى صوته في مجمع أنطاكية بيسيدية في أول عظة له: «فليكن معلوماً عندكم أيها الرجال الإخوة أنه بهذا يُنادى لكم بغفران الخطايا. بهذا يتبرر كل مَنْ يؤمن من كل ما لم تقدروا أن تتبرروا منه بناموس موسى!!» (أع 13: 38و39)

وصوت القديس بولس هذا رددته السنين، وحقَّقه الله، وخلصت به الملايين، وهو لنا اليوم مازال جديداً كما كان في ذلك اليوم يحطِّم حصون الخطية ويذل كبرياء الموت لكل مَنْ يؤمن.

فيا أيها القارئ السعيد افرح فليس جزافاً مات ا لرب على الصليب!

"أيها المتهاونون":

40:13و41 «فانظروا لئلاَّ يأتي عليكم ما قيل في الأنبياء: انظروا أَيُّها المُتهاونُونَ وتعجَّبُوا واهلِكُوا، لأنني عَمَلاً أعمَلُ في أيَّامِكُم. عملاً لا تُصدِّقونَ إن أخبَرَكُم أحدٌ بهِ».

هذا إنذار نبوي خطير قدَّمه حبقوق النبي في نبوته حوالي سنة 600 ق.م[276] لشعبه إسرائيل

[276] *Dictionary of the Bible* 2nd ed., F.C. Grant p. 355.

لِمَ تريني إثمـاً وتبصِرُ جوراً، وقدامي اغتصاب وظلم ...،
لذلك جمدت الشريعة ولا يخرج الحكمُ بتّةً لأن الشرير يحُيط بالصدّيق فلذلك يخرج الحكم مُعوَجًّا!!» (حب 1: 2-4)

هذه المقدّمة يقدّمها حبقوق واصفاً حال الشعب والرؤساء والحكّام باعتبار أن هذا الكرب العظيم هو الذي جعل الله يفك عقال المؤدب من بعيد حتى يأتي ليقتل ويحرق ويحطّم وينهب، والرب ينظر ولا يعين!! لأن الأمر صادر منه وهو منذر بالمزيد. ثم يكشف حبقوق ماذا أخفى الرب وراء الستار:

ينطقه حبقوق بفم الله:

+ «انظروا بين الأمم وأبصروا وتحيَّروا حيرة لأني عامل عملاً في أيامكم لا تصدِّقون به إن أُخبر به» (حب 1:5)

+ «فهأنذا مقيمٌ الكلدانيّين الأمة المُرَّة القاحمة السالكة في رِحَاب الأرض لتملك مساكن ليست لها. هي هائلة ومخوفة، من قِبَلِ نفسها يخرج حكمُها وجلالها. وخيلُها أسرعُ مِنَ النمورِ وأحدُّ من ذئاب المساء وفرسانُها ينتشرون وفرسانُها يأتون من بعيدٍ ويطيرونَ كالنسر المسرع إلى الأكل.» (حب 1: 6-8)

وهي رجع صدى لنبوَّة إشعياء النبي (إش 28: 14-22) بخصوص اقتحام الأشوريين وسبي إسرائيل الذي تمَّ على يد الملوك المتتابعين:

تغلث فلاسر	Tiglath Pileser	(727-744)	سبي السامرة {
شلمنأسر	Shalmaneser	ق.م[277]	
سرجون	Sargon II	(722-726) ق.م	
الثاني	Sennacherib	(705-721) ق.م	← هاجم يهوذا
سنحاريب		(681-704) ق.م	

(277) *Dictionary of the Bible,* ed., F.C. Grant p. 423.

وغزو سنحاريب للأرض 701 ق.م (أصحاحات 36-39).

ولكن أقوى ما نطق به إنسان ورد في نبوته التي تعطي لكل تاريخ حياته اعتباراً خاصاً قوياً، وهي رؤيته الإلهية الخالدة التي رأى فيها السيد الرب جالساً على كرسيه وسمع بأذنه ولأول مرة في حياة البشر أنشودة التقديس الشاروبيمية كخدمة السمائيين بالقدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت (إش 6:3)، وهذه تمت بحسب قوله في زمن وفاة عزيا الملك. وأمَّا نبوَّته التي ردد صداها حبقوق ثم بولس الرسول فهي:

+ «لذلك اسمعوا كلام الرب **يا رجال الهُزءِ** ولاةَ هذا الشعب الذي في أُورشليم. لأنكم قلتُم قد عقدنا عهداً مع الموت (لا نموت) وصنعنا ميثاقاً مع الهاوية (حتى لا تبتلعهم) ... لأننا جعلنا الكذِبَ ملجأنا وبالغشِّ استترنا، لذلك هكذا يقول السيد الرب ها أنذا أُؤسِّس في صهيون حجراً، حجر امتحان، حجر زاوية، كريماً أساساً مؤسساً مَنْ آمن لا يهرب (لا يخزى) ... ويمحى عهدكم مع الموت ولا يثبت ميثاقكم مع الهاوية ... **فالآن لا تكونوا متهكِّمين** لئلاَّ تُشدَّد رُبطُكُم لأني سمعت فناءً قُضِيَ به مِنْ قِبَلِ السيد رب الجنود على كل الأرض.» (إش 28: 14-22)

وبهذا ينكشف لنا المعنى وراء قول ق. بولس الذي لم يرجع فيه لنص النبوَّة سواء في إشعياء أو في حبقوق، ولكنه خاطب هو بدوره بني إسرائيل، وكأنه نبي، عن ما سيحيق باليهود الذين أسماهم: «أيها الرجال الإخوة بني جنس إبراهيم» وأعطاهم صيغة الوعيد كحكم صادر عليهم لا محالة بسبب **«تهاونهم»** هكذا: «انظروا أيها الرجال المتهاونون واهلكوا» والتي جاءت في نبوَّة إشعياء «اسمعوا كلام الرب **يا رجال الهزء**» وأيضاً «لا تكونوا **متهكِّمين**» أمَّا كلمة **«اهلكوا»** التي جاءت في عظة ق. بولس فجاءت أصلاً في نبوَّة إشعياء: «ويُمحى عهدكم مع الموت[278]»)، «ولا يثبت ميثاقكم مع الهاوية» وهي تعني أنهم سيهلكون لا محالة. لذلك اختصرها ق. بولس

(278) ادعاؤهم أنهم صنعوا مع الموت عهداً أن لا يؤذيهم وكأنهم لا يموتون وكذلك مع الهاوية.

لأورشليم والهيكل والذي تمَّ بل بالحري ابتداً بعد هذا القول ليس بأكثر من عشرين سنة أي سنة (66-70م)، حيث خربت أُورشليم وهُدمت أسوارها وأُحرق الهيكل ولم يبق له أثر على وجه الأرض، وطُرد اليهود من أُورشليم ولم يبقَ فيها أحد، فما قاله إشعياء وردده حبقوق وكشفه ق. بولس تمَّ بالحرف الواحد: «انظروا أيها المتهاونون وتعجَّبوا واهلكوا.» (أع 41:13)

أمَّا توضيح ق. بولس لعمل الله الغريب فهو الكارثة التي حدثت للشعب وأُورشليم والهيكل، فقد حدثت بالفعل في أيام الذين كانوا يسمعون لبولس في أنطاكية بيسيدية: «عملاً أعمل في أيامكم» وحقاً لو كان الروح قد حدَّد زمن حدوثه أي بعد ذلك اليوم بحوالي عشرين سنة من هذه العظة لمَّا صدَّقه سامع: «عملاً لا تصدِّقون إن أخبركم أحد به» وهي مأخوذة أيضاً من روح نبوَّة إشعياء النبي المذكور هنا «يسخط ليفعل فعله، فعله الغريب، ويعمل عمله، عمله الغريب» (إش 21:28)، وكما جاءت في نبوَّة حبقوق بنفس المعنى: «لأني عامل عملاً في أيامكم لا تصدِّقون به إن أخبر به»

أمَّا هذا العمل العجيب الذي لا يُصدَّق فهو شقَّان: شق يتبع سخط الله على المتهاونين المتهكمين على وعيد الله في النبوَّة: «يسخط ليفعل فعله فعله الغريب» أمَّا الشق الثاني وهذا في الواقع يتبع نبوَّات إشعياء وحبقوق ولا يتبع قول ق. بولس، فهو ميلاد المسيح أي التجسُّد الذي عبَّر عنه إشعياء للكشف عن مدى عجبه وغرابته: «هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل» (إش 14:7). أمَّا في أيام عظة ق. بولس في أنطاكية فالمسيح كان قد وُلِد وبُشِّر به فهو وإن كان عملاً عجيباً وغريباً ولكنه قد تمَّ فلم يعد عملاً عجيباً لا يصدَّق إلاَّ عند المتهكمين والمتهاونين الذين سحبت منهم نعمة التصديق.

والآن لينظر القارئ في كيف أنهى ق. بولس عظته بهذا التحذير النبوي المرعب بأن مصير الذين يتهاونون بالكرازة بالمسيح الذي مات وقُبر وأقامه الله، هو الهلاك حتماً على مستوى اليهود والرؤساء في إسرائيل، الذين انشغلوا بالكذب وتعويج القضاء وتهكموا على نبوَّة إشعياء،

نجاح الخدمة يثير النقمة

42:13 **«وبعدَ ما خَرَجَ اليهودُ مِنَ المجمع جعلَ الأُممُ يطلبونَ إليهما أن يُكلّماهُم بهذا الكلامِ في السبتِ القادِمِ».**

كان ترتيب الدخول والخروج من المجمع يحتّم بأولوية اليهود في كل شيء. لهذا بعد أن ختم ق. بولس عظته خرج اليهود تباعاً وبقي الأتقياء أي الأمميون الذين يواظبون على حضور المجمع، فكانت فرصة أن يتكلّموا بحرية مع ق. بولس فترجّوه أن يحضر في السبت القادم ليتكلّم عن الإنجيل والبشارة المفرحة.

ولكن الملاحظ أن العظة أحدثت فرحة واهتماماً شديداً لدى الأمميين، فيكاد ق. بولس في عظته أن يخصّهم بكل أقواله الإيجابية. وعلى قدر ما تحركت قلوب الأمميين بدعوة الإنجيل لقبول الرب يسوع، تحركت قلوب اليهود بالحقد والنقمة. ولكن ترجمة نقمتهم إلى مقاومة علنية لم تحدث إلاّ بعد عظة السبت الثاني.

ولكن الذين سمعوا لبولس وتأثروا وانفتحت قلوبهم للإيمان تبعوا ق. بولس بعد خروجه من المجمع وألحّوا عليه مزيداً من التعليم الذي أنار قلوبهم، ولكن كان بعضهم يهوداً أيضاً والآخرون من الأمميين الأتقياء الذين التهبت قلوبهم فطلبوا مزيداً من المعرفة:

+ «وُجد كلامك فأكلته فكان لي للفرح ولبهجة قلبي.» (إر 16:15)

ومرّة أخرى لكي أُغري القارئ بالإنجيل، أحكي قصة السائح الروسي الذي لمَّا احترق بيته بفعل أخيه الذي سرق المال الذي للعائلة ثم أشعل النار في البيت ليخفي فعلته، وقفز السائح الروسي ولم يأخذ شيئاً من حاجته إلاّ الإنجيل ـ وكان مخطوطاً لأنه لم تكن حينذاك مطابع - ثم

وأرضه وعشيرته ويصير عبداً ليسوع المسيح، لا مقرَّ له ولا مبيت ولا كيس ولا مزود ولا بيت ولا أهل حبًّا في الإنجيل؟ وصاحب الإنجيل!! لقد قال أهل تسالونيكي الأشرار قولاً صدقاً في بولس وبرنابا: «إن هؤلاء الذين **فتنوا المسكونة** حضروا إلى ههنا أيضاً» (أع 6:17). ومرَّة أخرى أهل أفسس: «وأنتم تنظرون وتسمعون أنه ليس من أفسس فقط بل من **جميع أسِيَّا** تقريباً استمال وأزاغ (هكذا) بولس هذا جمعاً كثيراً قائلاً إن التي تُصنع بالأيادي ليست آلهة.» (أع 26:19)

آه! إنه الإنجيل صنَّارة القلوب التي إذا اشتبكت به ما عادت إلى نفسها قط ولا عادت نفسها لها: «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل 20:2)، «ولكن بنعمة الله أنا ما أنا ونعمته المعطاة لي لم تكن باطلة بل أنا تعبت أكثر منهم جميعهم. ولكن لا أنا بل نعمة الله التي معي» (1كو 10:15)، «في ذلك اليوم تعلمون إني أنا في أبي وأنتم فيَّ وأنا فيكم» (يو 20:14). هو امتلاك مزدوج!! يقضي على كل ما كان للإنسان من أوهام الدنيا قضاءً مبرماً فلا يبقى للإنسان إلاَّ وجه ربك ذي النعم.

43:13 «ولمَّا انفضَّت الجماعَةُ تَبِعَ كثيرونَ مِنَ اليهودِ والدَّخلاءِ المُتعبِّدينَ بولُس وبَرنابا اللَّذينِ كانا يُكلِّمانِهم ويَقنِعانِهم أن يثبتوا في نِعمَةِ الله».

«ولمَّا انفضَّت الجماعة»: luqe…shj tÁj sunagwgÁj

يقرأها العالِم وستكوت مع زميله هورت[279] بمعنى "طُرِدَتْ"، وليس مجرد "انفضَّت" ويعززان ذلك بأن رؤساء المجمع إذ سمعوا عظة ق. بولس أحسُّوا بخطورتها على العبادة اليهودية وعلى الناموس، بل على اليهود، فأمروا في الحال بانفضاض الجماعة بنوع من إخلاء المجمع بالأمر "كأمر تحفُّظي"[280]. وهذا بدوره يفيد لماذا تجمهر اليهود والأمميون معاً الذين تأثروا بالبشارة المفرحة

---

[279] Notes To Select Readings, Appendix I to Vol. II of Westcott & Hort's ed. of NT in original Greek, London 1882 p. 95, cited by Bruce, II p. 280

[280] Ibid.

الآيات والمعجزات التي حدثت ما يزيد اقتناعهم وثباتهم في النعمة التي افتقدتهم. وهكذا تمَّ فيهم القول الإلهي: «قد جعلت قدَّامك الحياة والموت ... فاختر الحياة لكي تحيا.» (تث 19:30)

فماذا عسانا أن نصنع أيها الإخوة والإيمان مطروح أمامنا ليل نهار، والعظات نسمعها ونقرأها كل يوم، والإنجيل ينادي به على كل منبر وفي كل بيت. أخاف لئلاَّ من كثرة السمع ودوام القراءة نكون قد فقدنا القدرة على الاشتعال بحب الإنجيل الذي هو وحده قادر أن يلهب الفكر والقلب ويشعل نار الروح في ذبيحة حياتنا:

+ «ليتك كنت بارداً أو حاراً. هكذا لأنك فاتر ولست بارداً ولا حاراً أنا مزمع أن أتقيأك من فمي. لأنك تقول إني أنا غني (بالمعرفة) وقد استغنيتُ (قراءةً وتعليماً ووعظاً وخدمةً يشار إليها بالبنان) ولا حاجة لي إلى شيء ولست تعلم أنك أنت الشقي والبائس وفقير وأعمى وعريان ...» (رؤ 3: 15-17)

44:13و45 **«وفي السبتِ التالي اجتَمَعَت كلَّ المدينَةِ تقريباً لتَسمَعَ كَلِمَةَ الله. فلمَّا رأى اليهودُ الجمُوعَ امتلأوا غيرَةً وجَعَلوا يُقاوِمُونَ ما قالهُ بولُس مُنَاقضِينَ ومجدِّفينَ».**

واضح أن الدخلاء الأمميين أذاعوا خبر البشارة المفرحة وتكلَّموا مع أقاربهم وأصدقائهم في كل بيت وفي كل مكان «تقريباً» عن ق. بولس وعن العظة التي سلبت قلبهم وفكرهم عن يسوع قاهر الموت ومعطي الحياة، غافر الخطايا ومانح العطايا. فمن ذا الذي لا يأتي إلى المجمع بل ويجري ليكون مع السابقين، وهكذا تجمهرت المدينة بمنظر عجيب ومثير يفرِّح قلب الله والسماء.

ولكن لمَّا رأى اليهود الجموع تتقاطر إلى المجمع خيَّم على عقلهم شيطان الظلمة الذي أقنع الرؤساء والشعب يوماً أن يصرخوا لدى بيلاطس اصلبه اصلبه.

وبينما يقول هو كحاكم والقاضي من قبل روما وبمقتضى القانون الروماني المشهور بمنتهى دقته: «إني لم أجد فيه علة واحدة تستوجب الموت» وقالها مرات ثلاث، صرخوا هم بالأكثر

ورزقهم بإحساس من صغر النفس بسبب طغيان نور المسيح، لأنهم أحبوا الظلمة أكثر من النور لئلاً تفتضح أعمالهم.

«وجعلوا يقاومون مناقضين ومجدِّفين»:

أمَّا المقاومة فهي من صنع سلطانهم، وأمَّا المناقضة فهي باستخدام أسفار العهد القديم للتدليل على كذب المسيح وعلى ضلالة تعليمه بأقوال منمَّقة ومدعَّمة من موسى والأنبياء والمزامير التي كُتبت أصلاً لتعلن عن صدقه وتشهد لقداسته وتحدد أيامه وعلامات مجيئه. أمَّا التجديف فإذ جدَّفوا على الحق جدَّفوا على المسيح، وإذ جدَّفوا على المسيح جدَّفوا على الله باسم الله والدين.

وها هو ق. بولس نفسه لمَّا كان شاول، وكان واحداً منهم، يفضح خبايا هؤلاء الرؤساء والمترئسين على الشعب اليهودي الساذج «وفي كل المجامع كنت أعاقبهم (المسيحيين) مراراً كثيرة **وأضطرهم للتجديف**» (أع 26:11). ويعترف ق. بولس بصناعته اليهودية المحببة التي كان يمتهنها كيهودي غيور مرموق: «**أنا الذي كنت قبلاً مجدِّفاً ومضطهداً ومفترياً** ولكنني رُحمت لأني فعلت بجهل في عدم إيمان» (1تي 13:1). وهكذا يكشف ق. بولس أن كل تجديف يصحبه افتراء وجهالة وعدم إيمان معاً، يا للهول!!

46:13 «**فجاهرَ بُولُس وبَرنابا وقالا كانَ يَجِبُ أن تُكَلَّمُوا أنتُم أولاً بكلمةِ الله ولكنْ إذ دَفعتُمُوها عنكُم وحكَمتُم أنكم غيرُ مستحقِّينَ للحياةِ الأبديَّةِ هوذا نتوجَّه إلى الأمم**».

هنا ق. بولس الرسول يعرض أحد المبادئ الهامة التي وضعها أمام عينيه منذ أن آمن وعرف المسيح وقبِلَ الرسولية وخرج إلى الكرازة، أنه ألزم نفسه وحتَّم أن يعرض البشارة المفرحة على اليهود أولاً لأنهم هم الوارثون الشرعيون للوعد بالمسيَّا والخلاص والحياة الأبدية. ولم يستحدث القديس بولس هذا المبدأ بل هو رسولي تماماً، بل هو من واقع روح كل الأسفار القديمة وكل النبوات. وهو أيضاً بدء الإنجيل:

+ «الآن تطلق عبدَك يا سيِّدُ حسب قولِك بسلامٍ لأن عينيَّ قد أبصرتا خلاصك الذي أعددتَه قدَّام **وجهِ جميع الشعوبِ نور إعلان للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل**.» (لو 2: 29-32)

وتأكيداً لنفس المبدأ جاء على فم إشعياء أيضاً:

+ «والآن قال الرب جابلي من البطن عبداً له لإرجاع يعقوب إليه فينضمُّ إليه إسرائيل فأتمجَّد في عيني الرب وإلهي يصير قوَّتي. فقال قليل أن تكون لي عبداً **لإقامة أسباط يعقوب وردِّ محفوظي إسرائيل. فقد جعلتك نوراً للأمم لتكون خلاصي إلى أقصى الأرض**.» (إش 49: 5و6)

ومبدأ البشارة لليهودي أولاً ثم الأممي مبدأ متمكن من ق. بولس الرسول لأنه فرِّيسي دارس التوارة ومتيقن أن «الخلاص هو من اليهود» (يو 4:22)، فاليهود أحق أولاً بالخلاص:

+ «لأني لست أستحي بإنجيل المسيح لأنه قوة الله للخلاص لكل مَنْ يؤمن لليهودي أولاً ثم لليوناني.» (رو 1:16)
+ «فأقول ألعلهم عثروا لكي يسقطوا. حاشا. بل بزلتهم صار الخلاص للأمم لإغارتهم.»(رو رو 11:11)
+ «وإذ كانوا يقومون ويجدِّفون نفض ثيابه وقال لهم دمكم على رؤوسكم. أنا بريء. من الآن أذهب إلى الأمم.» (أع 18:6)

والمعروف لدى العلماء أن سفر أعمال الرسل يؤكّد أساساً على مبدأ أن الكرازة لليهود أولاً، فإذا رفضوها يُرسل الخلاص للأمم:

+ «لئلاَّ يبصروا بأعينهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم. فليكن معلوماً عندكم أن خلاص الله قد أُرسل إلى الأمم وهم سيسمعون.» (أع 28: 27و28)

والعجيب أن تأتي هذه الآية في آخر الأصحاح الثامن والعشرين وهو آخر الأصحاحات كتأكيد للمبدأ الإلهي الأساسي أن الخلاص مُرسل لليهود أولاً فإن سدوا آذانهم عنه فالأمم تسمعه وتقبله.

«غير مستحقين للحياة الأبدية»:

كيف عرف ق. بولس أنهم غير مستحقين للحياة الأبدية؟

بل وسجَّل عليهم أنهم هم أنفسهم **حكموا على أنفسهم** أنهم غير مستحقين للحياة الأبدية؟

افهم يا أخي القارئ وليت الرب يعطيك فهماً. إننا نحيا الآن حياة العالم، حياة الجسد وحياة العالم زمنية تُعَدُّ بالسنين والأيام والساعات والدقائق، فانظر إلى الساعة كيف تعبر من دقيقة إلى دقيقة في طرفة عين!! وهكذا ينتهي اليوم والسنة والعمر، فالحياة الحاضرة، حياة هذا الدهر، حياة تنتهي بالموت.

شكراً لله بربنا يسوع المسيح الذي تجسَّد وأخذ جسدنا لنفسه وعاش به في العالم وأكمل في عالم الأيام والساعات والثواني ثلاثة وثلاثين سنة، ومات وظل ميتاً في القبر ثلاثة أيام بالحساب اليهودي: (من الغروب إلى الغروب يُحسب يوماً، فهو صُلب يوم الجمعة ظهراً أو بعد الظهر فهذا يُحسب يوماً حتى الغروب. ثم دخل يوم السبت حتى الغروب، وهذا يُحسب يوماً. ثم دخل يوم الأحد وقام في فجر الأحد. إذن، هذا قد حُسب يوماً. وهكذا أمضى ثلاثة أيام في القبر). نقول إنه قام من الأموات في اليوم الثالث. قام وعاش مرَّة أخرى، قام حيًّا وأظهر نفسه وجسده وجروحه لتلاميذه وعاش معهم يُرى أحيانا ولا يُرى إلاّ **للذين اختارهم.**

افهم يا عزيزي القارئ أن **هذه الحياة الأخرى**[281] التي دخلها المسيح بالقيامة من الأموات هي الحياة الأبدية، لأنها حياة دائمة لا يقوى عليها الموت قط. وهي ليست من نوع حياتنا الجسدية التي في العالم وتحت ربقة الزمن والتغيير، بل حياة تخلو من الحزن والكآبة والتنهد وأي ظلمة من أي نوع فهي حياة في نور الله مع قديسيه.

لذلك كل مَنْ يؤمن بالقيامة وكل مَنْ قام مع المسيح **الآن** هو يحيا مع المسيح الحياة الأبدية.

---

[281] الحياة الأبدية تُدعى باليونانية "zw¾ a„ènioj."

وتعني بالعربية "حياة الدهر الآتي" لأن الدهر hayye - ha - ʾolau ha - ba وذلك محاولة لترجمة النطق العبري "" عند اليهود هو العالم.

وفي المفهوم المسيحي هي حياة القيامة أو دهر القيامة من الأموات التي يحياها القديسون الآن في السماء مع المسيح. والتي نحياها نحن الآن بالإيمان بالسر كامتياز إنما جزئيًّا وبقدر ما يهب الله. لأن الحياة الأبدية هي أولاً وآخراً هبة.

مستحق الحياة الأبدية بل هو يحياها بالسرّ!!

وكل مَنْ شك في المسيح وشك في موته وفي قيامته أو رفضها يكون قد حكم على نفسه بنفسه أنه غير مستحق للحياة الأبدية:

+ «ثم قال لعبيده أمَّا العُرس فمستعد ـ (الحياة الأبدية بقيامة المسيح من الأموات) ـ وأمَّا المدعوون فلم يكونوا مستحقين.» (مت 8:22)

اليهود قاوموا تعليم ق. بولس عن المسيَّا الذي أتى، وأنكروا أن صلبه كان بيد رؤساء الكهنة، واعتبروا أن المسيح كان مستحقاً للموت لأنه كان خاطئاً، وأنه لم يقم من بين الأموات أي رفضوا موته الخلاصي وقيامته للحياة الأخرى، وبالتالي رفضوا الحياة الأبدية التي افتتحها بقيامته من الأموات:

+ «الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية، والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله.» (يو 36:3)

والآن احكم يا عزيزي القارئ هل أنت مستحق للحياة الأبدية؟

بل هل تحيا هذا السر الإلهي وتسبِّح له في قلبك وروحك؟

+ «فإن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله.» (كو 1:3)

47:13 «لأن هكذا أوصَانَا الربُّ، قد أقمتُكَ نُوراً للأمم لتكونَ أنتَ خلاصاً إلى أقصى الأرض».

أمَّا الآية التي اختارها هنا ق. بولس الرسول فهي لإشعياء النبي:

+ «قد جعلتك نوراً للأمم لتكون خلاصي إلى أقصى الأرض.» (إش 6:49)

فهذه الآية تحتاج إلى رؤية متسعة لمفردات الإنجيل لأنها حصيلة آيتين الأولى تختص بالمسيح:

حاملين نور المسيح لكل الأمم حينما قال لرسله: «أنتم نور العالم.» (مت 14:5)

لقد كانوا بالفعل ـ وق. بولس أشدهم ـ حاملي نور المسيح كشعلة إلهية تضيء في ظلام العالم الوثني، لقد سلموا المسيح «نور العالم» (يو 12:8)، ـ كقصد المسيح ـ لكل إنسان جاء إلى العالم فامتد بهم الخلاص ولا يزال يمتد إلى أقصى الأرض. وهكذا فإن حرفاً واحداً من كلمات وعد الله للمسيح ووعد المسيح لتلاميذه لم يسقط بل نفذت كلمات كسهام من نور تضيء للأجيال وللشعوب ولا تزال: «ما دمت في العالم فأنا نور العالم.» (يو 5:9) = «وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر.» (مت 20:28)

48:13 «**فلمَّا سَمِعَ الأُمم ذلِكَ كانُوا يَفرَحُونَ ويمجِّدُونَ كَلِمَةَ الربِّ، وآمن جميعُ الذينَ كانوا معيَّنينَ للحياةِ الأبديَّةِ**».

فلمَّا سمع ذلك اليهود امتلأوا غيرة وحسداً وجعلوا يقاومون ويجدِّفون، ولمَّا سمع ذلك الأمم كانوا يفرحون ويمجِّدون كلمة الرب.

هذا حقيقي وواقعي لأن الذي سمعوه هي **الأخبار** المفرحة، هي "الإنجيل" أي البشارة بالقيامة من الأموات للخلاص والحياة الأبدية. كيف لا يفرحون إن كانوا قد صدَّقوا الكلمة وآمنوا بالخبر؟ «إن آمنتِ ترين مجد الله» (يو 4:11). فكيف لا يمجِّدون كلمة الرب وقد آمنوا بالكلمة؟ لأن الذي يؤمن حقاً تنفتح له الرؤيا فيرى مجد الله فكيف لا يمجِّد؟ إنه ليس انفعالاً شخصيًّا وفرديًّا بل هو قانون الإنجيل: «لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت.» (رو 9:10). وهنا الخلاص حالة واقعة والذي بلغ الخلاص بلغ قمة الفرح ولن يكف لسانه عن تمجيد الله. لذلك فالذين أُنيروا بالإنجيل وقبلوا دعوة الخلاص صار الفرح الدائم والتمجيد الدائم يلازم حياتهم.

لذلك فالقديس لوقا يسجِّل هنا بأمانة ما سمعه من شهود عيان فهي حالة حقيقية وصادقة، أي

الثانية علة للأولى، أي الإيمان علة الفرح، ولكن يشاء الله أن يؤخِّر ق. لوقا الإيمان ويقدِّم الفرح ليظهر صدق الواقع أكثر من التسجيل المنطقي.

«معيَّنين للحياة الأبدية»:

جاءت هنا كلمة «معيَّنين» باليونانية tetagmšnoi وهي تفيد بالأكثر مسجلين أو "مكتوبين inscribed = enrolled".

وقد جاءت هذه الكلمة في دانيال 13:6: «أَلَمْ **تُمْضِ** (œtaxaj = تقرر) أيها الملك ... »بمعنى القرار الملكي. ونفس المعنى جاء في (لو 20:10): «ولكن لا تفرحوا بهذا أن الأرواح تخضع لكم بل افرحوا بالحري أن أسماءكم **كُتِبَت** في السموات»

كذلك يأتي نفس المعنى: «نعم أسألك أنت أيضاً يا شريكي المخلص، ساعد هاتين اللتين جاهدتا معي في الإنجيل مع اكليمندس أيضاً وباقي العاملين معي، الذين أسماؤهم في سفر الحياة » ™n b…blJ zwÁj(في 3:4). والمضمون أن اسمهم مكتوب في كتاب الحياة: « فيسجد له جميع الساكنين على الأرض الذين ليست أسماؤهم مكتوبة **منذ تأسيس العالم في سفر حياة الخروف** الذي ذُبح.» ™n tù bibl…J tÁj zwÁj (رؤ 8:13)

ولعل أول مَنْ نطق بهذا التعبير هو موسى النبي: «والآن إن غفرت خطيتهم وإلاَّ فامحني **من كتابك** الذي كتبت.» (خر 32:32)

وهنا المعنى إذ نستعيره من موسى والآباء نفهم أن الله كتب **كتاباً** فيه أسماء الذين تعيَّنوا للحياة دعاه موسى «كتابك» ودعاه الروح في سفر الرؤيا **«سفر حياة الخروف»**، ودعاه ق. بولس في رسالته إلى فيلبي **«سفر الحياة»** (في 3:4)، وحدده الروح أيضاً في سفر الرؤيا بأنه كتب **«منذ تأسيس العالم»**.

هنا مفهوم سبق المعرفة لله هو الذي يُكَنَى عنه بسبق التعيين وسبق الكتابة ـ ومنذ تأسيس

ولكن لا يعتبر حدثاً جديداً على ذاكرة الله وعلمه، فهو موجود لأن في معرفة الله وعلمه لا يستحدث شيء زمني قط. فأعمالنا كلها معروفة عنده قبل أن نولد ولكن لا يفرضها علينا لأننا بالنهاية نحن مسئولون أمامه عنها فكيف يفرضها علينا؟ لأنه إن كنَّا سنقف حتماً أمام كرسي الديَّان لنعطي جواباً عن كل ما صنعنا وقلنا لذلك تحتَّم أن يؤمِّن لنا حريتنا لنعمل باختيارنا. فإن آمنا بالمسيح وقبلنا الحياة الأبدية فهذا معروف عنده وحسب، ولكن دون أن يؤثر على تفكيرنا أو حريتنا، إذ يتحتم لكي ننال الخلاص أن نؤمن به بمنتهى حريتنا ورضانا بل ومسرتنا الكاملة.

لأن حينما يسبق الله ويعرف أننا سنؤمن به ونحبه، يُبقي هذا أمامه في معرفته، ليعاملنا بعد ذلك كبنين، وهذا ما عبَّر عنه ق. بولس الرسول هكذا: «لأن الذين سبق فعرفهم (أنهم سيؤمنون به ويقبلونه) سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه» (رو 29:8). أي أن الله الذي سبق فعرف أنهم سيؤمنون بابنه، هيأ لهم كل الظروف ليصيروا مشابهين لصورة ابنه.

والذين سبق فعينهم ليكونوا مشابهين لصورة ابنه، هؤلاء في الميعاد المحدد والمناسب دعاهم لخدمته.

والذين دعاهم لخدمته وهبهم برّه الشخصي أي امتياز النعمة والقداسة والمواهب اللائقة بالبنوَّة لتكميل صورة ابنه فيهم وتكميل الخدمة.

والذين برَّرهم مجدهم بمجد البنوَّة. وهكذا صار المسيح بكراً بين إخوة مشابهين له في كل شيء، حتى المجد!!

كل هذا السلم المتدرِّج في المواهب إنما نحن نكون قد بدأناه بالإيمان بحرية إرادتنا وحرية اختيارنا كاستجابة لدعوة الله وصوت النعمة.

وفي المقابل الحزين المُبْكي يقول الله على فم أنبيائه الذي ردَّده ق. يوحنا في إنجيله:

+ «ومع أنه كان قد صنع أمامهم آيات هذا عددها لم يؤمنوا به، ليتم قول إشعياء النبي الذي

فهنا سبق الله فعرف أنهم **لن يؤمنوا بابنه، لذلك** أعطاهم عيوناً لا تبصر وقلوباً لا تشعر حتى يفوِّت عليهم فرص الرجوع لأن إيمانهم سيكون كاذباً وللمقاومة وليس للبناء.

وبالنهاية يتضح أن عمل الله تجاهنا بمقتضى سبق معرفته يتطابق تماماً مع أعمالنا ونياتنا، فإن كنَّا سنؤمن به يعطينا فرصاً أكثر، وإن كنَّا سننكره يحرمنا من كل مؤهلات الإيمان سمعاً ونظراً وشعوراً قلبياً، ويا للهول.

فالله يعرض علينا نفسه فقط مع توسُّل أن نقبله ثم يتركنا لنختار بين العالم وبينه، بين ملذاتنا وشهواتنا وعبادته. وبين ذواتنا ومجدها وبين صليبه وعاره: «قد جعلت قدَّامك الحياة والموت ... فاختر الحياة لكي تحيا» (تث 19:30). فلمَّا رفضه شعب إسرائيل لم يكن لهم عذر البتة لأنه يقول عنهم: «طول النهار بسطت يديَّ إلى شعب معاند ومقاوم» (رو 21:10، إش 2:65)، «أعطوا القفا لا الوجه» (إر 24:7). هذا كله يوضِّح أنه أعطاهم فرصاً عديدة للإيمان ولكنهم رفضوه: «رفضوني أنا الحبيب مثل ميت مرذول.» (مز 21:37 بحسب النسخة القبطية)

أمَّا الذين عرف أنهم سيحبونه ويلقون بأنفسهم عليه ويبيعونها له ويتبعونه من كل قلوبهم ويفرِّطون في حياتهم من أجله حتى الموت فلهؤلاء يقول:

+ «قبلما صوَّرتك في البطن عرفتك وقبلما خرجتَ من الرحم قدَّستك. جعلتك نبيًّا للشعوب ... لأني أنا معك لأنقذك يقول الرب. ومدَّ الرب يده ولمس فمي وقال الرب لي ها قد جعلت كلامي في فمك.» (إر 1: 5و8و9)

فهنا ربما يخطر في قلبك أيها القارئ أن هذه محاباة لإرميا. لا، ليست محاباة، لأن إرميا هذا تعذَّب وكان يمكن له النجاة إن هو خان النبوَّة أو غيَّر فيها وتنازل عن شيء منها استرضاءً لشرِّهم، ولكن إرميا قبلَ التعذيب ولم يقبل أن يغيِّر حرفاً واحداً منها، رضي أن يُسفك دمه ولا يخون وصية إلهه!!

+ «فتكلَّم الكهنة والأنبياء مع الرؤساء وكل الشعب قائلين حق الموت على هذا الرجل (إرميا)

وعلى سكانها لأنه حقاً قد أرسلني الرب إليكم لأتكلم في آذانكم بكل هذا الكلام.» (إر 26: 11-15)

فلماذا لا يقدّسه الرب قبل أن يخرج من الرحم؟

عزيزي القارئ، إن إيماننا بالمسيح وتمسُّكنا بوصاياه حتى الموت وحبنا له من كل القلب هو الذي يسبق ويعطيه الحق والفرصة لكي يحابينا ويقدّسنا لنفسه من البطن ويسبق ويعيِّننا للحياة الأبدية ويسبق ويكتب أسماءنا في سفر الحياة وقبل تأسيس العالم.

ثم كلمة أخيرة: لا تخلط بين الزمن والخلود. فالخلود يحتوي الزمن كنقطة في بحر. فإيمانك وعملك اليوم منظور لدى الله ومعروف قبل أن تولد. فبناء على ما تقوله وتعمله اليوم سبق الله ورآه وخطط مصيرك بمقتضاه. فعملك اليوم هو الذي أعطى الله الفرصة ليقرر محاباتك قبل أن تولد.

لا تخلط بين الزمن والخلود. فالزمن غير موجود لديه، فصفحة أعمالك مقروءة عنده قبل أن تولد لأن ليس عند الله أمس واليوم، الكل مكشوف وعريان أمامه. وإليك المثل: فالمعمدان عُرف شخصه وعُرفت أعماله عند الله وسرّ بها الله وبالفعل جاء المعمدان كما قرره الله تماماً. وظهرت أخلاقه وأعماله وشجاعته كما سبق وعرفت عنه قديماً في شخص إيليا، ولكن سبق معرفة الله عن المعمدان لم تصنع المعمدان بل المعمدان هو الذي صنع كل ما سبق وعُرف عنه من الأعمال والأخلاق، لذلك مَدَحَهُ المسيح أنه أعظم من نبي ولم يقم من بين المولودين من النساء مَنْ هو أعظم منه بسبب قوته الأخلاقية وشجاعته وتتميمه كل أوامر الله بكل دقة وبلا خوف، وبّخ الكهنة والكتبة والفرّيسيين والملوك بلا حذر ولا خوف حتى من تهديد بالموت، وبالفعل قتلوه.

وفي المقابل نجد يهوذا التلميذ الذي باع المسيح، كيف أن المسيح أعلن جهاراً أنه يعرفه وقال عنه إن التلاميذ كلهم أطهار ما عداه هو (يو 13: 10و11). هذا رأى المسيح وشاهد أعماله ومعجزاته كلها ولكن لأنه لم يؤمن بالمسيح سبق الله وعرف ذلك فأعطاه عيناً تبصر كالتلاميذ ولا تبصر كاليهود، وأُذناً تسمع كالتلاميذ ولا تسمع كرؤساء الكهنة، وزاد على ذلك فأعطاه قلباً لا

فالقديس يوحنا المعمدان سبق وتعيَّن في سفر الحياة الأبدية ويهوذا بالمقابل سبق ومُحي اسمه من سفر الحياة وهذا بمقتضى قبول الأول الإيمان بالمسيح ورفض الثاني له.

لذلك نسمع بكل وضوح قول الرب: «إيمانُكِ قد خلَّصكِ. اذهبي بسلام» (لو 7:50)، كما نسمع في المقابل بكل وضوح أيضاً: «ومع أنه كان قد صنع أمامهم آياتٍ هذا عددُها لم يؤمنوا به» (يو 12:37)، «اثنتان تطحنان على الرَّحَى. تؤخذُ الواحدةُ وتترك الأخرى» (مت 24:41) الأولى أوفت كل ما عليها والثانية أهملت وما عملت.

يا إخوة نحن الآن في زمان العمل وحتماً سينتهي الزمن.

والمسيح عبَّر عن الذين سينالون الحياة الأبدية بأنهم تأهلوا لها حيث التأهيل يحتاج إلى مطابقة كاملة لمواصفات مفروضة كل مَنْ يستوفيها يتأهل لنوال مجدها:

+ «ولكن الذين حُسبوا أهلاً للحصول على ذلك الدهر والقيامة من الأموات ... هم أبناء الله، إذ هم أبناء القيامة.» (لو 20: 35و36)

هنا قول المسيح عن الذين «حُسِبُوا أهلاً للحصول على ذلك الدهر والقيامة» هو بمقتضى سبق علم الله، لذلك اعتبرهم رسمياً أبناءه: «هم أبناء القيامة» (لو 20:36)، ولأنهم آمنوا بالقيامة فورثوها: «إذ هم **أبناء القيامة**» (لو 20:36)، لأنهم حسب قول ق. بطرس: «الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات» (1بط 1:3). فإن كنَّا قد وُلِدنا ثانية بالقيامة من الأموات فنحن **«أبناء القيامة»** بالدرجة الأولى.

هنا تطابق كلي وبديع بين سبق علم الله واختيار الإنسان الحر للإيمان بالمسيح والقيامة.

لذلك يعلّق ق. يوحنا ذهبي الفم على القول: «وآمن جميع الذين كانوا معيَّنين للحياة الأبدية» (أع 13:48) بكلمة واحدة مختصرة للغاية إذ يقول: [ليس عن اضطرار] أي أنهم معيَّنون أو مكتوبون، ليس حتماً أي ليس كأنه أمر صدر من الله، ولكنه بمقتضى اختيارهم وحريتهم آمنوا.

ولاحِظ أن كلمة "انتشرت" لا تفيد عمل كرازة بولس وبرنابا فقط بل تفيد نشاط المؤمنين أنفسهم في نقل الرسالة إلى كل أقاربهم وأصدقائهم. فهنا تلميح واضح إلى عمل الروح القدس في إشعال نهضة روحية وسط الشعب امتدت بسرعة إلى كل الأقاليم:

+ «الروح والعروس (الكنيسة) يقولان تعال **ومَنْ يسمع، فليقل** تعال.» (رؤ 22:17)

50:13 **«ولكنَّ اليهودَ حرَّكُوا النِساءَ المُتعبداتِ الشريفَاتِ ووجُوهَ المدينةِ وأثارُوا اضطهاداً على بولُسَ وبرنابا وأخرجُوهما من تخومِهم».**

كان من الصعب على اليهود أن يمنعوا القديس بولس والقديس برنابا من الوعظ والخدمة والمناداة بالإنجيل في بلد رومانية تُحكم بقوانين قيصر ووسط شعب أممي حرّ. ولكن كان لليهود سلطان غير مباشر على نساء الرجال الرؤساء الأمميين الذين يحضر البعض منهم العبادة في المجمع اليهودي بنوع من التقوى والورع. فاليهود من وراء الستار أثاروا هاته النسوة لكي يؤثرن على أزواجهن وبالفعل نظموا حملة لطرد بولس وبرنابا ونجحوا في ذلك بواسطة الشيطان الذي لا يطيق إذاعة كلمة الحق والحياة. وطبعاً استصدروا أمراً محليًّا من السلطات الرومانية بأي حجة وضعوها لطردهما من المدينة.

51:13 **«أمَّا هُما فنفضَا غُبارَ أرجُلهما عليهم وأتيَا إلى إيقونية».**

هي إحدى وصايا الرب التي قالها تعبيراً عن إنذار سماوي بالعقاب:

+ «ومَنْ لا يقبلكم ولا يسمع كلامكم فاخرجوا خارجاً من ذلك البيت او من تلك المدينة وانفضوا غبار أرجلكم. الحق أقول لكم ستكون لأرض سدوم وعمورة يوم الدين حالة أكثر احتمالاً مما لتلك المدينة.» (مت 10: 14و15)

أمَّا نفض الغبار من أرجلهم فهو يعني أنهم أصبحوا غير مسئولين عن هذه المدينة تمهيداً لعقاب

وهي الآن مدينة "قونية" التركية. وكانت في سابق الأزمنة تابعة لأقليم فريجية ولكن في أيام ق. بولس الرسول كانت عاصمة إقليم ليكأونية[282].

وفي أيقونية هذه تدور قصة «تكلا» رفيقة القديس بولس التي بشَّرها وآمنت هناك وصيغت عليها أقوال كثيرة ليس ما يدعمها في التاريخ الكنسي. وربما بعضها خرج عن اللياقة[283].

52:13 **«وأمَّا التلاميذُ فكانُوا يمتَلِئُونَ مِنَ الفرَحِ والرَّوحِ القُدُسِ».**

عجيبة أيها القارئ العزيز، فكلما سمعنا عن **اضطهاد وضيق وضرب وطرد** سمعنا عن الروح القدس. وكلما سمعنا عن الروح القدس سمعنا عن **الامتلاء من الفرح.**

وأسلوب القديس لوقا في سرده لأعمال الرسل هو مُعَزٍّ بالحقيقة، فعندما يواجه الاضطهاد والضيق يتوقف قليلاً ليصف حركة ما للروح القدوس تسري في الضيق وما بعد الضيق من نمو وامتلاء وفرح وامتداد على الطريق. وهو يقصد بالفعل أن يجعلها قانوناً حتمياً عبر التاريخ، تاريخ الفداء والخلاص في سجل المكتوبين في سفر الحياة:

+ «إنه بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله.» (أع 22:14)

فإن اشتدَّت الضيقات فهي علامة أن الشمس خلف السحاب والوجه المنير ينتظرنا وما بقي إلاّ القليل فلنتشدَّد لأنه قادم للمعونة.

«آتي أيضاً وآخذكم إليَّ» (يو 3:14)

«ماران آثا»

الأصحاح الرابع عشر

مزيد من الإهانات
في
إيقونية ـ لسترة ـ دربة

---

(282)Strabo XII p. 568.

(283) إذ ادَّعوا أن ق. بولس تزوجها، ذاك الذي قال: «لأني أريد أن يكون جميع الناس كما أنا.» (1كو 7:7)

في إيقونيــة
[7-1:14]

1:14 «وحدَثَ في إيقُونيَةَ أنَّهُما دخلا معاً إلى مجمع اليهودِ وتكلَّما حتَّى آمَنَ جُمهُورٌ كثيرٌ مِنَ اليهُودِ واليُونانيِّين».

هذه المدينة هي عاصمة ليكأونية التي سنتكلّم عنها كثيراً بعد ذلك، وهي تبعد 120 ميلاً عن ساحل البحر الأبيض المتوسط. والآن تسمَّى ـ قونية ـ وجوُّها جميل إذ تحتضنها جبال شاهقة وتحيط بها مروج خضراء وحدائق غنَّاء.

وإيقونية كمدينة ذات شأن في التاريخ، فهي المهد الذي نمت وتدلّلت فيه أمة العملاق القوي المدعو بـ"أتا ترك" و**"أتا"** تعني بالتركية "أبو" وهو كمال أتا ترك أبو تركيا الحديثة وكان رجلاً حديدياً، قلب تركيا وجعلها جزءاً من أوربا.

وعندما زارها ق. بولس الرسول كانت تقطنها حفنة من اليونان يفخرون بمسرحهم المشهور وسوق المدينة الكبير، يفد إليها على مدى الأسبوع جماعات الفلاحين اليونان القاطنين في ضواحيها وفي بعض قطاعات المدينة نفسها، ويظهر فيها بين الحين والآخر ضبَّاط رومان ببزتهم العسكرية في غطرسة وتعالٍ عن الأوساط الهمج في نظرهم. وفي طرف المدينة يقبع المجمع القديم لليهود يحيط به جماعة اليهود المتكدسة في حاراتها الضيقة يمارسون تجارتهم على مدى الأسبوع، وفي السبت يخرجون في تباهٍ أمام أهل المدينة طلباً لعبادة الإله الحي! وهذا كان مقصد بولس وبرنابا عندما دخلا المدينة.

«وحدث في إيقونية أنهما دخلا "معاً"»: kat¦ tõ aÙtò

تُرجمت في بعض النسخ «وحدث **نفس الشيء** في إيقونية» بمعنى أنهم دخلوا المجمع اليهودي كأول مكان للكرازة حسب عادة ق. بولس الرسول وكما صنع في أنطاكية بيسيدية. ويبدو من بقية الكلام أنهما بقيا مدة طويلة حتى آمن جمهور كثير من اليهود واليونانيين. وهذا في الحقيقة يعطينا نوعاً من الرضى والسرور، فالكلمة أصابت قلوباً مفتوحة

من اليهود والأمم على السواء. فلا صلابة قلب اليهود استطاعت أن تمنع سيف الكلمة من اختراقها ولا ميوعة قلوب اليونانيين استطاعت أن تزوغ من السيف ذي الحدين، حدٌّ للقساة العتاة وحدٌّ للاهين الواهنين، فالكلمة كالعادة تجمع المتناقضات وتوحِّد المتنافرات، فاليهود والأمم صارا كنيسة واحدة في إيقونية، من يصدِّق؟

ولكن هل يؤمن بهذا أصحاب العقائد المختلفة في هذه الأيام؟

يا رب، يا مَنْ جمعت اليهودي واليوناني في جسدك المقدَّس ليصيرا معاً كنيسة واحدة مقدَّسة جامعة رسولية، اجمع المسيحي على المسيحي ليصيرا على مستوى ذات اللحم وذات العظام: «لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه» (أف 30:5). هل تنقسم العظام على نفسها أم ينقسم اللحم والدم؟

2:14و3 **«ولكنَّ اليهودَ غيرَ المؤمِنِينَ غرَّوا وأفسدوا نفُوسَ الأمم على الإخوة. فأقاما زماناً طويلاً يُجاهِرَانِ بالرَّبِّ الذي كانَ يَشهَدُ لكلمَةِ نعمتَه ويُعطِي أن تُجرَى آياتٌ وعجائِبُ على أيديهمَا».**

هنا الترجمة لهاتين الآيتين جاءت ركيكة فصعَّبت التسلسل المنطقي. وحاول كثير من العلماء تصحيح هذا العطب، ولكن مضمون المعنى واضحٌ على أي حال، وهو أن بسبب مقاومة اليهود اضطر ق. بولس أن يبقى زماناً أكثر في هذه المدينة، ومن ناحية أخرى كان الرب في المقابل يشهد لكلمة نعمته بالآيات والعجائب.

وهنا في الحقيقة نواجه لأول مرة أن تُجرى الآيات والعجائب بيد القديس بولس والقديس برنابا في مقابل مقاومة اليهود التي يظهر أنها كانت عنيفة جداً لا من حيث المقاومة بالقوة والتحدي الجسدي ولكن بالإغراء والإفساد.

«غرَّوا وأفسدوا»: ™p»geian ka^ ™k£kwsan

أتت ترجمتها في النسخة الإنجليزية: "أثاروا وسمَّموا عقولهم".

وكلمة "**غرَّوا**" يترجمها ماير العالِم الألماني بمعنى يؤثر تأثيراً شريراً على مستوى عقلي، وهذا يعني تلقينهم مبادئ منحرفة على أساس سيء ومضرّ.

أمَّا كلمة "**أفسدوا**" فهي تعني أنهم جعلوهم لا يقبلون الصلاح. والكلام واضح فهو يعني أنهم لقنوهم عن المسيح تعاليم كاذبة فاسدة ورسخوها في عقولهم حتى لا يقبلوا الإيمان به، وهذه هي

أسلحة اليهود التي يعملون بها حتى اليوم.

«فأقاما زماناً طويلاً يجاهران بالرب»:

في مقابل محاولات اليهود لإفساد ذهن الأمم حتى لا يقبلوا المسيح، وقف ق. بولس وق. برنابا يجاهران، أي يكرزان بعلانية وقوة ووضوح عن المسيح الرب أنه ابن الله والمخلِّص. وكلما تمادى اليهود في إفسادهم لذهن اليونانيين كان ق. بولس وق. برنابا في المقابل يوضحان أكثر ويكرران تعليمهما حتى يرسِّخا الحق ويَدْحضا الباطل.

«كلمة نعمته»:

تعبير بديع للغاية عن الإنجيل أي البشارة بالنعمة وبصاحب النعمة وتعليم الإنجيل.

فما كان الرب إلاَّ أنه وقف يؤازر إنجيله بنفسه بأن أجرى آيات واضحة ومعجزات مفحمة حتى يُخرس أقوال اليهود الكاذبة عنه وعن رسالته. وهنا واضح أن الرب غار على اسمه وعلى كلمته فسندها بقوة فائقة للطبيعة والعقل، وهذه من المواقف النادرة التي تكشف عن حضور الرب علانية وعمله العلني ليسند الإنجيل إزاء تكالب اليهود على إفساد الحق وتزوير الكلمة، مما يوضح أن قدرة اليهود على التزييف والإفساد والكذب كانت خطيرة فواجهها الرب بالكلمة القوية بأفواه رسولية وبالآية والمعجزة على أيديهما.

7-4:14 **«فانشقَّ جُمهُورُ المدينَةِ فكانَ بَعضهُم معَ اليهُودِ وبَعضهُم مع الرسُولين. فلمَّا حصَلَ مِنَ الأمم واليهودِ معَ رُؤَسائِهِم هجُومٌ ليبغُوا عليهما ويرجمُوهُما شعَرا بهِ فهرَبَا إلى مدينتَي ليكأونيَّة لِسترةَ ودَربَة وإلى الكُورَةِ المحيطةِ. وكانا هُناكَ يبشِّران»**

يلزمنا أن نلتفت هنا لتسمية ق. برنابا رسولاً ولو أنه ليس من الاثنى عشر، فهذا يتجه ناحية حسبانه من المئة والعشرين المذكورين (أع 15:1). ويكفيه أن يكون قد شاهد القيامة وعاشر ظهورات الرب، كذلك شهادة ق. بولس الرسول عنه: «أعطوني وبرنابا يمين الشركة.» (غل 9:2)

كذلك يلزم أن ننتبه إلى محور الحركة ضد ق. بولس وق. برنابا وهو ائتلاف رؤساء جماعات الأمم مع رؤساء جماعة اليهود أي رؤساء المجمع، فالحركة دينية علمانية سياسية.

«هجومٌ ليبغوا»:

اصطلاح يهودي فهو تدبير عملية الانقضاض على الفريسة حاملين الحجارة لتتميم عملية الرجم الرسمية بغاية السرعة، إذ يبدو أنهم أخذوا قراراً بذلك في المجمع.

ولكن يشاء الله أن تبلغ هذه الخطة إلى القديس بولس قبل إتمامها فيأخذ المبادرة هو وبرنابا ويهربان إلى مدينة ليكأونية لسترة.

ملامح القديس بولس الرسول:

وإن كان ق. لوقا لا يشاء أبداً أن يدخل في صفات الشكل والقوام، فهذه أمور لا دخل لها إطلاقاً بكلمة الله التي تخرج من فم الضعيف أقوى من فم القوي لأن «قوتي في الضعف تُكْمَلُ» (2كو 12:9)، ولكن يصمم العالِم بروس هنا أن يعطينا شهادة من كتاب أبوكريفا له وزنه التاريخي من جهة التحقيق، وهو من القرن الثالث، يقول عن وصف ق. بولس بفم شخص اسمه أونيسيفوروس Onesiphorus من ليكأونية، والكتاب اسمه "أعمال القديس بولس": يقول أونيسيفورس أنه لمَّا خرج لمقابلة بولس وهو قادم إلى المدينة [رأى بولس قادماً رجلاً بحجم يميل إلى الصغر ذا حاجبين متقابلين وأنف يبدو منحنياً أمَّا رأسه فتنم عن قوة وشجاعة ورجلاه مقوستان نوعاً ما ممتلئ الجسم، وممتلئ نعمة فهو يظهر أحياناً وكأنه ملاك وأحيانا إنسان].

والذي يريد المزيد من هذا الترديد يقرأ لرامزي(284).

«فهربا إلى مدينتي ليكأونية لسترة ودربة»:

إن القراءة الصحيحة على أقدم النسخ(285) هي هكذا: "إلى مدن ليكأونية لسترة ودربة". ومنطقة ليكأونية تبدأ من حافة جبال طوروس على حدود كيليكية جنوب تلال كبدوكية المشهورة في الشمال، فهو المسطَّح الأكبر في كل جغرافية أسيَّا الصغرى.

أمَّا مدينتا دربة ولسترة فهما أسفل الجبل الأسود. وفي لسترة يُظَنُّ أن ق. بولس ختَّن تيموثاوس الذي ربما كان مواطناً من هذه المدينة أيضاً(286).

أمَّا دربة فهي مدينة "**غايس**" المحبوب.

أمَّا ليكأونية فريجية فقد ظلت منذ منتصف القرن الأول كما كانت منذ 450 سنة، كما تأكد ذلك من "أعمال يوستين" سنة 165م(287).

---

(284)W.M. Ramsay, *The Church in the Roman Empire*. London 1893 pp. 31 f.

(285)Thomas, *op. cit.*, p. 216

(286)Thomas, *op. cit.*, p. 216

(287)Cited, by Bruce II, p. 288.

أمَّا لسترة Lystra فقد صارت مستعمرة رومانية بواسطة أوغسطس سنة 6م. وهذه المستعمرة تتصل مع مستعمرة أنطاكية بيسيدية التي تبعد عنها بحوالي 180 ميلاً، بطريق حربي لا يمر وسط إيقونية. وقد توصَّل العالِم ج.ر.س ستررت Sterrett سنة 1885م. إلى موضع هذه المدينة على الطبيعة وهو بقرب المكان المعروف في تركيا باسم خاطين ساراي.

معجزة لسترة
[18-8:14]

8:14 **«وكانَ يجلِسُ في لِسترَةَ رَجُلٌ عاجِزُ الرِّجلَين مُقْعَدٌ مِنْ بَطنِ أُمِّهِ ولَم يَمْشِ قطُّ».**

«رجل عاجز الرجلين»: ¢dÚnatoj

«مقعد من بطن أمِّه**»:** lame cwlÒj

«ولم يمش قط»: oÙdšpote periep£thsen

ثلاث علل صارخة تحكي عن مدى الإصابة غير القابلة للشفاء بتاتاً التي أصيب بها هذا المقعد السعيد.

هذا التوكيد المثلث الشهادة هو لحساب صدق المعجزة ولكن ليس لدى المستعدين للإيمان بالإنجيل وأعمال الله، ولكن بالنسبة للذين يطلبون التأكيد ليأتي إيمانهم مستوفياً شروطه العقلانية. هذا الأمر نفسه حدا بالمسيح مراراً أن يثنّي الحق قولاً: «الحق الحق أقول لكم» ولكنه لدى اليهود فعل ذلك فقط، أمَّا لدى الأمم فما احتاج إلى التثنية فقد قال للسامرية: «صدِّقيني يا امرأة» (يو 21:4) "فصدَّقته" وقالت: «أرى أنك نبي» (يو 19:4). أمَّا اليهود فردوا على تأكيده الحق لهم بأن قالوا له: «ألسنا نقول حسناً إنك سامري وبك شيطان» (يو 48:8)!: «والإنسان الشرير من الكنز الشرير يُخرج الشرور.» (مت 35:12)

ومن أجمل مميزات القانون الأمريكي في التحقيقات القضائية أنه يُلزم المتكلّم أمام القاضي مدافعاً أو شاهداً بالقول: [أقول الحق ولا شيء غير الحق] وهي منسوخة من قول الرب: «الحق الحق أقول»

ويُلاحَظ أن ق. لوقا قبل أن يكشف عمَّا تمَّ في المعجزة كيف أنه قام واثباً وصار يمشي، أورد أنه «**لم يمش قط**» لينبِّه ذهن السامع أنها معجزة مائة بالمائة.

9:14و10 «هذا كانَ يسمَعُ بولُسَ يتكلَّمُ، فشَخَصَ إليهِ وإذ رأى أنَّ لهُ إيماناً ليُشفَى قالَ بصَوتٍ عظيمٍ قُمْ على رجلَيكَ مُنتَصِباً، فوثبَ وصارَ يَمشِي».

«رأى أن له إيماناً ليُشفى»:

«ليُشفى»: swqÁnai

هنا إذا لم نكشف ما وراء هذه الكلمة «ليُشفى» في معناها اليوناني الذي قِيلت به يصعب جداً على القارئ أن يفهم كيف عرف ق. بولس أن له هذا الإيمان للشفاء!؟

فالعمق هنا في كلمة swqÁnai فهي وإن كانت بحسب الظاهر تفيد الشفاء من الوجهة **الجسدية**، لأن الملابسات **الجسدية** التي هو فيها توحي بذلك، إلاَّ أن العالِم رامزي[288] يقول إن في الكلمة معنى دفيناً، فهي قرينة لكلمة swthr…aj التي جاءت في (أع 16 : 17) بمعنى طريق الخلاص: ÐdÕn swthr…aj حيث swthr…a تعني تماماً **"صحة"** أو **"خلاصاً"**.

هذا **المعنى الدقيق** الذي تحمله كلمة swqÁnai التي جاءت عن لسان ق. بولس يوضِّح لنا كيف تنبَّهت روحه أن تعطي الشفاء لهذا المقعد، بمعنى أن ق. بولس بينما كان يعظ وهو حار بالروح التفت إلى المقعد الذي كان يصغي إليه باهتمام، فأحس أن روح هذا الرجل تتأجَّج فيه تريد الخلاص، ففي الحال استخدم ق. بولس إيمان هذا المقعد الذي كان على مستوى الخلاص ليعطيه الشفاء الجسدي مع الخلاص بآن واحد. فبولس شفى المقعد بناءً على إيمانه بالمسيح المخلِّص كطالب خلاص بالدرجة الأولى، فحينما قال له: «قم» كان هذا الأمر على مستوى «قم من الأموات فيضيء لك المسيح.» (أف 5:14)

أمَّا كلمة «وثب» أي "نطّ" فتعني قيامة مضاعفة وهي فعلاً كذلك إذ شملت قيامة جسد وروح معاً.

11:14و12 «فالجمُوعُ لمَّا رأوا ما فعَلَ بولُس رَفَعُوا صوتَهُم بلُغَةِ ليكَأُونيَّة قائلينَ إنَّ الآلِهةِ تشبَّهُوا بالناسِ ونَزَلُوا إلينا. فكانوا يَدعُونَ بَرنَابَا زَفْسَ وبولُسَ هَرْمَسَ إذ كانَ هو المتقدِّمَ في الكلام»

يُلاحَظ أن هؤلاء المستوطنين الرومان كانوا يتكلَّمون بلهجة ذلك المكان «ليكأونية» بسبب الاستيطان هناك أزمنة طويلة، لذلك فإن ق. بولس الرسول لم يعرف بماذا يهتفون ويصرخون وهم

(288)W.M. Ramsay the teach. of Paul in terms of present. day London 1914 p. 95 cited by Bruce II, p. 290.

يسوقون ذبائحهم أمامهم، ولم يدرك الوضع إلاَّ بعد أن بدأوا يعدون لذبح ذبائحهم تكريماً لهذه الآلهة الغريبة المقتدرة التي هبطت من السماء(289).

ويشاء الله ليحقق لنا صدق رواية ق. لوقا هنا أن يعثر العالِم و.م. كالدر(290) على حفريات بالقرب من لسترة تذكر تمثالاً لهرمس ونصباً لزفس بواسطة أشخاص لهم أسماء لكيأونية وكهنة لزفس. كذلك اكتُشِف مذبحٌ حجري بالقرب من لسترة أيضاً بواسطة العالِم السابق مع العالِم و. بكلر(291) سنة 1926 مكرَّس "لسامع الصلاة" أي الإله زفس.

«زفس»: Zeus (وهو جوبتر عند الرومان)، (وهو أوزوريس عند المصريين):

هو الإله الأعظم بين مجمع آلهة اليونان = البانثيون = Pantheon وهو أبو الآلهة وكل الناس.

«هرمس»:

هو ابن زفس من مايا Maia وهو بشير الآلهة (ويُدعى مركوريوس عند الرومان).

فبرنابا قالوا عنه إنه «زفس» لأن مظهره وشكله كان ذا وسامة وعظمة.

أمَّا بولس فلأنه كان هو المتكلِّم والنشيط المتحرِّك في كل الاهتمامات دعوه «هرمس» وكان هرمس رفيق زيارات زفس للأرض دائماً. ومعروف أنه إله الفصاحة والبلاغة والمنطق.

13:14 «فأتى كاهِنُ زَفْسَ الذي كانَ قُدَّامَ المدينةِ بثِيرَانٍ وأكاليلَ عِندَ الأبوابِ معَ الجمُوعِ وكانَ يُرِيدُ أنْ يذبَحَ».

كان هذا أمراً طبيعياً، فإن كانت الآلهة قد نزلت من السماء تكريماً للناس فلابد من تكريم هذه الآلهة وأقلها تقديم الذبائح. فأتى كاهن زفس ومعه الجموع الحاشدة ومعه الذبائح، وكان هيكل زفس في مقدِّمة المدينة لأن الكلمة اليونانية توضِّح ذلك Zeus Propolis التي تُرجمت قدام المدينة، والأصح في مقدِّمة المدينة متاخمة للأبواب مباشرة. لأن الآلهة تعتبر حارسة للمدن. وكانت الثيران التي تقدَّم ذبائح يُلبسونها أكاليل حول رقبتها مصنوعة من الصوف المجدول كحيوانات تليق بذبيحة الإله. أمَّا الإله نفسه فكان يوضع له إكليل من الزهور.

---

(289)Bruce, I, p. 281.

(290)W.M. Calder.

(291)W.H. Buckler, all these names and books, cited by Bruce, II, pp. 291,292.

14:14و15 «فلمَّا سَمِعَ الرسولانِ بَرْنَابَا وبولُس مزَّقا ثيابَهُما واندفعَا إلى الجَمع صارخَيْنِ وقائِلَين أيَّها الرجالُ لماذا تفعَلُونَ هذا؟ نحنُ أيضاً بَشَرٌ تحتَ آلامٍ مِثلُكُم نُبشِّرُكُم أن ترجِعُوا مِنْ هذه الأباطيلِ إلى الإلهِ الحيِّ الذي خَلَقَ السَّمَاءَ والأرضَ والبحرَ وكُلَّ ما فيها».

«مزَّقا ثيابهما»:

هي علامة الفزع إزاء اتهامهما أنهما يقبلان تقديم الذبائح لهما وهذا تجديف ما بعده تجديف، فكل تجديف يلزم لليهودي لكي يظهر أنه يجحده ولا يشترك فيه أن يمزِّق ثيابه (وبالأخص الكهنة)، وفي الوقت نفسه شهادة على مَنْ يجدِّف أنه قد جدَّف (مر 14:63).

ويقول القديس أفرآم السرياني إنهم قدموا الثور المذبوح بالفعل لبولس وبرنابا مما حدا بهما إلى تمزيق ثيابهما(292).

«نحن أيضاً بشر تحت آلام مثلكم»:

المعنى الحقيقي هنا مخفي فكانت هذه الآية ينبغي أن تبرز المعنى الضمني وهو: «نحن بشر ولسنا آلهة» الأمر الذي جعلهم يمزقون ثيابهم إذ حسبوهم آلهة. وهذا يلمحه القارئ اللبيب في قوله: «نحن بشر مثلكم» أي نحن لسنا آلهة يُذبح لنا!!

«الأباطيل»:

هي لفظة مستخدمة لمفهوم عبادة الآلهة الصنمية الميتة التي لا ترى ولا تسمع ولا تتحرَّك، والتشديد على تعدُّد الآلهة هنا واضح، لذلك عاد يقول بضرورة العودة من عبادة هذه **الآلهة** إلى الإله الحي الواحد.

هنا كرازة ق. بولس الرسول إلى الأمم التي لم تعرف شيئاً عن العبادة اليهودية والإله الواحد الحي جعله يركِّز على المعرفة اللاهوتية الخاصة بالعهد القديم لليهود فقط ولم يتطرَّق إلى البشارة بالمسيح والإنجيل، فالتدرُّج هنا حتمي. أمَّا وصف الإله الواحد في العهد القديم فلم يخرج عمَّا وصفه ق. بولس هنا وهو أنه خالق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها. أمَّا بقية صفاته فتأتي في الآيتين القادمتين.

(292)Bruce, II, 292.

16:14و17 **«الذي في الأجيالِ الماضيةِ تَرَكَ جميعَ الأُممِ يسلكُونَ في طُرُقِهم. مع أنَّه لم يترُك نفسهُ بلا شاهِدٍ وهوَ يفعَلُ خيراً يُعطينَا مِنَ السَّماءِ أمطاراً وأزمِنَةً مُثمِرَةً ويملأُ قلوبَنَا طعاماً وسروراً».**

لماذا ترك الأجيال الماضية في الأمم يسلكون حسب هواهم؟ يرد ق. بولس الرسول على ذلك في الأصحاح الأول في الرسالة إلى أهل رومية، فيقول إن في كل بلد وقطر لم يترك الله نفسه لهم بلا شاهد، فالفلاسفة والحكماء أدركوا الله. كما أن السماء والأرض وكل قواتها تكشف عن الإله الذي خلقها. ولكن لمَّا عرفوا الله لم يمجدوه بل صنعوا أهواء قلوبهم ومشيئاتهم واستمرأوا الخطية فأسلمهم الله إلى ذهن مرفوض، ليفعلوا ما لا يليق، شأنهم شأن إسرائيل الذي لمَّا عرف الله لم يقدّسه لذلك أسلمهم إلى أعدائهم فازدادوا زيغاناً.

هكذا الله يعرِّف نفسه للإنسان من خلال عجائب ومعجزات الطبيعة، وصوته الخفيف في القلب والضمير، فإن أطاع وأظهر المخافة أعطاه البصيرة وسهَّل له طريق الإيمان مثل كرنيليوس العجيب ومثل الوزير خَصِيّ الملكة كنداكة. وإذ عاند وقاوم ولم يمجّد الله الذي عرفه سحقه مثل الفرعون ملك مصر.

وهذا المفهوم في وضعه هنا كرره ق. بولس الرسول لأهل أثينا:

+ «كما قال بعض شعرائكم أيضاً: لأننا أيضاً **ذريته.** فإذ نحن ذرية الله، لا ينبغي أن نظن أن اللاهوت شبيه بذهب أو فضة أو حجر نقش صناعة واختراع إنسان. فالله الآن يأمر جميع الناس في كل مكان أن يتوبوا، **متغاضياً عن أزمنة الجهل.** لأنه أقام يوماً هو مزمع فيه أن يدين المسكونة بالعدل.» (أع 17: 28-31)

وبولس الرسول اعتبر أن كل الأزمنة السابقة لتجسد ابن الله هي أزمنة جهل الأمم.

«مع أنه لم يترك نفسه بلا شاهد وهو يفعل خيراً»:

مَنْ يدرس عقائد الأديان القديمة سواء في مصر أو بابل أو غيرها، يدرك أن الإنسان أُعطي بصيرة على قدر تدرُّجه في الفهم والمعرفة عن الله. كذلك لو نظر الإنسان البدائي إلى السماء والبحار والمياه وتعاقب الفصول لترتيب الأثمار، لأدرك الله وسط هذه الخيرات، لأن الله يُعرف بالخير الذي يعطيه، لأن كل ما خلقه الله خلقه للخير لو أحسن الإنسان الرؤيا. هذه كلها تقف معاً موقف الشاهد لوجود الله وخيريته. ولكن العنصر الأشد في استعلان الله هو في الإنسان الذي يُدرك هذا الخير ويشكر عليه فإنه يزداد له كقضية مسلّمة منذ البدء دون النظر إلى مستوى عبادته

أو معرفته في الأحقاب الأولى. فإبراهيم أدرك الله لأنه كان رجلاً كاملاً يخاف الله: «سر أمامي وكن كاملاً» (تك 1:17). فإبراهيم استعلن الله قبل أن يعلن الله نفسه له. كذلك الأمر مع أيوب.

فإن كان الله قد قرر أنه تغاضى عن أزمنة الجهل فهذا هو عينه بصيص النور من بين ثنايا قتام الظلام!!

هذا هو جوهر التعليم لبولس الرسول تجاه الأمم سواء في لسترة أو أثينا.

الرسول يتكلَّم هنا مع وثنيين لم يدركوا بعد مسرَّة الله والإيمان وفرح النعمة، حيث المسرَّة عندهم هي في الخيرات الزمنية التي تملأ القلب سروراً. فالطعام عند الوثنيين هو مسرَّة القلب لأن ليس لديهم مسرَّة الروح.

18:14 «وبقولِهما هذا كفَّا الجموعَ بالجَهدِ عن أن يذبَحُوا لَهُما».

واضح أن الجماعة كانت في أقصى حماسها.

وجهاد برنابا وبولس لإقناعهم كان هاماً حتى لا يقعا في التجديف إن هم ذبحوا لهما. لذلك استماتا وبذلا أقصى جهدهما في إقناعهم أن يكفُّوا، حتى كفُّوا.

بولس رُجِم في لسترة حتى إغماءة الموت ولكن الله نجَّى:

19:14و20 «ثم أتىَ يهُودٌ مِنْ أنطاكية وإيقونيّة وأقنَعُوا الجمُوعَ فرَجَمُوا بُولُسَ وجَرُّوهُ خارجَ المدينَةِ ظانِّينَ أنَّهُ قد ماتَ. ولكن إذ أحاطَ بهِ التلاميذُ قامَ ودَخَلَ المدينةَ وفي الغَدِ خَرَجَ مع بَرنَابَا إلى دَربَة».

يبدو أن المصادر التي يستقي منها ق. لوقا روايته هنا صارت شحيحة للغاية لأنه توجد نسخة (غربية) تقول: «وبينما هم يقضون بعض الوقت هناك ويعلّمون جاء بعض اليهود من إيقونية وأنطاكية ...» أمَّا كيف ابتدأت هذه المؤامرة وكيف وقع ق. بولس فلم يكن لدى ق. لوقا مصدر يحكي كشاهد عيان سوى ق. تيموثاوس الذي من هذه المدينة.

ويبدو لنا أن مآسي هذه الرحلة ظلت عالقة في ذهن الرسول بل وفي جسمه: «لأني حامل في جسدي سمات الرب يسوع.» (غل 17:6)

ولكن من جهة أخرى نعتقد أن ق. بولس عندما دخل في إغماءة الموت، أُخذت روحه إلى السماء الثالثة، ورأى ما رأى مِنْ أمجاد سماوية يقصر اللسان والفم أن يحيط بها، وكما يقول هو: «لا يسوغ لإنسان أن يتكلَّم بها.» (2كو 4:12)

لذلك قال: «أفي الجسد أم خارج الجسد لست أعلم. الله يعلم» (2كو 3:12). وبحسب ما يقول بعض الدارسين لحركة الروح أثناء الموت وبعده أن الروح يمكن أن ترتفع إلى السماء وتعود ويُحفظ الجسد حتى تدخله وتجيء الروح ومعها معلومات عن العالم الآخر ولكن في غموض شديد (2كو 4:12).

ولمَّا احتاط به التلاميذ بعد أن جروه خارج المدينة باعتباره أنه قد مات، قام، فيبدو أنهم صلوا بلجاجة أن يعيد الله روحه فأعادها.

والمعجزة هنا واضحة لأن عملية الرجم والوقوع على الأرض وكيف جروه على الأرض جرًّا، حينما يفيق الإنسان منها لا يعود إلى صحته إلاَّ بعد شهور من النقاهة لأنه بلغ حد الموت فعلاً، ولكنه قال: «وفي الغد خرج مع برنابا إلى دربة» (أع 20:14)، أي سافر على رجليه ليبشِّر!! هذا عجبٌ، هذا هو الإنسان المحمول على نعمة الله!

+ «الذي نجَّانا من موت مثل هذا وهو ينجِّي. الذي لنا رجاء فيه أنه سينجِّي أيضاً فيما بعد.» (2كو 10:1)

21:14و22 «فبشَّرا في تلكَ المدينَةِ وتلمذَا كثيرينَ، ثُمَّ رجعَا إلى لِسترةَ وإيقُونِيَة وأنطاكية يشدِّدانِ أنفُسَ التلاميذِ ويَعِظانِهِم أنْ يثبُتُوا في الإيمانِ وأنَّهُ بضيقاتٍ كثيرةٍ ينبغي أنْ نَدخُلَ ملكُوتَ الله».

أمَّا ذهابهما إلى دربة فهذا ضمن خطة الكرازة التي وضعا تصميمها وفعلاً أقاما كنيسة هناك إذ تلمذا مسيحيين كثيرين.

ولكن الأمر الذي يتعجب له من جهة شجاعة وبأس هذا الرسول أن يعود مرَّة أخرى ليفتقد مَنْ قبلوا الإيمان على يديه في المدينة التي طردوه منها باحتقار، وإن كان المسيح قد قال: «ومتى طردوكم في هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى» (مت 23:10)، ولكن ق. بولس يعود ثانية إلى المدينة التي طردوه منها بعنف وتهديد القتل. إذاً، فهذه شجاعة روحية وأدبية لأن هذا تحدٍّ لقوى الشر ما بعده تحدٍّ واستهتار بالموت أقصى ما يكون الاستهتار. لأن لسترة وإيقونية وأنطاكية

بيسيدية كان لبولس أعداء يضمرون له العداء الشديد حتى الموت، ولكنه لم يَخَفْ من التهديد المبيَّت له بل كان ناظراً إلى منفعة مَنْ سلَّمهم الإيمان، إذ كان يسعى لتثبيتهم غير ناظر إلى الموت المتربص به. فالظروف الصعبة التي أحاطت به في هذه المدن الثلاث من جراء تعصُّب اليهود هي بعينها التي دفعته للذهاب حتى يفتقد تلاميذه ليثبتوا في هذا الجو الملتهب بالتعصُّب ويشهدوا الشهادة الحسنة.

لقد صحَّ له أن يقول: «أكمِّل نقائص شدائد المسيح في جسمي» (كو 24:1)، لأن هذا ليس احتمال للآلام بعد بل سعي وراءها.

لذلك حينما نسمع ق. بولس يقول: «أنه بضيقات كثيرة **ينبغي** أن ندخل ملكوت الله» يهمنا أن نفهمها على أصلها اللغوي السليم، فالكلمة «**ينبغي**» جاءت ترجمة للكلمة j©m¹ de‹، وقد تُرجمت إلى الإنجليزية بترجمتين الأولى أنه "**يليق بنا It behoves us**" والثانية "**يتحتَّم علينا must**"، ومن الترجمتين نفهم المعنى الحقيقي وهو أننا لا نهرب من الآلام بل نسعى إليها ونطلبها ونفرح بها، بل ونتنعَّم بها لأنها طريق جيد للملكوت مزيَّن بصليب المسيح. اسمع المسيح وهو يقول: «لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة» (يو 27:12). لقد سعى وانحدر إليها من عظمة ملكه وسلطانه، من الحضن الأبوي نزل ليحمل الصليب، ومن أمجاد السموات وتسابيح العلا انحدر لتبكي عليه بنات أورشليم وهو حامل خشبة العار!!

+ «الآن **أفرح في آلامي** لأجلكم.» (كو 24:1)

+ «أنتم الذين **قبلتم سلب أموالكم بفرح.**» (عب 34:10)

+ «**احسبوه كل فرح يا إخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة.**» (يع 2:1)

واضح أن السائرين في طريق الملكوت هم الذين يحوِّلون الضيق فرحاً ومن الخسارة وسلب الأموال يجدون مصدراً للشكر والفرح. هذا هو سر الملكوت والسائرين فيه.

وقد قالها ق. بولس الرسول بوضع آخر في مكان آخر حينما كان يخاطب جماعة أهل تسالونيكي الذين كانوا يجوزون اضطهاداً وضيقاً شديداً فقال لهم:

+ «من أجل صبركم وإيمانكم في جميع اضطهاداتكم والضيقات التي تحتملونها **بيِّنة على قضاء الله العادل أنكم تؤهلون لملكوت الله الذي لأجله تتألمون أيضاً.**» (2تس 1: 4و5)

بل ويعبِّر ق. بولس عن هذه الحقيقة بقول آخر: «إن كنَّا نتألَّم معه لكي نتمجَّد أيضاً معه» (رو 7:18). لاحِظ هنا كلمة «لكي» فنحن نتألَّم بالإرادة سعياً لشركة الراحة العليا. إذاً، فهو سعي نحو الآلام وترقب!!

وإن بلغت الآلام حد الموت فيا نعيمنا: «صادقة هي الكلمة أنه إن كنَّا قد متنا معه فسنحيا أيضاً معه، إن كنَّا نصبر فسنملك أيضاً معه.» (2تي 2: 11و12)

إن سرّ الألم في المسيحية هو بعينه سر الخلاص والمجد.

23:14 «وانتخبَا لهُمْ قسُوساً في كُلِّ كنيسةٍ ثمَّ صَلَّيَا بأصوامٍ واستودَعَاهُم للرَّبِّ الذي كانُوا قد آمنُوا بهِ».

لاحِظ هنا انتخاب القسوس لم يكن لا بالقرعة ولا بالاختيار، بل بصوم وصلاة خاصة وطويلة ربما طول الليل ليختار الروح القدس من بين المتقدمين مَنْ هو لائق لهذه الخدمة، لأن المُنتخِبين كُلّهم حديثو الإيمان فكان الاعتماد الكلي على الروح القدس وعلى خبرة الأشخاص، لأنهم كانوا يختارونهم من كبار السن المشهود لهم بالسيرة الفاضلة.

وعلينا أن ننتبه جداً إلى ضم الصوم مع الصلاة كما حدث يوم اختيار برنابا وشاول (أع 13: 2و3)، فيكاد في الكنيسة الأولى أن لا نعتبر الصلاة صلاة مقبولة وذات استجابة إن لم يقترن بها صوم. والصوم في الكنيسة الأولى كان على مستوى أصوام العهد القديم لا يذاق فيها الطعام إلاّ بعد الغروب أي يطوى اليوم كله دون طعام أو شراب.

فبعدما اختار الروح القدس مَنْ اختار، اطمأن الرسولان واستودعا القسوس والشعب في يد الرب الذي آمنوا به وهم واثقون أن الكنيسة ستسير في خوف الله تمتد وتُبنى.

24:14و25 «ولمَّا اجتازَا في بيسِيدِيَّة أتيَا إلى بَمفيليَّة. وتكلَّمَا بالكلمةِ في بَرْجَة ثُمَّ نَزَلاَ إلى أتاليَة».

لاحِظ هنا خط سير العودة الذي بدأ من دربة إلى لسترة إلى ليكاؤنية إلى أنطاكية ببسيدية إلى بمفيلية ثم برجة ثم أتالية. (انظر الخريطة التالية):

خريطة

ولو أنهما اجتازا في كل المدن التي زاراها أولاً ووعظا أهلها وطُردا منها، إلاَّ أنهما وبدون اكتراث بما حلَّ بهما عادا إليها ثانياً واجتازاها ولكن من خط سير موازي حتى وصلا إلى ميناء أتالية الذي يُدعى الآن أنتاليا Attalia. وأتالية هي الوحيدة التي لم يزوراها في مجيئهما ولكنهما أخذا منها السفينة عبر البحر إلى أنطاكية في العودة. وأتالية واقعة على مصب نهر مدعو كتاراكتس Catarrhactes وهي التي بناها أتالس فيلادلفس ملك برغامس وهي لا تزال الآن ميناءً ذو شأن من جهة التجارة.

26:14 «ومِنْ هناكَ سافَرَا في البحرِ إلى أنطاكيَة حيثُ كانا قد أُسلِمَا إلى نعمَةِ اللهِ للعمَلِ الذي أكملاَهُ».

وهكذا ألقيا عصا الترحال في المدينة التي انطلقا منها مدعوين بنعمة الله لهذه الرحلة الرسولية الكرازية الأولى الممتعة. وبحساب العلماء المتخصصين فإن هذه الرحلة استغرقت ثلاثة شهور، وبعضهم يقول بل سنة كاملة والتي فيها زارا على التوالي كما يذكر القارئ سلاميس وبافوس في جزيرة قبرص، ثم برجة وأنطاكية بيسيدية وإيقونية، ثم لسترة ودربة وأتالية. وهذه المدن في ثلاث مقاطعات كبرى في أسِيَّا الصغرى وهي بمفيلية وبيسيدية وليكأونية.

فكانت أول أقدام بشارة مفرحة لهذه المدن الوثنية التي تحصَّنت فيها الآلهة الكاذبة وأقامت فيها هياكل للشيطان ومذابح وذبائح وطقوس داعرة أفسدت من هذه الشعوب أجيالاً وراء أجيال، إلى أن دخلت شعلة النور وأضاءت ظلمات العصور السالفة وارتفع اسم المسيح في القلوب التي تقدَّست هياكل ومذابح طاهرة لاسمه القدوس.

27:14و28 «ولمَّا حَضَرَا وجَمَعَا الكنيسة أخبرَا بكُلِّ ما صَنَعَ اللهُ معهُمَا وأنَّهُ فتحَ للأُممِ بابَ الإيمانِ. وأقاما هُناكَ زماناً ليسَ بقليلٍ مع التلاميذِ».

ربما يذكر القارئ أن هذه الرحلة وهذين الرسولين قد تعيَّنا بعد أصوام وصلوات من مؤمني أنطاكية وأنبيائها ومعلِّميها وذلك بإرشاد الروح القدس الذي قال:

+ «افرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه.» (أع 2:13)

لهذا عندما حضر هذان السفيران فوق العادة، طار الخبر في المدينة كُلِّها، فاجتمعت في الكنيسة وبدأوا يسمعون أعجب قصة وقعت على أسماعهم، كيف قبل الأمم الإيمان بالمسيح وأُقيمت

الكنائس وتعيَّن القسوس وانفتح باب الإيمان للوثنيين.

إنها قصة تضارع قصة خروج إسرائيل من عبودية فرعون مصر، فهي انعتاق من سلطان الظلمة وسخرة الشيطان لشعوب وبلاد.

ويقول العلماء أيضاً إن ق. بولس بقي في أنطاكية يعلّم ويكرز سنة كاملة.

الأصحاح الخامس عشر

مجمع كنسي رسولي في أورشليم سنة 49م.
كان أول مجمع رسولي للكنيسة في التاريخ
[15:1-29]

أول مجمع كنسي رسولي في أُورشليم سنة 49م

الأسباب التي حتَّمت بالتئام المجمع:

كان دخول الأُمم مع المؤمنين الأوائل من اليهود الذين دخلوا الإيمان المسيحي ولهم تراث وميراث عريض من الطقوس اليهودية والناموس بوصاياه التي لا تنتهي من جهة الطاهر والنجس ومعاملة الأُمم باعتبارهم أنجاس كحقيقة ناموسية، هو الذي حتَّم بالتئام أول مجمع في الكنيسة بواسطة الرسل القديسين حينما تعذَّر إعطاء الحلول للمشاكل اليومية التي واجهت الرسل أنفسهم. لذلك فأول مجمع للكنيسة كان بحكم الواقع الزمني والتقدمي للكنيسة بسبب دخول عنصر الأُمم بصورة كبيرة وطاغية.

ولكن كان قد سبق أن واجه المجمع اليهودي مثل هذه المشاكل دون عناء يُذكر على مدى العصور السالفة، فمنذ خروج شعب إسرائيل من مصر دخل في الشعب اليهودي عنصر أممي فرعوني أراد أن يتهوَّد ويعبد الرب، وكانوا يدعون في البداية "باللفيف" « وصعد معهم **لفيف** = (™p…miktoj = Company) كثيرٌ أيضاً مع غنم وبقر ومواشٍ وافرة جداً» (خر 38:12)، الذين دخلوا مع شعب إسرائيل في العبادة بعد تختينهم (خر 48:12) وحفظهم الناموس، ودعوا بالدخلاء البروزيليت، (باليوناني = pros»lutoi).

«والرومانيون المستوطنون يهود **ودخلاء.**» (أع 10:2)

لذلك كان انطباع الفكر اليهودي **المتعصِّب** حتى بعد الإيمان بالمسيح أن الدخيل من الأُمم يتحتَّم ختانته ليدخل مع شعب الله في عهد إبراهيم، لأنهم لم يكونوا قد بلغوا بعد حد إدراك أن العهد الجديد قد ألغى العهد القديم ـ عهد الختانة مع إبراهيم ـ وذلك بالعماد الذي هو **خلع** الإنسان العتيق بجملته وليس خلع غرلة عضو في الجسد وحسب، ذلك تمهيداً للبس الإنسان الجديد في كل شيء لميراث السماء وليس الأرضيات.

والقارئ الباحث يدرك مدى اهتمام القديس لوقا في التسجيل لمجمع أُورشليم هذا، سواء بالإعداد الفكري أو التدقيق في التئامه وختامه ونتائجه. كذلك نرى بكل وضوح أن ق. لوقا وضع حادثة تجديد ق. بولس ودخوله الإيمان، ثم تجديد كرنيليوس على يد القديس بطرس وقبوله الإيمان، على مستوى هذا المجمع في الاهتمام، وذلك من جهة تأثيره المباشر على حركة دخول الأمم

ونمو الكنيسة بالرغم من الصراعات التي ظلت باقية حتى بعد هذا المجمع. ولكن علينا أن ننتبه جداً أن التعصب الشديد كان مركزه في أُورشليم أكثر من أي جهة أخرى للنشاط الناموسي والتدقيق في طقوس العبادة الحرفية: حفظاً وأداءً. فالمجمع كان يغصّ بالمعلمين الذين لا عمل لهم إلاّ الإعلاء من حرف الناموس في التوراة.

كما ينبغي أن نلتفت أن أول مَنْ تلقّن درساً **من الله** من جهة أنه لا يوجد إنسان ما دنس أو نجس حتى بين الأمم هو ق. بطرس الرسول، الذي جاهر بهذا التعليم بل ومارسه مع كرنيليوس، إذ **لم يطلب ق. بطرس ختانة كرنيليوس بعد إيمانه أو قبله ولا حتى استحسنها له**، وهذا كان دليلاً كافياً على اعتقاد ق. بطرس أن بالإيمان بالمسيح قد تطهَّر كرنيليوس جسداً وقلباً: «طهَّر بالإيمان قلوبهم.» (أع 9:15)

كذلك فإنه عندما لاحظ ق. بطرس أن الروح القدس حلَّ على كرنيليوس وأهل بيته جميعاً بدون أي صلاة أو وضع يد، بل وقبل العماد، أدرك الدرس الأول والأعظم الذي صار للكنيسة كلها بدون أي فارق. وقد أعلن ذلك ق. بطرس الرسول جهاراً أمام المجمع:

+ «والله العارف القلوب شهد لهم معطياً لهم الروح القدس كما لنا أيضاً (كرنيليوس وأهل بيته قبل العماد). ولم يميِّز بيننا وبينهم بشيء إذ طهَّر بالإيمان قلوبهم.» (أع 15: 8و9)

والشيء الجديد في معرفتنا أن اليهود أنفسهم في الزمن الأخير وخصوصاً الأحرار أو المتحررين العائشين في الشتات، كان قد ضعف عندهم موضوع ضرورة الختان نوعاً ما. ولكن نسمع من فيلو اليهودي ـ وكان يمثل التحرر اليهودي المتقدم ـ مقدار تمسّكه بالختان، فينقد بشدة أولئك اليهود الذين يتخلون عن قوانين العبادة الحرفية بحجة أنه يكفي ممارسة معناها الروحي[293].

وهذا الاعتراض عينه كان هو الصوت السائد في المجمع وعند الرؤساء.

وبناءً على هذا الوضع على المستوى اليهودي الصرف نجد أن الذين آمنوا منهم بالمسيح من الذين في الشتات لم يكن لديهم أي تعصُّب ضد الأمم الذين قبلوا الإيمان المسيحي ولم يلزموهم بالختان. أمَّا الذين تعصَّبوا وقاوموا فمعظمهم كان من القادمين من أورشليم، الذين كانوا يندسون وسط المسيحيين من أهل الشتات ويثيرون مشكلة الختان كما نقرأ في الآية الأولى من هذا الأصحاح الخامس عشر: «وانحدر قومٌ من اليهودية، وجعلوا

(293) Philo., *Migr. of Abr*. 89-94, Cited by Bruce, I p. 287.

يعلّمون الإخوة أنه إن لم تختتنوا

حسب عادة موسى، لا يمكنكم أن تخلصوا.» وكذلك في رسالة غلاطية:

+ «ولكن بسبب الإخوة الكذبة (يهود مسيحيون ليس عن صحة) المُدخَلين خفيةً الذين دخلوا اختلاساً **ليتجسَّسوا حريتنا التي لنا في المسيح لكي يستعبدونا. الذين لم نذعن لهم** بالخضوع ولا ساعة ليبقى عندكم حق الإنجيل.» (غل 2: 4و5)
+ «ولكن لمَّا أتى بطرس إلى أنطاكية قاومته مواجهة، لأنه كان ملوماً. لأنه قبلما أتى **قومٌ من عند يعقوب** (يهودٌ مسيحيون من أُورشليم) **كان يأكل مع الأُمم، ولكن لمَّا أتوا كان يؤخر ويفرز نفسه، خائفاً من الذين هم من الختان** (يهود مسيحيون متعصبون للناموس).» (غل 2: 11و12)

من هنا يدرك القارئ مدى أهمية أن يُصَفَّى هذا الموضوع المقلق قبل أن يستفحل ويعجِّل بانقسام الكنيسة ويربك الكرازة ويشلها بين الأُمم.

وكانت قد بدت بوادر الانقسام تطل بأذنيها على يد ق. بطرس نفسه أكبر الرسل وذلك بين كنيسة أُورشليم وكنيسة أنطاكية.

ولكي ينتبه القارئ إلى خطورة الحركة التي قام بها ق. بطرس في أنطاكية (غل 2: 11-14) فالذي حدث هو أن ق. بطرس كان يتناول من جسد الرب ودمه مع الأُمم المتنصرين ومع ق. بولس على مائدة الرب الواحدة، ولكن لمَّا جاء اليهود المتنصرون المتعصبون من أُورشليم أفرز ق. بطرس نفسه ولم يعد يتناول مع أهل كنيسة أنطاكية، بل أفرز نفسه وبدأ يتناول مع يهود أُورشليم المتنصرين، انظر وتعجَّب واندهل. لقد انقسمت المائدة المقدَّسة وبالتالي انقسم المسيح الواحد. من هنا لا تعجب حينما تسمع من ق. بولس أنه «قاومه لأنه كان ملوماً.» (غل 2:11)

وقد نجح ق. بولس الرسول في رد ق. بطرس إلى السلوك المسيحي الصحيح، لأننا نسمع بعد ذلك ما قاله ق. بطرس داخل المجمع وهو يدافع عن خلاص الأُمم الذين قبلوا الإنجيل وآمنوا واعتمدوا، فوقف بطرس وقال: «بنعمة الرب يسوع المسيح نؤمن أن نخلص كما أولئك أيضاً.» (أع 15:11)

وهنا يلزم أن نوضِّح أن ق. بولس الرسول كتب الرسالة إلى أهل غلاطية ـ (المذكور فيها ذلك) ـ قبل أن يذهب مع ق. برنابا إلى أُورشليم لحضور المجمع المذكور في سفر الأعمال الأصحاح الخامس عشر.

بل وإن سبب انعقاد المجمع هذا هو هؤلاء المتنصرون الذين حضروا من أُورشليم ليتجسَّسوا على اليهود المسيحيين في أنطاكية وكانوا مشاكسين إلى أقصى حد، حتى أن ق. بطرس نفسه لمَّا كان في أنطاكية خاف منهم وراءَى بانضمامه إليهم علناً: «لأنه قبلما أتى قوم من عند يعقوب ـ (يهود متنصرون متعصبون للختان وحفظ الناموس) ـ كان يأكل مع الأمم ـ (أي يتناول على المائدة المقدَّسة) ـ ولكن لمَّا أتوا كان يؤخر ويفرز نفسه خائفاً من الذين هم من الختان.» (غل 2:12)

إذاً، فالمسألة كانت قد بلغت حد تحدي الرسل وتخويفهم، حتى أن برنابا الرسول الحر الصالح الشجاع الكارز للأمم خاف أيضاً وراءَى خلف بطرس لأن الرعبة أخذته، انظر وافهم، ومن هنا كانت حركة ق. بولس الشجاعة ومقاومته لبطرس، ثم انقضاضه على الرسل في عقر دارهم في أُورشليم مثيراً هذه القضية وواضعاً في الميزان مقابل ترددهم، ثقل نجاحه المذهل في كرازته للأمم وإقامة الكنائس العديدة ودخول ألوف الأمم إلى الإيمان، الأمر الذي انصاع له يعقوب أخيراً.

والمسألة في عمقها لم تكن عدم الأكل على مائدة واحدة بل تعدَّت ذلك إلى الامتناع بتاتاً عن كل مخالطة اجتماعية مع المسيحيين من الأمم، فلا سلام ولا تعامل ولا عمل ولا خدمة، فقد كانت رجعة إلى نفس الوضع اليهودي بالنسبة للأمم غير المختونين الكلاب الأنجاس، فعدم الأكل من الإفخارستيا الواحدة جاء في النهاية كتحصيل حاصل.

وفي الحقيقة إن العمل الخطير الذي عمله القديس بطرس الرسول مدفوعاً بخوفه من مشاكسة هؤلاء اليهود المناكيد الجواسيس، كان أخطر إسفين بدأ الشيطان يدقه في جسم الكنيسة الواحدة، الذي كان كفيلاً بعد قليل أن يستظهر هذا العنصر الشرير ويقسم الكنيسة إلى أطهار وأنجاس أو كنيسة يهود مطهَّرين وكنيسة أُمم منجَّسين.

لذلك الآن ندرك تمام الإدراك لماذا أقام المسيح له المجد هذا الرسول الجديد بولس غير المنتمي أصلاً لجماعة الرسل، ورسمه سرًّا بعيداً عن أُورشليم بل في أنطاكية نفسها وبيد جماعة أنبياء قديسين وليس بيد رسول. فقد جاءت الساعة الخطيرة التي وضع المسيح على كاهل هذا الرسول الجديد أن يصحح مسار الرسل الاثنى عشر لحساب الأمم والعالم كله. وكم نحن والعالم كله مديونون لهذه الساعة الحرجة ولشجاعة هذا الرسول البديع.

وإن ذكرنا ق. بولس هذا بهذه الشجاعة والرؤية الصافية والقطع بكلمة الحق بسيفه ذي الحدين، فلا يمكن إلاَّ أن نذكر ق. بطرس أيضاً. فكما رجع ق. بطرس عن إنكاره لسيده وخضع

وأحب، هكذا رجع ق. بطرس بعد مقاومة ق. بولس له وأدرك الحق وأدرك الخطورة التي انزلق فيها. فعلى كاهله وبشجاعته المذهلة وقف في المجمع كأول المتكلمين لكي يضيِّع على يعقوب ـ رئيس الكنيسة والمجمع بلا نزاع ـ الفرصة للرئاسة وافتتح الجلسة بشهادة مسنودة بدعوة سماوية وتعضيد الروح القدس وعمل النعمة أن الله دعا الأُمم للخلاص، وهو نفس الخلاص الذي دعوا هم إليه، بل وحلّ عليهم الروح القدس جهاراً من السماء وبدون وضع اليد وبدون معمودية كما حلَّ على الرسل رأساً من السماء سواءً بسواء، وأن الله طهَّر قلوبهم بالإيمان! يا لها من شهادة هتفت لها السماء.

وهكذا سند ق. بطرس بولس الرسول في دعوته التي دعاه الله إليها وكان لشهادته الكلمة الفصل، إذ أخذ بها المجمع وأقرَّها.

القضية، الجلسة، المتكلّمون، القرارات

استهلال: الأسباب:

1:15 **«وانحدرَ قومٌ مِنَ اليهوديَّةِ وجَعَلُوا يُعلّمونَ الإخوةَ أنَّه إن لَمْ تختَتِنُوا حَسَبَ عادَةِ موسَى لا يُمكِنُكُم أنْ تَخلُصُوا».**

لكي نأخذ فكرة واضحة صحيحة عن هؤلاء القوم اليهود أي الذين من اليهودية نقرأ عنهم في الأصحاح 21 هكذا:

+ «وقالوا له (الرسل لبولس) أنتَ ترى أيها الأخ كم يوجد ربوة من اليهود (10000) الذين آمنوا وهم جميعاً غيورون للناموس.» (أع 20:21)

هذا ما قاله الرسل لبولس في آخر رحلة له لأورشليم التي حدثت فيها أعمال الشغب، والتي سُجن فيها ق. بولس وبسببها لم يخرج من السجن إلاَّ ليواجه نيرون في روما، أي إلى منتهى حياته. إذن، فهؤلاء القوم ظلُّوا يقاومون ق. بولس وتعاليمه حتى آخر لحظة فكانوا ثقلاً على نفسه وعلى كرازته وعلى كتاباته. ولكن شكراً لهذا الثقل الذي ولَّد في ق. بولس أحر وأعمق وأقوى دفاع عن المسيحية ضد اليهودية والختان والناموس.

ويُلاحِظ القارئ كيف يستطيع هؤلاء القوم الغيورون المفسدون أن يخلطوا بين الضدين ويجمعوا النقيضين ليفسدوا الحق فيهما كليهما، الختانة والغرلة، والخلاص مع الناموس.

ولكي تفهم أيها القارئ العزيز استحالة الخلط والجمع بينهما نقول إن الختانة ـ قطع الغرلة من عضو الذكر في الرجل ـ بسكين ـ كانت إشارة ورمزاً لقطع النجاسة من كيان الإنسان، أمَّا الخلاص فهو بخلع جسم الخطايا كله بالمعمودية ـ بالروح القدس ـ في المسيح. فكيف نقطع الغرلة أي نجري الختانة في كيان إنسان قد تطهَّر كله بالروح وصار إنساناً جديداً في المسيح:

+ «(الإنسان) المولود من الجسد جسد هو، و(الإنسان) المولود من الروح هو روح.» (يو 6:3)

إذن، فهؤلاء اليهود المتنصرون فاسدو الذهن، فاسدو الإيمان، مشاغبون لا يُحسبون يهوداً ولا يُحسبون مسيحيين.

ولكي نربط الحوادث معاً، وبحسب بعض العلماء مثل و.ل. نوكس(294)، فإن المجمع الذي عُمل في أُورشليم جاء نتيجة مباشرة للأحداث التي حدثت في أنطاكية وقت ما كان ق. بطرس الرسول موجوداً هناك. لأن بعد ذهاب ق. بطرس من أنطاكية استفحل أمر هؤلاء القوم الغيورين على الناموس والختان بدرجة هددت العبادة كلها بالتوقف، لأن الأمر كما سبق وقلنا في المقدِّمة لم يقتصر على التفريق في الجلوس أمام مائدة الرب بل إلى كل المعاملات الاجتماعية. وزادت حدة المناقشات حتى أصبحت الحالة تستوجب حسم الأمور من الكنيسة المجتمعة في أورشليم.

لأن امتناع ق. بطرس الرسول من الأكل على مائدة الأُمم كان بمثابة اعتراف عملي بعدم أهليتهم لمعاشرة اليهود المتنصرين، وذلك طبعاً هو بسبب عدم الختانة حتى وإن كان ق. بطرس الرسول لم يصرِّح بذلك، ولكن سلوكه العملي حكم بنجاسة الأُمم المؤمنين والمعتمدين! كان هذا العمل هو الشرارة التي أوقد بها هؤلاء الغيورون اللهب في جسم الكنيسة.

وهذا الأمر لم ينحصر في كنيسة أنطاكية، بل إن هؤلاء الغيورين عبروا الحدود إلى أسيَّا وانتشروا في الكنائس التي كان قد أسسها ق. بولس وبرنابا في إقليم غلاطية وهي دربة ولسترة وإيقونية وأنطاكية بيسيدية، وهم الذين حاولوا رجم ق. بولس بل ورجموه

(294) W.L. Knox, *The Acts of the Apostles* (Cambridge, 1948) pp. 2. ff, 100 ft.

ولكنه قام. مما حدا بالقديس بولس بعد ما حدث في أنطاكية سوريا أن يعجِّل ويرسل رسالة إلى غلاطية، أي لكل كنائس إقليم غلاطية (لأنه لا توجد مدينة باسم غلاطية). وكان تاريخ هذه الرسالة قبل نزول ق.

بولس وبرنابا إلى أُورشليم لحضور المجمع بعدما وافته الأخبار بما صنعه هؤلاء الغيورون هناك، وكيف نجحوا في إفساد إيمان أهل غلاطية وخضوعهم لعملية الختان وحفظ الناموس، وهذا واضح من الرسالة وفي استهلالها إذ يقول ما يقول:

+ «إني أتعجَّب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر. ليس هو آخر غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحوِّلوا إنجيل المسيح» (غل 1: 6و7)؛

+ ثم «أيها الغلاطيون الأغبياء مَنْ رقاكم (سحركم بعمل رقية) حتى لا تذعنوا للحق» (غل 1:3)؛

+ ثم «أهكذا أنتم أغبياء! أبعدما ابتدأتم بالروح (العماد) تُكَمَّلون الآن بالجسد؟» (غل 3:3)؛

+ ثم «ها أنا بولس أقول لكم إنه إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئاً» (غل 2:5)؛

+ ثم «قد تبطَّلتم عن المسيح أيها الذين تتبرَّرون بالناموس» (غل 4:5)؛

+ ثم «لأنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الإيمان العامل بالمحبة.» (غل 6:5)

إذاً، فالحركة لم تكن محلية مقصورة على كنيسة، بل اتسعت وصارت على وشك العبور إلى كل الكنائس البعيدة خارج أُورشليم. وكانت قادرة على الإقناع والتأثير، ففي مدة يسيرة قلبت إيمان عدة كنائس في إقليم غلاطية: «تنتقلون هكذا سريعاً.» (غل 6:1)

وهذا يعني أنها كانت حركة مقاومة منظمة ومدفوعاً لها بقصد هدم عملية الإيمان المسيحي بين الأمم وتحويلها إلى حركة يهودية. من هنا يظهر مدى أهمية هذا المجمع في تاريخ الإيمان المسيحي والكنيسة كلها، كذلك مدى القوة والسلطان اللذين كانا لازمين لصد هذا التيار وللوقوف ضد هذه الحركة ذات الدفع المنظَّم، التي بدأت من جماعة الفريسيين الذين آمنوا بالمسيح وبالقيامة من الأموات وبأنه هو المسيَّا، ولكن ظلوا متمسكين بمؤهلاتهم اليهودية وتدقيقاتهم من جهة أوامر الناموس وأخصها الختانة. لذلك كانوا شديدي البأس في المقاومة بل وشديدي القوة في الإقناع بأهمية الختان وضرورة الخضوع لوصايا الناموس.

2:15 «فلمَّا حَصَلَ لبُولُس وبَرنَابَا مُنَازَعَةٌ ومباحَثةٌ ليست بقليلةٍ معهُمْ رتَّبُوا أن يصعَدَ بولُس وبَرنَابَا وأناسٌ آخرُونَ منهُم إلى الرَّسُلِ والمشَايخ إلى أُورشليمَ مِنْ أجلِ هذهِ المسألةِ».

نحن نذكر أن بعودة بولس وبرنابا من رحلتهما الأولى يقول الراوي أنهما مكثا في أنطاكية: «وأقاما هناك زماناً ليس بقليل مع التلاميذ» (أع 28:14)، وقدَّرها بعض العلماء بسنة واحدة تقريباً. وهي هنا نفس المدة التي يقول عنها أنها تخللها «منازعة ومباحثة ليست بقليلة» وهي مدة

ليست فعلاً قليلة أن يظل بولس يحاجج هؤلاء اليهود الغيورين على الناموس من جهة بطلان الختان في ظل المعمودية وحلول الروح القدس للتقديس والتطهير بل والتبرير أيضاً سنة كاملة. كم من الليالي ضاعت على الكنيسة في مثل هذه المنازعات والمباحثات بلا طائل.

ولكن لمَّا رأى المسئولون عن الكنيسة في أنطاكية أن هؤلاء القوم لن يكفوا عن عنادهم وبلبلة المؤمنين بتعليمهم السقيم، بل إن سطوتهم تزداد وبالفعل أخذ يتبعهم بعض المؤمنين ويتهافتون على الختان واتباع عوايد موسى، اضطروا في النهاية لدفع ق. بولس وبرنابا للقيام بالسفر إلى أُورشليم مع أشخاص يمثلون كنيسة أنطاكية ليعرضوا أمر هذه المصيبة على كبار المسئولين في الكنيسة رسل ومشايخ، الذين كانوا قد كوَّنوا هيئة تدبِّر أمور الكنيسة على مستوى السنهدريم، فكان الرسل يمثلون رؤساء الكهنة، والمشايخ يمثلون رؤساء الشعب العلمانيين وهيئة الفريسيين.

والحقيقة أن الأمر لم يعد يحتمل حلولاً فردية أو إقناعات، لأن بعضاً من المسئولين في الكنيسة وربما القديس يعقوب نفسه، كان ميَّالاً لرأي هؤلاء القوم الغيورين على الناموس. فخطة رجال أنطاكية مع برنابا وبولس كانت تهدف إلى إحراج الكنيسة كلها مجتمعة لتحكم حكماً قاطعاً يسري رغماً عن أنف هذه الجماعة، ويكون له سلطان النفاذ بحكم الأغلبية المطلقة التي كان يضمنها بولس الرسول اعتماداً على روح الرب وفكره الذي انتخبه ليكون رسولاً خصيصاً للأُمم، بل وعلى كل وعود الأنبياء وكما جاءت من فم سمعان البار:

+ «لأن عينيَّ قد أبصرتا **خلاصك الذي أعددته قدام وجه جميع الشعوب، نور إعلان للأُمم ومجداً لشعبك إسرائيل.**» (لو 2: 30-32)

بل وكما تكلَّم الرب يسوع في قلب بولس: «فقال لي: اذهب، فإني سأرسلك إلى الأُمم بعيداً.» (أع 22:21)

3:15 «**فهؤُلاءِ بعدما شَيَّعَتهُم الكنيسة اجتازُوا في فينيقية والسامرةِ يُخبرُونَهُم برُجُوع الأُمم وكانوا يُسبِّبُونَ سُرُوراً عظيماً لجميع الإخوَةِ**».

المعروف أن فينيقية التي هي لبنان كانت أول محطة انطلق إليها الإخوة الذين وقع عليهم ضيق الاضطهاد على يد شاول بعد موت استفانوس:

+ «أمَّا الذين تشتتوا من جراء الضيق الذي حصل بسبب استفانوس فاجتازوا إلى

فينيقية

(لبنان) وقبرص وأنطاكية وهم لا يكلّمون أحداً بالكلمة إلاَّ اليهود فقط.» (أع 19:11)

إذن، فكنائس فينيقية وأهمها **صور** كانت عامرة بالمؤمنين اليهود غير المتعصبين، لأن الذين بشروهم كانوا على أعلى مستوى من التحرر والوعي وهم زمرة الشمامسة السبعة وأعوانهم وتلاميذهم:

+ «ثم اطّلعنا على قبرص وتركناها يَسْرَةً وسافرنا إلى سورية وأقبلنا إلى صور لأن هناك كانت السفينةُ تضع وسقها، وإذ وجدنا التلاميذ مكثنا هناك سبعة أيام.» (أع 21: 3و4)

أمَّا السامرة فكان قد سبق فيلبُّس وبشَّرها: «فانحدر فيلبُّس إلى مدينة من السامرة وكان يكرز لهم بالمسيح ... ولمَّا سمع الرسل الذين في أُورشليم أن السامرة قد قبلَتْ كلمة الله أرسلوا إليهم بطرس ويوحنا» (أع 8: 5و14)، وهكذا أسس الرسل فيها كنيسة قوية.

وبذلك كان مرور برنابا وبولس على كنائس فينيقية والسامرة هي فرحة بحد ذاتها، ولكن الذي استرعى انتباه ق. لوقا هو سرورهم العظيم بأخبار قبول الأُمم للإيمان والعماد والروح القدس. مما يفيد أنهم كانوا يهوداً متحررين صالحين الأمر الذي كان مصدر سعادة وتشجيع لهذه البعثة في مهمتها.

4:15 «ولمَّا حضَرُوا إلى أُورشليمَ قبِلَتهُم الكنيسةُ والرَّسُل والمشَايخُ فأخبَرُوهُم بكُلِّ ما صَنَعَ اللهُ معهُم».

«قبِلَتهُم الكنيسةُ»:

اصطلاح رسمي، وهو يفيد رضى الهيئة الكنسية أن تتقابل معهم رسمياً لتسمع عن الأسباب التي من أجلها حضروا إلى أُورشليم. ويضيف ق. لوقا: «الرسل والمشايخ» لتكميل الهيئة الكنسية الرئاسية.

وهنا يذكر ق. لوقا بكل اختصار أن برنابا وبولس أخذا يقُصان على الكنيسة محاجاتهما بين الأمم الأمر الملفت للنظر جداً، ويعلّق على ذلك العالِم بروس بقوله:

[وأظن أن استقبالهم وسماعهم لأخبار نجاح الخدمة في الأُمم من العسير أن يكون قد قُبل على مستوى المسرَّة!]

فواضح أن عناصر القلق كانت متزايدة جداً بسبب امتداد الكرازة بين الأُمم وما رافقها من المناداة بعدم الالتزام بالختان أو حفظ السبت أو حتى احترام الناموس والوصايا. فالكنيسة الرسمية

ممثّلة في الرسل ومشايخ الشعب كانت في حرج ما بعده حرج. ولسان حالهم كحال بطرس في رده على الرب من السماء حينما دعاه لخدمة الأمم.

+ «فقال بطرس كلاّ يا رب لأني لم آكل قط شيئاً دنساً أو نجساً ... على ثلاث مرات. (أع 14:10)»

5:15 «ولكن قامَ أُناسٌ مِنَ الذينَ كانُوا قد آمَنُوا مِنْ مذهَبِ الفرِّيسيِّينَ وقالوا إنَّهُ ينبَغِي أن يُختَنُوا ويُوصَوا بأن يحفَظُوا نامُوسَ مُوسَى».

كان من السهل على طغمة الفريسيين أن تؤمن بقيامة المسيح من الأموات لأنهم كانوا يؤمنون فعلاً بالقيامة. وقد قبلوا المسيح حقاً على أنه الرب والسيد القائم من الأموات وهو المسيَّا بالضرورة. ولكن لم يكونوا قد بلغوا ما بلغه الفرّيسي الآخر بولس الذي جاز أعظم عملية تغيير يمكن أن يعبر عليها يهودي. لقد باغته الرب من السماء لا معلناً قيامته من الأموات فحسب بل معلنا رفضه لكل ما صنع بولس سابقاً باسم الناموس ومن أجل الناموس وموسى، إذ اضطهد المسيحيين وأذلهم وطاردهم وقتلهم حماية لناموس موسى ودفاعاً عن السبت والوصايا واليهودية ككل. فلمَّا عَلِمَ عِلْم اليقين أن يسوع هذا هو الرب القائم من السماء بمجده الإلهي، أدرك في الحال أنه أهان الرب وأساء إلى شخصه بل إلى جسده (الكنيسة) بدفاعه الجاهل عن ناموس موسى والسبت والختان، فللحال أدرك أن كل شيء صار جديداً وأن القديم عتق وشاخ وهو في سبيل الاضمحلال. فشتان بين فرّيسية بولس التي تنصَّرت، فتنصَّلت من فرّيسيتها الموسوية وصارت تحيا للمسيح وفي المسيح حيث لا ختان ولا غرلة بل الإيمان العامل بالمحبة، وبين هؤلاء الفرّيسيين الذين لم يشرق في قلوبهم نور المسيح بعد!

واضح إذن من مناداة هؤلاء الفريسيين المتعصبين للناموس والختان أنهم لم يقبلوا المسيح القائم من الأموات لصالح العهد الجديد، بل كإضافة لعهدهم القديم. وكانت هذه الخميرة العفنة هي التي تعقَّبت الكرازة باسم المسيح في كل مكان لتناقض وتقاوم وتجدِّف كما سمعنا، بل وباستعداد لرجم بولس وكل مَنْ يقول بقوله.

محضر الجلسة ـ بطرس يفتتح ويدلي برأيه

6:15 «**فاجتَمَعَ الرَّسُلُ والمشَايخُ ليَنظُرُوا في هذا الأمر**».

حينما يُقال في "**محاضر** البوليس" وغيره في المحاكم «افتُتِحَ المحضر» هذا يعني تسجيل "الحاضرين" لذلك يُسمَّى **محضر، حضور** أمام هيئة التحكيم. حيث سُجِّل أولاً حضور الهيئة المسئولة عن كنيسة أنطاكية (2:15).

وهنا يقول ق. لوقا عن شهود العيان نوع الحضور لهيئة التحكيم للنظر في الأمر المرفوع من كنيسة أنطاكية أمام أُورشليم بصفتها الكنيسة الأُم. وهم الرسل ومشايخ الشعب وهي الهيئة العليا والوحيدة التي تمثل الكنيسة وبالتالي المسيح.

خطاب بطرس الرسول التاريخي والمُلهَم

7:15 «**فبعدَ ما حَصَلَت مُباحَثةٌ كثيرةٌ قامَ بُطرُس وقالَ لهُم أيَّها الرجالُ الإخوَةُ أنتُم تعلَمُونَ أنَّهُ مُنْذُ أيَّامٍ قديمَةٍ اختارَ اللهُ بينَنَا أنَّهُ بفَمي يَسمَعُ الأُممُ كلِمَةَ الإنجيلِ ويُؤمنُونَ**».

هنا المباحثات الكثيرة كانت دائرة بين هيئة الفريسيين المتعصبين للناموس ومَنْ معهم، القاطعين بحتمية الختان وحفظ الناموس، وبين برنابا وبولس من واقع عمل الله والروح القدس بين الأُمم، وكيف أظهر الله منتهى قبوله للأُمم بدون ختان أو حفظ للناموس عندما آمنوا بالمسيح والإنجيل.

ولكن لمَّا احتدم النقاش وبدا أن الفريسيين المسيحيين أخذوا موقف التحدي والقطع بالرأي، اهتاج بطرس بصفته الرسول الأكبر سنًّا والأكثر انفعالاً والأقوى على الخطابة الجماهيرية بل وعلى الإقناع بالروح، لأن الروح كان دائماً يعضده حتى في السجن! وهو الذي اختاره الرب بنوع خصوصي ليذهب إلى بيت كرنيليوس ويبشِّرهم بكلمة الإنجيل.

وهنا امتلأ ق. بطرس من الروح القدس وشهد شهادته التاريخية المحفوظة له في سجلات السماء والكنيسة، وهي الشهادة التي أسكتت المعاندين بصورة قاطعة مانعة، إذ أوضح أن الروح القدس حلَّ على بيت كرنيليوس حلولاً ظاهراً بآيات وتكلُّم بألسن بمجرد أن فتح بطرس فمه مبشِّراً

بالقيامة والإنجيل، الأمر الذي لمَّا قبله كرنيليوس وأهل بيته قبولاً داخلياً غير منطوق به ولا منظور وبدون شهادة بالإيمان ولا ذكر لأي اعتراف، حلَّ الروح القدس حتى قبل العماد وقبل وضع اليد كما حدث يوم الخمسين للرسل أنفسهم.

كانت هذه الحادثة قد مضى عليها عشر سنوات لذلك سماها ق. بطرس: «منذ أيام قديمة » وانتهزها فرصة مواتية أن يقرر كيف اختاره الله دون جميع الرسل لهذه المهمة الخطيرة، ومن هنا جاءت شهادته مزكية لأحقيته الأولى في الحكم وقفل باب المناقشة، مما ترتب عليه سكوت الفريق المشاكس بنوع من الخضوع للسيادة الروحية التي ظهرت في الجلسة وأسكتتهم. وبالأكثر كان هذا بمثابة قطع خط الرجعة على يعقوب (أخي الرب) والرسول (رسول فخري لأنه آمن بالقيامة بعد أن كان لا يؤمن بالمسيح نفسه)، لأن يعقوب كان متحمساً للناموس والناموسيين ولكنه رأى أن يساير ق. بطرس الرسول ويزكي حكمه.

8:15 **«واللهُ العارفُ القلوبَ شَهِدَ لهُم مُعطِياً لهُم الرَّوحَ القُدُسَ كَمَا لنا أيضاً».**

يصرِّح ق. بطرس الرسول هنا كيف أن الرب منحهم الروح القدس حتى قبل أن يعترفوا بالإيمان أو أن يقدّموا أية شهادة. إذن، فالله كان عارفاً بما في قلوبهم من الإيمان الذي تحرك فيهم بقوة فقبل أن يشهدوا للمسيح شَهد لهم المسيح علناً مثبتاً أنه عارف حتماً بالقلوب، وكانت شهادة المسيح لهم أن أرسل لهم الروح القدس مباشرة كما أرسله يوم الخمسين على التلاميذ، لذلك يقول القديس بطرس: **«كما لنا أيضاً»** مؤكداً أن الله قبلهم بدون أي إجراء طقسي أو كنسي أو رسولي من أي نوع إلاّ سماعهم كلمة الإنجيل فقط، فكان سماع كلمة الإنجيل وقبولها والإيمان بها في القلب على مستوى تصديق المسيح كفيل لدى الله وحده أن يجري هو عليهم أسراره الخفية في الداخل علناً.

9:15 **«ولم يميِّز بيننا وبينهُمْ بشيءٍ إذ طهَّرَ بالإيمانِ قلوبَهُم».**

«ولم يميِّز بيننا وبينهم في شيءٍ»:

تتبع الآية السابقة وتؤكّدها بصورة باهرة، أي أن إيمان كرنيليوس وبقية أهل بيته من الأمميين كان على مستوى إيمان الرسل بلا نقصان، أي أن الرسل لم يمتازوا بشيء في قبلوهم الروح القدس الحال عليهم عن هؤلاء الأمميين البسطاء، حيث هنا لا ناموس ولا ختان ولا عوايد ولا تاريخ ولا آباء ولا جنس.

«إذ طهَّرَ بالإيمان قلوبهم»:

بمعنى أن الله أجرى لهم عملية عماد سرّي بالروح القدس ـ كالتلاميذ تماماً حسب الوعد: «أمَّا أنتم فستتعمَّدون بالروح القدس» (أع 5:1)، إذ وزن إيمانهم فوجده حسب قلبه وعلى مستوى إيمان الرسل.

وبهذه الشهادة والحقيقة التي يؤكّدها ق. بطرس يكون الأمم قد صاروا فعلاً **شركاء الميراث:** ميراث الآباء والأجداد والأنبياء والتاريخ والاختيار والتبني والعهود والاشتراع والمجد، **«وشركاء الجسد»** (أف 6:3): أي جسد المسيح كأعضاء مختارين مميزين لدى الله، شركاء الحب في الكنيسة الواحدة العروس التي اشتراها بدمه كإسرائيل أيام عزها ودلالها، شركاء الكنيسة الواحدة الوحيدة بلا ختان ولا غرلة.

10:15 **«فالآن لماذا تُجرِّبونَ اللهَ بوضع نيرٍ على عُنُق التَّلاميذِ لم يستَطِع آباؤُنا ولا نحنُ أن نحمِلَهُ».**

هنا يحاصر ق. بطرس أصحاب عقيدة تهوُّد المسيحي الأممي وإلزامه بالختان وحفظ الناموس، بل ويعزلهم عن مشورة الله وتدبيره فيضعهم كمَنْ يثقّلون على الله بآرائهم ويزايدون على مطالبه في العبادة.

وهو هنا يطرح الحركة المسيحية التي أدخلها الله في عبادته أنها خروج من تحت حمل نير الناموس الثقيل إلى حمل نير المسيح "الخفيف الهين" (مت 30:11)، عن تدبير وحكمة ورحمة لضمان خلاص الإنسان بدون تكلفة أو مشقة لا يحتملها الإنسان بل ينوء تحتها، ويعثر ويخفق أشد الرجال.

فعوض مئات الوصايا والتدقيقات المربكة وحفظ الناموس على مستوى الحرف بل اليوطا (النقطة على الكلمة لإعطاء معاني جانبية) يقول الرب على فم ق. بولس الرسول « آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل بيتك» (أع 31:16). فالإيمان بالمسيح جاء ليلغي مئات وآلاف الأعمال التي لا يقوى أحد على تتميمها كما يجب. ثم إن الإيمان نفسه هو حركة قلبية داخلية ليس لها عمل خارجي ولا تحتاج إلى أي جهد يُبذل لا بالفكر ولا بالجسد: «لأنك إن اعترفت بفمك وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت» (رو 9:10). فأين هذا مما يقوله القديس يعقوب واصفاً حقيقة الناموس التي تدعو لليأس: «لأن مَنْ حفِظَ كل الناموس وإنما عثر في واحدة فقط صار مجرماً في الكل.» (يع 10:2)

بل والأدهى من ذلك كله حالة ق. بولس الرسول الفريدة من نوعها حينما قال: «من جهة البر

الذي في الناموس بلا لوم» (في 6:3) أي أنه أكمل الناموس بحروفه ويوطاته جميعاً، وهذا أمر يذهلنا ويعطينا فكرة واضحة عن مَنْ كان هذا الفرّيسي شاول المدعو بولس ومدى تأصله في الناموس وتفوقه على جميع أترابه!

ولكن لم يسعفه حفظ الناموس بحروفه وتطبيقه لكل وصاياه، من أن يجدِّف على المسيح والله ويضطهد المسيحيين ـ أي الحق ـ ويضيِّق عليهم ويقتلهم!! فماذا صنع الناموس لبولس إلاَّ أنه أعمى بصيرته وجعله جاهلاً وبلا إيمان:

+ «أنا الذي كنت قبلاً مجدِّفاً ومضطهداً ومفترياً ولكني رُحمت لأني فعلت بجهل في عدم إيمان.» (1تي 13:1)

لهذا حينما قال ق. بطرس الرسول عن هذا الناموس إنه نير ثقيل فقد كان صادقاً:

+ «فالآن لماذا تجرِّبون الله بوضع نير على عنق التلاميذ لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله.» (أع 10:15)

يقول ق. بطرس هذا لأنه كان يحمل نير المسيح الهيِّن الخفيف ويستمتع بجمال بساطته وعمق فعاليته حينما قال لهم: «احملوا نيري عليكم ... لأن نيري هيِّن وحملي خفيف» (مت 11: 29و30)، في مقابل: «أنهم يَحْزِمُونَ أحمالاً ثقيلةً عَسِرَةَ الحملِ ويضعُونَها على أكتافِ الناس وهُم لا يُرِيدُونَ أن يحرِّكُوهَا بإصبعهم» (مت 4:2)، قاصداً وصايا الفريسيين والناموسيين: إعمل هذا ولا تعمل ذاك.

ولكي نعطيك يا صديقي نظرة خاطفة عن المقارنة بين ثقل نير الناموس القاتل وخفة نير المسيح المحيي فلنتأمل معاً حالة اللص الذي أُسعد إسعاداً بأن جاء صليبه عن يمين صليب الرب، فلمَّا رأى المسيح مصلوباً وهو في أشد الهوان، وتأمل نقاء هذا الإنسان فصرخ آخر صرخته في دنياه أن: «اذكرني يا ربُّ متى جئتَ في ملكُوتِكَ» (لو 42:23): اللص آمن، بلا إنجيل ولا وسيط ولكن ببساطة روحه وقلبه آمن في آخر لحظات حياته وهو ينزف آخر قطرات دمه فكان أن نال بإيمانه خلاصاً ودخولاً باهراً إلى الفردوس. فانظر كيف حكم الناموس عليه بالقتل وكيف حكم له إيمان المسيح بالفردوس وهو تحت حكم القتل!

إذن، فالإيمان بالمسيح هو أعظم ما صنع الله للإنسان في داخله بلا وسائل وبلا أي جهد أو جهاد: «طهَّر بالإيمان قلوبهم» (أع 9:15)، وكل مزايدة على هذه النعمة المجانية هي بمثابة تجربة الله شخصياً أو تحدِّيه، أو استصغار الإيمان بالمسيح.

11:15 **«لكن بنعمَةِ الرَّبِّ يسُوعَ المسيح نُؤْمِنُ أن نخلُصَ كما أُولئِكَ أيضاً»**

هذا هو قانون الخلاص الوحيد: **«بنعمة الرب نؤمن أن نخلص».**

فالإيمان نعمة وبنعمة الرب يسوع المسيح نؤمن وإيماننا يبلغنا الخلاص.

ثلاثة بها تكتمل المسيحية وتبلغ غايتها في المسيح **نعمة وإيمان وخلاص!** وبهذا التسلسل عينه.

فإنسان آمن بالمسيح يعني أن الله سبق وأنعم عليه، وإنسان أنعم الله عليه بإيمان المسيح معناه أنه خلص حقاً.

هذه هي عقيدة ق. بطرس الرسول وهي عقيدة رسولية نسمعها في تطابق معنوي عند ق. بولس الرسول:

+ «إذ نعلَمُ أن الإنسان لا يتبرَّرُ بأعمال الناموس **بل بإيمان يسوع المسيح، آمنَّا نحن** أيضاً بيسوع المسيح **لنتبَّرَر بإيمان يسوع** لا بأعمال الناموس، لأنَّهُ بأعمالِ الناموس لا يتبرَّرُ جسدٌ ما.» (غل 16:2)

وهكذا إن كان ق. بطرس أو ق. بولس فالإيمان الرسولي هو أن خلاص الإنسان هو نعمة ربنا يسوع المسيح. وأنهم خلصوا بالفعل بهذه النعمة التي دعتهم إلى الدخول في إيمان المسيح.

«كما أولئك أيضاً»:

لاحِظ أنه سبق أن قال: «لهم كما لنا» (أع 8:15): «والله العارف بالقلوب شهد **لهم** معطياً الروح القدس **كما لنا** أيضاً ولم يميِّز بيننا وبينهم بشيء» (أع 15: 8و9) وها هو الآن يعكسها: «نخلص كما أولئك أيضاً.» (أع 11:15)

وبهذا التحديد والمحاصرة للفكر المتعصِّب الذي لليهود المميَّزين عند أنفسهم جعل التساوي في المعاملة أمام الله، بل وفي العطية والخلاص بين الرسل واليهود عامة وبين الأمم الذين قبِلوا الإيمان، أمراً ملزماً للفكر اليهودي ولا مناص. بل ورفع كل امتياز سابق سواء لليهود عامة أو الرسل خاصة من جهة الإيمان، وبالتالي الخلاص، بقوله: «ولم يميِّز بيننا وبينهم بشيء» واضعاً نفسه مع اليهود ككل.

وهكذا صار القانون الإلهي من جهة الإيمان بالمسيح والخلاص أنه معروض للجميع على السواء دون أي تمييز لأحد في السابق أو اللاحق:

+ «ليس يهوديٌّ ولا يونانيٌّ، ليس عبدٌ ولا حرٌّ، ليس ذكرٌ ولا أُنثى لأنكم جميعاً واحدٌ في

المسيح يسوع.» (غل 28:3)

12:15 **«فسَكَتَ الجمهُورُ كُلّهُ، وكانوا يسمَعُونَ بَرنَابَا وبُولُسَ يُحدِّثانِ بجمِيعَ ما صَنَعَ اللهُ مِنَ الآياتِ والعجائِبَ في الأممِ بواسطتِهِم».**

لم يكن ممكناً قط محاجاة ق. بطرس فيما قال وقرر لأنه رفع القضية برمتها إلى الله. فالله هو الذي دعا الأمم وعلى يد ق. بطرس ورغماً عن إرادته لكي يسمعوا كلمة الإنجيل، فآمنوا والرب عرف ما في قلوبهم وجاوب على إيمانهم بسكب روحه القدوس كعلامة لا تُنقض، هي بحد ذاتها برهان صدق وآية ومعجزة إيمانهم للتوثيق وللشهادة، بل للتكريم والمديح والاستحسان، بل للمؤازرة والتعليم والتكميل، فمَنْ يقول لله لماذا صنعت هكذا؟ لقد أُفحم الفريسيون (المسيحيون) المعاندون ولم يعودوا قادرين على المقاومة أو النداء مرَّة أخرى ـ على الأقل في هذا اليوم ـ لقد تقهقر السبت والختان والناموس وراء الإيمان بالمسيح!

وانتهى ق. بطرس إلى المبدأ الذي حكم الكنيسة منذ ذلك اليوم وإلى الأبد: **«أن الله لم يميِّز بيننا وبينهم بشيء»، «أننا نخلص كما أولئك أيضاً»، «الله قد طهَّر بالإيمان قلوبهم»** وهكذا قطع خط الرجعة أمام المزايدين على الإيمان بالمسيح.

وهنا انبرى برنابا وبولس يشهدان بصدق ما قال بطرس ولا حرج إذ قدَّموا نماذج من الآيات والمعجزات التي أجراها الله على أيديهم بين الأمم مُظهراً حبه وتعاطفه واختياره للأمم بصورة ناطقة من السماء. وقد صار المسيح حقاً: «نور إعلان للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل» (لو 32:2)، كقول الروح على فم سمعان الشيخ.

القديس يعقوب يتكلَّم
[13:15-15]

ق. يعقوب (أخو الرب ـ غل 19:1) ربما كان ـ آخر مَنْ آمن بالمسيح من أسرة الرب، ولكن بعد القيامة وليس قبلها، وذلك بعد أن ظهر له الرب خصيصاً: «وأنه ظهر ... وبعد ذلك ظهر **ليعقوب** ثم للرسل أجمعين» (1كو 7:15) ـ وكان معروفاً بين رجالات اليهود بالحكمة والنسك الشديد ـ فلمَّا اقتبل الإيمان المسيحي بقي على حاله من جهة النسك الشديد والتمسُّك

بالناموس حرفياً وشدة التعلُّق بالهيكل وجميع الصلوات فيه. وكان قد اشتهر أنه رجل صالح ولُقِّب بالبار سواء عند اليهود أو في الكنيسة، وله شهادة جيدة من يوسيفوس المؤرِّخ اليهودي المعاصر له وقد كُلِّل خدمته بالاستشهاد على أيدي اليهود.

ومعروف أن ق. يعقوب كان أكثر من الجميع تشدّداً في أقواله، وكان على صلة ودّ وتفاهم مع الفريق الفرِّيسي المتنصِّر المتمسِّك بالناموس والقائل بحتمية الختانة للأُمم وإلاَّ فلا خلاص:

+ «لأنه قبلما أتى قوم **من عند يعقوب** كان يأكل (بطرس) مع الأُمم ولكن لمَّا أتوا كان يؤخِّر ويفرز نفسه خائفاً من الذين هم من الختان ...» (غل 12:2)

كما أن ق. يعقوب نفسه فوق أنه كان يماشي في مبادئه هؤلاء القوم الغيورين على الناموس كان يعمل لهم ألف حساب:

+ «وفي الغد دخل بولس معنا إلى يعقوب وحضر جميع المشايخ ... وقالوا له أنت ترى أيها الأخ كم يوجد ربوَةً مِنَ اليهود الذين آمنوا وهُم جميعاً غيورون للناموس. **وقد أُخبِرُوا عنكَ أنكَ تُعلِّم جميعَ اليهود الذين بين الأُمم الارتداد عن موسى** ... لا بُدَّ على كل حالٍ أن يجتمع الجمهور لأنهم سيسمعون أنك قد جئت. فافعل هذا الذي نقولُ لك ... خُذْ هؤلاء وتطهَّر معهم وأنفق عليهم ليحلقوا رؤُوسَهُم، **فيعلم الجميعُ أن ليس شيءٌ مما أُخبِروا عنكَ، بل تسلك أنت أيضاً حافظاً للناموس.**» (أع 21: 18و20-24)

هذه كانت حال يعقوب الرسول: ممالأة للغيورين على الناموس وخوفٌ ورعدة منهم بآن واحد. مما أضرَّ بموقف ق. بولس أشد الضرر لأنه سمع لهذه المشورة وعمل بها فكانت وبالاً عليه لأنها كانت رجعة صريحة منه إلى موسى والناموس وإنما لا عن إيمان بل عن مسايرة ق. يعقوب الرسول بالذات.

ولكن كانت شهادة ق. يعقوب الرسول في ذلك اليوم هامة للغاية إذ كان لها تأثير رسولي شديد إلى أقصى حد، وخاصة بين يهود أُورشليم. وكثير من المصادر الموثوق بها احتسبته أنه هو الرسول الثاني عشر بإصرار مثل ماريوس فيكتورينوس (على غلاطية 19:1 مجموعة ميني)[295].

بل وتمادى الأولون في تعلية مرتبته فأسموه "أسقف الأساقفة Bishop of Bishops"

---

(295) Marius Victorinus, *on Gal.* 1:19 Migne PL VIII, 1155 B.

وهذا ورد في العظات المدعوة الكلمنتية[296]، والذي دعاه بذلك هو كليمندس الروماني.
كما دعاه أيضاً

(296) Clementine Hom.

بـ"القيِّم" Ruler على كنيسة أُورشليم وعلى جميع الكنائس أينما وُجِدَت التي أسستها نعمة الله.

كذلك هيجسيبوس بحسب يوسابيوس[297] يحكي عن علو شأن هذا القديس بين العامة في أيامه وكانوا يدعونه بالبار.

ويحكي يوسيفوس المؤرِّخ اليهودي أن في سنة 61م[298] ـ في الفترة بين موت فستوس الوالي ووصول خليفته ألبينوس ـ انتهز هذه الفرصة رئيس الكهنة حنانيا ومجمع السنهدريم وأحضروا يعقوب "المدعو أخا يسوع" مع آخرين وحكموا عليهم بالرجم لخروجهم عن الناموس.

ويعقوب هذا كان يترأس على كنيسة أُورشليم تماماً كما كان يترأس حنانيا على السنهدريم، وكانت كنيسة أُورشليم هي في نظر المسيحيين "سنهدريم الناصريين"[299].

وكانت درجة يعقوب بين الرسل "كأول بين متساويين Primus inter Pares". ولمَّا كان الغيورون المنادون بالختان والناموس شديدي التعلُّق بيعقوب كنصير لهم داخل كنيسة أُورشليم، لذلك يُعتبر موقفه أنه كان لطمة صارخة على وجوههم لأنه خذلهم خذلاناً مبيناً إذ انحاز لبطرس كما سنجد، ولكن فاقه في امتداد الرؤية النبوية كرسول صادق.

13:15 **«وبعدَمَا سَكَتَا أجابَ يعقُوبُ قائلاً أيـُّها الرجَالُ الإخوَةُ اسمـَعُوني».**

هو نفس أسلوب ق. يعقوب الذي نقرأه له في رسالته الوحيدة: «اسمعوا يا إخوتي الأحباء» (يع 5:2). وقد قام العالِم الألماني ج.ب ماير بعمل مضاهاة بين خطابه هنا في سفر الأعمال ورسالته فوجد تطابقاً فكرياً ولفظياً واضحاً بين الاثنين[300].

وفي خطاب ق. يعقوب هنا يبدأ الحديث من قول بطرس الرسول ـ الذي سمَّاه سمعان ببساطة حسب التسمية اليهودية العادية ـ متخذاً من رواية ق. بطرس الرسول قراره الذي صاغه ليجيء رداً مباشراً على نبوَّة عاموس.

(297) Euseb, H.E. II: 23.

(298) Jos., *Ant.* XX, 9.1.

(299) Bruce, II, 309.

(300) J.B. Mayor, *Commentary on the Epistle of James,* London 1896, pp. 111 f.

18-14:15 «سِمعَانُ قد أخبرَ كيفَ افتقدَ اللهُ أولاً الأممَ ليأخُذَ منهُم شعباً على اسمِهِ. وهذا توافقهُ أقوالُ الأنبياءِ كما هو مكتُوبٌ سأرجِعُ بعدَ هذا وأبني أيضاً خيمة داوُدَ السَّاقِطة وأبني أيضاً رَدمَهَا وأُقيمُها ثانيةً لكي يطلُبَ الباقُونَ مِنَ النَّاسِ الربَّ وجميعُ الأممِ الذينَ دُعِيَ اسمي عليهِم يقولُ الربُّ الصَّانِعٌ هذا كُلَّهُ. معلُومَةٌ عِندَ الربِّ مُنذُ الأزَلِ جميعُ أعمالِهِ».

نبوَّة عاموس: سنة 790-780 ق.م

+ «في ذلك اليوم أُقيمُ مظلّة داوُد السَّاقطة وأُحصِّن شقوقها وأُقيمُ ردمَها وأبنيها كأيام الدهر لكي يرثوا بقية أدوم وجميع الأمم الذين دُعيَ اسمي عليهم يقول الربُّ الصانع هذا.» (عا 9: 11و12)

«سمعان قد أخبر»:

هنا اعتمد القديس يعقوب على إعلان ق. بطرس الذي رفع المشكلة برُمتها إلى حضرة الله الذي قال فيها كلمته القاطعة: «كيف أفتقد الله أولاً الأمم ليأخذ منها شعباً علىاسمه» (أع 14:15)، وذلك بناء على معجزة حلول الروح القدس على بيت كرنيليوس التي أظهرت إرادة الله ومشورته في إدخال الأمم إلى كنيسته حاملة الإيمان بالقيامة وكلمة الإنجيل.

ولكن لم يكتف ق. يعقوب بمقولة ق. بطرس الرسول ولكن بدأ يعلّق عليها من النبوات تعليقاً بديعاً يدل على سعة وعي وحفظ وتدقيق في المعاني علماً بأنه بالرغم من أنه جليلي المنبت غير متعلّم ولكنه استشهد بالسبعينية.

«سأرجع بعد هذا وأبني أيضاً خيمة داود الساقطة وأبني أيضاً ردمها وأُقيمها ثانية»:

الجزء الغائب من النبوَّة هو هجران الله لشعب إسرائيل وانقسام مملكته بعد السبي وسقوط رمز العبادة المتحدة الذي كان قائماً في اتحاد اليهودية مع إسرائيل الذي أسماه سقوط خيمة داود، حيث خيمة أو مظلة داود هو الهيكل أي الكنيسة في العهد القديم، حيث كان يُعبَد اسم الله. هنا يستهل ق. يعقوب الرسول النبوَّة على مستوى الواقع أمامه أنه « سأرجع بعد هذا وأبني» أي بعد هذا الهجران الذي أدى إلى سقوط خيمة داود أي كنيسة العهد القديم التي كان داود الملك يمثل وحدتها في أوج اتحادها، إذ كانت اليهودية متحدة مع بقية إسرائيل ككل. وهذا لم يتم على وجه الإطلاق تاريخياً وعملياً إلاَّ بمجيء ربنا يسوع المسيح الذي بموته وقيامته من الأموات مسح كل عار الشعب وجبر انقسامه ووحَّد قلبه وفكره وقامت على اسمه وحدة كنيسة العهد الجديد التي هي

بعينها خيمة داود بيت الله، حيث يعبد الجميع اسمه في وحدة قلب وفكر، والذين يمثلهم « الرسل» الذين هم الرؤوس الجديدة للأسباط القديمة:

+ «وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتاً لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي وتجلسوا على كراسي تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر.» (لو 22: 29و30)

وهذا يعني أن بالرسل الاثنى عشر بدأ عهد جديد لإسرائيل الجديدة، هو بمثابة إقامة خيمة داود الساقطة ثانية وبناء ما تهدَّم منها.

وبهذا المعنى يكون قد استوفى ق. يعقوب بالفعل وبحسب الواقع الجزء الأول من النبوَّة الذي يقوم على أساس رجوع الله بمحبته وعنايته من بعد هجران وعقوبة وتأديب لإسرائيل، وبناء كنيسة "إسرائيل الجديدة" خيمة داود الساقطة ثانية بحيث عادت أعظم وأروع مما كانت.

الجزء الثاني من النبوَّة:

«لكي يطلب الباقون من الناس الرب وجميع الأمم الذين دُعي اسمي عليهم يقول الرب الصانع هذا كله»:

وهنا ق. يعقوب يستشهد بالنبوَّة على صدق ما هو حادث أمامهم من واقع رواية ق. بطرس في بيت كرنيليوس ومن واقع رواية برنابا وبولس عن دخول الأمم من كل مدن أسيَّا بمعجزات وآيات باهرات، وهذا يعني أن خيمة داود الساقطة على رؤوس الأسباط الاثنى عشر المنقسمة والمرفوضة الذين دخلوا تحت العقاب والتأديب، عادت وقامت وبُنيت ثانية لتجمع شمل اليهود وبالتالي حتماً تضم الأمم الذين دُعي اسم الرب عليهم. وواضح هنا **أن رضى الرب على اليهود الذين آمنوا باسم الرب يسوع كان أساساً وسبباً وعلَّة لكي يطلب الربَّ الباقون من الناس والأمم الذين قبلوا الاسم ودُعي عليهم.** أي سيُعرفون بأنهم شعب الله بحسب علم الله السابق.

وهذا يعني بحسب أدق المراجع في السبعينية وغيرها من النسخ العبرية أن الكنيسة الجديدة ـ خيمة داود الساقطة التي أُعيد بناؤها ـ ستجمع اليهود والأمم معاً.

وذلك حسبما قصد ق. يعقوب الرسول تماماً(301).

«معلومة عند الرب منذ الأزل جميع أعماله»:

تعقيب بديع لا ندري هل كان من واقع النبوَّة بحسب ما كان يقرأ ق. يعقوب أو هو

C.C. Torrey, *Composition and Date of Acts,* Cambridge 1916 pp. 38 f. (301)

تعقيب

من عند ق. يعقوب ليشرح: أن هذه الرجعة البديعة من الله لاقتبال شعبه، وبناء خيمته الداوودية الساقطة والمنهدمة من فرط هجران الله وابتعاد اسمه عن عبادتهم وحياتهم، ثم دخول الأمم بعد ذلك بالتبعية، وكأن دخول الأمم في رضى الله ومسرته واعتبارهم شعباً أيضاً كان على ميعاد برجعة اليهود عن ضلالهم وقبولهم الإيمان باسم المسيح؛ كل هذا كان معلوماً منذ الأزل عند الله كعمل سيتم في وقته الذي صار أمامنا اليوم فهو تعقيب ختامي جيد للغاية. ليوثق به صدق عودة الأمم وحتمية قبولهم عن رضى كعمل معيَّن في سبق علم الله منذ الأزل.

قرار القديس يعقوب التاريخي بنطق إلهي

19:15 «**لذلكَ أنا أرَى أن لا يُثقَّل على الرَّاجِعِينَ إلى الله مِنَ الأُمم**».

واضح إذن يا عزيزي القارئ أن الروح القدس سيطر سيطرة كاملة على هذه الجلسة التاريخية لأول مجمع كنسي رسولي ينعقد في العهد الجديد، بل وسيطر سيطرة مبدعة على ق. يعقوب الرسول نفسه المتعاطف مع الغيورين والذي هو نفسه يرى أن ناموس موسى هو «الناموس الكامل» (يع 25:1). وبالرغم من ذلك جعله ينطق بمنتهى الصحو وبتوثيق نبوي، قراره الإلهي هذا الذي نخرج منه بفكر واضح أن ق. يعقوب يقرر أن لا ناموس ولا ختان ولا سبت ولا عوايد يهودية تُفرض على الأمم الراجعين إلى الله قط، وهذا هو أمر الله ولا مناص من الطاعة الكاملة.

بل ومن طيات نطق ق. يعقوب نسمع صدىً واضحاً من قوله «**لا نثقّل على الراجعين** إلى الله من الأمم» لنفس مقولة ق. بطرس: «لماذا تجرّبون الله بوضع نير (ثقيل) على عنق التلاميذ (من الأمم) لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله.» (أع 9:15)

وبهذا القرار الأخير ظهر ق. يعقوب "**كَحَكَمْ**" Chairman قدير وضع الحد الأخير للمناقشة وكان هذا بمثابة رفع الجلسة.

توصيَّات

20:15 «بَلْ يُرسَلُ إليهم أن يمتَنِعُوا عَنْ نجاساتِ الأصنامِ والزِّنا والمخنُوق والدَّم».

أربعة توصيات:

قد تبدو هذه التوصيات الأربعة تحصيل حاصل أو بغير ذي بال بالنسبة للعبادة. وهي فعلاً ليست في صميم العبادة وإنما هي فضائل سلوكية. والقصد منها غاية في الأهمية، فإن دخول الأمم في كنيسة اليهود، واليهود لهم عوايد وسلوك يدققون فيها تدقيقاً شديداً للغاية في أطعمتهم وحياتهم الخاصة، حتَّم على القديس يعقوب أن يختار بعض الوصايا التي يلزم للأممي أن يسير بمقتضاها حتى لا يعثر اليهود، خاصة وأن الجميع سيجلسون معاً على مائدة الرب الواحدة للتناول والأكل معاً.

علماً بأن هذه التوصيات تشمل الثلاث خطايا الرئيسية في اليهودية وهي عبادة الأوثان والزنى والقتل، وبالأكثر فهي ممنوعات عن كل ذي جسد منذ أيام نوح بحسب التلمود(302).

أمَّا **نجاسات الأصنام** فهي اللحوم والخمر المقدَّمة ذبائح للأوثان فهي نجسة في نظر اليهودي.

وأمَّا **الامتناع عن الزنى**، فيقصد به الاحتشام في العلاقات الجنسية التي كانت مرعية بين الأسر بحكم قانون الزيجة اليهودية (لا 18)(303)، ولكن الأمم كانوا بإزائها في غاية الانحلال الخُلقي بسبب نفس ألوان العبادات الوثنية حيث كانت الكاهنات في الهيكل يقمن بالزنا كنوع من الاسترضاء القبيح للإله. والزنا في الأعياد الرسمية للآلهة كان نوعاً من العبادة، إذن، كان يلزم تهذيب هؤلاء القوم ليدخلوا العبادة الطاهرة بالخشوع والتقوى وتقديس الجسد والنفس والروح للرب يسوع المسيح.

كذلك فإن مفهوم الامتناع عن الزنا هو ذو امتداد توراتي، فهو يشمل حتماً الزيجة وشروطها بالنسبة لتحريم زواج الأقارب الذي يحتسب في عرف التوراة زنا وله عقوبة.

---

(302) Bruce, I. p. 299.

(303) وقد أخذَت به الكنيسة بكل إصرار:

وقد نص عليها المسيح: «مَنْ طلَّق امرأته إلاَّ لعلَّة الزنا يجعلها تزني، ومَنْ يتزوج مطلَّقة فإنه يزني.» (مت 32:5)

هنا المطلَّقة تكون في حدود الوصية حتماً زانية!!

واختصرها ق. بولس الرسول بالقول: «الجسد ليس للزنا بل للرب والرب للجسد.» (1كو 13:6)

كذلك قداسة العلاقات الأسرية، الإنسان مع إخوته أو أمه، والجنسية المثالية أي الرجل للرجل والمرأة للمرأة كما ذكرها ق. بولس في رسالة رومية وجعلها مصدر لعنة أبدية، والإنسان مع الحيوان الذي وقع فيه إنسان القرن العشرين وربح لنفسه مرض الإيدز القاتل الملعون (لا 23:18).

أمَّا المخنوق فهو الحيوان أو الطير الذي يؤكل دون أن يُذبح ويصفَّى دمه إذ يُحسب ميتةً، وأكلُ الميتة نجاسة (لا 10:17، تك 4:9).

أمَّا الدم فهو تكملة وصية عدم أكل المخنوق، لأن أكل المخنوق يكون الدم فيه وأكل أو شرب الدم ممنوع فهو محرَّم بتاتاً في العبادة اليهودية لأن الدم محسوب أنه "الحياة" لأن "النفس" فيه. (لا 11:17).

ولا يزال المسيحيون إلى اليوم وفي كل مكان يراعون هذه الوصايا وبتدقيق أيضاً.

وقد ثبت أن الكنيسة في القرن الثاني سنة 177 م. كانت على وعي بهذا الترتيب. فقد وصلت إلينا بواسطة يوسابيوس المؤرِّخ شهادة شهيد يثبت فيه أن الكنيسة كانت تمتنع عن شرب دم الحيوان، وهو واحد من شهداء فيينا وليون، حينما اتهموه بأن المسيحيين يذبحون الأطفال على المذابح ويشربون دماءهم، صرخ في وجههم قائلاً:

[كيف يأكل المسيحيون الأطفال بينما هم ممنوعون حتى من شرب دم الحيوان.][304]

وشهادة أخرى من ترتليان من شمال أفريقيا:

[نحن ممنوعون من أكل الحيوانات الميتة سواء التي تُقتل ولا تُذبح أو التي تموت بنفسها.][305]

بل وعندنا شهادة من القرن الأول جاءت في رؤيا يوحنا اللاهوتي:

+ «ولكن عندي عليك قليلٌ: أن عندك هناك قوماً متمسكين بتعليم بلعام، الذي كان يعلّم بالاق أن يُلقي معثرة أمام بني إسرائيل: أن يأكلوا ما ذُبح للأوثان، ويزنوا.» (رؤ 14:2)

21:15 «لأن موسَى مُنذُ أجيالٍ قديمةٍ لَهُ في كُلِّ مدينةٍ مَنْ يَكرزُ بهِ إذ يُقرأُ في المجامِعِ كُلَّ سبتٍ».

لقد اختلف العلماء والدارسون في شرح هذه الآية وتعددت الآراء وتعارضت، فمَنْ قائل

---

(304) Euseb. *Ecc, Hist.,* V. I. 26.
(305) Tertul. *Apolog.* 9.

-

كذهبي الفم ومعه كثيرون ـ أنها تخص اليهود، ولكن مردود على هذا أن الموقف لا علاقة له بعبادة اليهود ولكن خاص بالأمم فقط.

ومن قائل أن ق. يعقوب يريد أن يقول أن لا خوف على الناموس من الأمم الداخلين في الكنيسة لأن اليهود يقرأون ويسمعون الناموس كل سبت في كل مدينة، وهذا مردود عليه أيضاً أن الأمر لا يخص الحفاظ على كرامة الناموس بل يخص التقليل من ثقله على الراجعين من الأمم.

إلى مِنْ قائل أن ق. يعقوب يقول أن ليس لنا ما نقوله أكثر من ذلك بالنسبة للناموس وليس من عملنا أن نشرح الناموس فيوجد له مَنْ يشرحه كل سبت.

ومردود على هذا أن القصد في كلام ق. يعقوب هو العكس ـ كما سنرى ـ فهو يقلل من نير الناموس ولا يحافظ عليه بالنسبة للأمم.

إلى من قائل أن ق. يعقوب يقول إن هذه الشروط ليست جديدة على أسماع الأمم، فالناموس يُقرأ في المجامع كل سبت في كل مدينة ويسمعه الأمم المترددون على المجامع كل سبت. وهذا مردود عليه أن ق. يعقوب لا يهمه أن الأمم سمعوا أو لم يسمعوا بل هو يحدد لهم ما يجب أن يعملوه فقط، كقانون خاص بهم أو كناموس مصغَّر يتناسب معهم ـ وغير هذه الآراء كثير.

ولكن نتفق مع العالِم ماير(306) الذي يعتبر أن ق. يعقوب يريد أن يقول أن الذي وضعناه على الأمم من الشروط هام للغاية، لأن تعليم الناموس وقراءته وسماعه هو منذ القدم وقد خط في قلوب اليهود وأفكارهم وسلوكهم وعاداتهم خطوطه التي لا يمكن المساس بها، لذلك توجَّب على الأمم أن يلتزموا بهذه الشروط حتى لا يصيروا عثرة لهؤلاء القوم الذين تشبعوا بالناموس ووصاياه ولا يحتملون من يكسر أو يهين أهم وصاياه، وهي ضد عبادة الأصنام ونجاساتها والزنا في الحياة الاجتماعية التي سيختلط فيها الأممي مع اليهودي، فهي قضية تخطي العثرات من أجل حياة مشتركة modus vivendi، وكذلك المخنوق والدم وهو بالنسبة للطعام الذي قد يأكله الأممي أمام اليهودي فيعثره وبالتالي يزلزل إيمانه. وهذا يطابق ما قاله ق. بولس في رسائله:

+ «فإن كان أخوك (اليهودي) بسبب طعامك (ذبيحة وثن) يحزن فلست تسلك بعد حسب المحبة. لا تهلك بطعامك ذلك الذي مات المسيح لأجله.» (رو 15:14)

---

(306) H.A.W. Meyer, Acts. p. 293.

+ وأيضاً: «ولكن انظروا لئلاّ يصير سلطانكم (حريتكم) هذا معثرة للضعفاء. لأنه إن رآك أحد

يا مَنْ له علم متكئاً في هيكل وثن أفلا يتقوَّى ضميره إذ هو ضعيف حتى يأكل ما ذُبح للأوثان فيهلك بسبب علمك الأخ الضعيف الذي مات المسيح من أجله.» (1كو 8: 9-11)

+ وأيضاً: «ولكن إن قال لكم أحد هذا مذبوح لوثن فلا تأكلوا من أجل ذاك الذي أعلمكم والضمير لأن للرب الأرض وملأها. أقول الضمير. ليس ضميرك أنت بل ضمير الآخر.» (1كو 10: 28-29)

رسالة وإرسالية
من مجمع أُورشليم لكنائس الأمم

22:15- 27 «حينئذٍ رأى الرَّسُلُ والمشَايخُ معَ كُلِّ الكنيسةِ أن يختارُوا رَجُلَينِ منهُم، فيُرسِلُوهُمَا إلى أنطاكِية مع بُولُسَ وبَرنَابَا: يَهُوذا المُلَقَّبَ بَرْسَابَا، وسِيلاَ، رَجُلَين متقدِّمين في الإخوةِ. وكتَبُوا بأيدِيهم هكذا: الرَّسُلُ والمشَايخُ والإخوَةُ يُهدُونَ سَلاماً إلى الإخوةِ الذينَ مِنَ الأممِ في أنطاكية وسُوريَّة وكِيلِيكِيَّة: إذ قد سَمِعنَا أنَّ أُناساً خارجِينَ مِنْ عندنا أزعجُوكُم بأقوالٍ، مُقلِّبينَ أنفُسَكُمْ، وقائلينَ أن تختَتِنُوا وتحفَظُوا النَّامُوسَ، الَّذينَ نحنُ لَمْ نأمُرهُم. رأينا وقد صِرنَا بنفسٍ واحِدَةٍ أن نختَارَ رَجُلَينِ ونُرسِلَهُمَا إليكُم مع حبيبَينا بَرنَابَا وبُولُسَ، رَجُلَينِ قد بَذَلاَ أنفُسَهُمَا لأجلِ اسم رَبِّنا يَسُوعَ المسيح. فقد أرسلنا يهوذا وسيلا، وهُمَا يُخبرانِكُمْ بنفسِ الأمورِ شِفَاهاً».

الإرسالية:

اجتمع رأي الرسل والمشايخ على إرسال بعثة مؤتمنة من يهوذا برسابا وسيلا تنقل رأي الكنيسة شفاهاً وبيدهم أيضاً رسالة مكتوبة بخط يد الرسل، وغالباً باليونانية، ترافق البعثة المُرسَلة من أنطاكية: برنابا وبولس ومَنْ سافر معهما.

أمَّا يهوذا برسابا: 'IoÚdan tÕn kaloÚmenon Barsabb©n

ويُعتقد أنه أخ يوسف المذكور في (أع 1:23): «يوسف الذي يُدعى برسابا ...»

أمَّا سيلا: S…lan ويُدعى **سلوانس** باللاتينية

أو "سيلاس" فهو اسم ساميّ. ويرجعه العالِم بوركت[307] إلى نطقه العبري Shila وكان أصلاً مواطناً رومانياً: كما جاء في أصحاح 16، إذ ذكر سلوانس مع بولس وقد قُبِضَ عليهما وفي السجن ضربوهما.

+ «فقال لهما بولس ضربونا جهراً غير مقضي علينا ونحن **رجلان رومانيان** وألقونا في السجن.» (أع 37:16)

وقد كان رفيقاً لبولس في أسفاره وقد ذُكر اسم سلوانس في مواضع كثيرة (2تس 1:1)، (2كو 19:1)، (1تس 1:1)، (1بط 12:5). وقد اختير بسبب اسمه اليهودي وهو في نفس الوقت مواطن روماني[308]. وكانا كلاهما من المتقدمين في إنجاز المهام الكنسية.

والرسالة مكتوبة لكنيسة أنطاكية من الأمم باعتبارها صاحبة البعثة المرسلة، ولكن الرسالة تمتد لكل سوريا التي كانت أنطاكية عاصمتها ولكل البلاد المجاورة التي خدم فيها برنابا وبولس.

أهم ما في الرسالة بالنسبة لتاريخ الكنيسة المسيحية كله حتى اليوم هو التصريح العلني من ق. يعقوب الرسول بصفته المسئول عن كنيسة أُورشليم الأم ومعه كافة الرسل يجرِّمون كل اليهود الغيورين الذين خرجوا من عند ق. يعقوب، أي من كنيسة أُورشليم، خرجوا بدون إذن أو بدافع منه أو من غيره، وقد اعتُبروا خارجين عن النظام العام في الكنيسة الأم «الذين نحن لم نأمرهم.» (أع 24:15)

بل والأكثر أن التعليم الذي علّموا به، وهو ضرورة الختان وحفظ الناموس للخلاص بالنسبة للأمم، هو عملية إزعاجية بقصد قلب أنفس المؤمنين بالمسيح.

وقد ترجمها التاريخ الكنسي ووثّقها ق. بولس في كل رسائله أنها باطلة، أو بحسب تعبيره لأهل غلاطية الذين تأثروا بهذه الجماعة الخارجة عن الكنيسة الأم وتهوّدوا فعلاً وقبلوا الختان وبدأوا يدرسون الناموس، هكذا:

+ «إني أتعجَّب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذي دعاكم بنعمة المسيح **إلى إنجيل آخر.**» (غل 6:1)

---

(307) Burkitt, Cited by Bruce I, p. 301.

(308) Bruce., I., p. 301.

كذلك:

+ «أيها الغلاطيون الأغبياء مَنْ رقاكم حتى لا تذعنوا للحق، ... أهكذا أنتم أغبياء. أبعدما ابتدأتم بالروح تُكَمَّلون الآن بالجسد.» (غل 3: 1و3)

وبهذا القرار الإلهي والتاريخي الموثّق بإمضاء جميع الرسل وبنفس واحدة تكون خدمة ق. بولس الرسول قد تنزَّهت عن كل انحراف وأنها هي بحسب الإيمان المسيحي الحقيقي الرسولي. بل وبالأكثر فإن المديح الرسولي الذي اعترف بحياة بولس وبرنابا التي بذلاها بكل رضى ومسرَّة من أجل المسيح كانت تزكية زكية من الرسل مجتمعين لدفع عجلة الكرازة بواسطة ق. بولس في كل الأنحاء ـ كما قيل في نهاية سيرة حياته ـ «بلا مانع.» (أع 31:28)

15: 28و29 «لأنَّهُ قد رأى الرَّوحُ القُدُسُ ونحنُ أن لا نَضَعَ عليكُمْ ثِقلاً أكثرَ غيرَ هذِهِ الأشياءِ الواجِبَةِ، أن تمتَنِعُوا عمَّا ذُبحَ للأصنامِ وعنِ الدَّمِ والمخنُوق والزِّنا التي إن حفِظتُمْ أنفُسَكُم مِنهَا فنعِمَّا تَفعَلُونَ. كُونوا مُعَافِينَ».

دخول عنصر الروح القدس على المجمع كان إضافة مهيبة رفعت من الإجراء الرسولي الذي تمَّ لنقله من مستوى الرسولية إلى المستوى الإلهي، ومن مستوى الفكر البشري إلى مستوى الإرادة الإلهية، ومن مجرد توجيه أو توعية أو حتى رأي رسولي إلى أمر فائق عن التوجيه والتوعية أو الرأي بل وصية الله. فإن كانت على مستوى فضائل سلوكية وليست قواعد عبادية فهي ذات صلة عظمى بوحدة وسلامة الكنيسة وكرامة وهيبة المائدة المقدَّسة واللقمة السرية التي تحمل الجسد القدوس.

وقول الرسل «أن الروح القدس قد رأى ذلك ...» هو تعبير ظاهر عن إحساسهم بسلطان الروح القدس الذي كان مسيطراً على الجلسة من أولها إلى آخرها، وأنهم كانوا فعلاً ممسوكين بالروح القدس ينطقون كما يعطيهم أن ينطقوا حسب وعد الرب. ويُلاحظ ذكر الروح القدس قبل ذكر أنفسهم، وهذا بدوره يشعرنا بقوة الكنيسة المرتشدة بالروح القدس الذي يقودها ويدبرها.

وهذه اللفتة العليا والإشارة إلى تدخُّل الروح القدس في الكنيسة الأُولى بصورة دائمة نلاحظها باستمرار:

+ «وبينما هم يخدمون الرب (الليتورجيا) ويصومون قال الروح القدس افرزوا لي برنابا وشاول.» (أع 2:13)

+ «وبعدما اجتازوا في فريجية وكورة غلاطية منعهم الروح القدس أن يتكلَّموا بالكلمة

في أَسِيَّا.» (أع 6:16)

«تفعلون حسناً»: eâ pr£xete

أوردها ق. إغناطيوس (أفسس 2:4) بمعنى تعملون صحيحاً do right وهو نفس المعنى الذي ورد عند ق. يعقوب في رسالته:

\+ «فإن كنتم تكمِّلون الناموس الملوكي حسب الكتاب تحب قريبك كنفسك **فحسناً تفعلون.**» (يع 8:2)

«كونوا معافين»: ”Errwsqe

اصطلاح وداعي وتعني فلتكونوا أقوياء أو أصحاء.

وقد جاءت بالمفرد: «كُنْ معافى» œrrwso مثلما جاء في المكاتبات الرسمية الحكومية:

\+ «ثم لمَّا أعلمت بمكيدة عتيدة أن تصير على الرجل من اليهود أرسلته للوقت إليك آمراً المشتكين أيضاً أن يقولوا لديك ما عليه. كُنْ معافى.» (أع 30:23)

وعموماً فإن هذه الرسالة تكشف لنا عن مقدار احترام كنيسة أُورشليم لحرية الكنائس الأخرى وخصوصاً أنطاكية، لأن الخطاب يخرج تماماً عن مفهوم الإلزام أو التأكيد على ضرورة الالتزام. بل إن كلمة الأمان لحفظ كرامة وحرية كنيسة أنطاكية وغيرها واضحة في القول: «تفعلون حسناً» إن حفظتم أنفسكم منها!!!

ولكن وفي نفس الوقت أبرزت كنيسة أُورشليم برسلها الأجلاء كصاحبة الرأي الأول والقوَّامة على تدبير الكنائس بصفتها الناطقة بنطق المسيح والروح القدس:

\+ «الذي يسمع منكم يسمع مني.» (لو 16:10)

بقية سفر أعمال الرسل تم شرحه في كتاب:
القديس بولس الرسول حياته. لاهُوته. أعماله
من صفحة 633-764

Bibliography

Blunt, A. W. F., *The Acts of the Apostles* (The School Clarendon Bible, Oxford, 1934).

Bruce, F. F., (I) *The Acts of the Apostles: The Greek Text with Introduction and Commentary,* 1951, 1984.

——, (II) *Commentary on the Book of the Acts: The English Text with Introduction, Exposition and Notes* (New International Commentary, Grand Rapids, 1954[1], 1968[6]).

Chrysostom, Saint John, *Commentary on the Acts of the Apostles,* NPNF, 1st series, vol. XI, Grand Rapids, 1956.

Exell, J. S., *The Acts* (The Biblical Illustrator, Grand Rapids, 1954[1], 1963[4]).

Ferris, Th. P., *The Acts of the Apostles, Exposition* (The Interpreter's Bible, IX, New York, 1954).

Hawkins, *Horae Synopticae,* 2nd ed., Oxford, Clarendon Press 1909.

Lumby, J. Rawson, *The Acts of the Apostles* (Cambridge Bible for Schools and Colleges, 1904).

McGarvey, J. W., *New Commentary on Acts of Apostles,* Lexington, 1892.

Macgregor, G. H. C., *The Acts of the Apostles, Introduction and Exposition* (The Interpreter's Bible, IX, New York, 1954).

Marshall, I. Howard, *Acts* (Tyndale New Testament Commentary, Grand Rapids, 1980[1], 1989).

Meyer, H. A. W., *Critical and Exegetical Handbook to the Acts of the Apostles,* English Edition, 1883[1], 1884[6], reprinted 1983.

Morgan, G. Campbell, *The Acts of the Apostles,* 1924[1], reprinted 1957.

Munck, J., *The Acts of the Apostles* (The Anchor Bible, 31), New York, Doubleday, 1967.

Neil, W. *Acts* (New Century Bible Commentary), 1909[1], reprinted 1986.

Rackham, R. B., *The Acts of the Apostles* (Westminster Commentaries), 1901[1], reprinted 1953.

Sanders, E. P., *Paul and Palestinian Judaism,* London, 1977[1], reprinted 1989.

Thomas, D., *Acts of the Apostles, A Homiletic Commentary,* 1870[1], reprinted 1955.

Williams, D. J. *Acts* (Good News Commentaries), 1985.

Willimon, W. H. *Acts, Interpretation: A Bible Commentary for Teaching and Preaching,* 1988.

